علي بن أبي طالب رضي الله عنه

أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين

بقلم
عبد الستار الشيخ

دار القلم
دمشق

عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَرَابِعُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ

وَالْمُفْتَرَى عَلَيْهِ فِي الْعَالَمِينَ

دار القلم
دمشق
أسسها: محمد علي دولة رحمه الله تعالى
سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م

الطبعة الثانية
١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

تُطلب جميع كتبنا من:
دار القلم - دمشق
هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣
kalam-sy@hotmail.com
الدار الشامية - بيروت
هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)
ص.ب: ١١٣/٦٥٠١
توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:
دار البشير - جدّة
٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤

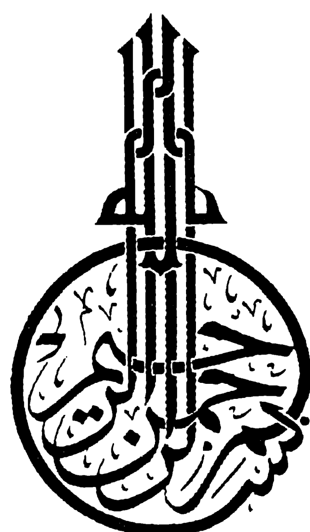
علي بن أبي طالب رضي الله عنه

أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين
والمفترى عليه في العالمين

٢٣ ق.هـ - ٤٠ هـ

بقلم
عبد الستار الشيخ

دار القلم
دمشق



هذا الرجل

•• قال الله تعالى:

ـ ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣].



•• قال رسول الله ﷺ:

ـ «يا عليُّ، أمَا ترضَى أن تكونَ منِّي بمنزلةِ هارون من موسى، غيرَ أنه لا نبيَّ بعدي!» فقال علي: رضيتُ، رضيتُ.

ـ «مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللَّهمَّ والِ مَن والاَهُ، وعادِ مَنْ عادَاهُ».

ـ «لأُعطِينَّ هذه الراية رجلاً يَفتح الله على يديه، يحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُه». فأعطاها علي بن أبي طالب، ففتح الله على يديه خيبر.

ـ «يا عليُّ، ألَا أُعلِّمُكَ كلماتٍ إذا قُلتَهنَّ غُفِر لك، مع أنه مغفورٌ لك؟».

ـ «إنَّ منكم مَن يُقاتِل على تأويلِ القرآن كما قاتلتُ على تنزيله» قال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: «لا» قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: «لا، ولكنْ خاصِفُ النَّعْل» وكان أعطى عليّاً نَعْلاً يَخْصِفُه.

ـ عن عليٍّ قال: والذي فَلَق الحَبَّة وبَرأَ النَّسَمةَ؛ إنه لعهدُ النبيِّ الأُميِّ ﷺ إليَّ: «**أنْ لا يُحِبُّني إلا مؤمنٌ، ولا يُبْغِضُني إلا منافقٌ**».



•• قال علي رضي الله عنه:

ـ العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل والمال تُنْقِصه النفقة، العلم حاكم والمال محكوم عليه، وصنيعة المال تزول بزواله ومحبة العالم دِين يُدان بها، العلم يُكسِب العالم الطاعة في حياته وجميلَ الأُحْدُوثة بعد مماته، مات خُزَّان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة.

ـ يا أهلَ القبور، يا أهلَ الضِّيق والوحدة، يا أهل الغُربة والوحشة: أمَّا الدور فقد سُكنت، وأما الأموال فقد قُسمت، وأما الأزواج فقد نُكحت، فهذا خبرُ ما عندنا؛ فما خبر ما عندكم؟. ثم التفت إلى أصحابه فقال: لو أُذِن لهم في الجواب لأجابوا: إن خير الزاد التقوى.

ـ مَن كَثُر كلامه كثُر خطؤه، ومن كثر خطؤه قلَّ حياؤه، ومن قَلَّ حياؤه قلَّ ورعُه، ومن قلَّ ورعُه مات قلبُه، ومن مات قلبه دخل النار. ومن نظر في عيوب غيره فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الأحمقُ بعينِهِ.

ـ اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.

ـ لا تكنْ عبدَ غيرِك وقد خلقك الله حُرّاً.

ـ إمام عادل خير من مطر وابل.

ـ ما أضمرَ أحدٌ شيئاً إلا ظهر من فَلَتات لسانه وصفحاتِ وجْهِه.

ـ إذا أقبلـتِ الدنيا على رجلٍ أعارَتْه محاسـنَ غيـرِه، وإذا أَدبَرتْ عنه سلبتْه محاسنَ نفسِه.

ـ موت الرؤساء أسهلُ من رياسة السَّفِلَة.

ـ أَجَلُّ ما يَنـزِل من السـماء التوفيـقُ، وأجَلُّ ما يَصعـد من الأرض الإخلاصُ.



المقدمـــة

الحمد لله ربِّ العالمين كما ينبغي لكرم وجهه وعــزِّ جلاله، حمداً طيباً مباركاً فيه، ملْءَ السموات وملءَ الأرض وملءَ ما شاء من شيء بعد.

والصلاة والسلام على سيد المرســلين وخاتم النبيين محمد، وعلى آل بيته الطيبين وخلفائه الراشــدين وصحابته الغُرّ الميامــن، وعلى مَن أحبَّهم وترضَّى عنهم وسار على نهجهم ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين. **أما بعد:**

فالخلفاء الراشدون الأربعة كانوا من الإسلام أشبَهَ بالأركان الأربعة التي تقوم عليها البَنِيّة ويُشَــدّ عليها بنيانُها، بما لهم من السابقة في الدين والجهاد والبــذل والمؤازرة، ثم اســتلام الراية وحمل الأمانة والقيــام بأعباء الخلافة والدولة ونشر الرسالة وتحقيق عالمية الدعوة الإسلامية. وقد حققوا التطبيق العملي الفذ للإسلام عقيدةً وشريعةً وديناً ودولة، فكانوا الوجهَ المشرقَ الذي تتمثل على قســماته معالم الوصــف الكريم الذي جاء فــي محكم التنزيل: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

•• وعلي بن أبي طالب لبنة ضخمة راســخة في ذلــك الجيل الذي التف حول قطب رحى الإســلام محمد ﷺ الذي جاء وصْفُه هو ومن معه في قولــه تعالــى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩].

ومضى ﷺ في محاضن الإسلام مع إخوانه الصحابة الذين قال الله فيهم: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ [المائدة: ٥٤]، وأعطى لدينه نفسَه وروحَه وعقلَه ومالَه وبنيه وكلَّ ملكاته وطاقاته وشمائله ومزاياه، وقد فاز هو والرعيل الذي معه بنعمة الله المحكمة في كتابه: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وحياة علي ملحمةُ بطولات وملتقى مفاخر ومنبعُ مكرمات، إنه نبتة سامقة من دَوْحة بني هاشم نشأت بادرتُها في مغارس النبوة وفي معرِض غيثها ومشرق أضوائها ومهابِّ أنسامها، وفَتحت له الأقدار الحكيمة باباً عريضاً دخل منه إلى بيت النبوة قبل النبوة، فضَمَّه محمد ﷺ إلى كنفه ونشَّأه في حِجْره وهو صبي صغير ابن ست سنين، وأحاطه برعايته ونفحه من معين أخلاقه وآدابه. حتى إذا نزل الوحي وأعلن أن محمداً رسولُ الله للعالمين، كان عليٌّ غلاماً حَدَثاً ابنَ عشر سنين، فأقبل على الإسلام وسبق الناس إليه فكان أولَ الصبيان إسلاماً. ولازَمَ النبيَّ ﷺ ثلاثاً وعشرين سنة، فرضع من ثدي النبوة وتغذى بمكارمها، وصِيغَتْ شخصيتُه على عينها.

ثم وصل الرسول ﷺ بينه وبين علي بوشائج وثيقة؛ فأصهر إليه وزوَّجَه ابنته فاطمة البتول، وأضحى واحداً من أعيان آل البيت الأطهار.

وأبرز ما يميز عليّاً ﷺ بطولتُه وفروسيته وجرأته وشجاعته التي كانت مضرب الأمثال، فجعل صدره ونحره دِرعاً واقية للإسلام ونبيِّه ﷺ، وكان سيفُه شهاباً رصَداً للأعداء ينازل الرجال ويُجندِل الأبطال، وينصر دعوة الحق، ليث الحروب وفارس الميادين ومقدَّم المجاهدين. خاض مع النبي ﷺ جميع غزواته، وأعطاه الراية واللواء، وكان النصر معقوداً على جبينه.

وهبه الله تعالى قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً وعقلاً متوقداً وحكمة فياضة، وأخذ عن النبي ﷺ القرآن والسنن والعلم والعمل، ودعا له بأن يهدي قلبه

ويثبت لســـانه؛ فكان من أعلم الصحابة بالقرآن وتفسيره والسُّنَّة وفقهها، وله السبق في القضاء حتى إنه قال: (ما أَشكل علَيَّ قضاءٌ)، يجيب عن المشكِلات ويحلّ المُعضِلات، وكان الفاروق عمر ـ في أيام خلافته ـ يأمره بالقضاء بين الناس، ويقول: (أقضانا علي)، ويتعوَّذ من معضلة ليس لها أبو الحسن!.

وجمع إلى هـــذا أكرمَ الأخـــلاق وأنبلَ الشِّـــيم وأرفَعَ الخصـــال وأجلَّ الأعمال، وكان على سَنَن النبي ﷺ، ومن خيار الصحابة ومقدَّميهم في الزهد والورع والنُّبل والجود والســـخاء والتواضع والحياء والعفة والغَيْرة والبشاشة والعفو والإحسان والعبادة والتقوى ومداومة الأذكار وتلاوة القرآن.

وكان خطيبـــاً مِصْقَعاً فصيحَ اللســـان عالي البيان، اتفقـــت كلمة العلماء والأدباء على أنه عَلَمٌ من أعـــلام البلاغة وإمام من أئمـــة الفصاحة، امتلأت كتب الأدب والتاريخ بخطبه الرائعة وكلماتـــه البديعة وحِكَمه النادرة وأمثاله السائرة مع شـــعره الرقيق. وقد عُزي إليه (**ديوان شـــعر**) أكثره لا تصحّ نسبتُه إليه. وجُمعت خطبه وأقواله وكتبه ورســـائله في مجموع مشهور يسمى (**نهج البلاغة**)، وأكثره موضوع عليه ولا تصح نسبته إليه.

وقد أكرمه رســـول الله ﷺ وأطابَ الثناءَ عليه وأحبَّه وأَمر المؤمنين بحبِّه وموالاته فقال: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**»، وأخبر أنه منه بمنزلة هارون من موسى، وأنه لا يحبه إلا مؤمن ولا يُبغضه إلا منافق، وبشَّره بالجنة وبالشهادة، وأنه يحبُّ اللهَ ورسولَه ويحبُّه اللهُ ورسولُهُ، وأنه مغفور له، وضَمَّه هو وفاطمة والحسن والحسين وألقى عليهم الكســـاء، وتلا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

عاش ﷺ طيلة عمر الرسالة مع النبي ﷺ على أحسن الهدي والإخلاص والوفاء والاجتهاد في خدمة الإســـلام، حتى إذا لَحِق ﷺ بالرفيق الأعلى بقي

علي وفيّاً لدينه ونبيــه ﷺ، ما خرم من هديه وأخلاقه قِيــد أُنملة؛ فكان مع الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان أخاً كريماً ووزيراً مخلصاً ومستشــاراً ناصحاً وحارســاً أميناً، وشــارك بقوة وصدق وصراحة وإخلاص في سياسة الدولة بمختلِف أعمالها وواجباتها.

حتى إذا آلت الأمــور إليه وجاءته الخلافة في وقتها وإبَّانها، لم يَســلبه أحدٌ حقه فيها، ولا أَخَّــره عنه، بل جاءت في المقام الذي يســتحقه، فكان رابع الخلفاء الراشــدين، وبايعه المهاجــرون والأنصار وكثيــر من أمصار الإسلام. وتولى مقاليد الخلافة وهي مثقلة بالأعباء، مليئة بالتحديات، موَّارة بالأحداث والفتن الجســام؛ فأخذ الراية غير هيَّــاب ولا وَجِل، ومضَى على ســجيته الصلبة وطبيعته الجريئة المقدامــة، يحاول تذليــل العقبات وحل المشــكِلات وتوحيــد الكلمــة وجمع الأمــة، لكــن كَثُرت عليــه الفتوق واصطلحت عليه المحن، فما وَهَن ولا اســتكان، وبقي مستمســكاً بمبادئه ثابتاً على يقينه، حتى جاءه أجلُه مع السَّــحر وطلوع الفجر، فذهب إلى ربه صائماً شهيداً سعيداً.

•• وإذا كان من المتوقع أن تكون (سيرة علي المكتوبة والمنقولة إلينا) مثلَ ما هي في واقع الحــال مع النبي ﷺ والصحابة والخلفــاء الثلاثة قبله؛ لكن الحق المــرَّ أن الأمر كان بخــلاف ذلك إلى حد بعيد، فســيرتُه لكثرة ما شَابَها قد غامَ وجهها وعَكِر موردُها واضطرب واردُها وتحيَّر قارئها! بسبب ما تراكم عليها من حُجب كثيفة على مدى القرون والأجيال، لأسباب مذهبية طائفية ونفسية ونمطية رتيبة تقليدية في الأسلوب التأريخي والتراجمي الذي اتبعه المؤرِّخون والكُتَّاب قديماً وحديثاً في الأعم الأغلب، ولم يُنصَف علي حقَّ الإنصاف، ولم تُعرض ســيرته في صورتها الحقيقيــة وفق منهج علمي نقدي منصف يتبع الاســتعراض الأمين الدقيق المحايد للعصر الذي نشأ فيه

والمجتمــع ورجاله وقادتــه، وصفاتهــم ومبادئهــم وتربيتهــم وأخلاقهم، والأحداث التي تفاعلت مع كل ذلك، فتأثَّرت به وأثَّرت فيه.

والكتابة عن أمير المؤمنيـــن علي ﷺ تعترضها مصاعب مضنية ومخاطر مخيفــة، وتتخللها محاذيــر جَمّــة ومزالق وَعِــرة، وتكتنفهــا تركة ضخمة وموروثات مفزعة، وفيها مواقف كثيرة وأحداث جليلة هي أحدُّ من الشــفرة وأَدَقُّ من الشعرة... مما يتطلب نمطاً فريداً من التأليف، وفكراً متوقداً متحرراً، وقلباً ســليماً واعياً، وقلماً نابهاً درَّاكاً، ومنهجاً معتدلاً منصفاً حياديّاً متأدباً؛ ويحيــط ذلك كلَّه التوفيــقُ الإلٰهيُّ والــورَعُ، والنُّبل والصــدق والإخلاص، وسلامة الصدر وطهارة اللسان.

١ ـ فمن أكبــر المصاعب وأخطرهــا وأضخمها حجماً ذلــك الموروث التاريخي الهائل الذي أضنَى كاهلَ التاريخ بمــا كُتب عن عليٍّ وحقبة حكمه وخلافته، وفيه الشــيء الكثير جدّاً من الأخبار التالفــة والواهية والموضوعة، وغالبها مدارُه على رواة متروكين أو أصحــاب بدع أو متهمين بالوضع كأبي مِخْنَف لوط بــن يحيــى ونَصْر بن مُزاحــم وعَوَانة بــن الحَكَــم والكَلْبي والواقدي! وقد ضَمّت هذا التراثَ كتبُ التاريخ العامة والخاصة؛ مثل: تاريخ الطبــري، والمنتظم، وابن عســاكر، والكامل في التاريــخ، والبداية والنهاية، وتاريخ الإسلام للذهبي، وتواريخ الشــيعة كاليعقوبي والمسعودي، والكتب المفردة لوقعتي الجمــل وصِفِّين، وكتب الأدب؛ كالبيــان والتبيين، والكامل للمبرد، والعقــد الفريد، والأغاني... أما كتب الشــيعة الإمامية؛ مثل: الكافي، وأمالي الطوسي، وإثبات الوصية، وبحار الأنوار، والأنوار النعمانية، والشافي، والغارات للثقفي... فالسعيُ معها لا ينتهي إلى قرار بل يودي إلى فلاة مَضَلَّة!.

٢ ـ والأدهى من ذلك والأشــد مرارةً كثرةُ الأحاديــث الواهية والباطلة والموضوعة التي رُويت في علي وآل بيتــه الطاهرين؛ في منزلتهم ومناقبهم

ووجوب موالاتهم والغَضّ من غيرهم. وانتشرت تلك الآثار في كتب التفسير والحديث والتاريخ والتراجم والسير والأدب... وشكَّلَتْ مع المصادر السابقة (موروثاً ضخماً خطيراً) على أصحابه وعلى الأمة والمؤرخين والكُتَّاب والباحثين.

٣ ـ ولا يقلُّ عما سبق كثرةُ الأكاذيب على علي والافتراء عليه والغُلو المُفرِط فيه، والحق أننا لا نعرف رجلاً افتُري عليه مثل ما افتُري على علي ﷺ! كما لا نعرف رجلاً تعارضَتْ فيه الآراءُ وتعدَّدت مثل ما تشاجرت فيه؛ بين طائفة تدَّعي له العصمة بل الإلٰهيَّة، وطائفة أخرى أَكفرتْه وخرجت عليه وأَوجبتْ قتالَه حتى قتلَتْه! وبين النقيضين فِرق وطوائف مبتدعة وخرافيون وكذابون مفترون ألصقوا به ما لا يحتمله عقل ولا يخطر ببال.

فزعموا لعليٍّ أن فيه جزءاً إلٰهيّاً، ثم من بعده ابنه محمد ابن الحَنفيّة، وادَّعى آخرون أنه يعلم الغيب، وأنه يحيي الموتى ولو شاء لأحيى عاداً وثموداً وقروناً بين ذلك كثيراً، واعتقد آخرون بأنه سيَرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة، وادَّعَوا له النبوة والعصمة وثبوت الإمامة بالنص، وغالوا في علومه فزعموا أنه يعلم طُرق السموات والأرض وأنه بابُ علم النبوة، وافتروا عليه بأن النبي ﷺ تشفَّع به إلى ربه، وأنه ﷺ قال لعليٍّ: أوتيتَ ثلاثاً لم يؤتهنَّ أحدٌ ولا أنا! وأن مَن ذَكَر واحدة من فضائله غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهو صنو الرسول وشريك القرآن بل القرآن الناطق، وقد أفرغ النبي ﷺ في أذنه علوم الدنيا والآخرة، ولولاه ما قال قائل: لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله، وهو سيد الكونين بعد النبي ﷺ، وهو النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون، وأن الله خلق عليّاً كما يشاء وقال للناس: هذا هو المثل الأعلى فاحتذوه...

٤ ـ وثمة بُعْدٌ آخَر يضاف في قائمة المعضلات والمحاذير والمزالق والمخاطر، يتمثل في أن ما جاء من أخبار وروايات حول استخلاف علي

ومقتل عثمان وفتنتي «الجمل» و«صفين» ـ الصفة العامة لها: الثناءُ على عليٍّ واتهامُ عامة الصحابة وبخاصة جِلَّتِهم، أعني أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف... وفي هذا الباب ما لا يحتمله قلب ولا عقل ولا أدب، ولا يقبله من عنده ذرةٌ من إنصاف أو مَسْكَةٌ من عقل أو مروءة!.

ونَقَلتْ كتبُ التاريخ من السباب والشتائم والإقذاع في الكلام بين الصحابة، ما لا يصدر إلا عن السَّفِلة من الناس! هذا ناهيك عن الاتهام بالغدر والخيانة والكيد والحقد والكذب والتآمر والسعي للدنيا والتقاتل على المناصب وارتكاب كل موبقة في سبيلها. وبلغت الجرأة بل الوقاحة ببعض الروايات والكتَّاب أن نقلوا عن معاوية أنه شتم الصحابي ابن الصحابي (قيس بن سعد بن عبادة) والي مصر من قِبل علي، فقال له: (إنك يهودي ابن يهودي)، فردَّ عليه قيس: (إنك وثن ابن وثن)!.

٥ ـ وأمر آخر يجب التنبيه عليه، وهو أن كثيراً ممن كتب من القدماء والمعاصرين خاصة قد ارتكبوا خطايا كبيرة في جرأتهم على الصحابة؛ حيث يجعلون صاحب الترجمة (عليّاً) مقياساً وميزاناً للحق والصواب، ويطعنون على كل مَن خالفه في رأي أو اجتهاد أو موقف، وهذا ما حدا بالكثيرين إلى إكفار من حاربه في «الجمل» و«صفين»، أو ما هو أخف ـ بزعمهم ـ فرموهم بالهوى والضلال والعصبية والقبلية وأنهم خالفوا الله ورسوله.

فزعم بعضهم أن العرب ـ يعني الصحابة ـ يعبدون الله على حرف، وأن عائشة في خروجها إلى البصرة كانت تسعى لتولية طلحة بن عُبيد الله أمرَ الخلافة، وأنها هتكت سِتر النبي ﷺ، وأنها مستمرة في كراهية علي والسعي لخلعه، وأن طلحة والزبير خرجا للبصرة وأرادا الغدر بعليٍّ وسعَيَا للخلافة، وأن عمرو بن العاص ماكر مخادع باعَ دينه بولاية مصر، ومعاوية طليق ابن طليق وهو محل للاحتقار، وأبا موسى الأشعري ساذج مغفَّل، وأنس بن

مالك لم يشـــهد لعليٍّ بحديث «غَدِير خُمّ» وذلك من مخازيه، ويذكر حديثاً عن طلحـــة ولا يترضى عنه بل يقـــول فيه: (المقتول يـــوم الجمل)، وأن من الصحابـــة من نزل فيه قولـــه تعالـــى: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِۙ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ [التوبة: ١٠١]، وأكثروا من الشتائم للفاروق عمر فاتهموه بأنه بطيء الفهم جاهل لم يعرف معنى ﴿ٱلۡكَلَٰلَةِ﴾ [النســاء: ١٧٦] ولا معنى ﴿الأب﴾، وأنه كان بليداً ويعرف نعمة الله وينكرها...

٦ ـ ومعضلة المعضلات وكبرى الطامات أن ذاك (الموروث الضخم بما فيه) أمسى (ملكاً عامّاً شائعاً)، تناقله المؤرخون والكتاب طبقاً عن طبق حتى وصل إلينا، فخاضت في لُجَجِهِ أقلام من مشارب شتى من الكُتَّاب والباحثين المعاصريـــن، حتى شـــارك فيه المستشـــرقون والمســـتغربون والشـــعوبيون والعلمانيون وأضافوا إلى تلك (التركة العملاقـــة) منظومة جديدة زعموا لها البحث النزيه والنقد والتمحيص وعَرْضَ السيرة بأسلوب عصري من التبويب والترتيب.

ولكن الواقع عند المحاققـــة أن كثيراً من المعاصريـــن زادوا الطين بِلَّة، وأضافوا لما اقترفه السابقون جراحات وجنايات وخطايا وأكاذيب وافتراءات؛ قدموها للنشء على أنها تاريخ أسلافهم في أزهى العصور أيام الراشدين.

تجد أمثلة ذلك فيما كتبه طه حســـين في (الفتنة الكبرى) و(علي وبنوه)، وهشـــام جعيط في (الفتنة)، والعقاد في (العبقريات)، وخالد محمد خالد في (خلفاء الرســـول)، ومحمد جواد مغنيـــة في (فضائل الإمـــام علي)، وطلال الجنابي في (أبو تراب)، وإبراهيم بيضون في (علي في رؤية النهج)، وأسعد القاسم في (أزمة الخلافة والإمامة)، وأحمد التل في (لماذا تراجع العرب؟)، وعبدالكريم الخطيب في (علي بن أبي طالب) وهو من أسوأ ما كُتب.

أمام هذا (الموروث) كما وصفناه، وركام الكتب التي صُنِّفت في (ترجمة علي وخلافته) يتوجب على الباحث المنصف أن يضع نصب عينيه حقيقتين راسختين:

الأولى: إجلال الصحابة ﷺ وإعظام شأنهم، والحذر من خدش مكانتهم بَلْهَ الإساءةَ إليهم أو اتهامهم والطعن عليهم.

الثانية: ملاحظة أن (كَمّاً كبيراً من ذاك التراث) قد انتشر على نطاق عريض بين الناس على مدار التاريخ وفي مختلِف شــرائحهم ومســتوياتهم حتى في وسائل الإعلام المتنوعة والكتب المدرسية والدراسات الجامعية والبحثية.

وهذا ما يوجب بذل جهد جبار في تقديم دراســات علمية منهجية نقدية نقية صافية منصفة، مناسبة لمختلف طبقات القرّاء، واستخراج خيوط الحقيقة أو ما هــو قريب منها من (أضابيــر التاريخ) المتراكمة وســجلات الروايات الضخمة، وجمع تلك الخيوط المضيئة وسط ظلمات الأباطيل، وضَمّها إلى بعضها لتكوين (وثيقة من الحقيقة والصواب) يستمسك بها القارئون، تنصف تاريخَنا ورجالاتنا، وتحترم عقول الناس وقلوبهم.

●● ومنهجنا فيما نكتب وبخاصة في هذا الكتاب:

١ ـ اتبــاعُ منهج أهل الحديث فــي نقد الروايات ســنداً ومتناً، وبهرجة الأخبار الواهية والباطلة والموضوعة، وقبول الصحيح والحسن وما هو قريب منه، والتســامح في الضعيــف الذي يتفق مع النســق العام لهــدي الرجال المترجَــم لهم وحقائــق الإســلام ومبادئه وأدبياتــه، وهو منهج أقــرَّه كبار المحدِّثين في التســاهل بقبول الروايات الضعيفة التــي لا تتعلق بحلال أو حرام أو عقائد ونحوها من أسس الدين. وقد قبِلنا ـ تأسيساً على هذا ـ بعضَ روايات نصر بن مزاحم ولوط بن يحيــى وبابَتِهما.

وقد اعتمدتُ في هذا الجانب على كتب السُّـنَّة، ففيها الكثير الطيب مما يشرح الأحداث العامة والخاصة أحياناً. ومعها كتب التاريخ والتراجم القديمة التي رويت بالأسـانيد؛ مثل: تاريخ خليفة، والفَسَـوي، وطبقات ابن سـعد، وأخبار المدن؛ مثل: (المدينـة، البصرة، بغداد، ودمشـق)، والكتب المفردة للوقائع كالجمل وصفين.

٢ ـ جمعُ الروايـات التاريخية من مصـادر متعـددة ومقارنتها ببعضها والجمع بينها، ثم عرضُها على ما جاء في الأحاديث إنْ أمكن ذلك، وعرضُها أيضاً على سجايا الصحابة وهَدْيهم وسـيرتهم وأخلاقهم وأفعالهم ومواقفهم وتاريخهم، ومنه يُعرف مدى ملاءمة وقبول ذلـك (الموروث التاريخي) لِما عُرف عنهم من هدي قويم وسيرة طاهرة تربوا عليها، وهم أهل القرآن وصنعة النبوة وحملة الرسالة.

هذا مع التنبيه على أن تبجيلَ الصحابة وحبَّهـم والاعتذارَ لهم عما بدر منهم أو جرى بينهم، لا يعنـي عصمتَهم أو عدمَ وقوع الخطـأ منهم، وإنما نقول: إن ما صدر من بعضهم من هَنَاتٍ أو زلَّات، لا تنال من أقدارهم، وهي مغتفَرة في بحور حسناتهم.

وإنها لجرأة خاسرة أن يتطاول امرؤ على تلك القامات الكبيرة، وقُصارى الباحث المنصف أن يؤْثِر الحق على الهوى، والآخرة على الأولى، وأن يَسلم لسانُه من أعراضهم كما سلمتْ يدُه من دمائهم. ولأَنْ نخطئ مرة ومرتين في تبرئة الصحابة والثناء عليهـم والتماس العذر لهم؛ خيرٌ وأتقـى وأبرّ لديننا وأنفسـنا وعقولنا وأقلامنا من أن نخطئ عُشْر مرَّة في ثَلْبهم أو العيب عليهم أو الإسـاءة العارضة لأحدهم، فمن خاصَمَ الصحابة خُزي وخُذل ورُذل في الدنيا والآخرة.

•• وكتابنا هذا عن أمير المؤمنين علي قد التزمنا فيه خطتنا في الترجمة لأعلام الإســلام، وسِــرْنا في تصنيف الأبواب والفصول مع سيدنا علي في مســيرة حياته منذ ولادته ونشــأته حتى آخر أيامه ووفاته، ووقفنا طويلاً عند (المحطات الكبرى) و(المعالم البارزة) في سيرته ومكونات شخصيته وأدائه ودوره التاريخي في صناعة الأحداث أو المشاركة فيها.

وعنوان الكتــاب (**علي بن أبي طالــب: أمير المؤمنيــن، ورابع الخلفاء الراشــدين، والمفترى عليه في العالمين**)؛ قد اخترتُه نزولاً عند رغبة وتوجيه أســتاذنا محمد علي دولة حفظه الله، وقد ســعيتُ جاهــداً لتحقيق الترجمة الوافيــة الصادقة لهذه المحــاور الثلاثة الكبــرى، وأقمت البراهيــن النقلية والتاريخية والعقلية على صحتها وثباتها. وكان المحور الثالث (المفترى عليه في العالمين) أبرزَها وأطولَهــا وأكثرَها أخباراً وأطلَبَها تمحيصاً ونقداً؛ وذلك أن الباحث لا يكاد يجدُ صفةً من صفات عليٍّ أو مَعْلماً من معالم شــخصيته أو فصلاً من ســيرته أو مرحلة من مراحل حياته؛ إلا ويجــدُ فيها الأحاديث الموضوعة والأخبار الباطلة والمجازفات الكبيرة والافتراءات العجيبة، كوَّنَتْ بمجموعها ركاماً من الأكاذيب شــوَّهت رُواءَ سيرته، وجعلت منه إنساناً فوق الأناسي وخارج اعتبارات البشر! وكنت كثيراً ما أُثير هذه الناحية وأنبِّه عليها وأسوق طرفاً مما جاء فيها، ثم أعود عليها بالتمحيص والنقد والتحقيق. ومن أخطر الفِرى فِرية (الوصية بالخلافة)، وقد أطلتُ البحث فيها ونقضْتُها بأربعة وثلاثين دليلاً معتمِــداً على: الأحاديث الصحيحــة الصريحة، ونصوص من كتب الشــيعة وبخاصة (نهج البلاغة)، وأقوال لعليٍّ صرَّح بها في مناســبات شتَّى، وأدلة منطقية عقلية وتاريخية كثيرة.

ووقفتُ طويلاً عند أحداث الفتنة، وفصَّلتُ القول فيها في مباحثَ عديدة، من حيثُ مباديها ومقدماتُها، وأســبابُها وأشخاصُها، وملابساتُها ومعضلاتُها،

وأحداثُها ومروياتُها، وعواقبها ونتائجها وانعكاساتها، فاستغرق البحث فيها أكثر من ثلث الكتاب.

وبترجمتنا لأمير المؤمنين علي يكتمل (عِقد البحث والترجمة للخلفاء الراشدين الأربعة وتاريخ خلافتهم)، وتتكامل الكتب الأربعة لتعطي ـ فيما نحسب ـ صورة تفصيلية لتلك الحقبة المباركة التي امتدت نحو ثلاثين سنة كما ثبت في الحديث الصحيح.

وإني لأرجو أن يكون هذا الكتاب قد حقَّق الهدف الذي أُقيم له، ووفَّى الخليفةَ الراشدي الرابع بعضَ حقِّه علينا، ونفَى عنه ما لا يرضاه من الكذب والافتراء والغلو والتقديس!.

اللَّهمَّ إني أستهديك بلج الحق، وأستعين بك على السداد، وأعوذ بك من مساقط الهوى والميل عن جادة الرشاد، وأسألك الإنصاف والمعدلة، وأرجو منك العفو والمغفرة عما سَهَا به الفكر أو زَلَّ به القلم، فما أردتُ إلا الحق وما قصدتُ إلا الخير، و«**إنما الأعمال بالنيّات، وإنما لكلِّ امرئٍ ما نوى**».

عبد الستار الشيخ

الباب الأول

أخباره الشَّخصية
وأسرتُه ونشأتُه وإسلامُه وحياتُه بمكَّة

- أخبارُه الشَّخصيَّة وصفاتُه الخِلقية.
- أسرتُه وأقاربُه.
- نشأتُه.
- إسلامُه وحياتُه في مكَّة وهجرتُه.



الفصل الأول

أخباره الشَّخصيَّةُ وصِفاتُه الخِلْقية

أولاً: اسمه ونسبه ونسبته:

علي بن أبي طالب ـ واسمُ أبي طالب: عبدُ مناف ـ بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب، القُرشي الهاشمي المكي المدني الكوفي[1].

وجاء عن علي: أن أمه سَـمَّتْه (حَيْدَرة)، وقد ارتجـز بذلك يوم خيبر فقال:

أنا الذي سـمَّتْني أمِّـي حَيْدَرة   كليثِ غابـاتٍ كريـهِ المَنْظَره

وقد ذكروا أن عليّاً وُلد وأبو طالب غائب، فسـمَّتْه أمه فاطمةُ بنت أسد: (حيدرة)، وحيدرة: اسم من أسامي الأسد، وهي أشجعُها. فلما قدِم أبو طالب كره هذا الاسم الذي سمته أمه به، وسمَّاه عليّاً[2].

ثانياً: كُنَاه:

ثبتت لعلي ثلاث كُنًى:

---

(١) طبقات ابن سعد: ١٩/٣؛ تاريخ بغداد: ١٣٣/١؛ تاريخ ابن عساكر: ١٣/١، ١٦، ١٩، ٢٠.

(٢) تاريخ ابن عساكر: ٢١/١ـ٢٢؛ المستدرك: ١٠٨/٣.

١ ـ أبو الحسن:

كُني باسم أكبر أبنائه (الحسن) رضي الله عنه، وثبت ذلك في حديث الصحابي عبد المطلب بن ربيعة في قصة طويلة: أن علياً رضي الله عنه قال: (أنا أبو حسن القَرْم)(١).

٢ ـ أبو تُراب:

كَنَاه بها رسول الله ﷺ، وكان علي يحبها ويفرح أن ينادَى بها.

قال سَهْل بن سعد رضي الله عنه: (إنْ كانت أحبَّ أسماءِ عليٍّ رضي الله عنه إليه لأبو تُراب، وإنْ كان لَيَفرح أن يُدْعى بها، وما سمَّاهُ أبو تراب إلا النبيُّ ﷺ)(٢).

٣ ـ أبو القُصَم:

اكتنى بها في (غزوة أُحُد)، وتقدَّم وهو يحمل الراية وواجه المشركين، ونادى معرِّفاً بنفسه ودالّاً على مكانه: أنا أبو القُصَم!.

ويروى: (أبو الفُصَم) بالفاء، وأبو القُصَم: أي أبو الدواهي العظيمة. والقَصْم ـ بالقاف ـ: كسرٌ ببينونة، وبالفاء: كسر بغير بينونة(٣).

ويقال له أيضاً: **أبو الحسنين، وأبو السِّبطين**، وهما ريحانتا رسول الله ﷺ الحسن والحسين.

---

(١) صحيح مسلم (١٠٧٢)؛ سنن أبي داود (٢٩٨٥). **القَرْم**: المُقدَّم في المعرفة بالأمور والرأي.

(٢) صحيح البخاري (٦٢٠٤)؛ وسيأتي الحديث بتمامه: ص ٧٥ في هذا الكتاب. **قوله: (أبو تراب)** ليس خطأ، بل هو موجَّه على الحكاية.

(٣) السيرة النبوية، لابن هشام: ٧٣/٢؛ سبل الهدى والرشاد: ٢٨٧/٤، ٣٨٧.

ثالثاً: صفاته الخِلْقية وحِلْيته[١]:

نشأ علي متين البنيان، بهيَّ الطلعة، مهيبَ الشخصية، كاملاً بين الرجال، مثلاً بين السادة من الصفوة الكبار، وبقي على ذلك حتى تجاوز الستين!.

وصفه من رآه في تمام الرجولية فقال: كان رجلاً رَبْعة، إلى القِصَر أقرب، ضخم البطن، ضخم المَنْكِبين، لِمَنْكِبه مُشَاش كَمُشاش السَّبُع الضارِي، لا يتبيَّن عضدُه من ساعده قد أُدمجت إدماجاً، ضخمَ عضلة الذراع، دقيقَ مُسْتَدَقِّها، ضخمَ عضلة الساق، دقيق مُستدقها، شَثْن الكفين، عظيم اللحية، قد ملأتْ ما بين منكبيه، بيضاء كأنها قُطْن، أَدْعَج العينين عظيمهما، أصلع، كثير شعر الصدر والكتفين. له قَلَنْسُوة بيضاء مصرية، يتختم باليسار، وكان نقش خاتمه: (الله الملك).

حسن الوجه كأنه القمر ليلة البدر حُسْناً، أَغْيَد، كأن عنقَه إبريقُ فضَّة، ضحوكُ السن، إذا مشى تكفَّأ ـ على نحو مِشية النبي ﷺ ـ وإذا أمسك بذراع رجل أمسك بنَفَسه، فلم يستطع أن يتنفس، شديدُ الساعد واليد، إذا مشى للحرب هرول، ثَبْت الجَنان، قوي شجاع، منصورٌ على مَنْ لاقاه، رضي الله عنه وأرضاه.



---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/٢٥ـ٣١، ابن عساكر: ١/١٧ـ١٨، ٢٦ـ٣٢؛ الاستيعاب: ٣/٥٧؛ تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء)، ص ٦٢٣ـ٦٢٤. **المشاش**: ما برز من عظم المنكب. **شثن الكفين**: أي يميلان إلى الغِلَظ والقِصَر. **أدعج العينين**: أي أن سواد عينيه كان شديداً.

الفصل الثاني

أسرتُه وأقاربُه

أولاً: جده عبد المطلب بن هاشم[(١)]:

كان عبد المطلب كبير قريش وعظيمها، والسيد المطاع فيها، فهو الذي حفر (بئر زمزم)، وعلى يديه تفجرت مياهها المباركة.

ولما جاء أَبْرَهَة لهدم الكعبة توجَّه عبد المطلب إلى الله ﷻ، وجأر إليه يدعوه أن يمنع بيته الحرام ويحميه، وأخذ يقول:

لاهُمَّ إنَّ العبدَ يَمْـ ـنَعُ رَحْلَه فامنَعْ حِلَالَكْ[(٢)]
إنْ كنتَ تاركَهم وقِبْـ ـلتنا فأمْرٌ ما بَدَا لَكْ

وبلغ من كرمه وسخائه درجةً وصفوه معها بأنه: (الرجل الذي يطعم الناس في السهل، والوحوش في الجبال!).

وكانت إليه السِّقاية والرِّفادة، وشَرُف في قومه شرفاً لم يبلغه أحد من آبائه، فأحبَّه قومه وعَظُمَ خطرُه فيهم، وكثُرت محامده حتى اشتهر بـ(شيبة الحمد).

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام: ١٤٢/١ ـ ١٧٨؛ تاريخ الطبري: ٢٤٦/٢ ـ ٢٥١؛ البداية والنهاية: ٢٤٤/٢ ـ ٢٥١، ٢٨١ ـ ٢٨٢.

(٢) **حِلال**: جمع حِلة، وهي جماعة البيوت، أو: القوم الحلول في المكان.

ثانياً: أبوه أبو طالب[١]:

من أبطال بني هاشم ورؤسائهم، احتشدت فضائل العرب في شخصيته، فَسَادَ في قريش سيادة عظيمة، وكان من الخطباء العقلاء الأباة.

تولى رعاية ابن أخيه محمد ﷺ، وحَدَب عليه وأحبه حبّاً جمّاً، ولما نزل عليه ﷺ الوحي هَبَّ لنصرته، فبارزته قريش بالعداوة فلم تَلِنْ له قناة، وردَّ على عدائها ببأس وعزم مؤكِّداً أنه غيرُ مُسْلمٍ ابنَ أخيه، فقال:

كذبتم وبيتِ الله نُبْزَى[٢] محمداً ... ولمّا نُطاعِن دونه ونناضل
ونُسْلِمه حتى نُصَرَّعَ حولَه ... ونَذْهَلُ عن أبنائنا والحَلائِل[٣]

وتوجه للنبي ﷺ وقال له: اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببتَ، فوالله لا أُسْلمك لشيءٍ أبداً، ثم أنشد:

واللهِ لن يَصِلوا إليك بِجَمْعِهم ... حتى أُوسَّدَ في التراب دَفِينَا
فامْضِ لأمرك ما عليك غَضاضةٌ ... وابْشِرْ وقَرَّ بذاك منك عيونا

وقد تمنَّى رسول الله ﷺ لعمه أبي طالب أن يُسْلم وينطق بالشهادتين، وألحَّ عليه ورجاه، فامتنع أبو طالب خشية أن تعيِّره قريش بتركِهِ دينَ الآباء والأجداد!.

روى سعيد بن المسيِّب بن حَزْن، عن أبيه، قال: (لمَّا حضرتْ أبا طالب الوفاةُ، جاءه رسولُ الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: **«يا عَمِّ، قلْ: لا إِلٰه إلا الله، كلمةً أشهدُ لك بها عند الله»**.

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام: ١/١٧٩ـ١٨٠، ٢٦٤ـ٢٨١، ٣٥٠ـ٣٥١، ٤١٥؛ البداية والنهاية: ٢/٢٨١ـ٢٨٥، ٣/٤١ ـ ٤٢، ٤٧ ـ٥٧، ٨٤ـ٨٦، ١٢٢ـ١٢٦.

(٢) أي: نُسلَبه ونُغلَب عليه.

(٣) **الحلائل**: الزوجات، واحدتها حَليلة.



فقال أبو جهل وعبدُ الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغبُ عن مِلَّةِ عبد المطلب؟! فلم يَزلْ رسولُ الله ﷺ يَعْرِضُها عليه، ويُعيد له تلكَ المقالةَ، حتى قال أبو طالب آخرَ ما كلَّمَهُم: هوَ على مِلَّةِ عبد المطلب، وأبَى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: «**أمَا واللهِ، لأستغفرنَّ لكَ ما لم أُنْهَ عنكَ**»!.

فأنزل الله ﷻ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣].

وأَنزل الله تعالى في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦])[١].

وزعمت الرافضة أن أبا طالب أسلم، وهو من افتراءاتهم وما أكثرها، والأحاديث الصحيحة الصريحة ترد عليهم[٢].

مات أبو طالب قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين، عن اثنتين وثمانين سنة.

ثالثاً: أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم[٣]:

هي بنت عمِّ زوجها أبي طالب، وقد أسلمتْ وصحبت النبي ﷺ، وهاجرت إلى المدينة، وماتت بها، وصلى عليها رسول الله ﷺ، ونزل في قبرها، وتولى دفنها، وألبسها قميصه، وأثنى عليها خيراً.

وكان النبي ﷺ يزورها، ويَقيل في بيتها.

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٠)؛ ومسلم (٢٤)؛ والنسائي في الكبرى (٢١٧٣)، وغيرهم.
(٢) البداية والنهاية: ٣/١٢٣ـ١٢٦، ٧/٣٣٤.
(٣) طبقات ابن سعد: ٨/٢٢٢؛ سير أعلام النبلاء: ٢/١١٨؛ الإصابة: ٤/٣٦٨.

رابعاً: إخوته[(١)]:

كان لعلي **ثلاثة إخوة**؛ هـم: **طالب وعَقيل وجعفر**، وعلي أصغرهم، وبين كل واحد منهم والآخر عشر سنين. وله **أختان**؛ هما: **أم هانئ وجمانة**، وأمهم جميعاً فاطمة بنت أسد.

١ ـ طالب[(٢)]:

لم يُسْلم، وكان محبّاً لرسـول الله ﷺ وله فيه مدائح، وكان قد خرج مع قريش إلى بدر كرهاً، ورجع إلى مكة، وهلك مشركاً، بعد غزوة بدر.

٢ ـ عقيل[(٣)]:

صحابي، شهد (غزوة بدر) مشركاً، وأُخرج إليها مكرهاً، فأُسر، ولم يكن له مال، ففداه عمه العباس.

تأخر إسلامه إلى عام الفتح سـنة (٨هـ)، وقيل: أسلم بعد الحديبية سنة (٦هـ)، وهاجر في أول سـنة ثمان، وشـهد معركة مؤتة، وغزوة حُنين وكان ممن ثبت فيها.

وكان عالماً بأنسـاب قريش ومآثرها ومثالبها، وكان الناس يأخذون ذلك عنه في مسجد المدينة، وكان سريع الجـواب المُسْكِت.

وفد إلى معاوية في دَين لَحِقه، ومات في أول خلافة يزيد بن معاوية أي بعد سـنة سـتين، وكان له من الولد (١٢) ذكـراً، وتوفـي وعمـره (٩٦) سنة.

---

(١) نسب قريش، ص ٣٩ـ٤٠؛ الجمهرة، لابن حزم، ص ٣٧، البداية والنهاية: ٢٢٣/٧.
(٢) المرتضى، للندوي، ص ٢٣.
(٣) طبقات ابن سعد: ٤٢/٤؛ سير أعلام النبلاء: ٢١٨/١، ٩٩/٣؛ الإصابة: ٤٨٧/٢.

٣ ـ جعفر[١]:

الصحابي الجليل أحد السابقين، علَم المجاهدين، هاجر الهجرتين إلى الحبشة، وهاجر من الحبشة إلى المدينة فوافى المسلمين بخيبر بعد فراغهم منها، ففرح رسول الله ﷺ بقدومه.

وأقام جعفر بالمدينة أشهراً ثم أمَّره النبي ﷺ على جيش (غزوة مؤتة[٢])، فاستشهد هناك رضي الله عنه، وعمره (٣٣) سنة، ووجدوا في جسده بضعاً وتسعين من طعنة ورمية، وقُطعت يداه وهو يحمل اللواء فاحتضنه بعَضُديه! فأبدله الله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة.

٤ ـ أخته أم هانئ[٣]:

صحابية من عِلْية النساء، أسلمت عام فتح مكة، ودخل النبي ﷺ إلى منزلها وصلى عندها صلاة الضحى ثماني ركعات[٤].

وقد أجارت قريبين لها، فأقرَّها النبي ﷺ وقال: «**قد أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يا أمَّ هانئ**»[٥].

٥ ـ أخته جمانة[٦]:

صحابية، تزوجها الصحابي أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وولدت له. قسم لها النبي ﷺ من غنائم خيبر.

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١/٢٠٦ـ٢١٧؛ نبوءات الرسول ﷺ: ١/١٧٥ـ١٨١.
(٢) بلدة في الأردن إلى الجنوب من الكرك بنحو (١١كم).
(٣) سير أعلام النبلاء: ٢/٣١١؛ الإصابة: ٤/٤٧٩.
(٤) أخرجه البخاري (١١٠٣)؛ ومسلم (٣٣٦) بعد الحديث (٧١٩).
(٥) أخرجه البخاري (٣٥٧)؛ ومسلم (٣٣٦) الموضع السابق.
(٦) طبقات ابن سعد: ٨/٤٨؛ الإصابة: ٤/٢٥٢.

خامساً: أزواج علي[1]:

١ ـ فاطمة الزهراء:

بنت رسول الله ﷺ وسيدة نساء العالمين في زمانها، البَضْعة النبوية، أم الحسنين.

لم يتزوج علي عليها ولا تسرَّى، فلما توفيت تزوج وتسرّى.

ولدت له: الحسن والحسين ومحسناً وأم كلثوم الكبرى وزينب الكبرى.

وسأفرد لها ترجمة في كتاب مستقل ضمن هذه السلسلة إن شاء الله تعالى.

٢ ـ خولة بنت جعفر:

من بني حَنيفة، من سَبْي خالد بن الوليد أيام حروب الردة، ولدت لعلي ابنه محمداً الأكبر.

٣ ـ ليلى بنت مسعود:

من بني تميم، ولدت لعلي: عُبيد الله وأبا بكر.

٤ ـ أم البنين بنت حِزام:

أنجبت العباس الأكبر وعثمان وجعفراً الأكبر وعبد الله بني علي.

---

(١) طبقات ابن سعد: ١٩/٣ ـ ٢٠؛ تاريخ الطبري: ١٥٣/٥ ـ ١٥٥؛ نسب قريش، ص ٤٠ ـ ٤٦؛ الجمهرة، لابن حزم، ص ٣٧ ـ ٣٨؛ البداية والنهاية: ٣٣١/٧ ـ ٣٣٣، وكتب الصحابة والتراجم.



٥ ـ أسماء بنت عُمَيْس الخَثْعَميَّة:

صحابية جليلة من المهاجرات الأُوَل، تزوجت أولاً جعفر بن أبي طالب فاستشــهد يوم مؤتة، فتزوجها أبو بكر الصديق ومات عنهــا، فتزوجها بعده علي ومات عنها. ولدت له يحيــى وعوناً.

٦ ـ أم حبيب الصهباء بنت ربيعة:

من سبي عين التمر، ولدت لعليٍّ عمر الأكبر ورقية.

٧ ـ أمامة بنت أبي العاص بن الربيع:

وهــي التــي كان رســول الله ﷺ يحملها فــي صلاته، وهي بنــت ابنته زينب رضي الله عنها.

تزوجها علي في خلافة عمر، وولدت له محمداً الأوسط.

٨ ـ أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي:

أنجبت منه أم الحسن ورملة الكبرى.

٩ ـ محيَّاة بنت امرئ القيس الكلبية:

ولدت لعلي جارية لم تُسَــمَّ، ماتت صغيرة، وكانت تخرج إلى المسجد وهي جارية فيُقال لها: مَنْ أخوالُكِ؟ فتقول: وَهْ، وَهْ، تعني كلباً!.

١٠ ـ أمهات أولاد شتى:

رُزق علي منهن أولاداً كثيرين.

سادساً: أولاد علي:

مجمل أولاد علي أربعون: (٢١) ذكراً، و(١٩) أنثى.

- **أبناؤه الذكور:**

١ ـ **الحسن**: السيد الجليل الصحابي الإمام، سِبْط رسول الله ﷺ وريحانته، وسيد شباب أهل الجنة.

وُلد سنة (٣هـ) وتُوفي سنة (٤٩هـ) على أرجح الأقوال وأشهرها. وسأفرد له ترجمة مستقلة إن شاء الله تعالى.

٢ ـ **الحسين**: السيد الشهيد السِّبْط، ريحانة رسول الله ﷺ، وسيد شباب أهل الجنة.

مولده سنة (٤هـ)، واستشهد بكربلاء سنة (٦١هـ). وسأفرد له ترجمة مستقلة بعد أمه وأخيه إن شاء الله تعالى.

٣ ـ **محمد**: يُعرف بابن الحَنَفيَّة وهي خولة بنت جعفر من بني حَنيفة، كان سيداً جليلاً وإماماً نبيلاً، ورعاً كثير العلم، مائلاً لعبد الملك بن مروان لإحسانه إليه.

ومن الشيعة من يتغالى فيه ويدَّعي فيه الإمامة والعصمة، ولقَّبوه بالمهدي، ويزعمون أنه لم يمت، وكل ذلك باطل. تُوفي سنة (٨١هـ)، ودفن بالبقيع.

٤ ـ **عمر الأكبر**: وُلد في خلافة عمر بن الخطاب، وسمَّاه عمرَ باسمه. روى الحديث عن أبيه علي، وروى عنه أبناؤه: عُبيد الله وعلي ومحمد.

بقي حيّاً حتى وفد على الوليد بن عبد الملك الذي تولى الخلافة سنة (٨٦هـ).

٥ ـ **العباس الأكبر**: ويُلقب بالسَّقّاء، شهد مع أخيه الحسين كربلاء، واستشهد معه فيها.



ونسلُ عليٍّ من أبنائه الخمسة هؤلاء.

٦ ـ محمد الأصغر.

٧ ـ العباس الأصغر.

٨ ـ عثمان الأكبر.

٩ ـ جعفر الأكبر.

١٠ ـ عبدالله الأكبر.

١١ ـ أبو بكر عَتيق.

وهؤلاء الستة استشهدوا جميعاً مع أخيهم الحسين يوم كربلاء.

١٢ ـ محسن.

١٣ ـ عثمان الأصغر.

١٤ ـ جعفر الأصغر.

١٥ ـ يحيى.

وهؤلاء الأربعة ماتوا صغاراً.

١٦ ـ عبدالله الأصغر.

١٧ ـ عمر الأصغر.

١٨ ـ عُبيد الله.

١٩ ـ عبدالرحمن.

٢٠ ـ حمزة.

٢١ ـ عون.

• **بناته:**

١ ـ **أم كلثوم الكبرى:** تزوجها الفاروق عمر، وولدت له.

٢ ـ **زينب الكبرى:** تزوجها ابن عمها عبدالله بن جعفر الطيار، وولدت له.

٣ ـ **أم كلثوم الصغرى:** واسمها نفيسة.

٤ ـ **زينب الصغرى.**

٥ ـ **رقية الكبرى.**

٦ ـ **رقية الصغرى.**

٧ ـ **فاطمة الكبرى.**

٨ ـ **فاطمة الصغرى.**

٩ ـ **رَمْلة.**

١٠ ـ **ميمونة.**

١١ ـ **خديجة.**

١٢ ـ **أم سلمة.**

١٣ ـ **أم جعفر:** واسمها جمانة.

١٤ ـ **أم الحسين.**

١٥ ـ **أم هانئ.**

١٦ ـ **أم الكرام.**

١٧ ـ **أُمامة.**

١٨ ـ **فاختة.**

١٩ ـ **أَمَة الله.**



سابعاً: وقفة وتأمل:

لقد عُنِي سيدنا علي بأسماء أولاده، فسمَّاهم بأسماء أحبِّ الناس إليه وأقربهم إلى قلبه وأجلِّهم مكانةً عنده وعند المؤمنين.

فسمَّى بعضَ ولده باسم النبي ﷺ، وعمَّيْه: حمزة والعباس، وأخيه الشهيد جعفر الطيار، وإخوانه الخلفاء الراشدين الثلاثة قبله، بل كرَّر ذلك فسمَّى (عمر الأكبر وعمر الأصغر) و(عثمان الأكبر وعثمان الأصغر).

كذلك سمى أكثر بناته بأسماء بنات النبي ﷺ وأزواجه أمهات المؤمنين.

وهذا يبرهن على العلاقة الوثيقة والمحبة الغامرة والإجلال والإكبار لجميع هؤلاء، فرضي الله عن المرتضى أمير المؤمنين علي، وقَاتَل الله الرافضة أعداءه وأعداء الصحابة، الذين يفترون الكذب ويدَّعون وجودَ البغضاء بين الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ.



الفصل الثالث

نشأته

أولاً: نبعته من قريش ومَحْتِدُه من بني هاشم:

من صميم قريش نَسَلَ عليٌّ، ومن ينبوع بني هاشم تفجرت أصوله، فتعاضدت وشائج الأصل والمنبع فأخرجت الصحابيَّ المرتضى الذي أصبح بالإسلام حديثَ الزمان والمكان وملء السمع والبصر...

وقريش قد تبوأت في الجزيرة العربية الرئاسة الدينية والزعامة الروحية، وأقرَّ العرب كلهم لقريش بعلوِّ النسب والسيادة، وفصاحة اللغة، ونصاعة البيان، وكرم الأخلاق، والشجاعة والفتوة، وذهب ذلك مثلاً لا يقبل نقاشاً ولا جدلاً.

أما بنو هاشم فكانوا واسطة العِقْد في قريش بما يمتازون به من المشاعر الإنسانية الكريمة، ورجاحة العقل، وقوة الإيمان بما للبيت الحرام من مكانة عند الله، والبعدِ عن الظلم، وإكبارِ الحق، وعلوِّ الهمة، والعطف على الضعيف والمظلوم، والسخاء والشجاعة.

وتَنبَّلَ في أولاد هاشم ابنُهُ عبد المطلب جدُّ النبي ﷺ وجدُّ علي، وورث عن أبيه مكانته فكانت إليه السِّقاية والرِّفادة، وشَرُف في قومه شرفاً لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبَّهُ قومُه وعَظُم خطره فيهم[١].

---

(١) انظر: السيرة النبوية، للندوي، ص ٧٣ ـ ٧٤.

ومن أصل عبد المطلب المُعْرِق في النبالة والسيادة والشرف انبثق فرعُ **أبي طالب** الذي ساد في قومه سيادة عظيمة، وكان من أجلّ أعماله أنه كفل النبيَّ محمداً ﷺ، وربَّاه ورعاه ثم حامَى عنه عندما جاءته الرسالة، فكان الدرع الواقية والجبهة العاتية ضد جبروت قريش، فَحَاجَفَ عن النبوة والرسالة عشر سنين دأباً.

ومن الأصل الهاشمي نبت فرعٌ جليل آخر أنجبَ المرأةَ العظيمة ـ والنساء شقائق الرجال ـ هي **فاطمة بنت أسد بن هاشم**، التي ولدت لزوجها أبي طالب رجالاً كراماً، وشاركَتْه في تربية (محمد) ورعايته حتى اشتد عودُه واكتمل شبابه، وكانت له مثلَ أمّه بعد أمّه.

من ذاكم الشرف العالي والسيادة الأصيلة والمجد الممتد في أعماق التاريخ وضميرِهِ، ومن هذه الأسرة الكريمة والنسب الشامخ، ومن ذَيْنَك السيدين النبيلين والهاشميَّيْن الأصيلَيْن (أبي طالب وفاطمة) تحدَّر عليّ، وفي الدوحة الهاشمية نشأ، وفي ربوع قريش نما وترعرع، حتى أصبح له في تاريخ العرب والمسلمين شأن أي شأن!.

وَوُرِّثَ فرعَ المجدِ من آل هاشمٍ وجاءَ كريماً من كرامٍ أَمَاثلِ

ولم تتوقف آلاء الله على علي عند ذاك ـ وما أعظمه ـ بل تواترت المكارم عليه، وتولَّته عينُ العناية حتى شملَتْه بما لم يُتَح إلا للأقلِّين من النبلاء على مدار الحياة وتوالي الأجيال. فأتم الله عليه النعمة بأن نقله إلى أفضل بيوتات الأرض؛ ليتنسم عَبَق أخلاق النبوة قبل النبوة!..

ثانياً: ولادة علي، وكفالة النبي ﷺ له:

وُلد علي في (شِعْب بني هاشم)[1]، وفي رواية وإليها ذهب الشيعة أنه

(١) تاريخ خليفة، ص ١٩٩.

وُلد في جــوف الكعبة[١]. ونحن نردُّ هذه الرواية الثانية لأنها ليســت محمدةً لعليٍّ بل هي مَثْلَبة؛ حيث إن نساء قريش كنَّ يقصدن الولادة في الكعبة لينال المولودُ بركةَ (الصنم هُبل) الذي في الكعبة!.

وكانت ولادته قبل البعثة بعشــر ســنين على الراجح الصحيح كما ذكره ابن حجر وغيره[٢]، أي: (٢٣ق.هـــ). ويؤيده أنه توفي ســنة (٤٠هـ) وعمره (٦٣) سنة على الأصح.

وكان مما أنعم الله به على علي ﷺ أنه كان في حِجْر رســول الله ﷺ قبل الإسلام[٣].

قال مجاهد: كان من نعمة الله على عليٍّ، ومما صنع الله له، وأراده به من الخير؛ أن قريشاً أصابتهم أزمة شــديدة، وكان أبو طالب ذا عِيال كثير، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمِّه ـ وكان من أَيْسرِ بني هاشم ـ: «**يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب النــاس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلِقْ بنا إليه، فَلْنخفِّف عنه من عياله، آخذُ من بنيه رجلاً، وتأخذ أنت رجلاً، فنكفّهما عنه**»، فقال العباس: نعم.

فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفِّف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عَقيلاً فاصنعا ما شئتما.

فأخذ رســول الله ﷺ عليّاً فضَمَّه إليه، وأخذ العباس جعفراً فضمَّه إليه، فلم يزل علي مع رســول الله ﷺ حتى بعثه الله تبارك وتعالــى نبيّاً، فاتبعه

---

(١) المستدرك: ٤٨٣/٣؛ شرح نهج البلاغة: ٤٢/١.

(٢) الإصابة: ٥٠١/٢؛ الفتح: ٦٦٣/٨ «باب مناقب علي».

(٣) السيرة النبوية، لابن هشام: ٢٤٥/١.

علي رضي الله عنه، وآمن به وصَدَّقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه(١).

وتقول بعض الروايات: (كان علي في حَجْر رسول الله ﷺ منذ كان عمره ست سنين)(٢).

فلازم علي ابنَ عمه محمداً ﷺ من صغره ولم يفارقه إلى أن لَحِق ﷺ بربِّه(٣).

ثالثاً: كفالة ورعاية مقابل كفالة ورعاية:

وسيدنا رسول الله ﷺ هو خير مَن وطِئ التراب، وأنبلُ نبلاء بني آدم، وأجلُّ عباد الله في خُلقه وسماحته، وجوده ووفائه، وهو قد أمضى شطراً كبيراً من عمره في كنف (البيت الطالبي)، محاطاً بكل أنواع العناية والرعاية والرأفة والرحمة والشفقة والإجلال، من عمه أبي طالب وزوجه فاطمة بنت أسد... وعندما بلغ مبلغ الرجال وأقام بيت الزوجية مع السيدة خديجة، ظل قلبه يخفق أبداً بحبِّ (بيت أبي طالب) الذي ضمه صبيّاً وكفله يافعاً ووسعه شابّاً.

ومحمد ﷺ قبل الرسالة مثلُ ما هو بعد الرسالة أصدق الناس وفاءً للناس عامة فكيف بخاصة الخاصة؟! وقد ثبت عنه أنه قال: «**ما لأَحدٍ عندنا يدٌ إلا وقد كافَيْنَاه، ما خلا أبا بكر**».

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام: ٢٤٦/١؛ المعرفة والتاريخ: ٤٠٠/٣؛ تاريخ الطبري: ٣١٢/٢ـ٣١٣.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٤٢/١.

(٣) الفتح: ٦٦٣/٨.



فـكان ذاك العمل النبوي من باب ردّ الجميل لعمــه أبي طالب، وكانت كفالــة مقابل كفالــة، وتربية وتنشــئة ورعاية تربــو على تلك التــي تلقَّاها محمد ﷺ في أحضان بيت عمه شيخ قريش وسيد بطحاء مكة.

ولا ندري أكان تصميماً من النبي ﷺ على أن يختــار عليّاً الصغير على جعفر الأكبر منه بعشر ســنين، أم هي الأقدار الحكيمة التي استأثرت بالغلام علي ليدلف إلى أعز بيت في الدنيا وأكرم بيت في التاريخ، ليُنشــأ فيه على أرفع القيم وأنبل الشِّيَم، وليشهد ميلادَ أعظم حدث في تاريخ الإنسانية حيث يهبط جبريل الأمين برسالة الإسلام... والله يخلق ما يشاء ويختار!.

في بيت أبي طالب أبصر علي النور، وتفتحت عيناه ومداركه وقلبه وعقله على موروثات قريش، وتشربت أخلاقَ الأب المتشدِّد في تمثُّل صفات العرب وخصائصهم من الشهامة والسماحة والنُّبل والشجاعة والكرم والأَنَفة والإباء.

وانتقل ابن الســنوات الســت إلى بيت ابن عمه محمد ﷺ الذي يكبره بثلاثين سنة، ليجد نمطاً فذّاً من الأخلاق والهَدْي والسيرة والسلوك، وتحيط به أنوار النبوة قبل النبوة؛ فتتشرب روحه ونفسه وجوارحه الهديَ الفريد الذي عاش به محمد ﷺ وعُرف به في كل نادٍ، حتى صــار مضربَ المثل في كل خير ونُبْل وفضل ومكرمة وعقل...

حياة زاخرة بالفضائل يعيشها علي في أحضان أسرة قريبة له، لصيقة به، حانية عليه، موجِّهة لعواطفه وتفكيره، فيترعــرع حيث تدفقات الحياة النبيلة الهادفة بكلِّ ســموها وشرفها ومكرماتها... هاهنا نشــأ ربيبُ النبوة، ورضيع ثديـي الرسالة، المتقلب على فراش الإيمان، الناهد في مهد أكرم المكارم... فكان أحد أسبق السابقين إلى الإسلام[1].



(١) انظر: محمد رسول الله ﷺ، للصادق عرجون: ١/٥٠٨.

الفصل الرابع

إسلامُه وحياتُه في مكَّة وهجرتُه

أولاً: إسلامه:

من طبيعة الأشياء وسيرورة أحداث الحياة وضرورات الفطرة السليمة التي تفتحت على الخير وتشربت الفضائل وعاشت في أحضان الطهر والاستقامة والنأي عن خرافات الجاهلية ودنسها ـ أن تُسرع بعليّ فطرتُه بطهرها ونقائها وأشواقها إلى تصديق الرسول محمد ﷺ لأول بيان يخبر فيه أن الله تعالى اصطفاه نبيّاً رسولاً للعالمين.

وعلي واحد من أفراد أسرة النبي ﷺ المقيمين معه في ظل رعايته وتربيته، فكانوا مدعوِّين إلى الإسلام بالفطرة والتربية، فأجابوا بهذه الفطرة وهذه التربية، وسبقوا إلى الإيمان وإلى الإسلام.

آمن علي رضي الله عنه في سنِّ الصبا قبل أن يبلغ الحلم، فشَبَّ معه الإيمان حتى خالط مشاعره ووجدانه وملأ قلبه، وأفعم بالنور روحه(١).

قال ابن إسحاق: (ثم كان أولَ ذَكَرٍ من الناس آمن برسول الله ﷺ وصدَّق بما جاءه من الله عليُّ بن أبي طالب، كان رسول الله ﷺ وخديجة يصليان(٢) سرّاً، ثم إن علي بن أبي طالب جاء بعد ذلك بيوم فوجدهما يصليان، فقال

---

(١) انظر: محمد رسول الله ﷺ، للصادق عرجون: ١/٥٠٨، ٥١٦ـ٥١٧.

(٢) المراد مطلَق الصلاة قبل فرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء.

علي: ما هذا يا محمد؟ فقال رسـول الله ﷺ: «**دين الله الذي اصطفى لنفسه وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له وإلى عبادته، وكُفْرٍ باللّات والعُزَّى**»، فقال علي: هذا أمرٌ لم أسمع به قبل اليوم، فلستُ بقاضٍ أمراً حتى أحدِّث به أبا طالب. وكره رسول الله ﷺ أن يُفشِي عليه سرَّه قبل أن يستعلن أمرُه، فقال له: «**يا علي، إذا لم تُسلم فاكتم هذا**». فمكث علي تلك الليلة، ثم إن الله تبارك وتعالى أوقع في قلب علي الإسلامَ، فأصبح غادياً إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه، فقال: ماذا عرضتَ علَيَّ يا محمد؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**تشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وتكفر باللّات والعزَّى، وتبرأ من الأنداد**».

ففعل علي ﷺ وأسلم، فمكث علي يأتيه على خوف من أبي طالب، وكتم إسلامَه ولم يظهره)(1).

أسلم علي إسلامَ الفطرة الطاهرة، وإسلامَ الفكر الفتيِّ الوقاد، والمحاكمة العقلية الناضجة التي قارنت الدعوة الجديدة بأخلاق صاحب الرسالة وسيرته؛ فأعلن إسلامه بفطرته وعقله معاً.

وتضيف رواية أخرى موقفاً متمماً لفصول المشاهد الأولى من سيرة علي مع مشرق شمس الرسالة، وتبين أن أبا طالب عَثَر على ابنه يتعبد مع محمد ﷺ، فأقرَّه على ذلك وأمره بملازمته والثبات عليه.

يقول ابن إسحاق: (وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شِعَاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من أبيه أبي طالب، ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا. ثم إن أبا

---

(١) أسد الغابة: ١٦/٤؛ البداية والنهاية: ٢٤/٣؛ سبل الهدى والرشاد: ٤٠٣/٢.

طالب عَثَــر عليهما يوماً وهمــا يصليان، فقال لرســول الله ﷺ: يا ابن أخي، ما هذا الدين الذي أراك تدين بــه؟) فأخبره ﷺ ودعاه إليه، فاعتذر أبو طالب بأنه لا يستطيع مفارقة دين قومه، وأكد نصرته له. وقال لابنه علي: (أي بُنَيَّ، ما هذا الدينُ الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبتِ، آمنت باللهِ وبرسول الله، وصدَّقتُه بما جاء به، وصلّيتُ معه لله واتبعته. فقــال له: أَمَا إنه لم يَدْعُك إلّا إلى خيرٍ، فالزَمْه)[١].

ثانياً: عمره وقت إسلامه:

أكثر أقوال العلماء وأشهرُها وأرجحها وأصحُّها أن عليّاً أسلم وعمره (١٠ ســنوات)، وقوّاه الحافــظ ابن حجر بموقــف علي في قصة إســلام أبي ذَرّ الغِفَاريِّ حيث تهيَّأ لعليٍّ أن يســتقلَّ بمخاطبة أبــي ذر ـ الرجل الغريب عن مكة ـ ويضيفه في بيته ثلاثة أيام[٢].

وعن عروة بن الزبير: أســلم علي وهــو ابن ثماني ســنين[٣]. وقيل غير ذلك[٤].

ولم يعبد الأوثان قط لصغره[٥].

ثالثاً: تحقيق القول في أولية إسلامه:

•• كان سيدنا أبو بكر أولَ من أســلم من الناس خارج بيت النبوة، وإلى هذا ذهب جمهور أهل السُنَّة وأئمة الإسلام، وفي طليعتهم حَبْر الأمة ابن عباس.

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام: ١/٢٤٦ـ٢٤٧؛ تاريخ الطبري: ٢/٣١٣ـ٣١٤.
(٢) الفتح: ٩/٢٤ (٣٨٦١)، وانظر: ٨/٦٦٣؛ والسيرة، لابن هشام: ١/٢٤٥.
(٣) الفتح: ٨/٦٦٣؛ المستدرك: ٣/١١١.
(٤) طبقات ابن سعد: ٣/٢١؛ تاريخ ابن عساكر: ١/٣٢ـ٣٧.
(٥) انظر: الحاشية السابقة.

عن الشعبي قال: (سألتُ ابنَ عباس: مَن أول من أسلم؟ فقال: أما سمعتَ قول حسان:

إذا تذكَّرْتَ شَجْواً من أخي ثقةٍ — فاذْكُرْ أخاك أبـا بكر بما فَعَلا
خيـرَ البريَّـة أتقاهـا وأعدلَها — بعد النبيِّ وأوفاهـا بما حَمَلا
الثانيَ التاليَ المحمودَ مَشْـهَدُه — وأولَ الناس منهم صَدَّق الرُّسُلا)[١]

بل هناك ما هو أقوى من ذلك إسـناداً، فقد ثَبَتَ عن أبي بكر أنه صَرَّح بسَبْقِه إلى الإسلام في ملأ من الصحابة يوم السَّقيفة.

عن أبي سـعيد الخُدْري قال: قال أبو بكر الصديق: (ألسـتُ أَحَقَّ الناس بهذا الأمر، ألستُ أَوَّلَ مَن أسلم، ألستُ صاحبَ كذا، ألستُ صاحبَ كذا؟!)[٢].

وهذا إجماعٌ مـن الصحابة رضي الله عنهم على ذلك، فلم يعتـرض أحد منهم على قول أبي بكر هذا، فهو معلوم مشهور عندهم.

وأشـار ابن كثير إلى حديث البخاري: عن النبي ﷺ قـال: «**إنَّ الله بَعَثني إليكم، فقلتُم: كذبتَ، وقال أبو بكر: صَدَق**»، وعقَّب عليه فقال: وهذا كالنص على أنه أول من أسلم، رضي الله عنه[٣].

●● وقال آخرون: أول من أسلم خديجة رضي الله عنها.

وقال زيد بن أرقم وجماعة: أول من أسلم علي رضي الله عنه.

وذهب فريق آخر إلى أن أول من أسلم زيد بن حارثة رضي الله عنه[٤].

---

(١) المستدرك: ٦٤/٣؛ تاريخ الطبري: ٣١٤/٢؛ ومن طريق آخر عند الفسوي: ٢٦٣/٣.

(٢) أخرجه ابن حبان (٦٨٦٣) واللفظ له؛ والترمذي (٣٩٩٧)، وصحَّحه الألباني.

(٣) البداية والنهاية: ٢٧/٣.

(٤) السيرة النبوية، لابن هشام: ٢٤٥/١ـ٢٤٩، تاريخ الطبري: ٣٠٩/٢ـ٣١٨؛ البداية والنهاية: ٢٦/٣ـ٢٨؛ سبل الهدى والرشاد: ٤٠٢/٢ـ٤٠٧.

قال ابن كثير: (والجمع بين الأقوال كلها: أن خديجة أولُ من أسلم من النساء، وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة، وأول من أسلم من الغلمان علي بن أبي طالب، فإنه كان صغيراً دون البلوغ على المشهور، وهؤلاء كانوا إذ ذاك أهلَ البيت، وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق، وإسلامه كان أنفعَ من إسلام مَن تقدَّم ذِكْرُهم، إذ كان صدْراً معظماً، ورئيساً في قريش مكرَّماً، وصاحبَ مال، وداعية إلى الإسلام، وكان محبَّباً مأْلَفاً، يبذل المال في طاعة الله ورسوله)[١].

وقال الحافظ ابن حجر: (اتفق الجمهور على أن أبا بكر أول من أسلم من الرجال)[٢].

رابعاً: صلاته مع رسول الله ﷺ في مطلع الدعوة:

عن زيد بن أرقم قال: (أول من صلَّى مع رسول الله ﷺ عليٌّ).

وفي رواية: (أولُ مَن أسلم عليّ)[٣].

وعن ابن عباس قال: (أولُ من صلَّى عليٌّ)[٤].

وروى الصحابي عَفيف الكِنْدي قال: (جئتُ في الجاهلية إلى مكة وأنا أريد أن أبتاع لأهلي من ثيابها وعِطْرها، فأتيتُ العباس وكان رجلاً تاجراً، فإني عنده جالس، إذ أقبل شاب فنظر إلى السماء ثم قام مستقبِلَ الكعبة، فلم ألبث إلا يسيراً حتى جاء غلام فقام عن يمينه، ثم لم ألبث إلا يسيراً حتى

---

(١) البداية والنهاية: ٢٦/٣.

(٢) الفتح: ١٧/٩، شرح الحديث (٣٨٥٧).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٠٨١)؛ والترمذي (٤٠٦٨) وقال: حسن صحيح؛ والحاكم: ١٣٦/٣ وصحَّحه ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه الترمذي (٤٠٦٧)، وصحَّحه الألباني.

جاءت امــرأة فقامت خلفهمــا، فركع الشــاب، فركع الغلام والمــرأة، فرفع الشاب، فرفع الغلام والمرأة، فسجدَ الشاب، فسجدَ الغلام والمرأة. فقلت: يا عباس، أمر عظيــم! فقال: أمر عظيم! تدري من هذا الشــاب؟ هذا محمد بن عبدالله ابنُ أخي، تدري من هذا الغلام؟ هــذا علي بن أبي طالب ابن أخي، تدري من هذه المرأة؟ هــذه خديجة بنت خويلد زوجتــه. إن ابن أخي هذا حدثني أن ربَّه ربَّ السموات والأرض أَمَره بهذا الدين، ولا والله ما على ظهر الأرض على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة)[1].

زاد أحمد في روايته: (فكان عَفيف يقول ـ وأسلَم بعد ذلك فَحَسُنَ إسلامُه ـ: لو كان الله رزقني الإسلامَ يومئذٍ فأكونَ ثالثاً مع علي بن أبي طالب).

خامساً: أحاديث باطلة ومجازفات:

١ ـ عن أنس بن مالك قال: (بُعِثَ النبيُّ ﷺ يومَ الإثنين، وصلَّى عليٌّ يومَ الثلاثاء)[2].

وإسناده ساقط، فيه مسلم الأعور؛ قال غير واحد من النقاد: ليس بثقة.

٢ ـ عن عَبَّاد بن عبدالله الأَسَدي، عن عليّ قال: (أنا عبدُ الله وأخو رسولهِ، وأنا الصِّدِّيق الأكبرُ لا يقولُها بعدي إلا كاذب، صلَّيتُ قبل الناس بسبع سنين قبل أن يعبدَه أحدٌ من هذه الأمة)[3].

ورواه حَبّة بن جُوَيْن عن علي.

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٣٣٧)؛ وأحمد (١٧٨٧)؛ والحاكم: ١٨٣/٣؛ والمزي في تهذيب الكمال: ١٨٤/٢٠، وغيرهم، وصحَّحه الحاكم والذهبي وأحمد شاكر.

(٢) أخرجه الترمذي (٤٠٦٢)؛ والحاكم: ١١٢/٣، وضعفه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٣) أخرجه ابن ماجــه (١٢٠)؛ وأحمــد (٧٧٦)؛ والنســائي في الكبــرى (٨٣٣٨، ٨٣٣٩)؛ والحاكم: ١١١/٣ ـ ١١٢، وغيرهم.

وهو حديث باطل، ذكره ابن الجوزي في «الموضوعات»(١)، وقال ابن تيمية: وعَبَّاد يُروى من طريقه عن علي ما يُعلَم أنه كذبٌ عليه قطعاً، مثل هذا الحديث، فإنَّا نعلم أن عليّاً كان أبرَّ وأصدقَ وأتقى لله من أن يكذب ويقول مثلَ هذا الكلام الذي هو كذبٌ ظاهر معلوم بالضرورة أنه كذب(٢).

وقال الذهبي في إسناد الرواية الأولى: حديث باطل. وقال في «الميزان»: هذا كذب على علي(٣).

وقال ابن الجوزي في (رواية حَبَّة بن جُوَيْن): هذا حديث موضوع على عليٍّ عليه السلام، أما (حَبّة)، فلا يساوي حبةً! ومما يُبطل هذه الأحاديث أنه لا خلاف في تقدُّم إسلام خديجة وأبي بكر وزيد، وأن عمرَ أسلَم في سنة ست من النبوة بعد أربعين رجلاً، فكيف يصح هذا؟!(٤).

وقال الذهبي: هذا باطل(٥).

وقال ابن كثير: هذا لا يصح أبداً وهو كذب(٦).

٣ ـ وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: صلَّتْ عليَّ الملائكةُ وعلى عليِّ بن أبي طالب سبعَ سنين، ولم يَصعد ـ أو: لم يرتفع ـ شهادةُ أن لا إلٰه إلا الله من الأرض إلى السماء إلا منِّي ومن علي بن أبي طالب(٧).

---

(١) الموضوعات: ٣٤١/١.

(٢) منهاج السُّنَّة: ٣٣٠/٤.

(٣) المستدرك: ١١٢/٣؛ ميزان الاعتدال: ٣٦٨/٢.

(٤) الموضوعات: ٣٤١/١ـ٣٤٢؛ منهاج السُّنَّة: ٣٣٢/٤.

(٥) المستدرك: ١١٢/٣.

(٦) البداية والنهاية: ٣٣٤/٧.

(٧) تاريخ ابن عساكر: ٧١/١.

وذكره الذهبي في «الميزان» وقال: هذا إفك مبين![(١)].

٤ ـ وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: يا عائشة، دَعي لي أخي ـ يعني عليّاً ـ فإنه أولُ الناس بي إسلاماً، وآخرُ الناس بي عهداً عند الموت، وأول الناس بي لقياً يوم القيامة[(٢)].

أخرجه ابن عساكر وذكر أن في إسناده ثلاثةً من غُلاة الرافضة.

وذكره الذهبي في «الميزان» وقال: إسناد مظلم[(٣)].

٥ ـ وعن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: لقد صلَّت الملائكة علَيَّ وعلى عليٍّ سبعَ سنين، لأنَّا كنّا نصلِّي وليس معنا أحدٌ يصلي غيرُنا[(٤)].

حديث موضوع، فيه محمد بن عُبيد الله بن أبي رافع: متروك، وعَمْرو بن ثابت: كذَّاب وضَّاع يَسبّ السَّلَف.

ومثله عن ابن عباس[(٥)]، وفيه أحمد بن عبدالله بن يزيد: يَضَع الحديث، وإبراهيم بن أبي يحيى: متروك مُتَّهم!.

●● ومحقق ترجمة سيدنا علي من «تاريخ ابن عساكر» محمد باقر المحمودي، هو رافضيٌّ جَلْد، كثيرُ الطعن على الصحابة، وتراه يحشد الطرق التالفة لتقوية تلك الأحاديث المكذوبة!.

وسيرة أمير المؤمنين عليّ الطاهرة الرفيعة بريئةٌ من تلك الأكاذيب، وفي الأحاديث الحسنة والصحيحة الكثيرة غُنية لبيانِ فضائله وسابقته ومنزلته.

---

(١) ميزان الاعتدال: ٣٦٩/٢.
(٢) تاريخ ابن عساكر: ٨٣/١.
(٣) ميزان الاعتدال: ٢١٧/٤.
(٤) تاريخ ابن عساكر: ٧٠/١.
(٥) المرجع السابق: ٦٤/١.



سادساً: مواقف لعلي في نصرة الدعوة:

•• تفتحت مدارك الفتى علي على الدعوة الجديدة، وأدرك ما يحتفُّ بها من تحديات ويعترضها من عقبات، وهو يعيش مع النبي ﷺ ومَنْ سبق للإسلام مرحلة الاستسرار بالدعوة، وكان عوناً للوافدين إلى مكة باحثين عن الإسلام وراغبين في الدخول فيه، ودليلاً لهم إلى الرسول ﷺ، مع فراسة موهوبة وفِطْنة حاضرة وذكاء وقَّاد وحُسْن تصرف مع أحداث المرحلة التي تمر بها الدعوة.

يعبِّر عن ذلك موقفُه الألمعي في (قصة إسلام أبي ذر) التي يرويها أبو جَمْرة قال: (قال لنا ابن عباس: ألا أُخْبِركم بإسلام أبي ذَرٍّ؟ قلنا: بلى، قال: قال أبو ذر: كنتُ رجلاً من غِفَار، فَبَلَغَنا أن رجلاً قد خرج بمكة يزعمُ أنه نبيٌّ، فقلتُ لأخي: انطلِقْ إلى هذا الرجل كَلِّمْه وائْتِني بخبره. فانطلَقَ فلَقِيَه ثم رجع، فقلتُ: ما عندك؟ فقال: والله لقد رأيتُ رجلاً يأمر بالخير وينهى عن الشر، فقلتُ له: لم تَشْفِني من الخبر. فأخذتُ جِراباً وعَصاً، ثم أقبلتُ إلى مكة، فجعلتُ لا أعرفُه، وأَكرهُ أن أَسْأَل عنه، وأَشربُ من ماء زمزمَ وأكونُ في المسجد. قال: فمرَّ بي عليٌّ فقال: كأن الرجلَ غريبٌ؟! قال: قلتُ: نعم، قال: فانطلِقْ إلى المنزل. قال: فانطلقتُ معه لا يسألُني عن شيء ولا أُخبِره، فلما أصبحتُ غدوتُ إلى المسجدِ لأسألَ عنه، وليس أحدٌ يُخبرني عنه بشيء. قال: فمرَّ بي عليٌّ فقال: أَمَا نالَ للرجل يعرف منزلَه بعدُ؟! قال: قلت: لا، قال: انطلقْ معي. قال: فقال: ما أَمرُك وما أَقْدَمَك هذه البلدةَ؟ قال: قلت له: إنْ كتمتَ عليَّ أخبرتُك، قال: فإني أفعل. قال: قلت له: بَلَغنا أنه قد خرج هاهنا رجل يزعم أنه نبيٌّ، فأرسلتُ أخي ليكلِّمَهُ، فرَجَع ولم يَشْفِني من الخبر، فأردتُ أن ألقاه. فقال له: أمَا إنَّكَ قد رَشَدْتَ، هذا وجهي إليه فاتَّبِعْني، ادخُلْ حيثُ أَدْخُلُ، فإني إن رأيتُ أحداً أخافُه عليك قمتُ إلى الحائط كأني أُصْلِح

نَعْلي، وامْضِ أنـتَ. فمضى ومضيـتُ معه، حتى دَخل ودخلـتُ معه على النبي ﷺ، فقلتُ له: اعْرِضْ علَيَّ الإسلام، فعَرَضَه، فأسلمتُ مكاني)[١].

وشـهد مع النبي ﷺ طـورَ الجهر بالدعـوة وعَرْضها علـى القبائل في المواسم، وقد روى علي ذلك فقال: (لمّا أمر الله ﷻ نبيَّه ﷺ أن يَعْرِض نفسَه على قبائل العرب، خرج وأنا معه وأبو بكر إلى مِنًى، حتى دَفَعْنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدَّم أبو بكر فسلَّم ـ وكان أبو بكر مقدَّماً في كل خير، وكان رجلاً نسَّـابة ـ فقال: ممن القـوم؟ قالوا: من ربيعة، قـال: وأي ربيعة أنتـم؟...)، فذكر الحديـث بطوله، وفيه قـال: (ثم انتهينا إلـى مجلس عليه السكينةُ والوَقار، وإذا مشـايخ لهم أقدار وهيئات، فتقدَّم أبو بكر فسلَّم، فقال لهم: ممن القوم؟ قالوا: من بني شَـيْبان بن ثعلبة، فالتفتَ إلى رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي، ليس بعد هؤلاء من عزٍّ فـي قومهم...)[٢]. وعلي ﷺ آنذاك ابن (١٣) سنة، والدور الجليل في الدعوة كان لأبي بكر.

وعن نُعيم بن حَكيم المدائني، عن أبي مريم، عن علي قال: (انطلقتُ أنا والنبي ﷺ حتى أتينـا الكعبةَ، فقال لـي النبي ﷺ: «**اجلِـسْ**»، وصَعِد على مَنْكِبـيَّ، فذهبتُ لأنهضَ به، فرأى مني ضَعْفاً فنـزل، وجلس لي نبي الله ﷺ وقال: «**اصْعَدْ على منكِبيَّ**»، قال: فصَعِدْتُ على منكبَيْه، قال: فنهض بي، قال: فإنه يُخيَّل إليّ أني لو شـئتُ لنلْتُ أُفق السـماء، حتى صعدتُ على البيت، وعليه تمثال صُفْر ـ أو: نحاس ـ فجعلتُ أُزاوِله عن يمينه وعن شـماله وبين يديه ومن خلفه، حتى إذا اسـتمكنت منه، قال لي رسول الله ﷺ: «**اقذفْ به**»،

(١) أخرجه البخاري (٣٥٢٢)؛ ومسلم (٢٤٧٤). **أما نال:** أي أما آن.

(٢) أخرجه الحاكم؛ وأبو نعيم في «الدلائل»؛ والبيهقي فـي «الدلائل»؛ وذكره ابن كثير بطوله في البداية والنهايـة: ١٤٢/٣ـ١٤٥؛ وذكر الحافظ طرفاً منه في الفتح: ٩٢/٩، قبل شـرح الحديث (٣٨٨٩) وحسَّن إسناده.

فقذفت به، فتكسَّر كما تتكسر القوارير، ثم نزلتُ فانطلقتُ أنا ورسول الله ﷺ نَستبِقُ، حتى توارينا بالبيوت، خشيةَ أن يلقانا أحد من الناس)[١].

وقد استنكر الذهبي متن الحديث، فقال في «تلخيص المستدرك»: سنده نظيف ومتنه منكر! والنكارة جاءت من كون الدعوة المكية لم يكن فيها مواجهة مع المشركين ولا أمر بتكسير الأصنام.

وهذا الحديث ليس من (خصائص علي) كما أوضحه ابن تيمية[٢].

•• عن عَبّاد بن عبد الله الأَسَدي، عن عليٍّ قال: (لمَّا نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، جَمَع النبي ﷺ أهلَ بيته، فاجتمع ثلاثون، فأكلوا وشربوا، فقال لهم: «**مَنْ يَضمن عني دَيْني ومواعيدي ويكونُ معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي؟**» فقال رجل: يا رسول الله، أنت كنتَ بحراً، من يقوم بهذا؟! قال: فعَرَض ذلك على أهل بيته، فقال عليٌّ: أنا)[٣].

وهو حديث ضعيف، (عَبّاد): ضَعَّفَه ابنُ المديني، وقال البخاري: فيه نظر. وهو جرح شديد فالبخاريُّ يقول هذه العبارة فيمن تركوه أو متَّهم أو ليس بثقة[٤].

وأخرجه بنحوه أحمد والنسائي من طريق آخر عن (ربيعة بن ناجِد عن علي)[٥]، وربيعة مجهول، وقال الذهبي: لا يكاد يعرف[٦]. وضَعَّف الحديثَ

(١) أخرجه أحمد (٦٤٤)؛ والنسائي في الكبرى (٨٤٥٣)؛ والحاكم: ٣٦٦/٢، وغيرهم، وصحَّحه الحاكم وأحمد شاكر.
(٢) منهاج السُّنَّة: ٢١٧/٣ ـ ٢١٨.
(٣) أخرجه أحمد (٨٨٣).
(٤) انظر كتابي: الإمام البخاري، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠.
(٥) مسند أحمد (١٣٧١)؛ السنن الكبرى (٨٣٩٧).
(٦) ميزان الاعتدال: ٤٥/٢.

محققا (خصائص علي)[١]. ومن عجب أن الشيخ العلاّمة أحمد شاكر صحَّحه!.

وأخرجه ابن عساكر من طريق (محمد بن زكريا الغَلَابي) عن محمد بن عبَّاد، عن نَصْر بن سليمان، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الغفار بن القاسم، بإسناده إلى علي بن أبي طالب[٢].

وهو حديث باطل؛ فيه (الغَلَابي): متَّهم، و(عبد الغفار): ليس بثقة يضع الحديث.

وقد أورد هذا الحديثَ ابنُ المُطَهَّر الحِلِّي في كتابه «منهاج الكرامة»، ورَدَّ عليه شيخ الإسلام في كتابه العظيم «منهاج السُّنَّة» ردّاً جليلاً مُفحِماً، ونقد الحديث سنداً ومتناً على عادته، وذكر أنه كذب موضوع[٣].

ثم هو مخالِفٌ لِما ثبت في «الصحيحين» في سبب نزول الآية الكريمة، وقول النبي ﷺ: «**يا معشرَ قريش اشتروا أنفسَكم، لا أُغْنِي عنكم من الله شيئاً**» الحديث[٤].

وعلى مثلِ تلك الأخبار الواهية يعتمد الرافضة قديماً وحديثاً، بل ازداد افتراؤهم بتطاول الزمان، حتى قال أحدُ المُحْدَثين منهم: (فلقد تألَّبت قريش على النبي، وصَمَّمت على قتله حين أعلن دعوة الحق، ولم يجدْ ناصراً إلا عليّاً وأباه، ولما جَمعت له الجموعَ في بدر وأُحُد والأحزاب؛ كان عليٌّ سيفَ الله على أعدائه، ولولاه ما قال قائل: لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله)[٥].

---

(١) الخصائص، بتحقيق أبي إسحاق الحويني(٦٣)، وأحمد ميرين البلوشي (٦٦).

(٢) تاريخ ابن عساكر: ١/٨٨؛ وانظر: البداية والنهاية: ٣/٤٠.

(٣) منهاج السُّنَّة: ٤/٢٤٣ـ٢٥٢.

(٤) البخاري (٢٧٥٣)؛ ومسلم (٢٠٦).

(٥) فضائل الإمام علي، لمحمد جواد مغنية، ص ٣٠ـ٣١.

وقال نحوه الدكتور إبراهيم بيضون[١].

وهو افتراء على الله ورسوله ﷺ، وعلى الحقيقة التاريخية الثابتة، وعلى الصحابة الغُرِّ الميامين الذين نصروا رسولَ الله ﷺ في كل موطن، وصحاحُ الأخبار شواهد دامغة لكل معانِد، بل هم أَوْلى من علي في ذلك في مطالع الدعوة، فقد كان صغيراً آنذاك، وأين أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وحمزة وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقّاص وعبدالرحمن بن عوف وأمثال أولئك السادة الأماجد؟!.

قال ابن تيمية: (ولم يكن لعليٍّ اختصاص بنصر النبي ﷺ دون أمثاله، ولا عُرف موطن احتاج النبي ﷺ فيه إلى معونة علي وحده، لا باليد ولا باللسان، ولا كان إيمان الناس برسول الله ﷺ وطاعتهم له لأجل علي، بسبب دعوة علي لهم).

(وكان أنفَعَ الجماعة في الدعوة باتفاق الناس أبو بكر ثم خديجة، لأن أبا بكر هو أول رجل حرٍّ بالغٍ آمَنَ به باتفاق الناس، وكان له قَدْر عند قريش لِما كان فيه من المحاسن، فكان أَمَنَّ الناسِ عليه في صحبته وذات يده)[٢].

(ولم يكن إيمان الناس ولا هجرتهم ولا نصرتهم على يد عليٍّ، ولم يكن علي منتصباً لا بمكة ولا بالمدينة للدعوة إلى الإيمان، كما كان أبو بكر منتصباً لذلك. ولم يُنقل أنه أسلم على يد عليّ أحد من السابقين الأولين، لا من المهاجرين ولا الأنصار، بل لا نعرف أنه أسلم على يد علي أحد من الصحابة، لكن لمَّا بعثه النبي ﷺ إلى اليمن قد يكون أسلم على يديه مَنْ أسلم، إن كان وقع ذلك، وليس أولئك من الصحابة، وإنما أسلم أكابر

---

(١) في كتابه: الإمام علي في رؤية النهج ورواية التاريخ، ص١٧.
(٢) منهاج السُّنَّة: ٤/٧٧ـ٧٨.

الصحابة على يد أبي بكر. ولا كان يدعو المشركين ويناظرهم كما كان أبو بكر يدعوهم ويناظرهم، ولا كان المشركون يخافونه كما يخافون أبا بكر وعمر)[١].

وثبت في الحديث الصحيح: أنه لمَّا كان يومُ أُحُد وانهزم المسلمون، قام أبو سفيان على الجبل وقال: (أَفي القوم محمدٌ؟ ثلاث مرات، فَنَهاهُم النبي ﷺ أن يجيبوه. ثم قال: أفي القوم ابنُ أبي قُحافة؟ أفي القوم ابنُ الخطاب)، والنبي ﷺ يقول في كل مرة: «**لا تُجيبوه**». فلم يملك عمر نفسه فقال: (كذبتَ والله يا عدوَّ الله، إن الذين عَدَدْتَ لأحياءٌ كلهم، وقد بقي لك ما يَسُوؤُك!)[٢].

فهذا جيش المشركين إذ ذاك لا يَسأل إلا عن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، فلو كان القوم خائفين من علي أو عثمان أو طلحة أو الزبير أو نحوهم، أو كان للرسول تأييد بهؤلاء، كتأييده بأبي بكر وعمر، لكان يُسأل عنهم كما يُسأل عن هؤلاء، فإن المقتضي للسؤال قائم والمانع منتفٍ[٣].

سابعاً: دفن علي أباه:

ومن مواقف علي في مكة أنه لما مات أبوه تردَّدَ في دَفْنِه لأنه كان مشركاً، فاستأمرَ النبيَّ ﷺ، فأمره بدفنه.

عن علي قال: (لمَّا توفي أبو طالب أتيتُ النبيَّ ﷺ فقلت: إن عمَّكَ الشيخ قد مات، قال: «**اذهَبْ فَوَارِه، ثم لا تُحْدِثْ شيئاً حتى تأتيني**» قال: فواريتُه ثم

(١) منهاج السُّنَّة: ٤/١٨١ـ١٨٢.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٣٩)؛ والنسائي في الكبرى (٨٥٨١)، وغيرهما.

(٣) منهاج السُّنَّة: ٤/١٨٢، وكلامه طويل ونفيس جدّاً.

أتيته، قال: «**اذهب فاغتسِلْ، ثم لا تُحْدِثْ شيئاً حتى تأتيني**» قال: فاغتسلتُ ثم أتيته، قال: فدعا لي بدعوات ما يَسرُّني أن لي بها حُمْرَ النَّعَم وسُودَها)[1].

ثامناً: علي يفدي النبي ﷺ بنفسه يوم الهجرة:

في وقت هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة المنوّرة بلغ عليٌّ من العمر ثلاثاً وعشرين سنة، وقد تتامَّتْ فتوّتُه واكتمل شبابه، فسجل في تلك الحادثة التاريخية الجليلة موقفاً بطوليّاً شامخاً سار مع الزمن مسيرة السيرة النبوية الطاهرة في تألقاتها وشموخها ورسوخها ورفعة مبادئها.

قال ابن إسحاق: (قال النبي ﷺ لعلي: «**نَمْ على فراشي وتَسَجَّ بِبُرْدي هذا الحَضْرميّ الأخضر، فَنَمْ فيه، فإنه لن يخلُص إليك شيء تكرهه منهم**» وكان رسول الله ﷺ ينام في بُرْدِه ذلك إذا نام)[2].

وصَدَع علي ﷺ بأمر رسول الله ﷺ غيرَ عابئ بما قد يكون من عواقب مهما كان شأنها، ولا ناظِرٍ إلى ما حوله من أخطار تكتنفه وتحفُّ بجوانبه، فتسجَّى بِبُرْد رسول الله ﷺ الذي كان ينام فيه، ونام على فراشه يورِّي عنه ويفديه بنفسه[3].

وخرج النبي ﷺ على المتربِّصين به في رسوخ اليقين، وهم ينظرون بعيون مفتحة ولكنها لا تبصر، وقد أخذ الله بأنفسهم كأنهم أشباح نخل خاوية.

---

(١) أخرجه أحمد (٧٥٩) و(٨٠٧)؛ والنسائي في الكبرى (١٩٣) و(٨٤٨١)؛ وأبو داود (٣٢١٤)، وغيرهم، وصحَّحه أحمد شاكر والألباني، وحسنه شعيب الأرنؤوط؛ أما الدكتور علي الصلابي في كتابه (علي) ص ٤٠ ـ ٤١، فقد نقل تضعيفه عن الموسوعة الحديثية، فأخطأ هو ومن ضعفه!.

(٢) السيرة النبوية: ٤٨٢/١ ـ ٤٨٣؛ تاريخ الطبري: ٣٧٢/٢.

(٣) محمد رسول الله ﷺ، للصادق عرجون: ٥٠٠/٢.

وجعل شــباب قريــش يتطلَّعون إلى بيــت النبي ﷺ (فيــرون عليّاً على الفراش متسجِّياً ببُرْد رسول الله ﷺ، فيقولون: والله إن هذا لمحمدٌ نائماً عليه بُرده. فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام علي ﷺ عن الفراش!)[١].

ولم يعلم بخروج رســول الله ﷺ أحدٌ حين خرج إلا عليُّ بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر. أما عليّ: فإن رسول الله ﷺ أخبره بخروجه، وأمــره أن يتخلَّف بعده بمكــة، حتى يؤدي عن رســول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، وكان رســول الله ﷺ وليس بمكة أحدٌ عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده؛ لِما يُعلم من صدقه وأمانته ﷺ[٢].

تاسعاً: علي يردّ الأمانات لقريش، ثم يهاجر إلى المدينة:

وأوكل النبــي ﷺ إلى عليٍّ القيامَ بمهمتين أخرييــن، فأداهما على أكمل وجه وأَنْبَله وأشجعه:

الأولى: أن يَخرج بأهله من مكة إلى المدينة.

والثانية: أن يؤدي عنه أمانته ووصايا من كان يوصي إليه وما كان يؤتمن عليه من مال[٣].

فأقام علي ﷺ بمكة ثــلاث ليالٍ وأيامها، حتى أدى عن رســول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، حتى إذا فرغ منها لحِق برسول الله ﷺ[٤].

فكان علــي يَظهر[٥] للناس في هــذه الأيام الثلاثة، ويقطع شــوارع مكة

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام: ٤٨٣/١؛ ونحوه عند الحاكم: ٤/٣، وصحَّحه وأقره الذهبي.
(٢) السيرة النبوية، لابن هشام: ٤٨٥/١؛ تاريخ الطبري: ٣٧٨/٢.
(٣) أسد الغابة: ١٩/٤.
(٤) السيرة النبوية، لابن هشام: ٤٩٣/١؛ تاريخ الطبري: ٣٨٢/٢.
(٥) طبقات ابن سعد: ٢٢/٣.

ويقف على الملأ من أهلها باحثاً عن أصحاب الودائعِ والأمانات ليؤديها إليهم.

وبعد أداء تلك المهمة على وجهها، أخرج علي من مكة أهلَ النبي ﷺ، ثم خرج موجِّهاً إلى المدينة يمشي الليل ويكمن النهار، حتى قدِم المدينة، فلما بَلَغ النبيَّ ﷺ قدومُه قال: «**ادعوا لي عليّاً**» قيل: يا رسول الله، لا يقدر أن يمشي! فأتاه النبي ﷺ، فلما رآه اعتَنقه وبكى رحمةً لِما بقدمَيْه من الورم، وكانتا تقطران دماً، فتفل النبي ﷺ في يديه ومسح بهما رجلَيْه ودعا له بالعافية، فلم يشتكهما حتى استشهد رضي الله عنه(١).

وكان سفراً بعيد الشُّقَّة، محفوفاً بالمخاطر، مليئاً بالمصاعب، بَيْدَ أنه في سبيل العقيدة هانَ على مِثل عليٍّ من أصحاب النفوس الكبيرة والهمم العالية، فقطع طريقاً موحشاً يزيد على (٤٠٠كم)، مشياً على قدميه، يتحمل قسوة الطريق، ووَعْثَاء السفر، ومخاوفَ الوحدة، ومخاطرَ الغدر من فلول قريش التي تحرص على إيذاء النبي ﷺ في نفسه أو من يَمتُّ إليه بأدنى صلة!.

وأدرك عليٌّ رسولَ الله ﷺ بقُبَاء لم يَرِمْ بعدُ، فنزل معه على كُلثوم بن الهِدْم، وأقام معه بقُباء ليلة أو ليلتين(٢).



(١) أسد الغابة: ١٩/٤.

(٢) طبقات ابن سعد: ٢٢/٣؛ السيرة النبوية، لابن هشام: ٤٩٣/١.

الباب الثاني

حياتُه مَعَ رسول الله ﷺ في المدينة وجلائلُ أعمالِهِ

- في رحاب النُّبوَّةِ.
- مشاهدُه مع النبيِّ ﷺ وبطولاتُه.
- مع النبيِّ ﷺ في أيامِهِ الأخيرةِ.



الفصل الأول

في رحـابِ النُّبـوَّةِ

انضمَّ علـيٌّ إلى بيت ابن عمه محمد ﷺ وعمره (٦) سـنين، وعاش في كفالته ورعايته وحَدَبِه عليه نحوَ (٤) سـنين حتى جاء الإسلام وعمره (١٠) سنين، فأسرع إلى الإيمان برسـالة النبي ﷺ، ولازمه ثلاث عشرة سنة طيلة الفترة المكية، وهو يعيش معه فيوضـات الوحي وتنزُّل جبريل بالقرآن غدوة وعشـيّاً، ويقتبس من هديه الخيرَ والفضائل والمكارم، ويقتدي به في مسلكه داخل البيت مـع أهله وأقاربه وعشـيرته، وخارجه مع عامـة الناس، وتنمو ملكاته ومعارفه من خلال تلـك المواقف وتقلبات الحيـاة وظروف الدعوة السـرية والجهرية والمواجهـة والبلاغ عـن الله إلى الناس كافـة، ويتعاهده الرسـول الأعظم ﷺ بالتربية والتوجيه وتكليفه بالمهمات التي تنصر الدعوة وتدعم انطلاقاتها، حتى أنهى المرحلة المكيّة بحادثة الهجرة الجليلة.

ثم أسرع علي الخُطا إلى اللحاق برسـول الله ﷺ في دار هجرته، ليصل حياته بحيـاة النبي ﷺ الذي أوى إلـى كنفه وتربى في حَجْـره منذ طفولته وعاش معه بمكة زُهاء (١٧) سـنة، وأتمَّها بعشـر في المدينة، لم يفارقه إلا حيث توجد مهمات وأوامر نبوية تقتضيها مصلحة الإسـلام والدعوة، فيكون علي قد أمضى مع المربي الأعظم نحو (٢٧) سنة؛ جعلت منه إنساناً فذّاً دوَّنَ في صحائف التاريخ ملحمة من سِـير عظماء الرجال، فـكان نبتةً من دَوْحة هاشـم تفتحت في بيت النبوة، ونَمَـت في معرِض غيثهـا ومطلع أضوائها

ومهبِّ أنسامها، فبَسَقتْ تلكم الغرسة، واستحالت شجرةً طيبة مباركة أصلُها في منبت التقى والهدى، وتفرعت في سماء الإسلام تؤتي أطيب الثمار.

أولاً: بناء المسجد والمؤاخاة:

كان أول عمل قام به رسول الله ﷺ (**بناءُ مسجده الأعظم**)، وقد شارك علي مع الصحابة في هذا العمل الجليل وارتجز قائلاً:

لا يَستوي من يَعْمُرُ المساجِدَا يدأبُ فيه قائماً وقاعِدا
ومن يُرى عن الغُبار حائِدا[1]

ثم قام الرسول ﷺ بإرساء الدعامة الثانية التي يستند عليها بناء المجتمع المسلم، وهي (**المؤاخاة**) بين عناصر هذا المجتمع على الحُبِّ في الله تعالى؛ فعقد الأخوَّة بين المهاجرين والأنصار، فجعل لكل مهاجريّ أخاً من الأنصار، فآخى بين أبي بكر وخارجة بن زيد الأنصاري، وبين عمر وعِتْبان بن مالك الأنصاري، وبين علي وسَهْل بن حُنيف الأنصاري[2].

وأما ما روي من أن النبي ﷺ آخى بين نفسه الشريفة وبين علي، فلا يصحُّ منها شيءٌ لضعفِ أسانيدها ورِكّة بعضِ متونها،كما قال ابن كثير[3].

من ذلك ما رواه الترمذي: عن حَكيم بن جُبير، عن جُميع بن عُمير التيمي، عن ابن عمر قال: (آخَى رسول الله ﷺ بين أصحابه، فجاء عليٌّ تدمعُ عيناه، فقال: يا رسول الله، آخيتَ بين أصحابك ولم تُؤاخِ بيني وبين أحدٍ! فقال له رسول الله ﷺ: «**أنت أخي في الدنيا والآخرة**»)[4].

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام: ٤٩٧/١؛ سبل الهدى والرشاد: ٤٨٧/٣.
(٢) طبقات ابن سعد: ٢٣/٣؛ السيرة النبوية، لابن هشام: ٥٠٥/١.
(٣) البداية والنهاية: ٢٢٤/٧، ٣٣٦.
(٤) سنن الترمذي (٤٠٥٤)، وضعفه الألباني وشعيب الأرنؤوط.



ثانياً: زواج علي بالسيدة فاطمة الزهراء:

وفتح القدر الأعلى لعلـيٍّ باباً جديداً عريضاً وَلجَ منـه إلى بيت النبوة، وأضاف وشـيجةً أخرى لا تنفصم عُراهـا، فأَصْهَر إلى النبـي ﷺ على ابنته الزهراء، التي امتدَّ بها نسـلُ رسول الله ﷺ دون غيرها من أبنائه وبناته، وكان علي أبا السِّـبطين الكريمين الحسن والحسـين، وأصبح واحداً من أجلِّ آل البيت الطاهرين.

●● عن عبدالله بن بُرَيْدة بـن الحُصَيْب، عن أبيه قـال: (خَطَب أبو بكر وعمر فاطمة، فقال رسول الله ﷺ: «**إنها صغيرةٌ**» فخَطَبها عليٌّ، فزَوَّجها منه)(١).

وُلِدت السيدة فاطمة رضي الله عنها وأرضاها قبل البعثة بقليل، وتزوجها عليٌّ في ذي القعدة أو قُبيله من سنة (٢هـ) بعد معركة بدر(٢)؛ فيكون زواجها وهي بنت (١٥) سنة، وعليٌّ ابنُ (٢٥) سنة، أما أبو بكر فله من العمر آنذاك (٥٢) سنة، والفاروق عمر (٤٢) سنة.

وقدَّم عليٌّ ما كان يملكـه وتحت يديه مهراً للزهـراء، كما أن النبي ﷺ جَهَّز كريمته جهازاً بسـيطاً متواضعاً ليكون مضربَ المَثَل في تيسير الزواج. وقد بارك الله ﷻ لهذيـن الزوجين وبارك فيهما وعليهمـا، فأنجبا ذرية طيبة مباركة أثنى الله عليها في محكم كتابه.

عن ابن عباس: (أن عليّاً قال: تزوَّجْتُ فاطمة، فقلتُ: يا رسـولَ الله، ابنِ لي، فقال: «**أَعْطِها شـيئاً**» قلتُ: ما عندي شيء، قال: «**فأين دِرْعُك الحُطَمِيَّةُ؟**» قلتُ: عندي، قال: «**فأَعْطِها إيَّاه**»)(٣).

---

(١) أخرجه النسـائي في الكبرى (٥٣١٠)، والصغرى: ٦٢/٦؛ وابـن حبان (٦٩٤٨)؛ والحاكم: ١٦٧/٢ وصحَّحه وأقره الذهبي، وصحَّحه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٢) سير أعلام النبلاء: ١١٩/٢؛ البداية والنهاية: ٣٤٥/٣.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٥٥٤١)؛ والصغرى: ١٢٩/٦ ـ ١٣٠. وصحَّحه الألباني.

والحُطميَّة: منسوبة إلى حُطَمَة بطْن من عبدالقيس كانوا يعملون الدروع. وقيل: هي الدروع السابغة التي تحطم السلاح.

وجاء نحوه عن عبدالله بن عباس من «مسنده»(١).

وعن عليٍّ قال: (جَهَّزَ رســولُ الله ﷺ فاطمةَ في خَميلٍ وقِرْبة ووسادة أدمٍ حَشوُها ليف الإذْخِر)(٢).

ويحدثنا علي عن موقــف مثير مُعجِب يبين فيه كيفية اســتعداده لتأمين (تكاليف الزفــاف) ونفقات وليمة العرس، فيروي الحســين بن علي عليهما السلام أن علياً قال:

(كانت لي شارِفٌ من نَصيبي من المغنَم يوم بدر، وكان النبي ﷺ أعطاني شــارِفاً من الخُمُس، فلما أردتُ أن أبتني بفاطمةَ بنتِ رسول الله ﷺ واعَدْتُ رجــلاً صَوَّاغاً من بني قَيْنُقــاع أن يرتحل معي فنأتيَ بإِذْخِــرٍ أردتُ أن أبيعَه الصوّاغين وأســتعينَ به في وليمة عُرْســي. فبينا أنا أجمع لشارِفَيَّ متاعاً من الأَقْتاب والغَرَائر والأحمال، وشــارِفايَ مُنَاخان إلــى جَنْب حجرة رجل من الأنصار، فرجعتُ حين جمعتُ ما جمعت، فإذا شــارِفايَ قد اجْتُبَّ أسنِمتُهما وبُقِــرتْ خواصرُهما، وأُخِذ من أكبادِهما، ولم أَمْلِــك عينيَّ حين رأيتُ ذلك المنظر منهما، فقلت: مَن فعل هذا؟ فقالوا: فعلَ حمزةُ بن عبد المطلب، وهو في هذا البيت في شَرْبٍ من الأنصار.

فانطلقــتُ حتى أدخــلَ على النبي ﷺ، وعنــده زيدُ بن حارثــة، فعَرَفَ النبــي ﷺ في وجهــي الذي لقيــتُ، فقــال النبي ﷺ: «مــا لَــكَ؟» فقلتُ:

---

(١) النسائي في الكبرى (٥٥٤٢)؛ وأبو داود (٢١٢٥)، وغيرهما.

(٢) أخرجــه أحمد (٦٤٣)؛ وابــن ماجه (٤١٥٢)؛ وابــن حبــان (٦٩٤٧)؛ والحاكم: ١٨٥/٢ وصحَّحه ووافقه الذهبي، وصحَّحه أحمد شاكر.

يا رسول الله، ما رأيتُ كاليوم قطُّ، عَدَا حمزةُ على ناقتيَّ فجَبَّ أسنمتَهما وبَقَر خواصرَهما، وهاهو ذا في بيت معه شَرْبٌ!.

فدَعَا النبـــي ﷺ بردائِه فارتدى، ثم انطلق يمشـــي، واتَّبعتُـــه أنا وزيدُ بن حارثة، حتى جاء البيت الذي فيه حمزة فاستأذَنَ، فأذِنوا لهم، فإذا هم شَرْبٌ. فطَفِقَ رســـولُ الله ﷺ يَلومُ حمزةَ فيما فعل، فإذا حمزة قد ثَمِلَ محمرَّةً عيناهُ، فنظر حمزة إلى رســـول الله ﷺ، ثم صَعَّدَ النظر فنظر إلـــى ركبتَيْه، ثم صعَّدَ النظر فنظر إلى سُرَّتهِ، ثم صَعَّد النظر فنظر إلى وجهه، ثم قال حمزة: هل أنتم إلا عبيدٌ لأَبي؟! فعرف رسول الله ﷺ أنه قد ثَمِلَ، فنَكَصَ رسول الله ﷺ على عَقِبَيْه القَهْقَرى، وخرجنا معه)[1].

وعن عِلْبَاء بن أحمر قال: قال علي بن أبي طالب: (خَطبتُ إلى النبي ﷺ ابنتَه فاطمة، فباع عليٌّ دِرعاً له وبعض ما باع من متاعه، فبَلَغ أربعَ مئة درهم وثمانين درهماً، وأمر النبـــيُّ ﷺ أن يجعل ثلثَيْه في الطِّيب، وثلثاً في الثياب، ومَجَّ في جَرَّة من ماءٍ فأمرهم أن يغتسلوا به)[2].

●● وقد احتفَى المجتمع الإســـلامي بهذا الزواج المبارك، وشـــارك فيه المهاجرون والأنصار، رجالاً ونســـاءً، واغْتَبطوا به، إكرامـــاً وإجلالاً وإعزازاً للنبي ﷺ وآل بيته الكرام.

عن أبي يزيد المَدَني، عن أســـماء بنت عُمَيْس قالـــت: (كنتُ في زِفاف فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فلما أصبحنا جاء النبي ﷺ فضَرَب الباب، ففَتحتْ له أم أيمـــن الباب، فقال: «**يـــا أمَّ أيمـــن، ادْعِي لي أخي**» قالـــت: هو أخوك

---

(١) أخرجه البخـــاري (٢٠٨٩) و(٣٠٩١) واللفظ له؛ ومســـلم (١٩٧٩)؛ وأبو داود (٢٩٨٦)، وغيرهم. **الشـــارف**: المُسِنّ من النوق. **اجتبّ**: الجَبّ: الاســـتئصال في القطع. **شَرْب**: جمع شارب. **ثمل**: سكران. وهذا كان قبل تحريم الخمر.

(٢) رواه أبو يعلى، وقال الهيثمي: رجاله ثقات. مجمع الزوائد: ١٧٥/٩.

وتُنكحُه؟! قال: «**نعم يا أم أيمن**» وسمعنَ النساءُ صوتَ النبي ﷺ، فتَنَحَّيْنَ. قالت: واختبأتُ أنا في ناحية، قالت: فجاء عليٌّ، فدَعَا له رسول الله ﷺ، ونَضَح عليه من الماء، ثم قال: «**ادْعُوا لي فاطمةَ**» فجاءت خَرِقةً من الحياء، فقال لها: «**قد أنكحتُك أحبَّ أهلِ بيتي إليَّ**» ودَعَا لها، ونَضَح عليها من الماء. فخرج رسول الله ﷺ، فرأى سواداً، فقال: «**مَن هذا؟**» قلتُ: أسماء، قال: «**ابنةُ عُمَيْس؟**» قلت: نعم، قال: «**كنتِ في زِفاف فاطمة بنتِ رسول الله ﷺ تُكْرِمينَه؟**» قلتُ: نعم، قالت: فدَعَا لي)[١].

خَرِقة: أي خَجلة مدهوشة.

وعن علي: (أن رسول الله ﷺ لمَّا زَوَّجَه فاطمةَ بعث معه بِخَميلة ووِسَادةٍ من أدَم حشوها ليفٌ، ورَحْيَيْن وسِقاء وجرَّتين...) الحديث بطوله[٢].

وكان طعام الوليمة كبشاً وذُرَة، فعن بُرَيْدة بن الحُصَيْب قال: (لمَّا خَطَبَ عليٌّ فاطمة ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «**إنه لا بدَّ للعُرس من وليمة**» قال: فقال سعد: عليَّ كَبشٌ، وقال فلان: عليَّ كذا وكذا من ذرة)[٣].

١ ـ أحاديث باطلة في هذا الباب:

أ ـ عن ابن مسعود قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله أَمَرني أن أزوِّج فاطمةَ من عليٍّ، ففعلتُ**»، وسَرَد حديثاً طويلاً.

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٤٥٥)؛ والحاكم: ١٥٩/٣؛ وبأطول منه: عبدالرزاق (٩٧٨١)؛ والطبراني في الكبير: ١٣٧/٢٤؛ وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد: ٢١٠/٩): رجاله رجال الصحيح. وقال الحافظ في المطالب العالية (١٥٧٤): رجاله ثقات، لكن أسماء بنت عميس كانت في هذا الوقت بأرض الحبشة، فلعل ذلك كان لأختها سلمى امرأة حمزة بن عبد المطلب.

(٢) أخرجه أحمد (٨٣٨)، وصحَّحه أحمد شاكر.

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٠٣٥)؛ والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣٠١٧)، وغيرهما؛ وقال الحافظ في الفتح: ٥٣٤/١١ (٥١٦٦): سنده لا بأس به، وحسنه شعيب الأرنؤوط؛ وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٤١٩).



حديث موضوع[١].

ب ـ عن يعقوب بن إسحاق، عن جعفر بن هارون، عن محمد بن كثير، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سَلَمة، عن أبي هريرة قال: (لمّا خطب عليٌّ فاطمةَ من رسول الله ﷺ، دخل عليها فقال لها: «أيْ بُنَيَّة، إن ابن عمّك عليّاً قد خطبك، فماذا تقولين؟» فبكت، ثم قالت: كأنك يا أَبَهْ إنما ادَّخَرْتَني لفقير قريش! فقال: «والذي بعثني بالحق ما تكلّمتُ في هذا حتى أَذِن الله فيه من السماء» فقالت فاطمة: رضيتُ بما رضي الله لي ورسوله)[٢].

حديث باطل، فيه يعقوب: كذّاب، وجعفر: متّهم. وقال ابن كثير: مُنكَر.

وأورد الحافظ ابن عساكر ـ غفر الله له ـ في ترجمة علي المطوَّلة: أحاديثَ كُثر واهية وباطلة[٣].

ج ـ وعن أبي هريرة قال: (قالت فاطمة رضي الله عنها: يا رسول الله، زوجتني من علي بن أبي طالب وهو فقيرٌ لا مالَ له؟! فقال: يا فاطمة، أَمَا ترضينَ أن الله عز وجل اطَّلعَ إلى أهل الأرض فاختار رجلين؛ أحدُهما أبوكِ والآخر بَعْلُك!)[٤].

قال الذهبي: موضوع.

د ـ وبَلَغ من افتراء الرافضة أنهم رووا أن النبي ﷺ قال: «لو لم يَخلق الله عليّاً ما كان لفاطمة كفء»!.

وعلَّق أحدهم على هذا شارحاً فقال: (فكفاءةُ علي لفاطمة ليست كفاءةً نَسَبيَّة فقط، ولا خلقية فقط، وإنما هي كفاءة سماوية إلٰهية في تعادلهما

---

(١) السلسلة الضعيفة (١٨٤٥)؛ ضعيف الجامع (١٥٦٤)؛ ميزان الاعتدال: ٦٧١/٢.

(٢) تاريخ ابن عساكر: ٢٣٠/١ـ٢٣١؛ البداية والنهاية: ٣٤٣/٧.

(٣) انظر مثلاً: ٢٣٤/١، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٤٥.

(٤) المستدرك: ١٢٩/٣؛ تاريخ ابن عساكر: ٢٤٨/١ـ٢٥٠.

بالقرآن، وتســاويهما في ميراث النبوة، وفي الحكمة والهدى والرحمة، وفي افتراض الولاء والطاعة على الناس أجمعين)(١).

٢ ـ علي لم يتزوج على فاطمة امرأة أخرى:

كان من عادة العرب الإكثارُ من الزوجــات، ودَرَج الصحابة الكرام على ذلك، وكثيراً ما كان الواحد منهم يجمع بين الاثنتين والثلاث والأربع، وعزم عليٌّ أن يفعل ذلك حيث أباحه الإسلام وجرى عليه الناس، فتحركت الغيرة الطبيعية في نفس الســيدة الطاهــرة فاطمة ـ وهي من بنــات آدم ـ وأَخبرت النبيَّ ﷺ بذلك، فرَفَضَه لأن المرأة التي أراد علي خطبتَها هي بنت أبي جهل عدوّ الله وعدوّ رسوله، وكذلك مراعاةً منه ﷺ لخاطر ابنته، وهو حريص على سعادتها وعدم إيذائها وهي بَضْعَة منه!.

عن المِسْــوَر بن مَخْرَمة قال: (إنَّ علياً خَطَب بنت أبي جَهْلٍ، فســمعتْ بذلك فاطمةُ، فأتت رسولَ الله ﷺ فقالت: يزعمُ قومك أنك لا تغضبُ لبناتِكَ، وهذا عليٌّ ناكحٌ بنتَ أبي جهل! فقام رسول الله ﷺ فسمعتُه حين تشهَّدَ يقول: **«أمَّا بعدُ، أنكحتُ أبا العاص بن الربيع فحدَّثَني وصَدَقني، وإنَّ فاطمةَ بَضْعَةٌ منِّي، وإني أكرهُ أن يَسُــوءَهَا. واللهِ لا تجتمعُ بنتُ رســول الله وبنتُ عدوِّ الله عند رجل واحد»** فتَرَكَ عليٌّ الخِطْبَة).

وفي رواية: قال ﷺ : **«فَلَا آذَنُ، ثم لا آذَنُ، ثم لا آذَنُ إلَّا أن يريدَ ابنُ أبي طالب أن يطلِّق ابنتي ويَنكح ابنتَهُم، فإنما هي بَضْعَةٌ منِّي؛ يُرِيبُني ما أَرَابها، ويُؤْذِيني ما آذاها»**(٢).

وبنت أبي جهل التي خطبها علي هي (جويرية).

---

(١) فضائل الإمام علي، لمحمد جواد مغنية، ص ٢٢، ٢٤.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٢٩)، (٥٢٣٠)؛ ومسلم (٢٤٤٩)؛ وأبو داود (٢٠٦٩) و(٢٠٧١)، وغيرهم.

وكانت هذه الواقعة بعد فتح مكة، ولم يكن حينئذٍ تأخَّر من بنات النبي ﷺ غير فاطمة، وكانت أُصِيبت بعد أمها بإخوتها، فكان إدخال الغَيْرة عليها مما يزيد حزنها(١).

ثالثاً: الزوجان الكريمان ينعمان بأرفع أنواع التربية على هدي النبوة ومكارمها:

في بيتهم المتواضع كان رسول الله ﷺ يجد أُنْسَه وهناءَه وسعادته، وينشر عليهم حُبَّه وحنانه، ويُحيطهم برعايته، ويَنفحُهم من زهده وتقواه ومكارم أخلاقه؛ فكان لهم الرسولَ الهادي، والمربي الحاني، والأب العطوف، والمعلم المرشد، والقدوة العظمى... وكم كان علي وفاطمة وأبناؤهما سعداء بتلك الحياة والرعاية والتوجيه، وكم كانوا أهلاً لذاك التكريم والتعليم، وكم كانوا ـ أيضاً ـ ربانيين في تحقيق أعلى درجات الكمال الإنساني في تمثل هَدْي النبوة!.

•• عن عبدالرحمن بن أبي لَيْلى قال: (حدَّثَنا عليٌّ أنَّ فاطمة عليها السلام شَكَتْ ما تلْقَى من أَثَر الرَّحَى، فأُتِيَ النبيُّ ﷺ بسَبْيٍ، فانطلَقَتْ، فلم تجدْه، فوجدت عائشةَ فأخبرتْها. فلما جاء النبي ﷺ أخبرتْه عائشةُ بمجيء فاطمة، فجاء النبي ﷺ إلينا، وقد أَخَذْنا مَضاجِعَنا، فذهبتُ لأقوم فقال: «**على مَكانِكما**» فقعد بيننا حتى وجدت بَرْدَ قدمَيْه على صدري! وقال: «**ألَا أُعَلِّمكما خيراً مما سألتُماني؟ إذا أخذتُما مَضاجِعَكما: تكبِّران أربعاً وثلاثين، وتُسبِّحان ثلاثاً وثلاثين، وتَحْمَدان ثلاثاً وثلاثين، فهو خيرٌ لكما من خادم**») لفظ البخاري.

---

(١) الفتح ٦٨٦/٨، شرح الحديث (٣٧٢٩).

وفي رواية لأحمد: (قال عليٌّ لفاطمة ذات يوم: والله لقد سَنَوْتُ حتى لقد اشتكيت صدري، وقد جاء الله أباك بِسَـبْيٍ، فاذهبي فاستَخْدِميه. فقالت: وأنا والله قد طَحنتُ حتى مَجَلَتْ يَدَاي... وقد جاءك الله بِسَـبْيٍ وسَـعَة؛ فأَخْدِمْنا. فقال رسول الله ﷺ: «**والله لا أُعْطِيكما وأَدَعُ أهلَ الصُّفَّة تَطْوَى بطونُهم لا أجدُ ما أُنْفِق عليهم، ولكني أَبيعُهم وأُنفِقْ عليهم أثمانهم**»)[١].

فاختـار النبي ﷺ لصِهره عليٍّ ما اختار لابنته مـن إيثار أمر الآخرة على أمر الدنيا ورضّاهما بذلك. واختار أن يوسّع على فقراء الصُّفَّة بما قدِم عليه، ورأى لأهله الصبرَ بما لَهم في ذلك من مزيد الثواب[٢].

●● عن علي بن أبي طالب قال: (دخلَ علَيَّ رسولُ الله ﷺ وعلى فاطمةَ من الليل، فأَيْقَظَنا للصلاة، ثم رَجَعَ إلى بيته، فصلَّى هَوِيّاً من الليل، فلم يَسمع لنا حِسّـاً، فرَجَع إلينا فأيقَظَنا، فقال: «**قُوما فَصَلِّيا**» قال: فجلستُ وأنا أَعْرُك عيني، وأقول: إنّا واللهِ ما نصلِّي إلا ما كَتب الله لنا، إنما أنفسُـنا بيد الله، فإن شـاء أن يَبْعَثَنا بَعَثَنا، قال: فولَّى رسـول الله ﷺ وهو يقول ـ ويَضرِبُ بيدِهِ على فَخِذِه ـ: «**ما نصلِّي إلا ما كَتب الله لنا!** ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]»)[٣].

قـال الطبري: (لولا ما عَلِـمَ النبي ﷺ من عِظَمِ فضـل الصلاة في الليل ما كان يُزعج ابنتَه وابنَ عمه في وقت جعله الله لخَلْقه سَكَناً، لكنه اختار لهما إحراز تلك الفضيلة على الدَّعَة والسـكون، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ**﴾ الآية [طه: ١٣٢])[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٥)؛ ومسلم (٢٧٢٧)؛ وأبو داود (٥٠٦٢) وغيرهم.
(٢) الفتح: ٦٦٦/٨ (٣٧٠٥)، وانظر: ١٩٣/١٤ (٦٣١٨)؛ وصحيح مسلم (٢٧١٣)؛ وسنن ابن ماجه (٣٨٣١).
(٣) أخرجه البخاري (١١٢٧)؛ ومسـلم (٧٧٥)؛ والنسـائي في الكبرى (١٣١٣)، والصغرى: ٢٠٦/٣ واللفظ له، وغيرهم.
(٤) الفتح: ١٨/٤ (١١٢٧).

وفي هذا الحديث فضيلةٌ ظاهرة لعليٍّ من جهة عِظَم تواضعه لكونه روى هذا الحديث مع ما يُشعر به عند مَن لا يعرف مقداره أنه يوجب غاية العتاب، فلم يَلتفت لذلك، بل حدَّث بــه لِما فيه من الفوائد الدينية، ومصلحة نشــر العلم وتبليغه[١].

وتأمَّلْ هذا الموقف النبيــل والتربية الرفيعة، حيــث يعلم النبي ﷺ بأن خلافــاً ما وقع في بيت ابنتــه، وقد غاضَبَهــا عليٌّ وترك البيــت وأوى إلى المســجد، فيجيء المربي الأعظم إلى صِهْره يؤانســه ويداعبه ويســكِّن من غضبه ويُدَلِّلُـه ويناديه بكُنيــة لطيفة التصقت بعليٍّ وأحبَّها ما لم يحب غيرها من اسمه وكُنَاه:

عن سَهْل بن سَعْد قال: (جاء رسول الله ﷺ بيتَ فاطمة فلم يجدْ عليّاً في البيت، فقال: «**أينَ ابنُ عمِّك؟**» قالت: كان بيني وبينه شــيء فغاضَبَني فخرج فلم يَقِلْ عندي. فقال رســول الله ﷺ لإنســان: «**انظرْ أين هو؟**» فجاء فقال: يا رسول الله، هو في المسجد راقدٌ. فجاء رسول الله ﷺ وهو مُضْطَجِع قد سَقَط رداؤه عن شِقِّه وأصابَهُ تراب، فجعل رســول الله ﷺ يَمسَحُهُ عنه ويقول: «**قُمْ أبا تُرابٍ، قُمْ أبا تُرابٍ**»!)[٢].

•• وكان النبي ﷺ يتعاهد ابنته وصهره في جميع شؤونهما، ويرتقي بهما إلى أوج المكارم، والتنزه عن الشبهات بله المكروهات والمحرمات، ولربما يُهدى إليه الشيء فيؤثرهما به.

عن عبدالله بن عمر: (أن رسول الله ﷺ أتى فاطمة، فوجد على بابها سِتْراً فلم يَدخلْ، قال: وقلَّمــا كان يدخل إلا بدأ بها، فجاء عليٌّ فرآها مهتمَّةً، فقال: ما لَكِ؟ قالت: جاء النبي ﷺ إليَّ فلم يدخل. فأتاه علي فقال: يا رسول الله، إن

---

(١) الفتح: ١٩/٤، ١٥٧/١٧ (٧٣٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤١)؛ ومسلم (٢٤٠٩)، وغيرهما.

فاطمة اشـــتدَّ عليها أنك جئْتَها فلم تدخل عليها! قال: «**وما أنا والدنيا، وما أنا والرَّقْـــم؟!**» فذَهَب إلـــى فاطمة، فأخبرهـــا بقول رســـول الله ﷺ، فقالت: قُلْ لرسول الله ﷺ: ما تأمُرني به؟ قال: «**قلْ لها: فَلْتُرسِل به إلى بني فلان**».

وفي رواية: «**إني رأيتُ على بابها سِـــتْراً مَوْشِيّاً**» وفي آخرها: «**تُرسِلي به إلى فلانٍ، أهلِ بيت بهم حاجةٌ**»[1]. فقد كرِه النبي ﷺ لابنتهِ ما كَرِهَ لنَفْسهِ من تعجيل الطيبات في الدنيا، لا أَنَّ ســـتر الباب حرام. وهو نظيـــرُ قوله لها لمَّا سألَتْه خادماً: «**أَلَا أدلُّكِ على خير من ذلك؟...**» فعلّمها الذّكْر عند النوم[2].

وعن علي قال: (كنتُ شاكياً، فمرَّ بي رســـولُ الله ﷺ وأنا أقول: اللَّهمَّ إنْ كان أَجَلي قـــد حَضَر فأَرِحْنـــي، وإنْ كان متأخِّـــراً فارْفَعْنِـــي، وإنْ كان بلاءً فصبِّرني، فقال رســـول الله ﷺ: «**كيف قلتَ؟**» قال: فأعـــادَ عليه ما قال، قال: فضَرَبَه برِجْله، وقال: «**اللَّهمَّ عافِهِ، أو اشْفِه**» قال: فما اشتكيتُ وجعي بعدُ)[3].

وعن علي قال: (أُهْدِيَتْ إلى رســـول الله ﷺ حُلَّةٌ سِيَراءُ، فأَرسل بها إليَّ، فلبســـتُها فأتيتُه، فرأيتُ الغضبَ فـــي وجهه، وقال: «**إنِّي لم أُرسِـــلْ بها إليك لِتلبَسَها!**» وأَمرني فأَطَرْتُها بين نسائي).

وفي رواية: (فقلتُ: يا رســـولَ الله، ما أَصنَعُ بها؟ أَلبَسُها؟ قال: «**لا، ولكن اجعَلْها خُمُراً بين الفَوَاطِم**»)[4].

(١) أخرجه البخاري (٢٦١٣)؛ وأبو داود (٤١٤٩)؛ وأحمد (٤٧٢٧) وغيرهم. موشيّاً: مزخرفاً. الرقم: أي عليه النقش والوشي.

(٢) الفتح: ٥٧/٧ (٢٦١٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٨٨٠)؛ والنســـائي في الكبرى (١٠٨٣٠)؛ وأحمـــد (٦٣٧)؛ والحاكم: ٦٢٠/٢ ـ ٦٢١ وصحَّحه، وأقرّه الذهبي، وصحَّحه أحمد شاكر.

(٤) أخرجه البخاري (٢٦١٤)؛ ومســـلم (٢٠٧١)؛ وأبو داود (٤٠٤٣)؛ وابن ماجه (٣٥٩٦)، وغيرهم. سيراء: فيها خطوط من حرير. بين نسائي: المراد زوجته مع أقاربه.

والفواطم أربع؛ هنَّ: فاطمة بنت النبي ﷺ، وفاطمة بنت أسد أم علي، وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب، وفاطمة بنت شيبة بن ربيعة امرأة عقيل.

●● واشتملت رعاية النبي ﷺ وتربيتُه لهذه الأسرة على التزامها بآداب الإسلام وأخلاقه، وهَدْيه في الشؤون العامة والخاصة والواجبات والمندوبات والمباحات، حتى إنه تعاهَدَهُم في تسمية أبنائهم وتربيتهم لهم، وكان يعتمد على عليٍّ في تنفيذ بعض أمور الإسلام وشؤون المسلمين.

روى محمد بن علي المعروف بابن الحَنَفيَّة، عن أبيه قال: (كنتُ رجلاً مَذَّاءً، وكنتُ أستحيي أن أسألَ النبيَّ ﷺ لمكانِ ابنته، فأمرتُ المقدادَ بن الأسود فسألَه، فقال: «**يَغسِلُ ذَكَره ويتوضأ**»)[1].

وعن علي قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا عليُّ، أَلَا أعلِّمُكَ كلماتٍ إذا قُلتَهنَّ، غُفِر لك مع أنه مغفورٌ لك: لا إلٰـهَ إلا الله العلِيُّ العظيم، لا إلٰهَ إلا الله الحليمُ الكريم، سبحانَ الله ربِّ السموات السبعِ وربِّ العرش العظيم، والحمدُ لله رب العالمين**»[2].

وعن عليٍّ قال: (لمَّا وُلد الحَسن سمَّيْتُه حَرْباً، فجاء النبي ﷺ فقال: «**أَروني ابني، ما سمَّيْتُموه؟**» قلنا: حرباً، قال: «**لا، بل هو حَسَنٌ**». فلما وُلد الحُسين سمَّيتُه حَرْباً، فجاء النبي ﷺ فقال: «**أروني ابني، ما سمَّيْتمُوه؟**» قلنا: حرباً، قال: «**بل هو حُسينٌ**». فلما وُلد لي الثالث سمَّيتُه حرباً، فجاء النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٢)؛ ومسلم (٣٠٣) وغيرهما. **المذي**: الماء الذي يخرج من الرجل عند الملاعبة.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٧٦٣٠)؛ وأحمد (٧١٢)؛ وابن حبان (٦٩٢٨)؛ والحاكم: ١٣٨/٣ وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وصحَّحه أحمد شاكر.

فقال: «**أروني ابني، ما سميتموه؟**» فقلنا: سميناه حرباً، قال: «**بل هو مُحَسِّنٌ**». ثم قال: «**إنَّما سمَّيْتُهم بوَلَدِ هارون: شَبَّر وشَبِّير ومُشَبِّر**»)[١].

رابعاً: حياة جادَّة متقشِّفة عنوانها الزهد والورع:

آتت التربيــة النبوية الحانية والرعاية الجادة أطيــبَ الثمار؛ فكانت حياة علي وفاطمة قائمةً علــى النُّبل والجــدّ والاجتهاد والصبــر والزهد والورع ومعالي الأمور، واستمرت الأسرة على ذلك في مسيرتها ومسلكها في السرّاء والضرّاء، لأنها كانت في أسسها وتفصيلاتها صنعةَ النبوة!.

جاء في (حديث جابر الطويل) الذي يصف فيــه (حَجَّة النبي ﷺ)؛ قال جابر: (وقدِمَ عليٌّ ﷺ مــن اليَمن ببُدْنِ النبي ﷺ، فوَجد فاطمةَ ﷺ ممن حَلَّ ولبسَتْ ثياباً صَبيغاً واكتحلتْ، فأنكر عليٌّ ذلك عليها، وقال: مَن أمركِ بهذا؟ فقالت: أبي. فكان علي يقول بالعراق: ذهبتُ إلى رسول الله ﷺ محرِّشاً على فاطمة في الأمر الذي صَنَعَتْه، مســتفتياً لرسول الله ﷺ في الأمر الذي ذَكَرتْ عنه، فأخبرتُه أني أنكرتُ ذلك عليها، فقالت: أبي أمرني بهذا، فقال: «**صَدَقتْ صَدَقتْ!**»)[٢].

وعن أبي ســعيد الخُدْرِيِّ: (أن عليَّ بن أبي طالب وجد ديناراً، فأتى به فاطمةَ، فسألَتْ عنه رسول الله ﷺ، فقال: «**هو رِزْقُ الله**» فأكل منه رسول الله ﷺ وأكل علــي وفاطمة، فلمــا كان بعد ذلــك أتته امرأة تَنشُــد الدينــار، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عليُّ، أدِّ الدينار**»)[٣].

---

(١) أخرجه أحمد (٧٦٩)؛ وابــن حبان (٦٩٥٨)؛ والحاكــم: ١٦٥/٣ وصحَّحه وأقره الذهبي، وصحَّحه أحمد شاكر.

(٢) أخرجه مسلم (١٢١٨)؛ وأبو داود (١٩٠٥)؛ وابن ماجه (٣٠٧٤).

(٣) أخرجه أبو داود (١٧١٤)، وحسنه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

وعن ابن عباس قال: (أصابَ نبيَّ الله ﷺ خَصَاصةٌ، فبَلَغ ذلك عليّاً، فخرج يلتمس عملاً يُصيب فيه شيئاً ليُغيثَ به رسولَ الله ﷺ، فأتى بستاناً لرجل من اليهود، فاستقى له سبعةَ عشـرَ دلواً، كلُّ دلْوٍ بتمرة، فخيَّره اليهودي من تمره سبعَ عشرة عجوةً، فجاء بها إلى نبيِّ الله ﷺ!)[١].

وستأتي أمثلة ومواقف أخرى في فصل (شمائله وأخلاقه).

خامساً: استخلافه على المدينة في غزوة تبوك سنة (٩هـ):

كان رســول الله ﷺ إذا ســافر في غزوة أو عمرة أو حج يَســتخلِفُ على المدينة بعضَ الصحابة، وفي ســنة (٩هـ) كانت غزوة تبوك في زَمن عُسْــرة الناس وجَدْب البلاد وحرٍّ شــديد وســفر بعيد وعدوٍّ كثير... فاستخلَف على المدينة علي بن أبــي طالب، لا خوفاً عليه ولا ضَنّاً بــه، فما خاف عليه ولا ضَنَّ به في أشد المواطن خطراً وأكثرها تعرضاً للموت! فأَرْجَف به المنافقون وقالوا فيه أقوالاً شــنيعة! وكانت حكمةً بالغة ونعمةً سابغة على سيدنا علي حيث أَعلن النبي ﷺ على الملأ فضل صهره وصاحبه.

عن البراء بن عازب وزيد بن أرقم قالا: (لمَّا كان عند غزوة جيش العُسْرة وهي تبوك، قال رســول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: «**إنه لا بدَّ من أن أُقيم أو تُقيم**»، فخَلَّفه. فلما فَصَل رســول الله ﷺ غازياً، قال نــاس: ما خَلَّفَ عليّاً إلا لشــيء كَرِهَه منه! فبَلَغ ذلك عليّاً، فاتبع رسولَ الله ﷺ حتى انتهى إليه، فقال له: «**ما جاء بك يا علي؟**» قال: لا يا رسول الله، إلا أني سمعتُ ناساً يزعمون أنك إنما خلَّفْتني لشيء كرِهْتَه مني، فتضاحَكَ رسول الله ﷺ وقال: «**يا عليُّ،**

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٤٤٦)، ومختصراً (٢٤٤٧)؛ وفي مســند أحمــد رواية أخرى (٦٨٧) و(١١٣٥)؛ ورواية ابن ماجه الأولى ضعيفة، والمختصرة حسنة الإسناد، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: ولعل مجموع الطرق يدل على أن للقصة أصلاً.

أَمَا ترضَى أن تكون مني كهارون من موسى غيرَ أنك لستَ بنبيٍّ؟» قال: بلى يا رسول الله، قال: «**فإنه كذلك**»)(١).

وعن سعد بن أبي وقّاص قال: «لمَّا غزا رسولُ الله ﷺ غزوةَ تبوك خَلَّفَ عليّاً بالمدينة، فقالوا فيه: مَلَّهُ، وكَرِهَ صحبتَه، فتَبِع عليٌّ النبي ﷺ حتى لَحِقه بالطريق، فقال: يا رسول الله، خلَّفْتَني بالمدينة مع الذراري والنساء حتى قالوا: مَلَّهُ وكَرِه صحبتَه؟! فقال له النبي ﷺ: «**يا عليُّ، إنما خلّفْتُك على أهلي، أمَا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غيرَ أنه لا نبيَّ بعدي!**»).

وفي رواية: (فقال علي: رضيتُ، رضيتُ)(٢).

سادساً: علي مع أبي بكر في الحج سنة (٩هـ) لإعلان البراءة إلى المشركين:

ولَّى رسول الله ﷺ عَتّاب بن أَسِيد إمرة مكة، فحجَّ المسلمون والمشركون جميعاً في سنة (٨هـ)، وكان المسلمون مع عَتَّاب لكونه الأمير.

وفي سنة (٩هـ) بعث النبي ﷺ أبا بكر أميراً على الحج، وكان بعثُه بعد انسلاخ ذي القعدة، وحجَّ في ذي الحجة من سنة تسع، وأعلن الصديق أنه: لا يَحجّ بعد العام مشركٌ ولا يَطوف بالبيت عُريان.

ثم كانت (حَجَّةُ الوَدَاع) في سنة عشر من الهجرة.

وبعث الرسول ﷺ عليَّ بن أبي طالب بسورة براءة ليقرأها على الناس في الموسم، تحت إمْرة أبي بكر.

---

(١) طبقات ابن سعد: ٢٤/٣ـ٢٥؛ وذكره الحافظ في الفتح: ٦٦٧/٨ (٣٧٠٥) وقال: إسناده قوي.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٠٦)؛ ومسلم (٢٤٠٤)؛ والنسائي في الكبرى (٨٠٨٢) و(٨٣٨٢) واللفظ له، وساقه من أكثر من عشرين طريقاً.

عن أبي هريرة قال: (بَعَثني أبو بكـر الصدِّيق في الحجَّة التي أمَّره عليها رسـول الله ﷺ، قبل حَجَّة الوداع، فـي رَهْط يؤذِّنُون في النـاس يوم النَّحر: لا يَحُجُّ بعدَ العام مشركٌ، ولا يَطوفُ بالبيت عُرْيان) لفظ مسلم.

وزاد البخاري فـي رواية: (فنَبَذَ أبو بكر إلى النـاس في ذلك العام، فلم يَحُجَّ عامَ حجَّة الوداع الذي حجَّ فيه النبي ﷺ مشركٌ)[1].

وعن جابر بن عبد الله: (أن النبي ﷺ حين رجع من عُمرة الجِعْرَانَة، بعث أبا بكر على الحج، فأقبَلْنا معه، حتى إذا كنا بالعَرْج ثَوَّبَ بالصبح، ثم استوى ليُكبِّر، فسـمع الرَّغْوَة خلف ظَهْره، فوقف عن التكبير، فقال: هذه رَغوةُ ناقة رسـول الله ﷺ! لقـد بـدا لرسـول الله ﷺ فـي الحـج، فلعلَّـه أن يكون رسول الله ﷺ، فنصلي معه. فإذا عليٌّ عليها، فقال له أبو بكر: أميرٌ أم رسولٌ؟ فقال: لا، بل رسولٌ، أرسلَني رسـولُ الله ﷺ بـ(براءة) أقرؤها على الناس في مواقف الحج.

فقدمْنا مكةَ، فلما كان قبل التَّروية بيوم، قام أبو بكر فخَطَب الناسَ، فحدَّثهم عن مناسِكهم، حتى إذا فرغ، قام عليٌّ فقرأ على الناس (براءة) حتى ختمها.

ثم خرجنا معه، حتى إذا كان يومُ عرفة، قام أبو بكر فخطب الناسَ فحدَّثَهم عن مناسكهم، حتى إذا فرغ، قام عليٌّ فقرأ على الناس (براءة) حتى ختمها.

ثم خرجنا معه، ثم كان يوم النحر، فأَفَضْنَـا، فلما رجع أبو بكر، خطب الناس فحدَّثَهم عن إفاضَتِهم وعن نَحْرِهم وعن مناسِكِهم، فلما فرغ، قام عليٌّ فقرأ على الناس (براءة) حتى ختمها.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٧٧) و(٣٦٩)؛ ومسلم (١٣٤٧)؛ وأبو داود (١٩٤٦)، وغيرهم. وانظر: تفسـير ابن كثيـر: ٤١٢/٢ـ٤١٦؛ البداية والنهايـة: ٣٦/٥ـ٣٩. والمراد بالتأذين: الإعلام.

فلما كان يوم النَّفْـر الأول، قام أبو بكر فخطب النـاسَ، فحدَّثَهم كيف يَنْفِرون وكيف يَرْمُون، فعلَّمَهُم مناسـكَهم، فلما فرغ، قـام علي فقرأ (براءة) على الناس حتى ختمها)[١].

وعن أنس بن مالك قال: «بَعث النبيُّ ﷺ بـ(براءة) مع أبي بكر، ثم دَعاهُ فقال: «**لا يَنبغي لأحدٍ أن يُبَلِّغَ هذا إلا رجلٌ من أهلي**» فدَعَا عليّاً فأعطاه إياه) لفظ الترمذي.

وفي رواية أحمد، عن أنس: (أن رسول الله ﷺ بَعث بـ(براءة) مع أبي بكر الصديق، فلمَّا بَلَغ ذا الحُلَيْفَـة، قال: «**لا يُبلِّغها إلا أنا أو رجلٌ من أهل بيتي**» فبَعث بها مع عليّ)[٢].

وعن علي بن أبي طالب قال: (لمَّا نزلَتْ عشـرُ آيات مـن (براءة) على النبي ﷺ، دعا النبي ﷺ أبا بكر، فبَعَثَه بها ليقرأها على أهل مكة، ثم دعاني النبي ﷺ فقال لي: «**أَدْرِكْ أبا بكر، فحيثُما لَحِقْتَهُ فَخُذِ الكتابَ منه فاذهَبْ به إلى أهل مكة فاقـرأهُ عليهم**» فلحِقْتُه بالجُحْفة، فأخـذت الكتاب منه. ورجع أبو بكر إلى النبي ﷺ فقال: يا رسـول الله، نزل فيَّ شـيء؟! قال: «**لا، ولكنَّ جبريل جاءني فقال: لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجلٌ منك**»)[٣].

قال ابن كثير: (وليس المـراد أن أبا بكر رضي الله عنه رجع من فَـوْره، وإنما رجع بعد قضائه المناسك التي أمَّره عليها رسول الله ﷺ، كما جاء مبيَّناً في الرواية الأخرى)[٤].

---

(١) أخرجه النسـائي في الكبرى (٣٩٧٠)، وفي الصغرى: ٢٤٧/٥ـ٢٤٨؛ والدارمي (١٩١٥)؛ وابن خزيمة (٢٩٧٤)؛ وابن حبـان (٦٦٤٥)؛ وذكره الحافظ في الفتح: ٢٥٧/١٠ (٤٦٥٥) وسكت عليه، فهو حسن على قاعدته.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٤٤)؛ والنسائي في الكبرى (٨٤٠٦)؛ وأحمد (١٣٢١٤)؛ وقال الترمذي: حسن غريب، وحسنه الحافظ في الفتح: ٢٥٧/١٠ـ٢٥٨ (٤٦٥٦)، وحسنه الألباني.

(٣) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد المسند (١٢٩٦)، وحسَّنه أحمد شاكر.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ٤١٤/٢؛ وانظر: الفتح: ٢٥٨/١٠.

وقال في موضع آخر: (بعث رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه بعد أبي بكر الصديق، ليكون معه، ويتولّى عليٌّ بنفسه إبلاغَ البراءة إلى المشركين نيابةً عن رسول الله ﷺ، لكونه ابنَ عمّه من عَصَبَتِه)(١).

وقال ابن تيمية: (بعث النبي ﷺ أبا بكر أميراً على الموسم، وأردَفَه بعليٍّ، فقال لعليٍّ: أميرٌ أم مأمورٌ؟ فقال: بل مأمور. فكان أبو بكر أميراً عليه، وعليٌّ معه كالمأمور مع أميره: يصلي خَلْفَه، ويُطيع أمرَه، وينادي خلفه مع الناس بالموسم: ألَا لا يَحج بعد العام مشركٌ، ولا يَطوف بالبيت عُريان.

وإنما أردفه به لينبِذَ العهدَ إلى العرب، فإنه كان من عادتهم أن لا يَعقد العقود ويَنبذها إلا السيد المطاع، أو رجلٌ من أهل بيته، فلم يكونوا يَقبلون نقضَ العهود إلا من رجل من أهل بيت النبي ﷺ)(٢).

نقول: حديث أنس المتقدم حسَّنه الترمذي والحافظ ابن حجر والألباني كما قدّمنا، وضَعَّفه شعيب الأرنؤوط(٣)**، وبالَغَ ابنُ تيمية فعَدَّه من الكَذِب، ونقل عن الخَطّابي قوله:** (عامة مَن بَلّغ عنه ﷺ غيرُ أهل بيته؛ فقد بعث رسول الله ﷺ أسعد بن زرارة إلى المدينة يدعو الناس إلى الإسلام، ويعلم الأنصار القرآن، ويفقههم في الدين. وبعث العلاء بن الحَضْرمي إلى البحرين في مثل ذلك. وبعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن. وبعث عَتّاب بن أَسيد إلى مكة. فأين قولُ من زعم أنه لا يبلِّغ عنه إلا رجل من أهل بيته؟!)(٤).

وليس الأمر كما ظَنَّ الخَطّابي وأيَّده ابن تيمية من أن المراد بالبلاغ هو تبليغ الدعوة ورسالة الإسلام، بل كما قال الحافظ ابن حجر: المراد منه

(١) البداية والنهاية: ٣٧/٥.
(٢) منهاج السُنَّة: ٢٦٥/٤_٢٦٦.
(٣) سنن الترمذي: ٣٢٣/٥ (٣٣٤٤)، ٢٩١/٦_٢٩٢ (٤٠٥٣).
(٤) منهاج السُنَّة: ٢٣٨/٣_٢٣٩.

خصوص القصة لا مُطلَق التبليغ[١]. بل إن ابن تيمية نفسه قال ذلك كما نقلنا كلامه في الفقرة السابقة!.

سابعاً: النبي ﷺ يبعث علياً إلى اليمن داعياً وقاضياً:

•• في سنة (٩هـ) تقاطرت الوفود إلى المدينة من كل وجه يدخلون في دين الله أفواجاً، وفيها وفد الأشعريين وأهل اليمن.

وبعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام، ومعه نفر من المسلمين، وبعد ستة أشهر بعث عليّاً[٢].

عن البراء بن عازب: (أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام، قال البراء: فكنتُ فيمن خرج مع خالد بن الوليد، فأقمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام، فلم يُجيبوه. ثم إن رسول الله ﷺ بعث علي بن أبي طالب، وأمره أن يُقْفِلَ خالداً إلا رجلاً ممن كان مع خالد فأحَبَّ أن يُعَقِّب مع عليٍّ فَلْيُعَقِّبْ معه. قال البراء: فكنتُ فيمن عَقَّبَ مع علي، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا، ثم تقدم فصلَّى بنا عليٌّ، ثم صفَّنا صفّاً واحداً، ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتابَ رسول الله ﷺ، فأسلمتْ هَمْدانُ جميعاً. فكتب علي إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم، فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خَرَّ ساجداً ثم رفع رأسه فقال: «**السَّلامُ على هَمْدانَ، السلامُ على هَمْدان**»)[٣].

وهذه منقبة جليلة لعليٍّ رضي الله عنه حيث أسلمتْ قبيلة هَمْدان جميعها على يديه.

(١) الفتح: ٢٥٥/١٠ شرح الحديث (٤٦٥٦).

(٢) انظر: زاد المعاد: ٥٤٤/٣ ـ ٥٤٥؛ البداية والنهاية: ١٠٥/٥ ـ ١٠٧.

(٣) أخرجه البخاري مختصراً (٤٣٤٩)؛ والبيهقي في السنن الكبرى: ٣٦٩/٢ واللفظ له.

●● **وفي هذا البعث أيضـاً أبرز النبي ﷺ مكانة علي من قلبه ومنزلته في الإســلام، من خلال بعض الأحداث التي جرت له مع بعض الصحابة رضي الله عنهم جميعاً.**

عن عبد الله بن بُرَيْدة بن الحُصَيْب قال: (حدثنـــي أبي قال: لم يكن أحدٌ من الناس أبغضَ إليَّ مـــن علي بن أبي طالب، حتى أحببتُ رجلاً من قريش لا أُحِبُّــه إلا على بَغْضاء عليٍّ! فبُعث ذلك الرجل علــى خيل، فصحبتُه، وما أصحبه إلا على بغضاء علي! فأصاب ســبياً، فكتب إلــى النبي ﷺ أن يَبعثَ إلى من يُخَمِّسه، فبعث إلينا عليّاً، وفي السبي وَصِيفةٌ من أفضل السبي، فلما خمَّســه صارت الوصيفة فــي الخمس، ثــم خمَّس فصارت فــي أهل بيت النبي ﷺ، ثم خمَّس فصارت في آل علي، فأتانا ورأسُه يَقْطُر، فقلنا: ما هذا؟ فقــال: ألم تــروا الوصيفة؟ صارت فــي الخمس، ثم صارت فــي أهل بيت النبي ﷺ، ثــم صارت في آل علــي، فوقعت عليها. فكتــب وبعثني مصدِّقاً لكتابه إلى النبــي ﷺ، مصدِّقاً لِما قــال علي. فجعلتُ أقــول عليه، ويقول: «صَدَق»، وأقول، ويقول: «صدق»، فأمسك بيدي رسولُ الله ﷺ وقال: «**أَتُبغِضُ عليّاً؟**» فقلت: نعم، فقال: «**لا تُبغِضْهُ، وإنْ كنتَ تحبُّــه فازدَدْ له حُبّاً، فوالذي نفسي بيده لَنَصيبُ آل علي في الخمس أفضلُ من وَصيفة!**» فما كان أحدٌ بعد رسول الله ﷺ أحبَّ إليَّ من عليٍّ.

قال عبد الله بــن بُريدة: والله ما في الحديث بينـــي وبين النبي ﷺ غيرُ أبي)[١].

فانظر إلى هذا الموقف العظيم من رســول الله ﷺ وهو يبرِّئ عليّاً ـ وهو بــريءٌ ـ ويُعلِي مكانته، ويشــيد بمنزلته وفضله! ثم تأمــل موقف الصحابي

---

(١) أخرجه البخــاري بأخصر منــه (٤٣٥٠)؛ والنســائي فــي الكبــرى (٨٤٢٨) واللفظ له؛ والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣٠٥١)، وغيرهم.

بريدة وهو يُخرج مكنون صدره، فتتناقله الأجيال عبر الزمان، ثم ما آل إليه حاله بعد تلك الصراحة المدهشة، وبعد أن أظهر له النبي ﷺ صحة موقف علي ـ فأسرع إلى الحق وأناب، وانقلب بكلّيته حبّاً وإجلالاً لعلي لا يفوقه إلا حبه النبي ﷺ!.

●● وزاد فضلُ الله على علي، وإكرامُ النبي ﷺ له، وتنمية شخصيته وإبراز مَلَكاته، وحياطتُه والدعاء له؛ بأنه بعثه إلى اليمن قاضياً ومعلماً، وعمره إذ ذاك (٣٢) سنة، ففتح الله له القلوب، ووفَّقه في عمله، وسدَّده في أقضيته.

عن علي قال: (بَعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن وأنا شاب، فقلت: يا رسول الله، تبعثني وأنا شاب إلى قوم ذوي أسنان لأقضيَ بينهم ولا علمَ لي بالقضاء؟! فوضع يده على صدري، ثم قال: «**إن الله سيهدي قلبك ويثبِّت لسانك. يا عليُّ، إذا جلس إليك الخصمان فلا تقضِ بينهما حتى تسمع من الآخر كما سمعتَ من الأول، فإنك إذا فعلتَ ذلك تبيَّن لك القضاء**» قال علي: فما أَشكَلَ علَيَّ قضاءٌ بعدُ)[1].

ثامناً: مع النبي ﷺ في حجة الوداع:

في السنة العاشرة للهجرة أعلن رسول الله ﷺ أنه حاجٌّ هذا العام، فلم يترك علي تلك الفرصة الجليلة تفوته، فأمَّر على اليمن رجلاً مكانه، وأَغَذَّ السير إلى مكة فوافى النبيَّ ﷺ هناك، وحج معه وأخذ عنه المناسك، وقام ببعض المهمات التي أمره بها النبي ﷺ.

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٣٦٦)؛ وأبو داود (٣٥٨٢)؛ وابن ماجه (٢٣١٠)؛ وأحمد (٨٨٢)؛ وحسنه الحافظ في الفتح: ٥٥٣/١٦ (٧١٨٠)، وصحَّحه أحمد شاكر وشعيب الأرنؤوط.

في حديث جابــر الطويل في (صفة حَجَّة النبي ﷺ)؛ قــال جابر: (وقَدِم عليٌّ من اليمن بِبُدْن النبي ﷺ... فقال له ﷺ: «**ماذا قلتَ حين فَرَضْتَ الحجَّ؟**» قــال: قلتُ: اللَّهمَّ إني أُهِلُّ بما أَهَلَّ به رسولُك، قــال: «**فإن معي الهديَ، فلا تَحِلَّ**». قال: فكان جماعةُ الهَدْي الذي قدِم بــه علي من اليمن والذي أتى به النبي ﷺ مئةً. قــال: فحَلَّ الناس كلُّهم وقَصَّــروا، إلا النبيَّ ﷺ ومن كان معه هَدْي) الحديث، وفـي آخره: (ثم انصرف ﷺ إلى المَنحر، فنَحَر ثلاثاً وستيـن بيده، ثم أعطـى عليّاً فنَحَر ما غَبَر، وأَشْــرَكه في هَدْيه. ثم أَمــر من كل بَدَنةٍ بِبَضْعَة، فَجُعِلت في قِدْر فطُبخت، فأكَلَا من لحمها، وشَرِبا من مَرَقها)[١].

وعن عبدالرحمن بن أبي ليلى: (أن عليّاً حدَّثه قال: أَهدى النبي ﷺ مئةَ بَدَنةٍ، فأَمَرني بلحومها فقَسَمْتُها، ثم أمرني بجلالها فقسَمتُها، ثم بجلودها فقسمتها)[٢].

ووصف أعمالَ النبي ﷺ في حجته وأَداءَه المناسك، وهو يؤديها معه[٣].

وعن رافع بن عَمْرو المُزنــي قال: (رأيتُ رســولَ الله ﷺ يَخطُب الناسَ بِمِنًى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباءَ، وعليٌّ رضي الله عنه يُعَبِّر عنه، والناسُ بين قائمٍ وقاعدٍ)[٤].

ومعنى (**يعبِّر عنه**): أي يُسمِع الناسَ ما عسى أن يخفَى عليهم.

وعن أم مســعود الأنصارية قالت: (لَكَأنِّي أنظــرُ إلى عليّ بن أبي طالب وهو على بغلة رســول الله ﷺ البيضاء، حين وقف على شِــعْب الأنصار في

(١) أخرجه مســلم (١٢١٨)، وتقــدم طرف منه مــع تخريجه: ص٧٨ حاشــية (٢) في هذا الكتاب.
(٢) أخرجه البخاري (١٧١٨)؛ ومسلم (١٣١٧)؛ وأبو داود (١٧٦٩)؛ وغيرهم.
(٣) انظر: الترمذي (٩٠٠).
(٤) أخرجه أبو داود (١٩٥٦)؛ وبأطول منه النســائي في الكبرى (٤٠٧٩)، وصحَّحه شــعيب الأرنؤوط والألباني.

حَجَّة الوداع، وهو يقول: أيها الناس، إن رسول الله ﷺ يقول: «**إنها ليست بأيامِ صيامٍ، إنما هي أيامُ أكلٍ وشُربٍ وذِكْر**»[1].

تاسعاً: يوم غَدِير خُمّ:

قدَّمنا أن رسول الله ﷺ بعث عليّاً إلى اليمن داعياً وأميراً، وأنه رضي الله عنه أخذ جارية من الخُمس وجامَعَها، فغضب لذلك بعض الصحابة! وفي واقعة أخرى لما غادر عليٌّ اليمن ليحجَّ مع النبي ﷺ، أمَّر مكانه رجلاً، فقام هذا بالتخفيف على الناس؛ فأَذِنَ لهم بركوب الإبل وكَسَا كلَّ رجل حُلَّة، فلما رجع عليٌّ إليهم لامَ الأميرَ على ذلك الفعل، واسترجَع الحُلل، ومَنَعهم من ركوب إبل الصدقة! فرأوا أنه قد ضَيَّق عليهم في هذا، فشَكَوه إلى النبي ﷺ، وتكلَّموا فيه، وأظهروا بُغْضَهم له! فَنَهاهم ﷺ عن ذلك أشد النهي، وبرّأ عليّاً وامتدحه وأثنى عليه، وأمر الصحابة بحبِّه وموالاتهِ، ومن ذلك ما ذكرناه من حديث الصحابي بُريدة بن الحُصَيْب.

وفي هذا السياق يجري موقفُ صحابة آخرين، منهم: عَمْرو بن شاس، وأبو سعيد الخُدْري، وعِمْران بن حُصَيْن، كما صرَّحت الروايات بأسمائهم.

عن مُطَرِّف بن عبد الله، عن عِمران بن حُصَيْن قال: (بعث رسول الله ﷺ جيشاً، واستعمل عليهم عليَّ بن أبي طالب، فمضَى في السَّريَّة، فأصاب جارية، فأنكروا عليه، وتعاقد أربعةٌ من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: إذا لَقِينا رسولَ الله ﷺ أخبرناه بما صنَع علي. وكان المسلمون إذا رجعوا من سفر بدؤوا برسول الله ﷺ فسلَّموا عليه، ثم انصرفوا إلى رِحالهم. فلما قَدِمت السَّريّة، سلَّموا على النبي ﷺ، فقام أحدُ الأربعة فقال: يا رسول الله، ألم ترَ إلى علي بن

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٢٨٩٩-٢٩٠١)؛ وأحمد (٧٠٨)؛ والحاكم: ١/٤٣٤-٤٣٥ وصحَّحه ووافقه الذهبي.

أبي طالب صنع كذا وكذا؟! فأَعْرَضَ عنه رسول الله ﷺ. ثم قام الثاني فقال مِثلَ مقالته، فأعرضَ عنه. ثم قام إليه الثالث فقال مثل مقالته، فأعرض عنه. ثم قام الرابع فقال مثلَ ما قالوا، فأقبل إليه رسول الله ﷺ والغضبُ يُعرف في وجْهِه، فقال: «ما تريدون من عليٍّ؟! ما تريدون من علي؟! ما تريدون من علي؟! إن علياً منِّي وأنا منه، وهو وَليُّ كلِّ مؤمنٍ من بعدي!»[1].

وكَثُر في عليٍّ القيلُ والقال من ذلك الجيش؛ بسبب منعِه إياهم استعمالَ إبل الصدقة واسترجاعِه منهم الحُلَلَ التي أطلَقها لهم نائبه. وعليٌّ معذور في ما فَعَل، لكن اشتهر الكلام فيه في الحجيج، فلذلك ـ والله أعلم ـ لما رجع رسول الله ﷺ من حَجَّته، وتفرَّغ من مناسكه، ورجع إلى المدينة، فمرَّ (بغديرِ خُمٍّ)؛ قام في الناس خطيباً فبرّأ ساحة علي، ورفع من قَدْره ونبَّه على فضله، ليزيلَ ما وَقَرَ في نفوس كثير من الناس.

فقام سيدنا رسول الله ﷺ فخَطَب بمكان بين مكة والمدينة ـ مَرجِعَه من حَجَّة الوداع ـ قريب من الجُحْفَة يُقال له: (غَدِير خُمّ)؛ فبيَّن فيها فضل علي، وبراءةَ عِرْضه مما كان تكلم فيه بعضُ مَن كان معه بأرض اليمن، بسبب ما كان صدر منه إليهم من المَعْدَلة التي ظنَّها بعضهم جَوْراً وتضييقاً وبُخلاً، والصواب كان معه في ذلك. ولهذا لما تفرَّغ النبي ﷺ من بيان المناسك، ورجع إلى المدينة، بيَّنَ ذلك في أثناء الطريق؛ فخطب خطبة عظيمة في (يوم الأحد ١٨ ذي الحجة سنة ١٠هـ) بغَدير خُمّ تحت شجرة هناك، فبيَّن فيها أشياء، وذكر من فضْل عليٍّ وأمانته وعدله وقُرْبه إليه، ما أزاح به ما كان في نفوس كثير من الناس منه[2].

---

(١) أخرجه الترمذي (٤٠٤٥)؛ والنسائي في الكبرى (٨٤٢٠)؛ وأحمد (١٩٩٢٨)؛ وابن حبان (٦٩٢٩)؛ وغيرهم، وقال الترمذي: حسن غريب، وصحَّحه الألباني، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي.

(٢) البداية والنهاية: ١٠٦/٥، ٢٠٨.

وقد رويت في تلك الحادثة أحاديث كثيرة جدّاً، فيها الصحيح والضعيف والباطل المكذوب، ونشير هنا إلى شذرة مما صحَّ، وسيأتي في فصل لاحق طرف من الأحاديث الباطلة في هذا الباب وغيره[١].

١ ـ عن زيد بن يُثَيْع قال: (سمعتُ عليَّ بن أبي طالب يقول على مِنبر الكوفة: إني مُنشِدٌ اللهَ رجلاً، ولا أَنشُدُ إلا أصحابَ محمد ﷺ؛ مَن سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خُمٍّ: «**مَنْ كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ، اللَّهمَّ والِ مَن والاهُ وعادِ مَن عاداهُ**»؟ فقام ستة من جانب المنبر، وستة من الجانب الآخر، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول ذلك)[٢].

٢ ـ وعن فِطْر بن خليفة، عن أبي الطُّفَيْل قال: (جمع عليٌّ رضي الله عنه الناسَ في الرَّحْبة، ثم قال لهم: أَنْشُد اللهَ كل امرئ مسلم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غَدِير خُمٍّ ما سمع؛ لَمَا قام، فقام ثلاثون من الناس، فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس: «**أتعلمون أنِّي أَوْلى بالمؤمنين من أنفسهم؟**» قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «**مَن كنتُ مولاه فهذا مولاهُ، اللَّهمَّ والِ من والاه وعادِ من عاداه**». قال: فخرجتُ وكأنَّ في نفسي شيئاً، فلقيتُ زيدَ بن أَرْقَم، فقلت له: إني سمعتُ عليّاً يقول كذا وكذا! قال: فما تُنكِر، قد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول ذلك له)[٣].

٣ ـ وعن أبي الطفيل، عن زيد بن أَرْقَم قال: (لمّا رجع رسول الله ﷺ من حَجّة الوداع، ونزل غَدير خُمٍّ، أَمَر بدَوْحاتٍ فَقُمِمْنَ، ثم قال: «**كأني قد دُعِيتُ**

---

(١) انظر: ص ٢٢٣ ـ ٢٢٩ في هذا الكتاب.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٤١٩)؛ وعبدالله بن أحمد في زوائد المسند (٩٥٠)؛ وجاء عن علي من تسع طرق، وصحّحه أحمد شاكر، والألباني في الصحيحة: ٣٣٧/٤ـ٣٤٠.

(٣) أخرجه أحمد: (١٩٣٠٢)؛ وابن حبان (٦٩٣١)، وصحّحه شعيب الأرنؤوط؛ وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط البخاري، الصحيحة: ٣٣١/٤.

فأجبتُ، إني قد تركتُ فيكم الثَّقَلَيْن، أحدُهما أكبرُ من الآخر: كتاب الله، وعِترتي أهلَ بيتي، فانظروا كيف تَخْلُفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يَردا عليَّ الحوض». ثم قال: «**إن الله مولاي، وأنا وليُّ كل مؤمن**»، ثم أخذ بيدِ عليٍّ فقال: «**مَن كنتُ وليَّه فهذا وليُّه، اللَّهمَّ والِ مَن والاهُ، وعادِ من عاداه**». فقلتُ لزيدٍ: سمعتَهُ من رسول الله ﷺ؟ قال: ما كان في الدَّوْحاتِ رجلٌ إلا رآهُ بِعَينِه وسمعَه بأُذُنِه)[(١)].

وهذا الحديث معروف بـ (حديث الغَدِير)، وطُرقه كثيرة جدّاً، وقد رواه عن النبي ﷺ غيرُ من ذكرناهم: أبو أيوب الأنصاري، وجابر، وابن عمر، وطلحة، وسعد بن أبي وقّاص، وحُبْشِي بن جُنَادة، والبَرَاء بن عازب، وابن عباس، وبُريدة بن الحُصيب، وأنس، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخُدْري.

وأطنب ابن عساكر في ذكر طرقه[(٢)]، وأفرده بالتصنيف جماعة: منهم الطبري، والدَّارَقُطْني، وابن عُقْدة الشيعي. وأورد طرفاً جيداً منها الحافظ ابن كثير وصَحّح كثيراً منها[(٣)]، ونقل عن شيخه الحافظ الذهبي ذلك أيضاً، وقال: قال شيخنا أبو عبدالله الذهبي: (وصَدْرُ الحديث متواترٌ أتيقَّنُ أن رسول الله ﷺ قالَه، وأما: «**اللَّهمَّ والِ مَن والاهُ، وعادِ من عاداه**» فزيادةٌ قوية الإسناد).

وأورد خلاصتها العلّامة الألباني في «الصحيحة»[(٤)]، وقال في آخر كلامه: (وقد ذكرتُ وخرَّجتُ ما تيسَّر لي من طُرقه، مما يَقطَع الواقف عليها بعد

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٠٩٢)؛ والحاكم: ٣/١٠٩ـ١١٠؛ والطبراني (٤٩٦٩)؛ وأخرجه مختصراً: الترمذي (٤٠٤٦)؛ وعبدالله بن أحمد في زوائد المسند (٩٥٢)؛ وصحَّحه أحمد شاكر، والألباني في الصحيحة: ٤/٣٣٠ (١٧٥٠).

(٢) في ترجمة علي: ١/٣٦٤ـ٣٨٥، و٢/٥ـ٨٦.

(٣) البداية والنهاية: ٥/٢٠٨ـ٢١٤.

(٤) الصحيحة: ٤/٣٣٠ـ٣٤٤.

تحقيق الكلام على أسانيدها بصحةِ الحديث يقيناً، وإلا فهي كثيرة جدّاً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، قال الحافظ ابن حجر: منها صحاح ومنها حسان)[١].

وأما الإمام ابن تيمية فقد ضَعَّف قوله ﷺ: «**مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه**»، وحكم بكذبِ: «**اللَّهمَّ والِ مَن والاه، وعادِ من عاداه!**»[٢] وهذا من أخطائه وتسرعه رحمه الله !.

وقد ردَّ العلّامة الألباني عليه، فقال: (ورأيتُ شيخَ الإسلام ابن تيمية قد ضَعَّف الشطرَ الأول من الحديث، وأما الشطر الآخر فزَعَم أنه كَذِبٌ! وهذا من مبالغاته الناتجة في تقديري من تسرُّعهِ في تضعيف الأحاديث قبل أن يجمع طُرقها ويدقّق النظرَ فيها).

وقال في موضع آخر: (فمن العجيب حقّاً أن يتجرَّأ شيخُ الإسلام ابن تيمية على إنكارِ هذا الحديث وتكذيبهِ في «منهاج السُّنَّة»...)[٣].

قال ابن كثير: وقد اتخذت الروافض هذا اليوم عيداً، فكانت تضرب فيه الطبول ببغداد في أيام (بني بُوَيْه) في حدود سنة (٤٠٠هـ). ثم بعد ذلك بنحو من عشرين يوماً تُعَلَّق المُسوح على أبواب الدكاكين، ويُذرّ التِّبْن والرماد، وتدور الذراري والنساء في سِكك البلد تنوح على الحسين بن علي يوم عاشوراء صبيحة قراءتهم المصرع المكذوب في قتله[٤]!.



(١) السلسلة الصحيحة: ٣٤٣/٤؛ وكلام ابن حجر في الفتح: ٦٦٨/٨، آخر مناقب علي.
(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ٤١٧/٤ـ٤١٨؛ منهاج السُّنَّة: ٢٥٢/٤ـ٢٥٩.
(٣) السلسلة الصحيحة: ٣٤٤/٤، ٢٦٣/٥ـ٢٦٤.
(٤) البداية والنهاية: ٣٣٥/٧ـ٣٣٦.

الفصل الثاني

مشاهدُه مع النبيِّ ﷺ وبطولاتُه

من أبرز معالم شخصية عليٍّ إن لم تكن أبرزَها شجاعتُه وجرأتُه وبطولته وقوته، شهد ساحات الوغى، وخاض غمرات الحروب، ونازل أشداء الأبطال، فكان سيفه شهاباً رَصَداً لأعداء الإسلام، يرميهم بالدواهي، ويُلبِسهم ثيابَ الخزي والهزيمة، وكان صدره درعاً واقية للدعوة ونصرتها من أول يوم وقع فيه الصدام مع قوى الشرك والوثنية.

كان في المعركة كالفئة المتراصة من الرجال، ثابتَ القدم، رابطَ الجأش، عفيفَ النفس، تام اليقظة، كثيرَ التلفُّت والحركة، ما فرَّ من حرب، ولا خاف من جيش، ولا انكسر له سيف، ولا سقطت له راية، وما واجه أحداً إلا هزمه، ولا بارز قِرْناً إلا انتصف منه، معقودٌ برايته الظَّفَر، منصور على من لاقاه، رضي الله عنه وأرضاه.

شهد مع رسول الله ﷺ جميعَ مشاهده وغزواته، ما عدا غزوة تبوك حيث استخلفه ﷺ على المدينة، وقاد بعض السرايا فوفى بالغرض وحقق المراد.

لكن من الكذب السَّمْج قولُ محمد جواد مغنيَّة: (لما جُمعت له ﷺ الجموع في بدر وأُحُد والأحزاب، كان عليٌّ سيفَ الله على أعدائه، ولولاه ما قال قائل: لا إله إلا الله محمد رسول الله!)[1].

---

(١) فضائل الإمام علي: ٣٠ـ٣١.

وهو كلام يَعرف بطلانَه صبيانُ المكاتب! وقد سبقه إلى مثل هذا إمامه ابن المُطَهَّر الحِلِّي حيث يقول عن عليٍّ: (بسـيفه ثبتَتْ قواعدُ الإسـلام، وتشيَّدت أركان الإيمان) وعلق ابـن تيمية عليه فقال: (فهذا كـذب ظاهر لكل من عرف الإسـلام، بل سـيفه جزء من أجزاء كثيرة، جزء من أجزاء أسباب تثبيت قواعد الإسـلام، وكثيرٌ من الوقائع التي ثبت بها الإسلام لم يكن لسـيفه فيها تأثير، كيوم بدر: كان سيفاً من سيوف كثيرة)[١].

أولاً: في الغزوات:

١ ـ في غزوة العُشيرة[٢]:

علمَ النبي ﷺ أن عِيراً لقريش خرجت من مكة متجهة إلى الشام، فخرج في مئتين من المهاجرين يعترض تلك العِير، وسـار حتى بَلَغ ذا العُشـيرة، فوجد العير قد فاتَتْه، فوادع بني مُدْلِج ثم عاد إلى المدينة.

وقد شهد علي هذه الغزوة مع النبي ﷺ، وفيها كَنَّاه بأبي تُراب[٣].

٢ ـ في غزوة بدر الأولى:

وبعد «العُشـيرة» بليالٍ أغار كُرْز بن جابر على سَـرْح[٤] المدينة، فخرج النبي ﷺ في طلبه، وحمل لواءَه علي بن أبي طالب، وسـار حتى بلغ (وادي سَفْوان) من ناحية بَدْر، فهرب كُرْز، ولم يدركْه النبي ﷺ فرجع إلى المدينة[٥].

(١) منهاج السُّنَّة: ٤٢٥/٤ـ٤٢٦، ٤٣٣ـ٤٣٤.
(٢) أول قرى وادي ينبع النخل مما يلي الساحل.
(٣) السيرة، لابن هشام: ٥٩٨/١ـ٦٠٠؛ طبقات ابن سعد: ٩/٢ـ١٠؛ فضائل الصحابة، لأحمد (١١٧٢)؛ المسـتدرك: ١٤٠/٣ـ١٤١ وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبـي. وانظر ما كتبناه: ص ٧٥ في هذا الكتاب، عن كنيته بأبي تراب.
(٤) هي الإبل والمواشي التي تسرح للرعي بالغداة.
(٥) السيرة، لابن هشام: ٦٠١/١؛ طبقات ابن سعد: ٩/٢.

٣ ـ في غزوة بدر الكبرى:

وفي رمضان من سنة (٢هـ) خرج رسول الله ﷺ لاعتراض عِير قريش ـ التي فاتته في غزوة العُشَيْرة، وكانت في ألف بعير ـ وهي عائدة من الشام إلى مكة، وعليها أبو سفيان، وفيها معظم أموال قريش. وانتَدَب النبيُّ ﷺ أصحابه للخروج، وقدَّر الله ﷻ أن تكون أول معركة فاصلة بين المسلمين ومشركي مكة، وكان لعليٍّ فيها مواقف مشهورة، ومكارم مأثورة، تناقلَتْها ألسنة المحدثين والمؤرخين، ولا تزال نبراساً للأجيال في الشجاعة والبطولة والفداء والتضحية والذِّكْر الجميل.

وكان علي آنذاك ابنَ خمس وعشرين سنة.

وكانت إبل المسلمين يومئذٍ سبعين بعيراً، يتناوب كل ثلاثة على بعير.

يروي زِرُّ بن حُبَيْش، عن عبدالله بن مسعود: (أنهم كانوا يوم بَدْر بين كل ثلاثةٍ بعيرٌ، وكان زميلَيْ رسول الله ﷺ عليٌّ وأبو لبابة، فإذا حانت عُقْبَةُ النبي ﷺ قالا: اركَبْ ونحن نمشي، فيقول النبي ﷺ: «**ما أنتما بأقوى منِّي، وما أنا بأغنى عن الأجرِ منكما**»)[١].

ودفع النبي ﷺ اللواءَ إلى مصعب بن عُمير، وكان أبيضَ، وأمامه ﷺ رايتان سوداوان، إحداهما مع عليٍّ يُقال لها: (العُقَاب)، والأخرى مع بعض الأنصار[٢].

وكان علي يومَ بدر مُعْلَماً بصوفة بيضاء، أي: جعل لنفسه علامة ليُعْرَف بها!.

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٧٥٦)؛ وأحمد (٣٩٠١)؛ وابن حبان (٤٧٣٣)، وغيرهم. وحسنه شعيب الأرنؤوط. عقبته: نوبته في المشي.

(٢) السيرة، لابن هشام: ٦١٢/١ـ٦١٣؛ سبل الهدى والرشاد: ٣٩/٤.

•• عن علي ﷺ قال: (تقدَّم ـ يعني: عُتبة بن ربيعة ـ، وتبعَه ابنُه وأخوه، فنادى: من يُبارز؟ فانتَدَب له شبابٌ من الأنصار، فقال: من أنتم؟ فأخبروه، فقال: لا حاجةَ لنا فيكم، إنما أردنا بني عَمِّنا! فقال رسول الله ﷺ: «**قُمْ يا حمزةُ، قم يا عليُّ، قم يا عُبيدةُ بن الحارث**» فأقبل حمزة إلى عُتْبة، وأقبلتُ إلى شيبة، واخْتُلِف بين عبيدة والوليد ضربتان، فأَثْخَنَ كلُّ واحد منهما صاحبَه، ثم مِلْنا على الوليد فقتلناه، واحتَمَلْنا عُبيدة)[١].

وقد نزل قرآن كريم في هؤلاء الذين تبارزوا يوم بدر، فعن قيس بن عُبَاد، عن علي بن أبي طالب: أنه قال: (أنا أولُ مَن يَجْثُو بين يدَي الرحمن للخُصومةِ يومَ القيامة، وقال قيس بن عُبَاد: وفيهم أُنزِلت: ﴿**هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ**﴾ [الحج: ١٩]، قال: هم الذين تبارزوا يومَ بَدْر: عليٌّ وحمزةُ وعُبيدة بن الحارث، وشيبةُ بن ربيعة وعُتبة بن ربيعة والوليدُ بن عتبة)[٢].

وقتل علي عدداً من رجال المشركين، وشارك في قتل آخرين[٣].

وأما قولُ ابنِ المُطَهَّر الحِلِّي: (قَتَل عليٌّ منهم ستة وثلاثين رجلاً بانفراده، وهم أعظمُ من نصف المقتولين، وشَرَك في الباقين). ومثله قول الشيخ المفيد، وأقرَّه عليه محمد جواد مغنية[٤]. **فهو من الكذب البيِّن المفترى باتفاق أهل العلم العالمين بالسِّيَر والمغازي، ولم يذكر هذا أحد يُعتمد عليه في النقل**[٥].

•• وفي تلك المعركة زفَّ النبيُّ ﷺ بشرى جليلة لأبي بكر ولعلي، أكرمهما الله تعالى بها:

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٦٥)؛ وبأطول منه: أحمد (٩٤٨)؛ وابن أبي شيبة: ٤٧٢/٨ـ٤٧٣، وغيرهم، وصحَّحه أحمد شاكر والألباني.

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٦٥)؛ والنسائي في الكبرى (٨٥٩٦).

(٣) انظر: السيرة، لابن هشام: ٧٠٨/١ـ٧١٣.

(٤) منهاج السُّنَّة: ٤٣٦/٤؛ فضائل الإمام علي، ص ٩٨.

(٥) منهاج السُّنَّة: ٤٣٦/٤.

عن علي بن أبي طالب قال: قال لـــي النبي ﷺ ولأبي بكر: «**مع أحدِكما جبريلُ ومع الآخَر ميكائيلُ، وإســرافيلُ مَلَكٌ عظيم يَشهد القتال ويكون في الصف**»[١].

وأما ما يُروى عن أبي جعفر الباقر قال: (نادى منادٍ في الســماء يوم بدر يُقال له رضوان: لا سيفَ إلا ذو الفَقَار، ولا فتى إلا علي)[٢].

فقد حكَم عليه كثير مـــن الأئمة بالوضع[٣]، وأخــفُّ الأقوال فيـه أنه مرسَـــل ضعيف. وهو مردودٌ من حيـــثُ المتنُ: فــإن (ذا الفقـار) لم يكن لعليٍّ، وإنما كان ســيفاً من ســيوف أبي جهـل غَنِمه المسلمـون منه يوم بدر، فلم يكن يوم بدر (ذو الفَقَار) من ســيـوف المسلمين، بل من سيوف الكفـار، كما روى ذلك ابـــن عباس: (أن النبيَّ ﷺ تَنفَّلَ ســيفَه ذا الفَقَار يـومَ بدرٍ، وهو الذي رأى فيـه الرؤيـا يوم أُحُد)[٤].

٤ ـ في غزوة أُحُد:

في ســنة (٣هـ) زحفت قريش ببأْوِها وخُيلائها إلـــى المدينة المنوّرة تريد اســترداد هيبتها التي مُرِّغَت في التراب، وتثأر لقتلاها الســبعين في غزوة بدر.

كان لواء المســلمين مع الصحابي الجليل مصعب بن عُمير، فلما قضى شهيداً، أعطى النبي ﷺ اللواءَ عليَّ بن أبي طالب، فقاتل أشد القتال.

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٥٦)؛ وابن أبي شـيبة: ٤٦٩/٨؛ وابن سـعد: ١٧٥/٣ـ١٧٦؛ والحاكم: ٦٨/٣، ١٣٤، وصحَّحه وأقره الذهبي، وصحَّحه أحمد شاكر.

(٢) تاريخ ابن عساكر: ١٤١/١.

(٣) الموضوعات: ٣٨١/١ـ٣٨٢؛ اللآلئ المصنوعة: ٣٦٤/١ـ٣٦٥؛ تنزيه الشريعة: ٣٨٥/١.

(٤) أخرجه أحمد (٢٤٤٥)؛ والترمذي (١٦٤٨)؛ وابن ماجه (٢٨٠٨)، وصحَّحه أحمد شـاكر، وحسنه الألباني. وانظر: منهاج السُّنَّة: ٢٤٣/٤.

عن مَسْلَمة بن عَلْقمة المازني قال: لمَّا اشـتد القتال يوم أُحُد، جلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار، وأرسـل إلى علي أنْ قَدِّم الراية. فتقدَّم علي فقال: أنا أبو القُصَم! فناداه أبو سـعد بن أبـي طلحة ـ وهو صاحبُ لواء المشركين ـ: أنْ هل لك يا أبا القُصَم في البراز من حاجة؟ قال: نعم. فبرزَا بين الصفين، فاختَلَفا ضربتين، فضربه عليٌّ فصرَعَه، ثم انصرف عنه ولم يُجهز عليه، فقال له أصحابه: أفلا أجهزتَ عليه؟ فقال: إنه اسـتقبَلَني بعورته، فعَطَفَتْني عنه الرحـمُ، وعرفتُ أن الله عز وجل قد قتلـه. وأجهز عليه سعد بن أبي وقّاص[1].

ولمَّا خالَـف الرُّماة أمْرَ النبـيِّ ﷺ، وحاقَتِ الهزيمة بالمسـلمين، ثبتَ النبي ﷺ في وجْه العدو، وثَبَتَتْ معه عصابةٌ من المهاجرين والأنصار، منهم: أبو بكر، وعمر، وعلي، وطلحة[2].

ويحدِّث علي عن ذلك الموقـف العصيب فيقول: (لمَّا انجلَى الناس عن رسـول الله ﷺ يوم أُحُد، نظرتُ في القتلى فلم أرَ رسول الله ﷺ، فقلتُ: والله ما كان ليفرَّ! ولا أَراه فـي القتلى، ولكنْ أرى الله غضِـب علينا فيما صنعنا، فرَفع نبيَّه ﷺ! فما لي خيرٌ من أن أقاتل حتى أُقتل، فكسـرتُ جَفْنَ سيفي ثم حملت على القوم، فأفرَجُوا لي، فإذا أنا برسول الله ﷺ بينهم)[3].

وأصابَتْ عليّاً في ذلك اليوم سـت عشـرة ضربة[4]. ونالت الجراحُ من النبي ﷺ، فأحاط به أصحابه يداوون جراحه، وكان علي وفاطمة يغسلان عنه دمه الطاهر!.

---

(١) السيرة، لابن هشام: ٧٣/١ـ٧٤.
(٢) طبقات ابن سعد: ٤٢/٢؛ سبل الهدى والرشاد: ٢٩٢/٤.
(٣) مجمع الزوائد: ١١٢/٦؛ حياة الصحابة: ٥١٥/١ـ٥١٦.
(٤) مسند أبي يعلى: ٤١٥/١ـ٤١٦.

عـن أبي حـازم: أنه سـمع سَـهْل بن سـعد وهو يُسـأل عـن جُرْح رسول الله ﷺ فقال: (أمَا والله إني لأعرف من كان يَغسل جُرْحَ رسول الله ﷺ، ومن كان يَسْـكُب الماء وبما دُووي؛ قال: كانت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ تَغْسِله، وعلي يَسْكُب الماء بالمِجَنِّ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الـدم إلا كثـرةً، أخذتْ قطعـة من حَصيـر فأحرقتْهـا وألصقَتْها، فاستمسك الدم)[1].

٥ ـ في حَمْراء الأَسَد:

لما انتهت معركة أُحُد بما انتهت به وانصرف المشـركون، نادى قائدهم أبو سفيان ليُسمِع المسـلمين: موعدُكم الموسم ببدر، فقال النبي ﷺ: «**قولوا: نعم قد فعلنا**» فقال أبو سفيان: فذلكم الموعد. ثم انصرف هو وأصحابه، فظنَّ المسلمون أنهم قَصَدوا المدينة لإحراز الذراري والأموال، فشَقَّ ذلك عليهم، فقال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب: «**اخرُجْ في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون، فإنْ كانوا قد جَنَّبـوا الخيلَ وامْتَطَوا الإبلَ فإنهم يريدون مكة، وإنْ ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده لئن أرادوها، لأَسـيرنَّ إليهم فيها، ثم لأُناجِزَنَّهم**» قـال علي: فخرجتُ في آثارهم أنظرُ ماذا يصنعون، فجنَّبوا الخيل وامتَطَوا الإبل، ووجَّهُوا إلى مكة[2].

ومع ذلك فـإن النبي ﷺ عزم على ملاحقة قريـش، فخرج ومعه (٧٠٠) صحابي، حتى وصلوا حمراءَ الأَسَد ـ على مسافة (٢٠ كم) جنوب المدينة ـ وأقامـوا هناك ثلاث ليـالٍ، ثم عـادوا إلـى المدينة، وكان علـي مع ذلك الجيش[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٧٥)؛ ومسلم (١٧٩٠)؛ والترمذي (٢٢١٧)، وغيرهم.

(٢) السيرة، لابن هشام: ٩٤/٢؛ زاد المعاد: ٢١٦/٣.

(٣) السيرة، لابن هشام: ١٠١/٢ ـ ١٠٢؛ طبقات ابن سعد: ٤٨/٢ ـ ٤٩.

٦ ـ في غزوة الخندق:

في شوّال من سـنة (٥هـ) جاءت جموع الأحزاب من قريش وغَطَفان في (عشـرة آلاف مقاتل) إلى المدينة، يريدون في محاولة يائسة أخيرة استئصالَ الإسلام والمسلمين، وظاهَرَهم على ذلك يهود بني قُرَيْظة.

وكان المسـلمون قد حفـروا الخندق في السـهل الواقع شـمال غرب المدينة، والجانب المكشوف الذي يُخاف منه اقتحام العدو[1].

وفي هذه الوقعة تجلَّت عبقرية علي الحربية وبطولتُه وشـجاعته الفطرية والنفسـية والجسـمية والقتالية، وإيمانُه ويقينُه وإخلاصـه وثباته، وذلك في منازلته الفارسَ المشـهور الذي كان يُقوَّم بألفِ فـارس: (عَمْرو بن عبد ودّ) وقتلِه له!.

وكان (عمـرو) قد قاتل يوم بدر حتى أَثبَتَتْه الجراح فلم يشـهد أُحُداً، فلما كان يوم الخندق خرج مُعْلَماً ـ أي: جعل لنفسـه علامة ليُعرف بها ـ ليُـرى مكانـه، ووقف على الخندق واقتحمـه، ونـادى في المسـلمين: مَن يبارز؟.

فقام بطلُ الإسـلام وفـارسُ ميادينه علي بـن أبي طالب، فقـال: أنا يا رسـول الله، فقال له النبي ﷺ: «**اجلِسْ، إنه عَمْرو!**» فقال عمرو: أَلَا رجلٌ يُبارز؟ وجعل يؤنّب المسـلمين ويقول: أينَ جَنَّتكم التي زعمتُم أن من قُتل منكم دخلها؟! أفلا تُبرِزون إليَّ رجلاً! فقام عليٌّ فقال: أنا له يا رسـول الله، فقال له النبي ﷺ: «**اجلس**» ثم نادى عَمْرو الثالثةَ بشِـعرٍ يعيِّر به المسلمين، ويرميهـم بالجُبْن، فقام علي فقال: أنا يا رسـول الله، فقـال النبي ﷺ: «**إنه عَمْرو!**» فقال علـي: وإنْ كان عَمْراً! فأذِن له النبـي ﷺ، ودَعَا له، وعمَّمه،

(١) السيرة النبوية، للندوي، ص ٢٤٩ـ٢٥٠.

وأعطاه سيفه. فمشى إليه علي وهو مقنَّع بالحديد، فقال عمرو: مَن أنت؟ قال علي: أنا علي! فقال له عمرو: ابنُ عبد مناف؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، فقال عمرو: يا ابن أخي مِن أعمامك مَن هو أسنُّ منك؛ فإني أكره أن أُهْرِيق دَمَك! فقال له علي: لكنّي والله لا أكره أن أُهريق دمك!.

وفي رواية: قال له علي: يا عَمْرو، إنك كنتَ تقول في الجاهلية: لا يَدْعُوني أحدٌ إلى واحدة من ثلاث إلا قَبِلْتُها، قال: أَجَلْ. فقال علي: فإني أدعوك إلى أن تشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتُسلِم لربِّ العالمين، قال: يا ابن أخي أَخِّر عني هذه. قال: وأُخرى ترجع إلى بلادك، فإنْ يكُ محمد صادقاً كنتَ أسعدَ الناس به، وإن يكُ كاذباً كان الذي تريد، قال: هذا ما لا تُحدِّثُ به نساءُ قريش أبداً، وقد نَذرتُ ما نذرت، وحرَّمتُ الدُّهن. قال: فالثالثة؟ قال: البِراز. فضَحك عمرو، وقال: إن هذه لخصلةٌ ما كنتُ أظن أن أحداً من العرب يَرُومُني عليها! فمن أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، قال: يا ابن أخي، من أعمامِك من هو أسنُّ منك، فإني أكره أن أُهْريق دمك، فقال علي: لكني والله لا أكره أن أُهريق دمك! فغضب عمرو، فنزل عن فرسه وعَقَرها، وسَلَّ سيفَه كأنه شُعْلَةُ نار، ثم أقبل نحو علي مُغْضَباً، واستقبله عليٌّ بدَرَقتِه، ودنا أحدهما من الآخر، وثارت بينهما غبرة، فضَربه عَمْرو فاتقى علي الضربة بالدَّرقة فقَدَّها، وأُثبِتَ فيها السيف، وأصابَ رأسه فشجَّه. وضَربه علي على حَبْل عاتِقهِ فسقط وثارَ العَجَاج، وسمع رسول الله ﷺ التكبير، فعرف أن عليّاً قد قتله!.

ثم أقبل علي نحوَ رسول الله ﷺ ووجهه يتهلّل، فقال له عمر بن الخطاب: هَلَّا اسْتَلَبْتَه دِرعه فإنه ليس للعرب درعٌ خير منها؟ فقال: ضربتُه فاتَّقاني بِسَوْأَتِهِ، فاستحييتُ ابنَ عمي أن أَسلبه!.

وخرجتْ خيولهم منهزمه حتى اقتحمت من الخندق[١].

وقوله ﷺ لعلي: «اجلِسْ إنه عمرو»؛ لم يَقصد منه إخافةَ علي وإرعابه، وهو ﷺ أعرف الناس به وبشجاعته وبطولته، وإنما قصد إثارة حمية البطولة ونخوتها في نفس علي، لينازل قِرْنه وهو يرى آمالَ رسول الله ﷺ متعلقة به؛ فيستحضر أقصى غايات بأسه وشجاعته[٢].

٧ ـ في غزوة بني قريظة:

بعد الفراغ من غزوة الخندق، توجَّه النبي ﷺ إلى يهود بني قُرَيْظة للتنكيل بهم، لأنهم نقضوا عهدهم مع المسلمين وغدروا بهم وتآمروا مع الأحزاب ضدهم.

وقدَّم النبي ﷺ عليَّ بن أبي طالب برايته إلى بني قريظة، فسار حتى دنا من الحصون، وصاح وهم محاصروها: يا كتيبة الإيمان. وتقدم هو والزبير بن العوام، وقال: والله لأذوقنَّ ما ذاق حمزة أو لأفتحنَّ حصنَهم، فقالوا: يا محمد، ننزل على حُكْم سعد بن معاذ[٣].

وحكم فيهم سعد بحكم الله تعالى: بأن تُقتل مقاتِلتُهم وتُسبى ذراريهم[٤].

وكان الذين يَلُون قتْلَهم: علي بن أبي طالب والزبير بن العوام[٥].

---

(١) انظر: السيرة، لابن هشام: ٢/٢٢٥؛ طبقات ابن سعد: ٢/٦٨؛ البداية والنهاية: ٤/١٠٥ـ١٠٧؛ سبل الهدى والرشاد: ٤/٥٣٢ـ٥٣٥.

(٢) محمد رسول الله، للصادق عرجون: ٤/١٧٤.

(٣) السيرة، لابن هشام: ٢/٢٣٤، ٢٤٠.

(٤) انظر: البخاري (٤١١٧، ٤١١٩، ٤١٢١).

(٥) سبل الهدى والرشاد: ٥/٢٣.

٨ ـ في صلح الحُدَيْبِيَة:

في ذي القعدة من سنة (٦هـ) خرج النبي ﷺ في زُهَاء (١٥٠٠) من المهاجرين والأنصار، قاصدين الاعتمار إلى البيت الحرام، فصَدَّتْهم قريش، ووقع بين الطرفين (صلح الحديبية) وكان لعلي رضي الله عنه موقف جليل في كتابة (كتاب الصلح) بين رسول الله ﷺ وممثلي قريش.

عن البراء بن عازب قال: (لمَّا صالَح رسولُ الله ﷺ أهلَ الحُديبيَة، كتب علي بن أبي طالب بينهم كتاباً: «**هذا ما قاضَى عليه محمدٌ رسول الله ﷺ**» فقالوا: لا نُقِرُّ بها، فلو نعلمُ أنك رسولُ الله ما مَنَعْناكَ، لكنْ أنتَ محمدُ بن عبد الله، قال: «**أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله**» ثم قال لعليّ: «**امْحُ رسول الله**» قال: لا والله لا أَمْحُوكَ أبداً! فأخذ رسول الله ﷺ الكتابَ فكتب: هذا ما قاضَى عليه محمد بن عبد الله...).

وفي رواية: (فقال لعليّ: «**امْحُ رسولَ الله**» فقال علي: واللهِ لا أَمْحَاهُ أبداً، قال: «**فأَرِنيه**» قال: فأراه إياه، فمَحَاه النبي ﷺ بيده)[١].

وهذا لون من الأدب الرفيع والإجلال لمكان النبي ﷺ، ومجابهة المشركين بما يُرغم أنوفَهم من أنه ﷺ رسول الله حقّاً وصدقاً.

٩ ـ في غزوة خيبر:

خيبر مدينة معروفة قائمة إلى الآن في (السعودية)، تبعد عن المدينة المنوّرة (١٦٥كم) شمالاً على طريق الشام. وكانت مستعمرةً يهودية ذات أهمية عسكرية واستراتيجية، تتضمَّن قِلاعاً حصينة وقاعدة حربية لليهود، وكانت آخرَ معقل من معاقلهم في جزيرة العرب. وكانوا يتربصون بالمسلمين

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٨)، (٢٦٩٩)، (٣١٨٤)؛ ومسلم (١٧٨٣)؛ والنسائي في الكبرى (٨٥٢٤)، وغيرهم.

الدوائـر، ويتآمـرون مـع يهـود المدينـة وخارجها لغـزو المدينـة، فأراد رسول الله ﷺ أن يستريح منهم ويأمن من جهتهم[1].

فغزاهـم النبي ﷺ في مطلع سـنة (٧هـ)، ومعه زُهـاء (١٦٠٠) صحابي، ودفع الراية إلى علي، وكانت بيضاء[2]. وأظهَـرَ عليٌّ في هذه الغزوة ألواناً من الشجاعة والبطولة ما خلَّدتْه صفحات التاريخ.

توجَّه رسـول الله ﷺ بجيشـه إلى خيبر ونازل حصونها، وبـدأ يفتتحها حِصْناً حِصناً، واسـتعصت عليه بعض الحصون، فبعث أبا بكر برايته فقاتل قتالاً شـديداً، ثم رجع ولم يكن فتح، وقد جهد. ثـم بعث من الغدِ عمر بن الخطاب، فأخذ الراية، فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من القتال الأول، ثم رجع ولم يكن فتح، وقد جهد. فقال رسول الله ﷺ: «**لأُعطينَّ الرايةَ غداً رجلاً يحبُّ الله ورسولَه، يَفتح الله على يديه**»، فبعث عليّاً، ففتح الله على يديه[3].

عن سَهْل بن سعد: (أن رسـول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأُعطِينَّ هذه الرايةَ غداً رجلاً يَفتحُ الله على يديه، يحبُّ الله ورسـولَه، ويحبُّه الله ورسـولُه**» قال: فبات النـاس يدوكُون ليلتَهـم أيُّهم يُعطاهـا! فلما أصبح النـاس غَدَوْا على رسول الله ﷺ، كلُّهم يرجو أن يُعطاها، فقال: «**أين عليُّ بن أبي طالب؟**» فقيل: هو يا رسـول الله يشـتكي عينَيْه، قال: «**فأرسـلوا إليه**» فأتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبَرَأ حتى كأنْ لم يكـن به وجَعٌ. فأعطاه الراية، فقال عليٌّ: يا رسـول الله، أُقاتِلُهم حتى يكونوا مثلَنا؟ فقال: «**انْفُذْ على رِسْلِكَ حتى تنزلَ بساحتِهم، ثم ادْعُهم إلى الإسلام، وأخبِرْهُم بما يجبُ عليهم من حق الله**

(١) المرتضى، ص ٤٨؛ السيرة النبوية، للندوي، ص ٣١٥.
(٢) السيرة، لابن هشام: ٣٢٨/٢.
(٣) السنن الكبرى، للنسـائي (٨٣٤٦)؛ السيرة، لابن هشـام: ٣٣٤/٢؛ تاريخ الطبري: ١٢/٣؛ البداية والنهاية: ١٨٦/٤.

فيه، فــوالله لأَنَّ يَهدِيَ اللهُ بك رجــلاً واحداً خيرٌ لك مــن أن يكونَ لك حُمْرُ النَّعَم!»)[1].

وقد روى هذا الحديث أكثر من عشــرة من الصحابــة، منهم: أبو هريرة وعمـران بـن الحُصين وبُريدة الأَسْلمـي وسَلَمة بن الأَكْوَع[2].

وهذه مكرمة لعلي وفضيلة رفيعة ومنقبة جليلة؛ حيث أثبت النبي ﷺ له أنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. كذلك تمَّت لعلي مكرمات أخرى في هذا الموقف الجليل، تحدثت عنه روايات أخرى نقلها علي وغيره من الصحابة.

فعند الحاكم في «الإكيل» من حديث علي نفســه قال: (فوَضَع ﷺ رأسي في حَجْره، ثم بَزق في إِلْيَة راحته، فدَلَك بها عينيَّ).

وعن بُريدة في «الدلائل» للبيهقي: (فما وَجِعها علي حتى مضَى لســبيله) أي: مات.

وعنــد الطبراني من حديث علــي: (فما رَمِــدتُ ولا صُدِعْــت مذ دفع النبي ﷺ إليَّ الراية يوم خيبر).

وله من وجه آخر: (فما اشتكيتُها حتى الساعة. قال: ودعا لي فقال: «**اللَّهمَّ أَذْهِبْ عنه الحرّ والقُرّ**» قال: فما اشتكيتُهما حتى يومي هذا)[3].

أ ـ بين علي ومَرْحَب اليهودي:

تقدم عليٌّ إلى أمنع حصــون خيبر وهو (القَمُــوص) لفتحه، وكان فيه جيش من مقاتلي اليهود وعلى رأســهم فارسُهم المشــهور (مَرْحَب)، الذي

(١) أخرجه البخاري (٤٢١٠) وأطرافه في (٢٩٤٢)؛ ومســلم (٢٤٠٦)؛ والنسائي في الكبرى (٨٠٩٣)؛ وابن حبان (٦٩٣٢)، وغيرهم.

(٢) الفتح: ٩/٥٠٥ (٤٢١٠).

(٣) الفتح: ٩/٥٠٦ شرح الحديث (٤٢١٠).

خــرج مُنْتَفِجاً يســتعرض بطولتــه وصولتــه وخوضَه غمــرات الحروب وشــدائدها، وأنه بطل مجرَّب، فانقضَّ علي عليه وفَلَق هامته وجعله كأمسٍ الدابر، وكان الفتح!.

ففي حديث طويل جدّاً يرويه سَــلَمة بن الأَكْوع ﷛، يقول: (أَرســلَني رســول الله ﷺ إلى عليِّ بن أبي طالــب، فأتيتُه وهو أرمدُ، فقــال: «**لأُعطينَّ الرايةَ اليومَ رجلاً يحبُّ اللهَ ورســولَه، ويحبُّه اللهُ ورســولُه**» فجئتُ به أقودُه وهو أرمــدُ، حتى أتيتُ به النبــيَّ ﷺ، فبَصَق في عَيْنِه فبَــرَأ، وأعطاه الراية. وخرج مَرْحَبٌ فقال:

قد عَلِمــتْ خيبرُ أنــي مَرْحَبُ　　　شــاكِي السِّــلاح بطلٌ مجرَّبُ
إذا الحــروبُ أقبلَــتْ تَلهَّــبُ

فقال علي بن أبي طالب:

أنا الذي سَــمَّتْنِي أمِّــي حَيْدَرَهْ　　　كَلَيْــثِ غاباتٍ كَريــهِ المَنْظَرَهْ
أُوفِيهــمُ بالصَّــاعِ كَيْــلَ السَّــنْدَرَهْ

قال: فضَربه، ففَلَق رأسَ مرحبٍ، فقَتلَــه، وكان الفتحُ على يدي علي بن أبي طالب)[١].

ب ـ حكاية حملِ عليٍّ بابَ الحصن:

قال ابن إســحاق: حدثني عبدالله بن الحســن، عن بعض أهله، عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: (خرجنا مع علي بن أبي طالب ﷛، حين بعثه رســول الله ﷺ برايتهِ، فلما دنا من الحِصْن خرج إليه أهلــه فقاتلهم، فضربه رجل من يهود فطاح تُرســه من يده، فتناول علي عليه الســلام باباً كان عند

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٠٧)؛ وابن حبان (٦٩٣٥) وغيرهما. **شاكي السلاح**: تام السلاح. **السندره**: مكيال واسع، والمعنى: أقتل الأعداء قتلاً ذريعاً عاجلاً.

الحصن فترَّس به عن نفســه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتُني في نَفَر ســبعة معي أنا ثامنهم، نَجْهَد على أن نَقْلب ذلك الباب، فما نَقلبه!)[(١)].

وفي روايــة: اجتمع على حمله (أربعون رجلاً)، وفي أخرى: (ســبعون)، فما استطاعوا!.

وهي حكاية واهية وخبر منكر ضَعَّفه الأئمــة النقاد. وأَطْلَق محمد جواد مغنيَّة[(٢)] العنان لخياله فذكر حكايات هي أشــبه بما نُسب لأبي محمد عبدالله البَطّال والزيبق المصري وعنترة بن شداد!.

وشــجاعة علي وبطولته الباهرة ثابتة بالأخبــار الصحيحة، وهو في غُنية عن الأباطيل التي تُنسب إليه في هذا الباب أو غيره.

قال ابن كثير: في هذا الخبر جَهالة وانقطاع ظاهر[(٣)].

وذكر الحافظ رواية في «مســند أحمد» من زوائد ابنه عبدالله، وقال: في سنده (حرام بن عثمان)، متروك[(٤)].

وقال العلّامة محمد تقي العثماني: هذه الرواية اشــتهرت على ألسنة النــاس، ولكنهــا روايــة ضعيفــة منقطعــة لا يوثق بهــا، وقــد أنكرها المحدِّثون[(٥)].

---

(١) الســيرة، لابن هشــام: ٣٣٥/٢؛ ابــن عســاكر: ٢٠٤/١ـ٢٠٥؛ ســبل الهدى والرشــاد: ٢٠٠/٥ـ٢٠١.

(٢) فضائل الإمام علي، ص ١١٩ ـ ١٢٠.

(٣) البداية والنهاية: ١٨٩/٤.

(٤) الإصابة: ٥٠٢/٢.

(٥) تكملة فتح الملهم: ٥٦/٥.

١٠ ـ في فتح مكة:

وشـــهد علي فتح مكة وكان له فيها مواقف جليلة مـــع النبي ﷺ وتنفيذ أوامره، ونصرة الإسلام والشدة على أعدائه.

من ذلك أنه قُبيل انطلاق جيش المسلمين إلى مكة، بعث النبي ﷺ علياً مع صحابيَّيْن آخَرَيْـــن، فأَحْبَطوا محاولة تجسُّـــسٍ أخطأ أحـــدُ الصحابة في اقترافها لصالح قريش!.

فعن علي قال: (بعثني رســـول الله ﷺ أنا والزبير والمِقْداد بن الأســـود، وقال: «**انْطَلِقوا حتى تأتوا رَوْضَة خَاخٍ، فإنَّ بهـــا ظَعِينةً ومعها كتابٌ، فخذوه منها**». فانطلقنا تَعَادَى بنا خيلُنا، حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظَّعينة، فقلنا: أَخْرِجي الكتابَ، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لَتُخْرِجنَّ الكتابَ، أو لَنُلْقِينَّ الثيـــابَ! فأخرجَتْه من عِقاصِها. فأتينا به رســـولَ الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بَلْتعة إلى أناسٍ من المشركين من أهل مكة، يُخْبِرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**يا حاطبُ، ما هذا؟!**») الحديث[١].

وخرج النبي ﷺ من المدينة في (١٠ رمضان سنة ٨هـ) في جيش عرمرم، وكان مع علي إحدى رايات المهاجرين الثلاث[٢].

وبعد أن تمَّ فتحُ مكة وتحررت من الشِّرك، فرَّ إلى أم هانئ ـ أختِ علي ـ رجلان من أحمائها من بني مخزوم، فدخل عليٌّ عليها يريد قتْلَهما، فأغلقت عليهما باب بيتها، وذهبت إلى النبي ﷺ وأخبرتـــه الخبر، فأكرمها بأن أقرَّها على إجارتها لهما.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)؛ ومســـلم (٢٤٩٤)، وغيرهما. **روضة خاخ**: موضع بقرب حمراء الأســـد ـ وهذه تقع جنوب المدينة على مســـافة ٢٠ كم على طريق مكة ـ. **الظعينة**: المرأة المسافرة في الهودج. **عقاصها**: هو الشعر المضفور.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/٢٣.

قالت أم هانئ: (قلتُ: يا رسولَ الله، زعمَ ابنُ أمّي عليُّ بن أبي طالب أنه قاتِلٌ رجلاً أَجَرْتُه، فلانَ ابن هُبيرة، فقال رسول الله ﷺ: **«قد أَجَرْنَا من أَجَرتِ يا أمَّ هانئ»**)[١].

١١ ـ في غزوة حُنَيْن:

وشهد علي مع رسول الله ﷺ غزوة حُنين، وكان ممَّن ثَبَت معه حين ولَّى الناس منهزمين.

روى جابر بن عبد الله: أنه لمَّا انهزَمَ النـاس، ثَبَت النبي ﷺ في رَهْط من المهاجرين والأنصار وأهل بيته؛ (وفيمن ثبت معه ﷺ: أبو بكر وعمر، ومن أهل بيتـه: علي بن أبي طالـب، والعباس بـن عبد المطلب، وابنه الفَضْل بـن العباس، وأبو سـفيان بن الحـارث، وربيعة بـن الحارث، وأيمن بن عُبيد وهو ابن أم أيمن، وأسامة بن زيد)[٢].

ثانياً: سرايا علي:

١ ـ سَرِيَّته إلى بني سَعْد بن بَكْر بفَدَك (في شعبان ٦هـ):

بلَغَ النبيَّ ﷺ أن جمعاً لبني سـعد بن بكر يريدون أن يَمُدُّوا يهود خيبر، فبعث إليهـم عليّاً في مئة رجل، فسـار الليل وكَمَن النهـار حتى انتهى إلى منازلهم، فأغاروا عليهم، فهربت بنو سعد بنسـائهم، وغَنِم المسلمون الإبل والشاء، فعزل علي الخمس وقسم سـائر الغنائم على أصحابه، وقدِم المدينة ولم يَلْقَ كيداً[٣].

---

(١) البخاري (٣٥٧)؛ ومسلم (٣٣٦) بعد الحديث (٧١٩)؛ السيرة، لابن هشام: ٤١١/٢.

(٢) أخرجه ابن إسحاق في السـيرة: ٤٤٢/٢ـ٤٤٣؛ ومن طريقه أحمد في مسنده: (١٥٠٢٧)، وقال شعيب إسناده حسن.

(٣) طبقات ابن سعد: ٨٩/٢ـ٩٠؛ سبل الهدى والرشاد: ١٥٤/٦ـ١٥٥.

٢ ـ سريته إلى (الفُلُس) صنمِ طيِّئ ليهدمه (في ربيع الآخر ٩هـ):

بعد فتح مكة أخـذ النبي ﷺ يطهِّر أرض الجزيرة من الأصنام، ويرسـل السـرايا لهدمها، ومن ذلك أنه بعث عليّاً فـي (١٥٠) من الأنصار، على مئة بعير وخمسين فرسـاً إلى (الفُلُس) ليهدمَه، فشنّوا الغارة على محلَّة آل حاتم، فهدموا (الفُلُس) وخرَّبوه، وملؤوا أيديهم من السبي والنَّعَم والشاء[1].

وكان في السـبي سَـفّانة أختُ عدي بن حاتم، وهرب عدي إلى الشام، وقد مَنَّ النبي ﷺ على سفَّانة فأَطْلَقها، فأسلمت وخرجت إلى أخيها في الشام وأشارت عليه بالقدوم على النبي ﷺ، ففعل، وأسلم ﷺ.

٣ ـ سريته إلى اليمن (٩هـ):

عن البراء قال: (بَعث النبي ﷺ جيشـين، وأَمَّر على أحدِهما عليَّ بن أبي طالب، وعلى الآخر خالدَ بن الوليد، وقال: «**إذا كان القتالُ فعليٌّ**» قال: فافتتح علـي حِصْناً، فأخذ منه جاريـةً، فكتب معي خالِدٌ كتاباً إلى النبي ﷺ يَشِـي به...) الحديث[2].

ورواه أيضاً عمران بن الحُصَيْن وبُريدة بن الحُصَيْب[3].



(١) طبقات ابن سعد: ١٦٤/٢؛ سبل الهدى والرشاد: ٣٣٤/٦.
(٢) أخرجه الترمذي (١٧٩٩) و(٤٠٥٩)، وحَسَّنه. وقد تقدم مفصلًا: ص ٨٤ ـ ٨٦، في هذا الكتاب.
(٣) انظر: السنن الكبرى، للنسائي (٨٤٢٠) (٨٤٢١).

الفصل الثالث

مع النبيِّ ﷺ في أيامِهِ الأخيرة

كَمَلَت مهمّةُ التبليغ والتشــريع، وأقرّ الله ﷻ عينَ نبيه ﷺ بدخول الناس في هذا الدين أفواجاً، وبَدَتْ طلائع انتشاره في العالم، واطمأن إلى وفاء مَن ربَّاهم في حَجْره، ونشؤوا تحت سمعه وبصره، لهذا الدين وتنفيذهم لتعاليمه، والغَيْرة على أصالته ونقائه، وظهرت شــواهد ذلك من غير شك وريبة، فتهيّأ للقاءِ الله، وقد أحبَّ الله لقاءه، وأوصى المسلمين وخطب فيهم مراراً.

وفي أيام حياتــه ﷺ الأخيرة وقعت أحداث وبرزت مواقف شــارك فيها جمهرة من أكابــر الصحابة والمقربين عنــده ﷺ، وكان علي أحدَهم، حيث لازمه في مرضه، وشهدَه في أواخر ساعاته ووفاته، ووَلِي مع آخرين تجهيزه وغَسْلَه ودفْنَه، ووعى وصاياه للصحابة وللأمة كافة[1].

●● عــن عُبيد الله بن عبــد الله قال: (دخلتُ على عائشــة فقلــتُ لها: ألا تُحدِّثيني عن مرضِ رســول الله ﷺ؟ قالت: بلى؛ ثَقُلَ النبي ﷺ فقال: «**أصَلَّى النــاسُ؟**» قلنا: لا، وهــم ينتظرونك يا رســول الله! قال: «**ضَعُــوا لي ماءً في المِخْضَــب**» ففعلنا، فاغتســل، ثــم ذهــب لِيَنُــوءَ فأُغْمِي عليه... فأرســل رســول الله ﷺ إلى أبي بكر أن يصلّي بالناس... قالــت: فصلّى بهم أبو بكر تلــك الأيام. ثم إن رســول الله ﷺ وجَد من نفســه خِفَّةً فخــرج بين رجلين

---

(١) المرتضى، ص ٥٣؛ السيرة النبوية، للندوي، ص ٤٠١.

أحدُهما العباس، لصــلاة الظهر، وأبو بكر يصلي بالنــاس، فلما رآه أبو بكر ذَهَب ليتأخَّر، فأومأَ إليــه النبي ﷺ أن لا يتأخَّر، وقال لهما: «**أَجْلِســاني إلى جَنْبه**» فأجْلَســاه إلى جَنْب أبي بكر. وكان أبو بكر يصلــي وهو قائمٌ بصلاة النبي ﷺ، والناسُ يصلُّون بصلاة أبي بكر، والنبي ﷺ قاعدٌ.

قال عُبيد الله: فدخلتُ على عبد الله بن عباس، فقلتُ له: أَلَا أَعرِضُ عليك ما حدثَتْني عائشــةُ عن مرض رســول الله ﷺ؟ فقال: هاتِ، فَعَرضْتُ حديثها عليــه، فما أنكر منه شــيئاً، غيرَ أنه قال: أَسَــمَّتْ لك الرجــلَ الذي كان مع العباس؟ قلتُ: لا، قال: هو علي)[١].

وقد روى هذا الحديث جماعــةٌ من الصحابة منهم علــي، وهو حديث متواتر[٢].

وعن عبد الله بن عباس: (أن عليَّ بن أبــي طالب خرج من عند النبي ﷺ فــي وَجعِه الــذي توفِّــي فيه، فقــال النــاس: يا أبا حَســن، كيــف أصبح رسول الله ﷺ؟ قال: أصبح بحمدِ الله بارئاً) الحديث[٣].

•• وكان علي مِن آخر الناس عَهْداً برسول الله ﷺ وليس آخرَهم، فعن أم المؤمنين أم سَــلَمة قالت: (والذي تحلِفُ به أم سَــلَمة إنْ كان أقربَ الناس عهداً برســول الله ﷺ عليٌّ، قالت: لمَّا كان غداةَ قُبِض رسول الله ﷺ، فأَرسَل إليه رســول الله ﷺ، وكان ـ أُرى ـ في حاجة أظنُّه بَعَثــه، فجعل يقول: «**جاءَ عليٌّ؟**» ثلاث مرات. قالت: فجاء قبل طلوع الشمس، فلما أنْ جاء عَرفْنا أنَّ له إليه حاجةً، فخرَجْنا من البيت، وكنَّا عُدْنا رسولَ الله ﷺ يومئذٍ في بيت عائشة،

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٨)؛ ومسلم (٤١٨)؛ والنســائي في الكبرى (٩٠٩، ٩١٠)، وغيرهم. **المخضب**: إناء نحو المركن الذي يغسل فيه. لينوء: أي يقوم وينهض.

(٢) انظر كتابي: أبو بكر الصديق، ص٢٣٨.

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٦٦)؛ وسيأتي بتمامه: ص٣١٩ ـ ٣٢٠، في هذا الكتاب.

فكنتُ في آخر مَنْ خرج من البيت، ثم جلستُ أدناهنَّ من الباب، فأكَبَّ عليه عليٌّ، فكان آخرَ الناس به عهداً، جعل يُسَارُّهُ ويُناجِيه)(١).

والأحاديث الثابتة في «الصحيحين» وغيرهما تنصُّ على أن آخرَ الناس عهداً به ﷺ هي أم المؤمنين عائشة، ومات ﷺ ورأسُه على صدرها(٢).

قال الحافظ: وحديث عائشة أثبت من حديث أم سلمة، ولعلها أرادت: علي آخر الرجال به عهداً(٣).

وأما الأخبار التي رُوِيت بأنه ﷺ توفي ورأسه في حَجْر علي؛ فأحاديث واهية ضعيفة جدّاً، فيها انقطاع، ومتروكون مثل الواقدي وحرام بن عثمان، ومن لا يُعرف حاله وليس بثقة كأبي الحويرث عبدالرحمن بن معاوية المدني، وهي معارضة للثابت في «الصحيحين»(٤).

●● وكان علي رضي الله عنه في جملةِ من غَسَّلَه ﷺ من الرجال:

عن عائشة أم المؤمنين قالت: (لمَّا أرادوا غَسْلَ رسول الله ﷺ اختلفوا فيه، فقالوا: والله ما ندري كيف نصنع، أَنُجَرِّد رسول الله ﷺ كما نُجرِّد موتانا أم نغسِّله وعليه ثيابه؟ قالت: فلما اختَلفوا أرسل الله عليهم السِّنَة حتى والله ما من القوم من رجلٍ إلا ذَقَنُه في صدره نائماً! قالت: ثم كلَّمهم مكلِّمٌ من ناحية البيت، لا يدرون من هو، فقال: اغْسِلوا النبي ﷺ وعليه ثيابُه. قالت: فثاروا إليه، فغسَّلوا رسولَ الله ﷺ وهو في قميصه يُفاض عليه الماء والسِّدْر،

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٤٨٦، ٨٤٨٧)؛ والحاكم: ١٣٨/٣ـ١٣٩ وصحَّحه وأقره الذهبي؛ وحسنه أبو إسحاق الحويني في: خصائص علي (١٥٠، ١٥١)، وضعفه أحمد ميرين البلوشي!.

(٢) انظر مثلًا: البخاري (٤٤٣٨)؛ ومسلم (٢٤٤٣).

(٣) الفتح: ٧٨٨/٩ (٤٤٣٨).

(٤) ساقها ابن سعد: ٢٦٢/٢ـ٢٦٣؛ وتكلم عليها الحافظ وضعفها كلها في الفتح: ٧٨٧/٩ـ٧٨٨.

ويَدْلُكُه الرجال بالقميص. وكانت عائشة تقول: لو استقبلتُ من الأمر ما اسْتَدْبَرْتُ، ما غَسَّل رسولَ الله ﷺ إلا نساؤه)[١].

وروى سعيد بن المسيِّب: (عن علي بن أبي طالب قال: لمَّا غَسَّلَ النبيَّ ﷺ ذَهَب يَلتمِس منه ما يُلتَمَسُ من الميِّت، فلم يجِدْه، فقال: بأبي الطَّيِّبُ، طِبْتَ حيّاً وطبتَ مَيْتاً!)[٢].

ووَلِي دفنَ النبي ﷺ أربعةٌ فيهم علي، فعن عامر الشعبي قال: (غَسَّلَ النبيَّ ﷺ عليٌّ والفَضْل وأسامة بن زيد، وهم أدخلوه قبرَه. قال: وحدثني مَرْحَبٌ أو ابن أبي مَرْحَب؛ أنهم أدخلوا معهم عبدَ الرحمن بن عوف. فلما فرغ عليٌّ قال: إنما يَلِي الرجلَ أهلُه)[٣].

توفي سيدنا رسول الله ﷺ يوم الإثنين، وتولَّى أهلُه غسلَه، وأخَّروا دفنه ليصلي المسلمون عليه، فإنهم صلوا عليه أفراداً، واحداً بعد واحد، رجالهم ونساؤهم: خلق كثير، فلم يتسع يوم الإثنين لذلك مع تغسيله وتكفينه، بل صلوا عليه يوم الثلاثاء، ودُفن يوم الأربعاء[٤].

وبوفاته ﷺ طُوِيت صفحات مشرقة من (كتاب حياة علي) في رحابه ﷺ وكنف رعايته وأنوار هديه وتوجيهاته.

فلنفتح صفحات أخرى نتلو فيها أخبار المرتضى وجلائل أعماله وسيرته.



---

(١) أخرجه أبو داود (٣١٤١)؛ وأحمد (٢٦٣٠٦)؛ وابن حبان (٦٦٢٧)، (٦٦٢٨)؛ والحاكم: ٥٩/٣ـ٦٠؛ وصحَّحه الذهبي في تاريخ الإسلام ـ السيرة النبوية، ص ٥٧٥، وحسنه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٤٦٧)؛ والحاكم: ٣٦٢/١، وصحَّحه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٠٩)؛ وصحَّحه الألباني وشعيب الأرنؤوط؛ وأخرجه أيضاً ابن سعد: ٢٧٧/٢، ٣٠٠؛ والبيهقي: ٥٣/٤.

(٤) منهاج السُّنَّة: ٧١١/٣؛ وانظر كتابي: أبو بكر الصديق، ص ٢٥٦ـ٢٥٧.

الباب الثالث

علمُه وعبادتُه وشمائلُه وأخلاقُه

- علمُهُ.
- فصاحتُه وشعرُه وخُطَبُه وحِكَمُه.
- عبادتُه.
- شمائلُه وأخلاقُه.



الفصل الأول

عِلْمُه

الخلفاء الراشدون الأربعة هم من خواصّ أصحاب رسول الله ﷺ، وأعلمُ الأمة، ولهم في تبليغ كليات الدين ونشر أصوله وأخذ الناس ذلك عنهم ما ليس لغيرهم[1].

ومنزلة علي في العلوم بالمحل العالي، وَهَبَه الله ﷻ قلباً عقولاً، ولساناً سؤولاً، وحافظة باهرة، وفهماً ثاقباً. وَردَ منبعَ العلم ومصدرَ الحكمة ﷺ ولازمه طيلة مدة الرسالة، وصَدَر عن بحره الصافي وقد امتلأ علماً وفهماً وحكمة، ونالَتْه بركةُ دعوته في القضاء، وأخذ عنه القرآنَ غَضّاً طريّاً، فكان رضي الله عنه من بحور العلم؛ قارئاً لكتاب الله، مفسِّراً له، محدِّثاً فقيهاً قاضياً، خطيباً شاعراً بليغاً مفوَّهاً.

أولاً: أخذه العلم عن النبي ﷺ، وأبي بكر:

●● ١ ـ عن علي قال: (أَلَا أُخْبِركم بأفضلِ آيةٍ في كتاب الله تعالى، حدثنا بها رسولُ الله ﷺ؟ ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]؛ «**وسأفسِّرُها لك يا عليّ: ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم، والله تعالى أكرمُ من أن يُثَنِّي**

(١) انظر: منهاج السُّنّة: ٣١٨/٤.

عليهم العقوبة في الآخرة، وما عَفَا الله تعالـى عنه في الدنيا فالله تعالى أحلَمُ من أن يعودَ بعد عفوه»)(١).

٢ ـ وعن علي قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا بِحَرَّة السُّقْيا التي كانت لسعد بن أبي وقّاص، فقال رسول الله ﷺ: «**ائْتُوني بوَضُوءٍ**» فتوضأ ثم قام فاســتقبل القبلة، فقال: «**اللَّهمَّ إن إبراهيمَ كان عبــدَك وخليلَك، ودَعَا لأهل مكة بالبركة، وأنا عبدُك ورســولُك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في مُدِّهم وصاعِهِم مِثْلَي ما باركْتَ لأهلِ مكة مع البَرَكة بَرَكتَيْنِ**»)(٢).

٣ ـ وعن علي قــال: (كان النبي ﷺ يصلِّــي قبل الظهر أربعــاً، وبعدها ركعتين)(٣).

٤ ـ وعنه ﷺ قال: (كان النبي ﷺ يصلي قبل العصر أربع ركعات، يَفْصِلُ بينهنَّ بالتســليم علــى الملائكــة المُقرَّبيــن ومَــنْ تَبِعَهم من المســلمين والمؤمنين)(٤).

٥ ـ وعن علي: أن النبي ﷺ كان يقول في وِتْرِه: «**اللَّهمَّ إني أَعوذ بِرضاكَ من سَخَطِك، وأعوذ بمعافاتِكَ من عُقوبَتِك، وأعوذ بك منك، لا أُحْصِي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ على نَفْسِك**»(٥).

---

(١) أخرجه أحمد (٦٤٩)؛ ومن طريق آخر: الترمذي (٢٨١٤)؛ وابن ماجه (٢٦٠٤)؛ وحسـنه الترمذي، وأحمد شاكر، وشعيب الأرنؤوط.

(٢) أخرجه الترمذي (٤٢٥٥)؛ والنسائي في الكبرى (٤٢٥٦)؛ وأحمد (٩٣٦)؛ وقال الترمذي: حسن صحيح، وصحَّحه أحمد شاكر.

(٣) أخرجه الترمذي (٤٢٦) وحسنه، وصحَّحه الألباني.

(٤) أخرجه الترمذي (٤٣١) وحسنه، وصحَّحه شعيب الأرنؤوط.

(٥) أخرجه أبو داود (١٤٢٧)؛ والترمذي (٣٨٨٢)؛ وابن ماجــه (١١٧٩)، وغيرهم، وصحَّحه الألباني.

٦ ـ وعن علي قال: قال رسول الله ﷺ: **«قد عَفَوْتُ عن صَدَقةِ الخَيْلِ والرَّقيقِ، فَهَاتُوا صدقةَ الرِّقَةِ: من كلِّ أربعين درهماً درهمٌ، وليس في تسعينَ ومئةٍ شيء، فإذا بَلَغتْ مئتينِ ففيها خمسةُ الدَّراهمِ»**[(١)].

٧ ـ وعن علي قال: وقف رسول الله ﷺ بعَرَفَة، فقال: **«هذا الموقفُ، وعرفةُ كلّها موقفٌ»**[(٢)].

●● ولم يكتفِ علي بأن يستمع إلى النبي ﷺ ويروي عنه وينقل سُنَنه، بل كان يسأله مستفسراً أو متثبّتاً؛ فعن علي قال: (سمعتُ رجلاً يَستغفرُ لأبوَيْه وهما مُشْركانِ، فقلتُ: أتَستغفرُ لهما وهما مشركان؟! فقال: أَوَ لم يستغفرْ إبراهيم لأبيه؟! فذكرتُ ذلك للنبي ﷺ، فنزلَتْ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]). وفي رواية النسائي: (فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ [التوبة: ١١٤])[(٣)].

كذلك كان النبي ﷺ يبتديه بالتعليم والتوجيه، كما أوضحنا في فصل: (في رحاب النبوة).

وقد حَفظ عليٌّ الكثير الطيب من سُنن رسول الله ﷺ وأيامه في: صفة الوضوء، والصلاة وكيفيتها وأفعالها وأقوالها، والسنن الراتبة، والأذكار والأدعية فيها وبعدها، وتفصيلات أركان الصيام والزكاة والحج، وأحكام

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٧٤)؛ والترمذي (٦٢٥)؛ وابن ماجه (١٧٩٠)، وغيرهم، وصحَّحه الألباني وشعيب الأرنؤوط. **الرقة**: الفضة والدراهم المضروبة منها.

(٢) أخرجه أبو داود (١٩٣٥)؛ والترمذي (٩٠٠)؛ وابن ماجه (٣٠١٠)؛ وقال الترمذي: حسن صحيح، وحسنه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٥٨) وحسنه؛ والنسائي في الكبرى (٢١٧٤)؛ وأحمد (٧٧١)، وصحَّحه أحمد شاكر، وحسنه الألباني.

الجنائز، وأمور الجهـــاد، والأضاحي والأطعمة، والحلال والحرام، والفرائض والوصايـــا، والدّيـــات والحـــدود، والآداب والعقائد، وغير ذلـــك من أمور الإسلام، وهو مدوَّن في كتب السُّنَّة.

●● وأخذ علـــي العلم أيضاً عن أبي بكر الصديـــق وروى عنه الحديث، ومن ذلك هـــذا الموقف الجليل الـــذي يعبر عن عمق العلاقـــة والحب بين الصحابيين الجليلين:

عن أسماء بن الحَكَم الفَزَاريِّ قال: ســـمعتُ عليّاً يقول: (إني كنتُ رجلاً إذا سمعتُ من رســـولِ الله ﷺ حديثاً نَفَعني الله منه بما شاء أن ينفعَني به، وإذا حدثني رجل مـــن أصحابه اســـتحلَفْتُه، فإذا حَلَف لي صدَّقْتُـــه، وإنه حدثني أبو بكر وصَدَق أبو بكر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من رجلٍ يُذنب ذَنْباً، ثم يقومُ فيتطهَّرُ، ثم يصلي، ثم يســـتغفرُ الله، إلا غَفَر الله له**» ثم قرأ هذه الآيـــة: ﴿ **وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ ...** ﴾ إلى آخر الآية [آل عمران: ١٣٥])(١).

ثانياً: القارئ الحافظ لكتاب الله تعالى:

●● قرأ علي ﷺ القرآن على النبي ﷺ.

وعَـــرَض عليه القرآن: أبو عبدالرحمن السُّـــلَمي، وأبو الأســـود الدُّؤَلي، وعبدالرحمن بن أبي ليلى.

وهو ممن حفِظ القرآنَ على عهد رســـول الله ﷺ، وقد أَبْطَل العلماءُ قولَ

(١) أخرجه أبو داود (١٥٢١)؛ والترمذي (٤٠٨)؛ والنســـائي في الكبرى (١٠١٧٥)، وغيرهم. وحسنه الترمذي والألباني. واستحلاف علي للصحابة هو من مزيد تحريه، والصحابة كلهم عدول أمناء.

الشعبي أنه لم يحفظه. وعن أبي عبدالرحمن السُّلَمي قال: ما رأيتُ أحداً كان أقرأَ من علي[١].

•• وقـد جمع القرآن في مصحـف واحد بين دفتيـن أبو بكر الصديق بإشـارة من عمر، وبمشـهد من جماهير الصحابة من المهاجرين والأنصار ومنهم علي، فقد ثبت عنه أنه قال: (أعظمُ الناس أجراً في المصاحف أبو بكر، إن أبا بكر كان أوَّلَ مَنْ جَمع القرآن بين اللوحين)[٢].

وزَعْمُ الرافضـة أنـه لـم يَجمع القـرآن غيرُ علـيٍّ والأوصياء، هـو كـذبٌ مفترى وزندقة وتكذيـب للصحابة وفيهم علي الـذي يَدَّعون حبَّه وإمامته لهم!.

نقل صاحِبُ «بصائر الدرجات» عن أبي جعفر الباقر: أنه قال: (ما يستطيع أحدٌ أن يدَّعي أنه جَمع القرآنَ كلَّه ظاهـرَه وباطنَه غيرُ الأوصياء). وعنه أيضاً قال: (ما مِن أحـدٍ من الناس يقول: إنـه جمع القرآن كلَّه كمـا أَنزل الله؛ إلا كذَّاب، وما جمعه ومـا حَفِظه كما أُنزل إلا علي بن أبـي طالب والأئمة من بعده)[٣]!.

وإذا كان علي ﷺ قد جمع القرآن وهو مغايرٌ لِما جمعه أبو بكر الصديق وتواتر عن الصحابة؛ فلماذا لم يُظْهِره علي، أفكان خائفاً أم جباناً؟! لم يعرف أحد من العقلاء ذلك عن علي! وإذا كان أخفاه تقيَّة طيلة عهد الخلفاء الثلاثة، فلمـاذا لم يُظهـره للمسـلمين في أيـام خلافته وزمـان إمارته وقـد بايعه

---

(١) معرفة القرّاء الكبار: ١/٢٧ـ٢٨؛ غاية النهاية: ١/٥٤٦.

(٢) أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» من طرق: ١/١٦٥ـ١٦٧؛ وابن أبي شيبة: ٧/١٩٦؛ وابن سـعد: ٣/١٩٣؛ وصحَّحه ابن كثير في «فضائل القرآن»، ص١٥؛ وحسنه الحافظ في الفتح: ١١/٢٠٧ (٤٩٨٦).

(٣) بصائر الدرجات، لمحمد بن الحسن الصفار، ص٢٢٩ ـ ٢٣٠؛ الشيعة والقرآن، ص٣٩.

المسلمون؟! وقد ذهب الخوف وانتفت التقيّة التي يدَّعيها المُبطِلون! ولو أنه أظهره وقرأه على الناس وتعلَّموه منــه، لنقلوه عنه بالتواتر، وهذا ما لم يكن. وإنْ كان أخفــاه عنهم وتركه للأوصياء من بعده ليقوم بــه (القائم المزعوم)؛ فهو بذلك غاش للأمة وخائن للعهد ومضيع لشــرع الله تعالى وقد حماه الله من ذلك، فما مِثلُ علي بالذي تحوم حول سيرته شبهة.

إن هؤلاء القوم لا يعقلون، لأنهم بهذا القول المفترى يطعنون في سيدنا علي، في دينــه وصدقه وإخلاصــه وأمانتــه وأحقيته بالقيام بأمر الإســلام والمسلمين.

•• وأما الأثر الذي يرويه محمد بن ســيرين قال: (لمّــا توفي النبي ﷺ أَقْسَــم عليٌ أن لا يرتدي برداءٍ إلا لجمعة، حتى يَجمع القرآن في مصحف، ففعل)[١]، فهو خبر ضعيف مُعْضَل، ضعَّفَه ابن كثير والسيوطي، ثم هو لا يفيد بأنه لم يجمع القرآن غير علي.

ثالثاً: المفسِّر:

•• عن سُــليمان بن مَيْســرة الأَحْمَســي، عن أبيه قال: قال علي: (واللهِ ما نَزلت آية إلا وقد علمتُ فيمَ أُنزلت، وأيــن أُنزلت، إن ربي وَهَب لي قلباً عقولاً، ولساناً سؤولاً)[٢].

وعن أبي الطُّفَيْل قال: قال علي: (سَلُوني عن كتاب الله؛ فإنه ليس من آية إلا وقد عرفتُ بليلٍ نزلت أم بنهار، في سَهْل أم في جبل)[٣].

---

(١) أخرجه ابــن أبي داود فــي المصاحف: ١٨٠/١؛ وابن أبي شــيبة: ١٩٧/٧؛ وابن ســعد: ٣٣٨/٢. وانظر: فضائل القرآن، لابن كثير، ص ٢٥؛ والفتح: ٢٠٧/١١ـ٢٠٨.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣٣٨/٢؛ الحلية: ٦٧/١ـ٦٨.

(٣) طبقات ابن سعد: ٣٣٨/٢؛ الجرح والتعديل: ١٩٢/٦؛ ابن عساكر: ٢٠/٣ـ٢٢.

وعن علي قال: (لما نَزلتْ هذه الآيـة: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [البقـرة: ٢٨٤] أحزَنَتْنا، قلنا: يُحدِّث أحدُنا نفسَه فيُحاسَبُ به؛ لا نـدري ما يُغفر منه ولا ما لا يغفر منه! فنَزلت هذه الآية بعدها فنَسخَتْها: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦])[١].

وروى رِبْعِيُّ بن حِرَاش: (عن علي في قوله ﷻ: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]، قال: علِّموا أنفسَكم وأهليكم الخيرَ)[٢].

●● عن أبي الطُّفَيْل قال: (سمعتُ عبدَ الله بن الكَوَّاء يَسأل عليَّ بن أبي طالب عن ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا﴾؟ قال: الرياح. وعن ﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا﴾؟ قال: السحاب. وعن ﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا﴾؟ قال: السفن. وعن ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾؟ قال: الملائكة)[٣].

ـ وعن علي في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ [فصلت: ٢٩]، قال: إبليس وابن آدم الذي قتل أخاه[٤].

ـ وقال أبو الطُّفَيلِ عامر بن واثِلَة: (سمعت علياً قام فقال: سَلُوني قبل أن تَفْقِدوني، ولن تَسألوا بعدي مثلي! فقام ابن الكَوَّاء فقال: من ﴿ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]؟ قال: منافقو قريش. قال: فمن ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]؟ قال: منهم أهل حَرُورَاءَ)[٥]. **وأهل حروراء: هم الخوارج.**

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٣٣)، وصحّحه بشواهده شعيب الأرنؤوط.

(٢) أخرجه الحاكم: ٤٩٤/٢، وصحَّحه، ووافقه الذهبي.

(٣) علقه البخاري مختصراً جدّاً: الفتح: ٦٨٠/١٠؛ ووصله ابن عيينة في «تفسيره»، ص ٣٢٥؛ والحاكم من وجه آخر: ٤٦٦/٢ ـ ٤٦٧.

(٤) أخرجه الحاكم: ٣١٢/٢، وصحّحه ووافقه الذهبي.

(٥) أخرجه الحاكم: ٣٥٢/٢، وصحَّحه.

ـ وعــن علــي: (فــي قولــه تعالــى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ [التكويـر: ١٥ ـ ١٦]، قال: هــن الكواكب تَكْنُــس بالليل، وتخنَــس بالنهار فلا تُرى)(١).

ـ وعن عَبَّاد بن عبد الله قال: (سأل رجلٌ علياً: هل تبكي السماء والأرض على أحدٍ؟ فقال له: لقد سألتَني عن شيء ما سألني عنه أحدٌ قبلك، إنه ليس عبدٌ إلا له مصلًّى في الأرض، ومصعَدُ عملِه من الســماء، وإنَّ آل فرعون لم يكن لهم عملٌ صالح في الأرض، ولا عملٌ يَصعَد في الســماء) ثم قرأ علي: ﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩](٢).

رابعاً: المحدِّث:

كان علي ﷺ محدِّثاً جِهْبِذاً متحرِّياً في تحمُّل الحديث وروايته، حتى إنه لَيَستحلِف مَن يحدِّثه كما قدمنا(٣)، ويأمر تلامذته أن يحدثوا الناس بما تُطيقه عقولهم.

عن أبي الطُّفَيْــل، عن عليٍّ قال: (حَدِّثُوا الناسَ بمــا يَعْرِفون، أَتُحِبُّونَ أن يُكَذَّبَ اللهُ ورسولُه؟!)(٤).

●● **روى علي الحديث** عن رســول الله ﷺ فأكْثَر وأَطابَ، وروى عن أبي بكر وعمر والمِقداد بن الأسود، وعن زوجته فاطمة بنت النبي ﷺ.

وحدث عنه: أولاده الحسن والحسين ومحمد ابن الحَنَفِيَّة وعُمر وفاطمة.

(١) الفتح: ١١٤/١١، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وحسَّنَه.
(٢) تفسير ابن كثير: ١٦٨/٤. وعبَّاد: ضعيف.
(٣) انظر: ص١٢٠، حاشية (١) في هذا الكتاب.
(٤) أخرجه البخاري (١٢٧).



ومن الصحابة: ابن مسعود، والبراء بن عازب، وابن عباس، وابن عُمر، وابن الزبير، وجابر بن عبد الله، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخُدْري، وأبو موسى الأشعري، وأبو جُحَيْفة وَهْب بن عبد الله السُّوائي، وأبو الطُّفيل عامر بن واثِلة الليثي، وآخرون.

ومن التابعين: زِرُّ بن حُبَيْش، وزيد بن وَهْب، والحارث بن سُويد، والحارث بن عبد الله الأعور، ورِبْعي بن حِرَاش، وشُريح بن هانئ، وأبو وائل شَقيق بن سَلَمة، وسُويد بن غَفَلَة، وعامر بن شُراحيل الشعبي، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعَبيدة السَّلْماني، وعَلْقمة بن قيس، وقيس بن عُبَاد، ومَسْروق بن الأَجْدَع، ومُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير، ونافع بن جُبير بن مُطعِم، وأبو الأسود الدُّؤَلي، وأبو بُرْدة بن أبي موسى الأشعري، وخلائق سواهم[1].

●● روت له كتب السُّنَّة (٥٨٦) حديثاً، في الصحيحين منها (٤٤)، وخرَّج له الجماعة[2].

وهو عدد قليل قياساً بالمدة التي لازَمَ فيها عليٌّ رسولَ الله ﷺ، وبالسنين الطويلة التي عاشها بعده وهيَ نحو (٣٠) سنة، وسببُ ذلك: أنه في عهد الخلفاء الثلاثة كان من رجال الشورى الذين يديرون أمور الدولة والأمة والفتوحات، ولم يتصدر للتحديث ونشر العلم كما كان حال علماء الصحابة وشبابهم كأبي هريرة وابن عمر وأنس وابن عباس وجابر وأبي سعيد الخدري وعائشة وأمثالهم. ثم قيامه بشؤون الخلافة عندما أضحى أميراً للمؤمنين. وأيضاً انشغاله بمقارعة الفتن العريضة التي فُتحت في عهده.

---

(١) تهذيب الكمال: ٢٠/٤٧٣ـ٤٧٩؛ كتابي: أعلام الحفاظ: ١/٢٥٢ـ٢٥٣.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات: ١/٣٤٥.

والخبر الذي رواه محمد بن عُمر بن علي بن أبي طالب: (أنه قيل لعلي: ما لَكَ أكثَر أصحاب رسـول الله ﷺ حديثاً؟ فقال: إني كنتُ إذا سألتُه أنبأني، وإذا سكتُّ ابتدأني)[١]، هو خبر ضعيفٌ، ومحمد: روايتُه عن جدِّه علي مرسَلة.

وواقع الحال يردُّه، فلقد روى غيرُ واحد من الصحابة أضعافَ ما رواه علي، ولا يعني هذا أنهم أعلمُ منه، فالخلفاء الأربعة أعلم الأمة، وقد أَمر النبي ﷺ جميعَ الأمة أن يقتدوا بِسُنَّتهم.

خامساً: الفقيه:

علي ﷺ من أكابر فقهاء الإسلام، ومن المكثِرين في الفُتيا، ومن يستعرض ـ مثلاً ـ سنن الترمذي ومصنف عبدالرزاق ومصنف ابن أبي شيبة؛ يجد برهان ذلك، حيث يملأ اسمه مختلِف أبوابِ الفقه وشرائع الإسلام.

وكان ممن يُفتون على عهد النبي ﷺ؛ فعن القاسم بن محمد قال: (كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي يفتون على عهد رسول الله ﷺ)[٢].

ويؤيد ذلك أن النبي ﷺ بعثه إلى اليمن داعياً وقاضياً، فكان يفتي الناس ويقضي بينهم، وحُفظ عنه الكثير من ذلك كما سنشير إليه في المبحث التالي.

وكان ﷺ إماماً مجتهداً ملازماً للسُّنَّة، روى عَبْد خير، عن عليّ قال: (لو كان الدينُ بالرأي لكان أسفلُ الخفِّ أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيتُ رسول الله ﷺ يَمسح على ظاهر خُفَّيْه)[٣].

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣٣٨/٢.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣٣٥/٢، ومن طريق آخر: ٣٥٠/٢.

(٣) أخرجه أبو داود (١٦٢، ١٦٣)؛ وأحمد (٧٣٧)؛ والدارقطني (٧٦٩)، وغيرهم، وصحَّحه أحمد شاكر والألباني وشعيب الأرنؤوط.



•• شذرات من فقه علي وفتاويه:

وهذا باب واســع جدّاً، ونذكر هنا نمــاذج في أبواب الفقــه المختلفة، لتتكامل صورة الشخصية العلمية لأمير المؤمنين علي.

وقد ذكر الإمام ابنُ حزم ونقله عنه ابن القيِّم: أن المُكثِرين من الفُتيا من الصحابة سبعةٌ، وعليّ أحدهم، وقال: (ويمكن أن يُجمع من فتوى كل واحد منهم سِفْر ضخم)[(١)].

١ ـ في الطهارة والوضوء:

١ ـ عن أبي الغَريف الهَمْداني قال: (شهدتُ علي بن أبي طالب بالَ، ثم قال: اقرؤوا القــرآنَ ما لم يكن أحدُكــم جُنباً، فإذا كان جنبــاً فلا، ولا حرفاً واحداً)[(٢)].

٢ ـ وعن كعب بن عبد الله العَبْدي قال: (رأيتُ عليّاً بالَ، ثم توضأ فمَسَح على جوربَيْه ونَعْليه، ثم قام يصلي)[(٣)].

٣ ـ وروى زاذان الكِنْدي، عن عليٍّ قال: (إذا أَجْنَب الرجل في أرض فَلَاة ومعه ماء يسير، فلْيُؤْثر نفسَه بالماء، ولْيَتيمَّم بالصَّعيد)[(٤)].

٤ ـ وعن الحارث، عن علــي قال: (إذا طَهُرت المــرأة من المحيض ثم رأت بعد الطُّهر ما يَرِيبُها، فإنما هي رَكْضَةٌ من الشيطان في الرحم، فإذا رأتْ

(١) أصحاب الفتيا مــن الصحابة «ملحق بجوامع الســيرة»، ص ٣١٩؛ إعــلام الموقعين: ١٢/١.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (١٣٠٦)؛ وابن أبي شيبة: ١/١٢٥ـ١٢٧. وجاء عن علي مرفوعاً: سنن الترمذي (١٤٦)؛ وسنن أبي داود (٢٢٩).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٧٧٣)؛ وابن أبي شيبة: ٢١٦/١.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة: ١٢٨/١.

مثل الرُّعاف أو قطرة الدم أو غُسالة اللحم؛ توضأتْ وُضوءَها للصلاة ثم تصلي، فإنْ كان دماً عَبِيطاً الذي لا خَفاءَ فيه فلْتَدعِ الصلاة)[١].

٢ ـ في الصلاة:

٥ ـ عن عُبيد الله بن أبي رافع، عن علي: (أنه كان يأمر ويحبُّ أن يُقرأ خَلْفَ الإمام في الظهر والعصر في الركعتين الأُوليَيْن فاتحة الكتاب وسورة سورة، وفي الركعتين الأُخريين بفاتحة الكتاب)[٢].

٦ ـ وعن سعيد بن حَيّان: (عن علي قال: لا صلاةَ لجار المسجد إلا في المسجد. قيل لعليٍّ: ومَن جارُ المسجد؟ قال: مَن سمع النداءَ)[٣].

٧ ـ وعن عاصم بن ضَمْرة قال: قال علي: (أيُّما رجلٍ خرج إلى أرض قِيٍّ ـ أي: قَفْر ـ فحضرتِ الصلاة، فليتخيَّرْ أطيبَ البقاع وأنظَفَها، فإن كلَّ بقعةٍ تحبُّ أن يُذكرَ اللهُ فيها، فإن شاء أَذَّنَ وأقامَ، وإنْ شاءَ أقامَ إقامة واحدة وصلَّى)[٤].

٨ ـ وعن علي بن ربيعة قال: (سمعت عليّاً يقول لمؤذِّنه: أَسْفِر، أَسْفِر. يعني صلاة الصبح)[٥].

٩ ـ وعن علي بن ربيعة قال: (خرجنا مع علي متوجِّهين هاهنا ـ وأشار بيده إلى الشام ـ فصلى ركعتين ركعتين، حتى إذا رجعنا ونظرنا إلى الكوفة حضرت الصلاة، قالوا: يا أمير المؤمنين، هذه الكوفة أَتِمَّ الصلاةَ، قال: لا، حتى ندخلَها)[٦].

---

(١) أخرجه الدارمي (٨٧٣)؛ وعبدالرزاق (١١٦١)؛ وابن أبي شيبة: ١١٦/١.
(٢) المعرفة والتاريخ: ٤١٩/١؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٤٠٧/١.
(٣) أخرجه عبدالرزاق (١٩١٥)؛ وابن أبي شيبة: ٣٨٠/١.
(٤) أخرجه عبدالرزاق (١٩٥٠)؛ وابن أبي شيبة: ٢٤٨/١.
(٥) أخرجه عبدالرزاق (٢١٦٥).
(٦) علقه البخاري، ووصله الحاكم والبيهقي، انظر: الفتح: ٧٠٠/٣ـ٧٠١ قبل الحديث (١٠٨٩).

١٠ ـ وعن علي: أنه قال في الرجل يَنْسى الصلاة: (يصلِّيها متى ما ذَكَرها، في وقتٍ أو في غير وقتٍ)(١).

٣ ـ في الصيام:

١١ ـ قال الوليد بن عتبة اللَّيثي: (صُمْنَا مع عليٍّ ثمانيةً وعشرين يوماً، فأَمَرنا يوم الفطر أن نقضي يوماً)(٢).

١٢ ـ وعن محمد الباقِر: (أن رجلاً أتى علي بن أبي طالب فقال: أصبحتُ ولا أريد الصيام؟ فقال: أنت بالخِيار بينكَ وبين نصف النهار، فإن انتصف النهار فليس لك أن تُفطر)(٣).

١٣ ـ وروى الحارث عن عليٍّ في الهلال، قال: (إذا شهد رجلان ذوا عَدْل على رؤية الهلال، فأَفْطِروا)(٤).

١٤ ـ وعن أبي عبدالرحمن السُّلَمي، عن علي قال: (لا اعتكافَ إلا في مسجد جماعة)(٥).

٤ ـ في الزكاة:

١٥ ـ عن عاصم بن ضَمْرة، عن علي قال: (ليس على عوامل البقر صدقة)(٦).

وعوامل البقر: التي تستخدم في الحرث والسقي ونحوهما.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٥١٣/١؛ وسنن الترمذي، عقب الحديث (١٧٦).
(٢) مصنف عبدالرزاق (٧٣٠٨)؛ السنن الكبرى، للبيهقي: ٢٥١/٤.
(٣) مصنف عبدالرزاق (٧٧٨٢).
(٤) مصنف ابن أبي شيبة: ٤٨٢/٢.
(٥) مصنف عبدالرزاق (٨٠٠٩).
(٦) مصنف عبدالرزاق (٦٨٢٩)؛ وابن أبي شيبة: ٢٣/٣.

١٦ ـ وعن عُبيد الله بن أبي رافع قال: (بـاعَ لنا عليٌّ أرضاً بثمانين ألفاً، فلما أردنا قبْـضَ مالنا نَقَصت! فقـال: إني كنـت أزكِّيه. وكنـا يتامى في حَجْره)[١].

١٧ ـ وعن عَبِيدة السَّـلْماني قال: (سـئل علي عـن الرجل يكون له الدَّين المظنـون: أَيزكِّيه؟ فقـال: إن كان صادقـاً فليُزكِّه لِمـا مضَى إذا قبَضَه)[٢].

١٨ ـ وعن علي قال: (ليس في الخُضَر صدقة: البَقْل والتفاح والقثّاء)[٣].

٥ ـ في الحج:

١٩ ـ عن علي قال: (إذا قبَّل المُحْرِم امرأته فعليه دمٌ)[٤].

٢٠ ـ وعن عمر وعلي قـالا: (المُحْـرِم لا يَنْكِحُ ولا يُنْكِـح، فإِنْ نكح فنِكاحُه باطل)[٥].

٢١ ـ وسُـئل عُمر وعلي وأبو هريرة: (عن رجلٍ أصاب أهله وهو مُحْرِم بالحج؟ فقالـوا: يَنْفُذان، يَمْضِيان لوجْهِهما حتى يقضيَـا حجَّهما، ثم عليهما حجُّ قابلٍ والهَدْي.

وقال علي: إذا أَهـلَّا بالحج من عامٍ قابلٍ، تفرَّقا من المكان الذي أصابها حتى يَقضِيا حجَّهما)[٦].

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٦٩٨٦)؛ التاريخ الأوسط (٢٥٦، ٢٥٧).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٥٣/٣؛ ومصنف عبد الرزاق (٧١١٦).
(٣) مصنف عبد الرزاق (٧١٨٨).
(٤) مصنف ابن أبي شيبة: ٢١٠/٤.
(٥) مصنف ابن أبي شيبة: ٢٢٦/٤؛ سنن الترمذي، عقب الحديث (٨٥٦).
(٦) موطأ مالك: ٣٨١/١ـ٣٨٢؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٢٣٩/٤.

٢٢ ـ وفي هَدْي الكفّارة وجزاء الصيد، قال علي: (لا يُؤكل من النذر، ولا من جزاء الصيد، ولا مما جُعل للمساكين)(١)

٢٣ ـ وفي مَن نَذَر الحجَّ ماشياً ثم عَجَز، قال علي: (إذا جَعل عليه المشيَ فلم يستطع، فليُهدِ بَدَنةً، ويَركب)(٢).

٦ ـ في البيوع:

٢٤ ـ عن علي قال: (لا يَصلح الحيوان بالحيوانين، ولا الشاة بالشاتين إلا يداً بيد)(٣).

٢٥ ـ وروى محمد ابن الحَنفيّة، عن أبيه قال: (العاريَّةُ ليست بيعاً ولا مضمونة، إنما هو معروف، إلا أن يُخالف فيضمن)(٤).

٢٦ ـ وروى أبو جعفر الباقر قال: (كان علي يُضمِّن الخياطَ والصبّاغَ وأشباهَ ذلك، احتياطاً للناس)(٥).

٢٧ ـ وعن علي: (أنه لم يرَ بأساً بالمزارعة على النصف)(٦).

٧ ـ في النكاح والطلاق:

٢٨ ـ روى الشعبي قال: (ما كان أحدٌ من أصحاب النبي ﷺ أشدَّ في النكاح بغير وليٍّ من علي، حتى كان يَضرب فيه)(٧).

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٢٥٢/٤.
(٢) المرجع السابق: ٢٩٦/٤.
(٣) المرجع السابق: ٥٣/٥.
(٤) مصنف ابن أبي شيبة: ٦٥/٥؛ مصنف عبدالرزاق (١٤٧٨٨).
(٥) مصنف عبدالرزاق (١٤٩٤٨).
(٦) مصنف ابن أبي شيبة: ١٤٤/٥.
(٧) المرجع السابق ٢٧٢/٣.

٢٩ ـ وعن علي قال: (إذا تزوج بغيرِ إذْنِ وليٍّ ثم دخل بها، لم يُفرَّق بينهما، وإنْ لم يُصِبْها فُرِّق بينهما)[١].

٣٠ ـ وعن علي قال: (في الرجل يتزوَّج المرأة فيموتُ عنها، ولم يَدخلْ بها، ولم يَفرض لها؟ كان يَجعلُ لها الميراث، وعليها العِدَّة، ولا يَجعل لها صَداقاً)[٢].

٣١ ـ وفي عِدَّة المتوفَّى عنها زوجُها تضَعُ بعد وفاته بيسير، روى ابن المسيِّب: (أن عمر استشار علي بن أبي طالب وزيد بن ثابت، قال زيد: قد حَلَّتْ، وقال علي: أربعةَ أشهر وعشراً، قال عمر: لو وَضعتْ ذا بطْنِها وزوجُها على نعْشِه لم يُدخل حفرته؛ لكانت قد حَلَّتْ)[٣].

وهذا مما خالَفَ عليٌّ فيه الصحابةَ، والجمهورُ على قول عمر وزيد، ويؤيده الحديث الصحيح[٤].

٣٢ ـ وعن علي قال: (لا يُحرِّم من الرَّضاع إلا ما كان في الحَولَيْن)[٥].

٣٣ ـ وعن إبراهيم النَّخَعي: (أن امرأةً افتَضَّتْ جاريةً بإصبعها، وقالت: إنها زَنتْ، فرُفِعَتْ إلى عليٍّ، فغَرَّمها العُقْر، وضَربَها ثمانين لِقذفِها إياها)[٦].

والعقر: المهر.

٣٤ ـ قوله في (نكاح المُتْعَة وشدَّتُه على ابن عباس في مذهبه):

---

(١) مصنف عبدالرزاق (١٠٤٧٧).
(٢) مصنف عبدالرزاق (١٠٨٩٣، ١٠٨٩٤، ١١٧٣٧).
(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٣٩٣/٣.
(٤) البخاري (٤٩٠٩)؛ ومسلم (١٤٨٥)؛ والنسائي في الكبرى (٥٦٧٢) وغيرهم.
(٥) مصنف ابن أبي شيبة: ٣٨٨/٣.
(٦) مصنف ابن أبي شيبة: ٤٣٨/٣، وانظر: ٤٣٧/٣.

عن محمد ابن الحنفية، عن علي: (أنه سمع ابن عباس يلين في متعة النساء، فقال: مهلاً يا ابن عباس، فإن رسول الله ﷺ نهى عنها يوم خيبر، وعن لحوم الحمر الإنسية).

وفي رواية: (أن علياً قال لابن عباس: إنك امرؤٌ تائِهٌ، إن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المُتْعَة وعن لحوم الحُمُر الأهلية زمن خيبر، لا تُفْتِ بنكاح المتعة!)[١].

رجل تائه: هو الحائر الذاهب عن الطريق المستقيم، وإنما وصفه علي بذلك إشارة إلى أنه تمسك بالمنسوخ وغفل عن الناسخ.

٣٥ ـ روى عابس بن ربيعة عن علي قال: (كل طلاق جائز إلا طلاق المعتوه)[٢].

٣٦ ـ وروى الحسن البصري، عن علي: (أنه كان لا يَرى طلاقَ المُكْرَه شيئاً)[٣].

٣٧ ـ وسُئل عن رجل قال لزوجته: حَبْلُك على غارِبِك؟ فاستحلفه علي: ما نويتَ؟ قال: الطلاق، ففرَّق بينهما[٤].

٣٨ ـ وعن علي: أنه كان يقول في الرجل يقول لامرأتِه: أنتِ عليَّ حرامٌ، إنها ثلاثُ تطليقات[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢١٦)؛ ومسلم (١٤٠٧)؛ والترمذي (١١٤٩)؛ والفسوي: ٧٤٢/٢، وغيرهم.

(٢) علقه البخاري قبل الحديث (٥٢٦٩)؛ ووصله عبدالرزاق (١١٤١٥)، وابن أبي شيبة: ٢٥/٤.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٣٨/٤؛ ومصنف عبدالرزاق (١١٤١٤).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة: ٣٣/٤.

(٥) موطأ مالك: ٥٥٢/٢؛ مصنف عبدالرزاق (١١٣٨٠).

٣٩ ـ وروى محمــد الباقر، عن علي في رجلٍ طلَّــق امرأتَه حملَ بعيرٍ؟ قال: لا تحلُّ له حتى تنكح زوجاً غيره[١].

٨ ـ في الحدود والجنايات:

٤٠ ـ عن هُنَيْد بن خالد قــال: (أتى عليّاً رجلٌ في حــدٍّ، فقال: اضرِبْ، وأَعْطِ كل عضو حقَّه، واجتنِبْ وجْهَه ومذاكيرَه)[٢].

٤١ ـ وعن الشعبي: (أن شُــرَاحة الهَمْدانية أَتتْ عليّاً فقالت: إنِّي زنيتُ، فقال: لعلَّكِ غَيْرَى، لعلكِ رأيتِ في منامك، لعلكِ اســتُكْرِهتِ؟ فكلٌّ تقول: لا، فجلدهــا يوم الخميس، ورجمها يوم الجمعة، وقــال: جلدتُها بكتاب الله، ورجمتُها بسُنَّة نبي الله ﷺ)[٣].

٤٢ ـ وعن يزيد بن قيــس الأَرْحبي: (أن عليّاً رَجَم لوطيّاً)، زاد في رواية: (وكان مُحصناً)[٤].

٤٣ ـ وروى أبو مروان الأَسْــلَمي: (أن عليّاً أُتي برجلٍ سكران من الخمر في رمضان، فتركه حتى صَحَا، ثم ضربه ثمانين، ثم أَمر به إلى الســجن، ثم أخرجه من الغد فضربه عشرين، وقال: ثمانين للخمر، وعشرين لجرأتِكَ على الله في رمضان!)[٥].

٤٤ ـ وعن علي قال: (ما كنتُ لأُقيمَ حدّاً على أحد فيموتَ فأجد في نفسي، إلا صاحبَ الخمر فإنه لو مات وَدَيْتُه، وذلك أن رسول الله ﷺ لم يَسُنَّه)[٦].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٦٠/٤.
(٢) مصنف عبدالرزاق (١٣٥١٧)؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٥٣٨/٦.
(٣) أخرجه أحمد (٨٣٩، ٩٤١، ١١٨٥). وانظر: صحيح مسلم (١٦٩٠)؛ والترمذي (١٤٩٩).
(٤) مصنف ابن أبي شيبة: ٤٩٤/٦؛ سنن البيهقي: ٢٣٣/٨.
(٥) مصنف ابن أبي شيبة: ٥٣١/٦، ٥٤٠.
(٦) أخرجه البخاري (٦٧٧٨)؛ ومسلم (١٧٠٧)؛ والنسائي في الكبرى (٥٢٥٢)، وغيرهم.



ومعنى (**لم يَسُنّه**): أي لم يَسُنَّ فيه عدداً معيناً.

٤٥ ـ وقطع علي يد السارق من الكف:

روى سَـمُرة بن عبدالرحمن قال: (رأيتُ بالحِيْرة مقطوعاً من المَفْصِل، فقلتُ: مَن قطَعَك؟ قال: قطَعَني الرجلُ الصالح عليٌّ، أَمَا إنه لم يَظلِمْني)[1].

٤٦ ـ وأُتي عليٌّ برجل سَرَق من الخُمس، فقال: له فيه نصيب، ولم يقطعْه[2].

٤٧ ـ وعن علي قال: يُستتاب المرتدّ ثلاثاً، فإن عاد قُتل[3].

٩ ـ في الديات:

٤٨ ـ قضَى عليٌّ في دِية مَن قُتل خطأً أو شبهَ العمد: (١٠٠) من الإبل.

وروى عاصم بن ضمرة، عن علي قال: (شبه العمد الضربة بالخشبة العظيمة، والحجر العظيم)[4].

٤٩ ـ وقضَى عليٌّ: في الأُذن نصف الدية. وفي العين نصف الدية. وفي رجل أَعور فُقئت عينُه الصحيحة عمداً: إن شاء أخذ الدية كاملة، وإن شاء فَقأ عيناً وأخذ نصف الدية. وفي الشفتين الدية. وفي السن خمس من الإبل. وفي الذَّكَر الدّية. وفي البيضة (الخِصْية) نصف الدية. وفي اليد نصف الدية، وفي الرجل نصف الدية. وفي الأصابع عشر عشر من الإبل[5].

---

(١) علقه البخاري قبل الحديث (٦٧٨٩)، ووصله ابن أبي شيبة: ٥٢٨/٦.

(٢) مصنف عبدالرزاق (١٨٨٧١).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٥٩٩/٧.

(٤) انظر: سنن أبي داود (٤٥٥١، ٤٥٥٣)؛ مصنف عبدالرزاق (١٧٢٣٦) و(١٧٢٠٥).

(٥) مصنف عبدالرزاق (١٧٣٨٩، ١٧٤٠٩، ١٧٤٣٢، ١٧٤٨٤، ١٧٤٩٢، ١٧٦٣٥، ١٧٦٤٦، ١٧٦٨٠، ١٧٦٩٥) بالترتيب.

٥٠ ـ وعن يزيد بن مذكور الهَمْداني: (أن رجلاً قُتل يوم الجمعة في المسجد في الزحام، فجعل علي ديته من بيت المال)(١).

٥١ ـ وعن علي قال: (دية اليهودي والنصراني وكل ذِمّي مثلُ دية المسلم)(٢).

١٠ ـ في الوصايا:

٥٢ ـ عن علي: في رجل أَوْصَى لرجلٍ، فمات الذي أُوصِي له قبل أن يأتيه؟ قال: هي لورثة الموصَى له(٣).

٥٣ ـ وفي الرجل عنده المال القليل، روى عروة بن الزبير: (أن عليّاً دخل على رجل من بني هاشم يَعودُه، فأراد أن يوصي، فنهاه وقال: إن الله يقول: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠]، وإنك لم تَدَعْ مالاً، فدَعْه لعيالِك).

وفي رواية: (إنما تركتَ شيئاً يسيراً، فاتركْه لولدِك)(٤).

٥٤ ـ وعن علي قال: (لأَن أُوصِي بالخُمس أحبُّ إليَّ من أن أوصي بالربع، وأن أوصي بالربع أحبّ إليَّ من أن أوصي بالثلث، ومن أوصَى بالثلث فلم يترك شيئاً)(٥).

سادساً: القاضي:

●● من جلائل نعم الله على عليٍّ رضي الله عنه: أن النبي ﷺ بعثه إلى اليمن داعياً

---

(١) مصنف عبدالرزاق (١٨٣١٦)، مصنف ابن أبي شيبة: ٤١٧/٦.
(٢) مصنف عبدالرزاق (١٨٤٩٤).
(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٢٨٤/٧.
(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٣٠٩/٧؛ تفسير ابن كثير: ٢٦٣/١.
(٥) مصنف عبدالرزاق (١٦٣٦١)؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٣٠٧/٧.

وقاضياً، ودعا له بأن يثبّت الله لسانه ويهدي قلبه، وأوصاه بأن لا يقضي بين اثنين حتى يسمع منهما جميعاً، قال علي: (فما أَشْكَل علَيّ قضاءٌ بعد)[١].

وشهد له أكابر الصحابة بأنه من أكابر قضاة الأمة:

روى ابن عباس، عن عمر بن الخطاب قال: (أَقْرؤنا أُبَيٌّ، وأقضانا عليٌّ)[٢].

وعن ابن مسعود قال: (كنا نتحدث أن أقضَى أهلِ المدينة علي بن أبي طالب)[٣].

وقال تلميذه عامر الشعبي: (قضاة هذه الأمة أربعةٌ؛ عمر وعلي وزيد وأبو موسى الأشعري)[٤].

وأما ما رُويَ مرفوعاً عن النبي ﷺ قال: «**أقضَى أمتي عليٌّ بن أبي طالب**»، و«**أَرحمُ أمتي بأمتي أبو بكر... وأقضاهم عليٌّ**»، فهو حديث ضعيف[٥].

•• نماذج من أقضيته:

١ ـ عن زيد بن أرقم قال: (أُتِيَ عليٌّ بثلاثة وهو باليمن وقَعُوا على امرأة في طُهْر واحد، فسأل اثنين: أَتُقِرَّان لهذا بالولد؟ قالا: لا، حتى سألهم جميعاً، فجعل كلما سأل اثنين، قالا: لا، فأَقرع بينهم، فألحق الولدَ بالذي صارت

(١) انظر ما تقدم: ص٨٦، حاشية (١)، في هذا الكتاب.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٨١)؛ وابن سعد: ٣٣٩/٢.

(٣) أخرجه ابن سعد: ٣٣٨/٢ ـ ٣٣٩؛ والحاكم: ١٣٥/٣ وصحّحه، وصحّحه أيضاً الحافظ في الفتح: ٦٦٨/٨، آخر مناقب علي.

(٤) طبقات ابن سعد: ٣٥١/٢.

(٥) ضعيف الجامع الصغير (٧٧٤ـ٧٧٦).

عليه القُرعة، وجعل عليـــه ثُلُثَي الدية. قال: فذُكِرَ ذلـــك للنبي ﷺ، فضحك حتى بَدَتْ نَواجِذُه)[١].

٢ ـ وعن قتادة قال: (شَـــهد رجلان بسرقةٍ على رجل، فقَطَع عليٌّ يدَه، ثم جاءا الغد برجل فقالا: أخطأنا بالأول، هو هذا الآخَر، فأَبْطَل شـــهادتهما على الآخر، وأغرمهما دِيةَ الأول)[٢].

٣ ـ وعن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود قال: (كنتُ قاعداً عند علي، فجاء رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إني قد ســـرقتُ، فانتهـــرَهُ! ثم عاد الثانية فقال: إني قد ســـرقتُ، فقال له علي: قد شـــهدتَ على نفسك شهادتين، قال: فأَمر به فقُطعت يده، فرأيتُها معلَّقة ـ يعني في عنقه ـ)[٣].

٤ ـ وعن عامر الشـــعبي قال: (جـــاءت امرأة إلى علـــي تُخاصم زوجَها طلَّقها، فقالت: حِضتُ في شهر ثلاث حِيَض؟ فقال علي لشريح: اقضِ بينهما، قال: يا أمير المؤمنين، وأنت هاهنا؟! قال: اقضِ بينهما، قال: يا أمير المؤمنين، وأنت هاهنا؟! قال: اقضِ بينهما، فقال: إنْ جاءت من بطانة أهلها ممَّن يُرضَى دينُه وأمانته تزعمُ أنها حاضت ثلاث حِيض تطهرُ عند كل قُرْءٍ وتصلي؛ جازَ لها، وإلا فلا. فقال علي: قالون! وقالون بلسان الروم: أحسنتَ)[٤].

٥ ـ وعن الشَّـــموس الكِنْدية قالت: (قاضيتُ إلى علـــيٍّ في أب مات لم يَدَعْ أحداً غيري ومولاه، فأعطاني النصف، وأعطَى مولاه النصف)[٥].

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٢٧٠)؛ وابن ماجه (٢٣٤٨)؛ والنســـائي في الكبرى (٥٦٥٢)، وغيرهم، وصحَّحه الألباني.

(٢) مصنف عبدالرزاق (١٨٤٦٠ ـ ١٨٤٦٢)، وعلَّقه البخاري قبل الحديث (٦٨٩٦).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٤٧٦/٦؛ مصنف عبدالرزاق (١٨٧٨٤).

(٤) علَّقه البخاري مختصراً قبل الحديث (٣٢٥)؛ ووصلـــه الدارمي (٨٥٥)؛ وقال الحافظ في (الفتح: ١١١/٢): رجاله ثقات.

(٥) سنن الدارمي (٣٠١٤، ٣٠١٧).

٦ ـ وروى خِلَاس بن عَمْرو: (عن علي، قال: رمَى رجلٌ أمَّه بحجر فقَتَلَها، فطلب الميراثَ من إخوته، فقال له إخوته: لا ميراثَ لك. فارتَفَعُوا إلى علي، فجعل عليه الدِّيَةَ، وأَخرجه من الميراث!)[١].

وانظر قضاء علي في قصة الذين قُتلوا في زُبْيَة الأسد[٢]، وقصة الأرغفة الثمانية[٣]، وستأتي أمثلة أخرى في فصول الكتاب.

سابعاً: نشره العلم:

للخلفاء الراشدين الأربعة فضل كبير ودورٌ جليل في نشر علوم الإسلام وتبليغِ شرائعه في الأمصار، واستنابتهم الولاة وبعثهم العلماء للقيام بواجب الدعوة وتعليم الناس.

وقد نشر سيدنا علي علومه الغزيرة في عهد النبي ﷺ وزمن الخلفاء الراشدين الثلاثة، وكذلك في أيام إمارته، وعلمُه بالعراق كثير جدّاً، حدَّث عنه الجَمُّ الغَفير، وتفقَّه به خلائق، وحديثُه وفقهُه وأقضيته وعلومه مدوَّنة في الكتب ومنشورة بين الناس.

١ ـ تحرِّيه في نشر العلم:

روى سُويد بن غَفَلَة، عن علي رضي الله عنه قال: (إذا حدَّثْتُكم عن رسول الله ﷺ حديثاً فوالله لأَنْ أَخِرَّ من السماء أَحَبُّ إليَّ مِن أن أكذِبَ عليه، وإذا حدَّثْتُكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خَدْعَة، وإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**سيخرج قوم في آخر الزمان أحداثُ الأسنان، سُفهاءُ الأحلام...**») الحديث في صفة الخوارج[٤].

---

(١) سنن الدارمي (٣٠٧٨)؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٤٢٤/٦.

(٢) مسند أحمد (٥٧٣، ٥٧٤)؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٤٢٠/٦؛ شرح مشكل الآثار (٢٢٠٠).

(٣) الاستيعاب: ٤١/٣ـ٤٢؛ تهذيب الكمال: ٤٨٦/٢٠.

(٤) أخرجه البخاري (٦٩٣٠)، وغيره، وسيأتي بتمامه في آخر الكتاب.

وروى أبو عبدالرحمن السُّلَمي، عن علي قال: (صنَعَ لنا عبدالرحمن بن عوف طعاماً فدَعَانا، وسقانا من الخَمْر، فأخذتِ الخمرُ منَّا، وحضرتِ الصلاة فقدَّموني فقرأتُ: قل يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون، ونحن نعبد ما تعبدون! قال: فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء: ٤٣])(١).

وهذا من عظيمِ نُبْله وورعه وتحرِّيه وأمانته في نشره هذا الحديثَ الذي يذكر أنهم شربوا الخمر حتى سكروا، وهذا قبل أن يَنزل الحكم الباتُّ بتحريمها مُطلَقاً.

وروى زاذان وغيره، عن علي قال: (وابَرْدَها على الكبِد أن تقول لِما لا تعلمُ: الله أعلم)(٢).

وقال رضي الله عنه: (أيُّ أرضٍ تُقِلُّني، أو أي سماء تُظلُّني؛ إذا قلتُ في كتاب الله ما لا أعلم؟!)(٣).

٢ ـ تحديثه الناس وتعليمهم:

●● عن عبدِ خيرٍ قال: (أتانا علي وقد صلَّى ـ الفجر ـ فدعا بطَهُورٍ، فقلنا: ما يَصنع بالطَّهور وقد صلَّى؟! ما يريد إلا ليُعَلِّمَنا. فأُتي بإناءٍ فيه ماء وطَسْتٍ، فأَفرغ من الإناء على يمينه فغَسَل يديه ثلاثاً، ثم تمضمض واستنثر ثلاثاً، فمضمض ونَثَر من الكَفِّ الذي يأخذ فيه، ثم غَسَل وجهه ثلاثاً، وغسل يده اليمنى ثلاثاً، وغسل يده الشِّمال ثلاثاً، ثم جعل يده في الإناء

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٠٤١)؛ وأبو داود (٣٦٧١)؛ والترمذي (٣٢٧٥) وقال: حسن غريب صحيح، وصحَّحه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٢) سنن الدارمي (١٧٥ ـ ١٧٨)؛ جامع بيان العلم: ٢/٦٦.

(٣) جامع بيان العلم: ٢/٦٥.

فمَسَح برأسه مرة واحدة، ثم غَسَل رجلَه اليمنى ثلاثاً، ورجله الشِّمال ثلاثاً، ثم قال: مَنْ سَرَّه أن يعلَمَ وُضوءَ رسول الله ﷺ فهو هذا)[١].

ووصف للناس صلاة النبي ﷺ وما يقوله فيها من افتتاحها وحتى الفراغ منها، ودعاءه بعد السلام[٢].

وعن النزَّال بن سَبْرة: (أن عليّاً دعا بماءٍ فشَرِبه وهو قائم، ثم قال: إن رجالاً يَكره أحدُهم أن يفعل هذا، وقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يفعل مثلَ ما رأيتُموني فعلتُ)[٣].

●● وكان ﷺ يغتنم الفرص والمناسبات لنشر العلم وتعليم الناس آداب الإسلام وهدي النبوة.

يقول أبو فاخِتة سعيد بن عِلَاقة: (أَخذ عليٌّ بيدِي، قال: انطلِقْ بنا إلى الحسن ـ هو ابن علي ـ نَعودُه، فوجدنا عنده أبا موسى الأشعري، فقال علي: أعائداً جئتَ يا أبا موسى أم زائراً؟ فقال: لا، بل عائداً، فقال علي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من مسلم يَعودُ مسلماً غُدْوةً، إلا صلَّى عليه سبعون ألف مَلَك حتى يُمْسي، وإنْ عادَه عشيَّةً، إلا صلَّى عليه سبعون ألف مَلَك حتى يُصْبح، وكان له خَرِيفٌ في الجنة»**)[٤].

وعن أبي عبدالرحمن السُّلَمِيِّ قال: (أخذ بيدِي عليٌّ فانطَلَقْنا نمشي حتى جلسنا على شَطّ الفُرات، فقال علي: قال رسول الله ﷺ: **«ما مِن نفسٍ منفوسةٍ**

---

(١) أخرجه أبو داود (١١١)؛ والنسائي في الكبرى (٧٧)؛ وأحمد (٨٧٦)، وغيرهم، وصحَّحه أحمد شاكر والألباني.

(٢) صحيح مسلم (٧٧١)؛ وسنن أبي داود (٧٦٠، ١٠٥٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥٦١٥)؛ وأبو داود (٣٧١٨)، وغيرهما.

(٤) أخرجه الترمذي (٩٩١)؛ وأبو داود (٣٠٩٩)؛ وابن ماجه (١٤٤٢)؛ وأحمد (٦١٢، ٩٧٥)، وصحَّحه أحمد شاكر والألباني. **الخريف**: البستان.

إلا قد سَبَق لها من الله شقاءٌ أو سعادةٌ» فقام رجل فقال: يا رسول الله، فيمَ إذن نعمل؟ قال: «**اعملوا، فكلٌّ مُيسَّرٌ لِما خُلِق له**» ثم قرأ هذه الآية: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠])[١].

●● وتصدَّر علي لتعليم الناس وكان يقول لهم: سَلُوني فيُجيبهم على سؤالاتهم ويفقّههم ويُفتيهم.

روى أبو إسحاق السَّبِيعي، عن عاصم بن ضَمْرة السَّلُوليّ قال: (سألْنا عليّاً عن تطوُّعِ رسول الله ﷺ بالنهار؟ فقال: إنكم لا تُطِيقُوه! فقلنا: أخبرْنا به نأخذْ منه ما استطعنا. قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى الفجر يُمْهِل، حتى إذا كانت الشمس من هاهنا ـ يعني من قِبَل المَشْرق ـ مقدارَها من صلاة العصر من هاهنا ـ يعني من قِبَل المغرب ـ قام فصلَّى ركعتين. ثم يُمْهِلُ حتى إذا كانت الشمس من هاهنا ـ يعني من قِبل المشرق ـ مقدارَها من صلاة الظهر من هنا ـ يعني من قبل المغرب ـ قام فصلَّى أربعاً، وأربعاً قبل الظهر إذا زالتِ الشمس وركعتين بعدها، وأربعاً قبل العصر يَفصِلُ بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المُقرَّبين والنبيين، ومن تبعهم من المسلمين والمؤمنين. قال علي: فتلك ستَّ عشرةَ ركعةً، تطوُّعُ رسول الله ﷺ بالنهار، وقَلَّ من يُداوِم عليها)[٢].

قال حبيب بن أبي ثابت لأبي إسحاق حين حدَّثه: يا أبا إسحاق، ما أُحِبُّ أن لي بحديثك هذا ملء مسجدك هذا ذهباً!.

وقال زِرُّ بن حُبَيْش: (قلنا لعَبِيدة: سَلْ عليّاً عن صلاة الوسطى، فسأَلَه،

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٢)؛ ومسلم (٢٦٤٧)؛ وأحمد (١٣٤٨)، وغيرهم.

(٢) أخرجه الترمذي (٦٠٤)؛ وابن ماجه (١١٦١)؛ وأحمد (٦٥٠)، وصحَّحه أحمد شاكر وحسنه الألباني.

فقال: كنَّا نُراها الفجرَ، فسمعتُ النبي ﷺ يقول يومَ الأحزاب: «**شَغلُونا عن صلاةِ الوسطى صلاةِ العصر، ملأ الله قبورَهم وأجوافَهم ناراً**»[١].

وعن أبي راشد السَّلْماني قال: (كنتُ أرعى منائحَ لأهلي بظهر الكوفة، فتردَّى منها بعير، فخشيتُ أن يَسبقني بذكاته، فأخذتُ حديدة فوجأت بها في جَنْبه أو في سَنَامه، ثم قطَّعتُه أعضاء وفرَّقْتُه على سائر أهلي، ثم أتيت أهلي فأبَوا أن يأكلوا حيث أخبرتهم خبرَه، فأتيت عليّاً فقمتُ على باب قصره فقلت: يا أمير المؤمنين، يا أمير المؤمنين! فقال: يا لَبَّيْكاهُ، يا لبَّيكاه! فأخبرتُه خبره، فقال: كُلْ، وأطعمني عَجُزَه)[٢].

٣ ـ ثناء الصحابة على علم علي رضي الله عنه:

ـ عن ابن عباس قال: إذا حدَّثَنا ثقةٌ عن علي بِفُتْيا لا نَعْدوها[٣].

وقال أيضاً: كنا إذا أتانا الثبت عن علي لم نعدل به[٤].

ـ وقال عبد الله بن مسعود: أعلم أهل المدينة بالفرائض علي[٥].

ـ وعن شُريح بن هانئ قال: سألتُ عائشة عن المسح على الخُفَّين؟ فقالت: سَلْ عليّاً فإنه أعلمُ بهذا منِّي، كان يسافر مع النبي ﷺ. قال: فسألت عليّاً؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: «**للمسافر ثلاثةُ أيام ولياليهنَّ، وللمقيمِ يومٌ وليلة**»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٣١)؛ ومسلم (٦٢٧)؛ والنسائي في الكبرى (٣٥٨)، وغيرهم.
(٢) علَّقه البخاري قبل الحديث (٥٥٠٩)؛ ووصله ابن أبي شيبة: ٦٣٠/٤.
(٣) طبقات ابن سعد: ٣٣٨/٢.
(٤) ابن عساكر: ٤٦/٣؛ تهذيب الكمال: ٤٨٦/٢٠.
(٥) الاستيعاب: ٤١/٣.
(٦) أخرجه مسلم (٢٧٦)؛ وابن ماجه (٥٥٢)؛ وأحمد (٧٤٨).

والأخبار في هذا كثيرة، وقد تقدم طرف آخر منها.

ثامناً: أكاذيب وأباطيل حول علم علي:

اختَلَق الرواة المتروكون والمتهمون روايات وأخباراً وأباطيل، وألصقوها بسيرة الصحابي الأجل والخليفة الراشدي أمير المؤمنين علي. **وافترت الرافضة أكاذيبَ أخرى كثيرة وأصبحت عندها مرضاً وراثيّاً** انتقل داؤه عبر الأجيال آخذاً بالانتشار مع الاستفحال. **والْتَاثَ بذلك كثير من الكتّاب قديماً وحديثاً،** فأثبتوا في سيرة علي ما هو منه بريء، وعنه متنزه.

ونحن نعتقد جازمين أن سيدنا عليّاً كان أعقَلَ وأرفعَ، وأنبلَ وأورعَ، وأنقى وأتقى لله من أن يَقبل بتلك الأكاذيب، أو يسكت عن هاتيك الفِرى والأباطيل!.

أخرج الإمام مسلم في «مقدمة صحيحه»: عن الإمام الحافظ العلم أبي إسحاق السَّبِيعي ـ وهو من تلاميذ علي ـ قال: (لمَّا أَحْدَثُوا تلكَ الأشياءَ بعدَ عليٍّ ﷺ قال رجلٌ من أصحاب عليّ: قاتَلَهُم اللهُ أيَّ علمٍ أَفْسَدُوا!).

وأشار بذلك إلى ما أَدْخَلَتْه الروافضُ والشيعة في علمِ عليٍّ ﷺ وحديثِهِ، وتقوَّلُوه عليه من الأباطيل، وأضافوه إليه من الروايات والأقاويل المُفتعَلة والمُختَلَقَة، وخَلَطوه بالحق فلم يتميَّز ما هو صحيحٌ عنه مما اختلقوه[1]!.

وقد كان ذلك قديماً جدّاً في عصر الصحابة، كما يدل عليه هذا الخبر الصحيح، حيث يستنكر ذلك التابعي من أصحاب علي ما أدخلوه على علمه وسيرته ومواقفه من أكاذيب وأخلوقات وافتراءات.

---

(١) شرح صحيح مسلم، للنووي: ١/١١٣، ١١٨؛ فتح الملهم: ١/٢٦٢_٢٦٣.



ويؤكِّد ذلك خبر آخر ساقه مسلم أيضاً في «مقدمة صحيحه»: عن ابن أبي مُلَيْكَة قال: (كتبتُ إلى ابن عباس أسأَلُه أن يكتبَ لي ويُخْفِي عنِّي، فقال: ولدٌ ناصحٌ، أنا أختار له الأمورَ اختياراً وأُخْفِي عنه، قال: فدَعَا بقضاءِ عليٍّ، فجعل يكتبُ منه أشياءَ، ويمرُّ به الشيء فيقول: واللهِ ما قضَى بهذا عليٌّ، إلا أنْ يكون ضَلَّ!).

قال النَّووي: معناه: ما يقضي بهذا إلا ضالٌّ ولا يَقضي به علي إلا أن يَعرف أنه ضَلَّ، وقد عَلِم أنه لم يَضِلّ، فيُعلَم أنه لم يقضِ به[1]!.

•• ونشير في هذا المبحث إلى رؤوس تلك الأباطيل والأخلوقات التالفة عند المتقدمين والمتأخرين:

١ ـ من ذلك: ما روي عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: أنا دار الحكمة وعلي بابها.

وفي رواية: أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأتِ الباب.

وهو خبر باطل موضوع، سيأتي تفصيل القول فيه[2].

٢ ـ والخبر الآخر عن عليٍّ: أنه دخل على النبي ﷺ وانكَبَّ عليه، فلما خرج من عنده قيل له: ما قال لك؟ قال: علَّمَني ألفَ بابٍ، يَفتح كل باب ألف باب[3]!.

قال ابن عَديّ: هذا حديث مُنكَر، ولعل البلاء فيه من ابن لَهِيعَة فإنه شديد الإفراط في التشيع.

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي: ١/١١٣، ١١٨، فتح الملهم: ١/٢٦٢ ـ ٢٦٣.

(٢) انظر: ص ٢٢٥ حاشية رقم (٤)، في هذا الكتاب.

(٣) الكامل، لابن عدي: ٢/٤٥٠ «ترجمة حيي بن عبد الله»؛ تاريخ ابن عساكر: ٢/٤٨٤ـ٤٨٥؛ البداية والنهاية: ٧/٣٦٠.

قلتُ: بل هـو حديث خرافة، فهو يذكـر أنه علَّمـه (١٠٠٠ باب) هي من رؤوس الأبواب، لأنه قال: يَفتح كل باب ألفَ باب، فلو أن تعليمَه البابَ الواحد استغرق (دقيقة واحدة) فيكون مقدار هـذا المجلس نحو (١٧ سـاعة)، فأين الصلاة وغيرها من الأمور التي يقوم بها النبي ﷺ ؟! لكن الكذابين لا يعقلون!.

٣ ـ ومنها: الحديث الذي يُروى فيه أنه جـاءه أربعون يهوديّاً ـ وهو أمير المؤمنين ـ فوقفوا ببابه وقالوا: يا علي، صِفْ لنا ربَّك هذا الذي في السـماء كيف هو، وكيف كان، ومتى كان، وعلى أي شيء هو؟ فأجابهم بكلام طويل ينبو عنه السمع، وحاشـى عليّاً أن يقوله، ورسولُ الله ﷺ الذي يُوحى إليه لم يُؤثَر عنه مثل ذلك.

والخبر ضعيف جدّاً، رواه ابن إسحاق مرسَلاً وفيه راوٍ مجهول[١].

٤ ـ وكذلك يروون عن علي: أن رجلاً سـأله: هل سمعتَ رسول الله ﷺ ينعتُ الإسلامَ؟ فقال: نعم، وسَردَ حديثاً طويلاً فيه من تشقيقِ الكلام ما يتنزَّه عنه الأسلوب النبوي في فصاحته ونوره[٢].

والخبر فيه (إسحاق بن بِشْر، ومُقاتِل بن سُليمان)، وهما كذابان!.

٥ ـ ومنها ما نَسبه ابن المُطهَّر الحِلِّي إلى علي: أنه قال: (سَلُوني قبل أن تفقِدوني، سَلُوني عن طُرُق السـماء فإني أعرفُ بها من طُرق الأرض... والله لو ثُنيت لي وِسـادة فجلسـت عليها؛ لأَفتيتُ أهلَ التـوراة بتوراتهم، وأهلَ الإنجيل بإنجيلهم، حتى يُنطِق الله التوراة والإنجيـل فتقول: صَدَق عليٌّ، قد أفتاكم بما أنزل الله فيَّ، وأنتم تتلون الكتاب، أفلا تعقلون؟!)[٣].

---

(١) الحليـة: ٧٢/١ـ٧٣. ولابـن تيمية ردٌّ مطوَّل على ما يشـبه هـذا الكلام؛ منهاج السُـنَّة: ٣٨٥/٤ـ٤٠٦.

(٢) الحلية: ٧٤/١ـ٧٥.

(٣) منهاج السُنَّة: ٥١٠/٣.

ونحو هذا الكلام موجود في «نهج البلاغة»، وشَـرَحَه ابـنُ أبي الحديد فقال: (المراد بقوله: «فلأَنَا أعلمُ بِطُرق السماء مني بطُرقِ الأرض»؛ ما اختُصَّ به من العلم بمستقبل الأمور، ولا سيما في الملاحم والدول، وقد صَدَّق هذا القولَ عنه ما تواتر عنه من الإخبار بالغيوب المتكررة، لا مرة ولا مئة مرة!)(١).

وهذا وذاك كذبٌ ظاهرٌ لا تجوز نسـبةُ مثلِه إلى علي؛ فإن علياً أعلمُ بالله وبدين الله من أن يَحكم بالتوراة والإنجيل، إذ كان المسلمون متفقين على أنه لا يجوز لمسلم أن يحكم بين أحد إلا بما أنزل الله في القرآن(٢).

وقوله: (أعلم بطرق السـماء...) هو كلام باطل لا يقولـه عاقل، فإن ذاك لا يعلمه رسـول الله ﷺ إلا بمقدار ما أعلمه ربه به وكَشـفَه لـه من الغيب، فكيف يزعم زاعم ذلك لعليٍّ؟!.

ومَن اعتقد هذا من الغُلَاة في أحد من المشـايخ وأهـلِ البيت، فهو من الضُّلَّال، من جنس مَن اعتقد من الغُلاة فـي أحد من هؤلاء النبوةَ، أو ما هو أفضل من النبوة، أو الإلٰهية(٣).

٦ ـ وقـول ابـن المطهَّـر الحِلِّـي: (إن عليّـاً كان أعلـمَ النـاس بعد رسول الله ﷺ)(٤).

هو كلام باطل، فأعلمُ الناس بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، ثم عمر.

وقد ذكر غير واحد من العلماء الإجمـاع على **أن أبا بكر أعلمُ الصحابة كلهم**، وقد ذكرتُ دلائل ذلك في كتابي «أبو بكر الصِّدِّيق».

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٧٤/٧، ٧٧، ٥٨١/١٠.
(٢) منهاج السُّنَّة: ٥١١/٣.
(٣) المرجع السابق: ٤١٦/٤.
(٤) المرجع السابق: ٣٦٣/٤.

(ولـم يُحفظ لأبي بكر فُتيا تخالِف نصّاً، وقد وُجد لعمر وعلي وغيرِهما فتاوى كثيرة تخالف النصوص، حتى جمع الشافعي مجلداً في خلاف علي وابن مسعود، وجمع محمد بن نصر المَرْوَزي كتاباً كبيراً في ذلك).

(وكان النبي ﷺ في مشاورته لأهل الفقه والرأي يقدِّم في الشورى أبا بكر وعمر، فهما اللذان يتكلمان في العلم، ويتقدَّمان بحضرته على سائر الصحابة، مثل مشاورته في أسارى بدر وغير ذلك)[1].

وقال ﷺ: «**اقتدوا باللَّذَيْنِ من بعدي**»، وأشار إلى أبي بكر وعمر. وقال: «**إنْ يُطعِ الناسُ أبا بكر وعمر فقد أَرْشَدُوا**».

وقد برهن الإمام ابن حزم على تقدُّم الصدِّيق في العلم على سائر الصحابة بكلام نفيس؛ خلاصته: أن رسول الله ﷺ قدَّمه ليؤُمَّ الناسَ في الصلاة، واستعمله على الصدقات وبعثه أميراً على الحج، وهذه دعائم الإسلام[2].

وأما الفاروق عمر: فالأحاديث الصحيحة الكثيرة تدل على تقدُّمِه في العلم على جميع الصحابة ما عدا الصديق، منها: «**لو كان بعدي نبيٌّ لكان عمر**»، «**إن الله جعل الحقَّ على لسان عمر وقلبه**»، «**لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدَّثون، فإنْ يكُ في أمتي أحدٌ فإنه عمر**»، «**بينا أنا نائم أُوتِيت بقَدَحٍ من لبن، فشربتُ حتى إني لأَرى الرِّيَّ يَخرُج في أظفاري، ثم أعطيتُ فضْلي عمرَ بنَ الخطاب**»، قالوا: فما أَوّلْتَه يا رسول الله؟ قال: «**العلم**».

وأيضاً كثرة موافَقَاتِه ونزول القرآن بما كان يراه ويقترحه، وأهل المدينة أميَلُ إلى قول عمر، ويقدِّمونه على قول علي، ومذهبُهم أرجح مذاهب أهل الأمصار[3].

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٥٨٥/٣، ٣٦٤/٤ ـ ٣٦٥.
(٢) الفِصَل: ٢١٢/٢ـ٢١٤؛ منهاج السُّنَّة: ٣٧٣/٤ـ٣٧٤.
(٣) منهاج السُّنَّة: ٥٥٢/٣.



وهذا باب واسع قد أقمنا براهينه في كتابنا «عمر بن الخطاب».

٧ ـ ومن الأُخلوقات في «باب علم علي» قول ابنِ المُطهَّر ومن تابعه: (أما النحو: فهو واضعُه، وفي الفقه: الفقهاء يرجعون إليه، والمالكية: أخذوا علمَهم عنه وعن أولاده، وعلمُ الفقهاء الأربعة ينتهي إليه، وأما علمُ الكلام: فهو أصله، ومن خُطَبِه تعلَّم الناس، وكل الناس تلاميذه!). (وعلمُ التفسير إليه يُعزى، وأما علم الطريقة فإليه منسوب، فإن الصوفية يُسندون الخرقة إليه، وأما علم الفصاحة فهو منبعه حتى قيل: كلامُه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق، ومنه تعلم الخطباء)[1].

إلى آخر هذه المبالغات والمجازفات، وقد أطنب شيخ الإسلام ابن تيمية في عرضها، والردّ عليها وتوضيح وجه الحق فيها بالحجة والدليل المبين[2].

٨ ـ وسَبَق ابنَ المطهَّر: ابنُ أبي الحديد في «مقدمة شرح نهج البلاغة»، وزاد عليه مجازفات كثيرة: فزعم أن المعتزلة ـ وهم أهل التوحيد والعدل كما يقول ـ تلامذته وأصحابه، وإليه تنتهي الأشعرية، وأما الإمامية والزيدية فانتماؤهم إليه ظاهر!.

وكل فقيه في الإسلام عِيالٌ عليه حتى الأئمة الأربعة الفقهاء، ومن بحر علمه تستقي وتتفرع علوم الفقه والتفسير والقراءات والطريقة والحقيقة والتصوف، والنحو والعربية، والرأي والتدبير والسياسة[3]!.

وعلى سَنَن أولئك مشى فريق من الأخلاف من كتَّاب زماننا، ولم يأتوا بجديد بل هو مَحْضُ التكرار والتقليد والتزويق والتسويق.

(١) منهاج السُّنَّة: ٤/٣٨٠ـ٣٨٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤١٢.
(٢) المرجع السابق: ٤/٣٨٠ـ٤٢٥.
(٣) مقدمة شرح نهج البلاغة: ١/٤٤ـ٥٢.

٩ ـ فالدكتور طلال الجنابي يذكر نحو ما سبق، فيقول: (وله الهداية الأولى في التوحيد الإسلامي والقضاء الإسلامي والفقه الإسلامي، وعلم النحو العربي وفنِّ الكتابة العربية، فهو أساسٌ صالح لموسوعة المعارف الإسلامية في جميع العصور، ويجوز لنا أن نسمِّيه: موسوعةَ المعارف الإسلامية كلها في الصدر الأول من الإسلام)[١].

١٠ ـ وعبدالكريم الخطيب يدَّعي أن عليّاً انفرد وحده بصفتين لا يكاد يُنازعه أحدٌ فيهما، وهما: الضربُ بالسيف في سبيل الله، والفقه الحق لدين الله ولكتاب الله... وكان علي فقيه الإسلام، وعالم الإسلام، وحكيم الإسلام، غيرَ مدفوعٍ عن هذا أو منازَع فيه[٢]!.

وهو كلام قد توافرت أخبار التاريخ الصادق على بطلانه؛ أما الضرب بالسيف فيُضارعه فيه عشرات الصحابة من أمثال الزبير وطلحة وأبي طلحة وأبي دُجانة وسعد بن أبي وقّاص والبراء بن مالك وسيف الله خالد... وأما العلم فأبو بكر وعمر أعلم منه، ويضارعه ابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس وعائشة وغيرهم.

١١ـ ويزعم محمد جواد مغنية ـ وهو من رموز الشيعة في عصرنا ـ أن عليّاً قد نطق بتنبؤات علمية هي من باب المغيبات، فأشار إلى الراديو والتلفزيون، وأن الإنسان سيأكل ثمرة الصيف في الشتاء، وإلى سرعة المواصلات فتكون السنة كالشهر والشهر كالأسبوع والأسبوع كاليوم واليوم كالساعة... إلخ[٣].

---

(١) أبو تراب، ص ٢٨٢، وانظر: ٢٨١ـ٢٨٥.
(٢) علي بن أبي طالب، ص ٨٧.
(٣) فضائل الإمام علي، ص ٥٠ـ٥١.

وتقدَّم مثلُ هذا الكلام عن ابن أبي الحديد وابن المُطهَّر الحِلِّي، وبَيَّنَّا أنه كلام باطل، وعلي بريء منه[١].

١٢ ـ ومشى عباس محمود العقاد على سَنَن ابن أبي الحديد وابن المُطَهَّر وأشباههما من عُتاة الرافضة، فقال وهو يتحدث عن خصوصيات علي رضي الله عنه:

(وخاصة أخرى من خواص الإمامة، ينفرد بها علي ولا يجاريه فيها إمام غيره، وهي اتصالُه بكل مذهب من مذاهب الفِرق الإسلامية منذ وُجدت في صدر الإسلام، فهو مُنْشئ هذه الفِرق أو قُطْبُها الذي تدور عليه. ونَدَرتْ فِرقةٌ في الإسلام لم يكن علي معلِّماً لها منذ نشأتها، أَوْ لم يكن موضوعاً لها ومحوراً لمباحثها، تقول فيه وترد على قائلين.

وقد اتصلت الحلقات بينه وبين علماء الكلام والتوحيد، كما اتصلت الحلقات بينه وبين علماء الفقه والشريعة، وعلماء الأدب والبلاغة، فهو أستاذ هؤلاء جميعاً بالسند الموصول!)[٢].

وتقدم نحو هذا الكلام، وهو ظاهر البطلان، فعليٌّ وجميعُ الصحابة رضي الله عنهم بُرآء من علم الكلام والبدع والمذاهب والفِرق الضالة، ولم يَثبت عن أحد منهم خوضه في تلك المباحث، بل ذَمُّوا مَن تكلم فيها وحذّروا منه. بل إن علياً حرق الزنادقة، وهَمَّ بقتل ابن سبأ، وقاتل الخوارج وقَتَلَهم! فما قيمة مزاعم العقاد ومن سبقه ومن يأتي بعده؟!.

واخترع العقاد مجازفةً أخرى فقال: (وقد لَبِث علي بن أبي طالب زُهاءَ ثلاثين سنة منقطعاً أو يكاد ينقطع عن جهاد الحكم والسياسة، متفرِّغاً أو

(١) وانظر: شرح نهج البلاغة: ١/٥٠٧ـ٥١٥.
(٢) عبقرية علي، ص ١٢٣.

يكاد يتفرغ لفنون البحث والدراسـة، يتأمل كلَّ ما سمع، ويُراجع كل ما قرأ، ويعرف كل ما يعرف، ممن يلقاه، ويستطلع أنباءَه وآراءه وقضاياه)[١].

وهو كلام باطل سنداً ومتناً:

فالعقاد على عادته سـاق كلاماً مرسَـلاً لا سـنَدَ له، فهو خبر لَقيط واهٍ لا يُعرف مصدره ولا يُدرى نَسَبه حتى ننظر فيه.

ثم هـو باطل في مَتْنه ومضمونه: فسـيرةُ سـيدنا علي ظاهرة مشـهورة منشـورة، وهو منذ طفولته في رعاية النبي ﷺ، وآمَنَ به واتبعه ولازَمَه طيلة ثلاث وعشرين سنة هي عُمُر الدعوة. ثم لازم الخلفاء الراشدين الثلاثة قبله، وكان من مقدَّمي مجلس الشورى ومشاركاً في سياسة دولة الخلافة، واستمر على ذلك قائماً بشؤون الحكم في أيام خلافته، فأين ذلك الانقطاع المزعوم عن الناس والأحداث ومسيرة الحياة، والتفرغ لفنون البحث والدراسة؟! وأين ثمرةُ ذلك البحث ونتائجه التي خرج بها علـي؟ ومَن دوَّنَها؟ وأين هي تلك الدواوين التي تفرد بها؟!.

ثم ما هي يا ترى تلـك الأنباء والآراء والقضايا التي كان يسـتطلعها؟ ومن هم أولئـك الذين يَلْقاهم ويسـمعُهم ويَعرف منهم ما يعـرف؟! أَهُمُ الشعراء والكهّان والفلاسفة وحَمَلة التوراة والإنجيل؟! ما هذا الكلام القائم القاعد؟!.

إن سـيدنا عليّـاً مثل غيره مـن الخلفاء الراشـدين وأعـلام الصحابة وعلمائهم، قد نُقلت أخبـاره وآراؤه وعلومه وفقهه وأقضيته، ودَوَّنها الثقات في كتب السـنن والآثار والفقـه والآداب، تماماً كما نقلـوا عن غيره من الصحابة الكرام.

---

(١) عبقرية علي، ص ١٣١.

فليس ثمَّــة دليلٌ ـ ولــو كان ضعيفاً ـ على تفرد علــيٍّ عن غيره من علماء الصحابــة وأكابرهم، حتى يزعم له الزاعمــون تلك الأباطيل التي أشرنا إليها.



الفصل الثاني

فَصَاحتُه وشِعْره وخُطَبُه وحِكَمُه

توطئة: في «فصاحة علي»، والمغالاة في ما زعمه له الزاعمون:

●● اتفقت كلمة الأدباء والعلماء على أن علي بن أبي طالب عَلَمٌ من أعلام البلاغة وإمامٌ من أئمة الفصاحة، حتى قال إمام الكتّاب والمترسِّلين وأحدُ مشاهير الفصحاء والبلغاء عبدالحميد الكاتب (المتوفى سنة ١٣٢هـ): حفظتُ سبعين خُطبة من خُطَب الأصلع ـ يعني عليّاً ـ ففاضت ثم فاضت. وقال ابن المُقفَّع: شربت الخطب ريّاً، ولم أضبط لها رويّاً، ففاضت ثم فاضت، فلا هي كلاماً، وليس غيرُها نظاماً. يريد خُطَب علي. وترجم له ياقوت الحموي في كتابه «معجم الأدباء».

امتزجت في أسلوبه آثار تعلُّقه بالقرآن الكريم وتدبُّره له، والبيانِ النبوي الرفيع، مع سليقته العربية الصافية التي أخذت من فحولة الأعراب وحضارة المكيين.

وعبَّرت أقواله وحِكَمُه ومواعظه وخطبه عن مكنونات شخصيته ووثبات روحه ووَجِيب فؤاده، فاكتست كلماته لباساً من خوالج نفسه وأحداث زمانه.

ولم يحدِّثنا التاريخ أن عليّاً كان يحبّر خُطَبه، أو يزوِّق في نفسه مواعظَه، بل حدثنا أن عليّاً كان يَرتجِل أقواله في كثير من المواطن. وله في المواقف

الطارئة والأحـداث المرتجلة كلمات وعِظات هي أشـبه بالأمثال السـائرة والحِكَم النادرة.

●● وكان فيمـا أُثِر عنـه وصحَّت نسـبتُه إليه فصيحَ اللسـان، قويَّ البرهان، واضـحَ البيان، إذا تكلـم تفجرت ينابيع الحكمـة من صدره، وتدفَّقت البلاغة على لسـانه، فلا يتلعثـم ولا يَتجَمْجَم، ولا يتحبَّس ولا يتنحنح ولا يتوقف.

وكان فـي أكثر خطبـه ميَّالاً إلى التوسـط بين الإيجـاز والإطناب، ويقتبس في كلامه من آي القـرآن، وأحاديث النبـي ﷺ، ويُكثِر الحِكم والأمثال. أما كلماتـه المفردة فيندر فيها الغريـب، وأكثرها من المأنوس الجميل الجَـرْس. ويغلب على كلامه الوضوح والجـلاء وقلَّ ما تجد له معنى عويصاً أو مُبهَماً.

وقد أَدمج في كلامه كثيراً من أمثال العرب، واستشهد بأبيات من الشعر، وأصبح (موروثه الأدبي) مَطْلَباً لأصحاب البلاغة، وزاداً لأهل الهداية، ومَعيناً للمتأدبيـن، ومَنْهلاً للدعاة والمربِّين السـاعين إلى تنويـر العقول، وتهذيب النفوس، وإحياء القلوب، وتقويم اللسان، وتنمية البيان.

ولعليٍّ ﷺ أبياتٌ من الشـعر الرقيق والنظم الرائـق، وكثير منه لا تَصحُّ نسـبته إليه. وهو خطيب مِصْقَع، وكاتـب بليغ مبدِع، وليس بشـاعرٍ مُفْلِق، وكلامه في نثره أعلى من كلامه في نظمه(١).

●● ولا يصحّ البتَّـة أن نقـول: إن كلامَه دونَ كلام الخالـق وفوق كلام المخلـوق! كما يزعم الغـلاة ممن يدَّعـون محبته وموالاته، مثـل: ابن أبي

(١) اقتبست في هذه الفقرة جُملًا من «مقدمة كتاب دسـتور معالم الحِكَم» التي كتبها العلاّمة سليم الجندي، ص ٨٧ ـ ١٣٢.

الحديد الذي يقول في فاتحة شرح نهج البلاغة: (وأما الفصاحةُ: فهو عليه السلام إمامُ الفصحاء، وسيد البلغاء، وفي كلامه قيل: دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوقين!)(١).

وقال مثلَه ابن المُطَهَّر الحِلِّي(٢).

وهذا يقتضي أنه أفصحُ من رسول الله ﷺ وأبلَغُ منه، لأنه ﷺ من المخلوقين! فهذا من ابن أبي الحديد وغيره كذبٌ على عليٍّ، وافتراءٌ على الحقيقة الساطعة؛ فسيدُ الفصحاء وإمام البلغاء هو رسولُ الله ﷺ الذي أُوتي جوامعَ الكَلِم، ولا يدانيه في ذلك أحد، لا عليٌّ ولا غيره!.

وسبقهما إلى هذا الشريفُ الرضي واضعُ «نهج البلاغة» حيث يقول في خطبته مجازفاً ومُغالِياً: (كان أمير المؤمنين عليه السلام مَشْرَعَ الفصاحةِ ومَورِدَها، ومَنْشأَ البلاغة ومَوْلِدَها، ومنه عليه السلام ظَهر مكنونُها، وعنه أُخِذت قوانينُها، وعلى أمثلتِه حَذَا كل قائل خطيب... لأن كلامَه الكلامُ الذي عليه مَسْحة العلمِ الإلٰهي، وفيه عَبْقة من الكلام النبوي!)(٣).

وهو كلام باطل وغلوٌّ ممقوت، فخُطباء الصحابة كثيرون؛ منهم: أبو بكر وعمر وثابت بن قيس خطيب النبي ﷺ وابن عباس ومعاوية وعائشة، ولم يأخذوا عن علي!.

قال الراغب الأصفهاني: قد انتهت الفصاحة إلى أربعة: علي وابن عباس وعائشة ومعاوية(٤).

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٤٩/١.
(٢) منهاج السُّنَّة: ٤١٢/٤.
(٣) شرح نهج البلاغة: ٦٦/١.
(٤) مقدمة «دستور معالم الحِكَم»، ص ٨٧.

وكان الخطباء الفصحاء كثيرين في العرب قبل الإسلام وبعده، وجماهيرُ هؤلاء لم يأخذوا عن علي شــيئاً. فقول القائل: «إنه منبــع علم الفصاحة»، كذبٌ بيِّنٌ، ولو لم يكن إلا أن النبي ﷺ كان أخطَبَ منه وأفصَحَ، ولم يأخذْ منه شيئاً[(١)]!.

أولاً: نماذج من خطبه:

١ ـ عن أوفى بن دَلْهَم، عــن علي بن أبي طالب: أنــه خَطب الناسَ فحمد الله وأثنــى عليه، ثم قال: (أما بعــدُ، فإن الدنيا قد أدبــرتْ وآذنَتْ بوداع، وإن الآخرة قد أقبلَتْ وأشــرفت باطِّلاع، وإن المضمار اليوم وغداً السباق. ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل، فمن قصَّر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خيَّب عملَه. ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة. ألا وإني لم أرَ كالجنة نام طالبها، ولم أرَ كالنار نام هاربُها. ألا وإنه من لم ينفعه الحق ضرَّه الباطل، ومن لم يستقم به الهدى حارَ بهِ الضلال. ألا وإنكم قد أُمرتم بالظَّعْن، ودللتم علــى الزاد. ألا أيها الناس إنما الدنيا عَرَض حاضر يأكل منها البر والفاجر، وإن الآخرة وعدٌ صادق يحكم فيها مَلِك قادر. ألا وإن ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقــرة: ٢٦٨]. أيهـا الناس أحســنوا في أعماركم تُحفَظوا في أعقابِكم، فإن الله وَعَد جنته من أطاعه، وأَوْعَد ناره من عصاه، إنها نار لا يَهدأ زفيرها، ولا يُفكّ أسيرُها، ولا يُجبر كسيرها، حرُّها شــديد، وقعرها بعيد، وماؤها صديد، وإن أخوفَ ما أخاف عليكم اتبــاعُ الهوى وطولُ الأمل، فإن اتباع الهــوى يصدُّ عن الحق، وإن طول الأمل يُنسي الآخرة).

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٤/٤١٣.

وفي رواية: (ارتحلت الدنيا مُدبِرةً، وارتحلت الآخرة مقبِلةً، ولكل واحدة منهما بَنُون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليومَ عملٌ ولا حسابَ، وغداً حسابٌ ولا عملٌ)[1].

٢ ـ وعن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جدِّه: (أن عليّاً شيَّع جنازة، فلما وُضِعت في لحدها عَجَّ أهلها وبكوا، فقال: ما تبكون؟ أما والله لو عاينوا ما عاين ميِّتُهم لأذهلَتْهم معاينتهم عن ميتهم، وإن له[2] فيهم لعودةً ثم عودة حتى لا يُبقي منهم أحداً.

ثم قام فقال:

أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال، ووقَّت لكم الآجال، وجعل لكم أسماعاً تعي ما عَناها، وأبصاراً لتجلو عن غشاها، وأفئدة تفهم ما دهاها في تركيب صورها وما أعمرها، فإن الله لم يخلقكم عبثاً، ولم يضرب عنكم الذِّكْر صَفحاً، بل أكرمكم بالنِّعَم السوابغ، وأرفدكم بأوفر الروافد، وأحاط بكم الإحصاء، وأرصد لكم الجزاء في السرّاء والضرّاء. فاتقوا الله عباد الله وجدُّوا في الطلب، وبادروا بالعمل مقطّع النَّهمات وهاذِمَ اللذات؛ فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، غرور حائل، وسِناد مائل.

اتَّعِظوا عبادَ الله بالعِبَر، واعتبروا بالآيات والأثر، وازْدَجِروا بالنُّذر، وانتفعوا بالمواعظ، فكأن قد علقتكم مخالبُ المنيَّة، وضَمّكم بيت التراب، ودهمتكم مُفْظِعات الأمور، بنفخة الصور، وبعثرة القبور، وسياقة

---

(١) تاريخ ابن عساكر: ٢١٠/٣ـ٢١١، ٢١٣ـ٢١٤؛ البداية والنهاية: ٣٠٨/٧ـ٣٠٩، ٧/٨؛ وعلّق البخاري الرواية الثانية: قبل الحديث (٦٤١٧)؛ ووصله ابن أبي شيبة: ١٥٥/٨؛ والحلية: ٧٦/١. والخطبة في نهج البلاغة: ٣٦٧/١.

(٢) يعني ملك الموت.

المحشر، وموقف الحساب، بإحاطة قدرة الجبار! كل نفس معها سائق يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها؛ ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٦٩].

فارتجَّتْ لذلك اليوم البلاد، ونادى المناد، وكان يوم التلاق، وكُشف عن ساق، وحُشرت الوحوش، وبدت الأسرار، وارتجَّت الأفئدة، وبُرِّزت الجحيم قد تأجَّج جحيمُها وغلا حَميمُها.

عباد الله، اتقوا الله تقيَّةَ من وَجِل وحَذِر، وأَبصر وازدجَر، فاحتثَّ طلباً، ونجا هرباً، وقدَّم للمعاد، واستظهر بالزاد، وكفى بالله منتقماً وبصيراً، وكفى بالكتاب خَصماً وحَجيجاً، وكفى بالجنة ثواباً، وكفى بالنار وبالاً وعقاباً، وأستغفر الله لي ولكم)[1].

ثانياً: شذرات من مواعظه ووصاياه:

١ ـ عن أبي أراكة قال: (صليتُ مع علي بن أبي طالب صلاة الفجر، فلما سلَّم انفتل عن يمينه، ثم مكث كأن عليه كآبةً، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قِيدَ رمح، قال وقلَّب يده:

لقد رأيتُ أصحابَ رسول الله ﷺ فما أرى اليوم أحداً يُشْبِههم! والله لقد كانوا يصبحون شُعْثاً غُبْراً صُفْراً بين أعينهم مثل رُكَب المِعْزى، قد باتوا لله سُجَّداً وقياماً، يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادُوا كما تَمِيد الشجرة في يوم ريح، وهَملت أعينُهم حتى تبلّ والله ثيابَهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين!.

(١) الحلية: ١/٧٧ـ٧٩؛ صفة الصفوة: ١/٣٢٧ـ٣٢٩.

ثم نهض فما رُئي مُفترّاً يضحك حتى ضربه ابن ملجم)[١].

٢ ـ وعن كُمَيْل بن زياد قال: (أخذ علي بن أبي طالب بيدي فأخرجني إلى ناحية الجَبَّان[٢]، فلما أَصْحَرنا جلس، ثم تنفس، ثم قال: يا كُميل بن زياد، القلوب أوعية فخَيْرُها أوعاها للعلم، احفظ ما أقول لك، الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلِّم على سبيل نجاة، وهَمَج رَعَاع أتباع كل ناعِق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيؤوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق.

العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل والمال تُنْقِصه النفقة، العلم حاكم والمال محكوم عليه، وصنيعة المال تزول بزواله ومحبة العالم دِين يُدان بها، العلم يُكسب العالم الطاعة في حياته وجميلَ الأُحْدُوثة بعد مماته. مات خُزّان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة.

هاه! إن هاهنا ـ وأومأ بيده إلى صدره ـ علماً لو أصبتُ له حَمَلة! بلى أصبتُه لَقِناً غيرَ مأمون عليه، يستعمل آلة الدين للدنيا، يستظهر بنِعَم الله على عباده، وبحُججه على كتابه، أو منقاداً لأهل الحق لا بصيرةَ له في إحيائه، ينقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة، لا ذا ولا ذاك! أو منهوماً باللذات سلِسَ القياد للشهوات، أو مُغْرًى بجمع الأموال والادِّخار، ليسا من دعاة الدين في شيء، أقربُ شبهاً بهم الأنعام السائمة.

كذلك يموت العلم بموت حامليه، اللَّهمَّ بلى، لن تخلو الأرض من قائم للهِ بحجة لكي لا تَبْطُل حُجَج الله وبيّناتُه؛ أولئك هم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً، بهم يحفظ الله حُججه حتى يؤدوها إلى نظرائهم ويزرعوها في

---

(١) الحلية: ٧٦/١؛ تاريخ ابن عساكر: ٢٠٦/٣ـ٢٠٧؛ شرح نهج البلاغة: ٥٧/٤.

(٢) **الجبَّان والجبَّانة**: الصحراء، وتسمى بهما المقابر.

قلوب أشـباههم، هَجَم بهم العلم على حقيقة الأمر، فاستلانوا ما استوعَر المُتْرَفون، وأَنِسُوا بما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحُها معلَّقة في المحل الأعلى، أولئك خلفاءُ الله في بلاده ودعاته إلى دينه، آه آه شوقاً إلى رؤيتهم! وأستغفر الله لي ولك، إذا شئتَ فقُمْ)[١].

٣ ـ وعن عاصم بن ضَمْرة ومعروف المكي وغيرهما، قالوا: قام رجل إلى علي بن أبي طالب فذَمَّ الدنيا، فقال له علي:

(إن الدنيا دار صدقٍ لمن صَدَقها، ودار غنًى لمن تزود منها، ودار عافية لمن فَهِم عنها؛ هي مسجد أحباء الله ومهبط وحيه ومتجر أوليائه، اكتسبوا فيها الجنة وربحوا فيها الرحمة، فمن ذا الذي يذمُّها وقد آذنت بِبَيْنِها، ونادت بانقطاعها، ونَعَتْ نفسها وأهلها؟!.

فيا أيها الذام للدنيا المعتل بغرورها، متى استذمَّت إليك الدنيا؟ ومتى غرَّتك؟ أبمنازل آبائك من الثرى؟ أو بمضاجع أمهاتك من البِلى؟ كم مرَّضتَ بكفيك وعالجتَ بيديك تبتغي له الشفاء وتستوصف له الأطباء، لا يغني عنك دواؤك ولا ينفعك بكاؤك!).

ثم انصرف علي إلى القبور فقال: (يا أهلَ القبور، يا أهل الضيق والوحدة، يا أهل الغربة والوحشة؛ أمَّا الدور فقد سُكنت، وأما الأموال فقد قُسمت، وأما الأزواج فقد نُكحت، فهذا خبرُ ما عندنا فما خبر ما عندكم؟).

ثم التفت إلى أصحابه فقال: (لو أُذِن لهم في الجواب لأجابوا: إن خير الزاد التقوى)[٢].

---

(١) الحلية: ١/٧٩ـ٨٠؛ صفة الصفوة: ١/٣٢٩ـ٣٣١؛ دستور معالم الحِكَم، ص ٢٣٧ـ٢٣٩؛ وذكر طرفاً منه ابن عبدالبرّ في «جامع بيان العلم»: ٢/١٣٧ـ١٣٨، وقال: هو حديث مشهور عند أهل العلم يستغني عن الإسناد لشهرته عندهم.

(٢) تاريخ ابن عساكر: ٣/٢١٤ـ٢١٦؛ البداية والنهاية: ٨/٧.



ثالثاً: درر من أقواله وحكمه:

١ ـ يا حَمَلَةَ العلم اعملوا به، فإنما العالم من عَمِل بما عَلِم ووافق علمَه عملُه، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يُجاوز تراقيهم يُخالِف عملُهم علمَهم، وتخالف سريرتهم علانيتهم، يجلسون حِلَقاً فيباهي بعضهم بعضاً، حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويَدَعَه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله![1].

٢ ـ أَلَا إن الفقيه كلَّ الفقيه الذي لا يُقنِّط الناسَ من رحمة الله، ولا يؤمِّنهم من عذاب الله، ولا يرخِّص لهم في معاصي الله، ولا يَدَع القرآن رغبةً عنه إلى غيره. ولا خيرَ في عبادة لا علمَ فيها، ولا خيرَ في علمٍ لا فهمَ فيه، ولا خير في قراءة لا تدبُّر فيها[2].

٣ ـ ليس الخيرُ أن يكثر مالُك وولدك، ولكنَّ الخيرَ أن يَكثر علمك، ويَعظُم حِلمُك، وأن تباهي الناسَ بعبادة ربك، فإن أحسنتَ حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله. ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجلٍ أذنب ذنباً فهو يتدارك ذلك بتوبة، أو رجلٍ يسارع في الخيرات. ولا يَقِلُّ عمل في تقوى وكيف يقلّ ما يُتَقَبَّل؟![3].

٤ ـ احفظوا عني خمساً فلو ركبتم الإبل في طلبهن لأَنْضَيْتُموهن قبل أن تدركوهن: لا يرجو عبدٌ إلا ربَّه، ولا يخافُ إلا ذَنْبه، ولا يستحيي جاهل أن يَسأل عما لا يعلم، ولا يستحيي عالم إذا سُئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا إيمانَ لمن لا صبرَ له[4].

---

(١) سنن الدارمي (٣٨٢)؛ جامع بيان العلم: ٩/٢.
(٢) الحلية: ٧٧/١؛ سنن الدارمي (٢٩٨)؛ ابن عساكر: ٢٣٠/٣.
(٣) الحلية: ٧٥/١؛ صفة الصفوة: ٣٢١/١؛ دستور معالم الحِكَم، ص ٢٩٤.
(٤) الحلية: ٧٥/١ـ٧٦؛ ابن عساكر: ٢٢٩/٣ـ٢٣٠.

٥ ـ ما كان الله لِيفتَحَ على عبد بابَ الشـــكر ويُغلِقَ عنه باب الزيادة، ولا لِيفتح على عبد بـــاب الدعاء ويُغلق عنه باب الإجابــة، ولا لِيفتح عليه باب التوبة ويُغلِق عنه باب المغفرة[١].

٦ ـ مَنْ نظر في عيب نفسه اشـــتغل عن عيب غيره، ومن رضي برزق الله لم يَحزن على ما فاته، ومن سَلَّ سيف البغي قُتِل به، ومن كابَدَ الأمور عَطِب، ومن اقتحم اللُّجَجَ غَرِق، ومن دخل مداخل السوء اتُّهِم.

ومن كَثُر كلامه كَثُر خطؤه، ومن كثر خطؤه قلَّ حياؤه، ومن قَلَّ حياؤه قلَّ ورعُه، ومن قلَّ ورعُه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار.

ومن نظر في عيوب غيره فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الأحمقُ بعينهِ.

ومن عَلِمَ أن كلامه من عملِه قلَّ كلامه إلا فيما يَعنيه[٢].

٧ ـ لا شرفَ أعلى من الإسلام، ولا عِزَّ أعَزُّ من التقوى، ولا لباسَ أجملُ من العافية، ولا كنزَ أغنى من القناعة، ولا مَعْقِلَ أحصنُ من الورع، ولا شـــفيعَ أنجحُ من التوبة، ولا وقايةَ أمنَعُ من السلامة، ولا مالَ أذهَبُ للفاقة من الرضا بالقوت[٣].

٨ ـ الدهر يومان: يومٌ لك ويومٌ عليـــك، فإذا كان لك فلا تَبْطَرْ، وإذا كان عليك فاصبِرْ[٤].

٩ ـ مَنْ أصلَحَ سَـــرِيرتَه أصلَحَ الله علانيتَه، ومن عمِل لدينِه كَفَاه الله أمرَ دنياه، ومن أحسنَ فيما بينَه وبين الله أحسنَ الله ما بينَه وبين الناس[٥].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٤٢٧/١٠؛ حياة الصحابة: ٦٠٣/٢.
(٢) شرح نهج البلاغة: ٢٢٩/١٠؛ دستور معالم الحِكَم، ص ١٨٦ ـ ١٨٧.
(٣) شرح نهج البلاغة: ٢٦٠/١٠؛ دستور معالم الحِكَم، ص ١٨٨.
(٤) شرح نهج البلاغة: ٣١٠/١٠.
(٥) شرح نهج البلاغة: ٤١٣/١٠.



رابعاً: فرائد حِكَمه ونصائحه ووصاياه[1]:

١ ـ لا تكنْ عبدَ غيرِك وقد خلقَكَ الله حُرّاً.

٢ ـ الغريب من ليس له حبيب.

٣ ـ رأس الدين صحة اليقين.

٤ ـ السلامة مع الاستقامة.

٥ ـ رسولك تَرْجُمان عقلك.

٦ ـ ظلمُ الضعيفِ أفحشُ الظلم.

٧ ـ إمامٌ عادلٌ خير من مطرٍ وابلٍ.

٨ ـ سَبُعٌ أكولٌ حَطومٌ خير من والٍ غشوم ظَلومٍ.

٩ ـ الفرصة تمرُّ مرَّ السحابِ فانتهِزوا فُرصَ الخير.

١٠ ـ تَذِلُّ الأمور للمقادير حتى يكون الحَتْفُ في التدبير.

١١ ـ إن أغنَى الغِنى العقلُ، وأكثرَ الفقر الحمقُ.

١٢ ـ ما أضمرَ أحدٌ شيئاً إلا ظَهر من فَلَتات لسانه وصفحاتِ وجْهِه.

١٣ ـ إذا أقبلتِ الدنيا على رجل أعارَتْه محاسنَ غيرِه، وإذا أدبرَتْ عنه سلَبَتْه محاسنَ نفسه.

١٤ ـ من غلَبَ لسانَه أمَّرَه قومُه.

١٥ ـ مَنْ خالَطَ العلماءَ وُقِّرَ، ومن خالَطَ الأنذالَ حُقِّر.

---

(١) هذه الفقرة منتقاة من «دستور معالم الحِكَم»: ١٦٩ ـ ١٨٩، ٢٢٣ ـ ٢٣٢. وفي نهج البلاغة: ١٠/٥٦١ ـ ٦٢٧: (٩٩٨) حكمة بين قصيرة ومتوسطة ومطولة، اقتطفت قليلاً منها.

١٦ ـ من هَتَك حجابَ غيرِه انكشَفَتْ عوراتُ بيتِهِ.

١٧ ـ أَنفِقْ في حقّ ولا تكنْ خازناً لغيرِك.

١٨ ـ احذَرْ دمعةَ المؤمنِ في السَّحَر، فإنها تَقْصِفُ مَن دمَّعَها، وتُطفِئ بحورَ النيران عمَّن دَعَا بها.

١٩ ـ موت الرؤساء أسهلُ من رياسة السَّفِلَة.

٢٠ ـ إذا لم تُرزَقْ غِنًى فلا تُحْرَمنَّ تقوًى.

٢١ ـ الدنيا طوَّاحة طرَّاحة فضَّاحة آسِيَةٌ جرَّاحة.

٢٢ ـ أَجَلُّ ما يَنزِل من السماء التوفيقُ، وأجلُّ ما يَصعد من الأرض الإخلاصُ.

خامساً: كلمة في «نهج البلاغة»:

«نهج البلاغة» ضَمَّ بين دَفَّتَيْه خُطب سيدنا علي ورسائلَه وكُتبه وأقوالَه ومواعظَهُ ونصائحه ووصاياه وحِكَمَه وفرائدَ كَلِمِه، وهو الكتاب الموثوق به والمتفق عليه بين الشيعة الإمامية، أَلَّفه الأديب الكبير والشاعر الهاشمي الشيعي المعروف بـ«الشريف الرضي» (٣٥٩ـ٤٠٤هـ)، ولا يزال هذا الكتاب متداولاً يتمتع بإجلال واحترام عند الشيعة، وقد شرحه العالم الشيعي المعتزلي الشهير ابن أبي الحديد (٥٨٦ـ٦٥٥هـ)، وغير واحد.

والذي عليه علماؤنا من المحدِّثين والمؤرخين والنقاد أن «نهج البلاغة» كتابٌ موضوعٌ على عليٍّ، وأكثَرُ ما جاء فيه لا تصحُّ نسبتُه إليه، بل أكثره مكذوبٌ عليه.

وهذا ما يَقتضيه النظـرُ الصحيح والنقد الموضوعي؛ فمؤلفه (الشـريف المرتضى) والبعض ينسبه لأخيه (الشريف الرضي)، وقد وُلد سنة (٣٥٥هـ)، بعد وفاة أمير المؤمنين علي بـ(٣١٥) سـنة! ولم يَسُق إسنادَه إليه، بل أورد كل ما جمعه مقطوعَ النسب إلى علي، ليس للمرء أن يصدِّقه إلّا لأن الشريف قد جمعه وبوَّبه!.

هذا فضلاً عـن قوادح كثيرة فـي مَتْن النصوص تجعل مـن المُحَال أن يكون علي ﷺ قاله أو رضي به، كما سيأتي.

١ ـ قال شيخ الإسـلام ابن تيمية: (صاحبُ «نهج البلاغة» وأمثالُه أخذوا كثيراً من كلام النـاس فجعلوه من كلام علي، ومنـه ما يُحكى عن علي أنه تكلم به، ومنه ما هو كلام حقٌ يَليق به أن يتكلم به ولكن هو في نفس الأمر من كلام غيره.

ولهذا يوجد في كلام «البيان والتبيين» للجاحظ وغيرِه من الكتب، كلامٌ منقول عن غير عليٍّ، وصاحبُ «نهج البلاغة» يجعلُه عن علي.

وهذه الخطب المنقولة في كتاب «نهـج البلاغة» لو كانت كلَّها عن عليٍّ من كلامه، لكانت موجـودة قبل هذا المصنف، منقولة عن علي بالأسـانيد وبغيرها. فـإذا عَرف من له خبـرة بالمنقولات أن كثيراً منهـا ـ بل أكثرها ـ لا يُعرف قبل هـذا؛ عُلِم أن هذا كذبٌ، وإلا فَلْيُبيِّـن الناقل لها في أي كتاب ذُكر ذلك؟ ومَن الـذي نقله عن علي؟ وما إسـنادُه؟ وإلا فالدعوى المجرَّدة لا يَعجز عنها أحد)[١].

٢ ـ وقال الحافظ الذهبـي في «ترجمة الشـريف المُرْتَضى»: (هو جامعُ كتاب «نهج البلاغة» المنسوبة ألفاظُه إلى الإمام علي ﷺ، ولا أسانيدَ لذلك،

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٤/٤١٤ ـ ٤١٥.

وبعضُها باطل، وفيه حقٌّ، ولكن فيه موضوعات حاشا الإمامَ من النطق بها، ولكن أين المُنْصِف؟!.

وقيل: بل جَمْعُ أخيه الشريف الرضي)[١]. وهذا هو المشهور.

وقال في ترجمته من «الميزان»: (علي بن الحُسين العَلَوي الحسيني الشريف المرتضَى المتكلِّم الرافضي المعتزلي... وهو المُتَّهم بوَضْعِ كتاب «نهج البلاغة»، وله مشاركةٌ قوية في العلوم، ومَن طالَعَ كتابه «نهج البلاغة» جزم بأنه مكذوبٌ على أمير المؤمنين عليٍّ ﷺ، ففيه السبُّ الصُّراح والحَطّ على السيدين أبي بكر وعمر ﷺ، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي مَن له معرفة بنَفَس القرشيين الصحابة وبنَفَس غيرِهم ممَّن بعدهم من المتأخرين: جَزَمَ بأن الكتاب أكثره باطل!)[٢].

٣ ـ وأَيَّدَ الذهبيَّ وأقرَّه على هذا: الحافظُ ابن حجر[٣].

٤ ـ وممن شَكَّك في صحة نسبة «نهج البلاغة» إلى علي: العلّامةُ محمد العربي التَّبَّاني الجزائري، أحدُ كبار علماء الحجاز، والمدرّس بالحرم المكي الشريف[٤].

وقد أَقذَع في الردّ عليه محمد جواد مغنيّة[٥].

٥ ـ وشَكَّكَ في صحةِ أكثر ما جاء فيه: العلّامة صالح بن مهدي المَقْبَلي في كتابه: «العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ».

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٥٨٩/١٧.
(٢) ميزان الاعتدال: ١٢٤/٣.
(٣) لسان الميزان: ٢٢٣/٤.
(٤) انظر كتابه: تحذير العبقري من محاضرات الخضري: ١١٢/٢ فما بعدها.
(٥) في كتابه: فضائل الإمام علي، ص ١٥٩ـ١٦٣.

٦ ـ وقال الأديب الكبير أحمد حسن الزيّات: (ومن الناس من يميل إلى أن أكثر هذا الكتاب من صُنْع الشريف؛ لِما فيه من التعرُّض للصحابة بالأذى والهُجْر، ولأن فيه من فلسفة الأخلاق، وقواعد الاجتماع، ودقة الوصف، وتكلُّف الصُّنْع ـ ما ليس في إمكان ذلك العصر ولا في طبعه. والظاهر أن الشريف جمع كل ما نُسِب إلى الإمام وفيه الصحيح والمَشُوب)[١].

٧ ـ وذكر العلّامة الشاعر الأديب النحوي محمد سليم الجندي كلام المشكِّكين في صحة نسبة الكتاب إلى علي، واختار أنه ليس كل ما في «نهج البلاغة» موضوعاً على علي، وأن ذلك لا ينفي أن يكون بعضُه موضوعاً على لسانه، ويشهد لذلك:

١ ـ وجود كلمات لم تتكلم بها العرب في الجاهلية ولا في الإسلام.

٢ ـ وجود كلمات مخالفة لقواعد اللغة والفصيح المشهور منها.

٣ ـ وجود كلمات مولَّدة.

٤ ـ وجود مبالغة في الوصف والخيال.

٥ ـ فيه ما ينافي زهدَ علي في الدنيا، ولا يلائم ما عُرف عنه من الورع والأدب، كتلهُّفِه على الخلافة، وتذمُّرِه من خلافة عمر، وكلام بذيء ولعن وشتم لعثمان وطلحة وعمرو بن العاص ومعاوية والأشعث بن قيس وغيرهم.

٦ ـ وفيه إخبار عن كثير من أمور الغيب.

٧ ـ وفيه ما يُصادِم أحكام الشريعة.

٨ ـ وفيه كثير من امتداح نفسه.

٩ ـ وفيه كثير من كلام النبي ﷺ، وكلام عمر، وأَكْثَم بن صَيْفي[٢].

---

(١) تاريخ الأدب العربي، للزيّات، ص ٧١.

(٢) مقدمة «دستور معالم الحِكَم»، ص ١٣٥ ـ ١٥٢.

أقول: وقد ظهرت لي بالاستقراء لهذا الكتاب أمورٌ شنيعة ومخالفات عَقَدية وأكاذيبُ أدبية وأخلاقية وتاريخية؛ يستحيل أن تصدر عن صحابي فضلاً عن واحدٍ من أكابر الصحابة وأخصِّهم بالنبي ﷺ، ومِن أَعْلَمِهم وأزهدِهم وآدَبِهم وأتقاهم وأنقاهم! أشير إليها باختصار:

١ ـ اتهام النبي ﷺ بأنه يتشفع ويتوسَّل بعليٍّ عند الله تعالى!.

ذَكر علي أنه سأل رسول الله ﷺ أن يدعو له، فقال ﷺ: «اللَّهمَّ بحقِّ عليٍّ عندك اغفِرْ لعلي»، فقلتُ: يا رسول الله، ما هذا؟ فقال: «أوَاحِدٌ أكرمُ منك عليه فأَستشفِعَ به إليه؟!»(١). ذكرت هذا المثال لبشاعتهِ بل لزندقتِهِ!.

٢ ـ وجود أقوال كثيرة هي أحاديث نبوية.

٣ ـ توجد خُطَب كثيرة يُزعم له فيها أنه يَعلم الغيب، ولو أراد لأخبر كل رجل بمخرجه ومولجه وجميع شأنه... ويعلم طرق السماء والأرض!.

٤ ـ توجد خُطب تتكلم في الألوهية والذات والصفات، ونفي الصفات، وهذا أمر مبتدَع لم يُعرف في الصدر الأول، ونفيُ الصفات يوافق رأي المعتزلة.

٥ ـ وفي الكتاب خطب ونصوص فيها مباحث كلامية، وشقشقات أهل الكلام، مما تنزه عنه عصر الصحابة والتابعين.

٦ ـ وجود خطب كثيرة تزعم الوصيةَ لعليٍّ بالخلافة، وأن قريشاً اغتصبوا حقَّه وقطعوا رحمه، وأنه ذِيدَ عن الخلافة... والنصوص الصحيحة الثابتة عن علي تكذِّب ذلك.

٧ ـ وجود نصوص وخُطب على لسان علي تذكر أن (آل البيت) فيهم الوصية والوراثة وأنهم صنائع الله، وغيرهم صنائع آل البيت!.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٦٠٤/١٠، بآخر الكتاب.



٨ ـ اتهام الشيخين أبي بكر وعمر باغتصابهما الخلافة ودفع علي وآل البيت عنها. والمتواتر عن علي امتداحهما، وسيرته معهما تكذب ذلك.

٩ ـ فيه كلام شنيع باتهام الصحابة بالردة وتغيير أسس الدين وأنهم معادن كل خطيئة!.

١٠ ـ كثير من الخُطَب والرسائل والكتب فيها إقذاع على الصحابة وسباب وشتائم وكلام قبيح ووصف بعضهم كطلحة والزبير وعمرو بن العاص ومعاوية والأشعث بن قيس بالضلال والظلم والنكث بالعهد وأنهم لا يمتُّون إلى الله بحبل، بل فيه لعنٌ لبعضهم واتهامٌ بالكفر!.

وغير ذلك كثير يمكن استيعابُه بدراسة موضوعية تحليلية نقدية، مع ذِكْر النصوص الدالة على ذلك وذكر مواضعها في الكتاب[1]، لتبيين القيمة العلمية لهذا الكتاب وعدم صحة نسبة أكثره إلى سيدنا علي.

سادساً: الشاعر الحكيم الرقيق:

•• نَسب عدد من العلماء والمؤرخين كثيراً من الشعر إلى علي ﵁، وذكر لنا بعضُ تلامذته أنه كان شاعراً؛ فعن عامر الشعبي قال: (كان أبو بكر يقول الشعر، وكان عمر يقول الشعر، وكان علي يقول الشعر، وكان علي أشعرَ الثلاثة)[2].

ولا شك في شاعرية علي وإمامته اللغوية والأدبية، (ولكن يبدو للباحث أن الشعر لم يكن غايةً عنده، كما أن سيرته السياسية وما رافقها من أحداث

---

(١) وقد تركتُ هنا ذِكْر الأمثلة ومواضعها، للتخفيف.

(٢) ابن عساكر: ٢٤٢/٣؛ البداية والنهاية: ٨/٨.

جسام لم تكن لتسمحَ له بالالتفات إلى صناعة الشعر وروايته، واصطياد المعاني الجميلة واختيار القوافي الرنَّانة المؤثِّرة)(١).

وكما يقول الأديب النحوي الشاعر محمد سليم الجندي: (علي خطيب مِصْقَع، وكاتبٌ بليغٌ مُبدِع، وليس بشاعر مُفْلِق، وكلامُه في نَثْرِهِ أعلى من كلامه في نَظْمِه)(٢).

•• وقد اشتهر لعلي كثير من الشعر، ونُسب إليه «ديوان» يشتمل العديد من القصائد والمقطوعات الشعرية، وقد شَكَّك النقاد في صحة نسبة كثير من الشعر إليه، وأولُهم ابن هشام (مهذِّب سيرة ابن إسحاق)، فقد روى أن علياً كان يرتجز في أثناء بناء المسجد النبوي في المدينة:

لا يَسْتَوِي مَنْ يَعْمُر المساجدا ... يَدْأَبُ فيه قائماً وقاعِدا

ومَن يُرى عن الغُبار حائِدا

ويعقِّب ابن هشام قائلاً: سألتُ غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز، فقالوا: بَلَغنا أن علي بن أبي طالب ارتجز به، فلا يُدرى: أهو قائله أم غيره؟(٣).

وقد روى ابن إسحاق ثلاثَ قصائد منسوبة لعليّ، ويرى ابن هشام أنها لم تصحَّ له، ويرجِّح أنها قيلت في المعارك الإسلامية من قِبل أحد المسلمين، وقد نظروا إلى معانيها الدينية فرأى الرواة أنها تناسب علياً فنسبوها إليه(٤).

---

(١) الأدب الإسلامي، لنايف معروف، ص ١٩٣.
(٢) مقدمة «دستور معالم الحِكَم»، ص ١٣٢.
(٣) السيرة النبوية: ٤٩٧/١؛ الأدب الإسلامي، ص ١٩٣.
(٤) السيرة النبوية: ١١/٢، ١٦٥، ١٩٦؛ الأدب الإسلامي، ص ١٩٣ ـ ١٩٤.

أما الديوان الذي نُسب إليه: فلم يزل النقّاد يشكُّون في صحة كثير مما احتوى عليه، ونرى أن عليّاً ﷺ بفصاحته المعهودة وبلاغته المشهورة هو أرفع مستوى من مجموع هذا الديوان. ويغلب على الظن أنه خليط لشعراء من مستويات متفاوتة، قام بجمعها بعض محبِّيه الذين عَزَّ عليهم ألا يكون له ديوان! علماً أن عليّاً لم يكن بين شعراء الرسول ﷺ الذين تولَّوا الردَّ على الحملة الدعائية التي شنَّها شعراء المشركين على الإسلام والمسلمين.

بَيْدَ أن الأمر لا يصل إلى زعم الرواية التي نقلها ياقوت الحموي عن أبي عثمان المازني؛ حيث يزعم أنه لم يَصحَّ أن عليّاً تكلم من الشعر بشيء غير بيتين[١]! فهناك روايات عديدة تنقض هذا القول، إذ أثبت له الرواة عدداً من المقطوعات التي صحت نسبتُها إليه عندهم[٢].

ومن الشعر الذي أثبته العلماء في كتبهم لعليّ:

١ ـ في العسر واليسر[٣]:

أَلَا فاصبِرْ على الحدَثِ الجليلِ ... وداوِ جَوَاكَ بالصبرِ الجميلِ
ولا تجزَعْ فإنْ أعْسَرْتَ يوماً ... فقد أَيْسَرْتَ في الدهرِ الطويلِ
ولا تَظْنُنْ بربِّك ظنَّ سُوءٍ ... فإنَّ اللهَ أَوْلى بالجميلِ
فإنّ العُسرَ يتبَعُه يَسَارٌ ... وقولُ اللهِ أصدقُ كلِّ قيلِ
فلو أنَّ العقولَ تجرُّ رزقاً ... لكانَ الرزقُ عندَ ذَوِي العقولِ
فكم مِن مؤمنٍ قد جاعَ يوماً ... سَيُرْوَى من رحيقِ السلسبيلِ

(١) انظر: معجم الأدباء: ١٤/٤٣ «ترجمة علي».
(٢) الأدب الإسلامي، ص ١٩٤ ـ ١٩٥.
(٣) ابن عساكر: ٣/٢٤٧؛ البداية والنهاية: ٨/١٠.

٢ ـ الفرج بعد الشدة[1]:

إذا اشتمَلَتْ على اليأسِ القلوبُ ... وضاقَ بما بـه الصدرُ الرَّحيبُ
وأَوْطَنـتِ المـكارهُ واطمأنَّتْ ... وأَرْسَـتْ في أماكنها الخُطوبُ
ولم ترَ لانكشـافِ الضُّرِّ وجْهاً ... ولا أَغْنَـى بحيلتـهِ الأرِيـبُ
أتاكَ علـى قُنوطٍ منـكَ غَوْثٌ ... يَمُنُّ بـه القريبُ المسـتجيبُ
وكلُّ الحادثـاتِ إذا تناهَـتْ ... فموصـولٌ بها الفـرجُ القريبُ

٣ ـ في حسن الصحبة[2]:

ولا تَصْحَـبْ أخـا الجهـلِ ... وإيَّـاكَ وإيَّـاهُ
فـكـمْ مِـن جـاهـلٍ أردَى ... حـلـيـمـاً حـيـن آخـاهُ
يُـقـاس الـمـرءُ بـالـمـرءِ ... إذا مـا هـوَ مـاشَـاهُ
ولـلـشـيء مـن الـشـيءِ ... مـقـايـيـسٌ وأشـبـاهُ
ولـلـقـلـبِ عـلـى الـقـلـبِ ... دلـيـلٌ حـيـنَ يَـلْـقـاهُ

٤ ـ في التواضع[3]:

حَقيـقٌ بالتواضعِ مَـنْ يموتُ ... ويكفي المرءَ من دنيـاهُ قُوتُ
فمـا للمـرءِ يُصبِـحُ ذا هُمومٍ ... وحرصٍ ليس تُدركـهُ النُّعوتُ
صَنِيـعُ مَلِيكنـا حَسَـنٌ جميلٌ ... ومـا أرزاقُـهُ عنَّـا تفـوتُ
فيا هـذا سَـترحَلُ عـن قليلٍ ... إلـى قـومٍ كلامُهُم السـكوتُ

---

(١) ابن عساكر: ٢٤٧/٣، البداية والنهاية: ١٠/٨.
(٢) ابن عساكر: ٢٤٩/٣؛ البداية والنهاية: ١١/٨؛ دستور معالم الحِكَم، ص ٣٤٥.
(٣) ابن عساكر: ٢٥٢/٣؛ البداية والنهاية: ١١/٨.

٥ ـ في الجد والاجتهاد والصبر[١]:

اصْبِر على مَضَضِ الإِدْلاجِ بالسَّحَرِ   وبالرَّوَاحِ إلى الحاجاتِ بالبُكَرِ
لا تعجزنَّ ولا تُعجِـزْكَ مَطْلبةٌ   فالنُّجْحُ يَتلفُ بين العجزِ والضَّجرِ
إنِّي رأيتُ وفي الأيـامِ تجربةٌ   للصبرِ عاقبـةً محمـودةَ الأَثرِ
فقَلَّ مَنْ جَدَّ في شـيء يُطالِبُهُ   فاستَصْحَبَ الصبرَ إلا فازَ بالظَّفَرِ



(١) ابن عساكر: ٢٥٣/٣؛ دستور معالم الحِكَم، ص ٣٤٦.

الفصل الثالث

عبادتُه

علي ﷺ أحد أولياء الله تعالى، العبَّاد الزهَّاد، المتقين القانتين، زيَّن أوقاته بالصلاة والصيام وتلاوة القرآن والأذكار، وأقام عمادَ عبادته على ملازمة السُّنَّة، وطهَّر نفسَه ومالَه بالزكوات والصدقات؛ فكان مثالاً لصنعة النبوة.

أولاً: صلاتُه:

•• وكان إذا صلَّى ذكَّر الناسَ بصلاة النبي ﷺ في تمامها وكمالها وخشوعها، ويُقيم السنن الرواتب، ويحرص على النوافل ويُطيل فيها اقتداءً برسول الله ﷺ.

عن مُطرِّف بن عبدالله قال: (صليتُ خلْفَ علي بن أبي طالب أنا وعمران بن حُصَيْن، فكان إذا سجد كَبَّر، وإذا رفع رأسَه كَبَّر، وإذا نَهض من الركعتين كَبَّر. فلما قضَى الصلاة أخذ بيدِي عمرانُ بن حُصين فقال: قد ذكَّرَني هذا صلاة محمدٍ ﷺ)[1].

وعن عُمر بن علي بن أبي طالب: (أنَّ علياً كان إذا سافر سار بعدما تغرب الشمس حتى تكادَ أن تُظْلِمَ، ثم ينزل فيصلِّي المغربَ، ثم يدعو بعَشَائه

(١) أخرجه البخاري (٧٨٤، ٧٨٦)؛ ومسلم (٣٩٣)، وغيرهما.

فيتعشَّـــى، ثم يصلي العشـــاءَ، ثم يرتحلُ، ويقول: هكذا كان رســـول الله ﷺ يصنع)[١].

وكان يصلي قبل الظهر أربعاً، فعن حذيفة بن أَسِـــيد قال: (رأيتُ عليّاً إذا زالت الشمس صلَّى أربعاً طوالاً)[٢].

وعن عطاء أبي محمد قال: (رأيتُ عليّاً يصلي الضحى في المسجد)[٣].

•• وأما ما زعمه ابن المُطَهَّر الحِلِّي ومن سار على دربه: (أن عليّاً كان يصلي في ليله ونهاره ألفَ ركعة)[٤] ؛ فكذبٌ سَمْج وهو من المُحال، فلو أن الركعة الواحدة اســـتغرقت دقيقة واحدة فقط، لتطلَّبتْ صـــلاةُ (ألف ركعة) نحوَ (١٧ ســـاعة)! فماذا بقي لعليٍّ من اليوم لمعاشه وأهله وأمور الخلافة وشؤون الأمة؟!.

ومن هذا القَبيل قول محمد جواد مُغنيّة: (وعلمُ عليّ بالله سبحانه وتعالى تماماً كعلمِ النبـــي، لا يختلِف عنه في شـــيء، ومـــن هنا كانـــت حالتُهما فـــي الصلاة واحدة!)[٥].

فهذا الكلام من أَبْطَلِ الباطل، ولا يخفى بطلانُه على أجهل الناس، فليس على وجه الأرض إنسانٌ مثلَ رسول الله ﷺ في علمه بربه سبحانه وتعالى، ولا في صلاته وخشوعه وتبتله!.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٢٣٤)؛ والنســـائي في الكبـــرى (١٥٨٤)؛ وعبدالله بن أحمد في زوائد المسند (١١٤٣). وصحَّحه أحمد شاكر والألباني.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ١٠٦/٢.

(٣) حياة الصحابة: ١٤٧/٣؛ وانظر: طبقات ابن سعد: ٢٩/٣ ـ ٣٠.

(٤) منهاج السُنَّة: ٣٦٠/٤؛ وانظر ردَّ ابن تيمية: ٣٦٢/٤.

(٥) فضائل الإمام علي، ص ٤٧.



ثانياً: حَجُّـه:

حج عليٌّ مع أبي بكر سنة (٩هـ)، وذلك عن أمر النبي ﷺ، وأعلَن البراءة من المشركين كما تقدم.

وقدِمَ ﷺ من اليمن وحج مع رسول الله ﷺ سنة (١٠هـ) حِجّة الوداع[1].

وحج بعد ذلك في عهد الخلفاء الثلاثة قبله، كما تشير رواية الحسين بن علي رضي الله عنهما قال: (أَفَضْتُ مع أبي من المزدلفة فلم أَزَلْ أسمعُه يلبِّي حتى رمى جَمْرة العَقَبة، فسألته، فقال: أفضتُ مع النبي ﷺ من المزدلفة فلم أزل أسمعه يلبي حتى رمى جمرة العقبة)[2].

وكان إذا استلم الحجر الأسود يقول: (اللَّهمَّ تصديقاً بكتابك وسُنَّة نبيك)[3].

ولم يَحجَّ في أيام خلافته، حيث شغلته الفتن والحروب، فكان يُنيب على الموسم من يُقيم للناس حجَّهم ومناسكَهم.

ثالثاً: صَدَقاتُـه:

عاش علي مع رسول الله ﷺ حياة الزهد والتقشف والقناعة بالقليل، ولما جاءته الدنيا وكثرت أرزاقه، لم يمسك منها صفراء ولا بيضاء، بل أنفق الأموال وأوقف الأوقاف وبذل إحسانه للمحتاجين.

---

(١) انظر ما تقدم: ص ٨٠ وما بعدها، ٨٦ وما بعدها في هذا الكتاب.

(٢) أخرجه أحمد (٩١٥)، وصحّحه أحمد شاكر.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٤/٥٤٦.

عن محمد بن كعب القُرَظي قال: سـمعتُ عليّاً يقول: (لقد رأيتُني أَربط الحجر على بطني من شـدة الجوع على عهد رسـول الله ﷺ، وإن صدقتي اليوم لأربعون ألف دينار)(١).

قال العلمـاء: لم يُرِدْ بقوله: (أربعـون ألفاً) زكاةَ مـالٍ يملكُه، وإنما أراد الوقوفَ التي تصدَّق بها وجعلهـا صدقةً جارية وكان الحاصلُ من غلَّتها يبلغ هذا القدر، قالوا: ولم يدَّخرْ قطُّ مالاً يقارب هذا المبلغ(٢).

عن عُبيد الله بن محمد بن عائشة قال: (وقف سـائل على أمير المؤمنين علي، فقال للحسن أو للحسـين: اذهَبْ إلى أمِّك فقل لها: تركتُ عندك ستة دراهم فهاتِ منها درهماً، فذهب ثم رجع فقال: قالت: إنما تركتَ ستة دراهم للدقيق! فقال علي: لا يَصْدُق إيمان عبـد حتى يكونَ بما في يدِ الله أوثقَ منه بما في يده، قل لها: ابعثي بالستة دراهم، فبعثتْ بها إليه، فدَفَعها إلى السائل. قال: فمـا حَلَّ حَبْوَتـه حتى مرَّ به رجل معـه جملٌ يبيعه، فقـال علي: بكم الجمل؟ قال: بمئة وأربعين درهماً، فقال علي: اعقِلْـه على أن نؤخِّرَك بثمنِه شـيئاً، فعَقَله الرجل ومضى. ثم أقبل رجل فقال: لمن هذا البعير؟ فقال عليٌّ: لي، فقال: أتبيعُه؟ قـال: نعم، قال: بكم؟ قال: بمئتي درهـم، قال: قد ابتعتُه، قـال: فأخذ البعير وأعطاه المئتيـن. فأعطى الرجلَ الـذي أراد أن يؤخِّره مئةً وأربعين درهماً، وجاء بستين درهماً إلى فاطمة ﷺ، فقالت: ما هذا؟ قال: هذا ما وعدنـا الله علـى لسـان نبيـه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠])(٣).

---

(١) أخرجه أحمـد (١٣٦٧، ١٣٦٨)؛ وأبـو نعيم في الحليـة: ١/٨٥ـ٨٦، وضعفه أحمد شاكر.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات: ١/٣٤٦؛ أسد الغابة: ٤/٢٤.

(٣) حياة الصحابة: ٢/١٥٠ـ١٥١.

وأقطع أميرُ المؤمنين عمرُ عليّاً (يَنْبُعَ)، ثم اشــترى علي إلى قطيعة عمر أشــياء، فحفر فيها عيناً، فبينما هــم يعملون فيها إذ تفجــر عليهم مثلُ عنق الجَزُور من الماء! فأُتِي علي وبُشِّر، فتصدَّق بها على الفقراء والمساكين وفي سبيل الله ليوم تبيض وجوه وتســود وجوه، ليصرفَ الله تعالى بها وجْهَه عن النار ويصرف النار عن وجهه!.

وكتب في صدقته: هذا ما أَمر به علي بن أبي طالب وقضى في ماله: إني تصدقتُ بينبعَ ووادي القــرى والأَذْنِبَة ورِعان في ســبيل الله ووجهه، أبتغي مرضاة الله، يُنفَق منها في كل منفعة في سبيل الله ووجهه، وفي الحرب والسلم والجنود، وذوي الرحم القريب والبعيد، لا يُباع ولا يُوهَب ولا يُورث حيّاً أنا أو ميتاً... فذلك الذي قضيتُ فيها بيني وبين الله ﷻ[1].

رابعاً: تلاوتُه القرآنَ وأذكارُه وأدعيتُه واقتداؤه بالنبيِّ ﷺ:

وكان علي ﷺ من صفوة الصفوة في تعبده بتــلاوة كتاب الله، وملازمته الأذكار والأدعيــة التي علَّمه إياها النبي ﷺ، فلم يتركها في أقســى الظروف وأشدّ المِحن وهو في حروبه ليالي صِفِّين!.

عن سالم بن أبي الجَعْد قال: (كان علي إذا فرغ من وُضوئه قال: أشهدُ أن لا إلٰه إلا الله وأشــهد أن محمداً عبده ورســوله، ربِّ اجعلْني مــن التوابين واجعلني من المتطهرين)[2].

وعن علي قال: (ما كنتُ أَرى أن أحداً يَعقِل ينامُ حتى يقرأَ هؤلاء الآيات من آخر سورة البقرة، وإنهن لمن كنز تحت العرش)[3].

---

(١) مصنف عبدالرزاق (١٩٤١٤)؛ المحلى: ١٨٠/٦.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ١٣/١.

(٣) سنن الدارمي (٣٣٨٤).

وفي الحديث الذي علَّمه فيه النبيُّ ﷺ (التسبيح والتحميد والتكبير مئة مرة)، يقول علي: (فواللهِ ما تركتُهنَّ منذ علمنيهنَّ رسول الله ﷺ، فقال له ابن الكَوَّاء: ولا ليلةَ صِفِّين؟! فقال: قاتَلَكُم الله يا أهلَ العراق، نعم ولا ليلةَ صفِّين!)(١).

وروى عبدالله بن جعفر، عن علي بن أبي طالب قال: (علَّمني رسول الله ﷺ كلماتٍ أقولهنَّ عند الكَرْب إذا نزل بي، ما علّمتُهنَّ حسناً ولا حسيناً، خَصَصْتُك بهن، إذا كَرَبَك أمرٌ فقُلْ: «**لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحانه، تبارك الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين**»)(٢).

وعن علي بن ربيعة قال: (شهدتُ عليّاً وأُتِي بدابَّة ليركبَها، فلما وضع رجلَه في الرِّكاب قال: باسم الله، فلما استوى على ظهرها قال: الحمدُ لله، ثم قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٣ ـ ١٤]، ثم قال: الحمد لله، ثلاث مرات، ثم قال: الله أكبر، ثلاث مرات، ثم قال: سبحانك إني ظلمتُ نفسي فاغفِرْ لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك، فقيل: يا أمير المؤمنين، من أي شيء ضحكتَ؟ قال: رأيتُ النبي ﷺ فعل كما فعلتُ ثم ضحك، فقلتُ: يا رسول الله، من أي شيء ضحكتَ؟ قال: «**إن ربك يعجَبُ من عبده إذا قال: اغفِرْ لي ذُنوبي، يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري**»)(٣).

---

(١) مسند أحمد (٨٣٨)؛ وتقدم الحديث بتمامه: ص٧٣ ـ ٧٤ في هذا الكتاب.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٧٦٢٦، ١٠٣٩٠)؛ وأحمد (٧٠١)، وصحَّحه أحمد شاكر.

(٣) أخرجه أبو داود (٢٦٠٢)؛ والترمذي (٣٧٤٩)، وغيرهما، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصحَّحه الألباني.



وكان علي إذا رأى الهلالَ قال: (اللَّهمَّ إني أسألُك خيرَ هذا الشهر وفتحه ونصرَهُ وبركَته ورزقَه ونورَه وطُهره وهداه، وأعوذُ بك من شــرِّه وشــرِّ ما فيه وشرِّ ما بعده)(١).

ومن أدعيته ومناجاته(٢):

(إلٰهي، كَبِرت سنِّي، ودَقَّ عظْمي، ورَقَّ جِلْدي، ونالَ الدهر مني، واقترب أَجَلي، ونَفِدتْ أيامي، وذَهبتْ شــهوتي، وبقيتْ تبعتي، وامْتَحتْ محاسني، وبَلي جسمي، وتقطَّعتْ أوْصَالي، وتفرَّقتْ أعضائي ـ إلٰهي فارحمني)(٣).

(إلٰهي، إن ذُنوبي قد أخافَتْني، ومحبَّتي لك قد أجارَتْني، فتَولَّ من أمري ما أنت أهلُه، وعُدْ بفضْلِك على مَنْ غَمَره جهلُه. يا مَنْ لا تخفَى عليه خافية، صلِّ على محمد وعلى آل محمد، واغفِرْ لي ما خَفِي عن الناس من أمري)(٤).



(١) حياة الصحابة: ٣٨٠/٣.
(٢) انظر فصلاً مطولاً في: دستور معالم الحِكَم، ص ٣٠٩ـ٣٢٨.
(٣) دستور معالم الحِكَم، ص ٣١٣.
(٤) المرجع السابق، ص ٣١٨.

الفصل الرابع

شمائلُه وأخلاقُه

مفتاح شمائل علي وعنوان أخلاقه لَخَّصها بكلام عبقري موجز أحدُ أصحابه الذين عاصروه وعاشوا معه وتربوا في كَنَفِه ونهلوا من مَعين خلقه ونُبْل صفاته وشِيَمِه. وهي كلمات رقيقة رفيعة جاءت عفوَ الخاطر؛ وَصَفتِ المخايلَ والمشاعر والميول والاتجاهات والأخلاق والشمائل والمَلَكات التي طُبع عليها علي ﷺ، فجاءت (قطعة بيانية بليغة صادقة)، مثَّلت الشهادة بالحق والصدق والشعور بالمسؤولية. وزاد من قيمتها وضوحُها وجرأتُها لأنها أُلقِيت بين يدي معاوية ﷺ، وجواباً على سؤاله وتلبية لطلبه!.

عن أبي صالح قال: قال معاوية بن أبي سفيان لضِرار بن ضَمْرة الصُّدَائي: (صِفْ لي عليّاً، فقال: أَوَتعفيني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا أُعفيك، قال: أما إذْ لا بدّ؛ فإنه والله كان بعيدَ المدى، شديدَ القوى، يقول فَصْلاً ويحكم عدلاً، يتفجَّر العلم من جوانبه، وتنطِق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظُلمته.

كان والله غزيرَ الدمعة، طويلَ الفكرة، يقلِّب كفَّه ويخاطِب نفسه، يُعجبه من اللباس ما خَشُن، ومن الطعام ما جَشُب.

كان والله كأحدنا؛ يُجيبنا إذا سألناه، ويُدْنينا إذا أتيناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلِّمه هيبة له، ولا نبتديه لعِظَمِهِ! فإن تبسَّم فعَنْ مِثل اللؤلؤ المنظوم.

يعظِّم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يَطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيفُ من عدله.

وأشهد بالله لقد رأيتُه في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سُدولَه وغارَتْ نجومه، وقد مَثُل في محرابه قابضاً على لحيته، يتململُ تململَ السَّليم، ويبكي بكاء الحزين، فكأني أسمعه الآن وهو يقول: يا ربنا يا ربنا ـ يتضرع إليه ـ ثم يقول: يا دنيا يا دنيا، أبِي تعرَّضْتِ أم لي تشوَّفْتِ؟! هيهات هيهات غُرِّي غيري، قد بَتَتُّكِ ثلاثاً لا رجعةَ لي فيكِ، فعمرُك قصير، وعيشُك حقير، وخطرُكِ يسير، آه آه من قلَّة الزاد، وبُعْدِ السفر، ووحشةِ الطريق!.

قال: فذَرفَتْ دموعُ معاوية رضي الله عنه حتى جَرَت على لحيته فما يملكها، وهو ينشِّفها بكمِّهِ، وقد اختنق القوم بالبكاء! ثم قال معاوية: رحمَ الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حزنُك عليه يا ضرار؟ قال: حزنُ مَنْ ذُبح واحدُها في حِجْرها، فلا تَرْقأ عبرتُها، ولا يَسكن حزنها)[١].

أولاً: زهدُه وطعامُه ولباسُه:

عاش علي رضي الله عنه حياة الزهد مذ كان صغيراً في كَنَف النبي ﷺ، ونشأ على ذلك وشَبَّ عليه، وعندما تزوج ضَرب مع زوجته فاطمة أروعَ أمثلة النبل والتقلُّل من الدنيا، حتى إذا آلَتْ إليه الخلافة توَّج سيرته بنفس الهدي، فلم يَرْزَأ بيتَ مال المسلمين إلا بما يُقيم الأَوَد ويستُر الجسد، ويأكل الخشن ويلبس المرقوع، ويقول للدنيا: غري غيري!.

(١) الحلية: ١/٨٤ ـ ٨٥؛ صفة الصفوة: ١/٣١٥ ـ ٣١٦؛ الاستيعاب: ٣/٤٣ ـ ٤٤.
ما جَشُب: ما خَشُن. السليم: الملدوغ. بتتك: طلقتك طلاقاً بائناً قاطعاً.



●● عن الحارث الأعور، عن علي قال: (أُهديتْ ابنةُ رسول الله ﷺ إليَّ، فما كان فراشُنا ليلة أُهدِيت إلا مَسْكَ كَبْشٍ)(١).

وروى عامر الشعبي، عن علي قال: (لقد تزوجتُ فاطمة بنت محمد ﷺ وما لي فراش غيرُ جلد كبش ننام عليه بالليل، ونعلف عليه ناضحنا بالنهار، وما لي خادم غيرها)(٢).

وحدَّث علي أنه لمَّا تزوج فاطمة كان يَستقي الماء حتى اشتكى صدره، وكانت فاطمة تطحن بالرحى حتى مَجَلَتْ يداها وظهر فيها ما يشبه البَثْر!(٣).

ويذكر والي (عُكْبَرا) أنه دخل على أمير المؤمنين عليٍّ، فوجده جالساً وعنده قَدَح وكوز من ماء، فجاء بشيء من السَّوِيق فصَبَّ عليه الماء فشرب وسقى الوالي(٤).

وعن شَريك العامري، عن علي: (أنه أُتي بفالُوذَج، فوضع قدَّامه بين يديه، فقال: إنك طيِّب الريح، حسنُ اللون، طيب الطعم، لكن أكره أن أعوِّدَ نفسي ما لم تَعْتَدْه)(٥).

●● وقال عبد الله بن أبي الهُذيل: (رأيتُ على علي بن أبي طالب قميصاً رازيّاً؛ إذا أرخى كُمَّه بلغ أطراف أصابعه، وإذا أطلَقه صار إلى الرسغ)(٦).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٥٤)؛ وأبو يعلى (٤٧١)، وضعفه الألباني. **مَسْك كَبْش**: جِلد كبش.

(٢) ابن عساكر: ٤٥٢/٢؛ حياة الصحابة: ٣٢٧/١.

(٣) انظر ما تقدم: ص٧٣ ـ ٧٤، في هذا الكتاب.

(٤) الحلية: ٨٢/١؛ وسيأتي الخبر بتمامه: ص٣٦٢، في هذا الكتاب.

(٥) الحلية: ٨١/١؛ الزهد، لأحمد (٧٠٨). **والفالوذج**: نوع من الحلوى.

(٦) طبقات ابن سعد: ٢٧/٣ـ٢٨؛ الاستيعاب: ٥١/٣.

وعن عَمْرو بن قيس: (أن عليّاً رُئي عليه إزارٌ مرقوع، فقيل له! فقال: يخشع القلب، ويقتدي به المؤمن)(١).

وعن مولى لأبي غُصَيْن قال: (رأيتُ عليّاً خرج فأتى رجلاً من أصحاب الكَرَابيس، فقال له: عندك قميص سُنبلاني؟ قال: فأخرج إليه قميصاً، فلبسه فإذا هو إلى نصف ساقيه، فنظر عن يمينه وعن شماله فقال: ما أرى إلا قدراً حسناً، بكم هذا؟ قال: بأربعة دراهم يا أمير المؤمنين، قال: فحلَّها من إزاره فدفعها إليه، ثم انطلق)(٢).

•• قال الحَسن بن صالح: (تذاكَروا الزهَّاد عند عمر بن عبد العزيز، فقال قائلون: فلان، وقال قائلون: فلان، فقال عمر بن عبد العزيز: أزهدُ الناس في الدنيا عليُّ بن أبي طالب)(٣).

يعني أزهدَ الناس في زمانه، ومَن عَرف سِير الصحابة والمنقولَ الثابت من هديهم، علم يقيناً أن أزهد الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر(٤).

ثانياً: وَرَعُه:

الورع صِنْو الزهد وتوأمه، وهما من أنبل الشمائل التي يتصف بها الأكابر، ومَن أمعن الفكر في سير الخلفاء الراشدين الأربعة وأجلَّاء الصحابة، يجد أروعَ الأمثلة في النأي عن الشبهات، والتورع عما أُبيح لهم من أموال الأمة من رواتب وأَعْطيات، وعلى هذا السبيل مشى أمير المؤمنين علي.

---

(١) طبقات ابن سعد: ٢٨/٣؛ الحلية: ٨٣/١.
(٢) البداية والنهاية: ٣/٨؛ حياة الصحابة: ٧١٠/٢. الكرابيس: الثياب من القطن.
(٣) ابن عساكر: ٢٠٢/٣ـ٢٠٣.
(٤) انظر: منهاج السُّنَّة: ٣٥٢/٤ـ٣٥٤، ٣٥٩.

•• عن أبي مطر البصري قـــال: (رأيتُ عليّاً مؤتزراً بـــإزار مرتدياً برداء، ومعه الدِّرَّة كأنه أعرابي بدوي، حتى بَلَغ ســوق الكَرَابيس، فقال: يا شــيخ، أَحسِــنْ بيعي في قميص بثلاثة دراهم، فلما عرفه لم يشــترِ منه شــيئاً. فأتى غلاماً حَدَثاً فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم. ثم جاء أبو الغلام فأخبره، فأخذ أبوه درهماً ثم جاء به فقال: هذا الدرهم يا أمير المؤمنين، فقال: ما شــأنُ هذا الدرهم؟ قال: كان ثمنُ القميص درهمين، فقال: باعني رِضاي وأَخذ رضاه)[1].

وقال أبو سعيد الأَزْدِي: (رأيتُ عليّاً أتى الســوق فقال: مَن عنده قميص صالح بثلاثة دراهم؟ فقــال رجل: عندي، فجاء به فأعجبه، قال: لعلَّه خيرٌ من ذلك؟ قال: لا، ذاك ثمنــهُ. قال: فرأيتُ عليّاً يقرض ربــاط الدراهم من ثوبه، فأعطاه فلبسه، فإذا هو يَفضُل عن أطراف أصابعه، فأَمر به فقُطع ما فَضَل عن أطراف أصابعه)[2].

ويروي فرُّوخ ـ مولى لبني الأشــتر ـ قال: (رأيتُ عليّــاً وأنا غلام، فقال: أتعرفُني؟ فقلت: نعم، أنت أمير المؤمنين، فتركني. ثم أتى آخرَ فقال: أتعرفُني؟ فقال: لا، فاشترى منه قميصاً زابيّاً، فلبسه فمدَّ كُمَّ القميص فإذا هو مع أصابعه، فقال له: كُفَّه، فلما كفَّه قال: الحمدُ لله الذي كسا علي بن أبي طالب)[3].

ومــن ورعه: ما رواه أبو جعفــر الباقر قال: (أكل عليٌّ مــن تَمْرِ دَقَل، ثم شرب عليه من الماء، ثم ضرب على بطنه وقال: مَن أدخله بطنُه النار فأبعدَه الله! ثم تمثل:

فإنكَ مهما تُعْطِ بطْنَكَ سُــؤْلَه ... وفرجَكَ نالا مُنتهى الذمِّ أجمعا)[4]

---

(١) الزهد، لأحمد (٦٩٢)؛ صفة الصفوة: ٣١٧/١.

(٢) الحلية: ٨٣/١.

(٣) طبقات ابن سعد: ٢٨/٣؛ ابن عساكر: ١٩٢/٣. **الزابي**: نسبة إلى (الزاب)، ناحية بواسط.

(٤) حياة الصحابة: ٦٥١/٢. **الدَّقَل**: رديء التمر ويابسه.

وعـــن زاذان، عن علي: (عن النبـــي ﷺ قال: «**مَنْ تَركَ موضعَ شـــعرةٍ من جَسَده من جنابة لم يغســـلْها؛ فَعلٍ به كذا وكذا من النار**»! قال علي: فمِن ثَمَّ عادَيْتُ شعري. قال: وكان يَجُزُّ شعرَه)(١).

وتأمَّلْ هذا الموقف الذي رواه دِرهم أبو عُبيد المُحاربي قال: (رأيتُ علياً أصابتْه الســـماءُ وهو في السوق، فاستظلَّ بخيمة الفارســـي، فجعل الفارسي يدفعه عن خيمته، وجعل علي يقول: إنما أســـتظلُّ من المطر! فأُخبِر الفارسي بعدُ أنه علي، فجعل يضرب صدره!)(٢).

●● وأما ورعه عن أموال الأمة فشيء عجيب، من ذلك: ما رواه هارون بن عنترة، عن أبيه قال: (دخلت على علي بن أبي طالب بالخَوَرْنَق وعليه سَـــمَلُ قَطيفةٍ، وهو يُرْعَد من البـــرد! فقلتُ: يا أمير المؤمنيـــن، إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال نصيباً وأنت تفعل بنفســـك هذا؟! فقال: إي والله، لا أَرْزَؤكم من أموالكم شـــيئاً، وهذه هي القَطيفة التي أخرجتُها من بيتي، أو قال: من المدينة)(٣).

وعن أبـــي عَمْرو بن العلاء، عـــن أبيه قال: (خطب علـــي فقال: أيها الناس، والله الذي لا إلٰه إلا هو ما رَزَأْتُ مـــن مالكم قليلاً ولا كثيراً إلا هـــذه. وأخرج قـــارورة من كُـــمٍّ قميصه فيها طِيـــب، فقـــال: أهداها إليّ دِهْقان)(٤).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة: ١٢٣/١؛ وأحمد (٧٢٧، ٧٩٤)؛ وابن ماجه (٥٩٩)، وصحَّحه أحمد شاكر، وضعفه الألباني.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٣٢١/٥.
(٣) الحلية: ٨٢/١؛ الأموال، لأبي عبيد (٦٧١)؛ ابن عساكر: ١٨١/٣، ١٨٨. **الخورنق**: موضع بالكوفة. **القطيفة**: كساء له خَمْل. **السَّمَل**: الخَلَق من الثياب.
(٤) الحلية: ٨١/١؛ ابن عساكر: ١٨٤/٣. **ما رزأت**: أي ما نقصت.

وسـيأتي مزيد لذلك في الحديث عن «دولة الخلافـة وهدي علي في سياستها».

ثالثاً: تواضعُه:

أصحاب النفوس الكبيرة كلما ارتفعت منزلتهم واتسـع سلطانهم، كانوا أعظم تواضعاً وألين جانباً وأسهل معاملة... وهكذا كان أمير المؤمنين علي.

روى صالح بياع الأكسـية، عن جدَّتـه قالت: (رأيتُ عليّاً اشـترى تمراً بدرهم، فحمله في ملحفته، فقالوا له: نحملُ عنك يا أمير المؤمنين، قال: لا، أبو العيال أحق أن يحمل)[1].

وعن صالح بن أبي الأسـود، عمَّن حدثه: (أنه رأى عليّاً قد ركب حماراً ودلَّى رجلَيْه إلى موضع واحد، ثم قال: أنا الذي أهنتُ الدنيا)[2].

وعن زيد بن وَهْب قال: (قـدِم على عليٍّ وفد من أهـل البصرة، وفيهم رجل من رؤوس الخوارج يُقال له: الجعد بن بَعْجة، فعاتبه في لُبوسـه فقال: ما يمنعُك أن تلبس؟ فقال علي: ما لَكَ ولِلُبوسـي! إن لُبوسـي هذا أبعد من الكِبْر، وأجدرُ أن يقتدي به المسلم)[3].

وقال أبو النوَّار بياع الكَرَابيـس: (أتاني علي بن أبي طالب ومعه غلامٌ له، فاشترى مني قميصَيْ كرابيس، ثم قال لغلامه: اختَرْ أيهما شئتَ! فأخذ أحدهما، وأخذ علي الآخر، فلَبسـه ثم مدَّ يدَه ثم قال: اقطَعْ الذي يَفْضُل من قدْر يديّ. فقطعه وكَفَّه فلبسه ثم ذهب)[4]. وفي رواية أن الغلام هو (قنبر) مولى علي.

---

(١) الأدب المفرد (٥٥١)؛ الزهد، لأحمد (٧١٠).

(٢) ابن عساكر: ٢٠٢/٣.

(٣) الزهد، لأحمد (٧٠٧)؛ الحلية: ٨٢/١ـ٨٣.

(٤) الزهد، لأحمد (٧٠٩)؛ وبأخصر منه في صفة الصفوة: ٣١٨/١.

وعن صهيب مولى العباس قال: (رأيتُ علياً يقبّل يدَ العباس ورجليه)[١].

رابعاً: جودُه وسخاؤُه:

عن علي قال: (ما أدري أيُّ النعمتين أعظمُ عليَّ مِنَّةً: من رجل بَذل مُصَاصَ وجهه إليَّ فرآني موضعاً لحاجته، وأجرى الله قضاءها أو يسَّره على يديَّ. ولأَنْ أقضي لامرئ مسلم حاجة أحبُّ إليَّ من ملْءِ الأرض ذهباً وفضة!)[٢].

وروى محمد ابن الحنفيَّة، عن أبيه علي ﷺ قال: (لأَنْ أجمعَ نفراً من إخواني على صاع أو صاعين من طعام؛ أحبُّ إليَّ من أن أَخرج إلى سوقكم فأَعتِق رقبة)[٣].

وحسبك أنه وَقَف أرضَه بيَنْبُع وغيرها، وقد بلغت أوقافه (٤٠ ألف دينار) كما تقدَّم.

خامساً: حياؤُه وعفتُه وغيرتُه وبشاشتُه:

وهذه الشمائل الكريمة من جملة ما تحلَّى به علي ﷺ، وقد شهدتْ وقائع حياته مصداقها في ساعات الشدة والرخاء، ومع الصديق والعدو، وعبَّر عن ذلك بكلمة عبقرية قال فيها: (إني لأَستحيي من الله أن يكون ذَنْبٌ أعظمَ من عفوي، أو جهلٌ أعظمَ من حِلْمي، أو عورةٌ لا يُواريها سَتْري، أو خَلَّة لا يَسدُّها جُودي)[٤].

---

(١) الأدب المفرد (٩٧٦)؛ وذكره الذهبي في (سير أعلام النبلاء: ٩٤/٢) وقال: إسناده حسن، وصهيب لا أعرفه! وهذا عجيب من الذهبي كيف يحسن إسناده وصهيب مجهول. وهذا الحديث ضعفه الألباني، وأما الدكتور علي الصلابي، في كتابه (علي، ص ٢٦٤) فقال: إسناده صحيح! ولا أدري من أين له هذا؟!.

(٢) حياة الصحابة: ٤٣٦/٢.

(٣) الأدب المفرد (٥٦٦).

(٤) دستور معالم الحِكَم، ص ٢٩٢.

وبَلَغ الحياءُ بعليٍّ أنه تحرَّج من سؤال النبي ﷺ عن حُكْم المَذي، لمكان السيدة فاطمة رضي الله عنها[١].

وفي غزوة الخندق لمَّا قَتَل عمرَو بن عبد وُدّ لم يَسلبْه دِرْعَه، وقال في سبب ذلك: اتقاني بسوءته، فاستحييتُ أن أسلبَه!.

وهكذا فعل في غزوة أُحُد مع حامل لواء المشركين[٢].

ومما يعبِّر عن غَيْرة علي ما جاء عنه في قوله مخاطباً بعض الرعية: (أَلَم يبلغْني عن نسائكم أنهن يُزاحمن العلوجَ في الأسواق، ألا تغارون؟! من لم يغر فلا خير فيه)[٣].

وكان ودوداً بشوشاً، وقد جاء في وصفه: كان حسنَ الوجه، ضحوكَ السنّ، خفيفَ المشي على الأرض[٤].

سادساً: مقارنةُ العلمِ بالعمل:

وقد نهض أمير المؤمنين علي بأعباء العلم والعمل، وكان يقول: (إذا أتى علَيَّ يوم لا أزداد فيه عملاً يقرِّبني إلى الله، فلا بُورِكَ لي في طلوع شمس ذلك اليوم!)[٥].

وأوصى أصحابه فقال: (كونوا لِقَبول العمل أشدَّ اهتماماً منكم بالعمل، فإنه لن يَقِلَّ عملٌ مع التقوى، وكيف يَقلُّ عملٌ يُتقبَّل؟!)[٦].

---

(١) انظر ما تقدم: ص٧٧ حاشية (١) في هذا الكتاب.
(٢) انظر ما تقدم: ص٩٨، ١٠١ في هذا الكتاب.
(٣) حياة الصحابة: ٦٤٠/٢.
(٤) البداية والنهاية: ٢٢٣/٧.
(٥) شرح نهج البلاغة: ٥٨٥/١٠.
(٦) الحلية: ٧٥/١؛ ابن عساكر: ٢٣٠/٣.

ونصح حَملَة القرآن والعلماءَ وطلبـــة العلم فقال: (يا حَمَلة القرآنِ اعملوا به، فإنما العالم مَنْ عَلِم ثم عَمِل بما علم)[1].

وتقدمت أمثلة كثيرة عن ملازمته السُّنَّة واقتدائه بالنبي ﷺ.



(١) ابن عساكر: ٢٢٨/٣؛ وتقدم بتمامه: ص١٦٣ في هذا الكتاب.

الباب الرابع

فضائلُ عليٍّ ومكانَتُه

- ما نزلَ فيه مِنَ القرآنِ الكريم.
- المبشَّر بالجَنَّة.
- مكانتُه عند النبيِّ ﷺ.
- مناقبُه وخصائصُه.
- منزلتُه عند الصَّحابة وفي قلوبِ الأُمَّة.
- الغلوُّ في عليٍّ، ومكانتُه بينَ الإفراط والتفريط.



تمهيد

انعقد الإجماع بين أهل السُّــنَّة على أن ترتيب الخلفاء الراشدين الأربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافة[(١)].

وأَوْعَبُ من جمع مناقبَ علي من الأحاديث الجياد الإمامُ النَّســائي في كتابه «خصائص علي». وقد اختَلَــق الكذابون والمتروكون والرافضة أحاديثَ كثيرة جدّاً موضوعة وواهية؛ زعموا أنها جاءت في مناقب علي، وفَضَّلوه على كافة الصحابة حتى على الشــيخين أبي بكر وعمر، وشوَّهوا سيرته بما يتبرأ هو منه ويتنزه عنه.

ونورد في هذا الباب أخباراً كثيرة ومباحثَ مهمة تدل على منزلته السامقة ومكانته الرفيعة، مما صَحَّ ســنُده واســتقام مَتْنُه، وننبِّه أيضــاً على كثير من الأكاذيب والفِرى التي شوَّهت سيرته في هذا الباب.

---

(١) انظر: جامع بيان العلــم: ٢/٢٢٥ـ٢٢٩؛ الفتح: ٨/٦٠٣ (٣٦٧١)؛ كتب مصطلح الحديث: (النوع ٣٩)؛ فتح المغيث، للسخاوي: ٤/١١٠ ـ ١١٨.

الفصل الأول

ما نزلَ فيه مِنَ القرآنِ الكريم

١ ـ عن قيس بن عُبَاد قال: (سمعت أبا ذَرّ يُقْسِم قَسَماً: إن هذه الآية ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] نزلت في الذين برزوا يومَ بَدْر: حمزة وعلي وعُبيدة بن الحارث، وعُتْبة وشَيْبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة)[١].

٢ ـ وعن أم المؤمنين عائشة قالت: (خرج النبي ﷺ غداةً وعليه مِرْطٌ مُرَحَّل من شعرٍ أسودَ، فجاء الحسن بن علي فأدخَله، ثم جاء الحسين فدَخَل معه، ثم جاءت فاطمة فأَدْخَلَها، ثم جاء علي فأدخَله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣])[٢].

٣ ـ وعن عُمر بن أبي سَلَمة رَبيبِ النبي ﷺ قال: (لمَّا نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ في بيت أم سَلَمة، فدَعَا فاطمةَ وحسناً وحسيناً فَجَلَّلَهُم بِكسَاءٍ، وعليٌّ خلْفَ ظهره فجَلَّله بكساءٍ، ثم قال: «**اللَّهمَّ هؤلاء أهلُ بيتي**،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٦٦، ٣٩٦٩)؛ ومسلم (٣٠٣٣) وغيرهما. وتقدم من حديث علي: ص٩٦ في هذا الكتاب.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٢٤). مرط مرحل: كساء مخطط.

فأَذْهِبْ عنهم الرجْسَ، وطَهِّرْهم تطهيراً» قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبيَّ الله؟ قال: «**أنتِ على مكانِكِ وأنتِ على خيرٍ**»)[١].

وقوله ﷺ لأم سلمة: «**أنت على مكانك وأنت على خير**»؛ معناه: أنتِ خير وعلى مكانك من كونك من أهل بيتي، ولا حاجةَ لك في الدخول تحت الكساء، كأنه مَنَعها من ذلك لمكان علي[٢].

وأزواج النبي ﷺ من أهل البيت قطعاً لقوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ إلى قوله: ﴿وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٢ ـ ٣٣]، وسياق الآيات صريح في أن الآية إنما وردت في أمهات المؤمنين، ومن تأمل في ما سبقها من الآيات لم يشك في ذلك[٣].

٤ ـ ومن حديث سعد بن أبي وقّاص في ذِكْر مناقب علي، قال سعد: (ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ ...﴾ [آل عمران: ٦١]؛ دعا رسولُ الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «**اللَّهمَّ هؤلاءِ أهلي**»)[٤].

وهذه الأحاديث الأربعة فيها مناقب ظاهرة لعليٍّ، لكنها ليست من خصائصه، فقد شاركه فيها غيره[٥].

ولم يَصحَّ خبر واحد بأنه نزل قرآن في علي خاصة؛ قال ابن كثير: (ولم ينزل في علي شيء من القرآن بخصوصيته. وكل ما يروونه في قوله تعالى:

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٨٣، ٤١٢١)؛ والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٧٧١)، وصحَّحه الألباني، وحسنه شعيب الأرنؤوط.
(٢) تحفة الأحوذي: ١٨٨/٨.
(٣) انظر: تكملة فتح الملهم: ٥٧/٥، وفيه كلام نفيس.
(٤) أخرجه مسلم (٢٤٠٤)؛ والترمذي (٣٢٤٤، ٤٠٥٨). وانظر كلام ابن تيمية على الآية والحديث في: منهاج السُّنَّة: ١٣٦/٤ ـ ١٤٠.
(٥) انظر: منهاج السُّنَّة: ٢١١/٣ ـ ٢١٢، ٢٢٩، ١٠٣/٤ ـ ١٠٧.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، وقوله: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]، وقوله: ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [التوبة: ١٩]، وغير ذلك من الآيات والأحاديث الواردة في أنها نزلت في علي ـ لا يَصحّ شيء منها).

(وما روي عن ابن عباس أنه قال: ما نزل في أحدٍ من الناس ما نزل في علي. وفي رواية عنه: أنه قال: نزل فيه ثلاث مئة آية ـ فلا يصح ذلك عنه لا هذا ولا هذا)(١).

والخبر عن ابن عباس رواه ابن عساكر: عن جُوَيبر بن سعيد، عن الضَّحاك بن مُزَاحم، عن ابن عباس قال: (نزل في علي ثلاث مئة آية)(٢).

وهو خبر واهٍ لا يُشتغل به، جُويبر: متروك، ليس بشيء.

وقد ساق ابن عساكر ـ غفر الله له ـ في ترجمة علي في «هذا الباب» أخباراً كثيرة باطلة وموضوعة(٣).

وأورد ابن المُطَهَّر الحِلِّي (أربعين دليلاً من القرآن)، ذكر فيها الآيات التي نزلت ـ بزعمه ـ بحق علي ومناقبه، وأنه إمام الأمة بعد النبي ﷺ.

وقد أَطْنَب ابن تيمية في الرد عليه، وتناول تلك المزاعم ونقدها سنداً ومتناً بكلام نفيس جدّاً استغرق زهاء (١٨٠) صفحة(٤)!.



(١) البداية والنهاية: ٣٥٨/٧ـ٣٥٩.
(٢) ابن عساكر: ٤٣١/٢.
(٣) انظر: ابن عساكر: ٤٠٩/٢ ـ ٤٣١.
(٤) منهاج السُّنَّة: ٦٥/٤ـ٢٤٢.

الفصل الثاني

المُبَشَّر بالجَنَّة

١ ـ عن عبدالرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ: **«أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقّاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجرّاح في الجنة»**(١).

٢ ـ وعن عبدالرحمن بن الأخنس: (أنه كان في المسجد، فذَكَر رجلٌ عليّاً، فقام سعيد بن زيد فقال: أشهدُ على رسول الله ﷺ أني سمعتُه وهو يقول: **«عشرةٌ في الجنة: النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة»**، ولو شئت لسميتُ العاشرَ، قال: فقالوا: مَنْ هو؟ فسَكَتَ، قال: فقالوا: من هو؟ فقال: **هو سعيد بن زيد**).

زاد في رواية: (لمشهدُ رجل منهم مع رسول الله ﷺ يُغَبِّر فيه وجْهَه خيرٌ من عملِ أحدِكم عُمرَه ولو عُمِّرَ عُمُرَ نوح!)(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي (٤٠٨٠)؛ والنسائي في الكبرى (٨١٣٨)؛ وأحمد (١٦٧٥)، وغيرهم، وصحَّحه أحمد شاكر والألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٤٩، ٤٦٥٠)؛ والترمذي (٤٠٨١)؛ وابن ماجه (١٣٣)؛ وأحمد (١٦٢٩)؛ والنسائي في الكبرى (٨١٣٧، ٨١٣٩)، وصحَّحه أحمد شاكر والألباني وشعيب الأرنؤوط.

والرجل الذي سَبَّ علياً جاء مسمًّى صريحاً وهو: (قيس بن علقمة)[١]، وكان ذلك في مجلس المغيرة بن شعبة، هذا هو الصحيح، وليس الذي سَبّ هو المغيرة كما جاء في بعض الروايات.

٣ ـ وعن علي قال: (زارنا رسول الله ﷺ فباتَ عندنا، والحسن والحسين نائمان، فاستسقى الحسن، فقام رسول الله ﷺ إلى قِرْبة لنا فجعل يعصرها في القَدَح ثم يسقيه، فتناوله الحسين ليشربَ فمَنَعَه وبدأ بالحسن، فقالت فاطمة: يا رسول الله، كأنه أحبُّهما إليك؟ فقال: «**لا، ولكنه استسقى أول مرة**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**إنِّي وإياكِ وهذين وهذا الراقدَ** ـ يعني علياً ـ **يوم القيامة في مكان واحد**»)[٢].

٤ ـ وعن علي أيضاً: أن النبيَّ ﷺ قال له: «**يا عليّ، إنَّ لك كنزاً في الجنة، وإنك ذو قَرْنَيْها، فلا تُتْبِع النظرةَ النظرةَ، فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة**»[٣].

ذو قرنيها: أي طرَفَي الجنة وجانبيها. وقيل غير ذلك.

٥ ـ وعن جابر بن عبدالله قال: (مشيتُ مع رسول الله ﷺ إلى امرأةٍ من الأنصار، فذَبحتْ لنا شاةً، فقال رسول الله ﷺ: «**لَيَدخُلَنَّ رجل من أهل الجنة**» فدخل أبو بكر. فقال: «**لَيدخُلَنَّ رجل من أهل الجنة**» فدخل عمر. فقال: «**لَيدخُلَنَّ رجل من أهل الجنة، اللَّهمَّ إنْ شئتَ فاجعَلْه علياً**» فدخل علي)[٤].

(١) انظر: سنن أبي داود (٤٦٥٠)؛ والسُّنَّة، لابن أبي عاصم (١٤٣٦).
(٢) أخرجه الطيالسي (١٩٠)؛ وابن أبي عاصم (١٣٢٢)؛ والطبراني (٢٦٢٢)؛ وذكره الألباني في الصحيحة (٣٣١٩).
(٣) أخرجه أحمد (١٣٧٣)؛ والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٨٦٥)؛ وابن حبان (٥٥٧٠)؛ والحاكم: ١٢٣/٣، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وصحَّحه أحمد شاكر.
(٤) أخرجه أحمد: (١٥١٦٢)؛ وابن أبي عاصم (١٤٥٦)؛ والحاكم: ١٣٦/٣ وصحَّحه ووافقه =



٦ ـ وعن عبد الله بن مسعود قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**القائمُ بعدي في الجنــة، والذي يقــوم بعده في الجنــة، والثالــث والرابع في الجنة**»[1].



= الذهبي؛ وذكــره الذهبي في تاريخ الإســلام «عهد الراشــدين»، ص٦٣٦ وقــال: حـديث حسن.

(١) أخرجه الفسوي: ٣/١٩٧؛ وصحَّحه الألباني بشواهده: الصحيحة (٢٣١٩)؛ صحيح الجامع الصغير (٤٤٣٥).

الفصل الثالث

مكانتُه عندَ النبيِّ ﷺ

يتبوَّأ سيدنا علي مكانة سامقة عند رسول الله ﷺ، وله من قلبه المحلُّ الرفيع والمحبة البالغة والقربى القريبة والنشأة في حِجْره وتربيته على عينه، وزاد من ذلك إصهارُه إليه على أحبِّ بناته إلى قلبه. ولقد قرَّبه النبي ﷺ إليه وأدناه منه وألقى عليه الكساء وحث الأمة على محبته وموالاته ونهاهم أشدَّ النهي عن مشاققته أو الإساءة إليه.

لكن لا يجوز لنا أن نُغالي فيه ونرفعه فوق المنزلة التي أنزله إياها رسول الله ﷺ، فمرتبتُه بعد الشيخين العظيمين أبي بكر وعمر عند النبي ﷺ وعند الأمة في المحبة والتفضيل والتقديم وعامة الفضائل في خدمة الإسلام ونصرته والأعمال الجليلة، فَضْلاً عن السوابق والمناقب التي أثبتتها الأحاديث الصحيحة وشهدَتْها أيامُ عصر الرسالة والخلافة الراشدة.

وقد تواتر عن عليٍّ: أنه قال على منبر الكوفة في أيام خلافته ودار إمارته: خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر، ثم عمر[١].

١ ـ عن سعد بن أبي وقّاص قال: (خَلَّفَ رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب في غزوة تبوكَ، فقال: يا رسول الله، تُخَلِّفُني في النساءِ والصِّبيانِ؟ فقال: «**أَمَا ترضَى أن تكونَ منِّي بمنزلةِ هارونَ من موسى، غيرَ أنه لا نبيَّ بَعْدِي**»!)[٢].

---

(١) انظر كتابي: أبو بكر الصديق، ص ٣٦٢ـ٣٦٦.

(٢) أخرجه مسلم وغيره، وانظر ما تقدم: ص٨٠، حاشية (٢) في هذا الكتاب.

٢ ـ وفــي «قصة غَدير خُــمّ» من حديــث زيد بن أرقم قــال: (لمَّا رجَعَ رســول الله ﷺ من حَجَّة الوداع، ونزلَ غَدِيرَ خُمّ... أخذ بيــدِ عليٍّ فقال: «**مَنْ كنتُ وليُّه فهذا وليُّه، اللَّهمَّ والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ عاداه**»).

وهو حديث صحيح جــدّاً، والفصل الأول منه متواتــر، وقد ذكرنا عدة روايات له، وأوضحنا مدلوله فيما سبق(١).

٣ ـ وعن البَرَاء بن عازِب قال: قال رســول الله ﷺ لعليٍّ: «**أنت منِّي، وأنا منكَ**». والحديث فيه قصة طويلة(٢).

٤ ـ وعن حُبْشِــيِّ بن جُنَادة قال: قال رســول الله ﷺ: «**عليٌّ منِّي وأنا من عَليٍّ، ولا يُؤدِّي عنِّي إلا أنا أو عليٌّ**»(٣).

وهو حديث حســن، ولا وجهَ لتضعيفه كما ذهب إليه الشيخ شعيب الأرنؤوط، ولا لتكذيبه كما فعــل ابن تيمية، وجملــةُ «**لا يؤدِّي عنــي**» كانت لواقعــة محدَّدة هي إعــلانُ البراءة إلى المشــركين، كما أوضحناه مفصلاً(٤).

٥ ـ وعن البَرَاء بن عازب قال: (بعث النبي ﷺ جيشين، وأَمَّر على أحدهما عليَّ بن أبي طالب وعلى الآخر خالدَ بن الوليد، وقال: «**إذا كان القتالُ فعليٌّ**» قال: فافتتح عليٌّ حِصْناً، فأخذ منه جاريةً، فكتب معي خالدٌ كتاباً إلى النبي ﷺ يَشِــي به. قال: فقدِمتُ على النبي ﷺ، فقرأ الكتــابَ، فتغيَّر لونُه، ثم قال: «**ما**

(١) انظر ما سبق: ص٨٨ ـ ٩٢ في هذا الكتاب.
(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٩)؛ والترمذي (٤٠٤٩)؛ والنسائي في الكبرى (٨٤٠١)، وغيرهم.
(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٠٩١)؛ وابن ماجه (١١٩)؛ والترمذي (٤٠٥٣) وقال: حسن غريب صحيح، وحسنه الألباني.
(٤) انظر ما تقدم: ص ٨٠ ـ ٨٤ في هذا الكتاب.



ترى في رجلٍ يحبُّ اللهَ ورســولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُه؟!» قال: قلت: أعوذُ بالله من غضب الله وغضب رسوله، وإنما أنا رسولٌ. فسكَتَ)[١].

وللحديث قصة رواها أيضاً بُريدة بن الحُصَيب وعمران بن حُصَيْن، وقد شرحناها مفصلة[٢].

٦ ـ وذات يوم غاضَبَ عليٌّ زوجَه فاطمة، فترك البيت وأوى إلى المسجد، فذهب إليــه النبي ﷺ وجاء (وهو مُضْطجع قد سَــقَط رداؤه عن شِــقِّه وأصابه ترابٌ، فجعل رسول الله ﷺ يَمسحُه عنه ويقول: «**قُمْ أبا ترابٍ، قُمْ أبا ترابٍ!**»)[٣].

٧ ـ وفي حديث طويل في زواج الســيدة فاطمة ، قال لها رسول الله ﷺ: «**يا فاطمةُ، إنِّي لم آلُ أن أنكحتُكِ أحَبَّ أهلي إليَّ**»[٤].

٨ ـ وعن سَعْد بن عُبيدة قال: (جاء رجل إلى ابن عُمر فسَأَله عن عثمانَ، فذَكَر عن محاســنِ عملهِ، قال: لعلَّ ذاك يَســوؤك؟! قال: نعم، قال: فأَرْغَم الله بأنْفِك. ثم سأله عن عليٍّ، فذَكَر محاسنَ عمله، قال: هو ذاك بيتُه أوسطُ بيوت النبي ﷺ. ثم قال: لعلَّ ذاك يســوؤك؟! قــال: أجَلْ، قــال: فأَرْغَم الله بأنفِك، انطلِقْ فاجْهَدْ عليَّ جَهْدَك)[٥].

وتقدمتْ أحاديث أخرى في فصل (في رحاب النبوة).



(١) أخرجه الترمذي (١٧٩٩، ٤٠٥٩) وحسنه؛ وحسنه شعيب الأرنؤوط؛ وأصله في البخاري. انظر ما تقدم: ص ٨٤ ـ ٨٥ حاشية (١)، في هذا الكتاب.

(٢) انظر: ص ٨٥ ـ ٨٦ في هذا الكتاب.

(٣) تقدم الحديث بتمامه: ص ٧٥، حاشية (٢)، في هذا الكتاب.

(٤) المطالب العالية (١٥٧٤)، وتقدم بطوله: ص ٦٩ ـ ٧٠ في هذا الكتاب.

(٥) أخرجه البخاري (٣٧٠٤)؛ والنسائي في الكبرى (٨٤٣٧).

الفصل الرابع

مناقبُه وخصائصُه

مناقب علي ﷺ كثيرة جليلة، رواها أعلام الصحابة الكرام، وهي مسطورة في الصِّحَاح والسنن والمسانيد، وأفردها بعضهم بالتصنيف كما فعل الإمام أحمد والنسائي، وفيها الصحيح والحسن والضعيف والباطل والموضوع، ونشير في هذا الفصل ـ إضافة إلى ما تقدم ـ إلى أنواع أخرى من مناقبه وخصائصه:

١ ـ عن أبي هريرة قال: (قال رسول الله ﷺ: «**لأَدفَعنَّ الرايةَ اليومَ إلى رجلٍ يحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُه**» فتطاوَلَ القوم، فقال: «**أينَ عليٌّ؟**» قالوا: يشتكي عينَيْه، فدَعَا به، فبَزَق نبي الله ﷺ في كفَّيْهِ، ثم مسح بهما عينَي عليٍّ، ودَفَع إليه الرايةَ، ففَتح الله عليه يومئذٍ)[١].

وقد رواه أكثر من عشرة من الصحابة[٢].

قال ابن تيمية: في ذلك شهادةُ النبي ﷺ لعليٍّ بإيمانه باطناً وظاهراً[٣].

وقال الحافظ ابن حجر: (في الحديث تلميحٌ بقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ [آل عمران: ٣١]، فكأنه أشار إلى أن علياً تامّ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٥)؛ والنسائي في الكبرى (٨٠٩٥)، وغيرهما.

(٢) انظر ما تقدم: ص ١٠٤ ـ ١٠٥ في هذا الكتاب.

(٣) منهاج السُّنَّة: ٢٣٠/٣.

الاتباع لرسول الله ﷺ حتى اتصفَ بصفةِ محبَّة الله له، ولهذا كانت محبتُه علامةَ الإيمان وبُغْضُه علامةَ النفاق)(١).

٢ ـ وعن علي قال: (والذي فَلَق الحَبَّةَ وبَرأَ النَّسَمةَ؛ إنه لعهدُ النبيِّ الأُميِّ ﷺ إليَّ: «**أنْ لا يُحِبُّني إلا مؤمنٌ، ولا يُبْغِضُني إلا منافقٌ**»)(٢).

قال الشيخ العلّامة شعيب الأرنؤوط في تعليقه على «سنن الترمذي»: (وجدتُ في هامش الأصل الخطي لـ«سير أعلام النبلاء» في الإجابة على استشكال الذهبي هذا الحديث ما نصّه: المرادُ: لا يُحبُّك الحبَّ الشرعيَّ المعتدَّ به عند الله تعالى، أما الحبُّ المتضمِّن لتلك البلايا والمصائب، فلا عبرةَ به، بل هو وبالٌ على صاحبه كما أحبَّ النصارى المسيحَ)(٣). يعني كما هو حال الرافضة في مزاعمهم حبَّ علي وما يفترونه له وعليه!.

٣ ـ وعن أبي هريرة: (أن النبي ﷺ صعِدَ حِراءَ، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحرَّك بهم الجبلُ، فقال رسول الله ﷺ: «**اسكُنْ حِراءُ، فإنما عليك نبيٌّ أو صدّيقٌ أو شهيدٌ**»)(٤).

٤ ـ وعن علي قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا عليُّ، أَلَا أُعَلِّمُكَ كلماتٍ إذا قلتهنَّ غُفِر لكَ، مع أنه مغفورٌ لك...**» الحديث(٥).

٥ ـ وعن ابن عباس قال: (قال النبي ﷺ لعليٍّ: «**أَمَا إنكَ ستَلْقَى بعدي جَهْداً**» قال: في سلامةٍ من ديني؟ قال: «**في سلامة من دِينك**»)(٦).

---

(١) الفتح: ٦٦٤/٨ (٣٧٠١).
(٢) أخرجه مسلم (٧٨)؛ والترمذي (٤٠٦٩)؛ والنسائي في الكبرى (٨٠٩٧)، وغيرهم.
(٣) سنن الترمذي: ٣٠٤/٦، تعليقه على الحديث (٤٠٦٩).
(٤) أخرجه مسلم (٢٤١٧)؛ والترمذي (٤٠٢٩)؛ وابن حبان (٦٩٨٣)، وغيرهم.
(٥) أخرجه أحمد وغيره، وقد تقدم بتمامه: ص٧٧، حاشية (٢)، في هذا الكتاب.
(٦) أخرجه الحاكم: ١٤٠/٣ وصحّحه، ووافقه الذهبي.

٦ ـ وعن أبي سعيد الخُدْري قال: (سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ منكم مَنْ يُقاتِلُ على تأويلِ القرآن كما قاتلتُ علــى تنزيله**» قال أبو بكر: أنا هو يا رســول الله؟ قال: «**لا**» قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: «**لا، ولكنْ خاصِفُ النَّعْلِ**» قال: وكان أعطَى عليّاً نَعْلاً يَخْصِفُه)[١].

•• كلمة في خصائص علي:

صنَّف الإمام الحافظ النَّســائي كتاب «خصائص علي»، وهو كتاب جليل القدر، أورد فيه (١٩٤) حديثاً بالمكرر، فيها الصحيح والحسن والضعيف بل والباطل الموضوع! ولو أن النســائي ســمَّاه «مناقب أو فضائــل علي» لكان أحســنَ وأصَحَّ؛ فكثير جدّاً مما أورده ليس من خصائص علي بل قد شاركه غيره في كثير منها، يظهر ذلك بالتأمل والمقارنة، وقد نبَّه على كثير من ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية.

قال ابن تيميــة: (إن فضائل علي الثابتة عامتها مشــتَرَكة بينه وبين غيره، بخلاف فضائل أبي بكر وعمر فإن عامتها خصائص لم يُشارَكَا فيها)[٢].

وقال: (والذي في «الصحيــح» ـ من فضائل علــي ـ ليس من خصائص علي، بل قد شاركَه فيه غيرُه؛ مثل كونه يحبُّ اللهَ ورسولَه ويحبُّه الله ورسوله، ومثل اســتخلافه وكونه منه بمنزلة هارون من موسى، ومثل كون علي مولى مَــن النبيُّ ﷺ مولاه فــإن كل مؤمن موالٍ لله ورســوله، ومثل كــون (براءة) لا يبلِّغها إلا رجل من بني هاشم فإن هذا يشترك فيه جميع الهاشميين)[٣].

(١) أخرجه النســائي في الكبرى (٨٤٨٨)؛ وأحمد (١١٢٥٨)؛ وابن حبان (٦٩٣٧)؛ والحاكم: ١٢٢/٣ـ١٢٣، وغيرهم، وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني. وانظر كتابي: نبوءات الرسول ﷺ: ١٣٧/٢.

(٢) منهاج السُّنَّة: ١٦٧/٤.

(٣) منهاج السُّنَّة: ٢٢٤/٣. وانظر: ٢٠٧/٣ـ٢٠٨، ٢١١ ـ ٢١٢، ٢١٥، ٢١٨، ١٥٤/٤ ـ ١٥٥، ٢٨٥.

وقال الحافظ في معنى حديث «**آيةُ الإيمانِ حُبُّ الأنصارِ، وآيةُ النِّفاقِ بُغْضُ الأنصار**»[1]: (وخُصُّوا بهذه المَنْقَبة العظمى لِما فازوا به دون غيرهم من القبائل من إيواء النبي ﷺ ومَن معه، والقيامِ بأمرهم، ومواساتِهم بأنفسهم وأموالهم، وإيثارِهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم... فلهذا جاء التحذيرُ من بُغْضِهم والترغيبُ في حبِّهم حتى جعل ذلك آية الإيمان والنفاق، تنويهاً بعظيم فَضْلهم، وتنبيهاً على كريم فِعْلهم، وإن كان مَنْ شارَكَهم في معنى ذلك مشارِكاً لهم في الفضل المذكور كلٌّ بقِسْطِه. وقد ثبت في «صحيح مسلم» عن علي: أن النبي ﷺ قال له: «**لا يحبّك إلا مؤمن، ولا يُبغضك إلا منافق**» وهذا جارٍ باطِّراد في أعيانِ الصحابة، لتحقق مشترَك الإكرام، لِما لهم من حُسْن الغَنَاء في الدين)[2].



(١) البخاري (١٧)؛ ومسلم (٧٤).

(٢) الفتح: ١/١٤١ـ١٤٢؛ ونحوه قول ابن تيمية في منهاج السُّنَّة: ٤/١٥٥.

الفصل الخامس

منزلته عند الصحابة وفي قلوب الأمة

١ ـ عن سعد بن أبي وقّاص قال: (أَمَر معاويةُ بن أبي سفيان سعداً فقال: ما مَنَعَك أن تَسُبَّ أبا التُّراب؟ فقال: أمَّا ما ذكرتُ ثلاثاً قالَهنَّ له رسولُ الله ﷺ فلن أَسُبَّه، لأَنْ تكونَ لي واحدةٌ منهن أحَبُّ إليَّ من حُمْر النَّعَمِ:

سمعتُ رســولُ الله ﷺ يقول له، خَلَّفَه في بعضِ مغازيه، فقال له عليٌّ: يا رسول الله، خلَّفْتَني مع النســاء والصِّبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**أَمَا ترضَى أن تكونَ منِّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبوَّةَ بعدِي**».

وسمعته يقول يوم خيبر: «**لأُعطينَّ الرايةَ رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُه**» قال: فتطاوَلْنا لها، فقال: «**ادْعُوا لي عليّاً**» فأُتِي به أرمدَ، فبَصَقَ في عينِه، ودَفع الراية إليه، ففَتَح الله عليه.

ولما نزلت هذه الآيــة: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ ...**﴾ [آل عمران: ٦١]، دعا رسول الله ﷺ عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «**اللَّهمَّ هؤلاءِ أهلي**»)[١].

وكلمة السبِّ تُستعمل في القرون الأولى بمعنى الملامة والتخطئة:

ففي «صحيح مســلم»: أن رســول الله ﷺ مَنَع رفقتَه من الشرب من عَيْن تبوك قبــل أن يصل إليهــا النبي ﷺ، ثم ســبقه رجــلان إليها، (فســألَهما

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٤)؛ والنسائي في الكبرى (٨٣٤٢)؛ والترمذي (٤٠٥٨).

رسول الله ﷺ: «**هل مَسَسْتُما من مائها شيئاً؟**» قالا: نعم، فسبَّهما النبي ﷺ[(١)]. وظاهرٌ أن السبَّ هاهنا ليس بمعنى الإقذاع في الكلام، وإنما هو بمعنى الملامة والتخطئة.

وقد أخرج البخاري في مناقب علي: (أن رجلاً جاء إلى سَهْل بن سعد فقال: هذا فلان ـ لأميرِ المدينة ـ يدعو عليّاً عند المنبر)، وفي رواية الطبراني: (يدعوك لتسبَّ عليّاً)، فقال سهل بن سعد: (فيقول ماذا؟ قال: يقول له: أبو تراب!)[(٢)]. فقد أُطلقت كلمة السب هنا على مجرد تلقيب علي ﷺ بأبي تراب.

فما ذُكِر عن معاوية ﷺ في الحديث المتقدم لا يدل على أنه كان يحب أن يُسَبَّ عليٌّ ﷺ بالإقذاع في الكلام في حقه، وإنما المقصود تخطئته بإزاء موقف معاوية ﷺ، وملامته بذلك[(٣)].

٢ ـ وعن سعد بن عُبيدة قال: (جاء رجلٌ إلى ابن عُمر فسأله عن عليٍّ، فقال: لا تَسَلْ عن علي ولكن انظُرْ إلى بيته من بيوت النبي ﷺ! قال: فإني أُبْغِضُه، قال: أَبْغَضَك الله)[(٤)].

٣ ـ وعن مصعب بن سعد بن أبي وقّاص، عن أبيه سعد: (أن رجلاً نالَ من علي ﷺ، فدَعَا عليه سعدُ بن مالك[(٥)]، فجاءته ناقةٌ ـ أو: جملٌ ـ فقَتَلَه، فأَعْتقَ سعد نَسَمة، وحَلَف أن لا يدعوَ على أحد!)[(٦)].

---

(١) صحيح مسلم (٧٠٦)، عقب الحديث (٢٢٨١).
(٢) صحيح البخاري (٣٧٠٣).
(٣) تكملة فتح الملهم: ٥/٥٦؛ شرح مسلم، للنووي: ٨/١٩٣.
(٤) السنن الكبرى، للنسائي (٨٤٣٨)، وتقدمت رواية أخرى: ص٢٠٩ في هذا الكتاب.
(٥) هو سعد بن أبي وقّاص، وكان مُجاب الدعوة.
(٦) أخرجه الحاكم: ٣/٤٩٩، ومن طريق آخر: ٣/٤٩٩ـ٥٠٠، وصحَّحه وأقره الذهبي.



٤ ـ وعن رياح بن الحارث: (أن المُغيرة بن شُعبة كان في المسجد الأكبر، وعنده أهل الكوفة عن يمينه وعن يساره، فجاءه رجل يُدعى سعيدَ بن زيد، فحيَّاه المغيرة وأجلسه عند رجلَيْه على السرير، فجاء رجلٌ من أهل الكوفة فاستقبل المغيرةَ فَسَبَّ وسبَّ، فقال: مَن يَسُبُّ هذا يا مغيرةُ؟ قال: يَسبُّ عليَّ بن أبي طالب! قال: يا مغيرَ بن شُعْبَ، يا مغيرَ بن شُعْبَ ـ ثلاثاً ـ أَلَا أسمعُ أصحابَ رسول الله ﷺ يُسَبُّون عندك لا تُنكِرُ ولا تُغيِّر؟! فأنا أشهدُ على رسول الله ﷺ بما سمعتْ أذناي ووعاه قلبي من رسول الله ﷺ، فإني لم أكن أروي عنه كذباً يسألُني عنه إذا لقيتُه؛ أنه قال: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة،...**») الحديث(١).

٥ ـ وعن عبدالله بن عُمر قال: (كنا نقول في زمن النبي ﷺ: رسول الله خيرُ الناس، ثم أبو بكر، ثم عمر. ولقد أوتي ابنُ أبي طالب ثلاثَ خِصالٍ؛ لأَنْ تكونَ لي واحدةٌ منهنَّ أَحَبُّ إليَّ من حُمْر النَّعَم: زوَّجَه رسول الله ﷺ ابنتَه وولدتْ له، وسَدَّ الأبوابَ إلا بابَه في المسجد، وأعطاه الرايةَ يومَ خيبر)(٢).

٦ ـ وعن زياد بن أبي زياد قال: (سمعتُ عليَّ بن أبي طالب يَنْشُدُ الناسَ فقال: أَنْشُد اللهَ رجلاً مسلماً سمع رسولَ الله ﷺ يقول يومَ غَدِير خُمٍّ ما قال؟ فقام اثنا عشر بدريّاً فشهدوا)(٣).

٧ ـ وعن أبي عبدالله الجَدَلي قال: (قالت لي أم سلمة: أيُسَبُّ رسولُ الله ﷺ بينكم على المنابر؟! قلتُ: سبحان الله! وأنَّى يُسَبُّ

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٢٩)، وقد تقدم: ص٢٠٣، رقم (٢)، في هذا الكتاب.
(٢) أخرجه أحمد (٤٧٩٨)؛ وابن أبي عاصم (١١٩٩)، وقال الألباني: إسناده جيد.
(٣) أخرجه أحمد (٦٧٠)، وصحَّحه أحمد شاكر، وانظر ما تقدم: ص٨٨ ـ ٩٢، في هذا الكتاب.

رسول الله ﷺ ؟! قالت: أليس يُسَبُّ علي بن أبي طالب ومَن يحبُّه؟ وأشهدُ أن رسول الله ﷺ كان يحبُّه)(١).

وفي الحديث المرفوع: «**مَن سَبَّ علياً قد سبَّني**»(٢)، وهو حديث ضعيف.

قلتُ: ما جاء من (سب علي) رضي الله عنه من بعض الغلاة والجهال والموتورين، كان بسبب تلك الحروب بين أهل العراق وأهل الشام، وكذلك من الخوارج، ومَن يفعل ذلك أو يستبيحه فهو مقبوح مرذول، والصحابة والتابعون وعامة أهل الإسلام ممن حفظهم الله من التنطع والغلو والغل؛ يعرفون للصحابة منزلتهم وبخاصة أكابرُهم مثل علي، وقد اندثر ذلك في حقه وتلاشى. **أما داء الرفض والوقوع في عامة الصحابة فداءٌ عُضَال ورائي يستفحل شرُّه مع تطاول الزمن!.**

٨ ـ وعن حماد بن سَلَمة، عن أيوب السَّخْتِياني قال: (من أحبَّ أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضَحَ السبيلَ، ومن أحبَّ عثمانَ فقد استنار بنور الله، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسنى في أصحاب رسول الله ﷺ فقد برِئ من النفاق)(٣).

وأيوب إمام فقيه حافظ ثَبت حجة، زاهد عابد قـوَّام بالليل تلَّاءٌ لكتاب الله، من خيار عباد الله، ومن أعظم الناس إخلاصاً وورعاً ونُبلاً.

وكلامه هذا لم يُعجب الرافضةَ، فقال محقق «ترجمة علي من تاريخ ابن عساكر» ـ وهو رافضي جَلْد ـ معلِّقاً عليه: (للشيطان شَرَةٌ ما أخفَّ عقلَه

---

(١) أخرجه الطبراني وأبو يعلى؛ وذكره الألباني في الصحيحة (٣٣٣٢).

(٢) السنن الكبرى، للنسائي (٨٤٢٢)؛ المستدرك: ١٢١/٣؛ وضعفه الألباني في الضعيفة (٢٣١٠)؛ وضعيف الجامع (٥٦١٨).

(٣) ابن عساكر: ٢٥٣/٣؛ البداية والنهاية: ١١/٨.

وأعمى قلبـه! أليس هذا ردّاً على الله ورسـوله وكتابه؟! أَمَـا قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾؟! أمـا قـال الله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾؟! أمـا كان مـن أصحابه عبد الله بـن أُبَيّ رأس المنافقين؟! فتعميمُ أيوب ومَن على شاكلته إعلانٌ بالكفر والشقاق!).

وأنا أترك هذا الـكلامَ المتزندق لعقلِ القارئ ليتأمَّلـه ويُجيل فكره فيه، ويرى حقيقة الرافضة على مرِّ العصور!.

ومنزلةُ أمير المؤمنين علي ﷺ في قلوب المؤمنين رفيعة عالية، راسـخة ثابتة، لا تشـوبها شـائبة، ولا تزلزلها عاصفة، وما جاء فـي بعض المواقف والأقوال من بعض الجهال والطائشين والموتورين والغُلَاة في أوائل عهد بني أمية قـد اضمحلَّ واندثر، ومحبَّةُ سـيدنا علي في قلوب أهل الشـام عظيمة جليلة ثابتة صافية، كحبِّهم للخلفاء الراشـدين الثلاثة قبله، وليس على وجه الأرض سُنِّيٌّ يُبغِض عليّاً أو يقع فيه أو يحطُّ عليه أو على أحد من آل البيت الطاهرين.

وحسبك أن المسلمين عامة وأهل الشـام خاصة يُسمُّون أبناءهم بأسماء علي والحسـن والحسـين وجعفر وفاطمة وزينب وغيرهم، بل إن اسم علي والحسن والحسين شائع فيهم، بخلاف أبي بكر وعثمان فنادر، ومعاوية أندر من النادر! وأكثر من ذلك تجد بعضهم يَقرن بين اسمَيْ (محمد) و(علي) في اسم مركب فيسمُّون (محمد علي)!.

فأين هذا مما يفتريه رافضـة أمس واليوم من أن أهل الشـام نواصب؟! وأين هؤلاء المفترون مما هم عليه من بُغْضهم الصحابةَ وتنقصهم وسـبِّهم، بل وتكفيرهم لعامة الصحابة وبخاصة أبو بكر وعمر؟!.



الفصل السادس

الغلوُّ في عليٍّ ومكانتُه بين الإفراط والتفريط

لم تتعرض شخصية رجل من الصحابة مثل ما تعرض له سيدنا علي ﷺ من التشـويه والدس والكذب والافتراء، بسـبب تحريـف الغالين وانتحال المُبطلين وتأويل الجاهليـن، وأكثر ما كان ذلك ممن يدَّعـون ـ كذباً ـ حبَّه وموالاته وتشيُّعَهم له!.

فكثرت في سـيرته الأخبـار المكذوبة، والروايات التالفـة، والأحاديث الواهية والموضوعة، ونُسِبت إليه كثير من الأساطير والأفكار الغريبة والعلوم المزعومة والمعـارف الموهومـة. وتزاحمت في هذا الميدان ألسـنة وأقلام، وصدرت كتب كثيرة جدّاً بين مطوَّل ومختصر، وعام وخاص، واختلط الحق بالباطل، وامتزج الصدق بالكذب، واسـوَدَّ وجـهُ الحقيقة الأبيض، وانجرف الأغرار والأغمار وراء الأكاذيب والأباطيل، التي قام على تدبيجها وتزويقها دهاقنة الوضَّاعين والأخباريين والرافضة، وجماعة من المحبين الحب الأعمى الذي لا يستند إلى علم راسخ وعقل ناقد وفكر متحرِّر.

وتمـادى الباطـل بالكثيرين مع تطـاول الزمان حتى زعمـوا لعليٍّ من السوابق والمناقب والصفات والعلوم ما لم يُؤْتَه أحدٌ من الأولين والآخِرين، وشُحنت الكتب بالأساطير التالفة والأكاذيب السَّمْجة، مستخِفَّةً بعقول عامة الأمة، حتى غدا كثير منها عند كثيرين كأنها حقائق لا تقبل النقد أو الطعن أو النقض!.

وغالَــى بعضهم فزَعَم لعلي الوصيــةَ، والعملَ بالتَّقِيَّــة، وأنه وارثُ علم النبوة ومفتاح مدينة علمهــا، وأن الحق يدور معه حيث دار، وأن ذِكْره عبادة، وحبَّه حسنة لا تضرُّ معها سيئة، ومَن أبغضه لا تنفعه عِبادة، وأنه سيرجع بعد موته وقبل يــوم القيامة، وادَّعَوا له العصمةَ والمشــاركة في النبوة، وأنه يعلم الغيب، بل وُجِد من زعم له الإلٰهية، وظهرتْ نابِتَتُهم في زمن علي وواجهوه بذلك فتصدَّى لهم وحرَّقهم بالنار!.

ونحن نتناول في هذا الفصل بشــيء من التفصيل أصنافَ تلك الأباطيل والأســاطير والغلو، ونقف من ذلك موقفاً معتدلاً وســطاً يقــوم على النقل الصحيح والدليل الصريح، مشفوعاً بأقوال أهل الاعتدال والنقد والتمحيص ممن ائتمنهم الله تعالى على دينه وكتابه وسُــنَّة نبيه ﷺ من الصحابة العدول المعدَّلين بنصِّ الكتاب والسُــنَّة، ومَن بعدهم من التابعين وأتباعهم وعلماء الأمة الأمناء الذين لا ينحرف بهم الهــوى عن جادة الحق، ونبحث ذلك في ثلاثة مباحث:





المبحث الأول
ما جاء في مناقب علي من أحاديث ضعيفة وواهية وموضوعة

وهو باب واسع قد تكفَّلَتْ في استيعاب ما جاء فيه كتبُ (الأحاديث الضعيفة والواهية والموضوعة) مثل: «الموضوعات» لابن الجوزي، و«اللآلئ المصنوعة» للسيوطي، و«تنزيه الشريعة» لابن عَرَّاق، و«المنار المنيف» لابن القيِّم، و«المصنوع» لعلي القاري، و«سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» للألباني، وغيرها كثير.

ويوجد شيء كثير من تلك الأحاديث في كتب المجروحين من الرواة، مثل: «الكامل» لابن عدي، و«المجروحين» لابن حِبَّان، و«الضعفاء» للعُقيلي، و«ميزان الاعتدال» للذهبي.

كما تضمنت كتب التراجم أمثلة أخرى في هذا، وتجده في «الحلية» لأبي نعيم، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر، وكتب السيوطي مثل: «القول الجلي في فضائل علي» أورد فيه (٤٠ حديثاً) غالبها موضوعات وواهيات، فلا أدري لِمَ صنَّفه؟! ومن تأمل ترجمة علي في تاريخ ابن عساكر ـ وهي تناهز ألف صفحة ـ هالَهُ كَمُّ الموضوعات والبواطيل التي فيه، غفر الله لمصنِّفه ما كان أغناه وأغنى الأمة عن إضاعة الوقت والورق في حفظ هذا التراث المكذوب.

وفي «المستدرك» للحاكم أحاديث كثيرة في فضائل علي ضعيفة ومنكَرة وموضوعة.

وأورد ابن تيمية فصولاً مطولة في (مناقب علي وخصائصه) منقولة عن الرافضة، أكثرها أكاذيب وأباطيل، وردَّ عليها بالنقد العلمي سنداً ومتناً[1].

---

(١) انظر: منهاج السُّنَّة: ٣/٢٠٧ـ٢٤٩، ٤/٧ـ٢٤١.

وأشير في هذا المبحث إلى (نماذج من ذلك)، جمعتُها وألَّفتُ بينها من بين كل تلك المصادر التي أشرتُ إليها ومن غيرها:

١ ـ عن ابن عباس: أن علياً قال: (إنِّي لأَخو رســول الله ﷺ، ووليُّه، وابنُ عمه، ووارثه، فمن أحَقُّ به مني؟!)(١).

قال الذهبي في «الميزان»: هذا حديث منكر.

٢ ـ وعن علي قال: (أنا عبدُ الله، وأخو رســوله ﷺ، وأنا الصِّدِّيقُ الأكبرُ، لا يقولها بعدي إلا كذاب، صلَّيتُ قبل الناس بسبع سنين!)(٢).

ضرب عليه الإمام أحمــد وقال: حديث منكر، وذكــره ابن الجوزي في «الموضوعات»، وقال الذهبي في «الميزان»: هذا كذب على علي.

٣ ـ وعن أنس بن مالك قال: (كان عند النبي ﷺ طَيرٌ، فقال: «اللَّهمَّ ائتِني بأحبِّ خلقِكَ إليك يأكلُ معي هذا الطيرَ»، فجاء عليٌّ فأكلَ معه)(٣).

وقد أطنب ابن عســاكر في ذكر طرقــه(٤)، وزاد محققه طرقــاً أخرى(٥)، وجمع العلمــاء فيه مصنفات مفــردة؛ منهم أبو بكر بن مردويــه وابن جرير الطبري.

وأورده في «الموضوعات»: ابــنُ الجوزي، والســيوطي، وابن عَرَّاق، وإليه ذهب ابن تيمية، وصنف الإمــام أبو بكر الباقلَّاني «مجلداً كبيراً» في

---

(١) السنن الكبرى، للنسائي (٨٣٩٦)؛ المستدرك: ١٢٦/٣؛ ميزان الاعتدال: ٢٥٥/٣.

(٢) السنن الكبرى، للنســائي (٨٣٩٨)؛ وابن ماجه (١٢٠)؛ والمستدرك: ١١١/٣ ـ ١١٢؛ ميزان الاعتدال: ٣٦٨/٢؛ الموضوعات، لابن الجوزي: ٣٤١/١.

(٣) السنن الكبرى، للنسائي (٨٣٤١)؛ وسنن الترمذي (٤٠٥٥)؛ المستدرك: ١٣٠/٣ ـ ١٣٢.

(٤) تاريخ ابن عساكر: ١٠٥/٢ ـ ١٣٤.

(٥) انظر: ١٣٦/٢ ـ ١٥١.

ردِّه وتضعيفه سنداً ومتناً[١]. وأورد طرقه عن أنس الأستاذ أحمد ميرين البلوشي في تحقيقه «خصائص علي»[٢]، وفصَّل القول فيها طريقاً طريقاً فأجاد وأفاد.

وتوسَّط ابنُ كثير فنقل عن شيخه الإمام الذهبي أنه صنف في طُرق هذا الحديث جزءاً مفرداً تتبَّعَ فيه طُرقه، وقال: (الجميع بضعة وتسعون نفساً: أقربُها غرائبُ ضعيفة، وأردؤها طُرق مختَلَقة مفتَعَلة، وغالبُها طرق واهية)[٣].

٤ ـ وعن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا دارُ الحِكْمةِ وعليٌّ بابُها».

وفي رواية: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا مدينةُ العلمِ وعليٌّ بابُها، فمن أراد المدينةَ فليأتِ البابَ»[٤]!.

قال ابن حِبَّان: هذا خبر لا أصل له[٥]. وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات»، وقال الذهبي في «تلخيص المستدرك»: موضوع. وحكم شعيب الأرنؤوط ببطلانه، وقال الألباني في «الضعيفة»: موضوع. وجوَّد القولَ ببطلانه العلامة عبدالرحمن المُعَلِّمي اليماني[٦].

وقد ذكر طرقَه الكثيرة ابنُ عساكر، وزاد محققه الرافضي طرقاً أخرى، وأكثَر من السبِّ والطعنِ على أهل السُّنَّة الذين حكَموا بوضع الحديث، واتهمهم بالانحراف عن آل البيت[٧].

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٢٨٦/٤ ـ ٢٨٧؛ البداية والنهاية: ٣٥٤/٧.

(٢) انظر: ص ٢٨ ـ ٣٦.

(٣) البداية والنهاية: ٣٥٣/٧.

(٤) سنن الترمذي (٤٠٥٧)؛ والمستدرك ١٢٦/٣؛ الموضوعات، لابن الجوزي: ٣٤٩/١.

(٥) كتاب المجروحين: ٦٨/٢، ترجمة (٦٥٦).

(٦) في تعليقه على «الفوائد المجموعة»، ص ٣٤٩.

(٧) تاريخ ابن عساكر «ترجمة علي»: ٤٥٩/٢ ـ ٤٨٠.

٥ ـ وعن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللهُ علياً، اللّهمَّ أَدِرِ الحقَّ معه حيثُ دارَ»(١).

وقد ردَّ الذهبي على الحاكم تصحيحَه الحديث، فقال: المختار بن نافع ـ أحد الرواة ـ ساقط، وقال النسائي وغيره: ليس بثقة.

وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على «سنن الترمذي»: إسناده ضعيف جدّاً، وكذا قال الألباني(٢).

٦ ـ وعن علي في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] قال علي: (رسولُ الله ﷺ المنذِرُ، وأنا الهادي)(٣).

قال الذهبي: كذبٌ، قبَّح الله واضِعَه.

٧ ـ وعن عائشة: أن النبي ﷺ قال: «أنا سيِّدُ ولدِ آدم، وعلي سيدُ العرب»(٤).

حكم عليه الذهبي بالوضع لوجود أكثر من راوٍ وضَّاع في إسناده.

٨ ـ ٩ ـ وعن عمران بن حُصَين قال: قال رسول الله ﷺ: «النظرُ إلى عليٍّ عبادة»(٥).

قال الذهبي: موضوع. وأشار ابن كثير إلى روايته عن عدد من الصحابة، ثم قال: لا يَصحُّ شيء منها؛ فإنه لا يخلو كل سندٍ منها من كذاب أو مجهول لا يُعرف حاله(٦).

(١) سنن الترمذي (٤٠٤٧)؛ والمستدرك: ١٢٤/٣ـ١٢٥؛ الضعفاء، للعقيلي: ٢١٠/٤ـ٢١١.
(٢) السلسلة الضعيفة (٢٠٩٤)؛ وضعيف الجامع الصغير (٣٠٩٥).
(٣) المستدرك: ١٢٩/٣ـ١٣٠.
(٤) المستدرك: ١٢٤/٣؛ الحلية: ٦٣/١؛ ابن عساكر: ٢٦١/٢.
(٥) المستدرك: ١٤١/٣ـ١٤٢؛ ابن عساكر: ٣٩١/٢ـ٤٠٥.
(٦) البداية والنهاية: ٣٥٨/٧.



وقـــال الألباني: موضوع. وذكر حديثاً آخر رواه ابن عســـاكر عن عائشـــة مرفوعاً: «ذِكْرُ عليٍّ عبادة»، وقال الألباني: موضوع(١).

١٠ ـ وعن معاذ بـــن جبل، عن النبـــي ﷺ: أنه قال: «حُبُّ عليّ حســـنةٌ لا تضرُّ معها سيئة، وبُغْضُه سيئة لا تنفع معها حسنة».

وفي رواية أخرى: «حُبُّ علي بن أبي طالب يأكل السيئات كما تأكل النار الحطب»(٢).

أورده ابن الجوزي والســـيوطي في الموضوعات، وحكم عليه ابن تيمية بالوضع، ونقد متنه بكلام نفيس جدّاً.

١١ ـ وعن ابن عباس: أن النبي ﷺ قـــال: «عليٌّ بابُ حِطّة، مَن دخل منه كان مؤمناً، ومن خرج منه كان كافراً»(٣).

قال الذهبي في «الميزان»: هذا باطل. وقال الألباني: موضوع.

١٢ ـ وعن جابر بن عبدالله، عن رســـول الله ﷺ قال: «علـــيٌّ إمامُ البَرَرة، وقاتِلُ الفجرةِ، منصورٌ مَن نَصَره، مخذولٌ مَن خذَلَه»(٤).

قال ابن تيمية: هو كذب. وردَّ الذهبي علـــى الحاكم تصحيحه الحديث، وقال: والله موضوع، فما أجهلك على سعة معرفتك! وقال الألباني: موضوع.

---

(١) السلسلة الضعيفة (٣٥٦، ١٧٢٩)؛ ضعيف الجامع (٣٠٤٩، ٥٩٩٢)؛ ابن عساكر: ٤٠٨/٢.

(٢) الموضوعـــات، لابـــن الجـــوزي: ٣٧/١؛ اللآلـــئ المصنوعـــة: ٣٥٥/١؛ منهـــاج السُّـــنَّة: ٢٤٤/٣ـ٢٤٥.

(٣) مســـند الفردوس، للديلمي: ٢٩٧/٢؛ القول الجلـــي (٣٩)؛ السلســـلة الضعيفة (٣٩١٣)؛ وضعيف الجامع الصغير (٣٨٠٠)؛ ميزان الاعتدال: ٥٣٢/١.

(٤) المستدرك: ١٢٩/٣؛ القول الجلي (٣٣)؛ تاريخ بغداد: ٢١٩/٤؛ منهاج السُّنَّة: ٦٥/٤، ٧٤؛ السلسلة الضعيفة (٣٥٧)؛ وضعيف الجامع (٣٧٩٩).

١٣ ـ وعن أنس قال: (قال لي رسول الله ﷺ: «يا أنس، اسكُبْ لي وَضوءاً» ثم قام فصلَّى ركعتين، ثم قال: «يا أنس، أولُ مَن يدخل عليك من هذا الباب: أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وقائد الغُرّ المُحَجَّلين، وخاتم الوصِيِّين» قال أنس: قلت: اللَّهمَّ اجعله رجلاً من الأنصار ـ وكتمتُه ـ إذ جاء علي، فقال: «مَن هذا يا أنس؟» فقلت: عليٌّ، فقام مستبشراً فاعتَنَقه، ثم جعل يمسحُ عَرَق وجهه، ويمسح عرقَ علي بوجهه، فقال علي: يا رسولَ الله، لقد رأيتُك صنعتَ شيئاً ما صنعتَه بي قطُّ، قال: «وما يَمنعُني وأنت تؤدِّي عنِّي، وتُسمعُهم صوتي، وتبيِّن لهم ما اختَلَفوا فيه من بعدي؟!»)[1].

ذكره ابن الجوزي وغيره في الموضوعات، وقال الذهبي في «الميزان»: موضوع. وقال ابن تيمية: هذا كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث. ونقد متنه بكلام نفيس[2].

١٤ ـ وعن أسماء بنت عُمَيْس قالت: (كان رسول الله ﷺ يُوحى إليه، ورأسُه في حَجْر علي، فلم يصلِّ العصرَ حتى غَربت الشمس، فقال رسول الله ﷺ: «صلّيتَ يا عليُّ؟» قال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهمَّ إنه كان في طاعتِك وطاعةِ رسولك، فارْدُدْ عليه الشمسَ» قالت أسماءُ: فرأيتُها غَرَبَتْ، ثم رأيتُها طلَعتْ بعدما غَرَبتْ)[3].

أورده الجورقاني وابن الجوزي وغيرهما في الموضوعات، وحكم الذهبي بوضعه في «ترتيب الموضوعات»، وتوسع ابن كثير في إيراد طرقه

(١) الموضوعات، لابن الجوزي: ٣٧٦/١ـ٣٧٧؛ اللآلئ المصنوعة: ٣٥٩/١؛ تنزيه الشريعة: ٣٥٧/١؛ ابن عساكر: ٤٨٧/٢؛ ميزان الاعتدال: ٦٣/١، ٦٤؛ لسان الميزان: ١٠٧/١.
(٢) منهاج السُّنَّة: ٢٨٧/٤، ٢٩٦ـ٢٩٨.
(٣) شرح مشكل الآثار (١٠٦٧)؛ الأباطيل، للجورقاني: ١٥٨/١؛ الموضوعات، لابن الجوزي: ٣٥٥/١؛ تنزيه الشريعة: ٣٧٨/١؛ الضعفاء، للعقيلي: ٣٢٧/٣ـ٣٢٨.

ونقده سنداً ومتناً ونقل أقاويل الأئمة فيه، وأوضح أن أسانيده منكرة جدّاً ومظلمة وواهية فيها متروكون ومجاهيل ومبتدعة[١]. وكذلك أَطْنَب في ذِكر طرقه ونقدها سنداً ومتناً شيخ الإسلام ابن تيمية، وأورد كلاماً نفيساً[٢].

١٥ ـ وعن علي وجابر وحذيفة قالوا: قال رسول الله ﷺ: «عليٌّ خيرُ البشرِ، مَن أبى فقد كفر، ومن رضي فقد شكر»[٣].

قال ابن كثير: موضوع، قبَّح الله من وضَعَه واختَلَقه!.

وذكر الذهبي في «الميزان» إحدى الروايات وقال: هذا كذب[٤].

١٦ ـ وعن أبي الحمراء قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أراد أن ينظرَ إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حِلْمه، وإلى يحيى بن زكريا في زهدِه، وإلى موسى بن عمران في بَطْشه ـ فَلْينظر إلى علي بن أبي طالب»[٥].

أورده ابن الجوزي وغيره في الموضوعات، وقال ابن تيمية: كذب موضوع، وقال الذهبي: منكر، وقال ابن كثير: منكر جدّاً ولا يصح إسناده[٦].

وكُتُب الموضوعات طافحةٌ بمثل هذه الأباطيل، ونكتفي بهذه الإشارة، ورسولُ الله ﷺ بريء من هذه الأحاديث الباطلة وممن افتراها، وكذلك علي رضي الله عنه منها بَراءٌ، وسيرتُه الطيبة غنية بالأحاديث الصحيحة المشرقة.



(١) انظر: البداية والنهاية: ٧٧/٦ـ٨٧.
(٢) منهاج السُّنَّة: ٤٧٥/٤ـ٤٩٥.
(٣) ابن عساكر: ٤٤٢/٢ـ٤٤٨؛ البداية والنهاية: ٣٥٩/٧؛ اللآلئ المصنوعة: ١٦٩/١ـ١٧٠.
(٤) ميزان الاعتدال: ٩٩/١ـ١٠٠.
(٥) الموضوعات، لابن الجوزي: ٣٧٠/١؛ اللآلئ المصنوعة: ٣٥٥/١؛ تنزيه الشريعة: ٣٨٥/١؛ ابن عساكر: ٢٨٠/٢.
(٦) منهاج السُّنَّة: ٥١٢/٣؛ ميزان الاعتدال: ٩٩/٤؛ البداية والنهاية: ٣٥٧/٧.

المبحث الثاني
تقديم علي على جميع الصحابة في مناقبه ومنزلته والطعن على الصحابة

•• عن أحمد بن حنبل قال: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه[١].

وقال نحوَه إسماعيل القاضي وأبو علي النَّيْسابوري[٢].

وأوعبُ مَن جمع مناقبه من الأحاديث الجياد الإمامُ النسائي في كتابه «خصائص علي»، وقد طُبع مفرداً، وضمن كتابه الجليل «السنن الكبرى».

وكأن السببَ في ذلك أنه تأخّرت وفاتُه، ووقع الاختلاف في زمانه، وخروج من خرج عليه؛ فكان ذلك سبباً لانتشار مناقبه من كثرة من كان بَيَّنَها من الصحابة ردّاً على من خالفه. ثم وقعت تلك الحروب، وظهرت بدعة الخوارج، وتنقَّصت طائفة من الناس عليّاً، فاحتاج أهل السُّنَّة إلى بثِّ فضائله، فكَثُر الناقلُ لذلك لكثرةِ من يخالف ذلك[٣].

وقد ولَّد له الرافضة والوضاعون والأخباريون مناقبَ مكذوبة هو غني عنها، وأشرنا إلى طرف منها في المبحث السابق.

وقول الإمام أحمد لا يعني أنه (صَحَّ لعليٍّ من الفضائل ما لم يَصِحَّ لغيره)، بل معناه: رُوِي له ما لم يُرْوَ لغيره من الصحابة[٤].

---

(١) المستدرك: ١٠٧/٣؛ ابن عساكر: ٦٣/٣.
(٢) الفتح: ٦٦٣/٨، باب مناقب علي.
(٣) المرجع السابق، باختصار.
(٤) انظر: منهاج السُّنَّة: ٢٨٨/٤.

والتحقيق: أن الفضائل الثابتة بالأحاديث الصحيحة لأبي بكر وعمر أكثَرُ وأعظمُ من الفضائل الثابتة لعليٍّ. والأحاديث التي رويت في فضائل علي كثير منها ضعيف وباطل وموضوع، والصحيح الذي فيها ليس فيه ما يدل على إمامة علي، ولا على أفضليته على أبي بكر وعمر، بل وليست من خصائصه وإنما هي فضائل شاركه فيها غيره، بخلاف ما ثبت من فضائل أبي بكر وعمر، فإن كثيراً منها خصائص لهما[١].

●● وزَعْمُ محمد جواد مغنيّة وغيرِه من الرافضة أن كثرة ما روي من فضائل علي يقتضي أنه أفضلُ من الخلفاء الثلاثة قبله ومن غيرهم من الصحابة[٢] ـ هو زعمٌ باطل تردُّه الأحاديث الصحيحة الصريحة الواضحة كالشمس، بل وبشهادة علي وآل البيت أنفسهم، وقد تواتر عن علي قوله: خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر ثم عمر[٣].

وأئمة العِتْرة كابن عباس وغيره يقدِّمون أبا بكر وعمر في الإمامة والأفضلية، وكذلك سائر بني هاشم من العباسيين والجعفريين وأكثر العلويين، وهم مُقِرُّون بإمامة أبي بكر وعمر.

والنقل الثابت عن جميع علماء أهل البيت من بني هاشم، من التابعين وتابعيهم، ممَّن ولد الحسن والحسين وغيرهما: أنهم كانوا يتولَّون أبا بكر وعمر، وكانوا يفضلونهما على عليٍّ، والنقول عنهم ثابتة متواترة[٤].

وعليٌّ ﵁ فَضَّله الله وشرَّفه بسوابقه الحميدة وفضائله العديدة لا بما جرى في زمن خلافته من الحوادث، بخلاف أبي بكر وعمر وعثمان؛ فإنهم

---

(١) انظر: منهاج السُّنَّة: ٣/٢٠٧ـ٢٠٨، وما كتبناه: ص٢٠٧ في هذا الكتاب.
(٢) كتابه: فضائل الإمام علي، ص ١٦٠ـ١٦١.
(٣) انظر كتابي: أبو بكر الصديق، ص ٣٦٢ـ٣٦٦.
(٤) منهاج السُّنَّة: ٤/٣٠١.



فُضِّلوا مع السوابق الحميدة والفضائل العديدة، بما جرى في خلافتهم من الجهاد في سبيل الله، وإنفاقِ كنوز كسرى وقيصر، وغير ذلك من الحوادث المشكورة والأعمال المبرورة(١).

ثم إن الرافضة تطعن في جميع الصحابة إلا نفراً قليلاً نحو بضعة عشر! وهذا فيه إسقاط لفضائل علي وخصائصه؛ لأن أكثرها قد رواها الصحابة مثل: سعد بن أبي وقّاص وسعيد بن زيد وابن عُمر وجابر وأبي سعيد الخُدْري وأبي هريرة وأنس وزيد بن أرقم وعائشة وأم سلمة، وغيرهم كثير.

•• وقد شاع عند الرافضة وكثير من كتاب أهل السُّنَّة وعامتهم تخصيص علي بعبارتين: الأولى قولهم: (الإمام علي)، والثانية قولهم: (كرّم الله وجهه).

والعبارة الأولى: تفوح منها رائحة الرَّفْض، وتدل على عقيدة (الإمامة) عند الإمامية الإثنى عشرية، وأول الأئمة عندهم هو علي. وليس هناك من دليل ولو ضعيف على وصف علي بهذا الوصف فضلاً عن تخصيصه به، ولم يَرِدْ ذلك على ألسنة القرون الفاضلة ولا في كتاباتهم، ولذا نرى عدم تخصيص سيدنا علي به.

والعبارة الثانية: هي أيضاً لا دليل على تخصيص عليٍّ بها، وزعمُ بعضهم أنه وُصِف بذلك لأنه لم يسجد لصنم، هو زعمٌ باطلٌ؛ فعليٌّ نشأ وشَبَّ في الإسلام، ولو كان ذلك سبقاً وخصوصية لكان أبو بكر أَوْلَى به منه، فقد جاء الإسلامُ وعمره (٣٧ سنة)، والمشهور في سيرته أنه لم يسجد لصنم قطّ.



---

(١) منهاج السُّنّة: ٣٤٨/٤.



المبحث الثالث
الغلو في علي

•• غالَى الروافض وغيرهم من أصحــاب الأهواء في علي ﷺ، حتى فَضَّلوه على جميع النــاس، وأَوغلَتْ طوائف في الضلال والتِّيه حتى ادَّعَوا له أنه يعلم الغيب، ورفعــوه إلى منزلة الألوهية، وهــو ضلال ليس وراءه ضلال!.

وقد أشار عليٌّ إلى أولئك الغُلاة ونَعَى عليهم، وكذلك فعل ابنه الحسن، وحفيده علي بن الحسين، رضي الله عنهم جميعاً.

عن أبي حِبَرة قال: سمعتُ عليّاً يقول: (يَهْلِكُ فيَّ رجلان: مُفرِط في حُبِّي، ومفرط في بُغْضي)[١].

ونحوه ما رواه أبو جُحَيْفَة قال: ســمعتُ عليّاً يقول على المنبر ـ وأشار بإصبعَيْه الســبابة والوســطى ـ: (هَلَكَ فيَّ رجلان: محبٌّ غــالٍ، ومُبغِض قالٍ)[٢].

وعن أبي البَخْتِرِي قال: قال عليٌّ: (لَيُحِبُّني قومٌ حتى يُدخِلَهم حبِّي النارَ، ولَيُبغِضُني أقوام حتى يُدخِلهم بُغْضي النار)[٣].

وهذا حديــث عجيب ما نَطق بــه علي من عند نفسِــه إنمــا أخذه عن النبي ﷺ، فهذه الأحاديث موقوفة على عليٍّ لكنها ـ عند علماء الأصول ـ في حكم المرفوع؛ لأنها من الغيب الذي لا يُعرف بالرأي.

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السُنَّة (٩٨٤)، وحسنه الألباني.
(٢) المطالب العالية (٣٩٧١)، وقال البوصيري: رواته ثقات؛ وهو عند ابن عساكر: ٢٤٠/٢.
(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السُنَّة (٩٨٦)، وقال الألباني: إسناده جيد.

وعن عَمْرو الأَصمّ قال: (قلتُ للحســن بن علي: إنَّ هذه الشيعةَ يزعمون أن عليّاً مبعوث قبل يوم القيامة؟! قال: كَذَبوا، واللهِ ما هؤلاء بشيعتهِ، لو علمنا أنه مبعوث ما زَوَّجْنا نساءَهُ ولا اقتسمنا مالَه!)[١].

وقال يحيـى بن سعيد الأنصاري: سمعت عليَّ بن الحُسين يقول: (يا أهلَ العراق أَحِبُّونا لحبِّ الإسلام، فوالله إنْ زال[٢] حبُّكم بنا حتى صار شَيْناً!).

وقال علي بن الحســين: (جاءني رجل من أهل البصــرة فقال: ما جئتُ حاجّاً ولا معتمراً، قلت: فما جاءَ بك؟ قال: جئتُ أســأَلُكَ متى يُبعث عليٌّ؟ قلت: يُبعث يوم القيامة وهمُّه نفسُه).

وقال مســعود بن الحَكَم: (قال لي علي بن الحســين: تجالِس سعيدَ بن جُبير؟ قلت: نعم، قال: إني لأُحبُّ مجالسته وأُحِبّ حديثَه، قال: ثم أشار بيده نحو الكوفة فقال: إن هؤلاء يُشيرون إلينا بما ليس عندنا)[٣].

فهؤلاء الثلاثة الكرام من أئمة آل البيت، وممــن تزعُمُ الرافضةُ ولايَتَهم وحُبَّهم واتباعَهم، قد شــهدوا على أهل الأهواء بالتزويــر والكذب والافتراء على علي وآله وبنيه، وتؤكد براءتهم من كل ما نُسب إليهم زوراً مما يُخالف نهجَ الصحابة، أو الطعن عليهم!.

١ ـ ومن أقدمِ أوجهِ الغلوِّ في علي؛ ما حدث في زمنــه، وكان موقفُه منه في غاية الصلابة بل والقسوة:

عن عكرمة: (أنَّ عليّاً حَرَّقَ قوماً ارتدوا عن الإسلام، فبَلَغ ذلك ابنَ عباس

---

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد المسند (١٢٦٥)؛ والحاكم: ١٤٥/٣؛ وابن سعد: ٣٩/٣، وصحَّحه أحمد شاكر.

(٢) أي: ما زال، وغيَّرها العلاّمة الألباني إلى: (إنه زاد)، فما أصاب.

(٣) أخرج الأخبار الثلاثة ابن أبي عاصم في السُّنَّة (٩٩٦ـ٩٩٨)، وصحَّحها الألباني.

فقال: لو كنتُ أنا لَقتلْتُهم بقولِ رسـول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «**مَن بَدَّل دينَه فاقتلوه**» ولم أكن لأُحَرِّقَهُم لأن رسـول الله ﷺ قـال: «**لا تُعذِّبوا بعذابِ الله**»! فبَلَغ ذلك عليّاً، فقال: صَدَقَ ابنُ عباس)[1].

قال أبو المظفر الإِسْفَراييني في «الملل والنحل»: (إن الذين أَحرقهم علي طائفة من الروافض ادَّعَوا فيه الإلٰهيةَ وهم السَّـبِئيَّة، وكان كبيرهم عبد الله بن سبأ يهوديّاً ثم أظهر الإسلام وابتدع هذه المقالة).

وعقَّب الحافظ على هذا فقال: (وهذا يمكن أن يكون أصله ما رُوِّينَاه في الجزء الثالث من حديث أبي طاهر المُخَلِّص، من طريق عبد الله بن شَـريك العامري، عن أبيه قال: قيل لعليٍّ: إن هنا قوماً على باب المسجد يَدَّعُون أنك ربُّهم! فدَعَاهم فقال لهم: وَيْلَكم ما تقولون؟! قالوا: أنت ربُّنا وخالقُنا ورازقُنا! فقال: ويلكـم! إنما أنا عبـدٌ مثلكم آكلُ الطعـام كما تأكلون وأشـربُ كما تشربون، إنْ أطعتُ الله أثابَني إنْ شاء، وإن عصيتُه خشيتُ أن يعذِّبَني، فاتقوا الله وارْجِعوا. فأَبَوا.

فلما كان الغدُ غَدَوْا عليه، فجاء قَنْبر فقـال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلامَ! فقال: أَدخِلْهم. فقالوا كذلك.

فلما كان الثالثُ قال: لئنْ قلتُم ذلك لأَقْتُلَنَّكم بأخبث قتلة، فأبَوْا إلا ذلك! فقال: يـا قنبر، ائتني بفَعَلَةٍ معهـم مُرورُهُم، فَخَدَّ لهم أخدوداً بين المسـجد والقصر، وقال: احفروا فأبعِدوا في الأرض، وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود، وقال: إني طارحكم فيها أو تَرْجِعـوا، فأَبَوْا أن يرجعوا! فقَذَف بهم فيها، حتى إذا احترقوا قال:

إنِّـي إذا رأيـتُ أمـراً مُنكَـرا   أوقدتُ نـاري ودعـوتُ قنبرا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٧)؛ وأبو داود (٤٣٥١)؛ والترمذي (١٥٢٥)، وغيرهم.

وهذا سند حسن)[١].

وأخرجه ابن عساكر من طريق آخر، وفيه: أنهم كانوا من الشيعة[٢].

٢ ـ وممن قال بإلٰهية عليٍّ فِرَق ضالّة منهم (البيانية والإسحاقية):

فالبيانية: أتباع بيان بن سمعان النهدي من بني تميم، ظهر بالعراق بعد سنة (١٠٠هـ)، قال بإلٰهية علي وأن فيه جزءاً إلٰهيّاً ثم من بعده ابنه محمد ابن الحنفية[٣].

وأتباعه هم فِرقة (البيانية)[٤].

والإسحاقية: فِرقة مبتدعة أحدثها إسحاق بن زيد بن الحارث، يزعمون أنه لمَّا لم يكن بعد رسول الله ﷺ أفضل من علي وبعده أولاده المخصوصون، وهم خير البَريَّة، فظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم وأخذ بأيديهم، فعن هذا أطلقنا اسم الإلٰهية عليهم[٥]!.

٣ ـ وادَّعى قوم آخرون أن عليّاً يعلم الغيب:

قال ابن المُطَهَّر الحِلِّي في سياق (الأدلة على أفضلية علي وإمامته): (الدليل الخامس: إخبارُه بالغائب والكائن قبل كونه):

فأَخبر أن طلحة والزبير لمَّا استأذَنَاه في الخروج إلى العمرة، قال: لا والله ما تريدان العمرة وإنما تريدان الغدرة، وكان كما قال. وأخبر وهو بذي قار

---

(١) الفتح: ١٦/١٤ـ١٥، شرح الحديث (٦٩٢٢)؛ وانظر: منهاج السُّنَّة: ١/١٩، ١٩١ـ١٩٢. مرورهم: جمع المَرّ، وهو المسحاة.

(٢) ابن عساكر: ٣/١٧٩.

(٣) ميزان الاعتدال: ١/٣٥٧.

(٤) المِلل والنّحَل، للشهرستاني: ١/١٧٦؛ الفَرق بين الفِرق، ص ٢٣٦.

(٥) المِلل والنّحَل، للشهرستاني: ١/٢٢٠ـ٢٢١.

جالس لأخذ البيعة: يأتيكم من قِبل الكوفة ألفُ رجل لا يزيدون ولا ينقصون، يبايعونني على الموت، وكان كذلــك. وأَخبر بقتل ذي الثُّدَيَّــة. وأخبر مِيثَم التمار بأنه يُصلب على باب دار عَمْرو بن حريث، وأخبر رُشَيد الهَجَري بقطع يديه ورجليه وصَلْبه، وأخبر كُميل بن زياد بــأن الحَجَّاج يقتله، وأخبر بِمُلك بني العباس وأخذ الترك الملكَ منهم... فكان كما قال)[١].

وقد رد شيخ الإســلام ابن تيمية هذا الكذب ونقضه ســنداً ومتناً بكلام نفيس جدّاً.

٤ ـ ومنهم من يزعم أن عليّاً يحيــي الموتى:

ورأس هــؤلاء الضاليــن: المغيرة بن ســعيد البَجَلي الكوفــي الرافضي الكذاب.

قال الأعمش: (قلتُ للمغيرة بن ســعيد: أَتحيــي الموتــى؟ قال: لا، فقلت: فَعَليٌّ؟ قال: والذي أحلِفُ به، لو شاء أحيا عاداً وثمودَ وقروناً بين ذلك كثيراً!)[٢].

وإليه تُنسب الفرقة المغيرية الضالة[٣].

٥ ـ عقيدة الرجعة عند الإمامية:

وهي من أصول (دين الإمامية الاثنى عشرية)؛ وتعني أن عليّاً يرجع إلى الدنيــا قبل يوم القيامــة! وقد ظهرت هــذه البدعة في وقــت مبكِّر في زمن الحســن بن علي؛ كما يدل عليه ســؤال عَمــرو الأصمّ له قائلاً: إن الشــيعة يزعمون أن عليّاً يرجع[٤]!.

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٤/٤٥٦ـ٤٥٧، وانظر ما قدمناه: ص١٤٦ رقم (٥)، ١٥٠ رقم (١١) في هذا الكتاب.

(٢) المعرفة والتاريخ: ٣/٥٠؛ ميزان الاعتدال: ٤/١٦١، وفيه ترجمة المغيرة.

(٣) انظر: الملل والنحل، للشهرستاني: ١/٢٠٧؛ الفَرق بين الفِرق، ص ٢٣٨.

(٤) تقدم: ص ٢٣٤ في هذا الكتاب.

ومن أقدم من ثبت عليه ذلك جابر بن يزيد الجُعْفي[١].

وقد تطور مبدأ الرجعة بمرور الزمن وتوسـع مداه، وأصبح يشمل ثلاثة أصناف يَرجِعون من قبورهـم إلى هذه الدنيا قبل يـوم القيامة، وهم: الأئمة الاثنى عشر، ولاة المسلمين الذين اغتصبوا الخلافة من أصحابها الشرعيين، عامة الناس ويُخصّ منهم مَن مَحَضَ الإيمان مَحْضاً وهم الشيعة عموماً[٢]!.

والرافضة المعاصـرون يحاولـون التلاعب في موقفهم مـن (الرجعة)، فبعضُهم يزعم أن الرجعـة خرافة لا حقيقة لها، وصنف آخـر لا يُنكرها بل يقول: إنها ليسـت من أصـول المذهب، وهـم في ذلك علـى مذهبهم في (التَّقِيَّـة)، ليخدعوا الأغرار من السُّـنَّة حيـث يَدْعون إلـى أكذوبة (الوحدة والتقريب!)[٣].

٦ ـ وادَّعَوا لعليٍّ: النبوةَ، والعصمةَ، وثبوتَ الإمامة بالنص[٤].

٧ ـ وغالَوْا في علومه، فزعموا أنه يعلم طرق السـموات والأرض، وأنه باب علم النبوة[٥].

وحسبنا هذه الإشارات ففيها غنية، والموضوع واسع جدّاً لا يحتمله هذا الكتاب.



(١) تهذيب الكمال: ٤/٤٦٥؛ ميزان الاعتدال: ١/٣٧٩.

(٢) أصول مذهب الشيعة الإمامية: ٢/٥٥٢ـ٥٥٣، وقد فصل القول في هذا: ٢/٥٥٠ـ٥٧٠.

(٣) المرجع السابق: ٣/١٧٦ـ١٨٠.

(٤) منهاج السُّنَّة: ٣/٢٠٩، ٦٢٩.

(٥) تقدم: ص١٤٦ ـ ١٤٧ وما بعدها، في هذا الكتاب.

الباب الخامس

عليٌّ في عهدِ الخُلَفاء الرَّاشدين الثَّلاثة قبله

- مقدِّماتٌ وحقائقُ وتوضيحاتٌ.
- عليٌّ في عهدِ الصِّدِّيق.
- عليٌّ في عهدِ الفاروقِ.
- عليٌّ في عهدِ ذي النُّورَيْن.



الفصل الأول

مقدِّماتٌ وحقائقُ وتوضيحاتٌ

أولاً: منزلة الخلفاء الثلاثة في الإسلام، وموقف علي منهم ومن عامة الصحابة:

●● قد عُرف بالتواتر الذي لا يخفى على العامة والخاصة أن أبا بكر وعمر وعثمان كانوا من أعظم الناس اختصاصاً برسول الله ﷺ، وصحبةً له وقُرباً إليه، وقد صاهرهم كلَّهم، وكان يحبُّهم، ويثني عليهم؛ وحينئذٍ: فإما أن يكونوا على الاستقامة ظاهراً وباطناً في حياته وبعد موته، وإما أن يكونوا بخلاف ذلك في حياته أو بعد موته، فإن كانوا على غير الاستقامة مع هذا القُرب فأحدُ الأمرين لازم: إما عدمُ علمه بأحوالهم، أو مداهنتُهُ لهم، وأيهما كان فهو من أعظم القدح في الرسول ﷺ.

وإن كانوا انحرفوا بعد الاستقامة فهذا خذلان من الله للرسول ﷺ في خواص أمته وأكابر أصحابه، ومَن وعد أن يُظهر دينَه على الدين كله، فكيف يكون أكابر خواصه مرتدِّين؟! فهذا ونحوه من أعظم ما يقدح به الرافضة في الرسول ﷺ كما قال مالك وغيره: إنما أراد هؤلاء الرافضة الطعن بالرسول ﷺ ليقول القائل: رجلُ سوءٍ كان له أصحابُ سوءٍ، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين! ولهذا قال أهل العلم: إن الرافضة دسيسة الزندقة[1].

---

(١) أصول مذهب الشيعة الإمامية: ٢/٣٩٣.

وعلي ﷺ قد عرف لهم تلك المنزلة الرفيعة، فأثنى عليهم خاصة وامتدح الصحابة عامة بكلام رفيع وروحٍ شفافة.

قــال مخاطباً أصحابه: (لقــد رأيتُ أصحابَ محمد ﷺ، فمــا أرى أحداً يُشْبِهِهم منكم...)[١].

وهاهو يَحنُّ إلى تلك النخبة المختارة الفاضلة في أواخر حياته ويأســف على ذهابهم، وقد ذاق من أتباعه الكاسات المرة، يقول:

(أين القومُ الذين دُعوا إلى الإســلام فقبِلوه، وقرؤوا القــرآن فأحكَمُوه، وهِيجُوا إلى الجهاد فوَلِهُوا وَلَهَ اللِّقاح إلى أولادها، وسَلَبوا السيوف أغمادَها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً وصفّاً صفّــاً، بعضٌ هَلَك، وبعضٌ نَجا، لا يُـبَشَّرون بالأحياء، ولا يُعَزَّون عن الموتى، مُرْهُ العيون من البكاء، خُمْص البطون من الصيام، ذُبُل الشــفاه من الدعاء، صُفْر الألوان من الســهر، على وجوههم غَبَرة الخاشعين، أولئك إخواني الذاهبون، فحُقَّ لنا أن نظمأ إليهم، ونَعَضَّ الأيدي على فراقِهم!)[٢].

•• وقامت القرائن العمليــة والأدلة الواقعية من ســيرة عليٍّ على عمق المحبة الصادقة والإخاء الحميــم لإخوانه الخلفاء الثلاثة، مما اشــتهر أمره وذاع نقلُــه. ويأتي في مقدمة الأدلة شــهادةُ علي وأقوالُه فــي ملأ من الناس وعلى منبــر الكوفة في دار إمارته، وتكرر ذلك فــي مواقف متعددة، ورواها عنه أخصَّاؤه من تلامذته بل بنوه، ونقلُهم عنه متواتر.

١ ـ عــن محمد بن علي المعــروف بابن الحَنَفيَّة قــال: (قلتُ لأبي: أيُّ الناس خيرٌ بعد رســول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثــم مَن؟ قال: ثم عمر،

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٥٧/٤؛ الإرشــاد، للمفيد، ص ١٢٦؛ وقد تقدم النص بتمامه: ص ١٦٠ في هذا الكتاب.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢١٢/٤.

وخشِيتُ أن يقول: عثمانُ، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجلٌ من المسلمين)(١).

٢ ـ وعن أبي جُحَيْفَة وَهْب السُّوَائي قال: (خَطَبنا عليّ ﷺ فقال: مَنْ خيرُ هذه الأمة بعد نبيِّها ﷺ؟ فقلتُ: أنت يا أمير المؤمنين! قال: لا، خيرُ هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، وما نُبْعِدُ أن السَّكِينةَ تنطِق على لسان عمر)(٢).

٣ ـ وعن حَبيب بن أبي ثابت، عن (عَبْد خَيْر الهَمْداني قال: سمعتُ عليّاً يقول على المِنْبر: ألا أُخبِرُكم بخير هذه الأمة بعد نبيِّها؟ قال: فذكَر أبا بكر، ثم قال: ألا أخبركم بالثاني؟ قال: فذكَر عمرَ، ثم قال: لو شئت لأنبأتكم بالثالث، قال: وسكتَ. فرأَيْنا أنه يعني نفسَه. فقلت: أنت سمعتَهُ يقول هذا؟ قال: نعم وربِّ الكعبة، وإلَّا صُمَّتَا!)(٣).

ورواه عن علي غير واحد من الصحابة والتابعين(٤).

قال ابن تيمية: تواتر عن أمير المؤمنين علي من الوجوه الكثيرة: أنه قاله على منبر الكوفة(٥).

وذكر الذهبيّ هذا الحديث، ثم قال: (هذا والله العظيم قالَه علي! وهو متواترٌ عنه، لأنه قالَه على منبر الكوفة، فقاتَلَ الله الرافضة ما أَجْهَلَهم!)(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧١)؛ وأبو داود (٤٦٢٩)، وغيرهما.

(٢) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد المسند (٨٣٤)، وصحَّحه أحمد شاكر.

(٣) أخرجه أحمد (٩٠٩)؛ وابنه في زوائد المسند (٩٢٢)؛ وابن أبي عاصم في السُّنَّة (١٢٠٨)، وصحَّحه أحمد شاكر والألباني.

(٤) انظر كتابي: أبو بكر الصديق، ص ٣٦٤.

(٥) منهاج السُّنَّة: ٨/١، ٩، ١٩٢ـ١٩٣، ٥٩٩/٣، ٣٧٠/٤.

(٦) تاريخ الإسلام ـ عهد الخلفاء الراشدين، ص ١١٥.

بل إن علياً ﷺ يشهد للشيخين أبي بكر وعمر بالسَّبْق في كل الفضائل، وأنهما سارا على هَدْي النبي ﷺ في حياتهما وطول مدة خلافتهما بعده، وكان يدعو الله أن يرزقه السيرَ على منهجهما، وتهدَّد مَن يفضِّله عليهما بجلده حدّ المفتري! وهذا يكذِّب الرافضةَ في افتراءاتهم وأكاذيبهم أن الصحابة ارتدّوا وغيَّروا وبدَّلوا، وأن أبا بكر وعمر افترَيَا على النبي ﷺ، وغيَّرا وبَدَّلا، واغتصبا الخلافة!.

٤ ـ عن علقمة بن قيس قال: سمعتُ علياً على المنبر ـ فضَرب[1] بيده على منبر الكوفة ـ يقول: (بَلَغني أن قوماً يفضِّلوني على أبي بكر وعمر! ولو كنتُ تقدَّمتُ في ذلك لعاقبتُ فيه، ولكني أكره العقوبة قبل التقدمة، مَنْ قال شيئاً من هذا فهو مفترٍ، عليه ما على المفتري! إن خير الناس رسولُ الله ﷺ، وبعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، وقد أَحْدَثْنا أحداثاً يقضي الله فيها ما أَحَبَّ)[2].

٥ ـ وعن عَبْد خَيْرٍ قال: (قامَ عليٌّ على المِنْبر، فذَكَر رسولَ الله ﷺ فقال: قُبِض رسولُ الله ﷺ، واستُخلِف أبو بكر فعَمِل بعمله وسار بسيرته حتى قَبَضه الله ﷻ على ذلك، ثم استُخلِف عمرُ على ذلك فعمل بعملهما وسار بسيرتهما حتى قبضه الله ﷻ على ذلك)[3].

٦ ـ وعن علي بن الحسين قال: (قال فتى من بني هاشم لعلي بن أبي طالب حين انصرف من صِفِّين: سمعتُك تخطب يا أمير المؤمنين في الجمعة،

---

(١) أي: علقمة، كما بينَتْه روايةُ المسند.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السُّنَّة (٩٩٣) و(١٢١٩)؛ وعبدالله بن أحمد في زوائد المسند (١٠٥١)، وصحَّحه أحمد شاكر، وحسنه الألباني.

(٣) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد المسند (١٠٥٥، ١٠٥٩)؛ وابن أبي شيبة: ٥٧٣/٨، وصحَّحه أحمد شاكر.

تقول: اللَّهمَّ أصلحنا بما أصلحتَ به الخلفاء الراشدين، فمن هم؟ فاغرورقت عيناه ثم قال: أبو بكر وعمر، إماما الهدى، وشيخا الإسلام، والمُقتدى بهما بعد رسول الله ﷺ، مَن اتبعهما هُدي إلى صراط مستقيم،ومن اقتدى بهما عُصِم، ومن تمسَّك بهما فهو من حزب الله، وحزب الله هم المفلحون)(١).

٧ ـ وعن علي قال: (جَلَد رسول الله ﷺ ـ في الخمرِ ـ أربعين، وجَلَد أبو بكر أربعين، وعمرُ ثمانين، وكلٌّ سُنَّةٌ، وهذا أَحَبُّ إليَّ)(٢).

قال النووي: (هذا دليلٌ على أن علياً رضي الله عنه كان معظِّماً لآثار عمر، وأن حُكْمَه وقولَه سُنَّة، وأمْرَه حقٌّ، وكذلك أبو بكر رضي الله عنه، خلاف ما يَكْذبه الشيعة عليه)(٣).

٨ ـ ومن الحقائق التي تؤكد حبَّ عليٍّ للخلفاء الثلاثة، وإجلالَه لهم، أنه أَصْهَر إلى أمير المؤمنين عمر فزوَّجه ابنتَه أم كلثوم، وسمَّى أبناءه بأسمائهم، فسمَّى: أبا بكر وعمر وعثمان، وكذلك فعل ولداه الحسن والحسين(٤).

فهل يُسمِّي أحدٌ أولاده بأسماء أعدائه؟! وهل يطيق أن أسماء أعدائه ومغتصبي حقه تتردَّد في بيته كل وقت وحين؟!.

●● من هذا وغيره كثير مما سيأتي من أخبار صحيحة عن علي رضي الله عنه؛ يَقطع الباحث المنصف العاقل بأن ما تتناقله الرافضة عن علي بحقّ إخوانه الصحابة عامة والخلفاء الراشدين الثلاثة خاصة ـ هو من أكاذيبهم وافتراءاتهم المعهودة!.

---

(١) تلخيص الشافي في الإمامة، للطوسي: ٤٢٨/٢؛ ابن عساكر «ترجمة أبي بكر»، ص ٥٠٠؛ حياة الصحابة: ٤٧٠/٣.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٠٧)؛ وأبو داود (٤٤٨١)، وغيرهما.

(٣) شرح صحيح مسلم: ٢٣٦/٦.

(٤) انظر للمزيد: الشيعة وأهل البيت، لإحسان إلٰهي ظهير، ص ٧٧ـ٨٢، ١٠٤، ١٢٨ـ١٣١.

عن أيوب السَّخْتِياني، عن ابن سيرين، عن عَبِيدة السَّلْماني، عن علي ﷺ قال: (اقْضُوا كمـا كنتم تَقضُون، فإنـي أكرهُ الاختلافَ، حتـى يكونَ الناس جماعةً، أو أمـوتَ كما مـات أصحابي). فكان ابنُ سـيرين يَـرى أن عامةَ ما يُروى عن عليٍّ الكذبُ![1].

قال الحافظ: المراد بذلك ما ترويه الرافضة عن علي من الأقوال المشتملة على مخالفة الشيخين[2].

ثانياً: علي في عهد الخلفاء الراشدين الثلاثة قبله:

الذي يتأمل سيرة علي ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ وإلى أن آلَتْ إليه الخلافة في وقتها وإبَّانها، وينظـر النظرة الفاحصة الناقدة لأخبـار التاريخ ورواتها ـ يدركُ النهجَ القويم والسـيرة المشرقة التي عاشـها في عصر الرسالة واستمر عليها في عهد الخلفاء الذين سـبقوه، وتبرز له العلاقـة الحميمة التي كانت بينهم، وتمثل التطبيق الأمثل للوصـف القرآني لهم: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ الآية [الفتح: ٢٩].

ويجدُ علياً مع إخوانه لبنةً بارزة في بناء شـامخ شـيَّدَه رسـول الله ﷺ، وبقي بعد وفاته وفيّاً له ولدينه ورسالته ودعوته.

وقد تميزت صِلتُه بالخلفاء والصحابة بالمـودة والرحمة والصلة المتينة والمصاهرة الموصولة، مشـكِّلةً نسـيجاً فذّاً من الأبوة والأخـوة والعمومة والخؤولـة، وتسـمية الأبناء بأسـمائهم ليبقى الاسـم شـاهداً ومذكِّراً بهم وبأمجادهم ومودتهم.

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٧).
(٢) الفتح: ٦٦٧/٨.

والحق أن المدة التي قضاها سيدنا علي في عهد الخلفاء الثلاثة تُعدّ من أخصب الفترات التي ظهر فيها علمه ومعرفته بإدارة شؤون الدولة الإسلامية، بما قدَّمه من مشورة لإخوانه ورفاقه الخلفاء الراشــدين الثلاثة، وبما تفتقت عنه عبقريته الفذة في إيجاد الحلول لكثير من المعضلات التي واجهت الأمة في حال تكوينهــا ونهوضها وبناء دولتها وامتداد رقعتهــا، وقد كان الفاروق عمر يتعوذ من معضلة ليس لها أبو الحسن[١].

وكان تعاونه مع الخلفاء مؤسساً على الأخوة الإيمانية، ونابعاً من التربية النبوية، ومنســجماً مع النفســية الزاكية التي صِيغَتْ منها شخصيتُه، وممثِّلاً للحقيقة التاريخية في قيامه بحق الرسالة خير قيام، لا تقاعس فيه ولا تقصير، ولا مجاملة ولا تقيَّــة، ولا كيد ولا حقد، بل جد واجتهــاد، ونُصْح صادق، وإخلاص كامــل، وصراحة بارزة وتعــاون ومودّة، في ســبيل خدمة الدين، والقيام بواجب النصرة والبلاغ المبين.

ثالثاً: جراحات الرافضة ودعاواهم وأكاذيبهم بحق الصحابة عموماً وعلي خصوصاً:

•• الروافــض تكفر جمهــور الصحابــة كالخلفاء الثلاثــة ومن والاهم وتفسقهم، ويكفرون من قاتل عليّاً ويقولون: هو إمام معصوم[٢].

ويذكر أبو المظفر الإســفراييني ـ بعد كلامه على فِرق الإمامية ـ ما يلي: (واعلَــمْ أن جميع مَــن ذكرناهم مــن فِرق الإماميــة متفقون علــى تكفير الصحابة)[٣].

---

(١) انظر: علي والخلفاء، ص ٩ ـ ١٠.
(٢) منهاج السُّنَّة: ١/٣٣٧؛ المنتقى من منهاج الاعتدال، ص ٦٥.
(٣) التبصير في الدين، ص ٢٤.

ويذكر محمد المهدي الكاظمي القزويني في ردِّه على ابن تيمية: الأدلة على جواز سَبِّ أبي بكر وعمر، وأنها أدلة ثابتة الصحة، وأن مسألة تفضيل طبقة مؤمني الصحابة على غيرهم من الطبقات من البهتان البيِّن، وأن مَن استشهد مع الحسين أفضل من الصحابة المستشهدين يوم بدر وغيره! ويحاول البرهنة على أن كل مَن حارب عليّاً في موقعتي الجمل وصفين لا يُعَدّ مسلماً[١]!.

وهذا وذاك من أكبر أكاذيب الرافضة وافتراءاتهم التي أقاموا عليها دينهم، وقد ردَّ عليهم أئمتنا، ومن أشهرهم شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه العظيم «منهاج السُّنَّة».

والأدلة على تعديل الصحابة ثابتة قاطعة صريحة في الكتاب الكريم والسُّنَّة الصحيحة، (وجميعها يقتضي طهارةَ الصحابة، والقَطْعَ على تعديلهم ونزاهتهم، فلا يَحتاج أحدٌ منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطلعِ على بواطنهم إلى تعديل أحدٍ من الخلق له، فَهُم على هذه الصفة إلا أن يَثبت على أحد ارتكابُ ما لا يَحتمل إلا قصْدَ المعصية والخروج من باب التأويل، فيُحكم بسقوط العدالة، وقد برَّأَهم الله من ذلك، ورفَع أقدارهم عنه.

على أنه لو لم يَرِدْ من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه، لأَوْجَبتِ الحال التي كانوا عليها: من الهجرة، والجهاد والنصرة، وبذْل المُهَج والأموال، وقَتْل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين ـ القطْعَ على عدالتهم، والاعتقادَ لنزاهتهم، وأنهم أفضلُ من جميع المعدَّلين والمُزكَّيْن الذين يجيؤون من بعدهم أبدَ الآبدين. هذا مذهب كافة العلماء ومن يُعتَدّ بقوله من الفقهاء)[٢].

---

(١) كتابه: منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية: ١/٥١ـ٥٣، ٦٨.
(٢) الكفاية، للخطيب، ص ٤٨ـ٤٩.

•• ومذهب الرافضة في تكفير الصحابة يعني أموراً هائلة:

فيترتب عليه إسقاط تواتر الشريعة بل بطلانها ما دام نَقَلتُها مرتدين.

ويلزم منه القدح في القرآن العظيم وعدم الوثاقة بصحته(١)، لأنه وصلنا من طريق الصحابة وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون الثلاثة الذين تم جمع القرآن في عهدهم المبارك.

يقول الإمام الحافظ الناقد الورع أبو زُرعة الرازي: (إذا رأيتَ الرجل ينتقصُ أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ؛ فاعلَمْ أنه زِنْديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآنَ والسننَ أصحابُ رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودَنا ليُبْطِلوا الكتابَ والسُّنَّة، والجرحُ بهم أَوْلى وهم زنادقة)(٢).

ويعني كذلك توجيه التهمة للنبي ﷺ بأنه فشل في مهمته وتبليغ رسالته، حيث لم يستطع أن يربي رجالاً أمناء على كتابه وسُنَّته والدين الذي حمله للعالمين.

فالرافضة الإمامية الإثنى عشرية التي تشكل غالبَ الشيعة اليوم، تقدم للمجتمع الإسلامي والصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ صورة معاكسة تهدم المجهودات التي قام بها النبي ﷺ طيلة ثلاثة وعشرين عاماً، لأنها لم تنتج ـ بزعمهم ـ إلا ثلاثة أشخاص أو أربعة ظلوا متمسِّكين بالإسلام إلى ما بعد

(١) والرافضة الإمامية الإثنى عشرية يكادون يجمعون على اعتقادهم بتحريف القرآن، وقد صنف نوري الطبرسي كتابه «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» أورد فيه أكثر من (ألفي رواية) عن أئمتهم المعصومين تؤكد التحريف في القرآن من كل نوع، وتوالت هذه العقيدة عندهم عبر الأجيال حتى جاء الخميني وأكدها في كتابه «كشف الأسرار». انظر: صورتان متضادتان، ص ٧٠ ـ ٧١.

(٢) الكفاية، للخطيب، ص ٤٩.

وفاة النبي ﷺ، أمّا غيرهم فقد قطعوا صلتَهم فَـوْر وفاته ﷺ ـ والعياذ بالله ـ عن الإسـلام، وأثبتوا أن صحبة النبـي ﷺ وتربيته أخفقت فـي مهمته التي توخّاها[1]!.

في «الجامع الكافـي» للكُلِيني تحت عنوان «كتـاب الروضة» رواية عن الإمام أبي جعفر الباقـر: (كان الناس على ردَّة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، رحمة الله عليهـم وبركاته». وفي روايـة أخرى يعتبر (عمار بن ياسـر) رابع الأربعة[2].

وبقي الرافضة علـى هذا مع مـرور القرون، حتى عصرنـا حيث يقول الخميني ـ قائد الثورة في إيران ـ في كتابه الفارسي «كشف الأسرار»: (أولئك ـ أي: الصحابة ـ الذين لم يكن يَهمُّهم إلا الدنيا والحصول على الحكم دون الإسلام والقرآن، والذين اتخذوا القرآن مجردَ ذريعة لتحقيق نواياهم الفاسدة، قد سَـهُل عليهم إخراجُ تلك الآيـات من كتاب الله ـ التـي كانت تدل على خلافة علـي ﷺ بلا فَصْل، وعلـى إمامة الأئمة ـ وكذلـك تحريفُ الكتاب السـماوي، وإقصاءُ القرآن عن أنظار أهل الدنيا على وجه دائم، بحيث يبقى هذا العار في حق القرآن والمسـلمين إلى يوم الدين. إن تهمة التحريف التي يوجِّهونها إلى اليهود والنصارى إنما هي ثابتة عليهم!)[3].

•• أما جراحات الرافضة وأكاذيبهم بحق علي ﷺ فكثيرة وخطيرة، نشير إلى طرف منها له علاقة وطيدة بترجمته:

---

(١) صورتان متضادتان، ص ٥١.

(٢) فروع الكافي ـ ج٣ ـ كتاب الروضة، ص ١١٥.

(٣) كشف الأسرار، ص ١١٤؛ صورتان متضادتان، ص ٥٢ ـ ٥٣.



١ ـ تأخره مع بني هاشم عن بيعة أبي بكر:

ذكر اليعقوبي: أنه قد (تخلَّف عن بيعة أبي بكر قومٌ من المهاجرين والأنصار، ومالوا مع علي بن أبي طالب، منهم: العباس بن عبد المطلب، والفَضْل بن العباس، والزبير بن العوام، وخالد بن سعيد بن العاص، والمقداد بن عَمْرو، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغِفَاري، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأُبيّ بن كعب)(١).

ويؤكد ذلك المسعودي فيقول: (ولما بُويع أبو بكر في يوم السَّقيفة وجُدِّدت البيعة له يوم الثلاثاء على العامة، خرج علي فقال: أَفسدتَ علينا أمورنا، ولم تستشرنا، ولم تَرْعَ لنا حقّاً...)، ولم يبايعْه أحدٌ من بني هاشم حتى ماتت فاطمة. ثم قال: (وقد تُنوزِع في بيعة عليٍّ بن أبي طالب إياه: فمنهم من قال: بايَعَه بعد موت فاطمة بعشرة أيام، وقيل: بثلاثة أشهر، وقيل: ستة، وقيل غير ذلك)(٢).

٢ ـ شعور علي بالحَيْف عندما انتقلت الخلافة إلى عمر ثم عثمان:

والذي عليه الشيعة قديماً وحديثاً أن علياً وصيُّ رسول الله ﷺ، وأن الخلفاء الثلاثة قبله قد اغتَصَبُوا الخلافة، فصَبَر عليٌّ (تقيَّةً) وحفظاً للمصلحة(٣).

ففي «نهج البلاغة» خطبة منسوبة لعليٍّ يقول فيها عندما بايع المسلمون عثمان: (لقد عَلمتُم أني أحقُّ بها من غيري، ووالله لأُسْلِمنَّ ما سَلِمتْ أمورُ المسلمين، ولم يكن فيها جَوْرٌ إلا عليَّ

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٩/٢.

(٢) مروج الذهب: ٢٣٧/٢، ٢٣٨.

(٣) انظر؛ أصول مذهب الشيعة الإمامية: ٣٦٢/٢، ٤٤١.

خاصـــة، التماســاً لأجْرِ ذلك وفَضْله، وزُهداً فيما تنافَسْــتُموه من زخرُفِهِ وزِبْرِجِهِ)[١].

ومن (خصائص الكذب) أنــه يحمل في رواياته ما يَفضــح عُوَارَه؛ ففي «نهج البلاغــة» خطبة أخرى لعليٍّ عندمــا جاءه الناس للبيعة بعد استشــهاد عثمان، يقول فيها:

(دَعُوني والْتَمِسوا غيري؛ فإنَّا مستقبلون أمراً له وجوهٌ وألوانٌ، لا تقومُ له القلوب، ولا تثبتُ عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامَتْ، والمحجَّةَ قد تنكَّرتْ.

واعلموا أني إنْ أجبتُكم ركبتُ بكم ما أعلــمُ، ولم أُصْغِ إلى قول القائل وعَتْبِ العاتب، وإنْ تركتُموني فأنا كأحدِكم، ولَعَلِّي أسمعُكم وأطوعُكم لمن ولَّيْتموه أمرَكم، وأنا لكم وزيراً خيرٌ لكم مني أميراً)[٢].

فإذا كان عليٌّ هو (الوصي) فكيف يقول لهم: (دعوني والتمسوا غيري)؟! أفليس هذا تفريطاً بالوصية وخيانةً للأمانة؟ وحاشاه من ذلك! وإذا كان يشعر بالحَيْف لأن الخلافة قد تجاوزَتْه، فكيف يأباها اليوم وقد أقبلَتْ إليه والناس عازمون على بيعته؟! وإذا كان هو أول الأئمة المعصومين فكيف يتركها لغيره من غير المعصومين ويكون وزيراً له؟!.

أســئلة كثيرة يمكن طرحُها، كل تدفَــعُ في صدر الكذابيــن والروايات الكاذبة التي تزعــم لعليٍّ ما هو منه بــريء؛ من التقيَّــة، والوصية، والطعنِ بالخلفاء والصحابة واتهامهم بالغدر والخيانة ومخالفة أمر النبي ﷺ.

---

(١) شــرح نهج البلاغة: ٣١٩/٣. ومثل ذلك في كتابات بعض المعاصريــن، انظر: أبو تراب، لطلال الجنابي، ص٤٣، ٥٥؛ وعلي بــن أبي طالب، لعبد الكريــم الخطيب، ص١٧٧؛ والإمام علي، لإبراهيم بيضون، ص٣٥.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢٥/٤.



٣ ـ اتهام علي بالتَّقِيَّة:

والرافضة يجرحون عليّاً بجراحة قبيحة حين يَدَّعون أنه بايع الخلفاءَ الثلاثة حفاظاً على مصلحة الإسلام، وهو يعتقد جازماً أنهم اغتصبوا الخلافة وهو الوصيّ عليها والأحق بها.

فالشيعة تعدّ إمامة الخلفاء الثلاثة باطلة، وهم ومن بايعهم في عداد الكفار، مع أن عليّاً بايعهم وصلّى خلفهم وجاهد معهم وزوَّجَهم وتسرَّى ببعض السبي من جهادهم. ولما ولي الخلافة سار على نهجهم ولم يغير شيئاً مما فعله أبو بكر وعمر، كما تعترف كتب الشيعة نفسها[١].

وهؤلاء الرافضة يجمعون بين النقيضين لفرطِ جهلهم وظلمهم: يجعلون عليّاً أكملَ الناس قدرةً وشجاعةً حتى يجعلوه هو الذي أقام دين الرسول ﷺ، ثم يصفونه بغاية العجز والضعف والجزع والتقيَّة بعد ظهور الإسلام وقوته ودخول الناس فيه أفواجاً[٢]!.



(١) انظر: بحار الأنوار: ٤٩١/١ـ٤٩٢؛ أصول مذهب الشيعة الإمامية: ٤٤١/٢.

(٢) منهاج السُّنَّة: ١٨٧/٤ـ١٨٨.

الفصل الثاني

عليٌّ في عهدِ الصِّدِّيق

الثابت في الروايات الكثيرة الصحيحة عن علي وغيره: أنه بايع أبا بكر مع جماعة الصحابة في المسجد النبوي البيعةَ العامة للغدِ من يوم السَّقيفة؛ فلقد كان علي والعباس والزبير وعثمان وغيرهم ممن يَمتُّ إلى النبي ﷺ بقرابة قريبة في بيته ﷺ لتجهيزه[1]، عندما انطلق أبو بكر وعمر إلى «سقيفة بني ساعدة» وتمَّت البيعة هناك، فلما كان اليوم التالي بايع علي والزبير في عامة المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ.

وبقي علي مع الصديق طيلة عهده معيناً له ونصيراً، وكان أحد رؤوس المستشارين المقربين عنده، وشاركه في سياسة الدولة والأمة، وأشار بالأصلح والأنفع حسب رأيه وفهمه الثاقب، وصلَّى خلفه، وقضى بقضاياه، وسمى أحد بنيه باسمه حبّاً له واعترافاً بمنزلته في الإسلام.

أولاً: من أقوال علي ومواقفه الدالة على مبايعته أبا بكر وقبوله بيعة الناس له[2]:

١ ـ عن الحسن البصري قال: (لمَّا قدِمَ عليٌّ البصرة في أمر طلحة وأصحابه، قام عبدالله بن الكَوَّاء وقيس بن عُبَاد فقالا: يا أمير المؤمنين،

---

(١) طبقات ابن سعد: ٢/٢٤٧.

(٢) وانظر كتابي: أبو بكر الصديق، ص ٤٤٤ ـ ٤٦٠.

أخبِرْنا عن مسـيرك هذا: أَوَصيـةٌ أوصاك بها رسـول الله ﷺ، أم عهداً عهِدَه عندك، أم رأياً رأيتَهُ حين تفرَّقت الأمة واختلفَتْ كلمتُها؟.

فقال: ما أكون أولَ كاذب عليه، والله ما مات رسول الله ﷺ موت فجأة، ولا قُتل قتلاً، ولقد مكث في مرضه كل ذلك يأتيه المؤذِّن فيُؤْذِنه بالصلاة، فيقول: **مُـروا أبا بكر فليصلِّ بالناس**، ولقد تركنـي وهو يرى مكاني، ولو عهِد إليَّ شيئاً لقمتُ به. حتى عارضَتْ في ذلك امرأة من نسائه فقالت: إن أبا بكر رجـل رقيق إذا قام مقامك لم يُسـمِع الناسَ، فلـو أمرتَ عمر أن يصلي بالناس، فقال لها: **إنكن صواحبُ يوسـف**. فلما قُبض رسول الله ﷺ نظر المسلمون في أمرهم، فإذا رسـول الله ﷺ قد ولى أبا بكر أمرَ دينِهم، فولَّوه أمرَ دُنياهم، فبايعه المسلمون وبايعتُه معهم، فكنتُ أغزو إذا أغزاني، وآخذُ إذا أعطاني، وكنتُ سـوطاً بيـن يديه في إقامة الحـدود. فلو كانت محاباة عند حضور موته لجعلها في ولده، فأشـار بعمـر، ولم يألُ، فبايعه المسلمون وبايعته معهم، فكنت أغزو إذا أغزاني، وآخذ إذا أعطاني، وكنت سـوطاً بين يديه في إقامة الحدود. فلـو كانت محاباة عنـد حضور موته لجعلها في ولده، وكَرِه أن يتخيَّر منَّا معشـرَ قريـش فيولِّيه أمر الأمة، فلا تكون إسـاءةٌ من بعده إلا لَحِقتْ عمرَ في قبره، فاختار منَّا سـتة أنا فيهم لنختار للأمة رجـلاً، فلما اجتمعنا وثـب عبدالرحمن بن عوف فوهب لنا نصيبَه منها على أن نُعطيه مواثيقنا على أن يختار من الجماعة رجلاً فيوليه أمر الأمة، فأعطيناه مواثيقنا، فأخذ بيد عثمان فبايعه. ولقد عَرض في نفسي عند ذلـك، فلما نظرتُ فـي أمري فإذا عهدي قد سـبق بيعتـي، فبايعت وسلَّمت، فكنتُ أغزو إذا أغزاني، وآخذ إذا أعطاني، وكنت سوطاً بين يديه في إقامة الحدود)[١].

---

(١) أخرجه إسـحاق بن راهويه، وهو في المطالب العالية (٤٤٥٨)، وقال البوصيري: إسـناده =

وفي «نهج البلاغة» فصل منه؛ قال علي: (رضينا عن الله قضاءه، وسلَّمنا لله أمرَه، أَتُراني أكذِبُ على رسول الله ﷺ؟ والله لأَنا أولُ من صدَّقه، فلا أكون أولَ من كَذَب عليه. فنظرتُ في أمري فإذا طاعتي قد سبَقتْ بيعتي، وإذا الميثاق في عنقي لغيري)[١].

٢ ـ وعن أبي سعيد الخُدْري في (حديث السَّقيفة) وبيعة المهاجرين والأنصار للصديق، قال أبو سعيد: (فصَعِد أبو بكر المنبر، فنظر في وجوه القوم فلم يرَ الزبيرَ، قال: فدعا بالزبير، فجاء، فقال: قلتَ: ابنُ عمّة رسول الله ﷺ وحواريُّه، أردتَ أن تشقَّ عصا المسلمين! قال: لا تثريبَ يا خليفة رسول الله، فقام فبايَعَه. ثم نظر في وجوه القوم فلم يرَ عليّاً، فدعا بعلي بن أبي طالب، فجاء، فقال: قلتَ: ابنُ عمِّ رسول الله ﷺ وخَتَنُه على ابنته، أردتَ أن تشق عصا المسلمين! قال: لا تثريبَ يا خليفة رسول الله، فبايَعَه)[٢].

قال ابن كثير: (إسناده صحيح، وفيه فائدة جليلة؛ وهي مبايعة علي بن أبي طالب إما في أول يوم أو في اليوم الثاني من الوفاة، وهذا حقٌّ، فإن علي بن أبي طالب لم يُفارِق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه، وخرج معه إلى ذي القَصَّة لما خرج الصديق شاهراً سيفه يريد قتال أهل الردة)[٣].

= صحيح؛ وذكره الحافظ في الفتح وسكت عليه: ٣٧٠/١٦ (٧٠٩٩)؛ وأخرجه ابن عساكر من طرق: ١٠١/٣ـ١٠٥.

(١) شرح نهج البلاغة: ٥٠٦/١.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن: ١٤٣/٨؛ وابن عساكر من طريقه «ترجمة أبي بكر»، ص ٣٧٨ـ٣٧٩؛ وساقه بتمامه ابن كثير في البداية والنهاية: ٢٤٨/٥ـ٢٤٩، ٣٠١/٦ـ٣٠٢ وصحَّحه؛ وأخرجه الحاكم: ٧٦/٣.

(٣) البداية والنهاية: ٢٤٩/٥.

٣ ـ وعن عَمْرو بن سفيان قال: (لمَّا ظَهر عليٌّ على الناس يوم الجَمَل، قال: أيها الناس، إن رسول الله ﷺ لم يَعهدْ إلينا في هذه الإمارة شيئاً، حتى رأَيْنا من الرأي أن نستخلِفَ أبا بكر، فأقام واستقام حتى مضَى لسبيله. ثم إن أبا بكر رأى من الرأي أن يستخلف عمرَ، فأقام واستقام حتى ضَرب الدين بِجرانه. ثم إن أقواماً طلبوا بهذه الدنيا، فكانت أمورٌ يقضي الله فيها)(١).

٤ ـ وعن النزَّال بن سَبْرة قال: (قلنا لعليٍّ: يا أمير المؤمنين، أخبِرْنا عن أبي بكر؟ قال: ذاك امرؤٌ سمَّاه الله الصدِّيقَ على لسان جبريل، وعلى لسان محمد ﷺ. كان خليفةَ رسول الله ﷺ على الصلاة، رضِيَه لدِيننا، فرَضِيناه لدُنيانا)(٢).

٥ ـ وعن سُويد بن غَفَلة قال: (دخل أبو سفيان على عليٍّ والعباس، فقال: يا علي وأنت يا عباس، ما بالُ هذا الأمر في أذلِّ قبيلة من قريش وأقلِّها؟! والله لئن شئتَ لأملأنها عليه خيلاً ورجالاً! فقال له عليٌّ: لا والله ما أريد أن تملأها عليه خيلاً ورجالاً، ولولا أنَّا رأَيْنا أبا بكر لذلك أهلاً ما خلَّيناه وإياهم. يا أبا سفيان، إن المؤمنين قوم نَصَحَةٌ بعضهم لبعض، متوادُّون وإن بَعُدت ديارهم وأبدانهم، وإن المنافقين قوم غَشَشَة بعضهم لبعض)(٣).

٦ ـ وقد استدل علي على صحة بيعته بالخلافة بصحة خلافة الخلفاء الثلاثة قبله وبيعة الناس لهم؛ ففي مَعْرِض ردِّه على معاوية بن أبي سفيان ﷺ حين توقف عن مبايعته، كتب إليه أمير المؤمنين علي:

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السُّنَّة (١٢١٨)؛ والبيهقي في الدلائل: ٢٢٣/٧؛ وابن عساكر: ٩٩/٣؛ وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام ـ السيرة النبوية»، ص٥٨٤، وقال: إسناده حسن.

(٢) أخرجه ابن عساكر في «ترجمة أبي بكر»، ص١٦٥؛ وذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء، ص٣٠، وقال: إسناده جيد.

(٣) أخرجه من طرق يشد بعضها بعضاً: عبدالرزاق (٩٧٦٧)؛ والطبري في تاريخه: ٢٠٩/٣؛ والحاكم: ٧٨/٣؛ وابن عبدالبرّ في الاستيعاب: ٢٤٥/٢.



(إنه بايعني القــومُ الذين بايعوا أبا بكر وعمــر وعثمان على ما بايعوهم عليــه، فلم يكن للشــاهد أن يختــار، ولا للغائــب أن يَردَّ، وإنما الشــورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسَمَّوه إماماً كان ذلك لله رِضاً، فإن خرج عــن أمرهم خارجٌ بطَعْنٍ أو بدعةٍ رَدُّوه إلــى ما خَرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غيرَ سبيل المؤمنين، وولَّاه الله ما تولَّى)[١].

٧ ـ وعن أبــي وائل قال: (قيــل لعلي بن أبي طالب: أَلَا تَســتخلِفُ علينا؟ فقال: ما اســتخلَفَ رســول الله ﷺ فأَســتخلِفُ، ولكنْ إنْ يردِ الله بالناس خيراً فســيجمعُهم بعدي على خيرهم كما جَمَعهم بعد نبيِّهم على خيرهِم)[٢].

ومن الأدلــة على بيعة علــي لأبي بكــر، ورضاه بها، وأنــه مع جماعة المهاجرين والأنصار بل في مقدمتهم:

٨ ـ أنه كان ملازماً للصديق لم يفارقه في وقت من الأوقات، ولا انقطع عنه في جماعة ولا جمعة، وكان معه في مجلس الشورى.

٩ ـ ولما خرج أبو بكر إلى (ذي القَصَّة) لقتال أهل الردَّة، كان علي معه يقود راحلته!.

عن عائشــة قالت: (خرج أبي شاهراً ســيفَه راكباً راحلته إلى ذي القَصَّة، فجــاء علي بن أبي طالــب فأخذ بزمــام راحلته وقــال: إلى أيــن يا خليفةَ رســول الله؟ أقول لك ما قال لك رســول الله ﷺ يوم أُحُد: «**شِمْ سيفك، ولا**

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٥٨/٧.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السُــنَّة (١١٥٨، ١٢٢١)؛ والبزار (٥٦٥)؛ والبيهقي في السنن: ١٤٩/٨؛ وبنحوه: أحمد (١٠٧٨)؛ وابن أبي شيبة: ٥٨٧/٨، وهو صحيح بطرقه وشواهده، وصحَّحه أحمد شاكر، وقال ابن كثير في (البداية والنهاية: ٢٥١/٥): إسناده جيد.

تفجَعْنا بنفســك»، فوالله لئن أُصِبْنا بك لا يكون للإســلام بعدك نظامٌ أبداً! فرجَع وأمضَى الجيش)(١).

١٠ ـ وكان مع أبي بكر في حراســة أنقاب المدينة من هجوم المرتدين، وكان أحد أمراء الحرس(٢).

١١ ـ وكان مع الصديق عندما جَيَّش الجيوشَ لفتح بلاد الشــام، وبشَّره بأن الله سينصره(٣).

ثانياً: توضيح حقائق وحل مشكلات:

●● عــن عبدالرحمن بن عوف في «قصة بيعة أبــي بكر»: (قَال علي والزبير ﷺ: ما غَضِبْنا إلا لأنَّــا أُخِّرْنا عن المشــاورة، وإنَّا نرى أبا بكر أحقَّ الناس بها بعد رســول الله ﷺ؛ إنه لصاحبُ الغار وثاني اثنين، وإنا لنعرفُ شــرفَه وخيرَه، ولقد أمره رســول الله ﷺ بالصــلاة بالناس وهو حي)(٤).

وقول علي والزبير بأنهما غضبا لأنهما أُخِّرا عن المشورة، يقصدان بذلك يومَ السقيفة ولا بدّ، وليس تأخر علي عن البيعة ستة أشهر كما فهم البعض، وذلك لتلتئم الروايــات الصحيحة في بيعته بالمســجد مــع أقواله ومواقفه رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) ابن عساكر «ترجمة أبي بكر»، ص٤٦؛ حياة الصحابة: ٢٢/٢.

(٢) تاريخ الطبري: ٢٤٥/٣؛ البداية والنهاية: ٣١١/٦.

(٣) انظر ما سيأتي: ص٢٦٦ في هذا الكتاب.

(٤) أخرجه البيهقي في الســنن: ١٥٢/٨؛ والحاكم: ٦٦/٣ـ٦٧ وصحَّحه، ووافقه الذهبي؛ وساقه ابن كثير من رواية موسى بن عقبة في «مغازيه» في موضعين من البداية والنهاية: ٢٥٠/٥ وقال: إسناده جيد ولله الحمد والمنّة، و٣٠٢/٦.

وسبب عَتْب عليٍّ أنه مع وجاهته وفضيلته في نفسه في كل شيء، وقُربه من النبي ﷺ وغير ذلك، رأى أنه لا يُستبَدّ بأمر إلا بمشورته وحضوره، وكان عُذر أبي بكر وعمر وسائر الصحابة واضحاً؛ لأنهم رأوا المبادرة بالبيعة من أعظم مصالح المسلمين، وخافوا من تأخيرها حصول خلاف ونزاع تترتب عليه مفاسد عظيمة[١].

•• قال البخاري: (حدثنا يحيى بن بُكَير، حدثنا الليث، عن عُقيل، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشةَ: أن فاطمة عليها السلام بنتَ النبي ﷺ أرسلَتْ إلى أبي بكر تسألُه ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاءَ الله عليه بالمدينة وفَدَك، وما بقي من خُمُس خيبرَ.

فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: «**لا نُورَثُ، ما تركنا صدقةٌ، إنما يأكلُ آلُ محمد ﷺ في هذا المال**» وإني والله لا أغيِّر شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأَعْمَلَنَّ فيها بما عَمِلَ به رسولُ الله ﷺ.

فأبى أبو بكر أن يَدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوَجَدَتْ فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهَجَرتْهُ فلم تُكلِّمْهُ حتى توفِّيتْ، وعاشَتْ بعد النبي ﷺ ستةَ أشهر، فلما تُوفِّيتْ دفَنَها زوجُها عليٌّ ليلاً، ولم يُؤْذِنْ بها أبا بكر، وصلَّى عليها.

وكان لعليٍّ من الناس وجْهٌ حياةَ فاطمة، فلما تُوفِّيَتْ استَنْكَر عليٌّ وجوهَ الناس، فالْتَمَس مصالحةَ أبي بكر ومبايعتَه، ولم يكن يُبايِعُ تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر: أن ائتِنا ولا يأتنا أحدٌ معك، كراهيةً لمحضَرِ عمرَ. فقال عمر: لا والله لا تدخلُ عليهم وحدَكَ، فقال أبو بكر: وما عَسَيْتَهُم أن يفعلوا بي؟! والله لآتِينَّهم.

---

(١) شرح صحيح مسلم، للنووي: ٦/٣٢٣ـ٣٢٤ (١٧٥٩).

فدخل عليهم أبو بكر، فتشـهَّد عليٌّ فقال: إنَّا قد عرفنـا فَضْلَك وما أَعطاكَ الله، ولم نَنْفَسْ عليك خيراً ساقَهُ الله إليك، ولكنَّكَ استَبْدَدْتَ علينا بالأمر، وكنا نَرى لقرابتنا من رسول الله ﷺ نصيباً! حتى فاضَتْ عينا أبي بكر.

فلما تكلَّمَ أبو بكر قال: والذي نفسـي بيدِهِ، لَقَرابةُ رسـول الله ﷺ أحَبُّ إليّ أن أَصِلَ من قرابتي، وأما الذي شَجَرَ بيني وبينكم من هذه الأموال، فلم آلُ فيها عن الخير، ولم أَتركْ أمراً رأيتُ رسول الله ﷺ يَصْنَعُهُ فيها إلا صنَعْتُه.

فقال عليٌّ لأبي بكر: مَوْعِدُكَ العَشيَّةُ للبيعة.

فلما صلَّى أبو بكـر الظهر رَقِيَ على المنبر، فتشـهَّدَ، وذَكَر شـأنَ عليٍّ وتَخلُّفَهُ عن البيعة، وعُذْرَه بالذي اعتذر إليه.

ثم استغفر وتشهَّدَ عليٌّ، فعَظَّمَ حقَّ أبي بكر، وحَدَّثَ: أنَّه لم يحمِلْه على الذي صَنَع نفاسة على أبي بكر، ولا إنكاراً للذي فَضَّلَه اللهُ به، ولكنَّا نَرى لنا في هذا الأمر نصيباً، فاستَبدَّ علينا، فوَجَدْنا في أنفسنا.

فَسُـرَّ بذلك المسلمون وقالوا: أصبتَ. وكان المسـلمون إلى عليٍّ قريباً، حين راجع الأمرَ المعروفَ)[1].

ما قدمنـاه أدلة واضحة علـى أن عليّاً بايـع أبا بكر البيعـة العامة في المسجد، وكان معه ولم ينقطع عنه، وهذه الرواية التي سقناها رواية صحيحة ثابتة يوهِـمُ ظاهرُها أن عليّاً تأخر عن البيعة سـتة أشـهر، فما الجواب في ذلك؟.

---

(١) أخرجه البخـاري(٤٢٤٠، ٤٢٤١) وأطرافه في (٣٠٩٢، ٣٠٩٣)؛ ومسـلم (١٧٥٩)؛ وابن حبان (٤٨٢٣، ٦٦٠٧)، وأخرجه غيرهم مختصراً.

نقول: في هذا الحديث إدراجٌ خفي(١) من كلام الزهري، أَدرجه بعضُ الرواة فاتصل بكلام عائشة، فأَوهمَ القارئ أنه منه، وليس كذلك بل هو مرسَل! ومرسَلات الزهري ليست بشيء كما قال جهابذة نقاد الحديث كيحيى القطّان وابن مَعين(٢).

• فقوله في الحديث: (ولم يكن بايع تلك الأشهر):

أخرجه البيهقي في «السنن»(٣)، بما لفظه: (قالت عائشة ﵂: فكان لعليٍّ من الناس وجهٌ حياةَ فاطمة، فلما توفِّيت فاطمة انصرف وجوه الناس عنه. عند ذلك قال مَعْمَر: قلتُ للزهري: كم مكَثَتْ فاطمة بعد النبي ﷺ؟ قال: ستة أشهر، فقال رجل للزهري: فلم يبايعْه عليٌّ حتى ماتت فاطمة؟ قال: ولا أحدٌ من بني هاشم).

وهذا صريح في أن عائشة لم تذكر قعودَ علي ﵁ عن البيعة، وإنما هو من كلام الزهري، ولذلك يقول البيهقي ﵀ بعد رواية هذا الحديث: (وقول الزهري في قعود عليٍّ عن بيعة أبي بكر ﵁ حتى توفِّيت فاطمةُ ﵂: منقطع). يعني: أن الزهري قال ذلك دون أن يُسنِده إلى أحد.

وقال البيهقي أيضاً في كتابه «الاعتقاد على مذهب السلف»: (والذي روي: أن علياً لم يبايع أبا بكر ستة أشهر، ليس من قول عائشة، وإنما هو من قول الزهري، فأَدْرَجَه بعضُ الرواة في الحديث عن عائشة في قصة فاطمة،

---

(١) **المُدْرَج**: هوما ذُكِرَ في ضمن مَتْن الحديث من قول بعض الرواة الصحابي أو مَنْ دونه موصولاً بالحديث، من غير فصلٍ بين الحديث وبين ذلك الكلام، أي: من غير أن يُذكر قائلُه، فيؤدي عدمُ الفصل إلى الالتباس على مَن لا يعلم حقيقة الحال ويتوهَّم أن الجميع من أصل الحديث.

(٢) انظر: قواعد في علوم الحديث، للتهانوي، ص١٥٦.

(٣) السنن الكبرى: ٦/٣٠٠.

وحَفِظه مَعْمَر بن راشـــد فرواه مفصَّلاً، وجعله من قــول الزهري، منقطعاً عن الحديث)[١].

فثَبَت أن قصة قعودِ عليٍّ عن بيعة أبي بكر مرسَلة من الزهري، ومرسَلاتُ الزهري ليست بشيء، وقد عارضَتْهُ رواياتٌ موصولة صحيحة عن أبي سعيد الخُدْري وعبدالرحمن بن عوف وعلي نفســه وغيرهم، تبيِّن أن عليّاً ﷺ لم يقعد عن البيعة، وإنما بايع الصديق بعد قصة السقيفة فوراً[٢].

- وقوله: (لم نَنْفَــس عليك خيراً ســاقه الله إليك): أي: لم نحســدْكَ على الخلافة.
- وقوله: (اســتبددتَ): أي: لم تشــاوِرْنا فــي أمر الخلافة، كمــا في قوله المتقدم: (ما غَضِبْنا إلا لأنَّا أُخِّرنا عن المشورة).
- وقوله: (وكنا نَرى لقرابتنا من رســول الله ﷺ نصيبــاً): أي: لأجلِ قرابتنا منه ﷺ نرى أن لنا في الخلافة نصيباً، وهذا اجتهاد منه لا نصَّ فيه.
- وقوله: (موعدك العشــية للبيعة): فهذه البيعة التــي وقعت من علي لأبي بكر بعد وفاة فاطمة ؛ بيعــة مؤكِّدة للصلح الذي وقع بينهما، وهي ثانية للبيعة التي ذكرناها صبيحة يوم السَّقيفة. ولم يكن علي مجانباً لأبي بكر هذه الستة الأشهر، بل كان ملازماً له كما أوضحناه[٣].

فالســيدة فاطمة لمَّا عتبت على الصديق بشــأن ميراث النبي ﷺ، احتاج علي أن يراعي خاطرها بعض الشــيء، فلما ماتت بعد ســتة أشهر من وفاة أبيها ﷺ رأى علي أن يجدِّد البيعة مع أبي بكر ﷺ[٤].

---

(١) الاعتقاد على مذهب السلف، ص ١٨٠.
(٢) انظر: تكملة فتح الملهم: ٣/٦٣.
(٣) وانظر: البداية والنهاية: ٥/٢٨٦، ٦/٣٠٢.
(٤) البداية والنهاية: ٥/٢٥٠.



وبسبب ذلك أظهرَ عليٌّ البيعة ثانيةً بعد موت فاطمة عليها السلام؛ لإزالة شبهة من يتوهَّم عدمَ الرضا بخلافة أبي بكر(١).

ونتيجة هذه البيعة الثانية توهم بعضُهم أن عليّاً لم يبايع الصديق طوال ستة أشهر(٢).

ثالثاً: مواقف علي في حروب الردة والفتوحات:

عندما بايع علي أبا بكر اعتبر نفسه جنديّاً في إدارته، ولم يتردد في القيام بأية مهمة يَعهد بها إليه، وانخرط بملء إرادته في دولة الخلافة ومنحها كل طاقاته، وقد برز دوره في حروب الردَّة ثم في انطلاق الفتوحات خارج الجزيرة العربية.

●● ومن الأدلة الساطعة على إخلاص علي لأبي بكر، ونصحه للإسلام والمسلمين، وحرصه على الاحتفاظ ببقاء الخلافة واجتماع شمل المسلمين: ما جاء في موقفه من توجُّه أبي بكر بنفسه إلى ذي القَصَّة لحرب المرتدين، فقام يقود براحلته، وألحَّ هو وصحابة آخرون على الصديق بأن يرجع إلى المدينة، وأن يبعث لقتال الأعراب غيرَه ممن يؤمِّره من أبطال الصحابة، وقال له: (والله لئن أُصِبْنا بكَ لا يكون للإسلام بعدك نظام أبداً)، فعقد أبو بكر الألوية لأحد عشر جيشاً، ورجع إلى المدينة(٣).

وقام أبو بكر بعمل مهم لحماية المدينة، فوضع على مداخلها وطُرقها الجبلية الحراسَ، وعيَّن على الحراس أمراء، وهم: علي بن أبي طالب،

---

(١) الفتح: ٥٢٦/٩.

(٢) تكملة فتح الملهم: ٦٥/٣.

(٣) انظر ما تقدم: ص٢٥٩ ـ ٢٦٠ حاشية (١) في هذا الكتاب؛ البداية والنهاية: ٣١٤/٦ـ٣١٥؛ المرتضى، ص ٨٩ـ٩٠. ذو القصة: موضع بينه وبين المدينة (٢٤ ميلاً).

وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقّاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم[١].

•• ولما عزم الخليفة أبو بكر على توجيه الجيوش إلى الشـام لتحريرها من سلطة الرومان، جمع رؤوس الصحابة واستشارهم، فوافقه بعضهم، وقال آخرون: (ما رأيت من رأي فأَمْضِه، فإنَّا لا نُخالِفُك ولا نتهمُك).

(وعليٌّ في القوم لم يتكلم، فقال أبو بكر: ماذا ترى يا أبا الحسـن؟ فقال علي: أرى أنك إنْ سرتَ إليهم بنفسك أو بعثتَ إليهم؛ نُصِرت عليهم إن شاء الله. فقال: بشَّرَكَ الله بخير! ومن أين علمتَ بذلك؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يـزالُ هذا الدين ظاهراً على كل من نـاوَأَه حتى يقومَ الدين وأهلُه ظاهرون**»[٢] فقال: سبحان الله، ما أحسـنَ هذا الحديثَ! لقد سررتني به سَرَّكَ الله)[٣].

رابعاً: علي في مجلس الشورى:

وكان علي رضي الله عنه من وجوه الصحابة الذين شكَّلوا (مجلس الشورى) الذي يرجع إليه خليفة المسـلمين أبو بكر، لتسـيير أمور الدولة وحلّ المعضلات والبتّ في القضايا الكبرى، وتحديد سياسـة الحكم، وما يهم الأمة وشؤون الإسلام ودعوته.

يروي عبدالرحمن بن القاسم، عن أبيه القاسـم بن محمد بن أبي بكر: (أن أبا بكر الصديـق كان إذا نزل به أمرٌ يريد فيه مشـاورة أهلِ الرأي وأهلِ

---

(١) البداية والنهاية: ٣١١/٦.

(٢) هذا حديث «الطائفة المنصورة» وهو في الصحيحين وغيرهما، وقد شـرحته بتوسـع في كتابي: نبوءات الرسول ﷺ: ٤٩٥/٣.

(٣) مختصر ابن عساكر: ١٨١/١ ـ ١٨٣؛ تاريخ اليعقوبي: ١٩/٢.

الفقه، ودَعَا رجالاً من المهاجرين والأنصار ـ دعا عمرَ وعثمان وعلياً وعبدالرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأُبيّ بن كعب وزيد بن ثابت، وكل هؤلاء كان يفتي في خلافة أبي بكر، وإنما تصير فتوى الناس إلى هؤلاء. فمضى أبو بكر على ذلك، ثم ولي عمر فكان يدعو هؤلاء النفر)[1].

خامساً: أبو بكر وعلي وآل البيت حب راسخ متبادل:

وقد كانت علاقة خليفة المسلمين أبي بكر مع السادة الكرام علي والحسن والحسين وآل البيت عامة ـ علاقةَ صلةٍ دائمة وودٍّ ومحبة وتقدير وإكرام متبادل، ونابعة من قلوب زكية صافية طاهرة مخلصة، محفوظة بوشائج الإيمان الراسخ الملتزم بالعناية الرفيعة النبيلة والوفاء لوصية النبي ﷺ بآل البيت الطاهرين، مكمَّلةً بعلائق المصاهرة والنَّسب بين آل البيت وخليفة رسول الله ﷺ.

١ ـ عن عُقْبة بن الحارث قال: (خرجتُ مع أبي بكر الصديق من صلاة العصر، بعد وفاة النبي ﷺ بليالٍ، وعليٌّ يمشي إلى جَنْبه، فمرَّ بحسن بن علي يلعب مع غِلمانٍ، فاحتمله على رقبته وهو يقول:

وا بأبي شِبهُ النبيّ ليس شبيهاً بعليّ

قال: وعليٌّ يضحك)[2].

٢ ـ وروى ابن عُمر، عن أبي بكر قال: (ارقُبُوا محمداً ﷺ في أهل بيته)[3].

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣٥٠/٢؛ وبأخصر منه في تاريخ اليعقوبي: ٢٦/٢.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٤٢، ٣٧٥٠)؛ وأحمد (٤٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣٧١٣، ٣٧٥١).

٣ ـ وتقدَّم قولُ أبي بكر: (والذي نَفْسي بيدِهِ، لَقَرابةُ رسولِ الله ﷺ أَحَبُّ إليَّ أن أَصِلَ من قرابتي)(١).

٤ ـ وعن عبدالرحمن بن الأصبهاني قال: (جاء الحسن بن علي إلى أبي بكر وهو على منبر رسول الله ﷺ، فقال: انزل عن مجلس أبي(٢)، قال: صدقتَ، إنه مجلس أبيك! ثم أجلَسَه في حَجْرِه، ثم بكى. فقال عليٌّ: والله ما هذا عن أمري، فقال: صدقْتَ، والله ما اتَّهَمْتُك)(٣).

وكان الحسن في خلافة أبي بكر ابنَ نحو عشر سنين.

٥ ـ ولم يستطع غُلاة الرافضة أن يكتموا كل الحقائق، فذكر بعضُهم في كتبهم أخباراً تؤكد العلاقة الوثيقة والألفة التامة والمحبة الصادقة بين الصديق وبين عليّ وعامة آل البيت الأطهار(٤).

ذكر شيخُ الطائفة أبو جعفر الطُّوسي، عن الضحَّاك بن مُزاحم: أنه قال: (سمعتُ علي بن أبي طالب يقول: أتاني أبو بكر وعمر فقالا: لو أتيتَ رسولَ الله ﷺ وآله، فذكرتَ له فاطمة. قال: فأتيتُه، فلما رآني رسول الله ﷺ وآله ضحك، ثم قال: ما جاء بك يا علي؟ وما حاجتك؟ قال: فذكرتُ له قرابتي وقدمي في الإسلام ونصرتي له وجهادي، فقال: يا علي صدقتَ، فأنت أفضل مما تذكره. فقلت: يا رسول الله، فاطمة تزوجنيها)(٥).

---

(١) انظر: ص ٢٦٢ في هذا الكتاب.
(٢) يريد جدَّه النبي ﷺ.
(٣) ابن عساكر «ترجمة أبي بكر»، ص ٤١٣ ـ ٤١٤؛ تاريخ الخلفاء، ص ٨٠.
(٤) وقد نقل كثيراً من ذلك من كتبهم العلاّمةُ إحسان إلٰهي ظهير في كتابه القيم: «الشيعة وأهل البيت».
(٥) الأمالي: ٣٨/١، علي والخلفاء، ص ٢١.

وقد فصَّل في ذكر هذه الرواية الملّا باقر المجلسـي الرافضي المتحرق الشـتام، حيث لم يسـتطع تجاهلَها، فذكرها في كتابه «جلاء العيون»[١]. وقد ثبت بالروايات الصحيحة أن أبا بكر وعمر وسعد بن معاذ كانوا شهوداً على الزواج[٢].

وبقيت هذه العلاقة حتى وفاة السـيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، ففي كتب الشيعة ـ كذلك ـ أن أسـماء بنت عُميس زوجَ أبي بكر هي التي كانت تمرِّض فاطمة في مرض موتها، وكانت معها حتى الأنفاس الأخيرة، وشاركت في غسلها وترحيلها إلى مثواها[٣].

وكان أبو بكر دائمَ الاتصال بعليٍّ ويسألُه عن صحة فاطمة الزهراء، وذلك مثبت في كتب القوم المتقدمة: (فمرضت ـ أي فاطمة ـ وكان علي يصلي في المسـجد الصلوات الخمس، فلمـا صلَّى قال له أبو بكـر وعمر: كيف بنت رسـول الله؟). ولما قُبضت ارتجَّت المدينة بالبكاء، (وأقبـل أبو بكر وعمر يعزِّيان عليّاً ويقولان: يا أبا الحسن، لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول الله!)[٤].

٦ ـ وآلُ البيت جميعاً وفي مقدمتهم عليٌّ على تعظيمِ أبي بكر وتفضيلِه والثناءِ عليه وتولِّيه والتبرُّؤ ممن يُعاديه، وشـواهد ذلك كثيرة في كتب السُّنَّة والشيعة!:

ـ هذا علي قد سمى ثلاثة من أبنائه بأسـماء إخوانه الخلفاء الثلاثة قبله: أبو بكر، وعمر، وعثمان.

---

(١) جلاء العيون: ١/١٦٩.

(٢) الأمالي: ١/٣٩؛ جلاء العيون: ١/١٧٦؛ بحار الأنوار: ١٠/٣٨ـ٣٩؛ الشـيعة وأهل البيت، ص ٧٣ـ٧٤.

(٣) الأمالي: ١/١٠٧؛ جلاء العيون: ١/٢٣٧.

(٤) كتاب سليم بن قيس، ص٣٥٣، ٣٥٥.

ـ وروى جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال: (وَلِيَنا أبو بكر الصديق خليفةُ رسول الله ﷺ؛ فخيرُ خليفة: أَرحمُهُ بنا، وأَحْنَاهُ علينا)[١].

ـ وقال أبو حازم الأعرج: (ما رأيتُ هاشميّاً أفقهَ من علي بن الحُسين، سمعتُه وقد سُئل: كيف كانت منزلةُ أبي بكر وعمر عند رسول الله ﷺ؟ فأشار بيده إلى القبر، ثم قال: بمنزلتهما منه الساعة!)[٢].

ـ وعن عروة بن عبد الله قال: (سألتُ أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام عن حِلْيَة السيف؟ فقال: لا بأسَ به، قد حلَّى أبو بكر الصديق سيفَه! قال: قلتُ: وتقول الصديقُ؟! فوثب وثبة واستقبل القبلة، فقال: نَعمْ الصديقُ! فمن لم يَقلْ له الصديق فلا صَدَّق الله له قولاً في الدنيا والآخرة!)[٣].

ـ وسئل جعفر الصادق: (يا ابنَ رسول الله، ما تقولُ في حق أبي بكر وعمر؟ فقال عليه السلام: إمامان عادلان مُقسِطان، كانا على الحق، وماتا عليه، فعليهما رحمة الله يوم القيامة)[٤].

٧ ـ ومن أعظم الأدلة على الحبِّ الراسخ المتبادَل بين علي وآل البيت وبين أبي بكر؛ أن آل البيت عقدوا وشائجَ المصاهرة بينهم وبين آل أبي بكر، وهل يُصْهِر المرء إلا لمن يحب؟! وهل يتزوج الرجل امرأة يكرهها وتكرهه، ويرى كل منهما في الآخر عدوّاً له ومغتصباً لحقِّه؟!:

---

(١) أخرجه الحاكم: ٧٩/٣ وصحَّحه، ووافقه الذهبي؛ وعزاه الحافظ في (الإصابة: ٣٣٥/٢) للبغوي، وقال: سنده جيد.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٣٩٤/٤ـ٣٩٥. وانظر خبراً مطولًا في: كشف الغمة، للإربلي: ٧٨/٢.

(٣) كشف الغمة، للإربلي: ١٤٧/٢؛ الشيعة وأهل البيت، ص ٥٤ـ٥٥.

(٤) إحقاق الحق، للشوشتري: ١٦/١.



- فالسيدة أسماء بنت عُمَيْس زوجُ جعفر بن أبي طالب، وقد استُشهد عنها، فتزوجها بعده أبو بكر، فمات عنها، وتزوجها بعده علي بن أبي طالب فولدت له ابنه يحيى(١).

- وتزوج محمد بن علي بن الحسين المعروف بالباقر من حفيدة أبي بكر الصديق: أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وأمها أسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر.

وأم فروة هذه هي أم جعفر الصادق، ولهذا كان يقول مفتخراً: ولَدَني أبو بكر مرتين(٢).

- والقاسم بن محمد بن أبي بكر وزين العابدين علي بن الحسين بن عليّ هما ابنا خالة(٣).

- وذكر أهل الأنساب والتاريخ أن الحُسين بن علي بن أبي طالب تزوَّج حفصة بنت عبدالرحمن بن أبي بكر(٤).

٨ ـ وأما ثناء سيدنا علي على سيدنا أبي بكر فهو كثير مشهور منشور، وقد ذكرنا طرفاً جيداً منه(٥).



---

(١) الإرشاد، للمفيد، ص ١٨٦.

(٢) الكافي، للكليني: ٢٨٣؛ عمدة الطالب، ص ١٩٥.

(٣) جلاء العيون، للمجلسي، ص ٦٧٣ ـ ٦٧٤.

(٤) الشيعة وأهل البيت، ص ٧٩.

(٥) انظر: ص ٢٤٢ ـ ٢٤٥ في هذا الكتاب.

الفصل الثالث

عليٌّ في عهدِ الفَاروق

يلتقــي الرجلان العظيمان الفــاروق عمر والمرتضى علــي في كثير من الصفات والشــمائل، وأبرزها الصلابة في الحق والقــوة والجرأة والصراحة والزهادة والتقشف والورع والإخلاص والنُّبل وبلوغ الغاية في خدمة الإسلام والمسلمين والحرص على الدعوة والأمة والدولة.

وتؤكد الدراســة الناقدة والبحث النزيه وروايات أهل السُّنَّة الصحيحة الثابتة وكثير من مصادر الشــيعة المتقدمة، مثل: «نهج البلاغة» وشــرحها لابن أبي الحديد وابــن مَيْثَم البَحْراني، و«الكافي» للكُلِيني، و«الشــافي» للشريف المرتضى، و«الأمالي» لشــيخ الطائفة الطوسي، و«بحار الأنوار» للمجلســي، وغيرها ـ أن هَدْي الفاروق مع علي وسيرة علي مع الفاروق كانت على أنبل أخلاق الرجال الذين هم صنعــة النبوة، وأن عليّاً قد بايع عمر بيعة صحيحــة صريحة مخلصة ورأى فيه مرآة هــدي النبوة، وزوَّجه ابنته أم كلثوم، ولازَمَه وناصَحَه وأشــار عليه بأحسن الآراء، وحرص على حياته أشد الحرص، ورثاه عند استشــهاده بأروع الكلام، وخلَّد ذِكْرَه بعد وفاته فســمَّى أحد أبنائه باســمه؛ محبةً له وتيمناً به وإجلالاً لمنزلته عند النبي ﷺ وفي أمة الإسلام. كما أن عمر قدَّم عليّاً على نظرائه، وأثنى عليه في وجهه وأمام الصحابة، وأنَابَهُ غيرَ مرة على أمور المسلمين في المدينة، وأَســنَد إليه القضاء فيها، وأبقاه بجانبــه في جماعة مــن أكابر الصحابة

ورجال الشورى ليكونوا له وزراء وأعواناً في تسيير شؤون الدولة، وسَمَّاه في ستة رجال للشورى ليكون بعده خليفة المسلمين ورَجَّح جانبه على من سواه.

أولاً: بيعة علي للفاروق عمر:

ـ في الحديث الصحيح الطويل الذي يرويه الحسن البصري، عن علي: أنه ذكر خلافة الصديق، ولمَّا حضره أجَلُه: (أشار بعمرَ ولم يسألُ، فبايَعَه المسلمون وبايعتُه معهم...) الحديث[1].

ـ وأثبت هذا شيخُ الطائفة الطُّوسي، حيث يروي عن علي ﷺ: أنه قال: (فبايعتُ عمرَ كما بايعتُموه، فوفيتُ له بيعتَهُ، حتى لما قُتل جعَلَني سادسَ ستة، ودخلتُ حيث أَدخلني)[2].

ـ واحتَجّ عليٌّ على صحة بيعة الناس له بالخلافة بصحة بيعة الخلفاء الثلاثة قبله، فجاء في كتابه إلى معاوية بن أبي سفيان: (إنه بايَعَني القومُ الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه...)[3].

ـ وفي كتاب «الغارات» للثقفي، عن عليٍّ: أنه قال: (فلما احتُضِر أبو بكر بَعث إلى عمر فولَّاه، فسَمِعْنَا وأطعنا وناصَحْنَا)[4].

ـ وتبجيلاً من علي للفاروق عمر، وإظهاراً لمنزلته؛ كثيراً ما كان يخاطبه بإمرة المؤمنين:

---

(١) تقدم مطولًا: ص٢٥٦ في هذا الكتاب.
(٢) الأمالي، للطوسي: ١٢١/٢.
(٣) شرح نهج البلاغة: ٢٥٨/٧؛ وتقدم بتمامه: ص٢٥٩ في هذا الكتاب.
(٤) الغارات: ٣٠٧/١. **والثقفي**: هو إبراهيم بن محمد، من علماء الإمامية، توفي (٢٨٣هـ).

عن أبــي ظَبْيــان: (أن عليّاً قــال لعمر: يا أميــرَ المؤمنين، أَمَا ســمعتَ رســول الله ﷺ يقول: «**رُفع القلمُ عــن ثلاثة: عن النائم حتى يســتيقظ، وعن الصغير حتى يكبَر، وعن المُبتلَى حتى يَعْقِل**»؟)(١).

ثانياً: مكانة علي في الدولة العمرية:

بقيت منزلة علي في دولــة الخلافة على ما كانت عليــه زمن أبي بكر، وكان له مكان الصدارة مع عِلْيَة الصحابة وفي مجلس الشورى الذي يدير مع الفاروق سياسة الدولة وشؤون الدعوة والأمة.

●● ومــن أبرع الأدلــة على ذلك: أن عمر اســتناب عليّاً غيــر مرة على المدينة، فكان بهذا (نائب رئيس الدولة) في عاصمة الخلافة.

١ ـ ففي ســنة (١٤هـ) أراد عمر أن يغزو الفرس بنفسه، فاستخلف عليّاً على المدينة، وخرج في الجيش وعسكر في (صِرَار) ـ موضع ناحية المدينة على طريق العراق ـ فأشار عليه عبدالرحمن بن عوف بأن يؤمِّر سعد بن أبي وقّاص، ففعل، وكانت وقعة القادسية(٢).

٢ ـ وفي سنة (١٥هـ) أو (١٦هـ) سار عمر إلى الشام لفتح بيت المقدس، وجعل عليّاً على المدينة نائباً عنه(٣).

٣ ـ وفي سنة (٢٣هـ) حَجّ عمر بأمهات المؤمنين، واستخلف عليّاً على المدينة(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (١٣٦٠)، وصحَّحه أحمد شــاكر، وســيأتي مطولًا: ص٢٧٨ حاشــية (٣) في هذا الكتاب.

(٢) تاريخ الطبري: ٣/٤٨٠ـ٤٨١؛ البداية والنهاية: ٧/٣٥.

(٣) تاريخ الطبري: ٣/٦٠٨؛ البداية والنهاية: ٧/٥٥.

(٤) المنتظم: ٤/٣٢٧.

●● واستقبل الفاروق خلافته سنة (١٣هـ)، وعيَّن عليّاً قاضياً على المدينة[١]، مع وجود عمر فيها، وهذا فيه من الإجلال لعليّ ورفْعِ منزلته ما لا يَخفى.

عن إبراهيم النَّخَعي قال: (لمَّا ولي عمر ﷺ قال لعليّ ﷺ: اقضِ بين الناس، وتجرَّدْ للحرب!)[٢].

●● وكان (مجلس الشورى) في عهد عمر يضم نخبة رجال الأمة من الأعيان والكهول والشبان، ومن رؤوس هذا المجلس: عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف والعباس وابنه عبدالله. وأكابر الأنصار مثل: أُبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت، وأضرابهم[٣].

ثالثاً: دور علي البارز في الشؤون القضائية والفقهية:

●● اشتهر علي ﷺ بالقضاء؛ ببركة دعوة النبي ﷺ له، وبما آتاه الله من ذكاء وقَّاد وفطنة حاضرة، وكان عمر يشيد به في هذا ويلجأ إليه في المعضلات.

عن ابن عباس، عن عمر بن الخطاب قال: (أَقرؤُنا أُبَيٌّ، وأقضانا عليٌّ)[٤].

وعن سعيد بن المسيِّب قال: (كان عمر بن الخطاب يتعوَّذ من مُعضِلة ليس لها أبو الحسن)[٥].

---

(١) البداية والنهاية: ٣١/٧.
(٢) المنتظم: ١٣٦/٤.
(٣) انظر كتابي: عمر بن الخطاب، ص ٣٥٨ـ ٣٦٠؛ منهاج السُّنَّة: ٤١٦/٤.
(٤) تقدم: ص١٣٧ في هذا الكتاب؛ وهو في: الأمالي، للطوسي: ٢٥٦/١.
(٥) طبقات ابن سعد: ٣٣٩/٢؛ ابن عساكر: ٣٩/٣.

وعن قيس بن أبي حازم قال: (لقد شهدتُ عمرَ أَشكل عليه شيء، فقال: هاهنا علي؟)(١).

•• وأما ما روي عن عمر: أنه قال: (لولا علي لهلك عمر)(٢):

فلم نَرَهُ بإسناد ثابت، وإنْ صحَّ فهو من تواضع عمر وإشادته بعليٍّ رضي الله عنهما. وما نـراه يَصِحُّ، فإن الفـاروق كان (إذا نزلت النازلة يشـاور عثمـان وعليّاً وعبدالرحمن بن عوف وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبا موسى، حتى يشاور ابن عباس وكان من أصغرهم سنّاً)(٣).

وعمر كان يشاورهم كلَّهم، وهو أعلمُ منهم، وكان كثير من القضايا يقول فيها أولاً ثـم يتبعونه. وقد أخبر النبـي ﷺ في حق عمر مـن العلم والدين والإلهام؛ بما لـم يُخبر بمثله، لا فـي حق عثمان ولا علـي ولا طلحة ولا الزبير(٤). وقد جلينا ذلك في كتابنا «عمر بن الخطاب».

ومن هذا القبيـل قول بعضهم: (ما اقترح علي علـى عمر رأياً إلا واتجه عمر إلـى تنفيذه عن قناعـة). وقائل هذا عكَس الأمرَ بعـد صفحة من كتابه فقال: (إن عليّاً كان كثيراً ما يرجع عن رأيه إلى رأي عمر)(٥)!.

ونحوه ما نقله النَّدْوي في كتابه «المرتضى» عن كتاب «الفاروق» للعلّامة شـبلي النعماني: (إن عمر رضي الله عنه لم يكن يبتّ برأي في مهمات الأمور قبل أن يستشير عليّاً رضي الله عنه)(٦).

---

(١) الفتح: ٢٠٠/١٧، كتاب الاعتصام، باب (٢٨).

(٢) الاستيعاب: ٣٩/٣؛ وذكره ابن المطهر الحلي: منهاج السُّنَّة: ٤١٧/٤.

(٣) منهاج السُّنَّة: ٤١٨/٤.

(٤) منهاج السُّنَّة: ٤١٩/٤.

(٥) علي بن أبي طالب، للدكتور علي الصلابي، ص ١٨١ ـ ١٨٢.

(٦) المرتضى، ص ١١٠.

وهذا وذاك غير صحيح: فعليٌّ ﷺ كان من أهل الشورى كعثمان وطلحة والزبير وابن عوف وابن مسعود وزيد وابن عباس وغيرهم، وعمر كان يشاورهم، ولم يكن أبو بكر ولا عمر ولا غيرهما من أكابر الصحابة يَخُصَّان عليّاً بسؤال[1].

وعمرُ أفقهُ من عليٍّ وأعلمُ، وأقلُّ منه خطأً في مسائل الفقه والاجتهاد، وقد جمع العلماء مسائلَ الفقه التي ضُعِّف فيها قولُ أحدهما، فوجدوا الضعيفَ في أقوال علي أكثر[2].

أمثلة عن استشارة عمر عليّاً:

١ ـ عن أبي ظَبْيَان الجَنْبي: (أن عمر بن الخطاب أُتِي بامرأة قد زَنَتْ، فأَمر برجْمِها، فذهبوا بها ليرجموها، فلقِيَهُم علي فقال: ما هذه؟ قالوا: زنت، فأَمر عمرُ برجمها، فانتزَعَها عليٌّ من أيديهم ورَدَّهم، فرجعوا إلى عمر، فقال: ما رَدَّكم؟ قالوا: رَدَّنا علي، قال: ما فعل هذا علي إلا لشيء قد عَلِمه، فأَرسل إلى عليٍّ، فجاء وهو شِبهُ المُغْضَب، فقال: ما لَكَ رَدَدْتَ هؤلاء؟ قال: أمَا سمعتَ النبي ﷺ يقول: «**رُفِع القلم عن ثلاثةٍ: عن النائمِ حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المُبتلى حتى يَعْقِل**»؟ قال: بلى، قال علي: فإن هذه مُبْتَلاةُ بني فلان، فلعلَّه أتاها وهو بها! فقال عمر: لا أدري، قال: وأنا لا أدري. فلم يرجُمْها). وفي رواية: (قال: صدقت. قال: فخلَّى عنها)[3].

٢ ـ وعن عِكْرِمة: (أن عمر بن الخطاب شاور الناسَ في جَلْد الخمر، وقال: إن الناس قد شربوها واجترؤوا عليها، فقال عليٌّ: إن السَّكْران إذا

(١) منهاج السُّنَّة: ٥١٣/٣.
(٢) انظر: منهاج السُّنَّة: ٦٣١/٢ ـ ٦٣٢، ٥٣٥/٣ ـ ٥٣٦، ٥٤٣ ـ ٥٤٤.
(٣) أخرجه أحمد (١٣٢٧)؛ وأبو داود (٤٤٠١، ٤٤٠٢)؛ والنسائي في الكبرى (٧٣٠٣)؛ وابن حبان (١٤٣)، وغيرهم، وصحَّحه أحمد شاكر والألباني.

سَـكِر هَذَى، وإذا هذَى افترى، فاجعَلْه حدَّ الفِرية. فجعلـه عمر حَدَّ الفرية ثمانين)[١].

٣ ـ وعن قتادة قال: (رُفع إلى عمر امرأةٌ ولدَتْ لستة أشهر، فسأل عنها أصحابَ النبي ﷺ، فقـال علي: ألا ترى أنه تعالـى يقول: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، وقـال: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤]؛ فـكان الحملُ هاهنا ستة أشهر. فتركها)[٢].

٤ ـ وعن الحسن البصري: أن عمر أَرسل إلى امرأة قد غاب زوجُها عنها، وكان يتحدث عندها الرجال، فجاءَتْه وهي فَزِعة، فضَربَها الطلْقُ في الطريق، فولدت صبيّاً صاح صيحتين ثم مات! فاستشار عمر في ديته، فقال عليٌّ: أرى أن ديته عليك[٣]!.

٥ ـ وعن الأسـود بن يزيد: (أن رجلاً قُتل في الكعبة، فسـأل عمرُ عليّاً، فقـال: من بيت المـال)[٤]. أي: ديته. وهـذا قُتل في الزِّحام كمـا بوَّب عليه عبدالرزاق.

٦ ـ وروى الشـعبي: (عن عَبيدة السَّلْماني، عن عليٍّ قال: استشارني عمرُ في بيع أمهات الأولاد، فرأيـتُ أنا وهو: إذا وَلَـدتْ أُعْتِقَتْ، فقضَى به عمر حياته، وعثمـان من بعده. فلما وليتُ الأمر من بعدهمـا رأيت أن أَرُقَّها. قال الشعبي: فحدَّثني ابن سيرين، قال: قلتُ لعَبِيدة: ما ترى؟ قال: رأيُ عمر وعلي في الجماعة أحبُّ إليَّ من قول علي حين أدرك الخلاف)[٥].

---

(١) أخرجه عبدالرزاق (١٣٥٤٢)؛ ومن طريق آخر في موطأ مالك: ٨٤٢/٢.

(٢) أخرجه عبدالرزاق (١٣٤٤٣)؛ الإرشاد، للمفيد، ص ٣١٢؛ منهاج السُّنَّة: ٥٧٣/٣ـ٥٧٤.

(٣) أخرجه عبدالرزاق (١٨٠١٠)؛ وهو في الإرشاد، ص ١١٠.

(٤) أخرجه عبدالرزاق (١٨٣١٧).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة: ١٨٤/٥.

وقول علي هذا هو سـببُ ما جاء عنه في «صحيح البخاري»، عن عَبِيدة السَّلماني، عن علي ﷺ قال: (اقْضُوا كما كنتم تقضون، فإنّي أكرهُ الاختلافَ، حتى يكون الناس جماعةً، أو أموتَ كما مات أصحابي)[١].

قال ابن تيمية: (وكان ما يقوله عمر يشـاور فيه عثمـان وعليّاً وغيرهما، وعليٌ مع هؤلاء أقوى من علي وحده، كما قال له قاضيه عَبيدة السَّـلْماني: رأيُكَ مع عمر في الجماعة أحبُّ إلينا من رأيك وحدك في الفرقة!)[٢].

رابعاً: دور علي في التنظيمات الإدارية والمالية:

واسـتمر علي يمارس دوره البارز في إدارة أمـور الدولة، ولا يتردد عمر في الأخذ بمشورته وهو يرى منه الإخلاص للإسلام، والحفاظ على مصالح الدولـة والأمـة، والمحبة الصادقـة له والحرص علـى حياته وسلامته.

١ ـ ومن أبرز الأمثلة وأعجبها أن عليّاً شارك في تحديد (راتب الخليفة) ونفقتِه على نفسه وأهله.

لما ولي عمر الخلافة مكث زماناً لا يأخذ من بيت مال المسلمين شيئاً، حتى دخلـت عليه في ذلك خَصَاصَة، وأرسـل إلى أصحاب رسـول الله ﷺ فاستشارهم، فقال: قد شغلتُ نفسـي في هذا الأمر، فما يَصلح لي منه؟ فقال عثمان بن عفان: كُلْ وأَطْعِم، وقال ذلك سـعيد بن زيد، وقال لعليٍّ: ما تقول أنت في ذلك؟ قال: غداء وعشاء، فأخذ عمر بذلك[٣].

---

(١) البخـاري (٣٧٠٧)؛ وقد تقدم: ص٢٤٦ في هذا الكتاب؛ وانظـر كلام الحافظ في: الفتح: ٦٦٦/٨.

(٢) منهاج السُّنَّة: ٣٧٨/٤. وقول عبيدة لعلي: في مصنف ابن أبي شيبة: ٤٦/٤.

(٣) طبقات ابن سعد: ٣٠٧/٣.

٢ ـ ومن أهم مشوراته: اقتراحُه البدءَ بالتاريخ الإسلامي ابتداءً من الهجرة النبوية إلى المدينة.

قال سعيد بن المسيِّب: (جمع عمر الناس فسألَهم: من أي يوم نكتب التاريخ؟ فقال علي بن أبي طالب: من يوم هاجر رسول الله ﷺ وترك أرضَ الشرك. ففعله عمر)(١).

٣ ـ وكذلك شاوره عمر بشأن الأرض المفتوحة، فوافق عليٌّ عمرَ على رأيه في ضرب الخَرَاج عليها وعدم توزيعها على الفاتحين(٢).

٤ ـ ولما أراد عمر وضع (الدِّيوان) وتسجيلَ الأسماء وترتيبها تقديماً وتأخيراً، استشار الناس، فقال له علي وعبدالرحمن بن عوف: (ابدأ بنفسك، فقال عمر: لا، بل أبدأ بعمِّ رسول الله ﷺ ـ العباس ـ ثم الأقرب فالأقرب).

فبدأ ببني هاشم، ثم أهل بدر، فمن بعدهم على السابقة(٣).

خامساً: دور علي في شؤون الجهاد والفتوحات:

كان من سياسة عمر أنه استبقى في المدينة ثلَّة من عِلْيَة الصحابة ليُشركهم في حمل أعباء الحكم والخلافة، فكان من جملة أعمالهم المشاركة الفاعلة في إدارة شؤون الجهاد والفتوح، وقد برز دور علي في هذا مثل ما برز في غيره.

---

(١) التاريخ الأوسط: ٨٧/١؛ تاريخ الطبري: ٣٨/٤ـ٣٩؛ المستدرك: ١٤/٣، وصحَّحه الحاكم، ووافقه الذهبي. وانظر كتابي: عمر بن الخطاب، ص ٥١٠ـ٥١١.

(٢) انظر تفصيل ذلك في كتابي: عمر بن الخطاب، ص ٤٢٨ـ٤٣٨. والخبر في تاريخ اليعقوبي: ٤٣/٢.

(٣) كتابي: عمر بن الخطاب، ص ٤٥١ـ٤٥٢. وانظر: تاريخ اليعقوبي: ٤٤/٢.

١ ـ أراد الخليفة عمر أن يسير بنفسه على رأس الجيش لغزو الروم، ليكسب شرف الجهاد ويكون قدوة لمن بعده في التضحية، واستشار أعيان الصحابة في ذلك، فضَنَّ علي بعمر وخشي عليه أن يُقتل، وهو قُطْب الرَّحى ورأسُ السلطة ومركز دائرة الحكم، وليست خسارته كخسارة أي قائد آخر مهما علا شأنه.

ففي «نهج البلاغة» الكتاب المقدس عند الشيعة، قال علي لعمر رضي الله عنهما: (وقد توكَّلَ الله لأهل هذا الدين بإعزاز الحَوْزَة، وسَتْر العورة، والذي نَصَرهم وهم قليلٌ لا ينتصرون، ومَنَعهم وهم قليلٌ لا يمتنعون ـ حيٌّ لا يموت.

إنك متى تَسِرْ إلى هذا العدو بنفسك، فتَلْقَهم فتُنكَبْ، لا يكنْ للمسلمين كهفٌ[١] دون أقصى بلادهم، ليس بعدَكَ مرجعٌ يَرجِعون إليه! فابعث إليهم رجلاً مِحْرَباً[٢]، واحْفِزْ معه أهلَ البلاء والنَّصِيحة، فإنْ أظهرَ اللهُ فذاكَ ما تحبُّ، وإنْ تكن الأخرى كنتَ رِدْءاً للناس ومَثَابة للمسلمين!)[٣].

٢ ـ وكان لعَليٍّ موقف مماثل بشأن جبهة الفرس حيث تجمعوا في جيش عرمرم قوامه نحو (١٥٠ ألف) مقاتل، فأراد عمر أن يغزو فارس بنفسه، فخشي عليه الصحابة وفي مقدمتهم علي، حيث جاء عنه كما في «نهج البلاغة» أيضاً أنه قال للفاروق:

(إن هذا الأمرَ لم يكن نصرُه ولا خُذلانُه بكثرة ولا بقلَّةٍ، وهو دينُ الله الذي أظهره، وجندُه الذي أَعدَّه وأمدَّه، حتى بَلَغ ما بلغ، وطَلَع حيثما طلع. ونحن على موعودٍ من الله، والله منجزٌ وعْدَه، وناصرٌ جنْدَه. ومكانُ القيِّم

(١) في رواية: كانفة، أي: جهة عاصمة.
(٢) أي: صاحب حروب.
(٣) شرح نهج البلاغة: ٤٣١/٤.

بالأمر مكانُ النظام من الخرز، يجمعُه ويضمُّــه، فـإن انقطع النظــام تفــرَّق وذهب، ثــم لم يجتمع بحذافيره أبداً.

والعربُ اليوم وإن كانوا قليلاً فهم كثيرون بالإسلام، عزيزون بالاجتماع، فكن قطْباً واســتَدِرِ الرحى بالعــرب، وأَصْلِهِمْ دونك نــارَ الحرب، فإنك إنْ شخصتَ من هذه الأرض انتَقَضتْ عليك العربُ من أطرافها وأقطارها، حتى يكونَ ما تَدَعُ وراءك من العوراتِ أهمَّ إليك مما بين يديك.

إن الأعاجمَ إنْ ينظروا إليك غداً يقولوا: هذا أصلُ العرب، فإذا اقتطعتُموه استرحتم، فيكونُ ذلك أشدَّ لِكَلَبِهم عليك وطمعِهم فيك.

فأما ما ذكرتَ من مســير القوم إلى قتال المسلمين؛ فإن الله ﷻ هو أكرهُ لمسيرهم منك، وهو أقدرُ على تغيير ما يكره. وأما ما ذكرتَ من عددِهم، فإنَّا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، وإنما كنا نقاتل بالنصر والمعونة)[(١)].

٣ ـ وسَــلَك عليٌّ عكسَ هذا الموقف عند فتح بيت المقدس، فقد طلب النصارى مــن أبي عبيدة أن يأتي الخليفة عمرُ إلــى القدس ويكتب (معاهدة الصلح) بيده، فيسلموه مفاتيح المسجد الأقصى.

فكتــب أبو عبيدة إلــى الفــاروق بذلك، فجمــع عمر كبــار الصحابة واستشــارهم، فأشــار عثمان بن عفان بأن لا يركبَ إليهم، ليكون أحقرَ لهم وأرغَمَ لأنوفهم. وأشار علي بن أبي طالب بالمسير إليهم، ليكونَ أخفَّ وطأةً على المســلمين فــي حصارهم. فهوي عمــر ما قال علي، ولــم يهوَ ما قال عثمان[(٢)].

---

(١) شــرح نهج البلاغة: ٧٤/٥؛ وبنحوه فــي تاريخ الطبــري: ١٢٣/٤ ـ ١٢٦؛ البداية والنهاية: ١٠٧/٧.

(٢) البداية والنهاية: ٥٥/٧.

وإنما اختار عليٌّ هذا الرأي لسببين:

الأول: عدم خوفه على نفس أمير المؤمنين عمر، حيث لا مواجهة مع العدو ولا قتال، بل هو مجرد عقد للصلح.

والثاني: ليكون لعمر ذلك الشرف الباذخ الخالد في فتح بيت المقدس. وهذا يدل على حب عميق وإجلال كبير من علي لعمر.

سادساً: مواقف عمر من علي وآل البيت:

•• ومما يؤكد على منزلة علي الرفيعة عند الفاروق عمر أنه جعله أحد ستة رجال يختار المسلمون أحدهم ليكون خليفة المسلمين، ومما جاء في عهده[١]:

(قال عمر: ادْعُوا علياً وعثمانَ وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعداً، فلم يكلِّمْ أحداً منهم غيرَ علي وعثمان، فقال: يا عليّ، لعلَّ هؤلاء القوم يعرفون لك قرابتَكَ من النبي ﷺ وصهرَكَ، وما آتاك الله من الفقه والعلم، فإن وَليت هذا الأمر فاتقِ الله فيه).

ثم قال عمر: (لو وَلّوها الأَجْلَح سَلَك بهم الطريق، فقال له ابن عمر: فما يمنعُكَ يا أمير المؤمنين؟ قال: أكره أن أتحمَّلها حيّاً وميتاً)[٢].

والأجلح: هو من انحسر الشعر عن جانبي رأسه، ويعني عليّاً.

وقول ابن عمر: (**فما يمنعك يا أمير المؤمنين**): أي ما يمنعك من تسمية علي وتعيينه للخلافة.

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتابي: عمر بن الخطاب، ص ٧١٨ ـ ٧٢١.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/٣٤١ ـ ٣٤٢؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٨/٥٧٧.

- وعن جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر: (أن عمر أقطَعَ عليّاً يَنْبُعَ وأضاف إليها غيرها)(١).

- وعن أبي السَّفَر قال: (رُئي على عليٍّ بُرْدٌ كان يُكثر لُبْسَه، فقيل له: يا أمير المؤمنين، إنك لتكثِر لُبْسَ هذا البُرْد! فقال: نعم، إنه كسانيه خليلي وصفيي وصديقي وخاصِّي عمر، إن عمر ناصَحَ اللهَ فنصَحَه اللهُ. ثم بكى)(٢).

- بل إن عمر كان يؤنِّب من يُسيء إلى علي ولو بالكلام، وقد نقل هذا الشيعةُ في كتبهم، من ذلك: (وقع رجل في عليٍّ عليه السلام بمحضر من عمر، فقال: تعرفُ صاحبَ هذا القبر؟ لا تذكرْ عليّاً إلا بخير، فإنك إن آذيتَهُ آذيتَ هذا في قبره)(٣) يعني النبي ﷺ.

●● وزاد من تمتين العلاقة ووثاقتها بين الرجلين العظيمين عمر وعلي: المصاهرةُ بينهما؛ فعن علي بن الحسين: (أن عمر بن الخطاب خطَب إلى علي أمَّ كلثوم، فقال: أنكحنيها، فقال علي: إني أرصدها لابن أخي عبدالله بن جعفر، فقال عمر: أنكحنيها، فوالله ما من الناس أحد يرصد من أمرها ما أرصده، فأنكحه علي. فأتى عمر المهاجرين فقال: أَلَا تهنُّوني، فقالوا: بمن يا أمير المؤمنين؟ فقال: بأم كلثوم بنت علي وابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ؛ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كلُّ سببٍ ونَسَب ينقطعُ يوم القيامة إلا ما كان من سببي ونسبي**» فأحببتُ أن يكون بيني وبين رسول الله ﷺ نسبٌ وسببٌ)(٤).

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٦٤٠/٧.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٤٨١/٧؛ الشريعة، للآجري: ٢٣٢٧/٥.

(٣) الأمالي، للطوسي: ٤٦/٢؛ الأمالي، للصدوق، ص ٢٨٤، المجلس (٦١).

(٤) أخرجه الحاكم: ١٤٢/٣، وغيره، وصحَّحه الألباني بطرقه: الصحيحة(٢٠٣٦)؛ صحيح الجامع (٤٥٢٧).

وقد أثبت هذا الزواج مُحدِّثو أهل السُّنَّة ومؤرخوهم، منهم الطبري وابن سعد والحاكم والطبراني والبيهقي وسعيد بن منصور وابن الأثير وابن كثير، وغيرهم.

وكذلك أثبته الشيعة في صحاحهم ومصادرهم المعتمدة، منهم: الكُلِيني، والشريف المرتضى، والإربلي، والشوشتري، والمجلسي، ونعمة الله الجزائري، وغيرهم الذين بلغ عددهم حدَّ التواتر[١]!.

•• وكان آل البيت وبنو هاشم في عهد عمر في أوج الإعزاز والتكريم؛ يقرِّبهم في مجلسه، ويقدِّمهم في العطاء، وابتدأ بهم لمّا دوَّن الدواوين، وقال للحسين: أنت أَوْلى بالدخول علَيَّ من عبد الله بن عمر[٢].

سابعاً: شذرات من مواقف علي وآل البيت من الفاروق عمر:

•• تواترت الأخبار التي تثبت بصراحة لا تقيَّة فيها حبَّ علي وأهلِ البيت للفاروق عمر، وإخلاصَهم له، وثناءَهم عليه، واستمر ذلك فيهم جيلاً بعد جيل، وقد حَفظت ذلك كتبُ أهل السُّنَّة والشيعة!.

في الكتاب المقدَّم عند جميع الشيعة «نهج البلاغة» أخبارٌ دامغةٌ لهم، تنصُّ صراحة على حبِّ علي الخالص لعمرَ ومدحهِ أعظمَ المدح؛ من ذلك قوله:

(للهِ بلادُ فلان، فلقد قوَّمَ الأَوَد، وداوَى العَمَد، وأقامَ السُّنَّة، وخَلَّف الفتنة، ذَهَب نقيَّ الثوب، قليلَ العيب، أصابَ خيرَها وسَبَق شرَّها.

أدَّى إلى الله طاعته، واتَّقاهُ بحقِّه، رَحَل وتركَهم في طُرق متشعِّبة، لا يهتدي بها الضالّ، ولا يَستيقن المهتدي)[٣].

---

(١) انظر: الشيعة وأهل البيت، ص ١٠٤ ـ ١٠٨.

(٢) قد فصلت القول في هذا في كتابي: عمر بن الخطاب، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٩.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٦/٢٠٧.

و(فلان) هــو عمر، كما جاء في النســخة من «نهج البلاغــة» التي بخط الرضي، نص على هذا الشــارح ابن أبي الحديد، وقد أنصف في شرح هذه الكلمة وأجاد في الرد على الطاعنيــن بالفاروق عمر، وأطال الكلام في نحو (٢٠٠) صفحة.

ـ وقال علي: (وتولَّى عمر الأمر، وكان مرضيَّ السيرة، ميمونَ النَّقِيبة)[١].

ـ وقال علي في أبي بكر وعمر: (إنهما إماما الهدى، وشــيخا الإســلام، والمُقتدى بهما بعد رسول الله، من اقتدى بهما عُصِم)[٢].

•• ولما آلت الخلافة إلى علي اقتدى بعمر، ولم يغير شــيئاً من أعماله، وكان يتمنى أن يلقى الله ﷻ بمثل عمله!.

ـ يروي أبو الكنــود عبدالرحمن بن عُبيــد: أن عليّاً لمَّا فَــرغ من وقعة الجمل، سار من البصرة إلى الكوفة فدخلها، فقيل له: انزل بالقصر الأبيض، فقال: لا، إن عمر كان يكره نزوله، فأنا أكرهُه لذلك. فنزل في الرحبة[٣]!.

ـ وروى الأعمش، عن ســالم بن أبي الجَعْد قال: (جــاء أهلُ نَجْرانَ إلى علي فقالوا: يا أمير المؤمنين، كتابُك بيدك وشــفاعتُك بلسانك، أخرجَنا عمرُ من أرضنا فاردُدْنا إليها، فقال لهم علي: ويلكم! إن عمر كان رشيدَ الأمر، فلا أغيِّر شيئاً صنعه عمر.

قال الأعمش: فكانوا يقولون: لو كان في نفســه على عمرَ شــيء لاغتَنَم هذا عليٌّ)[٤].

---

(١) الغارات، للثقفي: ٣٠٧/١.
(٢) تلخيص الشافي، للطوسي: ٤٢٨/٢؛ وانظر ما تقدم: ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ في هذا الكتاب.
(٣) الأخبار الطوال، ص ١٠٢؛ البداية والنهاية: ٢٥٤/٧.
(٤) مصنف ابن أبي شيبة: ٤٨٣/٧؛ الأموال، لأبي عبيد (٢٧٣، ٢٧٤).

ـ ويقول الشريف المرتضى: (فلما وصل الأمر[١] إلى علي بن أبي طالب كُلِّم في ردِّ فَدَك، فقال: إني لأستحيي من الله أن أردَّ شيئاً مَنَع منه أبو بكر وأمضَاه عمر)[٢].

•• وتأمَّلْ هذا الموقف الختامي عند استشهاد الفاروق وقد وُضِع على سرير الموت:

عن ابن عباس قال: (وُضِعَ عمرُ بن الخطاب على سَريره، فتَكَنَّفَه الناسُ يَدْعون ويُثْنُون ويُصلّون عليه، قبل أن يُرفَع، وأنا فيهم، قال: فلم يَرُعْني إلا برجلٍ قد أخذ بمَنْكِبي من ورائي، فالتفتُّ إليه فإذا هو عليٌّ، فترحم على عمر، وقال: ما خلَّفتُ أحداً أحَبَّ إليَّ أن ألقَى الله بمثل عمله منك! وايمُ الله، إنْ كنتُ لأظنُّ أن يجعلَكَ الله مع صاحبَيْكَ، وذاكَ أني كنتُ أُكَثِّرُ أسمعُ رسول الله ﷺ يقول: «**جئتُ أنا وأبو بكر وعمر، ودخلتُ أنا وأبو بكر وعمر، وخرجتُ أنا وأبو بكر وعمر**» فإنْ كنتُ لأرجو ـ أو: لأظن ـ أن يجعلك الله معهما)[٣].

وروت كتب الشيعة هذا الخبر بأخصر منه[٤].

ـ وجعفر الصادق ـ وهو الإمام السادس المعصوم عند الإمامية ـ لم يكن يتولَّى أبا بكر وعمر فحسب، بل ويأمرُ أتباعَه بذلك، وقد قال لامرأة دخلتْ عليه تسألُه عن أبي بكر وعمر: (تولّيهما، قالت: فأقولُ لربِّي إذا لقيتُه: إنك أمرتني بولايتهما؟ قال: نعم)[٥].

---

(١) يعني: الخلافة.
(٢) الشافي في الإمامة، ص٢١٣.
(٣) أخرجه البخاري (٣٦٧٧)؛ ومسلم (٢٣٨٩)، وغيرهما؛ وساقه ابن سعد: ٣/٣٦٩ـ٣٧١ من عشرة طرق، كثير منها عن آل علي!.
(٤) الشافي، للشريف المرتضى، ص١٧١؛ تلخيص الشافي، للطوسي: ٢/٤٢٨.
(٥) الروضة من الكافي: ٨/١٠١.

والأخبار في هذا عن أئمة آل البيت كثيرة، وقد تقدم طرف منها(١).

•• وزيادة على ما سبق فإن علياً وأولاده وأحفاده ومَن بعدهم سَمَّوا أبناءهم باسم الفاروق عمر، وهذا من أعظم دلائل الحب والإجلال والإكرام والوفاء، وهو ثابت في كتب الرافضة، فتجد في كتبهم:

عمر بن علي بن أبي طالب، عمر بن الحَسن بن علي بن أبي طالب، عمر بن الحُسين بن علي بن أبي طالب، عمر بن علي بن الحُسين بن علي (أخو محمد الباقر وعم جعفر الصادق)، عمر بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر (وموسى بن جعفر هو موسى الكاظم الإمام السابع عند الإمامية الاثنى عشرية)، وغير هؤلاء(٢).

تلكم هي الصورة المشرقة لسيرة الرجلين الجليلين عمر وعلي، والحقائقُ الناصعة التي تليق بمنزلتهما وإيمانهما وورعهما ونُبْلهما. ولا يَصحُّ لمن عنده بقية من إيمان وذرة من إنصاف ومَسْكَة من عقل وقطرة من مروءة ـ أن يصدِّق الأكاذيب التي يروِّجها الرافضة وأشياعهم من القدماء والمعاصرين عن إساءة الفاروق لعلي وآل البيت وحَيْفِه عليهم وظلمه لهم! أو يَقبل ما يُروَّج عن علي أنه يحقد على الفاروق، ويعامله بالتقيَّة حرصاً على مصلحة الإسلام والمسلمين كما يزعم الأفاكون!.

لقد كان علي في خلافة الفاروق ماضياً على سجيته ونُبْله وإخلاصه في حب عمر والحرص عليه والمحافظة على حياته والسهر على بقائه، والرقيب عليه حتى لا يلقي بنفسه في المخاطر، ولذا منعه مرة وأخرى من الذهاب

---

(١) انظر ما تقدم: ٢٦٨ـ٢٧١ في هذا الكتاب؛ والشيعة وأهل البيت، ص ٥٥ـ٥٩.

(٢) الشيعة وأهل البيت، ص ١٢٨ـ١٣١؛ وفي هوامشه ذكر المراجع الشيعية التي ذكرت ذلك.

للقتال على جبهة الروم والفرس، أفما كانت فرصة ذهبية لعليٍّ لو كان يُضمر السوءَ لعمر أن يشــجِّعه على مراده ليذهب للجهاد فتخطفه سيوف فارس أو الروم؟!.



الفصل الرابع

عليٌّ في عهدِ ذِي النُّورَيْن

استمر علي مع عثمان رضي الله عنه طيلة مدة خلافته على الهَدْي الذي تربى عليه ولزمه في عصر النبوة وعهد الشيخين، يوالي الخليفة ويوادُّه ويَمحضُه الحب والإخلاص والوفاء والنصيحة، وشارك بقوة وصدق وصراحة في مسيرة الدولة وتدبير شؤون الأمة ورعاية مصالح الإسلام.

أولاً: بيعة علي لعثمان:

•• لما استشهد عمر جعل أمر الخلافة إلى ستة من المهاجرين ليختار المسلمون أحدهم، وتُجمع الروايات الصحيحة أن الصحابة أطبقوا على اختيار عثمان ومبايعته، وأول من بايعه عبدالرحمن بن عوف، وكانت يمينُ عليٍّ ثانيَ يدٍ تشدُّ على يده بالبيعة الصادقة الصريحة المختارة بلا كُره أو تقيَّة مزعومة.

في رواية البخاري يخاطب عبدالرحمن بن عوف رجالَ الشورى، قال: (اجعلوا أمرَكُم إلى ثلاثةٍ منكم، فقال الزبير: قد جعلتُ أمري إلى عليٍّ، فقال طلحةُ: قد جعلتُ أمري إلى عثمانَ، وقال سعدٌ: قد جعلتُ أمري إلى عبدالرحمن بن عوف. فقال عبدالرحمن: أيُّكما تبرَّأَ من هذا الأمر فنَجعلُه إليه، واللهُ عليه والإسلامُ لَينظُرنَّ أفضَلَهم في نفسه؟ فأَسْكَتَ الشيخان! فقال عبدالرحمن: أَفتجعلُونه إليَّ، واللهُ علَيَّ أن لا آلو عن أَفضلِكم؟ قالا: نعم.

فأخذ بيد أحدهما[١]، فقال: لك قرابةٌ من رسول الله ﷺ والقَدَمُ في الإسلام ما قد علمتَ، فاللهُ عليك لئن أَمَّرْتُكَ لَتعدِلنَّ، ولئِنْ أمَّرْتُ عثمانَ لَتسمعَنَّ ولَتُطيعَنَّ. ثم خلا بالآخر فقال له مثلَ ذلك. فلما أخذ الميثاقَ قال: ارفَعْ يدك يا عثمانُ، فبايَعَه، فبايَعَ له عليٌّ، ووَلَج أهلُ الدار فبايعوه)[٢].

وتقدم في حديث طويل صحيح عن علي: أنه قال: (فلما اجتمعنا وَثب عبدالرحمن بن عوف فوهب لنا نصيبَه منها[٣] على أن نُعطيه مواثيقنا على أن يختار من الجماعة رجلاً فيولِّيه أمرَ الأمة، فأعطيناه مواثيقنا، فأخذ بيد عثمان فبايَعَه، ولقد عَرض في نفسي عند ذلك، فلما نظرتُ في أمري فإذا عهدي قد سبقَ بيعتي، فبايعتُ وسلَّمتُ)[٤].

●● وقد نصَّت كتبُ الشيعة المتقدمة على أن عليّاً بايع عثمان:

يذكر الطوسي قول علي في هذا الشأن: (لمَّا قُتل ـ يعني الفاروق ـ جعلني سادسَ ستة، فدخلتُ حيث أدخلني، وكرهتُ أن أفرِّق جماعة المسلمين وأشقَّ عصاهم، فبايعتم عثمان، فبايعتهُ)[٥].

وفي «نهج البلاغة» مرجعهم المتفق عليه: رسالةٌ من عليٍّ إلى معاوية رضي الله عنهما يحتجُّ بها عليه على صحة بيعته بالخلافة بصحة خلافة الخلفاء الثلاثة قبله ـ يقول: (إنه بايعني القومُ الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يَرُدَّ...)[٦].

---

(١) هو علي كما يدل عليه سياق الكلام، وجاء مصرحاً به في رواية أخرى.
(٢) صحيح البخاري (٣٧٠٠).
(٣) أي: من الخلافة.
(٤) انظر: ص٢٥٦ في هذا الكتاب.
(٥) الأمالي، للطوسي: ١٢١/٢.
(٦) شرح نهج البلاغة: ٢٥٨/٧؛ وقد أثبتناه بتمامه: ص٢٥٩ في هذا الكتاب.



وهو نص شـيعي صريح من علي في أن بيعة الخلفـاء الثلاثة صحيحة، وقد شـهدها جميعها وبايع لأنـه أحد كبـار المهاجرين. **وقد ذكر الشـيعة وأشياعهم في هذا الباب روايات كثيرة تالفة وأكاذيب روَّجوها بين الأغمار،** وقد أشـرت إلى طرف منها عند القدماء والمعاصرين، وبينت زيفها ووهاءها في كتابي «عثمان بن عفان».

ثانياً: علي من رؤوس مجلس الشورى ورجال الدولة في عهد عثمان:

وكان علي ﷺ في المقام الأول بين رجال الشـورى الكرام، مقدَّماً عند عثمان وغيره في الفتوى والاجتهاد والرأي، وقد عبَّر عليٌّ نفسه عن دوره في هذا وغيره فقـال: (فكنت أغزو إذا أغزاني، وآخذُ إذا أعطاني، وكنتُ سـوطاً بين يديه في إقامة الحدود)[1].

١ ـ روى ابن عسـاكر: (أن عثمان كان إذا جلس علـى المقاعد[2] جاءه الخصمان، فقال لأحدهما: اذهب ادْعُ عليّاً، وقـال للآخر: اذهب فادْعُ طلحة والزبير ونفراً من أصحـاب النبي ﷺ. ثم يقول لهما: تكلَّمـا، ثم يُقبِل على القوم فيقـول: ما تقولون؟ فإن قالوا ما يوافق رأيه أمضـاه، وإلا نظر فيه بعدُ، فيقومان وقد سَلَّما)[3].

٢ ـ ومن الأمثلة المشـهورة قيامُـه بتطبيق الحدّ في قصـة اتهام الوالي الوليد بن عُقْبة بشـرب الخمر: (قال عثمان لعليٍّ: أَقِمْ عليه الحدَّ... فقال عليٌّ لعبدالله بن جعفر: أقِمْ عليه الحدَّ، فأخذ السَّـوط فجَلَده وعليٌّ يَعُدّ، فلما بلَغ

(١) انظر ما تقدم: ص٢٥٦ في هذا الكتاب.
(٢) موضع عند باب المسجد النبوي، أو مساطب حوله.
(٣) مختصر ابن عساكر: ١٤٧/١٦.

أربعين قال: حسبُكَ، جَلَد النبي ﷺ أربعين، وجلد أبو بكر أربعين، وعمرُ ثمانين، وكلٌّ سُنَّة، وهذا أحَبُّ إليَّ)[1].

وهذا موجود في كتب الشيعة[2]، وقد بوَّب المُفيد تحت عنوان: «قضايا علي في زمن إمارة عثمان»، وذكر عدة قضايا حكم فيها علي ونفذها عثمان[3].

٣ ـ وعن الحَسن بن سَعْد بن مَعْبد، عن أبيه: (أنّ يُحَنَّس وصفيةَ كانا من سَبْي الخُمس، فزَنتْ صفيةُ برجلٍ من الخمس، فولدت غلاماً، فادَّعاه الزاني ويُحنَّس، فاختصما إلى عثمان، فرَفَعهما إلى علي بن أبي طالب، فقال عليٌّ: أقضي فيهما بقضاء رسول الله ﷺ: الولدُ للفِراش وللعاهِر الحَجَر، وجلَدَهما خمسينَ خمسينَ)[4].

٤ ـ وشَكا الناسُ عمالَ عثمان على الصدقات والزكوات، فبلغ الأمر عليّاً، فقام بواجب النصيحة والإرشاد والذبِّ عن أمير المؤمنين عثمان، وأرسل مع ابنه المعروف بابن الحَنَفيَّة (الصحيفةَ المكتوبَ فيها مصارف الصدقة عن أمر النبي ﷺ) ليعملَ بمقتضاها، وكان عند عثمان علمٌ بها.

عن محمد بن علي قال: (جاء إلى عليٍّ ناس من الناس: فشَكَوْا سُعاةَ عثمان، فقال لي أَبي: اذهَبْ بهذا الكتاب إلى عثمان، فقُلْ له: إن الناس قد شَكَوا سُعاتَكَ، وهذا أمر رسول الله ﷺ في الصدقة، فَمُرْهُم فليأخذوا به. قال:

(١) أخرجه مسلم وغيره، وقد تقدم: ص ٢٤٥ في هذا الكتاب.
(٢) الفروع من الكافي: ٢١٥/٧؛ تاريخ اليعقوبي: ٥٩/٢.
(٣) الإرشاد، ص ١١٢ ـ ١١٣.
(٤) أخرجه أحمد (٨٢٠)، وصحّحه أحمد شاكر.



فأتيتُ عثمــان فذكرت ذلك له. قــال[١]: فلو كان ذاكراً عثمان بشــيء لذَكَره يومئذٍ! يعني بسوء)[٢].

٥ ـ وكان ممن يشــير على الخليفة بتوســيع الفتوحــات، فعندما طلب عبدالله بن سعد بن أبي ســرح من عثمان التوغلَ في فتح إفريقية، قال عثمان للمِسْوَر بن مَخْرَمة ـ وكان أحد الصحابة المجاهدين هناك ـ: ما رأيُك يا ابن مَخْرمــة؟ قلتُ: أغزِهم، قال: أجمعُ اليوم الأكابر من أصحاب رســول الله ﷺ وأستشــيرهم، فما أجمعوا عليه فعلتُــه. ائتِ عليّاً وطلحــة والزبير والعباس، وذكر رجالاً، فخَلَا بكل واحد منهم في المســجد، ثم ندب الناس إلى غزو إفريقية[٣].

٦ ـ ومن أجَــلِّ القضايا التي شــارك فيها علي: (جمعُ القــرآن الكريم)، وجمعُ المسلمين على قراءة واحدة، ونسخُ المصاحف وإرسالها إلى الآفاق، وحرق ما سوى المصحف الإمام.

عن سُــويد بن غَفَلَة قال: (والله لا أحدِّثكم إلا شــيئاً سمعتُه من علي بن أبي طالب، سمعته يقول: يا أيها الناس، لا تَغْلُوا في عثمانَ ولا تقولوا له إلا خيراً ـ أو: قولوا له خيراً ـ فــي المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فَعَل الذي فَعَل في المصاحف إلا عــن ملأ منّا جميعاً، قــال: ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بَلغني أن بعضَهم يقول: إن قراءتي خيرٌ من قراءتك، وهذا يكادُ أن يكون كفراً! قلنا: فما ترى؟ قال: أرى أن نجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فُرقةٌ ولا يكون اختلافٌ، قلنا: فنِعْمَ ما رأيتَ، قال: فقيل: أيُّ الناس أفصَــحُ، وأي الناس أقرأُ؟ قالــوا: أفصحُ الناس ســعيد بن العاص، وأقرؤهم

(١) القائل هو ابن الحنفية.
(٢) أخرجه البخاري (٣١١١)؛ وأحمد (١١٩٥).
(٣) رياض النفوس، لأبي بكر المالكي: ١/٨ـ٩.

زيد بن ثابت، فقال: لِيكتُبْ أحدُهما ويُمْلِ الآخر. ففعلا، وجُمع الناس على مصحف. قال: قال عليٌّ: والله لو وليتُ لفعلتُ مثلَ الذي فعل)[1].

ثالثاً: مواقف جليلة لعليٍّ وولديه في فتنة مقتل عثمان:

كل أخبار التاريخ الصحيحة والمستقيمة المقبولة متوافقة على أن الصحابة وفي مقدمتهم علي كانوا مع الخليفة ذي النورين من أول الفتنة إلى آخرها، وناصروه ونافحوا عنه، ولعنوا أولئك الخارجين عليه واطَّرَدُوهم وتبرؤوا منهم.

١ ـ لما نزلت جيوش مصر والكوفة والبصرة حول المدينة يريدون حصارَ الخليفة وخلْعَه وقتْلَه، جاء المصريون علياً وهو في عسكر عند أحجار الزيت[2] متقلِّدَ السيف، وقد سرَّح ابنه الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع إليه، فسلَّم عليه المصريون وعرَّضوا له[3]، فصاح بهم واطَّردَهم وقال: لقد علم الصالحون أن جيش ذي المَرْوة وذي خُشُب والأَعْوص ملعونون على لسان محمد ﷺ، فارْجِعوا لا صحِبَكم الله! قالوا: نعم، فانصرفوا من عنده على ذلك.

٢ ـ وعندما افتعل المنحرفون (الكتاب المزوَّر على لسان عثمان) وفيه أن عثمان أمر عامله بمصر بأن يَقتل المصريين الخارجين عليه عند عودتهم لمصر، جاؤوا علياً وقالوا: (ألم ترَ إلى عدوِّ الله ـ أي عثمان ـ كتب فينا بكذا

(١) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف: ٢١٣/١ـ٢١٤ (٧٧)؛ وبنحوه في شرح السُّنَّة: ٥٢٤/٤ـ٥٢٥؛ وصحَّحه الحافظ في الفتح: ٢١٥/١١ (٤٩٨٧). وانظر كتابي: عثمان بن عفان، ص١١٢ـ١٢١.

(٢) موضع في المدينة يقع غرب المسجد النبوي.

(٣) أومؤوا له بِنيَّتِهم في خلع عثمان، ومبايعته.

وكذا، وإن الله قد أحَلَّ دمَهُ! قم معنا إليه، قال: والله لا أقوم معكم، قالوا: فلِمَ كتبْتَ إلينا؟ قال: والله ما كتبتُ إليكم كتاباً قط!).

٣ ـ بل إن عليّاً فضَحَ مخططاتهم وتآمرهم (فقال: ما ردَّكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم؟ قالوا: أخذنا مع بريد كتاباً بقَتْلِنا. وأتاهم طلحة فقال البصريون مثل ذلك، وأتاهم الزبير فقال الكوفيون مثل ذلك، وقال الكوفيون والبصريون: فنحن ننصر إخواننا ونمنعُهم جميعاً، كأنما كانوا على ميعاد! فقال لهم عليٌّ: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لَقِي أهلُ مصر، وقد سِرْتم مراحلَ ثم طوَيْتم نحوَنا؟! هذا والله أمرٌ أُبْرِم بالمدينة!).

٤ ـ وكان علي واحداً من أعيان الصحابة الذين شهدوا لعثمان بالفضائل والسوابق والأعمال الجليلة على مسمع الناس، لإدانة أولئك المنافقين الخارجين عليه.

٥ ـ وأَصْغِ إلى هذه النصيحة الصادقة المخلصة الصريحة التي تفيض حرصاً من علي على عثمان وسياسته، وتنطق بالشهادة الجريئة له بسعةِ علومه وحسنِ هَدْيه وسياسته، وهي ثابتة في كتب السُّنَّة والشيعة:

قال علي لعثمان: (إن الناس ورائي وقد استسفروني بينك وبينهم، ووالله ما أدري ما أقولُ لك، ما أَعرِف شيئاً تجهلُه، ولا أدلُّك على أمر لا تعرفه!.

إنك لَتعلَمُ ما نعلمُ، ما سبقناكَ إلى شيء فنُخبِرك عنه، ولا خَلَوْنا بشيء فنُبلِّغُكَه، وقد رأيتَ كما رأَيْنا، وسمعتَ كما سمعنا، وصحبتَ رسول الله ﷺ كما صَحِبْنا، وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب بأَوْلى بعمل الخير منك، وأنت أقربُ إلى رسول الله ﷺ وشيجةَ رحمٍ منهما، وقد نِلْتَ من صِهْره ما لم ينالا. فاللهَ اللهَ في نفسك؛ فإنك والله ما تُبصر من

عمـــى، ولا تُعَلَّم مـــن جهـــلٍ، وإن الطرق لواضحـــةٌ، وإن أعـــلام الدين لقائمة...)[1] في كلام طويل.

٦ ـ ومن بارع الأدلة على حُسنِ صحبة علي للخليفة ذي النورين ونصحهِ له؛ ما رواه عمران بن عبدالله الخُزاعي، عن سعيد بن المسيِّب قال: (شهدتُ عليّاً وعثمان وكان بينهما نَزْغٌ من الشـــيطان، فما تَـــرَك واحدٌ منهما لصاحبه شيئاً إلا قال له، فلو شئتَ أن أَقصَّ عليك[2] ما قالا فعلتُ، ثم لم يَبْرَحا حتى اصطلحا واستغفر كل واحد منهما لصاحبه!).

وفي رواية أبي ســـعيد الخُدْري: (فما صُلِّيت الظهرُ حتى دخلا، أحدُهما آخذٌ بيد صاحبه، كأنهما أَخَوان لأمّ وأب ـ يعني عثمان وعلياً ـ!)[3].

٧ ـ ولما ضـــرب المنحرفون المجرمـــون الحصارَ على أميـــر المؤمنين عثمان، وحَصَبوه وهو على المنبر، وصُرع مغشيّاً عليه، فاحتُمل فأُدخِل داره ـ دخل عليه علي وطلحة والزبير وغيرهم يعودونه من صرعته، ويَشكون بَثَّهم.

٨ ـ وعندما ضيَّقـــوا الحصار على عثمان، هَبَّ علـــيٌّ وغيره في نصرته؛ يقول جابر بن عبدالله: (إن عليّاً أَرســـل إلى عثمان أن معي خمسَ مئة دارعٍ، فَأْذَنْ لـــي فأمنَعَك من القوم، فإنك لم تُحدِثْ شـــيئاً يُســـتحلّ به دمُك! قال: جُزِيتُ خيراً، ما أحبُّ أن يُهرَاقَ دم في سببي).

٩ ـ وأرسل علي ابنيه الحسن والحسين ليكونا في جملة شباب الصحابة الذين يحمون عثمان ويدافعون عنه ويقاتلون دونه.

قال الحسن بن علي: (رُحْتُ إلى الدار ـ دار عثمان ـ وغدوتُ إليها شهراً، وعثمان رضي الله عنه محصور، كل ذلك بعينِ علي رضي الله عنه ما نهاني يوماً قط).

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٩٢/٥؛ تاريخ الطبري: ٣٣٦/٤ـ٣٣٨؛ البداية والنهاية: ١٦٨/٧.

(٢) ابن المسيّب يخاطب تلميذه عمران.

(٣) العلل، للإمام أحمد برواية ابنه عبدالله (٢٠٥٣، ٢٠٥٤)، وإسنادهما صحيح.

١٠ ـ وعندما وقعت الكارثة واقتحم المجرمون دار عثمان، اجتَلَد معهم شبان الصحابة، ووقع أمر الله واستُشــهد عثمان، وأُخرج من الدار أربعةٌ من شباب قريش ملطخين بالدم، محمولين، كانوا يدرؤون عن عثمان: الحسن بن علي، وعبدالله بن الزبير، ومحمد بن حاطب، ومروان بن الحَكَم.

وعبَّر علي عن حزنه العميــق فقال: (ولقد طاش عقلي يــوم قُتل عثمان وأَنكرتُ نفسي!).

وهذه المواقف وغيرها قد ذكرتُها بالتفصيل في كتابي «عثمان بن عفان»، وقد ذكر المؤرخ الشــيعي أبو الحســن المســعودي (مأســاة حصار عثمان واستشهاده) ودفاع علي وولديه عنه[١].

رابعاً: براءة علي من دم عثمان:

ثبت فــي الروايات الكثيرة عن علي أنه تبرأ من دم عثمان، وكان يُقســم على ذلك في خطبه وغيرها أنه لم يقتلْه ولا أَمر بقتله ولا مالأَ ولا رضي به، ولقد نهى عنه فلم يسمعوا منه، ثبت ذلك عنه من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث[٢].

قال ابن أبي الحديد: (وأمير المؤمنين عليه الســلام أبرأُ الناس من دمهِ، وقد صــرح بذلك في كثير مــن كلامه؛ من ذلــك قوله عليه الســلام: والله ما قتلتُ عثمانَ ولا مالأت على قتله. وصدق صلوات الله عليه)[٣].

---

(١) مروج الذهب: ٢/٢٧٠.

(٢) انظــر: مصنف ابن أبي شــيبة: ٨/٦٨٤؛ تاريــخ المدينة، لابن شــبة: ٤/١٢٦٣ ـ ١٢٦٤؛ مجموع الفتاوى: ٣٥/٧٣؛ البداية والنهاية: ٧/١٩٣.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١/١٨٠، ٢/٤٩.

وعن محمد ابن الحنفيَّة قال: (نادى منادي القــوم يوم الجمل: يا ثاراتِ عثمان! فلما بَلَغ عليّاً قولُهــم، رفع يديه فقال: اللَّهمَّ كُــبَّ اليومَ قتلةَ عثمان لوجوهِهم)[١].

وقال ابن الحنفية: (سمعت أَبي ورفع يديه حتى يُرى بياض إبطَيْه، وقال: اللَّهمَّ العنْ قتلة عثمان في البر والبحر والسهل والجبل! ثلاثاً يردِّدُها)[٢].

وقال ابن عباس: ســمعت عليّاً يقول حين قُتل عثمان: والله ما قتلتُ ولا أَمرتُ، ولكن غُلبت! يقول ذلك ثلاث مرات[٣].

خامساً: العلاقة الطيبة الوثيقة بين عثمان وبين علي وآل البيت:

من خــلال ما تقــدم يتبين لنا ولــكل منصــف أن العلاقة بيــن عثمان وعلــي ﷺ كانــت علاقة حب ومــودة وإجــلال ومناصحة وحفــظ ووفاء، واستمرت هكذا إلى أن لقي كل منهما وجه ربه.

ويتأكد ذلك من خلال أمور وأحداث ومواقف أخرى؛ منها:

١ ـ ثناء علي على عثمان:

عن محمد بن حاطب قال: (ذُكِر عثمان، فقال الحســن بن علي: هذا أمير المؤمنين يأتيكم الآن فيخبِرُكم، قال: فجاء علي، فقال: كان عثمان من الذين ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣])[٤].

---

(١) سنن البيهقي: ١٨٠/٨؛ تاريخ المدينة، لابن شبة: ١٢٦٧/٤.
(٢) فضائل الصحابة، لأحمد (٧٣٣)، وسنده صحيح.
(٣) طبقات ابن ســعد: ٦٩/٣، ٨٢؛ ومن طرق أخرى فــي المســتدرك: ١٠٦/٣. وفي كتابي «عثمان بن عفان» شواهد أخرى كثيرة.
(٤) فضائل الصحابة، لأحمد (٧٧٠)؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٩٣/٧، وإسناده صحيح.

وعن أبي جُحَيْفة قال: (خَطَبنا علي بن أبي طالب على منبر الكوفة فقال: أَلَا إنَّ خير الناس بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، ثم عمر، ولو شئتُ أن أُخبِركم بثالثٍ لأخبرتُكم. قال: فنزل عن المنبر وهو يقول: عثمان، عثمان). وجاء ذلك عن علي من عدة وجوه[١].

وعن مُطَرِّف قال: (لقيتُ علياً بعد رجوعه من حَرُورَاء، فقال: حَبَسك ـ أو: بطَّأَ بك ـ عنا حبُّ عثمان؟ فاعتذرتُ إليه، فقال: أمَا إنك إنْ أحببتَه، إنْ كان لخيرَنا وأوصلَنا)[٢].

٢ ـ المصاهرات بين آل عثمان وبين آل علي وآل البيت:

من الأدلة الراسخة على الحب المتبادل والإجلال والتكريم بين بني هاشم وبين بني أمية ـ علاقاتُ المصاهرة بين القبيلين العظيمين.

ـ وحسبك أن سيدَ الخلق وسيد بني هاشم ﷺ قد زوَّج ثلاثاً من بناته الأربع من أمويين: فزوَّج زينبَ لأبي العاص بن الربيع العَبْشمي الأُموي، وزَوَّج رقية ثم أم كلثوم من عثمان بن عفان أحد سادات بني أمية.

ـ وتزوج أبانُ بن عثمان بن عفان من أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر الطيار شقيق علي.

ـ وتزوج حفيدُ عثمان: زيدُ بن عَمْرو بن عثمان من سُكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب.

ـ وتزوج حفيد عثمان الآخر: عبد الله بن عَمْرو بن عثمان من أخت سكينة فاطمة بنت الحسين.

---

(١) مختصر ابن عساكر: ١٤١/١٦؛ وانظر: الفتح: ٦٠٣/٨ شرح الحديث (٣٦٧١).
(٢) السُّنَّة، لابن أبي عاصم (١٢١٣).

ـ وتزوج مروان بن أبان بن عثمان بن عفان أمَّ القاسم بنت الحسن بن علي بن أبي طالب[١].

والقائمة تطول، وهو ثابت في كتب الشيعة[٢]، وفي كتب الأنساب أمثلة كثيرة.

٣ ـ ومن دلائل سمو العلاقة بين علي وعثمان:

ـ ما ذكرتْه كتب الشيعة من أن عثمان دفع لعليٍّ مهرَ السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء، وكان أحدَ الشهود على الزواج.

فقد ذكر الإربلي والخوارزمي والمجلسي وغيرهم أن عثمان اشترى من علي درعَه بأربع مئة درهم، ثم قدَّم له الدرعَ هديةً بعد ذلك، فأخذ علي الدرع والدراهم، وأتى النبيَّ ﷺ وأخبره بذلك فدعا لعثمان بخير[٣].

ـ وسمَّى عليٌّ أحدَ بنيه باسم عثمان، وقد استشهد عثمان بن علي مع أخيه الحسين، وكان عمره إحدى وعشرين سنة[٤].

ـ وشارك الحسن والحسين في الجهاد والفتوحات تحت راية ولاة عثمان من أمويين وغيرهم.



(١) طبقات ابن سعد: ٤٧٣/٨، ٤٧٥؛ الجمهرة، لابن حزم، ص ٨٥.
(٢) انظر: الشيعة وأهل البيت، ص ١٣٥ـ١٣٩.
(٣) كشف الغمة، للإربلي: ٣٥٩/١؛ المناقب، للخوارزمي، ص ٣٥٢ـ٣٥٣؛ بحار الأنوار، للمجلسي: ٣٩/١٠ـ٤٠.
(٤) الإرشاد، للمفيد، ص ١٨٦؛ مقاتل الطالبيين، ص ٨٩.

الباب السادس

خلافةُ عليٍّ وسياستُهُ في الحُكْم

- دَعْوى الوصيَّةِ وبُطْلانُها.
- استخلافُ عليٍّ والمعْضِلاتُ القائمةُ والتحدِّياتُ المرتقَبة.
- دولةُ الخِلافةِ وهَدْيُ عليٍّ في سياسَتِها وإدارتها.
- الولاةُ والوِلاياتُ.
- مؤسَّسَاتُ الدَّوْلة.



الفصل الأول

دَعْوَى الوصيَّةِ وبُطْلانُها

أولاً: ملخَّص دعوى الوصية والإمامة (إضاءة وتوضيح):

•• تعتقد الشيعة الإمامية الإثنا عشرية ـ وهم يشكلون أغلبية الشيعة قديماً وحديثاً ـ أن مَن يَخْلُف رسولَ الله ﷺ في الأمة وحكمها والقيام على أمورها هو: الإمام، وهو منصوص عليه بعهد من الله تعالى، وأولُ الأئمة هو علي بن أبي طالب.

ـ والحقائق التاريخية تؤكد وكتب متقدمي الشيعة تُثبت أن عبدالله بن سبأ (كان أولَ من أشهرَ القولَ بفرضِ إمامة علي، وأَظْهرَ البراءة من أعدائه، وكاشَفَ مخالفيه وأَكْفَرهُم)[١].

ـ وجاء في بعض عناوين الأبواب من (الكافي): «باب أن الإمامةَ عهدٌ من الله ﷻ معهودٌ من واحد إلى واحد»، و«باب ما نَصَّ اللهُ ﷻ ورسولُه على الأئمة واحداً فواحداً»[٢].

ـ ويقرر محمد حسين آل كاشف الغطاء أحد مراجع الشيعة في هذا العصر: (أن الإمامة منصبٌ إلٰهيٌ كالنبوة، فكما أن الله ﷻ يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيده بالمعجزة التي هي كنصّ من الله عليه، فكذلك

---

(١) رجال الكشي، ص ١٩٢، رقم (١٧٤)؛ المقالات والفِرق، للقمي، ص ٢٠؛ أصول مذهب الشيعة: ٢/٢٦٤.

(٢) أصول الكافي: ١٥٩، ١٦٥.

يختار للإمامة من يشـــاء ويأمر نبيَّه بالنصّ عليه، وأن ينصّبه إماماً للناس من بعده)[١].

ـ والإمامة (التي نُصّ عليها) عند الشـــيعة فوق مقام النبوة، يقول شيخهم نعمة الله الجزائري: (الإمامة العامة التي هي فوق درجة النبوة والرسالة...)[٢].

ـ وروى الكُلِينـــي عن أبي جعفر الباقر قال: (بُني الإســـلام على خمس: على الصـــلاة والزكاة والصوم والحـــج والولاية، ولم يُنادَ بشـــيء كما نودِي بالولاية، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه ـ يعني الولاية ـ)[٣].

•• والـــذي ابتدأ فكـــرة (الإمامة والوصيـــة لعليٍّ) هو عبدالله بن ســـبأ، وطوَّرها في القرن الثاني الهجري شـــيطانُ الطاق[٤]؛ فحصَرَ الإمامةَ بأناس من آل البيت، وشـــاركه رجل آخر هو هشـــام بن الحكَم الذي ادَّعى النصَّ وجرّأ الناس على شتم أبي بكر وعمر وعثمان والمهاجرين والأنصار!.

واستقر قول الإثني عشرية على حصر الإمامة (باثني عشر إماماً)، وعُرف هذا الاعتقاد بعد وفاة الحسن العسكري (سنة ٢٦٠هـ)[٥].

ـ وأصبح من أصول الرافضة: (أنه لا يجوز للرعية اختيارُ إمام، بل لا بدّ فيه من النـــصّ)، (فالإمامة لا تكون إلا بالنص)، وأن الرســـول ﷺ نَصَّ على عليٍّ وأولاده، فهم الأئمة إلى أن تقوم الساعة[٦].

---

(١) كتابه: أصل الشيعة وأصولها، ص٥٨.

(٢) كتابه: زهر الربيع، ص١٢.

(٣) أصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام: ٣٣٩/٢، رقم (٣).

(٤) محمد بـــن علي بن النعمان الأحـــول (ت١٦٠هـ)، وتلقبه الشـــيعة: مؤمـــن الطاق. رجال الكشي، ص ٢٥٩.

(٥) رجال الكشـــي، ص٣٣٠ـ٣٤٨؛ أصول الكافي: ٩٨/١؛ بحار الأنوار: ٢٥٩/١٠٠؛ أصول مذهب الشيعة: ٢٧١/٢ـ٢٨٠.

(٦) أصول الكافي: ١٦٥/١؛ أصول مذهب الشيعة: ٢٨٩/٢.



ويقول شـيخهم المفيد: (إن الإمامة توجِبُ لصاحبها عند الإثني عشرية: العصمة، والنص، والمعجزة...)(١).

وأدلة الرافضة على (النص على الأئمة):

١ ـ كُتب إلٰهية تنزل من السماء في النص على علي والأئمة، وهذه الكتب غابت منذ سنة (٢٦٠هـ) مع الغائب المنتظر.

٢ ـ نصوص صريحة في القرآن أخفاها الصحابة.

٣ ـ نصوص صريحة من الرسول ﷺ، لكن الأمة أجمعَتْ على كتمانها.

٤ ـ تأويلات باطنية لآيات القرآن، لا يعرفها إلا الأئمة(٢).

ومن أنكر إمامة واحد من الأئمة الاثني عشـر فحكمه الكفر والخلود في النار(٣):

قال شـيخهم الطوسـي: (ودَفْعُ الإمامة كفر، كما أن دفْع النبوة كفر، لأن الجهل بهما على حد واحد)(٤).

ويقول المفيـد: (اتفقت الإمامية على أن من أنكـر إمامة أحد من الأئمة وجحـد ما أوجبه الله تعالى له من فـرض الطاعة ـ فهو كافر ضال مسـتحق للخلود في النار!)(٥).

وبَلَغ الغلوُّ بشـيخهم نعمـة الله الجزائري أن يعلن انفصالَ الشـيعة عن المسـلمين بسـبب قضية الإمامة؛ فيقول: (لم نجتمع معهم على إلهٍ ولا نبيٍّ

---

(١) العيون والمحاسن: ١٢٧/٢.

(٢) أصول مذهب الشيعة: ٣١٤/٢ـ٣١٥.

(٣) انظر تفصيل ذلك في: أصول مذهب الشيعة: ٣٣٤/٢ـ٣٧٧.

(٤) تلخيص الشافي: ١٣١/٤.

(٥) المسائل، للمفيد، نقله عنه المجلسي في: بحار الأنوار: ٣٦٦/٨.

ولا على إمام؛ وذلك أنهم يقولون: إن ربَّهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيَّه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي! بل نقول: إن الربَّ الذي خليفةُ نبيِّه أبو بكر ليس ربَّنا ولا ذلك النبي نبينا!)[(١)].

وهذا يقتضي تكفير: الصحابة، وأهل البيت، وخلفاء المسلمين وحكامهم، وأهالي الأمصار الإسلامية، وقضاة المسلمين، وعلماء المسلمين وأئمتهم، والفرق الإسلامية، والأمة!.

ولعل بعضَ السُّذَّج وبعضَ من يدَّعي التطور الفكري ويذهب إلى ضرورة التقريب بين (السُّنَّة والرافضة) ـ يرى أن ما في كتب الأقدمين هو تراث لا يَركن إليه كثيرون من (شيعة اليوم)، حيث انطلقت (الثورة الإسلامية) ودَعَتْ إلى نُصْرة المستضعفين ومحاربة الشيطان الأكبر... لكن الحقائق تؤكد استمرار الرافضة اليوم على نهج أسلافهم بل ازداد غلوهم ضراوةً، كما تجد في كتب قائد ثورتهم[(٢)]، والمواقع الإلكترونية لمراجعهم و(آياتهم العظمى)، وقنواتهم الفضائية، بل ومشاركتهم في قتل المسلمين وتدمير بلدانهم!.

ثانياً: أحاديث موضوعة وباطلة في الوصية:

رُوِيَتْ عن النبي ﷺ أحاديثُ كثيرة ضعيفة وواهية، وروى المتروكون واختلق الكذابون وذوو الأهواء الآلافَ من الأحاديث الباطلة والموضوعة. وشارك الرافضة في شيء كثير من ذلك؛ فهم من أفسدِ أصحاب الأهواء رأياً ومذهباً ومعتقداً، ومن أجرئهم بل أجرؤهم على الكذب والاختلاق، وأفسدهم مقاييس وموازين في ضبط الرواية وقبول الرواة، وكَثُرت عندهم

(١) الأنوار النعمانية: ٢٧٩/٢.
(٢) انظر مثلاً كتابَي الخميني: كشف الأسرار، والحكومة الإسلامية.

الأحاديث المرسَلة والمقطوعة والمنقطعة والمُعْضَلَة والواهية والمكذوبة على رسول الله ﷺ، وتمسكوا بها واعتمدوا عليها في مذهبهم. ومن أخطر ذلك ما احتجوا به على قضايا (الولاية والعصمة والنص على الإمام الخليفة) الذي يلي أمر الأمة.

ومن أشهر مَن جمع هذه الأحاديث من الرافضة المعاصرين عبد الحسين شرف الدين الموسوي في كتابه «المراجعات»، وقد صنَّف بعض الغيورين من باحثي أهل السُّنَّة في الردِّ عليه، منهم:

أبو عبد الله النعماني الأثري في كتابه: «مجمل عقائد الشيعة والمراجعات في الميزان»، حيث نقل عن عبد الحسين (١١٠) أحاديث استدل بها الرافضة على (ولاية علي وعصمته والنص على إمامته)، وبيَّنَ وهاءَها وبطلانَها على طريقة أهل الحديث في القبول والرّد، وهي مصنفة كما يلي: ضعيف، ضعيف جدّاً، منكَر، باطل، موضوع.

وعبد الفتاح محمود سرور في كتابه «تبصير السوي ببطلان مرويات الوصي»، نقل في صدر بحثه عن عبد الحسين ما يلي: (قال عبد الحسين شرف الدين الموسوي في «المراجعات»: المراجعة رقم (٦٢): ٢ صفر ١٣٣٠هـ، أربعون نصّاً، نعم عندنا من النصوص التي لا يعرفها أهل السُّنَّة، صِحاحٌ متواترةٌ، من طريق العِتْرة الطاهرة، نتلو عليك منها أربعين حديثاً)[١].

فَسَاقَها المؤلف عبد الفتاح حديثاً حديثاً، وتناولها بالنقد متحاكماً في ذلك إلى (قواعد الرافضة في الرجال والحديث) ومن كتبهم، ووصل إلى أنه لم يَصحَّ منها شيء!.

---

(١) تبصير السوي، ص ٨٧.

وأشير أنا في هذا الفصل إلى طرف من تلك الأحاديث، لاستكمال جوانب كتابنا هذا، وقد تكون هذه الأحاديث المزعومة وردت في «المراجعات» أو لم ترِدْ فيه، وغالباً ما أشير إلى ذلك.

١ ـ عن بُريدة بن الحُصَيب قال: قال النبي ﷺ: «لكلِّ نبيٍّ وصيٌّ ووارثٌ، وإنَّ عليّاً وصيِّي ووارثي»[1]. **حديث موضوع.**

أورده الجَوْرَقاني في «الأباطيل»، وابن الجوزي في «الموضوعات»، والذهبي في «تلخيص الموضوعات»، وحكم عليه الألباني بالوضع في «الضعيفة»[2]، وغيرهم.

٢ ـ عن ابن عباس قال: (كنتُ جالساً مع فتية من بني هاشم عند النبي ﷺ، إذ انقضَّ كوكبٌ، فقال النبي ﷺ: «مَن انقضَّ هذا النجمُ في منزله فهو الوصيُّ من بعدي»! فقام فتية من بني هاشم فنظروا فإذا الكوكب قد انقض في منزل علي! قالوا: يا رسول الله، قد غويتَ في حبِّ علي! فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النجم: ١ ـ ٧])[3]. **حديث موضوع.**

قال ابن عساكر: منكر، فيه أربعة مجاهيل، وحَكَم عليه بالوضع الجَوْرَقاني وابن الجوزي والذهبي والشَّوكاني وغيرهم، ونقد ابن تيمية متْنَه بكلام نفيس في «منهاج السُّنَّة».

---

(١) المراجعات: حديث (٩٨)؛ تاريخ ابن عساكر: ٥/٣.

(٢) الأباطيل: ١٥٠/٢؛ الموضوعات: ٢٨١/١؛ تلخيص الموضوعات، ص١٢٥؛ الضعيفة (٤٩٦٢).

(٣) الأباطيل، للجورقاني: ١٣٥/١؛ الموضوعات، لابن الجوزي: ١٤٤/٢ ـ ١٤٥؛ الفوائد المجموعة، للشوكاني، ص٣٦٩؛ تاريخ ابن عساكر: ١٠/٣؛ منهاج السُّنَّة: ٩٨/٤ ـ ١٠٢.

٣ ـ عن سلمان الفارسي، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ وَصِيِّـي، وموضعَ سِرِّي، وخيرَ مَنْ أَتركُ بعدي، ويُنْجِز عِدَتـي، ويَقْضِي دَيْني: علي بن أبي طالب)[1]. **حديث باطل.**

قـال الجورقاني: باطل لا أصـل له، وذكـره ابن الجوزي والسـيوطي والذهبي في «الموضوعات»، وقال الذهبي في «الميزان»: هذا كذب.

٤ ـ عن أبي ذر قال: سـمعت رسـول الله ﷺ يقول: «كمـا أنا خاتم النبيين، كذلك علي وذريتـه يختمون الأوصياء إلى يوم الدين»[2]. **حديث خرافة!.**

أورده الجورقانـي في «الأباطيـل»، وابن الجوزي فـي «الموضوعات»، والذهبي في «تلخيص الموضوعات» وقال: سنده مكذوب.

والأحاديث في كتـب أهل السُّـنَّة في هـذا كثيرة، قـد تكفلت «كتب الموضوعات» باستيعابها وتكفينا هنا الإشارة.

ومما أورده عبدالحسين شرف الدين في «المراجعات» في هذا الباب:

٥ ـ عن علي مرفوعاً: «يا علي، سـألتُ الله فيك خمسـاً، فأعطاني أربعاً ومَنَعني واحدة: سـألتُه، فأعطاني فيك: أنك أولُ من تنشـقُّ الأرض عنه يوم القيامة، وأنـت معي، معك لـواءُ الحمد وأنت تحملُـه، وأعطاني أنك وليُّ المؤمنين من بعدي»[3]. **حديث موضوع.**

٦ ـ وعن سلمان الفارسـي، عن رسول الله ﷺ في حديث طويل يخاطب

---

(١) الأباطيل، للجورقاني: ١٤٨/٢ـ١٤٩؛ الموضوعات، لابن الجوزي: ١٤٤/٢، ١٤٧؛ اللآلئ المصنوعة: ٣٢٩/١؛ ميزان الاعتدال: ٣٩٨/٣؛ وهو في المراجعات (٩٩).

(٢) الأباطيل: ٢٧٩/١ـ٢٨٠؛ الموضوعات: ١٥١/٢؛ ميزان الاعتدال: ٥٢١/٣.

(٣) المراجعات (٥٦)؛ مجمل عقائد الشيعة والمراجعات في الميزان، ص ١٩٦ـ١٩٨.

ابنته فاطمة ﷺ: «أبوكِ خير الأنبياء، وبَعْلُكِ خير الأوصياء، وأنت أول من يلحق بي»(١). **حديث موضوع.**

٧ ـ وأخرج محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابَوَيْه القُمِّي المعروف عندهم (بالصدوق) بسنده إلى الإمام جعفر الصادق عن أبيه عن آبائه عليهم السلام: أن رسول الله ﷺ قال: «حدَّثني جبرائيل عن ربِّ العزَّة ﷻ أنه قال: مَن عَلِم أن لا إله إلا أنا وحدي، وأن محمداً عبدي ورسولي، وأن علي بن أبي طالب خليفتي، وأن الأئمة من ولده حُجَجي ـ أدخلْتُه الجنة برحمتي»(٢). **حديث موضوع.**

٨ ـ وأخرج الصدوق أيضاً بسنده إلى الإمام جعفر الصادق عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «الأئمةُ بعدي اثنا عشر، أوَّلُهم عليٌّ، وآخرهم القائم، هم خلفائي وأوصيائي» الحديث(٣). **حديث موضوع.**

ثالثاً: نصوص من كتب الشيعة المتقدمين والمتأخرين في دعوى الوصية والنص على علي:

١ ـ في «رجال الكشي»: (كان عبد الله بن سبأ أوَّلَ مَن أشهرَ القولَ بفرضِ إمامة علي، وأظهرَ البراءة من أعدائه، وكاشَفَ مخالفيه، وأَكْفَرَهم. فمن هاهنا قال من خالف الشيعة: أصلُ التشيع والرفضِ مأخوذٌ من اليهودية)(٤).

(١) المراجعات (٧٧)؛ مجمل عقائد الشيعة، ص ٢٤٦؛ تبصير السوي، ص ١٠٢، وانظر ما تقدم: ص٧٦ حديث (ج) في هذا الكتاب.

(٢) تبصير السوي، ص٩٣، وبهامشه مراجع الشيعة التي أخرجته، وهو في المراجعات.

(٣) تبصير السوي، ص ٩٤، وفيه المراجع التي أخرجته، وهو في المراجعات.

(٤) رجال الكشي، ص ١٩٢ رقم (١٧٤)؛ أصول مذهب الشيعة: ٢/٢٦٤.

٢ ـ وفي «نهج البلاغة» ـ الكتاب المقدس عند الشيعة ـ من خُطَب علي في كتاب له إلى أخيه عَقيل: (فَدَعْ عنك قريشاً[١] وتَرْكاضَهُم في الضلال، وتَجْوَالَهم في الشِّقاق، وجِمَاحَهم في التِّيه، فإنهم قد أَجمعوا على حربي كإجماعِهم على حرب رسول الله ﷺ قَبْلي، فَجَزَتْ قريشاً عنِّي الجوَازي، فقد قَطَعوا رَحِمي، وسَلَبُوني سلطانَ ابن أمِّي!)[٢].

و(**سلطان ابن أمي**): يعني به الخلافة، وابن أمه هو رسول الله ﷺ.

٣ ـ وفي «الكافي» للكُلِيني: (ولايةُ عليٍّ مكتوبة في جميع صُحف الأنبياء، ولن يبعث الله رسولاً إلا بنبوة محمد ﷺ ووصيةِ عليٍّ عليه السلام)[٣].

٤ ـ ويسجِّل ابنُ بابَوَيْه القُمِّي «عقائد الشيعة في القرن الرابع الهجري» ويقول بأنهم: (يعتقدون بأن لكل نبيٍّ وصيّاً أوصى إليه بأمر الله تعالى)، ويذكر المَجْلسي في «البحار»: (أن عليّاً هو آخر الأوصياء)[٤].

٥ ـ وروت كتب الشيعة الإثني عشرية عن أبي جعفر عن جابر قال: (دخلتُ على فاطمة وبين يديها لوحٌ فيه أسماءُ الأوصياء من ولدِها، فعَدَدتُ اثني عشر آخرهم القائم، ثلاثة منهم محمد، وثلاثة منهم علي)[٥].

٦ ـ وقال ابن المُطَهَّر الحِلِّي في «منهاج الكرامة»: (لمَّا بعث الله محمداً ﷺ قام بنقل الرسالة، ونَصَّ على أن الخليفةَ بعده عليُّ بن أبي طالب،

---

(١) المقصود هنا: صحابة النبي ﷺ.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٣٣١/٨، ٣٣٣.

(٣) أصول الكافي: ٢٦١/١؛ أصول مذهب الشيعة: ٦٦/١.

(٤) عقائد الصدوق، ص١٠٦؛ بحار الأنوار: ٣٤٢/٣٩؛ أصول مذهب الشيعة: ٢٦٤/٢ـ٢٦٥.

(٥) أصول الكافي: ٣٢١/١؛ إكمال الدين، لابن بابويه، ص٢٦٤؛ الإرشاد، للمفيد، ص٣٩٣؛ أصول مذهب الشيعة: ٢٨١/٢.

ثم بمن بعده على ولده الحسن الزكي، ثم على ولده الحسين الشهيد...) فذكر بقيةَ الأئمة الاثني عشر، ثم قال: (إن النبي ﷺ لم يَمتْ إلا عن وصيةٍ بالإمامة)(١).

وسار المتأخرون من الرافضة على نهج أسلافهم، ومن أمثلة ذلك عند المعاصرين:

١ ـ يقول محمد باقر المحمودي ـ الموصوف عندهم بالمحقق الخبير ـ في تعليقاته على «ترجمة علي من تاريخ ابن عساكر»: (وعندما نزل قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، وذلك بعد ثلاث سنين من مبعثه الشريف، فتظاهَرَ ـ عليٌّ ـ عليه السلام بإجابة الدعوة في منتدى الهاشميين المعقود لها، ولم يلبِّها غيرُه، ومن يوم ذاك اتخذه رسول الله ﷺ: أخاً ووصيّاً وخليفة ووزيراً)(٢).

ولسنا في معرِض الردِّ على هذا الكذب، لكن لِيعلَم القارئ أن عليّاً رضي الله عنه كان آنذاك صبيّاً عمره (١٣) سنة في أبعد تقدير، فأيةُ نصرة يقوم بها للدعوة أمام جحافل المشركين وعُتاتهم؟!.

٢ ـ ويقول محمد جواد مغنيَّة: (والشيعة يختلفون عن غيرهم في القول: إن الإمام يتعين بالنصّ من النبي، ولا يجوز لنبيٍّ إغفالُ النصِّ على خليفتهِ وتفويضُ الأمر إلى اختيار الأمة. وأن يكون الإمام معصوماً عن الكبائر والصغائر. وأن النبي قد نَصَّ بالخلافة على علي بن أبي طالب دون سواه، وأنه أفضلُ الخلق على الإطلاق!)(٣).

---

(١) منهاج السُّنَّة: ١/٧٧ـ٧٨.

(٢) ابن عساكر: ١/٥٦، وانظر: ٣/٩٩ـ١٠٠.

(٣) كتابه: الشيعة والحاكمون، ص١٢.



٣ ـ ويبيـــن الدكتور إبراهيم بيضون الرؤيةَ الشـــيعية للإمامـــة (الدولة) على قاعدة؛ (أن الإمامة من مقتضيات الدين أو ضروراتـــه)؛ فيقول: (فالإمام ـ علي ـ حين تصدَّى للأمر بناءً على «نصّ الوصيّة» إنمـــا كان يتفاعل معه من منطق هذه الضرورة الدينية، وليس من مجرد الطموح الشخصي الذي هو من منظور سياسي حق لكل الصحابة المتطلعين إلى الســـلطة في ذلك الوقت، ولذلك كانت البيعة لأبي بكر خرقاً برأيِ عليٍّ لقرار نبويٍّ كان معروفاً لدى الصحابة الكبار!)[١].

٤ ـ ويوضح هاشم معروف الحَسني كيف تآمرَ الصحابة على إقصاء عليٍّ عن حقه فـــي الخلافة، فيقول بعد كلام طويل: (ومـــن مجموع ذلك يتبين أن التخطيط لإقصاء عليٍّ عن السلطة والاستيلاء عليها لم يكن وليدَ ساعتهِ كما تؤكده الشواهد السابقة. كما تبين أن القادة الثلاثة أبا بكر وعمر بن الخطاب وابن الجرّاح هم قاعدة الحزب القرشـــي المتآمر على الاستيلاء على السلطة وإقصاء علي بن أبي طالب عنها)[٢].

ويتابعهم في ذلك الضلال بعض الكتَّاب من أهل السُّنَّة، ونذكر نموذجين منهم لشهرتهما واغترار الناس بهما:

١ ـ تحدث عباس محمود العقّاد عن اختيار الخليفة بعد استشـــهاد أمير المؤمنين عثمان، فقال: (وهذا الخبر على وجازته قد حصر لنا أســـماء جميع المرشـــحين للخلافة بالمدينة عند مقتل عثمان، وربما كان أشـــدَّهم طلباً لها طلحةُ والزبيرُ، اللذان أعلنا الحرب على علي بعد ذلك! فقد كانا يمهدان لها في حياة عثمان، ويحسبان أن قريشـــاً قد أجمعت أمرَها ألا يتولاها هاشمي، وأن عليّاً وشـــيكٌ أن يُذادَ عنها بعـــد عثمان كما ذِيدَ عنها مـــن قبله! وكانت السيدة عائشـــة تُؤْثر أن تؤول الخلافة إلى واحد من هذين، أو إلى عبد الله بن

(١) كتابه: الإمام علي، ص ١٢٥.

(٢) كتابه: سيرة الأئمة الاثني عشر، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥.

الزبيـــر؛ لأن طلحة من قبيلة تَيْـــم[١]، والزبير زوج أختها أســـماء، وفي تأييد السيدة عائشة لواحد منهم مَدْعاة أملٍ كبير في النجاح)[٢].

٢ ـ ومشى على هذا خالد محمد خالد، فنقل كلاماً على لسان علي بأنه تأخَّر عن بيعة أبي بكر، وقال: (إنكم تدفعـــون آلَ محمد عن مقامه ومقامهم في الناس، وتنكِرون عليهـــم حقهم، أمَا والله لنحنُ أحـــق منكم بالأمر). ثم ذكر: (أن الإمام في موقفه ذاك لم يكن مدفوعاً برغبته الشخصية في الخلافة، ولم يكـــن يَنْفَس على أبي بكر هـــذا المنصب، إنمـــا كان يدافِع عن حق رآه واعتقده، ولم يكن بالنسبة له موضع ريب أو شك!)[٣].

رابعـاً: نقض دعوى الوصية بدلائـل الأحاديث الصحيحة الصريحة عن جمهرة من الصحابة ومنهم علي:

١ ـ عن الصحابي أبي جُحَيْفة وَهْب بن عبد الله السُّـــوَائي ﷺ قال: (قلتُ لعليٍّ ﷺ: هل عندكم شـــيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: لا، والذي فَلَق الحَبَّة وبَرَأَ النَّسَمةَ، ما أَعلمُه، إلا فهماً يُعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفـــة، قلتُ: وما في الصحيفـــة؟ قال: العَقْل، وفَكَاكُ الأســـير، وأن لا يُقتل مسلمٌ بكافر) لفظ البخاري.

وفي رواية: عـــن أبي جحيفة قال: (قلـــتُ لعلي: يا أميـــرَ المؤمنين، هل عندكم ســـوداءُ في بيضاءَ ليس في كتاب الله؟ قال: لا، والذي فَلَق الحبَّة وبرأَ النَّسَمة) لفظ الترمذي.

---

(١) هي قبيلة سيدنا أبي بكر الصديق.

(٢) عبقرية الإمام علي، ص٦٢. وهو كلام كله افتراء علـــى أكابر الصحابة، واتهام لهم بالغدر والتآمر والطمع بالسلطة، وسيرتهم الطاهرة تكذب كل ذلك!.

(٣) خلفاء الرسول، ص ٥٢٤ـ٥٢٥.

ـ وعن إبراهيم بن يزيد بن شَريك التيمي، عن أبيه قال: (خطبنا علي بن أبي طالب فقال: من زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة ـ قال: وصحيفة معلقة في قِراب سيفه ـ فقد كذب...) الحديث. لفظ مسلم.

ـ وعن الصحابي أبي الطُّفَيْل عامر بن واثِلَة قال: (قيل لعليٍّ بن أبي طالب: أخبِرْنا بشيء أَسرَّ إليك رسولُ الله ﷺ؟ فقال: ما أَسرَّ إليَّ رسولُ الله ﷺ شيئاً وكَتَمه الناسَ، ولكنه سمعتُه يقول: «**لَعَنَ الله من سَبَّ والديه، ولعنَ الله من غيَّر تُخومَ الأرض، ولعن الله من آوى مُحْدِثاً**») لفظ مسند أحمد.

ـ ورواه عن علي أيضاً: أبو حسان الأعرج، وطارق بن شهاب، وقيس بن عُبَاد، والحارث بن سُويد، وكلها صحاح[1].

وقد أطلتُ في ذِكْر روايات هذا الحديث وطُرُقه وتخريجه، ليكون ذلك ردّاً على الرافضي محمد باقر المحمودي ـ وأمثاله ـ محقق «ترجمة علي في تاريخ ابن عساكر»، الذي حَكَم على الحديث بأنه كذبٌ مختلَقٌ، وراح يشتم عمر الفاروق وأبا هريرة وعمرو بن مَعْدِيكَرب[2]!.

قال الحافظ: (وإنما سأله أبو جحيفة عن ذلك لأن جماعة من الشيعة كانوا يزعمون أن عند أهل البيت ـ لا سيما علياً ـ أشياءَ من الوحي خَصَّهم النبي ﷺ بها، لم يطَّلع غيرهم عليها)[3].

٢ ـ وعن أبي الطُّفَيْل عامر بن واثلة اللَّيثي ـ وهو آخر الصحابة موتاً، وكان من شيعة علي ـ قال: (كنتُ عند علي بن أبي طالب، فأتاه رجلٌ فقال:

---

(١) أخرجه البخاري (١١١) وأطرافه؛ ومسلم (١٣٧٠)؛ وأبو داود (٢٠٣٤)؛ والترمذي (١٤٧٠، ٢٢٦٠)؛ والنسائي في الكبرى (٤٢٦٣، ٤٢٦٤)؛ وابن ماجه (٢٦٥٨)؛ وأحمد (٨٥٨، ٩٥٤)؛ وابن حبان (٣٧١٦، ٣٧١٧)، وغيرهم.

(٢) تاريخ ابن عساكر: ١/٨ـ٩.

(٣) الفتح: ١/٣٨٨ (١١١).

ما كان النبي ﷺ يُسِـرُّ إليك؟ قال: فغضب ـ وفي رواية النسائي: حتى احمَرَّ وجْهُه ـ وقال: ما كان النبي ﷺ يُسِرُّ إليَّ شيئاً يَكتُمه الناسَ، غيرَ أنه قد حدَّثَني بكلماتٍ أربع، قال: فقـال: ما هنَّ يا أمير المؤمنين؟ قـال: قال: «**لَعَن الله مَن لعن والدَه، ولعن الله من ذَبح لغيرِ الله، ولعن الله من آوى مُحْدِثاً، ولعن الله من غَيَّر منارَ الأرض**»)[١].

قال النووي: (فيه إبطال ما تزعمه الرافضة والشـيعة الإمامية من الوصية إلى علي وغير ذلك من اختراعاتهم)[٢].

٣ ـ وعن علي رضي الله عنه قـال: (أَمَرني النبـيُّ ﷺ أن آتيه بِطَبَـقٍ[٣] يكتب فيه ما لا تَضِلُّ أمَّتُه من بعده، قال: فخشـيتُ أن تفوتني نَفْسُـه، قـال: قلت: إنّي أحفظُ وأَعِي، قال: «**أُوصِي بالصلاة والزكاة وما ملكَتْ أيمانُكم**»)[٤].

وهذا يؤكد عدمَ الوصية لعليٍّ بالخلافـة، فكيف لا يُثبتُ النبي ﷺ ذلك في وصاياه في آخر عهده بالدنيا، وهو أهمُّ من الوصية بمُلك اليمين؟! وكيف لا يَحرص علي على التحديث بالوصية لو كانت عنده؟! وفيه كذلك ردٌّ على الرافضة الذين يزعمون أن رسول الله ﷺ كان يريد أن يكتب (كتاباً فيه الخلافة لعلي)، فمنَعَه عُمر والصحابة!.

٤ ـ وعن أبي وائل شَـقيق بن سَـلَمة قال: (قيل لعليٍّ: اسـتخلِفْ، قال: ما اسـتخلَفَ رسـول الله ﷺ فأَسـتخلِفُ، ولكنْ إنْ يُـردِ الله بالنـاس خيراً سيجمعُهم على خيرِهم كما جمعهم بعد نبيِّهم على خيرهِم)[٥].

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨)؛ والنسائي في الكبرى (٤٤٩٦)؛ والبخاري في الأدب المفرد (١٧)؛ وابن حبان (٥٨٩٦)، وغيرهم.

(٢) شرح صحيح مسلم: ١٥٧/٧، وانظر: ١٥٦/٥ (١٣٧٠).

(٣) عُظَيم رقيق يفصل بين كل اثنتين من فقار الظهر.

(٤) أخرجه أحمد (٦٩٣)، وحسنه أحمد شاكر.

(٥) حديث صحيح بطرقه وشواهده، وقد تقدم مع تخريجه: ص٢٥٩ حاشية (٢) في هذا الكتاب.

٥ ـ وعن علي رضي الله عنه قال: (واللهِ ما مات رسولُ الله ﷺ موتَ فجأةٍ، ولا قُتل قتلاً، ولقد مكَث في مرضه كل ذلك يأتيه المؤذِّن فيُؤْذِنُه بالصلاة، فيقول: «**مُروا أبا بكر فَلْيُصلِّ بالناس**»، ولقد تركني وهو يرى مكاني، ولو عَهِد إليَّ شيئاً لقمتُ به)[1].

نقول: صَدَق سيدنا علي، فهكذا عَهِده الناسُ والتاريخُ في صراحته وإخلاصه وأمانته وجرأته، ولو كان عنده (وصية أو عهد) من النبي ﷺ بالخلافة لما توقف لحظة عن القيام بها، ولم يسلك طريق (التقيَّة) التي تفتريها الرافضة!.

٦ ـ وعن زيد بن يُثَيْع، عن عليٍّ قال: (قيل: يا رسول الله، مَن يُؤَمَّر بعدَك؟ قال: «**إنْ تؤمِّروا أبا بكر تجدوه أميناً زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة، وإنْ تؤمِّروا عمرَ تجدوه قويّاً أميناً لا يخاف في الله لومة لائم، وإنْ تؤمِّروا عليّاً، ولا أُراكم فاعلين، تجدوه هادياً مهديّاً يأخذ بكم الطريق المستقيم**»)[2].

فلو كان ثَمَّة وصية لَمَا رَدَّدَ النبي ﷺ الأمرَ بين ثلاثة، وترك الأمر لاختيار المسلمين، بل كان جَزَم بعليٍّ! وهذه الأحاديث الستة تدمغ الرافضة، فهي جميعها عن علي رضي الله عنه.

٧ ـ وعن عبدالله بن عباس: (أن عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عندِ النبي ﷺ في وجعهِ الذي توفِّي فيه، فقال الناس: يا أبا حسن، كيف أصبح رسولُ الله ﷺ؟ قال: أصبح بحمد الله بارئاً. فأخذ بيده العباسُ فقال: ألا تراه؟

(١) حديث صحيح، تقدم مطولاً: ص٢٥٦ في هذا الكتاب.
(٢) أخرجه أحمد (٨٥٩)؛ والبزار (٧٨٣)؛ والحاكم: ٣/٧٠؛ وذكره الحافظ في (الإصابة: ٢/٥٠٣) وقال: سنده جيد، وصحَّحه أحمد شاكر.

أنت والله بعد ثلاثٍ عبدُ العصا! والله إني لأُرَى رسولَ الله ﷺ سيُتوفَّى في وجعه، وإني لأعرفُ في وجوه بني عبد المطلب الموتَ، فاذهَبْ بنا إلى رسول الله ﷺ فنسألَهُ فيمن يكون الأمرُ؟ فإن كان فينا عَلِمْنا ذلك، وإن كان في غيرنا أَمَرْناهُ فأوصَى بنا. قال علي: والله لئنْ سألناها رسولَ الله ﷺ فمَنَعَناها، لا يُعطيناها الناسُ أبداً، وإني لا أسألُها رسول الله ﷺ أبداً)[1].

قوله: (**هذا الأمر**): أي الخلافة.

(**لا أسألها رسول الله**): أي لا أطلبها منه.

قال الحافظ: (وفي «فوائد أبي طاهر الذُّهْلي» بسند جيد: عن ابن أبي ليلى قال: سمعتُ عليّاً يقول: لقيني العباس ـ فذكر نحوَ القصة التي في هذا الحديث باختصار، وفي آخرها ـ قال: سمعتُ عليّاً يقول بعد ذلك: يا ليتني أطعتُ عباساً، يا ليتني أطعتُ عباساً!)[2].

وقال الإمام ابن العربي: (وهذا يُبطِل مدَّعَى الإشارة باستخلاف علي، فكيف أن يُدَّعَى فيه نص؟!)[3].

٨ ـ وعن ابن عباس في حديث طويل في (مرض النبي ﷺ وأمرِه أن يصلي أبو بكر بالناس)، قال ابن عباس في آخر الحديث: (فمات رسول الله ﷺ ولم يُوصِ)[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٤٧، ٦٢٦٦)؛ وعبدالرزاق (٩٧٥٤)؛ وأحمد (٢٣٧٤، ٢٩٩٩)؛ وابن سعد: ٢٤٥/٢؛ والفسوي: ٣٧٨/١.

(٢) الفتح: ٧٩١/٩، شرح الحديث (٤٤٤٧).

(٣) العواصم من القواصم، ص ١٩٥.

(٤) أخرجه أحمد (٣٣٥٤، ٣٣٥٥)؛ وذكره الحافظ في الفتح: ٢٦٣/٧ (٢٧٤١) وقال: سنده قوي.

٩ ـ وعن طلحة بن مُصَرِّف قال: (سـألتُ عبد الله بن أبي أَوْفَى رضي الله عنهما: هل كان النبي ﷺ أَوْصَى؟ فقـال: لا، فقلتُ: كيف كُتِب علـى الناس الوصيةُ أو أُمِروا بالوصية؟ قال: أوصَى بكتاب الله)(١).

زاد ابن ماجه في روايته: (قال طلحة بن مُصَرِّف: قال الهُزَيْل بن شُرَحْبِيل: أبو بكر كان يتأمَّـر على وَصِيِّ رسـول الله ﷺ؟! وَدَّ أبو بكر أنـه وَجدَ من رسول الله ﷺ عهداً فخَزَم أنفَه بِخُزَامٍ!).

قال السِّـنْدي: قول الهُزيل بتقدير الاستفهام الاستنكاري؛ أي: هل يجيء من أبي بكـر أن يتكلَّف بالإمارة على علـيٍّ لو كان هو وصيّـاً كما يزعمه الروافض؟! حاشاه من ذلك.

١٠ ـ وعن الأسـود بن يزيد قـال: (ذَكَروا عند عائشـة أن علياً رضي الله عنهما كان وَصِيّاً، فقالت: متى أَوْصَى إليه، وقد كنتُ مُسْـنِدتَهُ إلـى صَدْري ـ أو قالت: حَجْري ـ فدعَا بالطَّسْـتِ، فلقد انْخَنَثَ في حَجْري فما شعرتُ أنه قد مات، فمتى أَوْصَى إليه؟!)(٢).

خامساً: هدم دعوى الوصية بنصوص من كتب الشيعة وبخاصة خطبُ علي:

يَعتبر الشـيعة «نهجَ البلاغة» أصـحَّ الكتب عندهم، وهـو الكلام الذي لا ريبَ فيه ولا يأتيه الباطل من بين يديـه ولا من خلفه، ويطمئنون إلى كل كلمة فيه؛ لأنه كلام المعصوم على وجه اليقين عندهم(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٤٠)؛ ومسـلم (١٦٣٤)؛ والنسـائي في الكبرى (٦٤١٤)؛ والترمذي (٢٢٥٢)؛ وابن ماجه (٢٦٩٦)، وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٤١)؛ ومسـلم (١٦٣٦)؛ والنسـائي في الكبرى (٦٤١٨)؛ وغيرهم. **انخنث**: انكسر وانثنى لاسترخاء أعضائه عند الموت.

(٣) انظر: أصول مذهب الشيعة: ٢/٢٨٤، ٣١٦، ٣٢٠.

وقد جاءت فيه نصوص كثيرة تزيّف (دعوى النص بالخلافة لعليٍّ)، ومن ذلك:

١ ـ قول عليّ لمَّا أراده الناس على البيعة: (دَعُوني والتمِسوا غيري؛ فإنَّا مستقبلونَ أمراً له وجوهٌ وألوانٌ، لا تقومُ له القلوب، ولا تَثبتُ عليه العقول. وإن الآفاق قد أَغامَتْ، والمحجَّة قد تنكَّرتْ. واعلموا أَني إنْ أجبتُكم رَكِبتُ بكم ما أعلمُ، ولم أُصْغِ إلى قولِ القائل، وعَتْبِ العاتب، وإنْ تركتُموني فأنا كأحدِكم، ولَعَلِّي أَسمعُكم وأطوعُكم لمن ولَّيْتُموه أمرَكم، وأنا لكم وزيراً خيرٌ لكم منِّي أميراً!)[١].

فلو كان علي منصوصاً عليه بالإمامة من جهة الرسول ﷺ لَمَا جاز له أن يقول: (دعوني والتمسوا غيري)، ولا أن يقول: (ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم)، ولا أن يقول: (وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً)، هذا كلام ابن أبي الحديد!.

إذ كيف يرفض الإمامُ المعصوم مبايعتَه بالإمامة في قوله: (دعوني)، مع أن ذلك أهمُّ ركنٍ من أركان الدين؟! وكيف يأمرهم بمبايعة غيرِه في قوله: (التمسوا غيري)، مع أن كتب الشيعة تقول: (ثلاثةٌ لا يَنظر الله إليهم ولا يكلِّمهم ولهم عذابٌ أليم: مَن بايَعَ إماماً ليس من عند الله،...)[٢].

وقد زَيَّف ابنُ أبي الحديد الشيعي المعتزلي حجةَ الإمامية بالنص على علي، ومزاعمَ الذين يَصرفون كلامَ علي عن ظاهره[٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٥/٤.
(٢) أصول مذهب الشيعة: ٣١٧/٢؛ أصول الكافي: ٢٢٠/١ ـ ٢٢٢؛ بحار الأنوار: ١١١/٢٥.
(٣) شرح نهج البلاغة: ٢٥/٤ـ٢٧. وانظر: الشيعة والتشيع، ص١٢٢ـ١٢٣.



٢ ـ ويشير سيدنا علي في نصٍّ آخر إلى أن قبولَه للخلافة لم يكن عن رغبةٍ بها ولا تطلُّعٍ إليها، ولكن استجابة لحملِ المسلمين له على ذلك، ولم يَدَّعِ نصّاً ولا وصيةً، يقول:

(والله ما كانت لي في الخلافة رغبةٌ، ولا في الولاية إِربةٌ، ولكنكم دعوتُموني إليها، وحَمَلْتُموني عليها، فلما أَفْضَتْ إليَّ نظرتُ إلى كتاب الله وما وَضَع لنا وأَمَرنا بالحكمِ به فاتبعته، وما استَنَّ النبيُّ ﷺ فاقتديتُه)[١].

فهذا كلام عربي واضح مبين لا مواربة فيه ولا تقيَّة، ولا وصية مزعومة، ولا حق مَطْلول، وإنما جاءت الخلافة إليه في إبَّانها، وصادفت منه أهلَها ومستحِقَّها، بطلب من الصحابة ودعوته لحملِ أمانتها والقيام بأعبائها.

٣ ـ ويذكر عليٌّ رضوان الله عليه على الملأ أن (ثبوتَ خلافته تمَّ بمبايعة المهاجرين والأنصار الذين كانت الشورى لهم، وكان إجماعُهم هو المعتبَر في هذا المقام، ولو كان هؤلاء مرتدين كما تصفِهُم كتب الشيعة لم يجز اعتبار بيعتهم وإجماعهم)[٢].

ويَحتجُّ بذلك على معاوية ﷺ، وأنه يجب عليه أن يبايعه تبعاً لبيعة المهاجرين والأنصار، فيقول أمير المؤمنين:

(إنه بايَعَني القومُ الذين بايَعُوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهدِ أن يختارَ ولا للغائب أن يَرُدَّ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجلٍ وسَمَّوْهُ إماماً كان ذلك لله رِضاً، فإنْ خَرج عن أمرِهم خارجٌ بطعنٍ أو بدعةٍ رِدُّوه إلى ما خَرج منه، فإن أَبى قاتَلُوه على اتباعه غيرَ سبيل المؤمنين، وولَّاه الله ما تولى)[٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٨/٦.

(٢) أصول مذهب الشيعة: ٣١٩/٢.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٢٥٨/٧.

فهذا الكلام من أمير المؤمنين علي واضح الدلالة على عدم وجود (نص على الإمامة)، وأن طريقة بيعته لا تختلف عمن سبقه، وخلافته ثابتة بالبيعة من قبل المهاجرين والأنصار، وإجماعُهم هو الأصل في الاختيار لا (النص المزعوم)، فمن اختاروه وأجمعوا عليه فهو الخليفة. ولو كان عند علي نصٌّ ووصيةٌ لصرَّح لهم بذلك وواجههم به؛ بأنه لا داعي لاختيارهم لأنه منصوصٌ عليه موصًى بإمامته وخلافته من قبل النبي ﷺ!.

ويردُّ ابنُ أبي الحديد دعوى الإمامية بأن هذا الكتاب من علي إلى معاوية خرج مخرج التقيَّة، ولم يصرح له (بأنه منصوص عليه) حتى لا يكون في ذلك طعن على الخلفاء الثلاثة قبله، فتفسد حالُه مع الذين بايعوه من أهل المدينة، يقول ابن أبي الحديد:

(وهذا القول من الإمامية دعوى لو عضدها دليل لوَجَب أن يُقال بها، ويُصار إليها، ولكن لا دليل لهم على ما يذهبون إليه من الأصول التي تسوقهم إلى حمل هذا الكلام على التقيَّة)[1].

٤ ـ وأَكَّد علي ﷺ أن (الإمامة والاستخلاف تكون بالكفاءة والبيعة) لا بالوصية والوراثة، فمن ذلك قوله:

(أيها الناسُ، إن أحقَّ الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلَمُهم بأمر الله فيه، فإنْ شَغَب شاغبٌ استُعتِب، فإنْ أبى قوتِل.

ولَعَمْري لئن كانت الإمامة لا تنعقِدُ حتى تحضُرَها عامة الناس، ما إلى ذلك سبيل، ولكنْ أهلُها يَحكُمون على من غاب عنها، ثم ليس للشاهد أن يرجِعَ، ولا للغائب أن يَختار)[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٥٩/٧.

(٢) المرجع السابق: ٢٤٠/٥.

سادساً: ومن الأدلة على (بُطلان دعوى الوصية لعلي) كثير من الأقوال التي صرح بها أمير المؤمنين علي نفسه في مناسبات عديدة:

ومن ذلك:

١ ـ عندما استشــهد عثمان وجاءه المهاجرون والأنصار والناس يطلبون إليه البيعة بالخلافة، أشفق من ذلك، وقال:

(فإنْ أبيتُم علَيَّ فإنْ بيعتي لا تكون سِرّاً ولكنْ أخرج إلى المسجد فمن شاء أن يبايعني بايَعَني). قال محمد ابن الحنفيَّة: (فخرج إلى المسجد فبايعه الناس)(١).

فالأمر شــورى وبيعة، ولو كانت وصية كما يزعــم الزاعمون فلا اختيار للناس، ولا يصح قول علي لهم: (فمن شاء أن يبايعني بايعني).

٢ ـ وفي معرِض مقتل عثمان وتبرُّؤ عليٍّ من دمه، يقول رضي الله عنه:

(فلما دُفن رَجَع الناس يَســألونني البيعةَ، فقلتُ: اللَّهمَّ إني لَمُشْــفِقٌ مما أُقْدِم عليه، ثم جاءت عزمةٌ فبايعتُ، فلما قالوا: يا أميرَ المؤمنين، فكأنما صُدِع قلبي!)(٢).

٣ ـ وفي قصة مقتل عثمان ومبايعةِ الناس عليّاً؛ روى عاصم بن كُلَيب بن شهاب الجَرْميُّ، عن أبيه، عن علي قال: (عَدَا الناسُ على هذا الرجل ـ عثمان ـ وأنا معتــزِل، فقتلوه، ثم ولَّوني وأنــا كارِهٌ، ولولا الخشــيةُ على الدِّين لم أُجِبْهُم!)(٣).

---

(١) فضائــل الصحابة، لأحمد: ٥٧٣/٢؛ السُــنَّة، للخــلال، ص٤١٦ ـ٤١٧؛ تاريــخ الطبري: ٤٢٧/٤ ـ٤٢٨، وغيرهم، والسند صحيح.

(٢) المســتدرك: ٩٥/٣، ١٠٣، وصحَّحه الحاكــم، ووافقه الذهبي؛ الإمامــة، لأبي نعيم، ص ٣٢٩؛ ابن عساكر «ترجمة عثمان»، ص ٤٦٢.

(٣) تاريخ الطبري: ٤٩١/٤؛ وذكره الحافظ في الفتح: ٣٧٣/١٦ (٧١٠٠) وسكت عليه، وسنده لا بأس به.

وهذا واضح في أنه لا نص ولا وصية، فالوصي المعصوم لا يتخلى عن القيام بواجبه، ولا يتولاه وهو كاره له!.

٤ ـ وفي «أخبار البصرة» لعمر بن شَبَّة، بإسناده إلى الشعبي قال: (لما قُتل عثمان أتى النـاسُ عليّاً وهو في سوق المدينة، فقالوا له: ابسُطْ يدَك نبايعك، فقال: حتى يتشاور الناس)[1].

فبيعة علي كانت بالشورى لا بالوصية، كما يصر علي نفسه على ذلك.

٥ ـ وعن ابن عباس: أن عليّاً قال (يوم الشورى والبيعة لعثمان) وهو يخاطب عبدالرحمن بن عوف: (ولنا حقٌّ إنْ نُعطَه نأخذه، وإنْ نُمْنَعْه نركَب أعجازَ الإبل وإنْ طالَ السُّرى. ولو عَهِد إلينا رسول الله ﷺ عهداً لَجالَدْنا عليه حتى نموت، أو قال لنا قولاً لأَنفذْنا قولَه على رغمنا)[2].

وهذا نص صريح من علي ﷺ بأن النبي ﷺ لم يَعهد إليه بشيء من أمر الخلافة، ولو عنده في ذلك عهدٌ لَجالَد عليه حتى يموت، وهو في هذا صادق بارٌّ راشد.

سابعاً: دلائل مقارنة عقلية منطقية تاريخية تدحض (دعوى الوصية):

لو أن رسول الله ﷺ كان يرى تحديدَ شكل الخلافة والحكم أو شخص الخليفة أمراً من أمور الدين وشأناً من شؤون الرسالة ـ لما تركه من غير بيان واضح وقول صريح، يقع من المسلمين جميعاً موقع اليقين، فلا يختلفون فيه

(١) الفتح: ٣٦٩/١٦، وسنده صحيح أو حسن كما اشترط الحافظ فيما ينقله عن «أخبار البصرة».

(٢) ابن عساكر: ٣/٨٤ـ٨٥؛ غريب الحديث، لابن قتيبة: ١٣٨/٢؛ وأخرجه الطبري مطولًا: ٢٣٦/٤ لكن فيه رجل متروك؛ ونقله عنه ابن أبي الحديد: شرح النهج: ١٧٧/١.

ولا يتأوَّلون له، ويَشيع بينهم ويتناقلونه جيلاً بعد جيل، شأنهم في ذلك كشأنهم مع مقررات الرسالة وأحكامها[١].

ونشير في هذه الفقرة لأدلة واقعية وتاريخية ومنطقية على زيف (دعوى الوصية) لتكتمل جوانب البحث:

١ ـ ليس في كتاب الله تعالى ذِكْر للأئمة الاثني عشر بأسمائهم، كما ذُكِرَ الرسول ﷺ باسمه وصفته، و(الإمام) عند الرافضة كالنبي، ومنكِر الإمام كمنكِر النبي أو أعظم!.

كذلك لا نجدُ (لإمامة الاثني عشر) ذِكراً صريحاً في كتاب الله كما ذُكرت أركان الإسلام صريحة واضحة في مواضع عديدة من الكتاب العزيز من غير حاجة لمعرفة أصلها إلى تأويل باطني أو روايات موضوعة، والإمامةُ عندهم أعظمُ أركان الإسلام[٢]!.

٢ ـ إن مسألة النصِّ على عليٍّ وباقي الاثني عشر؛ مما تتوفر الدواعي والهِمم على نقله، فلو كان له أصلٌ لنُقل، لا سيما مع كثرة ما يُنقل في فضائل علي من الكذب الذي لا أصل له، فكيف لا يُنقل الحق الذي قد بُلِّغ للناس؟! ولأن النبي ﷺ أَمر أمتَه بتبليغ ما سمعوا منه، فلا يجوزُ عليهم كتمانُ ما أمرهم الله بتبليغه. ولو كَتَم الصحابة (مسألةَ النص عليه) لكَتَموا فضائلَ علي ومناقبه ولم ينقلوا منها شيئاً، وهذا خلاف الواقع[٣].

---

(١) انظر: منهاج السُّنَّة: ٤٦/١ ـ ٧٦، ٤٥٨/٢ ـ ٤٦٨؛ علي بن أبي طالب، لعبد الكريم الخطيب، ص ١٥٨ ـ ١٦٠.

(٢) انظر: أصول مذهب الشيعة: ٣٢٤/٢.

(٣) منهاج السُّنَّة: ٣٢٨/٤ ـ ٣٢٩؛ أصول مذهب الشيعة: ٣٢٥/٢.

٣ ـ من المعروف المشـهور قديماً وحديثاً أن أبا بكـر حيث نَصَّ على عمـر ما اختَلَف فيه اثنان، ولا وقع في ذلك خفـاء. وكذلك حيث نَصَّ عمرُ على ستة أنفس من قريش، ظهر ذلك عنهم ظهوراً لا يَسع جحدُه، ولا يمكن ردُّه. ورسـول الله ﷺ أفضلُ، ومبادرةُ الخلق إلى امتثال أمره أكثر، وتشـوُّفُ النفوس إلى نقـل ما صدر عنه أعظمُ ـ فمن المحـال البيِّن أن يَنص أبو بكر على واحد ولا يقع خلافٌ فيمن استخلَفه، ولا أمكن أحدٌ أن يكتمه، وكذلك عمر، بل معاوية حيث نَصَّ على يزيدَ؛ اشـتهر ذلك ونُقل عنه اشتهاراً ظاهراً متواتراً لا نزاع فيه ولا مراء. فكيف نُقل نص معاوية، وكُتِم نصُّ رسول الله ﷺ وما نقله أحد، باعتراف الشـيعة الذين يُقِرُّون بأن (مسـألة الولاية وأحاديثها) سرٌّ من أسرارهم؟!(١).

٤ ـ كيف يَحتمل عقل عاقل، أو يَشتبه على برٍّ أو فاجر ـ إلا من أراد الله فتنتَـه ـ أن المهاجرين والأنصار وجميـعَ التابعين لهم بإحسـان؛ علِموا أن رسـول الله ﷺ قد نصَّ على علي بن أبي طالب وأمرهـم أن يولُّوه، فعَصَوْه وتركوا أمر الرسـول ﷺ، وأمرهم أبو بكر أن يولوا عمر بن الخطاب فاتبعوه وأطاعـوه، وأمرهـم عمر بن الخطـاب أن يولوا السـتة فلـم يخالفوه ولم يعصوه؟!.

وكيـف يتصور أن يقوم المسـلمون بالصـلاة والزكاة والصـوم والحج والجهاد وغيرها من فرائض الإسـلام، ويتركون فريضة واحدة تُحبط عملَهم كلَّه وهـي بيعة علي؟! وأي مصلحـة لهم في مبايعة أبي بكـر وترك مبايعة علي؟!(٢).

---

(١) دفع شبه الخوارج والرافضة، نقلاً عن: أصول مذهب الشيعة: ٢/٣٢٧ـ٣٢٨.

(٢) إمامة أبي بكر الصديق، لابن زنجويه، نقلًا عن: أصول مذهب الشيعة: ٢/٣٢٨.



٥ ـ لو كان النص على عليٍّ صحيحاً لم يَجُزْ لعليٍّ ﷺ أن يدخل مع الستة الذين نص عليهم عمر، وكان يقول: أنا المنصوص علَيَّ فلا حاجة لي إلى الدخول فيمن نص عليه عمر. ولم يجزْ له أن يبايع أبا بكر وعمر وعثمان.

ولا يجوز أن يُظَنَّ بعلي ﷺ أنه أمسك عن ذِكْر النص عليه خوفَ الموت، وهو الأسد شجاعةً، وقد عرَّض نفسه للموت بين يدي رسول الله ﷺ مرات، ثم يوم الجمل، وصفِّين، فما الذي جَبَّنَه بشأن الجهر بالنص وألجأه إلى التقيَّة؟!.

وقد رأَيْنا عثمانَ بن عفان ـ وهو عند الرافضة أضعفُ من عليٍّ ـ لم يسلِّم الخلافة إلى غير أهلها، ورضي بحكم الله وقضائه، ولم يضيِّع ما جُعل إليه[١]!.

٦ ـ لم يُنقل عن علي ﷺ أنه دعا إلى نفسه وجادل من أجل بيعته، فضلاً عن القتال، ولو وقع ذلك لاشتهر، وقد وقعت مناسبات مهمة وأحداث خطيرة توجب إظهارَ النص؛ كحادثة السقيفة، وحادثة الشورى، فلم يفعل شيئاً من ذلك، بل إنه دعا أصحابه إلى بيعته كما تُقرّ الرافضة ولم يَدَّع نصّاً.

وقد اتفق أهل السُّنَّة والشيعة على أن عليّاً لم يَدْعُ إلى مبايعته في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، ولا بايعه على ذلك أحد[٢].

٧ ـ لو كان الأمر في (الإمامة) على ما يقول هؤلاء الروافض، لَمَا كان الحسن بن علي في سَعة من أن يسلِّمَها إلى معاوية، فيُعينه على الضلال وعلى إبطال الحق وهدمِ الدين، فيكون شريكَه في كل مَظْلِمة، ويُبطِل عهدَ رسول الله ﷺ، ويوافقه على ذلك أخوه الحسين، فما نقض قط بيعة معاوية

---

(١) الفِصَل: ١٦٢/٤؛ دفع شبه الخوارج والرافضة، نقلاً عن أصول مذهب الشيعة: ٣٢٨/٢ـ٣٢٩؛ وانظر: منهاج السُّنَّة: ٤٦٣/٤.

(٢) منهاج السُّنَّة: ٣٩٩/١، ١١٣/٤؛ أصول مذهب الشيعة: ٣٣٠/٢.

إلى أن مات. فكيف استحلَّ الحسن والحسين ﷺ إبطالَ عهد رسول الله ﷺ إليهما طائعَيْن غير مكرهَيْن، مع أن الحسن معه أزيد من مئة ألف فارس يموتون دونه؟![1].

٨ ـ جاء في الكتاب العزيز: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وتواتر عن النبي ﷺ أن خيرَ هذه الأمة القرنُ الأول ثم الذين يَلُونهم ثم الذين يلونهم، وهذه الأمة خير الأمم كما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة؛ فإنْ كان القرن الأول قد جحدوا حقَّ الإمام المنصوص عليه المولَّى عليهم، ومَنَعوا أهلَ بيت نبيهم ميراثَهم، وولَّوا فاسقاً وظالماً، ومَنَعوا عادلاً عالماً، مع علمهم بالحق ـ فهؤلاء من شرِّ الخلق، وهذه الأمة شر الأمم، لأن هذا فعلُ خيارها، فكيف بفعل شرارها؟! وإن اليهود والنصارى لم يفعلوا عقب موت أنبيائهم ما تقوله الرافضة في أبي بكر وعمر والسابقين الأولين[2]!.

٩ ـ وقد جرى (تحكيم الحَكَمَيْن) ومع علي أكثرُ الناس، فلم يكن في المسلمين من أصحابه ولا غيرهم مَنْ ذَكَر (هذا النص) مع كثرة شيعته، ولا فيهم مَن احتجَّ به في مثل هذا المقام الذي تتوفر فيه الهمم والدواعي على إظهار مثل هذا النص.

ومعلوم أنه لو كان النص معروفاً عند شيعة علي، فضلاً عن غيرهم، لكانت العادة المعروفة تقتضي أن يقول أحدهم: هذا نصُّ رسول الله ﷺ على خلافته، فيجب تقديمُه على معاوية.

وقد احتجوا بقوله ﷺ: «**تقتل عماراً الفئةُ الباغية**»، وهذا الحديث خبر واحد أو اثنين أو ثلاثة ونحوهم، وليس هذا متواتراً، والنصُّ عند القائلين به

---

(١) الفِصَل: ١٧٢/٤ـ١٧٣؛ أصول مذهب الشيعة: ٣٣٢/٢ـ٣٣٣.

(٢) منهاج السُّنَّة: ٦٣/٣ـ٦٤، ٣٣٨/٤ـ٣٣٩؛ وانظر: البداية والنهاية: ٢٢٥/٧.

متواتــر، فيا لله العجبُ كيف ســاغ عند النــاس احتجاج شــيعة علي بذلك الحديث، ولم يحتجّ أحدٌ منهم بالنص؟!(١).

١٠ ـ لــو أراد النبي ﷺ أن يســتخلف عليّاً في الصــلاة، هل كان يمكن لأحد أن يردَّه؟ ولو أراد تأميره علــى الحج على أبي بكر ومن معه، هل كان ينازعه أحــد؟ ولو قال لأصحابه: هذا الأمير عليكــم والإمام بعدي، هل كان يَقدر أحدٌ أن يمنعَه ذلك؟ ومعه جماهير المســلمين من المهاجرين والأنصار كلُّهم مطيعون لرســول الله ﷺ، ليس فيهم من يبغض عليّاً، ولا مَن قتل عليٌّ أحداً من أقاربه!.

وهل كان ﷺ يخــاف أحداً لو أراد النصَّ على علــي وتوليه الخلافة من بعده، وقد نصره الله ﷻ وأعزَّه، وحوله المهاجرون والأنصار الذين لو أمرهم بقتل آبائهم وأبنائهم لفعلوا؟!(٢).

١١ ـ القول بالإمامة والنص على إمام معين أو اثني عشــر متسلســلين؛ ينافي مبدأ الشــورى الذي أصَّلَه القرآن وأكَّدته السُــنَّة وطبَقه النبي ﷺ طيلةَ عهد الرســالة المبارك. وهذا الدين جاء للناس عامة ولكل الأزمنة والأمكنة، فلا يصحُّ بحالٍ أن يكون قيادُ الأمة محصوراً في أسرة حاكمة واحدة تتوارثه عبر الأجيال كالمتاع، ويتم إقصاءُ عامة الأمة وقتلُ الكفاءات فيها!.

ورســول الله ﷺ لم يقصد من دعوته وجهاده الذي قام به أن ينقل الدولة من الأُسَر الساســانية والرومانية إلى عامة العرب، فضلاً عن بني هاشم وبني المطلب، وفضلاً عن قريش، فكيف يريد أن يؤسِّس مملكة هاشمية أو سيادة مطلبية؟!(٣).

(١) منهاج السُنّة: ٤/٩٢ـ٩٣.
(٢) المرجع السابق: ٣/٧٠٨ـ٧٠٩.
(٣) انظر: صورتان متضادتان، ص٥٨ـ٥٩.

زِدْ على هذا أن في (الإمامة والنــص) غَضّاً من مقام النبوة، فيكون ﷺ ـ وحاشـــاه من ذلك ـ طالِبَ مُلك أقامــه لأقاربه وعَهِد إليهــم ما يحفظون به المُلك، ولا يَعرف ذلك غيرهم، وهذا بأمرِ المُلْك أشبَهُ منه بأمرِ الأنبياء(١).

١٢ ـ لقد أوصى رســول الله ﷺ بوصايــا عديدة، وكلهــا نَقَلها الصحابة ومنهم علــيٌّ: فأوصى بكتاب الله تعالــى، وبالصلاة، وبالــزكاة، وما ملكت الأَيْمان، وأن لا يبقى في جزيرة العرب دينان، وبإخراج المشركين من جزيرة العرب، وبإجــازة الوفد، وبلــزوم الجماعة، وأوصى بأهل بيتــه، وبالأنصار خيراً، وبالنساء، وبإنفاذ بعث أسامة، وغير ذلك.

وفي هذه الوصايا ما هو أقلُّ شــأناً من (الإمامة والنــص)، فلماذا نُقلت جميعاً ولم يُنقل (النص المزعوم بالخلافة لعلي)؟!(٢).

١٣ ـ حدَّث عليٌّ ﷺ طيلةَ عهــود الخلفاء الثلاثة قبلــه بأحاديث كثيرة عامة وخاصة وأمور فقهية بســيطة، ونقلها الناس عنه، وناظــرَ عثمانَ وغيره بقضايا وأحكام متعددة، فكيــف لا يُفصح بهذا الأمر الجليل الذي فيه وصية نبوية واجبة التنفيذ؟!.

ومواقفه التي عرضناهــا مفصَّلة مع أبي بكر وعمــر وعثمان تؤكد هذا، وتوضح أن عليّاً ما كَتَم نصّاً ولا خَشــي من البَوْح بــه والنضال دونه لو كان عنده.

١٤ ـ كيف قاتل عليٌّ معاويةَ ﷺ على الخلافة، ولم يقاتلْ أبا بكر عليها، محتجّاً بالنص الذي معه، مع أن موقفه في عهد أبي بكر أقوى ومؤيديه أكثر وأنصح، ومنازعيه أقلُّ داعياً وأضعف قوة!.

---

(١) منهاج السُنَّة: ٥٥/٤.

(٢) انظر: منهاج السُنَّة: ٦٣/٣.



١٥ ـ والرافضة يزعمون أن عليّاً سكت عن البَوْح بالنص ومجابهة الخلفاء والصحابة به والقتال دونه: (تقيَّةً)، ولأجلِ مصلحة الإسلام والمسلمين! وفي كتبهم نصوص منسوبة لعليٍّ في ذلك، ومنها ما جاء في أصح كتبهم وهو «نهج البلاغة»؛ يقول علي:

(أمَا واللهِ لقد تقمَّصَها ابنُ أبي قُحَافةَ، وإنه لَيعلمُ أن مَحَلِّي منها مَحلُّ القطبِ من الرَّحَا... فصبرتُ وفي العين قذًى، وفي الحَلْق شَجاً، أَرى تُراثي نَهْباً!)[١].

وقال: (فنظرتُ فإذا ليس لي مُعينٌ إلا أهلَ بيتي، فَضَنِنتُ بهم عن الموت، وأَغضيتُ على القذَى، وشَربتُ على الشَّجَى، وصبرتُ على أخذ الكَظْم وعلى أمرٍّ من طعم العَلْقم!)[٢].

والشيعة في هذا وأمثاله تصوِّر عليّاً وأهلَ البيت أنهم كانوا فاقدي الشجاعة والجرأة في إظهار الحق ـ والعياذ بالله ـ وأنهم كانوا يعيشون في جَزَع من المخاوف والأخطار، ويتبعون سياسة المصالح وإخفاء الحق، ويعتمدون على سلاح (التقِيَّة) لا كوسيلة مؤقتة وسلاح شخصي، بل باعتبارها عبادة وذريعة للتقرب إلى الله تعالى[٣].

والتقيَّة عندهم ركن من أركان دينهم كالصلاة أو أعظم؛ قال ابن بابويه القمي: (اعتقادنا في التقيَّة أنها واجبة، من تركها بمنزلة من ترك الصلاة!)[٤]. وعن جعفر الصادق قال: (إن تسعة أعشار الدين في التقِيَّة، ولا دينَ لمن لا تقيَّة له!)[٥].

(١) شرح نهج البلاغة: ١/١٤٤، وانظر: ١/١٥٢، ١٦٨، ١٧٨.
(٢) شرح نهج البلاغة: ١/٣١٤، ٦/٨١.
(٣) صورتان متضادتان، ص ٨١.
(٤) الاعتقادات، ص ١١٤.
(٥) أصول الكافي: ٢/٤٤٩؛ أصول مذهب الشيعة: ٢/٤٣٧ـ٤٣٨.

وهذا من كذب الرافضة على عليٍّ وآل بيته الأطهـــار، فمن المتفق عليه عندهم وعند جميع المسلمين أن عليّاً بطل مغوار شجاع جريء صريح يقول الحق ويقاتل دونه، لا يكني ولا يورِّي!.

فـــي «الصحيحيـــن» وغيرهما: عـــن علـــي ﷺ قـــال: (إذا حَدَّثْتُكم عن رسول الله ﷺ حديثاً فوالله لأَنْ أخِرَّ من السماء أَحَبُّ إليَّ مِن أنْ أكذِبَ عليه، وإذا حدَّثْتُكم فيما بيني وبينكم فإن الحربَ خَدْعَة)[١].

بل في كتابهم المتفـــق عليه عندهـم «نهج البلاغـــة» نصوص كثيرة على فرط شـــجاعة علي، حتى زعموا أن الإسلام قام بسيفه، ومن ذلك قوله: (وأنا من رســـول الله كالضَّوءِ من الضوء، والـــذِّراع من العَضُـــد، واللهِ لو تظاهرت العربُ على قتالي لَمَا ولَّيْتُ عنها، ولو أمكنتِ الفُرص من رقابها لَســـارعْتُ إليها)[٢].

فكيف جاز لعقولهم المنكوســـة أن يتناقضوا أظهرَ تناقضٍ فيجمعون بين الشـــجاعة المفرِطةِ و(التقيَّة) التي لا تدل إلا على الهـــوان والضعف والجبن والاستخذاء عن القيام بالحق والاستبسال دونه؟!.

فهذه (٣٤) حديثاً وحُجّـــة ودليلاً على بطلان دعـــوى الوصية، جمعناها واختصرناها وهذَّبْناها من كتب أهل السُّـــنَّة ومصادر الشـــيعة ووقائع التاريخ ودلائل العقل الصحيح والمنطق السليم والبحث الناقد المنصف ـ تبرِّئ عليّاً وجميعَ الصحابة الكرام ﷺ من تلك الفرية المتزندقة الخرافية!.



(١) أخرجه البخاري (٣٦١١)؛ ومسلم (١٠٦٦)؛ وأبو داود (٤٧٦٧)، وغيرهم.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٤٣١/٨.

الفصل الثاني

استخلافُ عليٍّ والمُعضِلات القائمةُ والتحدِّيات المُرتقَبة

أولاً: أدلة صحة خلافة علي وأنها على منهاج النبوة:

١ ـ عن سعيد بن جُمْهَان، عن سَفينة مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خلافةُ النبوَّة ثلاثونَ سنةً، ثم يؤتي اللهُ الملكَ ـ أو: ملكَه ـ مَنْ يَشاء**».

وفي رواية: عن سعيد بن جُمهان، عن سفينة ؓ قال: (سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**الخلافةُ ثلاثونَ عاماً، ثم يكونُ بعدَ ذلك الملكُ**». قال سفينة: أَمْسِكْ: خلافةَ أبي بكر ؓ سنتين، وخلافةَ عمر ؓ عشرَ سنين، وخلافةَ عثمان ؓ اثنتي عشرة، وخلافةَ علي ؓ ستَّ سنين)[1].

قال ابن تيمية: (وهو حديث مشهور، واعتمد عليه الإمام أحمد وغيرُه في تقرير خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة، وثبَّتَه أحمد واستدلَّ به على مَن توقَّف في خلافة علي من أجل افتراق الناس عليه، حتى قال أحمد: «مَن لم يُربِّع بعليٍّ في الخلافة فهو أضلُّ من حمار أهله»، ونهى عن مناكحته!)[2].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٤٦) و(٤٦٤٧)؛ والترمذي (٢٣٧٥)؛ والنسائي في الكبرى (٨٠٩٩)؛ وابن حبان (٦٦٥٧) و(٦٩٤٣) وغيرهم. وصحَّحه ابن حبان وابن عبدالبرّ والحاكم وابن تيمية وغيرهم.

(٢) مجموع الفتاوى: ٣٥/١٨ـ١٩. وانظر شرح الحديث في كتابي: نبوءات الرسول ﷺ: ٢٢٥/٢.

٢ ـ وعن علي ﷺ قال: (إنَّ رسـول الله ﷺ عَهِد إلـيَّ أن لا أموتَ حتى أُؤَمَّر، ثم تُخضَبَ هذه ـ يعني لحيتَه ـ من دمِ هذه ـ يعني هامته ـ فقُتل!)(١).

٣ ـ وعن سَـمُرَة بن جُنْدُب: (أن رجلاً قال: يا رسولَ الله، رأيتُ كأن دَلْواً دُلِّي من السـماء، فجاء أبو بكر فأخذ بِعَرَاقَيها فشَـرِب شُرباً ضعيفاً، ثم جاء عمر فأخذ بعَرَاقَيْها فشـرب حتى تَضَلَّع، ثم جاء عثمان فأخذ بعَرَاقَيْها فشرب حتى تضلَّع، ثم جاء علـيٌّ فأخذ بعَرَاقَيْها، فانْتَشَـطَتْ، وانتُضِـحَ عليه منها شيء)(٢).

٤ ـ وعن أبي سـعيد الخُدْري قال: قال رسـول الله ﷺ: «**لا تقومُ الساعةُ حتى تقتتلَ فئتان عظيمتان، دعواهما واحدة، تَمرُق بينهما مارِقةٌ، يَقتُلها أَوْلى الطائفتين بالحقِّ**»(٣).

قال الإمام أحمد: (ليس شـيء عندي في تثبيت خلافـة علي أثبتَ من حديث أبي سلمة والضحّاك المِشْرَقي عن أبي سعيد الخُدْري؛ لأن في حديث بعضهم: «**يقتلهم أَوْلى الطائفتين بالحق**»)(٤).

٥ ـ وعن عبدالله بن مسـعود قال: سمعتُ رسـول الله ﷺ يقول: «**القائمُ بعدي في الجنة، والذي يقوم بعده في الجنة، والثالث والرابع في الجنة**»(٥).

---

(١) أخرجه أحمد (٨٠٢)، وصحَّحه أحمد شاكر.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٣٧) تحت (باب في الخلفاء)؛ وأحمـد (٢٠٢٤٢)؛ وابن أبي عاصم في السُّنَّة (١١٤١)، وحسنه شـعيب الأرنؤوط. **بعراقيها**: العراقان خشبتان تُجعلان على فم الدلو متخالفتان لربط الدلو.

(٣) أخرجه مسلم (١٠٦٥)؛ وأبو داود (٤٦٦٧)؛ وعبدالرزاق (١٨٦٥٨)، وغيرهم. انظر كتابي: نبوءات الرسول ﷺ: ١١٤/٢.

(٤) السُّنَّة، للخلال: ٤١٤/٣.

(٥) تقدم: ص ٢٠٥ في هذا الكتاب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (أهل السُّنَّة يُثبِّتون خلافة الخلفاء كلِّهم، ويستدلون على صحة خلافتهم بالنصوص الدالَّة عليها، ويقولون: إنها انعقدت بمبايعة أهل الشوكة لهم، وعليٌّ بايعه أهلُ الشوكة، وإنْ كانوا لم يجتمعوا عليه كما اجتمعوا على من قبله، لكن لا ريب أنه كان له سلطان وقوة بمبايعة أهل الشوكة له، وقد دلَّ النص على أن خلافته خلافة نبوة)[1].

ثانياً: الحكمة من تأخير خلافة علي وكونه رابع الخلفاء الراشدين:

ليس من مصادفات الزمان، ولا نتيجة لمؤامرة أو تخطيط واغتصاب؛ أن يكون علي رضي الله عنه هو رابع الخلفاء لا أوَّلَهم، بل كان ذلك لحكمة إلٰهية عظيمة ومنحة ربانية لدعوة الإسلام وأمته، ومكرمة لبني هاشم، وشهادة لهم بنُبْلهم وإخلاصهم ومكانتهم.

فقد كان للحركات الثورية والدعوات الإصلاحية ـ كما رأى المطلعون على تاريخها ـ تجاربُ مريرة في بدايتها ونهايتها؛ فقد كانت تبتدئ بالدعوة إلى الإصلاح وإزالة المفاسد والضلالات، وتنتهي إلى تأسيس حكومة أو حصول على قوة سياسية وعسكرية في صالح أسرة الداعي الأول والمنادي بالثورة أو الانقلاب، فكانت عند الأذكياء وبعيدي النظر حساسيةٌ زائدة وتشاؤمٌ في ما يتصل بالدعوات والحركات الدينية.

ولقد كان لفتةً عبقرية ناتجة عن خبرة وتجربة ذلك السؤالُ الذي وجَّهَه ملكُ الروم هِرَقْل ـ وقد جاءه كتابُ رسول الله ﷺ يدعوه فيه للإسلام ـ إلى أبي سفيان وكان لا يزال على شركه، قال هِرَقْلُ: (فهلْ كان من آبائِه من

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٣/٧٨.

مَلِكٍ؟)، قال أبو سفيان: (لا)، فقال هرقل: (سألتُك: هل كان من آبائه من ملِكٍ؟ فذكرتَ أنْ لا، قلتُ: فلو كان من آبائه من مَلِكٍ قلتُ: رجلٌ يطلُبُ مُلْكَ أبيه!)[١].

وكان من تقدير الحكيم العليم أنه لم يَخْلُفْ رسولَ الله ﷺ في ولاية أمر المسلمين، ولم يتولَّ خلافته على أثر وفاته ـ أحدٌ من أهل بيته وأبناءِ الأسرة الهاشمية مباشرة ومن غير تراخٍ. وخَلَفَه ﷺ أبو بكر وهو من بني تَيْم، وخَلَف أبا بكر عمرُ بن الخطاب وهو من بني عَديّ، وخلَفَه عثمانُ بن عفان وهو من بني أُميَّة، ثم آلَ الأمرُ إلى علي بن أبي طالب حين لم يكن في المسلمين ولا في أصحاب رسول الله ﷺ أفضلُ منه، ولا أقدرُ على حمل أعباء الخلافة وأجدرُ بها، فزال الالتباس وانقطعتْ ألسنة الناس، فما بقيت القضية قضية أُسرية وقضية محسوبية وعصبية، إنما كانت القضية قضية جدارة واستحقاق، وكفاءة وقدرة، لا غبار عليها ولا مجال لطعن طاعن وقدح قادح، وكان أمر الله قدراً مقدوراً[٢].

ثالثاً: البيعة، كيفيتها ومكانها وتاريخها:

ما إن استشهد عثمان ونفض الناس أيديهم من دفنه، حتى أسرع الصحابة إلى عليٍّ يريدونه على البيعة، وكذلك أولئك المجرمون الخوارج الذين قتلوا عثمان جاؤوا عليّاً يحملونه على القيام بالأمر؛ فأنَّبهم وأعرض عنهم وقال: إنما الأمر للمهاجرين والأنصار فمن رضوه فهو الخليفة. وحاول أن ينجو بنفسه من تبعات الخلافة، فلما لم يجد بُدّاً قبِلَها، وأبى إلا أن تكون البيعة من أصحاب السابقة وفيهم أهل الحل والعقد، وتكون شورى عامة ظاهرة في

---

(١) أخرجه البخاري (٧)؛ ومسلم (١٧٧٣)، وغيرهما.

(٢) المرتضى، ص ٨٠ـ٨١؛ وانظر: صورتان متضادتان، ص ٦٥ـ٦٦.

المسـجد، ليشـهدَها الناس فتكون عليهم حجـة، ويأخذ هو حـق الطاعة بالمعروف.

ـ عن محمد ابن الحنفيَّة قـال: (كنت مع عليٍّ وعثمـانُ محصور، فأتاه رجل فقال: إن أميـر المؤمنين مقتول السـاعة، ثم جاء آخر فقـال: إن أمير المؤمنين مقتول السـاعة! قال: فقام عليٌّ، فأخذتُ بوسطه تخوفاً عليه، فقال: خَـلِّ، لا أُمَّ لك! قال: فأتى علي الـدار وقد قُتل الرجل! فأتـى داره فدخلها وأَغلَق عليه بابه. فأتاه النـاس[1]، فضربوا عليه الباب، فدخلوا عليه فقالوا: إن هذا الرجل قد قُتل، ولا بُدَّ للناس من خليفة، [ولا نجدُ اليوم أحداً أحقَّ بهذا الأمر منك، ولا أقدمَ سابقةً، ولا أقربَ من رسول الله ﷺ][2]، فقال لهم عليٌّ: لا تفعلوا، فإني لكم وزيرٌ خير مني لكم أميرٌ! فقالـوا: لا والله ما نعلم أحداً أحقَّ بها منك. قال: فإن أبيتم علَيَّ فإن بيعتي لا تكون سِرّاً، ولكنْ أخرج إلى المسجد فمن شاء أن يبايعني بايعني. قال: فخرج إلى المسجد فبايَعَه الناس).

وفي روايـة: (قال عبد الله بن عباس: فلقد كرهتُ أن يأتي علي المسـجدَ مخافة أن يُشْغَب عليه، وأبى هو إلا المسـجد، فلما دخل، دخل المهاجرون والأنصار فبايعوه، ثم بايعه الناس)[3].

وروى مثله المِسْـوَر بن مَخْرَمة، وفي روايته: (فرَقَـى عليٌّ المنبر، فقيل: ذاك عليٌّ على المنبر، فمالَ الناس عليه فبايعوه)[4].

---

(١) هم الصحابة المهاجرون والأنصار، كما جاء في رواية أخرى.

(٢) ما بين الحاصرتين من تاريـخ الطبري، وهو تقييد جيد ليخرج بذلك الخلفاء الراشـدون الثلاثة قبله.

(٣) فضائل الصحابة، لأحمد: ٥٧٣/٢؛ السُـنَّة، للخلال، ص ٤١٧؛ تاريـخ الطبري: ٤٢٧/٤، وإسناده صحيح، وقد صحَّحه محقق فضائل الصحابة وغيره.

(٤) فضائل الصحابة، لأحمد: ٥٤٧/٢، وقال محققه: إسنادها صحيح.

والأخبار في هذا كثيرة جدّاً[(١)].

فهذه أخبار صحيحة صريحة تدلُّ على أن عليّاً لم يكُ طامعاً في الخلافة، بل زاهداً فيها مشفقاً من تبعاتها، وهو بهذا يُبطِل (دعوى الوصية) التي اختلقها الكذابون كما قدمنا.

وتدل أيضاً على أن البيعة كانت شورى علنية في المسجد، وبإجماع المهاجرين والأنصار وأهل الحل والعقد، وفيهم طلحة والزبير كما يدل عليه عموم هذه الروايات لأنهما من رؤوس المهاجرين وأهل الحل والعقد.

ويؤكد بيعةَ الصحابة طائعِين خبرٌ صحيح عن علي قال: (ثم إن عثمان قُتل، فجاؤوني فبايعوني طائعِين غير مكرهين)[(٢)].

وكذلك جاء في «نهج البلاغة» أقوال كثيرة لعليٍّ يصرِّح فيها بأنه أخذ الخلافة بمبايعة الناس له ورغبتهم فيه واجتماعهم عليه، لا بنصٍّ مزعوم ووصيةٍ موهومة.

قال علي: (دَعُوني والتمِسوا غيري... وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً)[(٣)].

وقال: (فما راعَني إلا والناسُ إليَّ كعُرفِ الضَّبُع، ينثالون علَيَّ من كل جانب، حتى لقد وُطِئ الحسنان، وشُقَّ عِطْفايَ، مجتمعِين حولي كرَبيضَةِ الغَنَمِ)[(٤)].

---

(١) انظر: فضائل الصحابة، لأحمد: ٥٧٣/٢ـ٥٧٧؛ السُّنَّة، للخلال، ص ٤١٥ـ٤١٧؛ تاريخ الطبري: ٤٢٧/٤ـ٤٢٨؛ أنساب الأشراف: ٢٠٨/٢؛ تاريخ اليعقوبي: ٧٥/٢؛ الفتح: ٣٦٩/١٦ (٧١٠٠).

(٢) تاريخ الطبري: ٤٥٨/٤؛ ابن عساكر: ١٠١/٣.

(٣) تقدم بتمامه: ص ٢٥٢ في هذا الكتاب.

(٤) شرح نهج البلاغة: ١٨٠/١. **العرف**: شعر العنق، وعُرْف الضبع طويل وغزير.



وقال: (فأَقبلتُم إلــيَّ إقبالَ العُوذِ المَطَافِيل علــى أولادها؛ تقولون: البيعةَ البيعةَ! قَبَضْتُ كفِّي فَبَسطتُموها، ونازَعْتُكم يدِي فَجَاذَبْتُموها)[1].

ويصفُ ازدحامَهم عليه للبيعة فيقول: (وبَسَطتُم يدي فكَفَفْتُها، ومَدَدتُموها فقبضتُها، ثم تَدَاكَكتُم عَليَّ تــداكَّ الإبلِ الهِيم على حياضها يوم وِرْدِها، حتى انقطعتِ النَّعْلُ، وسَقط الرداء!)[2].

●● **وكانت بيعته يوم الجمعة (١٨ ذو الحجة من سنة ٣٥هـ) بعد أن دُفن عثمان مباشــرة**، وقد امتنع مــن البيعــة أول الأمر وذهب إلى بســتان بني عَمْرو بن مبذول، فجاءه الناس وطرقــوا الباب، وولجوا عليه وبايعوه في دار عَمْرو بن مِحصَن الأنصاري أحدِ بنــي عمرو بن مبذول، وذلك يوم الجمعة، ثم خرج علي إلى المســجد النبوي **فبايعه الناس البيعة العامة، (يوم الســبت ١٩ ذو الحجة من سنة ٣٥هـ)**[3].

ويؤيد ذلك الرواية الصحيحة السابقة التي تنص على أن الصحابة جاؤوه ـ وقد فرَّ من الناس ـ وطلبوا إليه البيعــةَ وقالوا: (إن هذا الرجل قد قُتل، ولا بدّ للناس من خليفة). وهو المتفِق مع هدي الصحابة في بيعة الخلفاء الثلاثة قبله، والســرعة في تنفيذ ذلك، وعــدم التأخير والتراخي فــي عقدها، حتى لا يبقى المسلمون دون خليفة.

وعن قيس بن عُبَاد قال: (ســمعتُ علياً يوم الجَمَل يقول: اللَّهمَّ إني أبرأُ إليك مــن دم عثمان، ولقد طــاش عقلي يوم قُتل عثمان، وأنكرتُ نفســي.

---

(١) شــرح نهج البلاغة: ٢٩/٥. **العوذ المطافيل**: الإبل مع أولادها، يريد أنهم جاؤوا بأجمعِهم كبارِهم وصغارِهم.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٥/٧، وبنحوه في: ٢٦٧/٢. **الإبل الهِيم**: العِطاش.

(٣) طبقات ابن سعد: ٣١/٣؛ المســتدرك: ١١٤/٣؛ تاريخ بغداد: ٣٥/١؛ المنتظم: ٦٥/٥ـ٦٦؛ البداية والنهاية: ٢٢٦/٧ـ٢٢٧.

وجاؤوني للبيعة، فقلت: والله إني لأَستحي من الله أن أبايِع قوماً قتلوا رجلاً قال له رسول الله ﷺ: «**ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة**»! وإني لأستحي من الله أن أبايع وعثمانُ قتيل على الأرض لم يُدفنْ بعدُ! فانصرفوا. فلما دُفِن رَجَع الناس يسألونني البيعة، فقلتُ: اللَّهمَّ إني لَمشفِقٌ مما أُقْدِمُ عليه، ثم جاءت عزمةٌ فبايعتُ، فلما قالوا يا أمير المؤمنين، فكأنما صُدع قلبي!)[١].

أما الرواية التي تذكر أن (المدينة بقيتْ بعد قتل عثمان ﷺ خمسة أيام وأميرها الغافقي بن حرب، يلتمسون مَن يُجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه)[٢] ـ فرواية باطلةٌ تردُّها الروايات الصحيحة والحقائق السابقة التي أوردناها.

وقد وقع في شَرَك هذه الرواية بعضُ المؤلفين، وقولُ الدكتور الفاضل أكرم العمري (وكانت بيعة علي بعد سبعة أيام من مقتل عثمان)[٣]، غلط محض!.

•• **والنصوص المتقدمة تؤكد أن عليّاً لم يكن راغباً في الخلافة، ولا متطلِّعاً إليها، ولا حريصاً عليها، بل كان خائفاً من تبعاتها، مشفِقاً من مسؤولياتها، مقدِّراً لمعضِلاتها الكبار، يقول:** (دَعُوني والتمِسوا غيري)، (والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إِرْبة)، (وبَسطتم يدِي فكففتُها، ومددتُموها فقبضتُها)، (اللَّهمَّ إني مشفِق مما أُقْدِم عليه).... لكنه قبِلَها نتيجةَ إلحاح الصحابة عليه، وتصدَّى لها بروح المسؤولية وحملها مع

---

(١) أخرجه الحاكم وغيره، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وقد تقدم طرف منه: ص٣٢٥ في هذا الكتاب.

(٢) تاريخ الطبري: ٢٣٢/٤؛ المنتظم: ٦٤/٥؛ البداية والنهاية: ٢٢٧/٧.

(٣) عصر الخلافة الراشدة، ص٤٤١.

أعبائها؛ قال: (ولكنكم دعوتموني إليها، وحَمَلتموني عليها)، (ثم جاءت عزمة فبايعتُ).

رابعاً: بيعة طلحة والزبير:

•• تؤكد الروايات الصحيحة الكثيرة أن طلحة والزبير رضي الله عنهما بايعا عليّاً مع عامة المهاجرين والأنصار، طائعَيْن راضيَيْن غير مُكرهَيْن ولا خائفَيْن.

ـ عن طارق بن شهاب قال: (لمّا قُتل عثمان قلت: ما يُقيمني بالعراق وإنما الجماعةُ بالمدينة عند المهاجرين والأنصار؟! قال: فخرجتُ، فأُخبرت أن الناس قد بايعوا عليّاً. قال: فانتهيتُ إلى الرَّبَذَة وإذا عليٌّ بها، فوُضِع له رحْلٌ فقعد عليه، فكان كقيام الرجل، فحمدَ الله وأثنى عليه، ثم قال: إن طلحة والزبير بايَعَا طائعَيْن غير مكرَهَيْن)[1].

ـ وعن إبراهيم النَّخَعي، عن عَلْقمة بن قيس قال: قال الأَشتر: (رأيتُ طلحة والزبير والقومَ بايعوا عليّاً طائعِين غير مكرهِين)[2].

ـ وفي حديث طويل يرويه الأحنف بن قيس في مقتل عثمان، قال: (فانطلقتُ فأتيتُ طلحة والزبير، فقلتُ: ما تأمراني به وما ترضيانه لي، فإني لا أَرى هذا الرجلَ إلا مقتولاً؟ قالا: نأمرك بعليٍّ، قلتُ: تأمراني به وترضيانه لي؟ قالا: نعم)[3].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٧١٥/٨؛ وبنحوه في «أخبار البصرة» لابن شبة، كما في الفتح: ٣٦٩/١٦، وهو صحيح أو حسن عند الحافظ.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٦٩٣/٨؛ ونقله الحافظ في الفتح ـ عن «أخبار البصرة» ـ: ٣٦٩/١٦، وهو صحيح أو حسن.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٧١٣/٨؛ تاريخ الطبري: ٤٩٧/٤ـ٤٩٨؛ وصحّحه الحافظ في الفتح: ٣٣٧/١٦ (٧٠٨٣).

ـ وعن أبي بشـير العابدي قـال: (كنتُ بالمدينة حيـن قُتل عثمان ﷺ، واجتمع المهاجرون والأنصار، فيهم طلحة والزبير، فأتـوا عليّاً فقالوا: يا أبا حسـن، هَلمَّ نبايعْك، فقال: لا حاجةَ لي في أمركـم، أنا معكم؛ فمن اخترتم فقد رضيتُ به، فاختاروا، فقالوا: والله ما نختارُ غيرَك)(١).

ـ ونقل ابن حِبَّان في «الثقـات»: أن عليّاً صعِد المنبر للبيعة، فكان طلحة أولَ من صعـد إليه المنبـر فبايعه، ثم بايعـه الزبير وسـعد بن أبي وقّاص وأصحاب النبي ﷺ(٢).

ـ وكذا قال الإمام الذهبي(٣).

ـ ويعلق ابن حـزم على بيعة طلحة والزبير وعائشـة، فيقـول: (وأَمَّا أم المؤمنين والزبير وطلحة ﷺ ومَن كان معهم؛ فما أبطَلوا قطُّ إمامةَ علي، ولا طعنوا فيها، ولا ذكروا فيه جَرْحة تحطُّه عن الإمامة، ولا أحدَثوا إمامة أخرى، ولا جدَّدوا بيعة لغيره، هذا ما لا يقدِرُ أن يدَّعيه أحدٌ بوجه من الوجوه)(٤).

نقول: هذا هو اللائقُ بهذين الصحابيين الجليلين، وهما اللذان تنازلا عن حقهما في الخلافة أيام الشـورى واختيار عثمان، والرياحُ رُخاء والحياةُ هانئة وأمرُ الإسـلام في إقبال والفتوحات في توسـع، فما طمِعا فيهـا، ولا نازعا غيرَهما عليها، بل تنازل الزبير عن حقه في الترشيح إلى علي، وجعل طلحة أمره إلى عثمان! **فكيـف يُخالِفان عليّـاً وينازعانه عليها وهـي الآن مُثخَنة بالجراح، مثقلة بالأعباء، مليئة بالمعضِلات والتحديات؟!.**

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٢٧، وسندها حسن. وانظر خبراً آخر من مرسل ابن سيرين: ٤/٤٣٤.
(٢) الثقات: ٢/٢٦٨.
(٣) دول الإسلام، ص ٢٠.
(٤) الفِصَل: ٤/١٥٣.



•• أما القول بأن طلحة والزبير بايَعَا مُكرهَيْن واللُّجُّ على عنقَيْهما:

فمجمل الروايات[1] لا تخلو من ضعف بعض الرواة، أو إرسال وانقطاع في بعضها، كذلك في متن بعضها الآخر ما هو شاذ منكَر، زِدْ على ذلك معارضتها للروايات المتقدمة وكثير منها صحيح، ويتسق مع حرص الصحابة على وحدة الصف والكلمة وعدم الخلاف.

خامساً: مزاعم وشبهات ومجازفات:

•• وردت بعض الروايات في «تاريخ الطبري» وغيره ممن نقل عنه أو جاء بعده، تذكر أن جماعة من الصحابة من المهاجرين والأنصار تربصوا فلم يبايعوا عليّاً، منهم: سعد بن أبي وقّاص وعبدالله بن عُمر وأسامة بن زيد ومحمد بن مَسْلمة وصهيب وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري والنعمان بن بشير وحسان بن ثابت ورافع بن خَديج وغيرهم[2].

وكلها روايات تالفة لا وزن لها، في أسانيدها: مجاهيل، ومَن لم يُسَمَّ، وضعفاء ومتروكون من أمثال أبي مِخْنَف ومحمد بن السائب الكلبي وابنه هشام والواقدي وأبي بكر الهُذَلي، وكثير منها مرسلات ومنقطعات، علاوة على أنها تعارض الروايات الصحيحة التي قدمناها.

•• وقد التبس الأمر على بعض الرواة والمصنفين والكُتَّاب؛ فخَلَط بين (بيعة علي أميراً للمؤمنين) وبين الخروج معه لقتال أصحاب الجمل وأهل الشام. وكثيرٌ ممن ذكروهم من الصحابة قعدوا في تلك الفتن عن القتال

---

(١) انظر: تاريخ الطبري: ٤/٤٢٩، ٤٣١، ٤٣٤ـ٤٣٥، ٤٩٠ـ٤٩١؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٨/٧٠٩؛ الفتح: ١٦/٣٦٩.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٤٢٨ـ٤٣٥؛ البداية والنهاية: ٧/٢٢٧.

ولزموا بيوتهم، ولم يستجيبوا لأمير المؤمنين علي للخروج معه في حروبه تلك، وهي مسألة اجتهادية لم يوافقوه عليها.

وهذا ما أوضحَتْه أقوالُ ومواقفُ أسامة وسعد وابن عمر ومحمد بن مسْلمة وأبي بَكْرة وأُهْبَان بن صَيْفي وأمثالهم ممن لم يشاركوا في تلك الحروب، والأخبار في ذلك عنهم صحيحة كثيرة لا نجد متسعاً في ذكرها هنا.

•• وأطلَق بعض الكُتَّاب جِماح أقلامهم، وجَروا وراء روايات ضعيفة وواهية، وروَّجوا لأكاذيب وأقاصيص مختلَقة، ووَصَموا عدداً من جِلَّة الصحابة بصفات لا تليق بآحاد الناس، فضلاً عن صحابة رسول الله ﷺ الذين بايعوا عليّاً ومحَضُوه النصح في سياسة الدولة، وخالفوه في بعض اجتهاداته التنفيذية، فنُسبت إليه وإليهم أقوال ومواقف لا تصح سنداً ولا متناً، وتتناقض مع سِيرهم الطاهرة وأخلاقهم النبيلة وصراحتهم الواضحة، في السرّاء والضرّاء، ومع الموافق والمخالف.

١ ـ من ذلك: ما روي عن أم المؤمنين عائشة لما أُخبرت أن الناس بايعوا عليّاً واجتمعوا عليه، قالت لمن أخبرها: (والله ليت أن هذه انطَبقت على هذه[1] إنْ تمَّ الأمرُ لصاحبك!)، ثم أظهرتْ أن عثمان قُتل مظلوماً، وقامت تطالب بدمه، واتهمت عليّاً بقتله[2]!.

وممن روَّج لهذه الرواية: عبدالكريم الخطيب[3].

وهي رواية مكذوبة في سندها نَصْر بن مزاحم: متروك، ورجال لم يُسَمَّوا، وآخرون مجهولون.

---

(١) أي: ليت السماء انطبقت على الأرض!.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٤٥٨ ـ ٤٥٩؛ الكامل، لابن الأثير: ٣/١٠٥؛ الإمامة والسياسة، ص ٥٩.

(٣) كتابه: علي بن أبي طالب، ص ٢٨٠ ـ ٢٨١.

٢ ـ وساق عباس محمود العقّاد خبراً من «تاريخ الطبري» يذكر أن المدينة بقيت خمسة أيام وأميرها الغافقي بن حرب، والناس يلتمسون من يتولى أمر المسلمين؛ فالمصريون يلحون على (علي)، ويطلب الكوفيون (الزبير)، والبصريون (طلحة)(١).

ثم يعقّب العقاد قائلاً: (وهذا الخبر على وجازته قد حصر لنا أسماء جميع المرشحين للخلافة بالمدينة عند مقتل عثمان، وربما كان أشدَّهم طلباً لها طلحةُ والزبيرُ، اللذان أعلنا الحرب على علي بعد ذلك؛ فقد كانا يمهدان لها في حياة عثمان...)(٢).

والخبر واهٍ كما قدمنا، ويعارِض الروايات الصحيحة الدالة على أن بيعة علي كانت بعد دفن عثمان مباشرة. وتعليق العقاد عليه فيه مؤاخذات بل موبقات؛ حيث اتهم عائشة وطلحة والزبير بالخيانة والنكث بالبيعة، وأنهم تآمروا على عليٍّ وأعلنوا الحرب عليه، وأن دوافعهم للخلافة قبلية جاهلية، وأن طلحة والزبير كانا يمهّدان لها في عهد عثمان، وهو افتراء ساقط لأنهما زهِدا فيها كما قدمنا. وهذا المذهب من (العقاد) لا يختلِف في شيء عن معتقد الرافضة في الصحابة!.

٣ ـ ويزعم كاتب آخر أن الصحابة انقلبوا على علي بعد بيعتهم له، وارفَضُّوا عنه واحداً بعد الآخر، بدافع ذِيادته عن الخلافة مثل ما أبعدوه عنها من قبلُ، ولطموحهم لذاك المركز، أو ليكون هناك خليفة ضعيف يشاركونه في الحكم(٣).

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٣٢.
(٢) عبقرية الإمام علي، ص ٦٢، وقد سقت كلامه بتمامه: ص ٣١٥ في هذا الكتاب.
(٣) الإمام علي، للدكتور إبراهيم بيضون، ص ٥٨ ـ ٥٩.

ولا يستغرب من كاتب شيعي أن يقول مثل هذا؛ وقد ورث عن أسلافه تركة ضخمة من البهتان على الصحابة واتهامهم بالموبقات وقبائح الأفعال.

٤ ـ ويذهب الدكتور طلال الجنابي إلى أن فريقاً من الصحابة مكوناً من (معاوية وعَمْرو بن العاص وطلحة والزبير)؛ قد انتظموا في جبهة واحدة ونكثوا بيعةَ الإمام، وهيؤوا الأسباب للشغب عليه، يحركهم الطمع والهوى الشخصي[١]!.

ـ وقريب منه قول عبدالكريم الخطيب[٢].

والدكتور الجنابي الشيعي لم يتفطن جيداً لإتقان (حبك الحكاية)، ونسي أن معاوية وعَمْراً لم يبايعا عليّاً حتى ينكثا بالبيعة! وكلامه في مبدئه ومنتهاه لا سند له في الرواية التاريخية الصحيحة، ولا في منطق التاريخ، فضلاً عن أخلاق أولئك الصحابة الكرام الذين تربوا في مدرسة النبوة، وأثنى عليهم القرآن.

ولا نترك القلم حبلَه على غاربه ليجري وراء المفترين والجمّاعين للغثّ أكثر من السمين، وحسبنا هذه الإشارات لتكون مسباراً لمثل أولئك الكتاب وتلك الأخبار.

سادساً: هل حصل الإجماع على بيعة علي:

•• انعقدت البيعة العامة لأمير المؤمنين علي ﷺ بمبايعة أهل الشوكة والمهاجرين والأنصار بالمدينة، وأرسل عليٌّ الولاة إلى الأمصار الإسلامية ـ بدلاً من ولاة عثمان ـ للقيام بأمرها، ولأخذِ البيعة لـه، فبايع كثير من أهل

---

(١) كتابه: أبو تراب، ص ٧١، ٧٣.

(٢) كتابه: علي بن أبي طالب، ص ٢٧٧.



مكة ومصر والمغرب واليمن والبصرة والكوفة وخراسان. وعارض كثيرون أيضاً، وكانوا (عثمانية) يطالبون بالقصاص السريع من قتلة الشهيد عثمان، فمنهم من اعتزل ومنهم من رفض البيعة. وأما أهل الشام وواليهم معاوية ﷺ، فلم يبايع أحد منهم، وطالبوا بالقصاص من القتلة كذلك.

ويرى ابن حزم أن عددَ من امتنع عن بيعته مثلُ عدد من بايعه، وقدَّر عددَهم بمئة ألف مسلم[1].

وبالنظر المنصف والبحث النزيه والنقد الدقيق؛ تُجمِع كثير من الروايات الصحيحة والحسنة والمقبولة، إضافة إلى الواقع التاريخي المشهود ـ على أنه لم يَحصل إجماع من الأمة على بيعة علي، مع التأكيد على (صحة خلافته، وأنها على منهاج النبوة) وأنه رابع الخلفاء الراشدين كما قدمنا.

لكن ما حصل في استخلاف علي وبيعته مغايرٌ لِما حصل في خلافة الخلفاء الثلاثة قبله، فالخلافة التامة التي أجمع عليها المسلمون، وقوتل بها الكافرون، وظهر بها الدين ـ كانت خلافة أبي بكر وعمر وعثمان. وخلافةُ علي اختلف فيها أهلُ القبلة، ولم يكن فيها زيادة قوة للمسلمين، ولا قهر ونقص للكافرين، ولكن هذا لا يقدح في أن علياً كان خليفة راشداً مهدياً، ولكن لم يتمكَّن كما تمكَّن غيرُه، ولا أطاعَتْه الأمة كما أطاعت غيرَه، فلم يحصل في زمنه من الخلافة التامة العامة ما حصل في زمن الثلاثة، مع أنه من الخلفاء الراشدين المهديين[2].

والتاريخ الصادق ناطِقٌ بأن جميع الأمة الإسلامية في كافة الأمصار

---

(١) الفصل: ١٦٧/٤.

(٢) منهاج السُّنَّة: ٨٨/٣.

استقامت طاعتها للخلفاء الثلاثة، ولم تَخرج على أحد منهم ولا انتقضَتْ عليه، ولا حاربها ولا حاربَتْه، وهذا ما لم يحصل في عهد الخليفة الرابع، رضي الله عنهم جميعاً[١].

●● ومما تقدم يتبيَّن لنا بطلانُ قولِ صاحبة كتاب «بيعة علي»، وهي تزعم النزاهة والنقد وغربلة الروايات، تقول: (أجمع على بيعته كبارُ الصحابة والمهاجرون والأنصار، وخضعَتْ لخلافته كل بلاد الإسلام: كالحجاز واليمن وفارس وخراسان ومصر وإفريقية والجزيرة وأَذْرَبِيجان والهند والسِّند والنوبة. ولم يعارض بيعتَه سوى أهل الشام، وهم لا يمثِّلون نصفَ الأمة، ولا ربعها، بل قد لا يَصِلون عشرها)[٢].

وهذا كلام يُبطِله التاريخ الذي أغمضَتْ عينَها عنه، وما حصل في الشام ومصر والكوفة والبصرة وغيرها من انتقاض ـ كما سيأتي ـ على عليٍّ وولاته مشهور معروف.

وغَمزتْ بمن كان مع معاوية من الصحابة وأنهم من مُسْلِمة الفتح! ولا نردّ عليها في هذا بل نتركه لقول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

ثم قالت: (ولذلك قلنا: إن خلافة عليٍّ وبيعتَه مجمعٌ عليها، مثل ما نقول: إن بيعة أبي بكر ﷺ مجمع عليها)[٣].

---

(١) انظر: منهاج السُّنَّة: ١/٣٣٣ـ٣٣٨، ٢/٦١٩، ٣/٧٨ـ٨٠، ٨٨، ١٢٠، ١٢٣، ١٥٢، ٧٣٣؛ عصر الخلافة الراشدة، ص٦٠، ٩٩، ١٠٤، ٤٤١، ٤٤٣ـ٤٤٣.

(٢) بيعة علي، ص١٩٣.

(٣) بيعة علي، ص١٩٥.

فهل يقول مثل هذا باحث ناقد منصف؟! والأحاديث الصحيحة والواقع والتاريخ تدحض ذلك العوج وتلك المكابرة[١]!.

ـ ويجازف كاتب آخر فيقول: (وهكـــذا، وإنْ جرت عملية البيعة تحت مراقبة الثوار، إلا أنها جاءت وفقاً للآليـــة المتبعة، وتوفر لها «إجماع» ربما لم تصِلْ إليه البيعـــاتُ الثلاث الســـابقة، التي حالت ظروفهـــا دون بلوغ ذلك)[٢]!.

وهو كلام غَثّ لا يَسوى ســـماعه، والردُّ عليه ســـهل ميسور منشور في التاريخ عبر مســـيرته المشرقة طيلة عهد الخلفاء الراشـــدين الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان.

سابعاً: خطب علي ومواقفه غداة استخلافه:

ـ ذكرنا أن الصحابة جـــاؤوا عليّاً وألحوا عليه فـــي البيعة حتى قبِلها، يقول أبو بشـــير العابدي: (فجاء فصعد المنبر، فاجتمـــع الناس إليه، فقال: إني قد كنت كارهاً لأمركم، فأبيتـــم إلا أن أكون عليكم، ألا وإنه ليس لي أمرٌ دونكـــم، إلا أن مفاتيح مالِكـــم معي، ألا وإنه ليس لـــي أن آخذَ منه

---

(١) وفي كتابها أخطاء وخطايا: ففيه إســـراف في حق بعض الصحابة، وغلو في علي وتقديمه على عثمان، وغمز من بيعة الصديق، وتدليس في النقل عن العلماء، فضلاً عن المجازفات في المســـاواة بين الخوارج وبين أهل الشـــام، وتوهين (ســـيف بن عمر الضبي) واتهامه بالوضع اعتماداً على قول ابن حبان فيه ـ وقد زيَّفْنَا كلامـــه في كتابنا «عثمان بن عفان» ـ والثناء على لوط بن يحيـى. وشـــريكُها في الكتاب (حســـن بن فرحـــان المالكي) الذي يتظاهر بالمنهج النقدي، وهو رافضي جَلْد كشـــف عن وجهـــه الحقيقي في برنامج (وجهاً لوجه على قناة وصال) مع بعض علماء السُّنَّة، فراح يقع فيهم، بل بلغت به الجرأة أن قال عن معاوية: إنه في الدرك الأسفل من النار، وسَـــهُل عليه شتم الصحابة واتهام فريق منهم بالنفاق، مما اضطر القناة إلى توقيف البرنامج، في يوم السبت (٢٠١٢/١٢/٢٢م).

(٢) الإمام علي، للدكتور إبراهيم بيضون، ص٥٦.

درهماً دونكم، رضيتـــم؟ قالوا: نعم، قال: اللَّهمَّ اشـــهَدْ عليهم. ثم بايعهم على ذلك. قال أبو بشـــير: وأنا يومئذ عند منبر رســـول الله ﷺ قائم أسمع ما يقول)[١].

ـ **وأول خطبة خطبها علي حين استخلف**: ما رواه الطبري وغيره: أنه حمد الله وأثنى عليه، ثم قـــال: (إن الله ﷻ أنزل كتاباً هادياً بيَّن فيه الخير والشـــر، فخُذوا بالخير ودَعُوا الشـــر. الفرائضَ أدوها إلى الله ﷻ يؤدِّكم إلى الجنة. إن الله حرَّم حُرَماً غير مجهولة، وفضَّلَ حرمة المســـلم على الحُرم كلِّها، وشـــدَّ بالإخلاص والتوحيد المسلمين. والمسلم مَن سلِم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق. لا يحلُّ أذى المســـلم إلا بما يجب. بادروا أمـــرَ العامة، وخاصةَ أحدكـــم الموت، فإن الناس أمامكـــم، وإن ما من خلفكم الســـاعةُ تحدوكم. تخفَّفوا تَلْحقوا، فإنما ينتظر النـــاس أخراهم. اتقوا الله عبادَه في عبادِه وبلاده، إنكم مســـؤولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعـــوا الله ﷻ ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخُـــذوا به، وإذا رأيتم الشـــر فدَعُوه، ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [الأنفال: ٢٦])[٢].

وقد جاءت هذه الخطبة من أمير المؤمنين في أوانها ومكانها، ووضع يده على مكمن الداء؛ فكان أخطر ما ابتُلي به المسلمون في تلك الفترة العصيبة اختلاق الأكاذيب وإثارة الشـــائعات والفتن وســـفك الدم الحرام، فأشار ولم يُفصح ولوَّح ولـــم يصرِّح بما جرى في أخريات عهد عثمـــان وما انتهى إليه الأمر من ســـفك دمه الحرام، فقال: (إن الله حرم حُرَمـــاً غير مجهولة، وفضَّل حرمة المســـلم على الحُرَم كلها... والمســـلم من سلم المســـلمون من لسانه ويده)، ولـم يجابه القتلة بذلك درءاً لإيقاظ فتنتهم وشرورهم، بل أقام أمامهم

---

(١) تاريخ الطبري: ٤٢٨/٤. وانظر ما تقدم: ص ٣٤٤ في هذا الكتاب.

(٢) تاريخ الطبري: ٤٣٦/٤؛ البداية والنهاية: ٢٢٧/٧ـ٢٢٨؛ شرح نهج البلاغة: ٢١١/٥.

حقيقة أمرهم وأنهم سيرجعون إلى الله؛ (وإن ما من خلفكم الساعة تحدوكم... إنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم!).

وأشار إلى النهج الذي يستقبلون به عهد الخلافة بعد تلك الفتنة الكبرى: (إن الله ﷻ أنزل كتاباً هادياً بيَّن فيه الخير والشر، فخُذوا بالخير ودَعُوا الشر)[1].

ـ وبيَّن أمير المؤمنين في خطبة أخرى صفات الرجل الذي يتولى الخلافة، وحقوقه وواجباته وشرطَ انعقاد البيعة؛ فقال: (أيها الناس، إنَّ أحقَّ الناس بهذا الأمرِ أقواهم عليه، وأعلَمُهم بأمرِ الله فيه، فإنْ شَغَب شاغبٌ استُعتب، فإن أبى قوتل...)[2].

ثامناً: معضلات وتحديات:

استلم عليٌّ مقاليد الخلافة وهي مثقلة بالأعباء، وفي أعقاب فتنة دونها فتنة الردَّة التي واجهها أبو بكر، حيث اجتمعت عوامل الاستنكار وإثارة المشاعر والضمائر، وكثرت الشائعات والتساؤلات والشبهات، وقويت المطامع والتطلعات، وتركت آثارها على النسيج الاجتماعي، وذلك شأن المجتمعات البشرية عقب حوادث غير عادية إذا فقدت الهدوء والأمن والاستقرار، ولم تُشغل بأمر يستهلك قواها ويستوعب طاقاتها واهتمامها كالغزوات والفتوحات، أو بأمور جدية بناءة كترقية المجتمعات وتنظيم المملكات.. ولم يكن من هذا شيء في ذلك الوقت، حيث لم يستتب الأمر للخليفة الجديد، والمجتمع الإسلامي يعيش في فراغ، ولا شيء أكثر خطراً وأعظم ضرراً من الفراغ في مجتمع محدَق بالأخطار الداخلية والخارجية[3].

---

(١) انظر: المرتضى، للندوي، ص ١٤٠ ـ ١٤١.

(٢) تقدمت بتمامها: ص ٣٢٤ حاشية (٢) في هذا الكتاب.

(٣) انظر: المرتضى، ص ١٤١.

وهذا الواقــع الراهن وضع الخليفةَ والدولــة والمجتمع أمام معضِلات كبار وتحديات جِسام، اســتهلكت الطاقات مجتمعة، وتركت آثارها السلبية على المشــهد العام، وأفضَى أمير المؤمنين إلى ربه شهيداً ولم يستطع هو وجميــعُ القــوى الموافقــة لــه والمخالفة أن تتجــاوز تلــك المعضلات والتحديات.

ونومئ هنا إليها بإشــارات مقتضبة، لنترسَّم ســيرورتها وتأثيراتها على مســيرة الأحداث وهدْيَ الخليفة في معالجتها، ونتلمَّــس عقابيلَها ونتائجها، لتكون درساً لنا وعبرة، كما تكون معذرة وإعذاراً لأولئك الرجال المخلصين الذين اصطَلَوا بنارها.

١ ـ كانت أخطر قضيــة تواجه الخليفة الجديد هــي مقاضاة قتلة عثمان وإنفاذ القصاص فيهم، وكان ابن عباس قد نبَّه عليّاً إلى خطورة الموقف قبل توليه الخلافة: (إن الناس سيُلزِمونك دم عثمان)[١].

٢ ـ قتلة عثمان يشــكِّلون قوةً ضاغطة على قرارات الخليفة ومؤثرة على ســيرورة الأحداث، ولهم شوكة وســطوة، وبعضهم ترك المدينة وتوجه إلى الأمصار بعد بيعة علي، ولما انتقل علي مــن المدينة إلى العراق انتقل معه قتلة عثمان، ولا ســيما أهــل الكوفة والبصــرة، ولما صاروا فــي كوفتهم وبَصْرتهم أضحوا في مَعقِل قوتهم وعُنْجُهِيَّة قبائلهم، فازداد خطرهم واستطار شــرُهم، ولم يكن باســتطاعة علي ولا غيره أن يكسر شــوكتهم أو يقضي عليهم[٢].

(١) مصنف عبدالرزاق: ٤٤٨/١١؛ تاريخ الإسلام، للذهبي، «عصر الراشدين»، ص ٤٨٠؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٤٣.

(٢) انظر: منهاج السُــنَّة: ٣٣٢/١، ٧٥/٣ـ٧٦، ٩٠؛ العواصم مــن القواصم، ص ١٤٩ـ١٥٠؛ الولاية على البلدان، ص ٣٥١.



وقد أفصح علي بذلك لإخوانه الصحابة الذين طالبوه بالتعجيل بتنفيذ القصاص، فقال: (إني لستُ أجهل ما تعلمون، ولكني كيف أصنَعُ بقومٍ يملكوننا ولا نملكهم؟!)[١].

٣ ـ والمعضلة الأخرى التي تنبثق من سابقتها أن هؤلاء المجرمين لم يكونوا مشخَّصين تشخيصاً تامّاً، فيؤخذون بالمشاهدة أو الشهادة الشرعية التي يسوغ بها القصاص[٢]، ولمّا تحدث عليٌّ مرة في أمر القوَد من القتلة، رفع عشرة آلاف رماحهم يقولون: كلنا قتلة عثمان!.

٤ ـ هؤلاء القتلة المجرمون كانوا أصحابَ هوى ومساعرَ فتنة، يدأبون على إثارة الخلاف والشِّقاق بين صفوف المسلمين، ويَجهدون في إفشال كل خطة إصلاح تجمع الكلمة على هدف واحد، وقد شهدت السنون التالية مواقفَ مشينة منهم في حروب الجمل وصفِّين والنهروان وحادثة التحكيم.

٥ ـ ومعضلة أخرى كبيرة تتجلى في عدم تماسك (مجتمع المدينة) حول الخليفة علي ﷺ، فالقلوب مضطربة مختلفة[٣]، وأكابر الصحابة وجِلّتهم في ذهول من هول كارثة مقتل عثمان، وهذا ما انعكس على سياسة الدولة في أيامها الأولى؛ حيث اتجه عليٌّ إلى إرجاء تنفيذ حكم القصاص على القتلة، وخالَفَه في ذلك جمهورٌ من الصحابة، وهذه المعضلة تركَتْ آثارَها السلبية على سياسة الدولة ومسيرتها طيلة عهد علي.

٦ ـ وترتب على ما سبق انعكاساتٌ ذات مخاطر بالغة كشفت عن وجود ثغرات وفتوق في نسيج المجتمع الإسلامي، بما يموج به من مكونات

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٣٧؛ شرح نهج البلاغة: ٥/٢١٣.
(٢) منهاج السُنَّة: ٣/٩٠؛ المرتضى، ص ١٤٢.
(٣) انظر: منهاج السُنَّة: ١/٣٣٢.

الأتقياء المخلصين، والأدعياء ومن في قلوبهم مرض، وما يحتاجه ذلك من علاجات ناجعة وسريعة حتى لا يمتد داؤه كالسرطان الذي ينهش أجزاء الجسم الفاعلة والأصيلة، وهذا من واجبات الخليفة الملحَّة والسريعة.

٧ ـ وظهر ذلك الانقسام في المجتمع منذ الأيام الأولى لعهد علي؛ فجماعةٌ من الصحابة ذهبوا إلى البصرة للاستعانة بأهلها في تشكيل قوة تعاون الخليفة على تنفيذ القصاص، **وأهل الشام رفضوا البيعة حتى يُقام الحدّ كذلك، وفريق ثالث اعتزلوا الجميع**، فتوزعت جهود الأمة في ثلاثة مسارات، مما أدى إلى خسائر كبيرة دينية ومادية ومعنوية!.

ونتيجة لذلك انقسم عشرات الألوف من المقاتلة في البصرة والكوفة والشام حيث ثِقل القوات الإسلامية التي تكوِّن أعظم جيوش العالم آنذاك، ويُقدَّر الجيش بنحو (٢٠٠,٠٠٠ مقاتل)[1].

٨ ـ ومن المعضلات والتحديات التي اعترضت عليّاً وشكَّلت له عبئاً ثقيلاً في مهمته الشاقة؛ أن فريقاً من أكابر الصحابة قد اعتزلوا العمل السياسي والعسكري، وقد سُدَّت عليهم أبواب التفكير واغتامَتْ الرؤية السليمة، واعتبروا ما يحدث فتنة يجب عدم القيام فيها أو السعي إليها، ورأوا أن يحرصوا على سلامة ما مضى لهم من سابقة وجهاد، فقعدوا عن جميع الفرقاء، ومن مشاهيرهم: سعد بن أبي وقّاص، وابن عُمر، ومحمد بن مَسْلَمة، وأسامة بن زيد، وأبو بَكْرة، وأبو موسى الأشعري، وزيد بن ثابت.

٩ ـ والذين خالفوا عليّاً في أولويات سياسته للدولة وتنفيذ (حد القصاص من القتلة) يشكلون تياراً قويّاً يكافئ في كثرة عدده وقوة أدلته وصدق دوافعه وعزمه على تحقيق أهدافه؛ تيار المؤيدين لعلي واجتهاده وسياسته، وفيهم

(١) عصر الخلافة الراشدة، ص٦٤.

صحابة أخيار من أمثال طلحة والزبير وابنه عبد الله وعمرو بن العاص وابنه عبد الله ومعاوية والنعمان بن بشير وعائشة[١]!

١٠ ـ كذلك من التحديات المباشرة والمعضلات المبكرة انفلات بعض الولايات الكبيرة والخطيرة من سلطان الخلافة، واضطراب بعضها على الخليفة أو على ولاته منذ الأيام الأولى، مثل: الشام واليمن والحجاز ومصر، مما شكل أعباء إضافية وهموماً مؤرقة لأمير المؤمنين طيلة أيام خلافته، حتى خرج كثير منها من سلطانه في أخريات عهده[٢].

هذه التحديات الكبيرة والمعضلات المعقدة فرضت على أمير المؤمنين ومن معه معالجتها ومداواتها وتهدئتها وترشيدها، فقضى مدة خلافته كلها وهو في جهاد داخلي دائب مع جبهات متعددة مستعِرة؛ فاستنفدت جميعَ طاقاته وبدَّدت كل جهوده، حتى أَفضَى إلى ربه وكثيرٌ منها لم تخبُ جذوتُه، بل إن بعضها اشتد أوارُه وتطاير شَرَرُه، ونبغت شرور أخرى استقت من مياه الأحداث الآسنة، كحركة الخوارج وظهور البدع والزنادقة الذين ادعوا إلٰهية علي فأحرق رضي الله عنه رؤوسهم كما قدمنا.



(١) انظر: عصر الخلافة الراشدة، ص٦٣، ٤٤٣ ـ ٤٤٤.

(٢) الولاية على البلدان، ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٤٢.

الفصل الثالث

دولةُ الخلافةِ وهَدْيُ عليٍّ في سياستِها وإدارتِها

طغت أحداث الفتن والحروب التي جَرَتْ في مــدة خلافة أمير المؤمنين علي على عامة مشــاهد الحياة وتنوعاتها وتفاعلاتها، وحَجبت كثيراً من معالم الدولة وتفصيلات سيرورتها، فاستغرقت الرواياتُ التاريخية عن مجريات تلك الفتن والحروب معظمَ جهود الأخباريين والمؤرخين القدماء ومن جاء بعدهم، وانتقلت هذه (العدوى) إلى كتابات المعاصرين! وكثرت التفصيلات جدّاً حتى تجد في الواقعة الواحدة روايات عديدة، وفي كثير من الأحيان تكون متعارضة بل متناقضة، يَحارُ فيها قلمُ البحث وعقل الباحث فضلاً عن القارئ!.

ونتيجة لذلك اغتامَت الصورة الحقيقية للمعالم الكبرى والرئيســة لدولة الخلافة، وتشــتتت هنا وهناك الأخبــار التي تبيِّن الأســس العامة والأركان الأولية للسياسة العامة للخليفة في إدارة الدولة وتسيير دفة الحكم.

ونحاول في هذا الفصــل اقتناصَ الروايات وتجميــعَ الأخبار والخطب والكلمات التي قيلت في مناســبات مختلفة، والمواقف والرســائل والكتب التي تمَّ تبادلُها بين ديوان الخليفة والولاة والرعية؛ لرسم صورة تقريبية شافية تحدِّد معالمَ الدولة وسياستها في تلك الحقبة.

أولاً: علي خليفة إمام مربٍّ:

مشى علي ﷺ على نهج الخلفاء الثلاثة قبله، فكان وليَّ أمر المسلمين،

وإماماً لهم ومعلماً ومربياً ونموذجاً عمليّاً قائماً بالحِسْبة الدينية والأخلاقية، ومثالاً في الورع والزهادة والتواضع ومخالطة الناس وإرشادهم في شؤون دينهم ودنياهم. ويتمثل مهمات الحاكم النموذجي الذي يحمي حقائق الدين والشريعة والآداب العامة، ويحرس شؤون الدنيا التي يتحرك فيها جميع الناس، ويمتاز بحس مرهَف لاحتياجات مختلِف شرائح المجتمع.

كان إذا أراد أن يشتري شيئاً تحاشى الشراءَ ممن يعرفه خشية أن يجامله في الثمن لأنه أمير المؤمنين. واشترى ثوبين وخيَّر غلامه قنبراً بأخذ أحدهما! ويشتري التمر والطعام لأهله ويحمله بنفسه، فإذا جاء أحدُهم ليحملَ عنه أبى وقال: أبو العيال أحق أن يحمل. ويركب الحمار ويدلي رجليه ويقول: أنا الذي أهنتُ الدنيا[١].

وجعل من نفسه قدوة للمساكين وذوي المَسْغبة والمحتاجين، وكان يقول: (أَأَقنعُ من نفسي بأن يقال: هذا أمير المؤمنين، ولا أُشارِكُهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوةً لهم في جُشُوبَةِ العيش؟! فما خُلِقْتُ ليشغلَني أكلُ الطيبات...)[٢].

وروى النزَّال بن سَبْرة: (عن علي: أنهٰ صلَّى الظهرَ ثم قعد في حوائج الناس في رَحْبة الكوفة حتى حضَرتْ صلاةُ العصر)[٣].

وأوضح في أوائل خطبه أن من حقوق الأمة بل من واجباتها: اختيار الخليفة، ومراقبة سياسة الدولة والمال العام، فمما قاله:

(يا أيها الناس، عن مَلإٍ وإذنٍ: إنَّ هذا أمرُكم ليس لأحد فيه حقٌّ إلا من أمَّرتُم).

---

(١) تقدم تفصيل ذلك: ص ١٨٥ ـ ١٩٤ في هذا الكتاب.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٨/ ٤٣٠.

(٣) أخرجه البخاري ٥٦١٦، وقد تقدم: ص ١٤١ حاشية (٣) في هذا الكتاب.

وقال: (أَلَا وإنه ليس لي أمرٌ دونكـم إلا أن مفاتيح مالِكم معي. أَلَا وإنه ليس لي أن آخُذَ منه درهمـاً دونكم، رضيتُم؟ قالوا: نعم، قال: اللَّهمَّ اشـهدْ عليهم. ثم بايعهم على ذلك)(١).

ثانياً: راتب الخليفة وطعامه ولباسه:

تشكِّل سـيرة أمير المؤمنين علي قبل الخلافة وبعدها الحلقةَ الرابعة في حياة الخلفاء الراشـدين الذين بلغوا أسمى النماذج البشـرية لربانية الحاكم المسـلم وزهده وعفته وورعه ونُبله، وكانوا أسوة حسـنة للمسؤولين وعامة الناس وبخاصة الذين يعيشون شظف الحياة(٢).

يقول عبدالله بـن زُرَيْر: (دخلت علـى عليٍّ يومَ الأضحـى، فقرَّب إلينا خَزِيرة، فقلـت: أصلحكَ الله، لو قرَّبتَ إلينا من هذا البـط ـ يعني الوَزّ ـ فإن الله ﷻ قد أكثَرَ الخير! فقال: يا ابن زُرَيْر، إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحلُّ للخليفة من مال الله إلا قصعتان؛ قصعةٌ يأكلها هو وأهله، وقصعةٌ يضعها بين يدي الناس**»)(٣).

ويقول ابن عباس: (اشـترى علي قميصاً بثلاثة دراهم وهو خليفة، وقطع كُمَّه من موضع الرسغين، وقال: الحمد لله الذي هذا من رياشه)(٤).

وعن عبدالرحمن بن أبـي بَكْرة قال: (لم يَـرْزَأ علي بن أبي طالب من بيـت مالنا ـ يعنـي بالبصـرة ـ حتـى فارقنا غيـر جُبَّة محشـوّة وخَميصة درابجرديَّة)(٥).

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٢٨، ٤٣٥.

(٢) انظر ما تقدم: ص١٨٥ ـ ١٩٤ في هذا الكتاب.

(٣) أخرجه أحمد (٥٧٨)، وصحَّحه أحمد شـاكر. **الخَزيرة**: لحم يُقطع صغاراً ويصب عليه ماء كثير، فإذا نضج ذُرَّ عليه الدقيق.

(٤) البداية والنهاية: ٨/٣.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة: ٧/٦٢٣؛ ابن عساكر: ٣/١٨١.

وعن علي بن الأقمر، عن أبيه قال: (رأيت علياً عليه السلام وهو يبيع سيفاً له في السوق، ويقول: من يشتري مني هذا السيف؟ فوالذي فَلَق الحبَّة لطالَ ما كشفتُ به الكَرْب عن وجه رسول الله ﷺ، ولو كان عندي ثمنُ إزار ما بعتُهُ!).

وفي رواية: (وهو أمير المؤمنين)[1].

وكان يلبس قَطيفة خَلَقة ويُرْعَد من البرد، وهو أمير المؤمنين، ولا يأخذ من بيت مال المسلمين غيرَ ما فرضوه له[2].

ويروي والي (عُكْبَرا): أن علياً قال له: (إذا كان عند الظهر فَرُحْ إليَّ. فرُحْتُ إليه فلم أجد عنده حاجباً يحبسني دونه، فوجدتُه جالساً وعنده قَدَح وكوزٌ من ماء، فدعا بظَبْيَة، فقلت في نفسي: لقد أَمِنني حتى يُخرج إليَّ جوهراً، ولا أدري ما فيها، فإذا عليها خاتم، فكَسر الخاتم فإذا سَويق، فأخرج منها فصَبَّ في القدح وصَبَّ عليه ماء فشرب وسقاني. فلم أصبر، فقلت: يا أمير المؤمنين، أتصنع هذا بالعراق وطعامُ العراق أكثر من ذلك؟! قال: أما والله ما أَختِم عليه بُخلاً عليه، ولكني أبتاع قَدْر ما يكفيني، فأخاف أن يفنى فيصنع من غيره، وإنما حِفظي لذلك، وأكره أن أُدخِل بطني إلا طيباً!)[3].

ثالثاً: إدارته دفة الحكم والولايات:

كان أمير المؤمنين علي مدركاً لأهمية وجود السلطة في ديار الإسلام، ويقول في هذا: (لا بدَّ للناس من إمارة برَّةٍ كانت أو فاجرة. فقيل: يا أمير

---

(١) المعرفة والتاريخ: ٤٠٠/٣؛ الحلية: ٨٣/١ـ٨٤؛ ابن عساكر: ١٨٩/٣؛ صفة الصفوة: ٣١٨/١.

(٢) انظر ما تقدم: ص ١٩٠ حاشية (٣) في هذا الكتاب.

(٣) الحلية: ٨٢/١؛ صفة الصفوة: ٣١٩/١ـ٣٢٠؛ ابن عساكر: ١٩٨/٣ـ٢٠٠. عكبرا: بليدة بالعراق. ظبية: جريب من جلد الغزال يشبه الكيس.



المؤمنين، هذه البَـرَّة قد عرفناها، فما بالُ الفاجرة؟ فقـال: يُقام بها الحدود، وتأمن بها السُّبُل، ويُجاهد بها العدو، ويُقسم بها الفيء).

فالسـلطة في نظره إذا لم تسـمُ إلى مقامـات عُليا من الالتـزام بالخير والصلاح والتجرُّد للحق والعدل ـ وهي الإمارة البرَّة التي يتطلع إليها الناس ـ فإنها نافعةٌ في حالة ضعف التزامها ورقيها الإيماني ـ المعبَّر عنه بالفجور ـ، وذلك لإقامتها الأمنَ وإنفاذ الأحكام الشـرعية والتوزيع العادل للثروة وإقامة الجهاد[١].

ودأب علي على تذليل العقبات وسـدِّ الخروقـات ومعالجة التحديات، واسـتعان بمختلِف الكفاءات وجهود الرجال الأوفياء للقيام بإدارة شـؤون الأمة ومؤسسات الدولة.

يروي هُبيرة بن يَريم فيقول: (قال لي علي: اجمعوا لي القرّاء[٢]، فاجتمعوا في رحبة المسجد، قال: إني أوشـك أن أفارقكم. فجعل يُسائلهم: ما تقولون في كذا؟ ما تقولون في كذا؟ حتى نفدوا، وبقي شُـريح فجعل يسـائله، فلما فرغ قال: اذهب فأنت من أفضل الناس ـ أو: من أفضل العرب ـ)[٣].

والمتتبع لسياسة علي يرى أنه كان يفتح عينيه وعقله على الأحداث وما تموج به الدولة مـن تحركات، ويقدِّم في علاجهـا الأولوياتِ والأمورَ ذات الخطر الأكبر والأشـمل على الناس والولايات، وقد أظهر مقدرة كبيرة على تعبئة الجيوش وقيادة الناس وتوضيح أحكام الشـرع فـي الحروب الداخلية بين المسلمين، ومنها: الكفّ عن المدبِر، والإحسان إلى الأسير، وعدم سبي

---

(١) السياسة الشـرعية، ص ٥١؛ الولاية على البلدان، ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥، ٣٦٧؛ عصر الخلافة الراشدة، ص١٤٢.
(٢) هذا المصطلح يشمل العلماء والفقهاء والقضاة والمربين والقرّاء.
(٣) المعرفة والتاريخ: ٥٨٨/٢؛ الحلية: ١٣٤/٤.

النساء والذراري، وعدم حرمان المخالفين من حقهم في الفيء أو الصلاة في المساجد، وعدم بدئهم بالقتال[١].

ومما يميز سياسته أنه كان شديدَ الحرص على الأنفس والأعراض والأموال، ويبذل الصفح والرحمة في تعامله مع أشد الخصوم الذين حاربوه كالخوارج، ومما أوصى به جيشه في حرب (صفين)، قوله: (فإذا كانت الهزيمة بإذن الله، فلا تقتلوا مُدْبِراً، ولا تُجهزوا على جريح، ولا تَهِيجوا النساءَ بأذى وإنْ شتمنَ أعراضكم وسَبَبْنَ أمراءَكم...)[٢].

ويرافق ذلك مَعلمةٌ أخرى في سياسة علي وإدارته للدولة؛ هي قوة شخصيته وثباتُه على نهجه ومبادئه، فلم يُفقِده اشتباكُ المحن توازنَه، ولا زحزحَتْه أعتى الأحداث عن استمساكه بأخلاقه وهَدْيه، ومن أوضح الأمثلة: موقفه من ذاك المجرم الذي قتله؛ حيث قال لبنيه: (أَحْسِنوا نُزُلَه وأكرِموا مثواه، فإنْ بقيتُ قَتلتُ أو عفوتُ، وإنْ متُّ فاقتلوه قِتْلتي ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين!)[٣].

رابعاً: نقل العاصمة إلى الكوفة:

•• من أخطر التطورات التي حدثت في خلافة علي نقلُ (العاصمة) من (المدينة المنوّرة) إلى (الكوفة) التي أصبحت عاصمةَ الدولة وقاعدةَ الخلافة ومحورَ الأحداث، وكان أمير المؤمنين علي يقيم فيها وهو المسؤول المباشر عنها، ومنها يدير شؤون الدولة، وإليها تقدم الوفود، ومنها تخرج الأجناد، وكان إذا خرج منها يُنيب عنه من يتولى شؤونها مدة غيابه، وأمست (المدينة

---

(١) عصر الخلافة الراشدة، ص ٩٢، وسيأتي توضيح ذلك.
(٢) شرح نهج البلاغة: ٧٧/٨.
(٣) طبقات ابن سعد: ٣٥/٣.

العاصمــةُ الأصيلــة) في عصر الرســالة وعهــود الخلفاء الثلاثــة ولايةً من الولايات[(١)]!.

وقد خرج علي من المدينة عندما قــرَّر الخروجَ على رأس جيش إلى الشــام لإخضاع معاوية ومن معه لســلطان الخلافة، ولم يكن المسلمون يؤيدونه في ذلك، وعامتُهم لا يرغبون في استبدال عاصمة النبوة والخلافة الراشــدة، وأيضاً كان الخلفاء قبله لا يخرجون من المدينة للقتال والفتح بأنفســهم، بل يؤمِّرون القادة لذلك، ومن أقرب الأمثلة على هذا أن عمر عندما أراد غزوَ الفُرس بنفســه عارَضَــه أهلُ الرأي مــن الصحابة وعلى رأسهم علي!.

ونصحه الصحابة بعدم الخروج، فقال له أبو أيــوب الأنصاري: (يا أمير المؤمنين، لو أقمتَ بهذه البلاد لأنها الدرعُ الحصينة، ومهاجَرُ رسول الله ﷺ، وبها قبره ومنبره، ومادة الإسلام، فإن اســتقامت لك العرب كنت كمن كان، وإن تشعب عليك قوم رميتَهم بأعدائهم، وإنْ أُلجئت حينئذٍ إلى السير سرتَ وقد أَعذرت)[(٢)].

وجاءه عبدالله بن سَــلَام وقال: (يا أمير المؤمنيــن، لا تخرجْ منها، فوالله لَئن خرجتَ منها لا ترجع إليها، ولا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً!)[(٣)].

وهذا ابنه الحسن يكرر رجاءَه ونُصْحَه له، وقد خرجوا إلى البصرة؛ قال: (إني كنتُ أشرتُ عليك بالمقام، وأنا أشير به عليك الآن)[(٤)].

---

(١) انظر: الولاية على البلدان، ص ٣٤٠؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٣٩.
(٢) الفتوح، لابن أعثم: ٢/٢٤٥.
(٣) تاريخ الطبري: ٤/٤٥٥.
(٤) ابن عساكر: ١٣٨/٣، وسيأتي مطولًا.

●● وقد كان أمير المؤمنين علـــي يدرك تماماً مكانـــة (المدينة المنوّرة) باعتبارها عاصمة الرســالة، ومركز ثقل الإســلام، ومهوى أفئدة الأمة، وهو يوافق أولئك الصحابــة الناصحين بعدم الخروج منها. كذلك نحن على يقين بأنه لم يكُ راغباً باســتبدال الكوفة بها عاصمة للدولــة. بيد أنه رمى ببصره للأحداث ورأى ملامح الفتوق تنذِر بمخاطرها فــي بعض الأمصار البعيدة، ومنها الشام والبصرة؛ فوجد أن خروجه إلى الكوفة فيه مصلحة الإسلام، من حيث الوضــعُ الجغرافي والإمدادُ البشــري، وهــو ما نعبِّر عنه فــي زماننا (بالوضع الاستراتيجي واللوجستي والجيوسياســي) ـ ففيها الرجال والجند والأنصار والأموال، مــع قربها من البصرة؛ فأداه اجتهــاده إلى العزيمة على اختيارها والخروج إليها لتكون مركزاً لإدارته دفة الحكم، وحياطة الخروقات بالدواء الناجع والعلاج السريع من مكان قريب.

وزعم بعضهم أن عليّاً اختار الكوفــة لأن (المدينة كانت حينذاك موطنَ الســادة، وهذه حالها لا تصلح له فهــي أصبحت مركز بقايا الأرســتقراطية القرشية، فاتخذ الكوفة حاضرة لعهده الجديد وخاصة للساخطين من العرب والعجم!)[1].

ويدَّعي آخــر أن (الدور المركــزي للحجاز تضعضع فــي عهد عثمان) و(انتقل الثقل كليّاً إلى الأمصار)؛ فجاء قرار علــي بالخروج إلى الكوفة في ظل ذلك الواقع[2]!.

وهذا وذاك وأمثالهما مما لا ننشــغل بالردِّ عليه، وإنما أردنا التنبيه على نماذج من تحريف التاريخ وتزوير الحقائق الذي يقع هنا وهناك.

---

(١) أبو تراب، للدكتور طلال الجنابي، ص١٠٩.

(٢) الإمام علي، للدكتور إبراهيم بيضون، ص٦٥ ـ٦٦، وانظر: ص١٠٩ منه.

خامساً: أُسس الدولة وأركانها:

بقيت الدولة في عهد علي قائمة على الأسس والأركان نفسها التي شُيِّدت عليها دولة الخلافة في عهد الراشدين الثلاثة قبله، ويمكن إيجازها بالأركان التالية:

١ ـ المرجعية:

من نافلة القول أن نشير إلى أن مرجعية الدولة وركنَها الأهم والمصدر الوحيد فيها للتشريع والسياسة هو كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ، فما عرف ذلك العصر أي فكر أو مذهب آخر يشوب وجه الدولة فضلاً عن أن ينافس الكتاب والسُّنَّة.

وقد شهد الحديث الصحيح أن مدة خلافة علي هي من ضمن (الخلافة على منهاج النبوة)، كما قدمنا من حديث سفينة.

وعن أبي الهيَّاج الأَسَدي ـ صاحب شرطة علي ـ قال: (بعثني عليٌّ قال: أبعثُكَ على ما بعثني عليه رسولُ الله ﷺ: أن لا تَدَعْ قبراً مشرِفاً إلا سوَّيْتَه، ولا تمثالاً إلا طمستَه)[١].

وفي خطبة له عند مسير (أصحاب الجمل) إلى البصرة يقول علي: (ولكم علينا العملُ بكتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ، والقيامُ بحقه والنَّعْشُ لسُنَّتِهِ)[٢].

وقد جاء في كتابه للأشتر النَّخَعي ـ وقد وجَّهه أميراً على مصر ـ: (ولا تنقض سُنَّةً صالحة عمل بها صدورُ هذه الأمة، واجتمعَتْ بها الألفة،

---

(١) أخرجه مسلم (٩٦٩)؛ وأبو داود (٣٢١٨)؛ والترمذي (١٠٧٠)، وغيرهم.
(٢) شرح نهج البلاغة: ٢١٦/٥.

وصَلَحت عليها الرعية. ولا تُحدِثنَّ سُــنَّة تَضرُّ بشيء من ماضي تلك السنن، فيكونَ الأجر لمن سنَّها، والوزرُ عليك بما نقضْتَ منها)[١].

٢ ـ الشورى:

كان الخليفة ـ علــي ومَن قبلــه ـ إذا أعضَلَه أمرٌ جمع (أهل الشــورى) واستشــارهم في قضايــا الأمة ومصالح النــاس ومواقف الدولة في الســلم والحرب وتوزيع الغنائم وشؤون الولاة والولايات وغير ذلك.

وقد أمــر عليٌّ النــاس بإبداء النصح والمشــورة للخليفة والمســؤولين وســواهم؛ فيما فيه إقامة الحقوق؛ قال: (فلا تَكفُّوا عن مقالةٍ بحقّ، أو مشورةٍ بعدل، فإني لستُ في نفسي بفوقِ أن أخطئ، ولا آمَنُ ذلك من فعلي، إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أَمْلَكُ به مني، فإنما أنا وأنتم عبيدٌ مملوكون لربّ لا ربَّ غيره)[٢].

ومما أُثِر عن علــي قولُه: (نعمَ المؤازرة المشــاورة، وبئسَ الاســتعداد الاستبداد)[٣].

وقد سجَّلت المصادر صوراً للشورى في خلافة علي تتعلق بسياسته تجاه ولاة الأمصــار، وإدارة الدولــة، وموقفه من المخالفين أيــام الجمل وصفِّين وحرب الخــوارج، وكثيراً ما كان يستشــير الولاة وخاصة ابــن عباس، كما سيأتي[٤].

وفي كتابه للأشتر النَّخَعي؛ يقول: (ولا تُدخِلنَّ في مشورتك بخيلاً يَعْدِل

(١) شرح نهج البلاغة: ٣٦/٩، وانظر: ٣٩/٩ـ ٤٠.
(٢) المرجع السابق: ٧٥/٦.
(٣) نهاية الأرب: ٦٩/٦.
(٤) وانظر: الولاية على البلدان، ص ٣٣٦، ٣٤٢.

بك عن الفضل، ويَعِـدُك الفقر، ولا جَبَاناً يُضَعِّفُك عـن الأمور، ولا حريصاً يزيِّن لك الشَّرَه بالجَوْر)[١].

ومـن أمثلة استشـارة علي للنـاس: أنه عندمـا وصله كتاب مـن واليه (مَعْقِل بن قيس الرِّياحي) وقد تولى قتال الخارجيّ (الخِرِّيت بن راشد)، فقرأ أمير المؤمنين الكتاب على أصحابه (واستشـارهم في الـرأي، فاجتمع رأيُ عامتهم على قول واحد، فقالوا له: نرى أن تكتـب إلى مَعْقل بن قيس فيتبع أثرَ الفاسـق، فلا يزال في طلبه حتـى يقتلَه أو ينفيه، فإنا لا نأمن أن يُفسِـد عليك الناس)[٢].

٣ ـ العدالة والمساواة:

وهذا الركن المهم مما كان أمير المؤمنين علي يتولى إقامته بنفسه، ويأمر الولاة والنـاس بملازمته، فكان يتردَّد إلى الأسـواق ويراقـب أعمالَ الناس وينصحهم ويحل مشكلاتهم ويرسـي العدل بينهم، حتى لا يطمع القوي في باطله ولا يخشى الضعيف من ضياع حقه.

يروي عبدالسـلام بن حـرب، عن ناجية القرشـي، عن عمـه يزيد بن عدي بن عثمان قال: (رأيتُ عليّاً عليه السلام خارجاً من هَمْدان، فرأى فئتين يقتتـلان، ففرَّق بينهما ثم مضى. فسـمع صوتاً: يا غوثاً بـالله! فخرج يُحْضِر نحوه ـ حتى سـمعتُ خَفْقَ نعلهِ ـ وهو يقول: أتاك الغَـوْث! فإذا رجلٌ يلازِم رجلاً، فقال: يا أمير المؤمنين، بعتُ هذا ثوباً بتسعة دراهم، وشَرطتُ عليه ألا يعطينـي مغموزاً ولا مقطوعاً ـ وكان شـرطَهم يومئذٍ ـ فأتيتُـهُ بهذه الدراهم ليبدِّلها لي فأبى، فلَزِمتُهُ فلَطَمني! فقال: أَبْدِلْه. فقال: بَيِّنَتَك على اللطمة، فأتاه

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٩/٩، وانظر: ٥١/٩.

(٢) تاريخ الطبري: ١٢٤/٥.

بالبينة، فأقعده ثم قال: دُونَك فاقتصَّ، فقال: إني قد عفوت يا أمير المؤمنين، قال: إنما أردتُ أن أحتاط في حقك، ثم ضَرب الرجل تسعَ دِرّات، وقال: هذا حق السلطان)[١]. وهذا ما نسميه في عصرنا: (الحق العام).

وعن الشعبي قال: (وجد علي بن أبي طالب درعَه عند رجل نصراني، فأقبل به إلى شُريح يخاصمه، فقال علي: هذا الدِّرع درعي لم أَبِعْ ولم أهَبْ، فقال شريح للنصراني: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ فقال النصراني: ما الدرعُ إلا درعي، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب! فالتفت شريح إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين، هل من بيِّنة؟ قال: فضحك علي وقال: أصابَ شُريح، ما لي بينة. فقضى بها للنصراني. قال: فمشى النصراني خُطاً ثم رجع فقال: أمَّا أنا فأشهدُ أن هذه أحكام الأنبياء؛ أمير المؤمنين قدَّمني إلى قاضيه وقاضيه يقضي عليه! أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. الدرعُ والله دِرعُكَ يا أمير المؤمنين، اتبعتُ الجيش وأنت منطلق إلى صفِّين، فخرجَتْ من بعيرك الأورق. فقال: أمَّا إذْ أسلمتَ فهي لك، وحمله على فرس. قال الشعبي: فأخبرني من رآه يقاتل الخوارجَ مع علي يوم النهروان!)[٢].

وروى عاصم بن كُلَيب، عن أبيه قال: (قدِمَ على عليٍّ مالٌ من أَصْبَهان، فقسمه على سبعة أسهم، فوجد فيه رغيفاً فكَسَره على سبعة وجعل على كل قسم منها كسرة ثم دعا أمراء الأسباع فأَقْرَع بينهم لينظر أيهم يعطي أولاً)[٣].

وعن علي بن ربيعة قال: (جاء جعدة بن هُبيرة إلى علي، فقال: يا أمير المؤمنين، يأتيك الرجلان أنت أحبُّ إلى أحدهما من نفسه ـ أو قال: من أهله وماله ـ والآخر لو يستطيع أن يذبَحكَ لَذَبَحك، فتقضي لهذا على

---

(١) تاريخ الطبري: ١٥٦/٥ـ١٥٧. **يُحضِر**: يسرع.

(٢) ابن عساكر: ١٩٦/٣؛ البداية والنهاية: ٤/٨ـ٥.

(٣) ابن عساكر: ١٨٠/٣؛ الاستيعاب: ٤٩/٣. **الأسباع**: قسم علي الجيش سبعة أقسام.



هـذا؟! فلَهَزَه عليٌّ وقال: إنَّ هذا شـيء لو كان لي فعلـتُ، ولكن إنما ذا شيء لله!)[(١)].

وجاء في بعض خطبه التي وجهها للأمة قوله: (أيها الناس، أَعينوني على أنفسـكم، وايمُ الله لأُنصِفَنَّ المظلوم، ولأَقودَنَّ الظالـم بِخِزامتِه، حتى أورِدَه مَنْهلَ الحق وإنْ كان كارهاً)[(٢)].

وكتب للأشتر في عهده وقد سـيَّره أميراً على مصر: (أنصِفِ اللهَ وأَنصِف الناس من نفسـك، ومن خاصَّة أهلك، ومَن لك فيه هوًى من رعيتك، فإنك إلا تفعلْ تَظلِمْ، ومَن ظلمَ عبـادَ الله كان الله خصْمَه دون عباده، ومن خاصَمَه الله أَدْحَضَ حجتَه، وكان لله حرباً حتى يَنزِع أو يتوب. وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمـة الله وتعجيل نِقمتـه من إقامةٍ علـى ظلم؛ فإن الله يسـمع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد!)[(٣)].

وكتب مثل ذلك فـي عهده إلـى محمد بن أبي بكر عندمـا ولاه على مصر[(٤)]، وإلى الأسود بن قطبة صاحب جند حلوان[(٥)].

٤ ـ الأمانة:

والمقصود بالأمانة معناها الشـمولي الذي يسـتغرق كافة المسؤوليات والحقوق والأموال والدماء والأعراض والشرائع وغير ذلك، ويشمل الخليفة والولاة والقادة وعامة المسـؤولين والرعية، وقد ضـرب أمير المؤمنين علي

---

(١) ابن عساكر: ٢٠٠/٣؛ البداية والنهاية: ٥/٨. **لهزه**: ضربه بجمع الكف في صدره.

(٢) شـرح نهج البلاغة: ٢٥/٥. **الخِزامة**: حَلْقة من شـعر تُجعل في أنف البعير ويُجعل الزمام فيها.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٢٧/٩ـ٢٨.

(٤) المرجع السابق: ١٢٢/٨، ٥/٩.

(٥) المرجع السابق: ١٠٤/٩.

المثل الأعلى في هذا، وحمل الولاة وأعضاء الحكم عليه، وراقبهم وبثَّ العيون ليأتوه بأخبارهم، وتهدَّدَهم إن حامَتْ حول أحدهم شبهة تلطِّخ سيرته.

كتب كتاباً شديد اللهجة إلى الوالي الشهير زياد بن أبيه ـ وكان خليفة ابن عباس على البصرة ـ يقول فيه: (وإني أقسمُ بالله قسماً صادقاً، لئِنْ بلَغني أنك خُنْتَ من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً؛ لأشدنَّ عليك شَدَّة تدَعُكَ قليل الوَفْر، ثقيلَ الظهر، ضئيلَ الأمر، والسلام!)[١].

وجاء في كتابه إلى الأشعث بن قيس والي أَذْرَبيجان: (وإنَّ عمَلَك ليس لك بِطُعْمةٍ، ولكنه في عنقك أمانة، وأنت مسترعًى لمن فوقك)[٢].

وكان من وصيته إلى عمال الصدقات: (انطلِقْ على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تُرَوِّعنَّ مسلماً، ولا تجتازَنَّ عليه كارهاً، ولا تأخذنَّ منه أكثرَ من حق الله في ماله... ولا تأمننَّ إلا مَن تثِقُ بدينه، رافقاً بمال المسلمين)[٣].

ولكي يحمي الولاة والمسؤولين من الشبهات أوسَعَ لهم في (الرواتب)، ليحفظَ عليهم كرامتهم ويمنع عنهم نزغات الشيطان، ويشير إلى هذا ما جاء في كتابه إلى الأشتر النخعي يوصيه بمن يوظفهم في أعمال الدولة:

(ثم انظُرْ في أمور عمَّالك فاستعمِلْهم اختياراً ولا تُولِّهم محاباة وأثرة... ثم أَسْبِغْ عليهم الأرزاق؛ فإن ذلك قوةٌ لهم على استصلاح أنفسهم، وغنًى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجَّةٌ عليهم إنْ خالفوا أمرك أو ثَلَموا أمانتَك. ثم تفقَّدْ أعمالَهم، وابعثِ العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم...)[٤].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٠٣/٨.
(٢) المرجع السابق: ٢٥٦/٧.
(٣) المرجع السابق: ١١٣/٨ ـ ١١٤. وانظر: ٨/ ١١٨.
(٤) المرجع السابق: ٥١/٩.



٥ ـ الحريات:

وقــد كان مبدأ الحريــة لجميع الناس قائماً راســخاً محترمــاً طيلة عهد الخلفاء الثلاثة، واستمر على ما هو عليه في عهد علي، بل كان في أيامه على جانب من الخطورة حيث المؤامرات والفتــن والحروب وبداية ظهور البدع، ومع ذلك لم تتحرك دولة الخلافة إلى إلغائه أو تقييده أو المساس به!.

ونعني بالحريات إمكانية المرء أن يعبِّر عن رأيه وتوجهاته دونما قيد إلا ضابط العقيــدة والشــريعة وحقوق النــاس، فالحرية المنفلتــة لا تكون إلا للعجماوات ومَن فقد عقله وسقط عنه التكليف! وكذلك حرية السفر والتنقل والتجمع ونحــو ذلك مما يســتلزمه اختلافُ العقــول والآراء والاجتهادات والطبائع والثقافات والزمان والمكان.

ونجد أمير المؤمنين عليّاً لم يُلغِ شــيئاً من ذلك، ولم يقيِّدْه، ولم يفرض ما يُعرف في زماننا (بالإقامة الجبريــة) أو (قوانين الطوارئ)، ولم يُجبر أحداً على الإقامة في بلد ما، ولا أن يبقى تحت سلطانه ومراقبته.

ومن بارع الأمثلة على ذلك أن (ابن ســبأ) صاحب البدعة الخطيرة، لم يقتله علي ولا سَجنَه، وغاية ما فعله معه أنه نفاه عن المدينة. وعندما استأذن طلحة والزبير في العمــرة، في أَتون الأحداث ودمُ عثمــان لا يزال طريّاً، لم يمنعهما من طلبهما. ولما عزم على المســير إلى البصرة ثم إلى الشــام، لم يجبر أحداً على المســير معــه، وقبِل عذرَ بعــض الصحابة الذيــن خالفوه الاجتهاد وبقوا في المدينة بمطلق حرياتهم. وكذلك والي الكوفة أبو موسى الأشــعري، وقد خالف رســلَ عليٍّ في الخروج لنصرته، لم يحبسه علي ولا أســاء إليه بكلمة، مع أن أبا موســى أصر على رأيه ودعا أهــل الكوفة إلى القعود معــه. وأيضاً لم يمنع أمير المؤمنين علي أولئــك الناس الذين لحقوا

بمعاوية وانضموا إلى معسكر الشام. وخالفَه بعضُ الولاة في طريقته لمعالجة بعض المشكلات، فعزلهم وحَسْب دون أن يمسَّهم بالإقامة الجبرية أو الاعتقال الإداري. بل إن الخوارج الذين أساؤوا إلى الدين والأمة والدولة وتعدَّوا على الدماء والحرمات، لم يسلَّ عليهم سيفه، ولا قيَّدَ تحركاتهم، بل أمهلهم ليرجعوا عن بدعتهم ويُمْسكوا عن الإفساد في الأرض، وقال لهم: (إن لكم عندنا ثلاثاً: لا نمنعكم صلاة في هذا المسجد، ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفيء ما كانت أيدينا مع أيديكم، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا)[١].

سادساً: هل تمكن أمير المؤمنين علي من إدارة الصراع والتحكم بمفاصل الدولة؟:

من خلال استعراض الأحداث طيلة عهد علي، وباستقراء سيرورة الدولة على اتساعها، والمعضلات التي اعترضَتْ سبيلَها، والمشكِلات التي استمرت منذ استخلافه وحتى استشهاده، والتحديات الكثيرة التي واجهته ـ يمكن **استنتاج حقيقة إجمالية خلاصتها: أن أمير المؤمنين عليّاً لم يتمكن من إدارة الصراع مع التيارات المختلفة التي نشأت في عهده، كما لم يستطع الهيمنة على الفُرقاء الذين خالفوه، ولم يتمَّ له ضبطُ شؤون بعض الولايات والولاة ضمن جسم واحد لدولة الخلافة، ولم يُقدَّر له التمكن من القضاء على الخروقات والفتوق في مواقع متعددة!**.

ويعود ذلك فيما نرى لسببين:

الأول: كثرة المعضلات والتحديات وقسوتها وتنوعها وتعدد مواقعها، وقد فصَّلنا القول فيها[٢].

---

(١) سيأتي تفصيل موقف علي مع الخوارج.

(٢) تقدم: ص٣٥٣ ـ ٣٥٧ في هذا الكتاب.

والثانـــي: طريقة أمير المؤمنيـــن علي في معالجتها وحلِّهـــا؛ والذي كان يغلب عليه (الطابع الجهادي) أو ما نسميه اليوم: (الحسم العسكري)!.

وليس هذا بضائر عليّاً، ولا يَغضُّ من فضله ومكانته، كما لا يَنقض كونَه من الخلفاء الراشدين وأن عهده منتظم في (الخلافة على منهاج النبوة).

وهذا التشخيص مستقًى من قراءة أحداث التاريخ، ومآلات الاجتهادات التي صدرت من علي ومخالفيه، وأدلة ذلك كثيرة ميسورة:

• عندما اســـتقبل علـــي الخلافة، وطالبـــه طلحة والزبير فـــي طائفة من الصحابة بأن يقيم الحدَّ علـــى قتلة عثمان، قال لهم: (يا إخوتاه، إنِّي لســـتُ أجهلُ ما تعلمون، ولكني كيف أصنع بقومٍ يملِكوننا ولا نملكهم؟!)[١].

• ويصوِّر علـــي حالَه مع أتباعه في آخر عهده، فيقـــول: (لقد كنتُ أمس أميراً، فأصبحتُ اليومَ مأموراً، وكنتُ أمس ناهياً، فأصبحتُ اليوم مَنْهيّاً!)[٢].

• وجاء عنه كلام كثير في ذمِّ أتباعه وجيشِـــه ووصْفِهم بالخَوَر والجُبْن، والنكول عن نصرته، والتســـلُّل مـــن صفوفه إلى الكوفة، وقـــد هَجاهُم ودعا عليهم في غيـــر موقف... ومن ذلك أنـــه ـ بعد أن خرجَـــتْ بعضُ الولايات الكبيرة من ســـلطانه ـ قام على المنبر ضجِراً بتثاقُـــلِ أصحابه عن القتال معه ومخالفتِهم له في الرأي؛ فقال:

(ما هي إلا الكوفةُ أقبِضُها وأَبسُطها، إنْ لم يكن إلا أنتِ تَهبُّ أعاصيرُكِ فقَبَّحكِ الله!.... اللَّهمَّ إني قد مَلَلْتُهم ومَلُّوني، وسَـــئِمتُهم وسَئِموني، فَأَبْدِلْني بهم خيراً منهم، وأبدِلْهم بي شـــرّاً منِّي! اللَّهمَّ مِثْ قلوبَهم كما يُمَاثُ المِلحُ في الماء!)[٣].

---

(١) تاريخ الطبري: ٤٣٧/٤؛ شرح نهج البلاغة: ٢١٣/٥.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢٤/٦.

(٣) المرجع السابق: ٢٨١/١. **يُماث**: يُذَاب.

واشتكى منهم قائلاً: (فإذا أَمَرتُكم بالسَّيرِ إليهم في أيام الحر، قلتم: هذه حَمَارَّةُ القَيْظ، أَمْهِلْنا يُسَبَّخْ عنَّا الحر، وإذا أمرتكم بالسيرِ إليهم في الشتاء، قلتم: هذه صَبَارَّةُ القُرِّ، أمهلْنا يَنسلِخْ عنا البردُ. كل هذا فِراراً من الحَر والقُرِّ، فإذا كنتم من الحَرِّ والقُرِّ تفِرُّون، فأنتم والله من السيف أفَرُّ! يا أشباهَ الرجالِ ولا رجالَ! حُلومُ الأطفالِ، وعقولُ ربَّات الحِجَالِ، لَوَدِدتُ أني لم أَرَكم ولم أعرفْكم...)[١].

• ويتبين من هذا ـ كما يقول ابن تيمية ـ أن عليّاً رضي الله عنه: (كان عاجزاً عن قهر الظَّلَمة من العسكرَيْن[٢]، ولم تكن أعوانُه يوافقونه على ما يأمر به، وأعوان معاوية يوافقونه)[٣].

• ونتيجة عدم انتظام الأمة والدولة تحت هيمنة حكم الخلافة، جعلَتْ بعضَ العلماء ـ وفي مقدمتهم ابن تيمية ـ يذهب إلى القول عن عهد علي: (بأنه لم يجتمع الناس في زمانه بل كانوا مختلفين، لم ينتظم فيه خلافة النبوة ولا الملك)[٤].

• ويصف العلّامة المحدث وليّ الله الدهلوي في كتابه الفذ «إزالة الخفاء» ما آلت إليه أمور الدولة في أواخر عهد علي، فيقول: (إن عليّاً المرتضى رضي الله عنه لم يتمكن من الخلافة رغم رغم اختصاصه بصفات الخلافة الخاصة، وعلوِّ كَعْبِه ورسوخِ قدمه في السوابق الإسلامية. ولم يستطع تنفيذَ أمره في البلاد

(١) شرح نهج البلاغة: ٣٥٤/١ـ٣٥٥، وانظر: ٣٨٢/١ وغيرها. **حمارة القيظ**: شدة حره. **صبارة القر**: شدة برده. **ربات الحجال**: النساء. وقد حرصت على النقل من (نهج البلاغة)، لإلزام الرافضة بما في (أقدس كتبهم)!.
(٢) أي: عسكر علي وعسكر معاوية.
(٣) منهاج السُّنَّة: ٧٦/٣.
(٤) المرجع السابق: ٣٢٠/١، وذكر أدلته.

الإســلامية، وكانت أطــرافُ حكومته تنقــصُ على مرِّ الأيام، حتــى لم تبقَ حكومتهُ إلّا على الكوفة وما حولها)[1].

• وخلال الأحداث التي مرت بها الدولة ومؤسساتها والولايات والولاة، والفتن التي وقعت والحــروب التي جرت ـ خرجَتْ من قبضة أمير المؤمنين بعضُ الأمصار الكبرى غير الشام مثل مصر واليمن، واضطربت عليه ولايات أخرى كالبصرة والحجاز وخُراســان، وخالَفَ عليه بعض الولاة حتى بعض جِلَّتهم كابن عبــاس! وجَمَحتْ غرائزُ كثير من القبائــل نتيجة كثرة الحروب والدماء، واختلف عليه الناس بعــد (صِفِّين) و(التحكيــم)، ولم يتمكن من ضبط الآراء والاتجاهات المتناقضة، وخروج الخوارج، وانتهاء أمره بالشهادة رضي الله عنه وأرضاه[2].



(١) إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء: ٣٣٥/٤؛ علي وبنوه، ص ٦٠؛ وانظر: الإمام علي، للدكتور إبراهيم بيضون، ص ٨١ـ٨٤، ٩٦.

(٢) وسيأتي تفصيل ذلك كله.

الفصل الرابع

الولاة والولايـات

المبحث الأول

الــولاة

أولاً: ذكر إجمالي للولاة وولاياتهم[1]:

(١) مكة المكرّمة:

١ ـ أبو قتادة الأنصاري.

٢ ـ قُثَم بن العباس بن عبد المطلب (وولي الطائف أيضاً).

(٢) المدينة المنوّرة:

٣ ـ سَهْل بن حُنيف الأنصاري.

٤ ـ تمَّام بن العباس بن عبد المطلب.

٥ ـ أبو أيوب الأنصاري.

(٣) البحرين:

٦ ـ عُمر بن أبي سَلَمة المخزومي القرشي.

---

(١) انظـر: تاريـخ خليفـة، ص ١٩٩ـ٢٠٢؛ تاريـخ الطبـري: ٤/٤٤٢ـ٤٤٣، ٥/٩٢ـ٩٣، ١٥٥ـ١٥٦؛ الأخبـار الطـوال، ص ١٥٣؛ الولاية على البلـدان، ص ٣١٧ـ٣٤٩؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٤٤ـ١٤٦.

٧ ـ قُدامة بن العَجْلان الأنصاري.

٨ ـ النعمان بن العَجْلان الأنصاري.

٩ ـ عُبيد الله بن العباس بن عبد المطلب.

(٤) اليمن:

- عُبيد الله بن العباس، ولي اليمن والبحرين.

١٠ ـ سعيد بن سعد بن عُبادة الأنصاري، ولي (الجَنَد) ومخاليفَها.

(٥) الشام:

- سهل بن حنيف، بعثه عليٌّ والياً عليها، فردَّه أهلها ولم يدخلها، وبقي واليها معاوية.

(٦) مصر:

١١ ـ محمد بن أبي حذيفة بن عتبة القرشي.

١٢ ـ قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري.

١٣ ـ الأشتر النخعي.

١٤ ـ محمد بن أبي بكر الصديق القرشي.

(٧) الجزيرة: (وهي المنطقة الواقعة بين نهري الفرات ودجلة).

- الأشتر النخعي.

١٥ ـ شبيب بن عامر.

١٦ ـ كُميل بن زياد النخعي.

(٨) البصرة:

١٧ ـ عثمان بن حُنيف الأنصاري.

١٨ ـ عبد الله بن عباس.



١٩ ـ أبو الأسود الدؤلي.

(٩) الكوفة:

٢٠ ـ أبو موسى الأشعري.
٢١ ـ عُمارة بن شهاب، بعثه علي بدلاً من أبي موسى، فردَّه أهلها.
٢٢ ـ قَرَظة بن كعب الأنصاري.
٢٣ ـ أبو مسعود البدري الأنصاري.
٢٤ ـ هانئ بن هوذة النخعي.

(١٠) المدائن:

٢٥ ـ سعد بن مسعود الثقفي.

(١١) فارس:

ـ سهل بن حُنيف الأنصاري.
٢٦ ـ زياد بن أبي سفيان (وهو زياد بن أبيه).

(١٢) إصطخر:

٢٧ ـ المنذر بن الجارود.

(١٣) أصبهان:

٢٨ ـ محمد بن سليم
٢٩ ـ عمر بن سلمة.

(١٤) خراسان:

٣٠ ـ خُليد بن قرة اليربوعي.
٣١ ـ عبدالرحمن بن أبزى.
٣٢ ـ جعدة بن هبيرة بن أبي وهب القرشي.

(١٥) سجستان:

٣٣ ـ عبدالرحمن بن جزء الطائي.

٣٤ ـ ربعي بن كاس العنبري.

(١٦) همذان:

٣٥ ـ جرير بن عبدالله البجلي.

(١٧) أذربيجان:

٣٦ ـ الأشعث بن قيس.

٣٧ ـ سعيد بن سارية الخزاعي.

(١٨) الأهواز:

٣٨ ـ الخِرِّيت بن راشد الناجي.

٣٩ ـ مصقلة بن هبيرة الشيباني.

(١٩) الري:

٤٠ ـ يزيد بن حجية التميمي.

(٢٠) السند:

٤١ ـ الحارث بن مرة العبدي.

ولو تأملنا في أنساب هؤلاء الولاة لوجدنا: (ثمانية) منهم قرشيين فيهم (أربعة إخوة) من أولاد العباس بن عبد المطلب وهم أبناء عم علي، و(عشرة) من الأنصار، فعدد القرشيين والأنصار يشكل نحو (نصف ولاة علي).



ثانياً: مشاهير[1] ولاة علي، ووقفات تحقيق وتمحيص:

١ ـ أبو موسى الأشعري:

أحد أعلام الصحابة وفقهائهم، استعمله النبي ﷺ مع معاذ بن جبل على اليمن، وولي للفاروق عمر الكوفة والبصرة، وكذلك ولّاه عثمان عليهما، وبقي والياً على الكوفة حتى استشهاد عثمان.

أقرَّه عليٌّ على الكوفة، فأخذ أبو موسى بيعة أهلها لأمير المؤمنين علي، وعندما جاء وفد من قِبل علي إلى الكوفة لاستنفار أهلها قبل وقعة الجمل، خالَفَهم أبو موسى ورأى أن هذا قتالُ فتنةٍ، وحضَّ الناس على القعود، فغضب وفدُ علي، وتمَّ عزل أبي موسى آنذاك.

٢ ـ أبو قتادة الأنصاري:

صحابي جليل وبطل شجاع كان يسمى (فارس رسول الله ﷺ)، ولّاه علي على (مكة) مُدَيْدة، وعندما خرج إلى العراق عزله وولى قُثَم بن العباس، فكانت مدة ولايته نحو شهرين.

٣ ـ أبو أيوب الأنصاري:

صحابي كبير شهير، نزل عنده رسول الله ﷺ عندما قدِم المدينة مهاجراً.

ولي المدينة لعليٍّ بعد سَهْل به حُنيف وتمَّام بن العباس، وبقي عليها حتى سنة (٤٠هـ)، حيث قدِم جيش من الشام وضمَّها إلى سلطان معاوية، فتركها أبو أيوب ولحِق بعليٍّ في الكوفة، وشهد معه حرب الخوارج.

---

(١) تراجمهم في كتب الصحابة والتراجم والرجال والتاريخ، لا نطيل بذكرها في الحواشي.

٤ ـ سهل بن حنيف:

صحابي أنصاري شـــهد بدراً وبقية المشـــاهد، من الشجعان، وممن كان ينافح عن النبي ﷺ في الغزوات.

بعثه عليٌّ والياً على الشام، فتلَقَّتْه خيلٌ في تبوك ولمَّا علموا أنه من قبل أمير المؤمنين علـــي ردّوه، فرجع إلى المدينة. ولما خـــرج علي إلى الكوفة ولَّى سهلاً على المدينة فبقي عليها أكثر من سنة. وولاه أيضاً على فارس فلم يقدر على ضبطها.

٥ ـ عثمان بن حنيف:

صحابي أنصاري، وهو أخو سَـــهْل، ولَّاه علي إمرة البصرة بعد أن عزل والي عثمان بن عفان عليها. ولم تطُلْ مدة ولايته عليها، حيث قدِم (أصحابُ الجمل) إلى البصرة، فانقســـم أهلها فريقين: أحدهمـــا مع الأمير، والآخر مع أصحاب الجمـــل، وأثار الســـفهاء القتال، وعَـــدَوا على الوالـــي ابن حُنيف وأســـاؤوا إليه، فترَك إمارته ولحِقَ بعليٍّ، فلقيه في طريقـــه إلى البصرة قُبيل (وقعة الجمل)، وبذلك انتهت ولايته.

٦ ـ عبيد الله بن العباس:

من صغار الصحابة، شـــقيقُ عبد الله حبر الأمة، وابنُ عـــمّ أمير المؤمنين علي، وكان أميراً شـــريفاً جواداً ممدَّحـــاً. ولَّاه عليٌّ على اليمـــن ومخاليفها والبحرين وما يليها، وبعثه على الموسم فأقام للناس حجَّهم سنة (٣٧هـ).

٧ ـ زياد بن أبيه (زياد بن أبي سفيان):

ولد عام الهجرة، وأدرك النبيَّ ﷺ ولم يره فلا صحبةَ له، وكان من نبلاء الرجال رأياً وعقلاً وحزماً ودهاءً وفِطنة، ويُضرب به المثل في النُّبل والسُّؤْدُد.



استعمله أبو موسى الأشعري على شيء من عمل البصرة، فأقرَّه الفاروق عمر. وقد أمَّر عليٌّ عبدَ الله بن عباس على البصرة وولى زياداً الخَراج وبيتَ المال، وأمَرَ ابنَ عباس أن يستشيره نظراً لِما عنده من خبرة في العمل وفطانة في السياسة.

وفي (فارس) لم يستطع سَهْل بن حُنيف ضبط أمورها، فأشار ابن عباس على أمير المؤمنين علي بتوجيه زياد إليها، فأمضَى عليٌّ ذلك. فتوجَّه زياد إلى فارس يصاحبه (٤٠٠٠) جندي، فقضى على الفتن هناك وضبط أمور البلاد وأعاد إليها الأمن والاستقرار.

وكان أهل فارس يقولون: (ما رأَيْنا سيرةً أشبهَ بسيرة كِسرى أنوشِرْوان من سيرة هذا العربي في اللِّين والمُداراة والعلم بما يأتي!)[1].

ومن ولاة عليٍّ صحابةٌ أجلَّاء، رُويت في سيرتهم وعلاقة علي بهم أكاذيب وأباطيل، نوضِّحها في وقفات (تمحيص وتحقيق):

١ ـ عبدالله بن عباس:

●● حبر الأمة وترجمان القرآن، ابن عمِّ النبي ﷺ وابن عمِّ أمير المؤمنين علي، ومن أبرز رجالات الحكم في عهد علي، كان يرافقه في الأحداث الخطيرة، وينصح له ويجادل عنه، وشهد معه حروبه.

وبعد أن فرغ علي من (معركة الجمل) بالبصرة خرج منها إلى الكوفة، وولَّى على البصرة عبدالله بن عباس، وولَّى معه (زياد بن أبي سفيان) على الخَراج، وعلى القضاء أبا الأسود الدؤلي.

وتولى ابن عباس إمرة البصرة، فأثبت مهارة إدارية بتوطيد الأمن فيها

---

(١) تاريخ الطبري: ١٣٧/٥.

وفي توابعها مثل سِجِستان، وفي إقليم فارس حيث بعث إليه (مساعدَه) زياد بن أبيه.

وكان ابن عباس يرافق عليّاً في كثير من تحركاته في نواحي العراق ويشير عليه في قضايا كثيرة، كما كان يكتب لعليٍّ عن شؤون ولايته، وقد بعثه علي أميراً على الحج سنة (٣٦هـ)، واستمر والياً على البصرة حتى سنة (٣٩هـ)[1].

•• وتذكر بعض الروايات أن عبدالله بن عباس مرَّ بأبي الأسود الدُّؤَلي فقال له: (لو كنتَ من البهائم كنتَ جَمَلاً، ولو كنتَ راعياً ما بلغتَ من المرعى، ولا أحسنتَ مهنته في المشي!).

فكَتب أبو الأسود إلى أمير المؤمنين علي كتاباً يتَّهم فيه واليه على البصرة عبدَ الله بنَ عباس بأنه خانَ الأمانة وأكل مالَ الأمة، فَسُرَّ عليٌّ بكتاب أبي الأسود، وكَتب إلى ابن عباس بذلك، فردَّ عليه ابن عباس بقوله: (أما بعدُ؛ فإن الذي بَلَغك باطل، وإني لِما تحت يدي ضابطٌ قائم له وله حافظ، فلا تصدِّق الظنون، والسلام).

فألَحَّ عليٌّ على ابن عباس بأن يكتبَ له تفصيلَ سياسته في الأموال، وكتب إليه: (أما بعد، فأعلِمْني ما أخذتَ من الجزية، ومن أين أَخذْتَ؟ وفيمَ وَضعْتَ؟).

فتألم ابن عباس لذلك، وكتب إلى عليٍّ: (أما بعدُ، فقد فهمتُ تعظيمَك مَرْزَأة ما بَلَغك أني رَزَأْتُه من مال أهل هذا البلد، فابعثْ إلى عملك مَنْ أحببتَ، فإني ظاعنٌ عنه، والسلام). وللخبر تتمة[2].

---

(١) تاريخ خليفة، ص ٢٠٠؛ تاريخ الطبري: ١٢٢/٥، ١٣٦ ـ ١٣٨؛ الولاية على البلدان، ص ٣٣٣ـ٣٣٦.

(٢) تاريخ الطبري: ١٤١/٥ـ١٤٢؛ تاريخ اليعقوبي: ١١٠/٢؛ البداية والنهاية: ٣٢٣/٧. وكتابُ =

وإســـناد هذه الرواية هكذا: (قال عمر بن شَــبّة: حدثني جماعةٌ، عن أبي مخنف، عن سليمان بن راشــد، عن عبدالرحمن بن عبيد)؛ **وهو خبر تالف سنداً ومتناً.**

فمن حيث السند: فالذين حدَّث عنهم ابنُ شــبة مجهولون، وأبو مِخْنف شــيعي محترِق وأخباري تالِف متروك، تركه النقاد، وقــال يحيــى بن معين: ليس بثقة.

وأما من حيث المتن: فحاشى عبدَ الله بن عباس أن يُقذع على أبي الأسود بمثل ذاك الكلام الســاقط الذي لا يقوله السُّوقة فضلاً عن حبر الأمة وربيب النبوة الذي شــهدت الدنيا بفضله وعقله ونُبله وطهارة ســيرته. وكيف يقول ذلك لأبي الأســود وهو الذي ولاه القضاء، أَفيولي أحمقَ كالبهيمة قضاءَ بلدٍ عظيم مثــل البصرة؟! أَوَليس هو مســؤولاً عن أعمال هــذا القاضي أمام الله والأمة وخليفة المســلمين؟! ثم أكان أبو الأسود يســتحق مثل هذا الوصف القاسي الذي لا يليق بأدنى الناس فضلاً عن قاضٍ كبير وعالم جليل؟!.

وكيفَ يقبل عالم مرموق كأبي الأسود بأن ينحطَّ إلى ذاك الدَّرْك، فيختلِق على ابن عباس ويتهمه فــي دينه وأمانته؟! أين الدين والــورع والتثبت قبل اتهام الناس؟!.

والأعجبُ من ذلك أن الخبر يصوِّر أمير المؤمنين وكأنه من أقماع القول ـ وحاشــاه وهو الخليفة العبقري والعالم الألمعي ـ يصدِّق مثلَ ذاك الاتهام، ويُثْبته على واليه الكبير، ويطلب منه (كشــف أضابيره الماليــة)! أَفَيُقبل من مسؤول صغير أن يكون بهذه السذاجة حتى يصدق ما يُلقى إليه عن ولاته؟!

= عليٍّ إلى ابن عباس مرويٌّ بطوله في «نهج البلاغة» دون ذكر اســم ابن عباس. شــرح ابن أبي الحديد: ٣٤٦/٨.

ثم أَمَا كان علي يعرف ابن عباس، أم أنه لم يكتشف أمره وأخطاءه طيلة تلك السنوات وقبلها؟ أَوَ تُراه لم يعرف سيرته الطاهرة على مدى سنين طويلة منذ عهد الرسالة وطيلة عهد الخلفاء؟!.

ماذا يقول المرء أمام هذا السخف بل الوقاحة السمجة التي تسللت إلى (تاريخنا المظلوم)، ونقلها مؤرخونا كأنها حقيقة ثابتة؟!.

وللأسف فإن ابنَ كثير وهو المفسر المحدث المؤرخ الناقد سوَّد بهذه الرواية وجهَ كتابه، دون التعرض لها بردٍّ أو نقضٍ أو غمز!.

●● وهذه الرواية التالفة أصبحت مرتعاً وَبِيئاً لبعض الكتّاب المعاصرين الذين ابتُليت بهم الأمة، مثلما فُجِعت بروايات الضعفاء والمتروكين والوضاعين.

١ ـ يقول طه حسين: (رأى ابن عباس نجمَ ابن عمه في أُفول، ونجمَ معاوية في صعود، فأقام في البصرة يفكر في نفسه أكثرَ مما يفكر في ابن عمه). (فهو قد أجمعَ الخروج إلى مكة، ولكنه لم يخرج من البصرة فارغَ اليدين من المال كما دخلها حين ولِّي عليها، وإنما خرج منها وقد ملأ يدَه بما كان في بيت المال مما يُنقل، وهو يعلم أنْ ليس له في هذا المال حق إلا مثل ما لأهل البصرة جميعاً فيه... والذي يقدِّره بعض المؤرخين بستة ملايين من الدراهم، فدَعَا إليه مَن كان بالبصرة من أخواله بني هلال، وطلب إليهم أن يُجِيروه حتى يَبلُغَ مأْمَنَه، ففعلوا!)[١].

والرواية التاريخية تالفة سنداً ومتناً كما أوضحنا، لكن (عميد الأدب العربي) اعتمدها وشيَّد عليها بنياناً، وألقى الكلامَ على عَوَاهِنِه، ورمى بذلك

---

(١) الفتنة الكبرى «علي وبنوه»، ص ١٢١ ـ ١٢٦؛ أباطيل يجب أن تُمحى من التاريخ، ص ١٩١ ـ ١٩٢.

الإفك رجلاً من أعلام الإسـلام وأئمة الدنيا فضلاً وطُهراً وعلماً وعملاً! ولا يُستغرب من (طه حسـين) هذا وهو الذي شَـكَّك في القرآن الكريم، واتَّهَم النبيَّ ﷺ بأنه تطلَّع إلى (زينب بنت جحش) زوجـةِ غيره من أصحابه وهي لا تزال في عصمة ذلك الزوج!.

٢ ـ ونقل الدكتـور عبدالكريم الخطيب في هذا الأمـر كلاماً من (نهج البلاغة)، وزخرفـه وزيَّنَه بعد أن صدَّقـه، وأثبتَ اتهامـاتٍ مخيفة على ابن عباس، ومما نقله من كتاب علي ـ المزعـوم ـ: (فلما رأيتَ الزمانَ على ابنِ عمِّكِ قد كَلِبَ، والعدوَّ قد حَرِبَ، وأمانةَ الأمة قد خَزِيتْ... قَلَبْتَ لابن عمك ظَهْرَ المِجَنّ ففارقْتَه مع المفارقين، وخَذلْتَه مع الخاذلين، وخُنْتَه مع الخائنين، فلا ابنَ عمك آسـيتَ، ولا الأمانةَ أديتَ. وكأنك لم تكـنِ اللهَ تريدُ بجهادِك، وكأنك لم تكن على بيِّنـةٍ من ربِّك، وكأنك إنما كنـتَ تكيد هذه الأمة عن دُنياهم، وتنوي غِرَّتَهم عن فَيْئِهم...)[١].

والكتـاب المزعوم جاء مطـولاً في (نهـج البلاغـة)[٢]، والدكتور الخطيب استسـلم له وصدَّقه وكأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه! وأهلُ العلم النقاد يعرفون قيمة (نهج البلاغة) ومدى صحة نسبته إلى علي.

بل إن ابن أبي الحديد نفسـه، مع تشيُّعه واعتزاله وانحرافه، توقَّف بشأن هذا الكتاب، ولم يَقبل الـرأي القائل بأنه جاء بحق ابـن عباس، ونزَّهَه عن تلك الصفاتِ الخسيسـة! لكنه في الوقت نفسـه كَعَّ عن الجزم بأن الكتاب مزوَّرٌ على عليٍّ، خشيةَ الطعن في (صحة نهج البلاغة) عندهم!.

---

(١) كتابه: علي بن أبي طالب، ص ٤٢٨ـ٤٢٩، وكرر خلاصتها: ص٤٧٧.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٣٤٦/٨ـ٣٤٧.

•• وزيادة علــى ما قدمناه في بطلان تلك الأُخلوقــة، فثَمّة رواية أخرى يذكرها الطبري وغيــره مفادها أن عبدالله بن عباس لم يزل على البصرة أميراً من قِبل علي حتى استشهد ﷺ، وبعد استشهاده حتى صالح الحسنُ بن علي معاويةَ، ثم خرج ابن عباس حينئذٍ إلى مكة[١].

بل إن خليفة بن خياط يذكر أن ابن عباس ذهب إلى الحجاز وولى على البصرة أبا الأســود الدؤلي، فلم يزل بها حتى قُتل علي[٢]. وهذا يدحض أي سوء علاقة بين ابن عباس وأبي الأسود، أو أية وشاية كما تزعم الرواية التي أبطلناها.

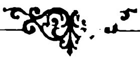
٢ ـ قيس بن سعد بن عبادة:

•• صحابي ابن صحابي، ســيد الخزرج وابن سيدهم، كان صاحب لواء النبي ﷺ في بعض مغازيه، يُضرب المثل بدهائه وجــودهِ، وكان يقول: لولا الإسلام لمكرتُ مكراً لا تطيقه العرب!.

ولَّاه عليٌّ إمرة مصر، فثبَّتَ سلطان الخلافة فيها، وأَعجز بسياسته معاويةَ وعمرو بن العاص. وبرهنتْ أيــام ولايته على مصر علــى عبقريته وملَكاته المتفردة، وصدقه وإخلاصه وولائه لأمير المؤمنين علي، وحرصه على الدين والدولــة ووحــدة الأمة وســلامة النــاس، واســتيعاب مختلِــف التيارات والاتجاهات وتأليف القلوب حول الخطوط العامة والمبادئ الكبرى.

جاء مصر وفيها ثلاثة تيارات متعارضة إلى درجة الصراع: العثمانية الذين يناصــرون عثمانَ بن عفــان ويُصرّون على القصــاص من قتلته، والســبئية المجرمون أتباع الجيش الذي خرج من مصر وشارك في قتل عثمان، وأنصار

(١) تاريخ الطبري: ١٤١/٥؛ الكامل في التاريخ: ٣٩٨/٣؛ الولاية على البلدان، ص٣٣٦.
(٢) تاريخ خليفة، ص٢٠٢؛ وجزم بها الحافظ في الإصابة: ٣٢٥/٢.



الخليفة الجديد علي! وهو وضع خطير يُنذر بشرٍّ مستطير، لا يتمكن من التأليف بين شوارده إلا من آتاه الله حكمة وعقلاً وبصيرة وصدقاً ووفاء، وهكذا كان قيس؛ حيث تمكن من تحقيق الوئام ومنع الصدام وتوفير الاستقرار والأمن في مصر على ضخامتها وخطورة أوضاعها.

هذا فضلاً عن أنه استطاع أن ينظم شؤون مصر، ويرتب مؤسسات الولاية، ووزَّع الأمراء ونظَّم أمور الخَراج وعيَّن رجال الشرطة، ومضَتْ أحوال الناس على الاستقرار والبناء.

•• لكن أصحاب الفتنة ممن يقيم بمصر والكوفة لم يرضَوا الاستقرارَ لدولة الخلافة، وضاقوا ذَرْعاً بالولاة الحكماء ذوي الفطنة والبأس، فأُثيرت شائعات حول قيس وأنه يقرِّب أنصارَ عثمان وأتباعَ معاوية ويُحسن إليهم، وأنه يميل إلى معاوية والي الشام.

وأكثر المصادر تشير إلى أن الكتب التي تثير ذلك كان يكتبها معاوية وينشرها بين الناس، لتشيع في الأمصار وتصل إلى علي، ليوقع بينه وبين واليه قيس فيعزله!.

ونحن مع إقرارنا بأن معاوية يودّ أن يكون قيس بجانبه وموالياً له، لكننا نبرِّئه من هذه الفِرى، ونَرْبأ به من أن يَسقط في هذا المهوى، فدينُه وصحبتُه ومكانته وعقله ونُبله يأبى عليه أن ينحط إلى هذا الأسلوب الخسيس! ويدعمُ رأيَنا ما خبرناه من (أيام فتنة عثمان) و(الاتجاه الواضح المؤكد في تزوير الكتب) على ألسنة أكابر الصحابة: عثمان وعلي وطلحة والزبير وعائشة!.

وخلاصة الأمر أن مهادنة قيس بن سعد لأتباع عثمان وغيرهم شيء واقع ثابت، لكنه من باب الحكمة والسياسة الشرعية ومراعاة مقتضى الأحوال، وهو أخبر بمصره وأهل بلده وأحوال الناس فيه. لكن الغوغاء من أهل مصر

وأهل الكوفة وَشَوْا بقيس، وطلبوا من أمير المؤمنين علي أن يأمره بأن (يقاتل أنصار معاوية) في (خِرِبْتا)، فأبى قيس وكتب إلى علي:

(إنهم وجوهُ أهل مصر وأشــرافُهم وأهلُ الحِفاظ، وقــد رضوا مني بأن أؤمِّن سِــرْبَهم، وأُجري عليهم أَعْطياتهم وأرزاقَهم، وقد علمتُ أن هواهم مع معاوية، فلســتُ مُكايدَهم بأمرٍ أهون من الذي أفعل بهم، وهم أُسود العرب، منهم بُسر بن أبي أرطاة، ومَسْلمة بن مخلَّد، ومعاوية بن حُدَيْج).

فأبَى عليه إلا قتالَهم، فأبى قيــس أن يقاتلهم، وكتب إلى عليٍّ: (إنْ كنتَ تتهمني فاعزِلْني، وابعَثْ غيري)، فبعث الأشتر!.

وفي رواية: قال الذين مع علي من رؤساء أهل العراق وأهل المدينة: بَدَّل قيسٌ وتحوَّل! فقال علي: ويحكم! إنه لــم يفعل، فدَعُوني، قالوا: لَتعزِلنَّه فإنه قد بدَّل. فلم يزالوا به حتى كتب إليه: (إني قد احتجتُ إلى قُرْبِك، فاستخلِفْ على عملك، واقدَمْ)[1]. فكان هذا عزلًا لقيس عن ولاية مصر.

•• وولى عليٌّ بعد قيس: (الأشــتر النخعي)، لكنه لــم يصل إلى مصر ومات في الطريق، كما سيأتي. فولى علي عليها: (محمد بن أبي بكر).

وقد بَلَغ من نُبل قيس بن سعد وصدقه وإخلاصه ونصحه للخليفة والأمة؛ ما رواه الكِنْدي، فذكر: (أن قيساً لقي محمد بن أبي بكر فقال له: إنه لا يمنعُني نُصحي لك ولأمير المؤمنين عزلُــه إيايَ، ولقد عزلني من غير وهن ولا عجز، فاحفَظْ عني ما أوصيك به، يَدُمْ صلاح حالك: دَعْ معاوية بن حُدَيْج ومَسْلَمة بن مخلَّد وبُسْــر بن أبي أرطاة ومن ضَــوَى إليهم على ما هم عليــه، تكُفَّهم عن

(١) ولاة مصر، للكنــدي، ص ٤٥ـ٤٦. وانظر: مصنــف عبدالــرزاق: ٤٥٨/٥ـ٤٦١؛ تاريخ الطبري: ٥٤٧/٤ـ٥٤٨؛ الولايــة على البلدان، ص ٣٢٨ـ٣٣٢؛ عصر الخلافة الراشــدة، ص ١٤٠.

رأيهم، فإنْ أتوك ولم يفعلوا، فاقبَلْهم، وإنْ تخلَّفوا عنك فلا تَطْلبهم. وانظر هذا الحي من مضر فأنت أولى بهم مني: فألِنْ لهم جناحك، وقرِّبْ عليهم مكانك، وارفَـعْ عنهم حجابَكَ. وانظر هذا الحـي من مُدْلج، فدَعْهم ومـا غَلَبوا عليه، يَكفّوا عنك شـأنهم. وأنزل الناسَ من بعدُ على قدْر منازلهم، وإن استطعتَ أن تعود المرضى وتشـهد الجنائز، فافعل، فإن هذا لا ينقصـك. ولن تفعل، إنك والله ما علمتُ لَتُظهِرُ الخُيلاءَ، وتحبُّ الرياسة، وتسارع إلى ما هو ساقطٌ عنك، والله موفِّقُك. فعمل محمد بخلاف ما أوصاه قيس!)[١].

والمتأمل في مجريات الأحـداث ومواقف أمير المؤمنيـن علي وواليه الكبير قيس؛ لا يسـتطيع إلا أن يقول: إنَّ علياً لم يصب في عزل قيس، وما كان هذا السيد الجليل يسـتحق العزل بوجه من الوجوه، وليس مَن سبقه أو جاء بعده يدانوه في السياسة والإدارة، دع عنك السابقة والفضل!.

والعقاد مع تشيعه الواضح لسيدنا علي وانحرافه عن مخالفيه، لم يستطع أن يَكبت ما في نفسه إزاء هذا الأمر، بل صرح قائلاً: (أما عزلُ قيس بن سعد من ولاية مصر، فهي غَلْطة من غَلَطات الإمام يقلُّ الخلاف فيها...)[٢].

٣ ـ جرير بن عبد الله البجلي:

صحابـي جليـل شـريـف مـن كَملَة الرجـال، سـيد قومه، وفد على النبي ﷺ فأكرم وفادته، وبَسَط له رداءه، وما رآه إلا تبسَّم في وجهه.

شهد الفتوح الكبرى زمن عمر، وكان أحد أمراء الجيش في وقعة نهاوند، وولي لعثمان بن عفان على (هَمَذان) و(قَرْقِيسـاء)، واستشهد عثمان وجرير على (همذان).

---

(١) ولاة مصر، ص ٥٠.

(٢) عبقرية الإمام علي، ص ٨٩.

ولما استُخلف علي بعث إلى جرير بأن يأخذ له البيعة من أهل همذان ثم يَقدم عليه، ففعل. فبعثه أمير المؤمنين إلى معاوية ليأخذ منه البيعة، فاعترض الأشتر النخعي على إرساله، فلم يلتفت إليه علي. ومضى جرير بالمهمة وقابل والي الشام وعلِمَ حالَه مع أهلها، وعاد بالخبر إلى علي بأن معاوية في أهل الشام على موقفهم من التعجيل بالقصاص من قتلة عثمان.

فانبرى الأشتر وأساء الأدب على هذا الصحابي الجليل، وقال موجِّهاً الكلام لأمير المؤمنين: (قد كنتُ نهيتُك أن تبعث جريراً، وأخبرتك بعداوته وغشِّه، ولو كنتَ بعثتني كان خيراً من هذا الذي أقام عنده حتى لم يَدَع باباً يرجو فتحَه إلا فَتَحه، ولا باباً يَخاف منه إلا أغلقه. فقال جرير: لو كنتَ ثَمَّ لقتلوك، لقد ذكروا أنك من قتلة عثمان ﷺ!).

فاستاء جرير لهذا الموقف وعدم كبح جماح (هذا الأشتر)، فخرج إلى (قَرْقِيساء)[1]، وكتب إلى معاوية، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه. وكان ذلك قُبيل وقعة صفين[2].

ثالثاً: سياسة علي مع الولاة ومراقبتهم ومحاسبتهم:

●● كتب أمير المؤمنين علي إلى عثمان بن حُنيف ـ واليه على البصرة ـ كتاباً جاء فيه: (ألَا وإنَّ لكل مأموم إماماً يقتدي به، ويَستضيء، بنور علمه... أَعينُوني بورعٍ واجتهادٍ، وعفّةٍ وسدادٍ)[3].

---

(١) مدينة في سورية، جنوب شرق الرقة.

(٢) انظر: تاريخ الطبري: ٥٦١/٤ـ٥٦٣؛ أعلام الحفاظ والمحدثين: ٥/٢؛ الولاية على البلدان، ص ٣٤٥ـ٣٤٦.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٣٧٣/٨.

ويذكر ابن عبدالبرّ في سيرة عليٍّ أنه كان: (لا يخصُّ بالولايات إلا أهلَ الديانات والأمانـات، وإذا بَلَغه عن أحدهم خيانـةٌ كتب إليه: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس: ٥٧]، ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [هود: ٨٥ ـ ٨٦]. إذا أتاك كتابي هذا فاحتفِظْ بما في يديك حتى نبعث إليك من يتسلمه منك! ثم يرفع طَرْفَه إلى السماء فيقول: اللَّهمَّ إنك تعلمُ أني لم آمرهم بظلمِ خلقك، ولا بترك حقك)(١).

وتتجلَّى نظرة علي السـديدة لحقيقة المسـؤولية وتولي شؤون الإمارة؛ بالشـرائط التي يرى وجوبَ توفرها فـي الوالي والموظف والمسـؤول في الدولة، يقول: (ينبغي للوالي أن يعمـل بخصال ثلاث: تأخير العقوبة منه في سـلطان الغضب، والأنـاة فيما يرتئيه مـن رأي، وتعجيل مكافأة المحسـن بالإحسـان؛ فإن فـي تأخير العقوبـة إمكانَ العفـو، وفي تعجيـل المكافأة بالإحسـان طاعةَ الرعية، وفي الأناة انفسـاحَ الرأي وحَمْـدَ العاقبة ووضوحَ الصواب)(٢).

واتبع عليٌّ طريقة فريدة في حفظ هيبة ولاته في أعين الناس، حيث كان إذا عيَّن أميراً على بلد حدَّثه في حضور الناس وأمره بالشدة وأن لا يَدَع لهم درهماً من الخَراج، ويشدِّد عليه في القول، ثم يلتقي به مرة أخرى على انفراد ويأمره باللين والرفق بالناس وعدم التضييق عليهم(٣).

---

(١) الاستيعاب: ٣/٤٧ ـ ٤٨؛ نهاية الأرب: ٢٠/٢١٩ ـ ٢٢٠.
(٢) شرح نهج البلاغة: ١٠/٥٧١.
(٣) الخراج، لأبي يوسف، ص ١٦؛ الولاية على البلدان، ص ٣٩٢.

من ذلك ما رواه والي (عُكْبَرا) قال: (استعملَني عليٌّ على عُكْبَرا، فقال لي وأهلُ الأرض عندي: إن أهل السَّوَاد قوم خُدَّع فلا يخدعنَّك، فاستوفِ عليهم. ثم قال لي: رُحْ إليَّ، فلما رجعت إليه قال لي: إنما قلتُ لك الذي قلت لأُسْمِعَهم، لا تضربنَّ رجلاً منهم بسَوْط في طلب درهم، ولا تُقِمْه قائماً، ولا تأخذنَّ منهم شاة ولا بقرة، إنما أُمرنا أن نأخذ منهم العفوَ، أتدري ما العفو؟ الطاقة)[١].

●● ولم يترك علي ولاته يعملون في أمصارهم مطلَقي اليد، بل كان يحدِّد صلاحياتهم، ويُلزمهم بمشاورته ومشاورة أهل الرأي عندهم.

أمَّر عبدَ الله بن عباس على البصرة، وولَّى زياد بن أبيه الخَراج وبيت المال، وأَمَر ابن عباس أن يَسمع منه[٢].

وبعد وقعة صفِّين خرج ابنُ عباس إلى علي بالكوفة، واستخلَف على البصرة زياداً، فأحسن السياسة فيها، وحدثَتْ أحداث وفوضى فضَبَط أمورها، وكان دائم التشاور مع ذوي الرأي ببلده، ويراسل أمير المؤمنين عليّاً ويشاوره، فكان علي يوجِّهه ويثني عليه ويمدُّه بالرجال عند الحاجة[٣].

●● ومما جاء في عهد علي للأشتر النخعي ـ وقد وجَّهه عاملاً على مصر ـ قوله:

(وأشعِرْ قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطفَ بهم، ولا تكوننَّ عليهم سَبُعاً ضارياً تغتنم أكْلَهم... أعطِهم من عفوك وصَفْحِك مثلَ الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق مَن ولَّاك).

---

(١) حياة الصحابة: ١٢٨/٢؛ وبنحوه في: الأموال، لأبي عبيد (١١٦).

(٢) تاريخ الطبري: ٥٤٣/٤.

(٣) انظر: تاريخ الطبري: ١١٠/٥ ـ ١١٢.

وفيه: (شرُّ وزرائك مَن كان قبلك للأشرار وزيراً، ومَنْ شَرَكَهم في الآثام، فلا يَكونُنَّ لك بطانةً، فإنهم أعــوانُ الأَثَمة، وإخوانُ الظَّلَمــة... لِيكنْ آثَرُهم عندك أقولَهم بِمُرِّ الحق لك، وأقلَّهم مســاعدةً فيما يكــون منك مما كَرِه الله لأوليائه).

(فَوَلِّ من جنودك أنصَحَهم في نفسك لله ولرســوله ولإمامك، وأطهرَهم جَيْبــاً، وأفضَلهم حِلْمــاً... ثم الْصَقْ بــذوي المروءات والأحســاب، وأهلِ البيوتات الصالحة، والسوابق الحســنة، ثم أهل النجدة والشجاعة، والسخاء والسماحة...)[1].

●● وحَمَل ولاته على القيام بالأمانة واستحضار المساءلة بين يدي الله ثم أمام الخليفة والأمة، وأمَرَهم بمخالطة الرعية وإقامة العدل والمساواة وتعاهُدِ الناس وخفضِ الجناح لهم.

جاء في كتابه إلى محمد بن أبي بكــر حين قلَّده مصر: (فاخْفِضْ لهم جَناحَك، وأَلِنْ لهم جانبَكَ، وابْسُــطْ لهم وجهَك، وآسِ بينهم في اللحظة والنظرة، حتــى لا يطمعَ العظماء في حَيْفِك لهــم، ولا ييأسَ الضعفاء من عدلك عليهــم؛ فإن الله تعالى يُســائِلكم معشــرَ عباده عــن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة، والظاهرة والمستورة، فإنْ يعذِّبْ فأنتم أظلَمُ، وإنْ يعفُ فهو أكرمُ)[2].

ومن عهدٍ له إلــى بعض عماله وقد بعثه علــى الصدقة: (وإنَّ لك في هذه الصدقة نصيباً مفروضاً، وحقّاً معلوماً، وشركاءَ أهل مَسْكَنة، وضعفاءَ ذوي فاقةٍ.

(١) شــرح نهج البلاغة: ٢٦/٩، ٣٣، ٣٩. وهو كتاب طويل جدّاً، وعندي في صحة نســبته إلى علي نظر طويل، وغيرُ الأشتر أولى بهذا الكتاب، حيث لم تتهيأ له ولاية مصر، ولا دخلها!.
(٢) شرح نهج البلاغة: ١٢٢/٨، ٥/٩. آس: اجعلهم أسوة لا تفضل بعضهم على بعض.

وإنا موفُـوك حقَّكَ، فوفِّهم حقوقهـم، وإلا تفعلْ فإنك مـن أكثرِ الناس خُصومـاً يوم القيامة، وبُؤْسـى لمـن خَصْمُه عنـد الله: الفقراء والمسـاكين والسائلون والمدفوعون والغارمون وابن السبيل!.

ومَن اسـتهانَ بالأمانة، ورَتَع في الخيانة، ولم يُنزِّه نفسَه ودينَه عنها؛ فقد أحلَّ بنفسه الذلَّ والخِزيَ في الدنيا، وهو في الآخرة أذَلُّ وأخزَى)[١].

ومثل ذلك ما كتبه للأشتر النخعي[٢].

●● ومن توجيهاته إلى الولاة: (يجب على الوالي أن يتعهد أموره ويتفقد أعوانه، حتى لا يخفى عليه إحسـانُ محسـن ولا إساءةُ مسـيء، ثم لا يترك أحدَهما بغير جزاء، فإنه إذا ترك ذلك تهاوَنَ المحسن واجترأ المسيء، وفسَدَ الأمر وضاع العمل)[٣].

وعندما ولَّى قيسَ بن سـعد على مصر، صدَّر كتابه له بوصية جليلة جاء فيها: (سِـرْ إلى مصر فقد ولَّيتُكَها، واخرج إلى رَحْلك، واجمع إليك ثقاتك ومَن أحببـتَ أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جندٌ؛ فـإن ذلك أرعبُ لعدوِّك وأعزُّ لجندك. فإذا أنت قدِمْتَها إن شـاء الله فأحسِنْ إلى المحسن واشتدَّ على المُريب، وارفُقْ بالعامة والخاصة، فإن الرفق يُمْنٌ)[٤].

ولما استُشـهد عثمـان كان جرير بن عبـد الله البَجلـي والياً على (هَمَذان)، والأشـعث بن قيس والياً على (أَذْرَبيجان)، وبعد مبايعة علي بالخلافة وخروجه إلى العراق كتب إلى جرير والأشعث كتابين يأمرهما

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١١٨/٨.
(٢) انظر ما تقدم: ص٣٧١ حاشية (٣) في هذا الكتاب.
(٣) نهاية الأرب: ١٩/٦.
(٤) تاريخ الطبري: ٥٤٧/٤ـ٥٤٨؛ نهاية الأرب: ١٩١/٢٠؛ الولاية على البلدان، ص ٣٢٧.

بأخذ البيعة له على مَن قِبلهما من الناس، والانصراف إليه، ففعلا ذلك، وانصرفا إليه[١].

وكان أمير المؤمنين علي أحياناً يكتب أوامرَ عامة إلى جميع الولاة في أمر واحد وقضية واحدة، ومن ذلك ما أصدره عند خروج الخوارج وخوفِه أن يَعيثوا في الأمصار فساداً، فكتب نسخة واحدة وبعثها إلى العمال:

(أما بعد، فإن رجالاً خرجوا هُرَّاباً ونظنُّهم وجَّهوا نحوَ بلاد البصرة، فسَلْ عنهم أهل بلادك، واجعَلْ عليهم العيونَ في كل ناحية من أرضك، واكتب إليَّ بما ينتهي إليك عنهم، والسلام)[٢].

●● وتابع عليٌّ الولاة وأمناءَ بيت المال ونحوَهم بالمراقبة والمحاسبة، وأقام عليهم العيون لِما فيه الصالح العام، وأمر الرعية بالقيام بدورها في هذا الجانب، وتقبَّل شكاواهم وبادر إلى الاستجابة لها ومعالجة الأخطاء، والتجاوزات.

وكان إذا بَلَغه أن بعض نوَّابه ظَلَم، يقول: (اللَّهمَّ إني لم آمرْهُم أن يظلِموا خَلْقَك أو يتركوا حقَّك)[٣]. وإذا جاءته شكوى بشأن خيانة مالية، كان يفرض على الوالي أو خازن بيت المال أن يقدِّم له (تقريراً يكشف ماليتَه قبل الولاية وبعدها) ليحاسبه على ذلك.

ـ كتب إلى واليه على البصرة عثمان بن حُنَيف يقول: (أما بعدُ يا ابنَ حُنيف، فقد بَلَغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاكَ إلى مأدُبةٍ، فأسرعتَ إليها، تُستطابُ لك الألوان، وتُنقل إليك الجِفَانُ، وما ظننتُ أنك تجيب إلى

---

(١) تاريخ الطبري: ٥٦١/٤؛ الولاية على البلدان، ص ٣٤٥، ٣٤٦.

(٢) تاريخ الطبري: ١١٦/٥.

(٣) السياسة الشرعية، ص ٣١، وانظر ما تقدم: ص ٣٩٥ حاشية (١) في هذا الكتاب.

طعام قــوم عائِلُهم مَجفــوٌّ، وغنيُّهم مَدعــوٌّ! فانظُرْ إلــى ما تَقْضِمُه من هذا المَقْضَم، فما اشتَبَه عليك علْمُه فالفِظْه، وما أيقنتَ بطيبِ وجْهِه فَنَلْ منه)[١].

ـ واشتكى أناسٌ في مصرٍ من الأمصار غِلظة واليهم وقسوته، فكتب أمير المؤمنين إليه: (أما بعد، فإن دَهَاقينَ أهل بلدك شــكَوْا منك غِلْظة وقســوة، واحتقاراً وجفــوة... فالْبَس لهم جلباباً من اللِّين تَشــوبُه بطَرَف من الشــدة، وداوِلْ لهم بين القســوة والرأفة، وامزُج لهم بين التقريب والإدناء، والإبعاد والإقصاء، إن شاء الله)[٢].

وكتب إلــى المنذر بن الجــارود وكان والي (إِصْطَخــر): (أما بعد، فإن صــلاحَ أبيك غرَّني منك، فإذا أنــت لا تَدَعُ انقياداً لهــواكَ أزرى ذلك بك. بَلَغني أنك تــدَعُ عملَك كثيراً وتخرج لاهياً بمنبرهــا، تطلب الصيد وتلعب بالكلاب، وأقســم لئن كان حقّاً لنُثِيبنَّك[٣] فعلَك، وجاهل أهلك خير منك، فأقبِلْ إليَّ حين تنظر في كتابي، والسلام) فأقبل، فعزله وأغرمه ثلاثين ألفاً[٤].

ـ وجاءت إلى أمير المؤمنين أخبارٌ عن أحدِ ولاته أنه أخلَّ بالأمانة وقصَّر في القيام بمهمات الإمارة، فكتب إليه مؤنِّباً ومحاســباً ومخوِّفاً من الحساب بين يدي الله تعالى:

(أما بعد، فقــد بَلَغني عنك أمــرٌ إنْ كنــتَ فعلْتَه فقد أســخطْتَ ربك، وعصيتَ إمامك، وأخزيــتَ أمانتك. بلغنــي أنك جــرَّدْتَ الأرض فأخذتَ ما تحت قدميــك، وأكلتَ ما تحت يديــك؛ فارفَعْ إليَّ حســابك، واعلَمْ أن حساب الله أعظم من حساب الناس. والسلام)[٥].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٣٧٣/٨.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٠٢/٨؛ وبنحوه في تاريخ اليعقوبي: ١٠٧/٢.

(٣) أي: لنجزينك، والثواب يكون في الخير والشر، إلا أنه بالخير أكثر استعمالًا.

(٤) تاريخ اليعقوبي: ١٠٨/٢.

(٥) شرح نهج البلاغة: ٣٤٣/٨. جردتَ الأرض: قَشَرْتَها، والمعنى: أخربتَ الضِّياع.

رابعاً: تولية الولاة وعزلهم:

كان من سياسة كل خليفة أن يجري عمليات تغيير وترتيب للولاة الذين كانوا في العهد السابق له، فيَعزل بعضَهم ويغيِّر مواقع آخرين، ويعيِّن ولاة وقضاة وأمناء بيت المال وقادة جيش جدداً، حسبما يرى الأنسب والأصلح لبلد معين وحالة راهنة. وعلى هذا مشى أمير المؤمنين علي مع الولاة والموظفين والإداريين الذين كانوا في عهد عثمان[١].

ويلاحظ أن معظم الولاة في عصر الخلافة الراشدة كانوا من الصحابة، وذلك لتحلِّيهم بصفات ومؤهلات من ناحية، ولثقة الخليفة بهم واحترام الناس لهم مما يجعلهم يطيعونهم ويؤازرونهم من ناحية أخرى.

وتقتضي السياسة الشرعية المستمدة من السيرة النبوية استعمالَ الأصلح في الولايات، وإن كان في الرعية من هو أفضل منه في العلم والإيمان، وقد وضح القرآن أهم صفتين لتولي الأعمال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦][٢].

عزل ولاة عثمان بن عفان وتعيين آخرين بدلاً منهم:

●● كان ولاة أمير المؤمنين عثمان قائمين على شؤون ولاياتهم حتى استُشهد[٣]، ولا يصح قول بعض الباحثين: (لم يكن معظم ولاة عثمان في ولاياتهم بل تركوها في ظروف الفتنة)[٤]! إذ كيف يتركون القيام بواجباتهم

---

(١) انظر: الولاية على البلدان، ص ٣٨٢ـ٣٨٣.

(٢) عصر الخلافة الراشدة، ص ١١٥ـ١١٦؛ وانظر التفصيل في: السياسة الشرعية، لابن تيمية، ص ١٣ـ٢١.

(٣) انظر تفصيل ذلك في كتابنا: عثمان بن عفان.

(٤) عصر الخلافة الراشدة، ص ١٣٩.

المنوطة بهــم، ويَدَعُون البلاد والعبــاد للفتنة الجامحة تعصــف بهم وتزيد الأمور اضطراباً وشرّاً؟!.

ويزعم بعض المؤلفيــن أن عليّاً كان يرى في بعض عمــال عثمان عدمَ صلاحيتهم، فلا يتحمل إثم استمرارهم، ولا يرى المداهنة والصبر عليهم[1]! ويرى آخر أنه قد قرَّ في نفس علي أن ولاة عثمان لا يَصلحون لأن يلوا شيئاً من أمر المسلمين، وأن الإبقاء على واحد منهم يوماً كاملاً نقصٌ في دينه[2]!.

ويذهب العقاد إلــى أبعد من ذلك، فيقول وهو يتحــدث عن عزل علي ولاة عثمان: (فعزل الولاة الذين استباحوا الغنائم المحظورة، وتمرَّغوا بالدنيا، وطمعوا وأطمعوا رعاياهم في بيت مال المسلمين، وأثاروا على عثمان سُخْطَ السَّواد وسُخط الفقهاء المتحرجين والحفَّاظ الغيورين على فضائل الدين)[3]!.

فهذا وأمثاله كثير هو من الافتراء بالباطل والكلام المرسَل الذي لا يدعمه إلا الروايــات التالفة والمكذوبة علــى ولاة عثمان، وقد فنَّدناهــا وأبطلناها وأقمنا الأدلة الناصعة على طهارة سِيَر عثمان وولاته وسياسته معهم في كتابنا «عثمان بن عفان».

●● والحق الذي يستنتجه الباحث النزيه المنصف أن أمير المؤمنين عليّاً قد عايش الفتنة التي اجتاحت المجتمع في أواخر عهد عثمان، وأدرك خيوط المؤامرة التي حاكها أعداء الإســلام، والأراجيف والشــائعات الكثيرة التي أُشــيعت حول الخليفة عثمان وبعض ولاته وخاصة أقاربه ـ فأراد أن يستقبل عهده بإطفــاء نار تلك الشــائعات والذرائــع الواهية المغرضــة؛ فعزم على

---

(١) علي بن أبي طالب، لخالد البيطار، ص١٠٤.

(٢) الخلفاء الراشدون، لعبد الوهاب النجار، ص ٢٦٠.

(٣) عبقرية الإمام علــي، ص٦٧. وقريب منه قول طه حســين: الفتنة الكبــرى «علي وبنوه»: ٢/٢١.

استبدال ولاة الشهيد عثمان بولاة آخرين، هذه واحدة. والثانية: أن عمل علي ليس بِدْعاً، فعمرُ وعثمان كل منهما قد عزل كثيراً من ولاة مَنْ سبقه وعيَّن غيرهم، كذلك غيَّر في قادة الفتوحات في الجبهات المختلفة، وهذا حق كل خليفة، ولا يُحمَّل أكثرَ مما يحتمل. والثالثة: أن عليّاً رأى أن يستبدل بولاة عثمان صحابةً حضروا بيعته في المدينة ليكون أدعى إلى بيعة الناس في تلك البلاد البعيدة، وليجدِّد بهم الفتوحات، ويفسح المجال أمام العبقريات الأخرى أن تنطلق وتخدم دين الله تعالى.

•• ومما يجب التنبيه عليه هنا أيضاً عدم صحة الزعم القائل بأن عليّاً عزل جميع ولاة عثمان[1]:

فإن العزل لم يتحقق إلا بحق معاوية بن أبي سفيان والي الشام، وخالد بن سعيد بن العاص أمير مكة، وأبي موسى الأشعري والي الكوفة، وكان علي أقرَّه عليها ابتداءً ثم عزله لأنه لم يَقم معه في (حرب الجمل)، ووالي البصرة عبدالله بن عامر بن كُريز وهو قد تركها عندما استشهد عثمان، ووالي اليمن يعلى بن أمية[2] وهذا قد ترك اليمن وانضم إلى طلحة والزبير في حرب الجمل، ووالي مصر عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح ولم يكن في عمله عند استشهاد عثمان بل قد أناب مكانه، فانتزى محمد بن أبي حذيفة على حكم مصر، فعزله علي بقيس بن سعد.

وهكذا فإن أميري اليمن والبصرة عَزلا نفسيهما، ووالي مصر قد أناب عليها فعزله المتغلِّب عليها ابنُ أبي حذيفة، وأمير الكوفة أقرَّه علي في منصبه، فلم يتحقق العزل في الواقع إلا في حق معاوية وخالد بن سعيد[3].

---

(١) انظر مثلًا: الإنصاف، للدكتور حامد الخليفة، ص٣٣٨.

(٢) ويقال له: يعلى ابن مُنْيَة، ومنية: أمه.

(٣) تحقيق مواقف الصحابة، ص ٤٢٦؛ الولاية على البلدان، ص ٣٥٥.

●● **تشير عدة روايات ضعيفة وواهية[1] أن علياً لما عزم على تغيير بعض ولاة عثمان وتعيين آخرين بدلاً منهم، دخل عليه المغيرة بن شعبة فنصحه بأن يُقِرَّهم على البلاد هذا العام حتى يتمكن من أمور الدولة وتهدأ عن المسلمين رياح الفتنة**، وأن يقر معاوية خصوصاً على الشام، ومما قاله له: (إني أرى أن تُقِرَّ عمالَكَ على البلاد، فإذا أتتك طاعتهم استبدلتَ بعد ذلك بمن شئت وتركت من شئت)، وأكَّد حبرُ الأمة عبد الله بن عباس النصيحة لعلي بذلك، فأبى أمير المؤمنين عليهما هذا الرأي وعزم على تغيير الولاة.

ومجموع هذه الروايات ـ على وَهْنِها ـ يفيد أن للقصة أصلاً، بَيْدَ أن في تفاصيلها أشياء منكرة مردودة: منها أن المغيرة نصح الخليفة أولاً بعدم عزل الولاة، ثم غيَّر رأيه ووافقه على عزلهم. وأن ابن عباس قال له: أما المرة الأولى فقد نصحك، وأما المرة الآخرة فقد غشَّك!.

وحاشى الصحابة ﷺ أن يكونوا غَشَشَة، فالمؤمنون بعضُهم لبعض نَصَحَة، والمستشار مؤتمن، وكيف يليق برجل مثل المغيرة في صحبته ومنزلته وعقله ودهائه أن يقف مثل هذا الموقف المتناقض الساذج المرذول؟!.

وفي الرواية كذلك: أن علياً رفضَ إبقاء ولاة عثمان مبرِّراً ذلك بقوله: (والله لو كان ساعة من نهار لاجتهدتُ فيها رأيي، ولا ولَّيتُ هؤلاء، ولا مثلُهم يولَّى).

وفي رواية: (وأما الذي يَلزمني من الحق والمعرفة بعمال عثمان؛ فوالله لا أولِّي منهم أحداً أبداً، فإن أقبلوا فذلك خيرٌ لهم، وإنْ أدبروا بذلتُ لهم السيف!).

---

(١) انظر: تاريخ الطبري: ٤/٤٣٨ـ٤٤١؛ البداية والنهاية: ٧/٢٢٩؛ الولاية على البلدان، ص ٣٥١ـ٣٥٢.



وفي رواية أخرى: (والله لا أُدهِن في ديني، ولا أعطي الدنيَّ في أمري)[١].

وكله كلام باطل لا يقوله علي في ولاة كبار، ومنهم صحابة أجلاء، فاتحين، لهم أعمال مجيدة، وعلي لم يعزلهم أيضاً كما أوضحنا؛ حيث أقرَّ معظم ولاة عثمان، كما أن في هذا الكلام طعناً على الخليفة عثمان وأمرائه الذين خدموا الإسلام في توسيع فتوحاته!.

●● والمغيرة وابن عباس قد نصحا عليّاً بالتريُّث في عزل الولاة وخاصة والي الشام معاوية، وكان في هذا ـ والله أعلم ـ مصلحة عامة للأمة وخاصة للظروف الطارئة ولمكانة ولاية الشام وأهميتها ودورها في وأد الفتن. والأمور تعرف بنتائجها، فقد أكدت مآلات الأحداث ومجرياتها[٢] على صحة ذاك التوجه في إقرار معاوية وغيره ممن لهم دور في محاصرة الفتن والقتلة ومعاونة الخليفة في تسيير شؤون الدولة نحو الاستقرار، وحسبك دليلاً على ذلك تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية واجتماع كلمة الأمة عليه، وسيرورة الدولة عشرين سنين على الاستقرار والبناء والفتوحات المطردة.

ويشير إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول: (إن عليّاً بادر بعزل معاوية ولم يكن ليستحق العزل، فإن النبي ﷺ ولى أباه أبا سفيان على نجران، ومات رسول الله ﷺ وهو أمير عليها، وكان كثير من أمراء النبي ﷺ على الأعمال من بني أمية[٣]... وولاه عمر رضي الله عنه وهو لا يُتَّهم لا في دينه ولا في سياسته، وقد ثبت في الصحيح: عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يَضرُّهم مَن خالفهم ولا من**

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٣٩، ٤٤٠ـ٤٤١.
(٢) انظر: منهاج السُّنَّة: ٤/٤٦١.
(٣) وقد أوضحت ذلك بأدلته في كتابي «عثمان بن عفان».

خذلهم»[١]، قال مالك بن يُخامِر: سمعت معاذاً يقول: «وهم بالشام»، قالوا: «وهؤلاء كانوا عسكر معاوية»... قالوا: ومعاوية كان خيراً من كثير ممن استنابه علي، فلم يكن يستحق أن يعزله ويولّي من هو دونه في السياسة! وقد أشاروا على علي بتولية معاوية، ولا ريب أن هذا كان هو المصلحة؛ إما لاستحقاقه وإما لتأليفه واستعطافه، فقد كان رسول الله ﷺ أفضلَ من عليٍّ وولى أبا سفيان، ومعاوية خير منه، فولّى مَن هو خيرٌ مِن عليّ مَن هو دون معاوية!)[٢].

ويقول العلّامة محمد كرد علي منتقداً عدمَ أخذِ علي بمشورة المغيرة وابن عباس: (ومما يُعَدُّ من خطيئاته الإدارية مبادرتُه إلى عزل جميع[٣] عمال عثمان، ولم يتربص بالأمر وصولَ البيعة إليه من أهل الأمصار، ولم يُصْغِ إلى تحذير المحذِّرين ونُصْحِ الناصحين... ولو أنه اتَّأَدَ في الأمر وعالجه برفق وأناة، واصطبر حتى استتب له الأمر وبايَعَه أهلُ الأمصار؛ لَما كان في عزل الولاة شيء، لأن الخليفة هو الذي يعطي الولاة سلطانَهم، فهو حرٌّ في اختيار عماله)[٤].

خامساً: وقفات وتساؤلات حول بعض الولاة:

١ ـ إشكالات واعتراضات على بعض الولاة:

أ ـ محمد بن أبي حذيفة:

هو ربيب عثمان بن عفان وتربَّى في حَجره، وطلب من عثمان الولاية

---

(١) هذا أحد أحاديث (الطائفة المنصورة)، وقد شرحتها بتوسع في كتابي: نبوءات الرسول ﷺ: ٤٩٥/٣ ـ ٥٣٧.

(٢) منهاج السُّنَّة: ١٢٠/٣ ـ ١٢٢، باختصار.

(٣) قد أوضحنا أن هذا التعميم غير صحيح.

(٤) الإدارة الإسلامية في عز العرب، ص ٦٣ ـ ٦٤؛ الولاية على البلدان، ص ٣٥٣.



فمنعه منها لأنه ليس بأهل، فغضب وذهب إلى مصر، وأَبَق من نعمة عثمان، وكان اليـد اليمنـى لتنفيـذ خطط السبئيين في مصر.

كان يطعن على والي مصر ابن أبي سَـرْح، وعلى أمير المؤمنين عثمان ويحرِّض عليه، ويزعم أنه غيَّر وبدَّل وخالَفَ هدي النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، وأن جهاده هو الجهاد الحق، وأن دمه حلال! وكان يزوِّر الكتب على لسـان أمهات المؤمنين(١).

قُبيل استشـهاد عثمان خرج إليه والي مصر ابنُ أبي سَرْح وأنابَ مكانه الصحابيَّ عقبة بن عامر، فانتزَى محمد بن أبي حذيفة على عقبة وأخرجه من مصر، واغتصب ولايتها ودعا إلى خلع عثمان! ولم يُقِرَّه أمير المؤمنين عثمان عليها، وبعد استشـهاده أقرَّه علي على مصر فترة مـن الزمن لم تطُلْ، حيث وجَّه معاوية جيشـاً إلى نواحـي مصر، فظفر بمحمد بن أبـي حذيفة فقبض عليه، ثم سُجن وقُتل(٢).

وقد ذُكر أن عليّاً لم يعيِّن محمد بن أبي حذيفـة على مصر، وإنما تركه على حاله حتى إذا قُتل عيَّن عليٌّ قيسَ بن سعد الأنصاري(٣).

وهذا برأينا بعيـد، فلا يُعقل أن أميـر المؤمنين عليّاً يتـرك هذه الولاية الضخمة دون أمير من قِبله، فأقرَّ ابنَ أبي حذيفة في بداية الأمر، حتى إذا قُتل بعث قيس بن سعد والياً.

وما كان ابن أبي حذيفة بأهل للولاية وقد خَبَره عثمان وهو ولي نعمته، ثم إنه كان مـن رؤوس الفتنـة والمحرِّضين على عثمان والسُّـعاة في قتله، فعُوقِب من جنس عمله!.

---

(١) ولاة مصر، ص ٣٨؛ كتابي: عثمان بن عفان، ص٥٨٨ ـ ٥٨٩.

(٢) تاريخ خليفة، ص ٢٠١؛ ولاة مصر، ص ٤٢ـ٤٣.

(٣) الولاية على البلدان، ص ٣٢٧.

ب ـ الأشتر النخعي[1]:

مالك بن الحارث النخعي، أحد الأبطال المذكورين، وكان شهماً مطاعاً زَعِراً، لكنه ما استعمل ذلك لوجه الله.

ولقد صَدقت فيه فراسةُ سيدنا عمر عندما رآه، فصعَّد فيه النظر وصَوَّبه، ثم قال: إن للمسلمين من هذا يوماً عصيباً!.

كان أحدَ مساعير الفتنة زمن عثمان، وسار إليه في الكتائب وحاصره وقاتله، وشهد مع علي (صفِّين)، وكان صعبَ المِراس، ومسيرةُ مساوئه وأفعاله القبيحة طويلة مظلمة، فلا تكاد تجد فتنة إلا وله فيها يد أو صوت!.

كان علي قد أمَّر على مصر قيسَ بن سعد الأنصاري، فسار في أهلها أجملَ سيرة وأحسنها، لكن أهل الفتنة أفسدوا ما بين الخليفة وواليه الكبير، فعزله وولى مكانه الأشتر النخعي.

توجَّه الأشتر إلى مصر ومعه رهط من أصحابه، إلا أنه حينما وصل إلى أطراف (بحر القلزم) ـ وهو البحر الأحمر ـ مات قبل أن يدخل مصر، حيث سُقي شربة عسل مسمومة فمات منها، كما قيل.

وتعارضت الروايات حول موقف علي من مهلك الأشتر:

ففي بعض الروايات عن عليٍّ: أنه حزِن لموته وتأوَّه عليه ومَدَحه، فقال: إنا لله، مالكٌ وما مالكٌ! وهل موجودٌ مثلُ مالك؟! لو كان حديداً لكان قَيْداً، ولو كان حجراً لكان صَلْداً، على مثلِه فَلْتَبكِ البواكي[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٣٤/٤ـ٣٥؛ تاريخ الطبري: ٥٥٢/٤ـ٥٥٣؛ ولاة مصر، ص ٤٦ـ٤٩؛ كتابي: عثمان بن عفان، ص٥٦٤.

(٢) ولاة مصر، ص ٤٨؛ سير أعلام النبلاء: ٣٤/٤؛ شرح نهج البلاغة: ٤٣٧/١٠.

وهذه الروايـــات فيها: فُضيل بن خُديــج: مجهــول، ونَصْر بن مُزاحم: متروك.

وروايات أخرى يرويها الشعبي قال: لمَّا بَلَغ عليّاً ﷺ موتُ الأشتر، قال: للمنخرين والفم[1]! أي: كَبَّه الله على وجهه.

وهذه الرواية أقوى، جاءت من طريقين جيدين.

وقد ولاه علي قبل مصر على الجزيرة، وليس مثله يستحق الولاية!.

ج ـ محمد بن أبي بكر[2]:

أدرك من حياة النبي ﷺ أشـــهراً قليلة أقل من أربعة أشـــهر، ومات أبوه أبو بكر الصديق ﷺ وعمره أقل من ثلاث ســنين، ولــم يكن له صحبة مع النبي ﷺ، ولا قرب منزلة من أبيه، إلا كما يكون لمثله من الأطفال.

كان له دالَّة عند عثمان، لكنه فعل أمــراً فأخذه عثمان من ظهره، فحَنِقَ عليه، وائتمر مع محمد بن أبي حذيفة فكانا يحرِّضان على عثمان ويَنقِمان عليه. وسار مع الجيش الذي حاصر عثمان حتى استُشهد ﷺ، ودخل على عثمان وأخذ بلحيته، فقال له عثمان: أرسِــلْ لحيتي يا ابنَ أخي، فوالله لقد أخذتَ مأخذاً ما كان أبوك ليأخذ به! فتركه وانصرف مســتحيياً نادماً، وهو وإن لــم يباشــر قتل الخليفــة الشــهيد عثمان، لكنــه من مســاعير الفتنة ومؤجِّجيها!.

وقد تزوج علي بعد أبي بكر بأســماء بنت عُمَيْس أمِّ محمد هذا، فكان ربيبَ علي، وكان اختصاصه بعلي لهذا السبب.

---

(١) ولاة مصر، ص ٤٧، ٤٨؛ سير أعلام النبلاء: ٣٥/٤.

(٢) ولاة مصــر، ص ٥٠ـ٥٤؛ ســير أعــلام النبــلاء: ٤٨١/٣؛ منهــاج السُــنَّة: ٧٠/٣ـ٧٢، ٦٦٣ـ٦٦٤؛ كتابي: عثمان بن عفان: ص٥٦٨، ٥٨٥، ٦٨٨.

والرافضة تغلو في تعظيمه على عادتهم الفاسدة في أنهم يمدحون رجالَ الفتنة الذين قاموا على عثمان، ويبالغون في مدح مَن قاتل مع علي، حتى يفضِّلون محمد بن أبي بكر على أبيه أبي بكر، فيلعنون أفضلَ الأمة بعد نبيِّها، ويمدحون ابنَه الذي ليس له صحبة ولا سابقة ولا فضيلة[١].

ولّى عليٌّ ﷺ محمدَ بنَ أبي بكر على مصر بعد أن عَزل قيس بن سعد عنها، وبلغ من نُبْل قيس وورعه أنه أسدى لمحمد هذا نصيحة جليلة لسياسة أهل مصر، فعمل محمد بخلافها[٢]، ولم يُحسن إدارة البلاد، وخالَفَ عليه مَن لم يبايع عليّاً، فحاربهم وحاربوه وفيهم نحو (١٠ آلاف مقاتل)، ثم وقع الصلح بينهم على أن يغادروا مصر بسلام، فخرجوا منها ولحقوا بمعاوية في الشام.

ثم إن معاوية أعدَّ جيشاً بقيادة عمرو بن العاص، وأَشْرَك فيه مَن لجأ إليه من أهل مصر، فسار عمرو إليها بجيشه، ووقعت بينهم وبين محمد بن أبي بكر معارك شديدة، انتهت بمقتل محمد بن أبي بكر وخضوع مصر لسلطان معاوية وخروجها من حكم علي[٣]!.

فهؤلاء ثلاثة من ولاة أمير المؤمنين علي وأشهرُهم الأشتر، تاريخهم مليء بالفتن وتسعيرِها زمن عثمان، وأيديهم والغةٌ في دمه من قريب أو بعيد، فليت عليّاً لم يكن يولِّهم من الأمر شيئاً جزاءً لهم بسوء أعمالهم، ومعاقبةً لهم بخلاف ما يطمحون إليه من الإمارة!.

وقول الدكتور محمد أمحزون: (ومن المؤكد أن عليّاً لم يولِّ أحداً ممن كان له ضلعٌ في مقتل عثمان)[٤]، هو خطأ محض كما أوضحنا، بل يضاف

(١) منهاج السُّنَّة: ٧١/٣.

(٢) انظر ما تقدم: ص٣٩٢ ـ ٣٩٣ في هذا الكتاب.

(٣) ولاة مصر، ص ٥٢؛ تاريخ الطبري: ٥٥٥/٤ـ٥٥٧؛ البداية والنهاية: ٣١٤/٧ـ٣١٥؛ الولاية على البلدان، ص ٣٣٢.

(٤) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، ص ٤٢٦.

إلى الثلاثة الذين ذكرناهم: (كُميل بن زياد النخعي) وهو من السُّـعاة في فتنة مقتل عثمان[1]، وقد ولاه علي على (الجزيرة)!.

٢ ـ خلاف أو انقلاب بعض ولاة علي عليه، أو غضبه عليهم:

من خلال ما قدمناه عن ولاة أمير المؤمنين علي وسياستهم في بلدانهم، وسياسـة علي معهم وعلاقته بهم، وباسـتقراء ما حَدَث مـن عزلِه بعضَهم وغضبه على آخرين، و(اسـتقالة) جماعة منهم وتركِهم عملَهم، بل وانقلاب بعضٍ آخر عليه ـ نلاحظ ما يلي:

أ ـ **فأبو موسى الأشعري**: أخذ بيعة أهل الكوفة لأمير المؤمنين علي، وبقي والياً عليها، فلما أراده عليٌّ على المشاركة في قتال (أصحاب الجمل) واستنفار أهل الكوفة لذلك، رفض أبو موسى هذا واعتبره قتالَ فتنة، فتمَّ عزلُه.

ب ـ **وجرير بن عبدالله البجلي**: عندما رجع من مهمته التي أُرسـل فيها إلى معاوية بالشـام، أسـاء له الأشـتر في حضرة علي، فتـرك عملَه ولَحِق بمعاوية.

ج ـ **وقيس بن سـعد بن عبادة**: وقع بينه وبين علي ما قدمناه في سياسته لأهل مصر، فعزله.

د ـ **وعزل أبا قتادة الأنصاري** عن مكة، وولى قُثَم بن العباس.

هـ ـ **وعزل أبا مسعود البدري** عن الكوفة، وولى هانئ بن هوذة النخعي.

و ـ **ومَصْقلة بن هُبيرة الشيباني**: كان قد اشـترى أسرى من بعض أجناد علي فأعتقهم، وعجز عن تسديد كامل ثَمنِهم، ثم هرب إلى معاوية في الشام.

---

(١) انظر كتابي: عثمان بن عفان، ص٥٦٥.

ز ـ **ويزيد بن حُجيَّة التميمي**: ولاه علـي على (الري) بعد وقعة صفين، ثم اتهمه بأنه أخذ من الخَراج، فحبسه في الكوفة، ثم فرَّ إلى معاوية.

ح ـ **والخِرِّيت بن راشد**: كان والياً على بعض بلاد الأهواز قبل صفِّين، فلما رجع علي من صفين أخذ الخِرِّيت يجمع الجنود ويدعو إلى خَلْع علي، واستولى على بعض الأماكن، فبلغ ذلك عليّاً، فوجَّه إليه جيشاً تمكن من القضاء على حركته وقتله.

ويلاحظ على سياسة الولاة أيضاً:

١ ـ سهل بن حُنيف لم يستطع أن يصل إلى ولايته على الشام.

٢ ـ عثمان بن حُنيف اضطرب عليه أمر البصرة وخرج منها.

٣ ـ الأشتر النخعي سار إلى مصر والياً، فلم يصل إليها وقُتل.

٤ ـ محمد بن أبي بكر لم يتمكن من ضبط شؤون مصر، وقُتل فيها.

٥ ـ كذلك لم يستطع سهل بن حُنيف ضبط ولاية فارس، وأخرجه أهلها منها حتى جاءهم زياد بن أبيه فضبط أمورها.

٦ ـ تولى جعدة بن هبيرة على خراسان فما استقامت له أمور أهلها، فبعث عليٌّ والياً آخر حتى تمكن من ضبطها.

وهكذا نلاحظ اضطرابَ أكثر ولايات الدولة وأمصارها، وعدمَ استقرار معظم الولاة في ولاياتهم لِمُدَد كبيرة، فالأمصار التي تبدو مستقرة وفي قبضة الخلافة وتحت هيمنة الولاة هي محدودة ومعدودة، وتكاد تقتصر على: الحجاز، واليمن، والكوفة، والبصرة.

وهنا يبرز سؤال كبير ومِلِحٌّ حول أسباب هذا الاضطراب وعدم الاستقرار في أوضاع الولاة والولايات، مما لم يشهده تاريخ الخلفاء

الراشدين الثلاثة قبل علي، ولم يكن في زمانهم شيء قريب منه يلفت نظر الباحث الناقد!.

ويمكن تلمس الإجابة من خلال عوامل متعددة وأسباب متنوعة، نجملها فيما يلي:

١ ـ من أكبر الأسباب وأشدِّها خطراً وأعمقها أثراً: خلفيات الفتنة التي وقعت في أواخر عهد عثمان وعقابيلها وآثارها التي امتدت بالضرورة إلى عهد علي، وتجلى ذلك بالانقسامات الاجتماعية للمجتمع والتجمعات ومراكز القوى وعناصر التأثير، التي وقعت في كثير من الولايات كمصر والبصرة والكوفة وخراسان وفارس وغيرها، مما أَضْلَع الولاة وعرقل مسيرة الضبط والإصلاح.

٢ ـ وينبثق من العامل السابق سببٌ آخر هو من آثاره ولوازمه، وهو الدور الخبيث الذي كان يحيكه ويلعبه قتلة عثمان وأتباعهم ونصراؤهم، أولئك الذين لا يروق لهم استقرارُ الدولة لأنه يتهدَّد وجودَهم ويُحبط مخططاتهم. ويتمثل ذلك فيما يقوم به السبئية ورؤوس الفتنة من اختلاق الأكاذيب وترويج الشائعات وافتعال الوشايات بين الوالي ورعيته، وبينه وبين أمير المؤمنين، وتأريث الخلاف وإشاعته، مما كان يضطر الخليفةَ إلى حسم الموقف بالعزل أو الاستبدال والنقل للوالي من موقع لآخر.

٣ ـ نقلُ عاصمة الدولة من المدينة النبوية إلى الكوفة، لما تتبوَّؤه المدينة من (رمزية تاريخية) و(مركزية فاعلة مؤثرة)، فهي عاصمة الرسول ﷺ والخلفاء الثلاثة بعده، بمقابل الكوفة المِصر الخطير الذي كان مصدرَ قلقٍ منذ عهد الفاروق عمر ـ مع شخصيته الفذة الضابطة ـ ثم بؤرةَ فتنةٍ في عهد عثمان!.

٤ ـ كثرة الخلافات والشِّقاق وحدّة الاختلاف الذي وقع منذ الأيام الأولى لخلافة علي، وما جاءت به الأحداث من وقائع مؤلمة وحروب دامية بين المسلمين أيام الجمل وصفِّين والنهروان، وانشغالُ الخليفة ومؤيديه بإطفاء تلك النيران المشتعلة ـ مما بدَّد الطاقات وشَتَّتَ الجهود وعَصَف بالتفكير وشَغَله عن كثير من مهمات شؤون الدولة وتخيُّر الولاة ومتابعتهم في الإصلاح والبناء.

٥ ـ ضعفُ وجودِ الولاة القرشيين فيما عدا أبناء عم الخليفة، ولقريش تأثير كبير وثِقلٌ جليل مؤثر خاصة في ظروف استخلاف علي، ولا يجهل أحد (المكانة العصبية والأدبية والاجتماعية) للوالي القرشي. هذا فضلاً عن أن أبناء العباس فيما عدا عبد الله ليسوا من أصحاب الخبرة السياسية والإدارية للأمصار في تلك الظروف الصعبة.

٦ ـ وبمقابل ذلك فإن عدداً من ولاة علي لم يكونوا جديرين بتوليتهم أمصاراً كبيرة ذات تأثير خطير في استقرار الدولة وصناعة الأحداث، من مثل: محمد بن أبي بكر والأشتر النخعي والخِرِّيت بن راشد وجَعدة بن هُبيرة وغيرهم، ممن أَثبتت مسيرتهم في ولاياتهم ضعفَ أدائهم، مما زاد في مشكِلات الدولة وولاياتها.

٧ ـ ونَلفت إلى سبب آخر؛ هو مبادرة أمير المؤمنين علي منذ أيام خلافته الأولى إلى عزل بعض ولاة عثمان، الذين كان بمقدورهم القيام بدور ضخم في تهدئة الأحداث وكبح جماح الفتنة المشتعلة، وبخاصة: والي الشام معاوية، ووالي الكوفة أبو موسى الأشعري، ووالي مكة أبو قتادة الأنصاري. وقد نصحه بعض أجلاء الصحابة في هذا، لكنه رأى خلاف رأيهم، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً!.





المبحث الثاني
الولايات وإدارتها

أولاً: ولايات الدولة:

١ ـ مكة المكرّمة والطائف[١]:

عندما استشهد عثمان كان والي مكة هو خالد بن سعيد بن العاص، فعزله علي وولى عليها أبا قتادة الأنصاري، الذي لم يمضِ في منصبه أكثر من شهرين، حيث إنَّ أمير المؤمنين لما خرج إلى العراق عزله وولى (قُثم بن العباس) على مكة والطائف وأعمالهما.

وبالرغم من أهمية هذه الولاية وكونها مهوى قلوب المسلمين وقبلة صلاتهم ومركز حجِّهم، فإن الأخبار حولها شحيحة، ومردُّ ذلك اعتناءُ الرواة بأخبار حروب علي التي استغرقت مساحة كبيرة من عهده.

والثابت تاريخيّاً أن عليّاً لم يحجَّ في خلافته، وكان يبعث من قِبله من يقيم للناس حجهم في سنوات (٣٦، ٣٧، ٣٨هـ)، وفي سنة (٣٩هـ) أمر ابن عمه قُثم بن العباس أن يحج بالناس، وبعث معاوية رجلاً من قِبله ليكون أمير الموسم، فاختلف الرجلان حتى كاد القتال أن يشتعل بينهما، فتوسط بعض الصحابة واصطلح الطرفان على أن يحج بالناس شيبة بن عثمان العَبْدري.

واستمر قُثَم في ولايته على مكة، إلى أن قدِمها جيش من قِبل معاوية بقيادة بُسْر بن أبي أرطاة، فخرج قثم منها خائفاً على نفسه، وبذلك انتهت ولايته، وخرجت مكة من سلطان أمير المؤمنين علي.

---

(١) تاريخ الطبري: ١٣٦/٥، ١٥٥؛ الولاية على البلدان، ص ٣١٩ ـ ٣٢١.

٢ ـ المدينة المنوّرة[١]:

كانت المدينة طيلة عصر الرسالة وعهد الخلفاء الراشدين الثلاثة هي عاصمة الدولة ومركز القرار ومحور الأحداث ومنطلق القرارات والفتوحات، وبمجيء عهد علي تحول ذلك عنها إلى الكوفة.

وعند خروج علي منها استخلف عليها (سَهْل بن حُنيف الأنصاري)، وبقي عليها أكثر من سنة إلى عام (٣٧هـ)، ثم عزله علي وولى عليها ابنَ عمه (تمَّام بن العباس)، وبعده (أبا أيوب الأنصاري)، الذي بقي إلى سنة (٤٠هـ). وقد تضاءل دورها التاريخي والسياسي والإداري، فبعد أن كانت مركز الخلافة أضحت ولاية من الولايات!.

وفي سنة (٤٠هـ) أواخر عهد علي بدأت كثير من الأمصار تخرج من سلطته نتيجة ضعفها، وبالمقابل تنامي جبهة الشام بقيادة معاوية، حيث وجَّه جيشاً عليه بُسْر بن أبي أرطاة فأخذ مكة وهرب واليها قثم كما تقدم، ثم توجه إلى المدينة فأدخلها في طاعة معاوية، وهرب أبو أيوب ولحِقَ بعليٍّ في الكوفة، وبذلك خرجت الحجاز من تحت سلطة علي!.

وتذكر الروايات كثيراً من الفظائع ارتكبها جيش الشام بقيادة بُسْر، وهي روايات واهية جدّاً ومنقطعة، رواها عَوَانة بن الحَكَم وهو متَّهم بالوضع! ولا تتناسب مع أخلاق رجال ذلك العهد الذين حملوا راية الإسلام والفتح بقيادة معاوية عندما آلت إليه أمور الخلافة، ولمدة عشرين سنة!.

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٥٥، ٥/٩٣، ١٣٩ ـ ١٤٠؛ تاريخ خليفة، ص ٢٠١؛ الولاية على البلدان، ص ٣١٧ـ٣١٩.



٣ ـ البحرين وعُمان[١]:

في خلافة عثمان كانت البحرين تابعــة لولاية البصرة، وحدث تطور في عهد علي حيث استقلت البحرين عن البصرة، وأمّر علي عليها (عُمر بن أبي سلمة) مدة قصيرة حيث استدعاه لمصاحبته عند خروجه إلى العراق[٢]، وولى بدلاً منه النعمان بن العجلان الأنصاري.

وكان من ولاتهـا: قُدامة بن العجلان الأنصاري، وعُبيـد الله بن العباس الذي ولـي البحرين وما يليها واليمن ومخاليفَها، ويبـدو أن البحرين ونجداً كانتا تابعتين له في تلك الفترة كما يوحي به تعبير الإمام الطبري.

٤ ـ اليمن[٣]:

ولى علي على اليمن ابنَ عمه عُبيد الله بن العباس، وكان معه سـعيد بن سعد بن عبادة على (الجَنَد) ومخاليفها.

اسـتمر عبيد الله والياً على اليمن طيلة عهد علي، وفي سنة (٤٠هـ) قدِم إلى اليمن جيش من قِبل معاوية بقيادة بُسْر بن أبي أَرْطاة، وكان عبيد الله قد غادرها وذهب إلى علي بالعراق، وأناب رجلاً مكانه، فدخلها بسرٌ وقتل نائبَ عبيد الله وسيطر عليها. ولكن أمير المؤمنين عليّاً أرسل جيشاً تمكن من إعادة اليمن إلى سـلطان الخلافة، ورجع عبيد الله بن العبـاس إليها، وبقـي واليها حتى استشهد علي.

---

(١) تاريـخ الطبـري: ٤/٤٥١ـ٤٥٢، ٥/١٥٥؛ الولاية على البلـدان، ص ٣٢١ـ٣٢٢؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٣٩.

(٢) انظر: شرح نهج البلاغة: ٨/٣٥٠.

(٣) تاريخ خليفة، ص ١٩٨، ٢٠٠؛ تاريخ الطبـري: ٥/٩٢، ١٣٩ـ١٤٠؛ الولاية على البلدان، ص ٣٢٢ـ٣٢٣.

٥ ـ الشام[١]:

لم تخضع ولاية الشام بكمالها لسلطة أمير المؤمنين علي طيلةَ مدة خلافته، بل كان يحكمها واليها من قبل عثمان: معاوية بن أبي سفيان، الذي عزله علي فلم يستجب له، وطالب بالقصاص من قتلة عثمان أولاً. كما سنفصله في الخلاف بين علي ومعاوية.

٦ ـ الجزيرة[٢]:

وهي الأراضي والبلدان الواقعة بين نهري الفرات ودجلة، وكانت إحدى الولايات التابعة للشام في عهد عثمان، وعند استشهاده كانت بيد معاوية؛ مما جعلها محل تنازع عندما استُخلِف أمير المؤمنين علي، لاتصالها بالشام من جهة وبالعراق من جهة أخرى، فكانت تخضع لسلطان الخلافة حيناً، ولسلطان معاوية حيناً آخر.

وقد تمكن علي من السيطرة عليها مدة من الزمن، وولى عليها الأشتر النخعي الذي تمكن من ترتيب أمورها، ثم حدث أن سيَّره علي والياً على مصر، وولي الجزيرة له: (شبيب بن عامر) و(كُميل بن زياد)، فعاد الاضطراب إلى هذه الولاية، وتمكن معاوية من السيطرة عليها أواخر سنة (٣٩هـ).

٧ ـ مصر[٣]:

في أواخر عهد عثمان بن عفان انتزى محمد بن أبي حذيفة على حكم

(١) تاريخ الطبري: ٤٤٢/٤، ٥٦١ـ٥٧٤؛ الولاية على البلدان، ص ٣٢٤ـ٣٢٥.

(٢) تاريخ خليفة، ص ٢٠٠؛ تاريخ الطبري: ٥٦٦/٤، ٩٥/٥؛ الولاية على البلدان، ص ٣٢٥ـ٣٢٦.

(٣) تاريخ خليفة، ص ١٧٨، ١٩٢، ٢٠١؛ تاريخ الطبري: ٥٤٦/٤ـ٥٥٧، ١٠٥/٥ـ١١٠؛ البداية والنهاية: ٢٥١/٧ـ٢٥٣، ٣١٣ـ٣١٦، وانظر ما قدمنا هنا: ص ٣٩٠ ـ ٣٩٣، ٤٠٦ ـ ٤٠٩ في هذا الكتاب.

مصر، ولم يقرَّه عثمان عليها. ولما استُخلِف علي أقرَّه عليها مُدَيْدة، وسيَّر معاوية إليها جيشاً فقبضوا على ابن أبي حذيفة وقتلوه، وكان ممن يؤلِّب على عثمان! فأمَّر عليٌّ بعده الصحابي قيس بن سعد بن عبادة، فأحسن السياسة والإدارة، ثم عزله علي عن غير عجز ولا خيانة، كما تقدم تفصيله، وولَّى بعده محمد بن أبي بكر، ولم تستقم له مصر، وسيَّر معاوية جيشاً بقيادة عمرو بن العاص، فتمكن من السيطرة على مصر وإدخالها تحت سلطان معاوية.

٨ ـ البصرة:

ولاية كبيرة ذات شأن خطير في الفتوحات وإدارة ولايات المشرق منذ عهد عمر. وعندما استخلف علي بعث (عثمان بن حُنيف) أميراً على البصرة، فانقسم أهلها فريقين: أحدهما دخل في بيعته، والآخر تريث حتى تصل أخبار أهل المدينة وموقفهم من الخليفة الجديد.

وتسارعت الأحداث حيث جاء طلحة والزبير وعائشة بمن معهم، والذين عُرفوا (بأصحاب الجمل)، فتغلبوا على أمر البصرة، وطُرد واليها ابنُ حنيف الذي لحِقَ بعليٍّ. ثم قدِمَ أمير المؤمنين بجيشه وكانت فاجعة (وقعة الجمل)، وسيطر علي على البصرة.

وخرج علي منها وولى عليها الصحابي العَلَم عبدالله بن عباس، فأحسن سياستها وأثبت مهارة عالية في إدارتها مع ما يتبعها من بلدان، واستمر والياً عليها حتى سنة (٣٩هـ)، وتشير بعض الروايات إلى أنه لم يزل بها حتى استشهد علي[١].

(١) انظر ما تقدم: ص ٣٨٥ ـ ٣٩٠ في هذا الكتاب.

٩ ـ الكوفة[١]:

ولاية عظيمة جليلة طيلة عهد الخلافة منذ فتحها أيام الفاروق، وهي مع نظيرتها البصرة قلب العراق ومركز الإدارة والفتوحــات فيه وفيما وراءه من ولايات المشرق، واكتسبت أهمية كبرى في عهد علي لأنها أضحت عاصمة الخلافة.

استشهد عثمان وواليه على الكوفة (أبو موسى الأشعري)، فلما استُخلف علي بعث (عُمارة بن شهاب) والياً عليها، فلما قرب منها ردَّه بعض أجنادها وذكروا له أنهم لا يريدون بأميرهم بديلاً، فأقرَّ أمير المؤمنين علي أبا موسى عليها، وكتب أبو موسى لعليٍّ بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم له.

ولم يبقَ أبو موسى في ولايتها طويلاً، فقد جاءه وفدٌ من قِبل علي يستنفر أهلَ الكوفــة لمواجهة (أصحــاب الجمل)، فرفض أبو موســى ذلك وحضَّ الناسَ على عدم القيام في الفتنة، فعندئذٍ عزله علــي وعيَّن مكانه (قَرَظة بن كعب الأنصاري).

وبعد وقعة الجمــل قدِمها أميــر المؤمنين علي واتخذهــا عاصمة للدولة، فكانت محور الأحداث ومركز القرار، وعندما كان يخرج منها يُنيب رجلاً عليها، فلما خرج إلى (صفين) أناب (أبا مســعود البدري)، ولمــا توجه لقتال الخوارج ولى عليها (هانئ بن هَوْذة النخعي)، وبقي علي فيها حتى استشهد ﷺ.

١٠ ـ المدائن[٢]:

ولى علي عليها (سعد بن مســعود الثقفي)، والذي كان له دور رئيس

---

(١) تاريخ خليفــة، ص ١٧٨، ١٨٣ـ١٨٤، ٢٠٢؛ تاريخ الطبري: ٤/٤٤٢ـ٤٤٣، ٤٧٧، ٤٨١؛ الولاية على البلدان، ص ٣٣٨ـ٣٤١.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٥٦٥، ٥/٧٥ـ٧٦، ٨٠، ٨٣؛ الولاية على البلدان، ص ٣٤٨.

في مجابهة الخوارج وحروب علي الأخرى، وذلك بسبب قرب المدائن من الكوفة.

١١ ـ فارس[(١)]:

تذكر المصادر أن عليّاً بعث (سَهْل بن حُنيف) أميراً على فارس، فبقي فيها مدة ولم تستقم له، وأخرجه أهلها منها نحو سنة (٣٧هـ). وكان عبد الله بن عباس إذ ذاك أمير البصرة، فاستشاره علي في شأن فارس، فاجتمع رأيهم على أن يتولى أمرها (زياد بن أبيه).

وتوجه زياد صحبة جيش قوامه (٤٠٠٠ جندي) إلى فارس، فدوَّخ تلك البلاد، وقضى على الفتنة فيها، وضبط أمورها، وبنى الحصون، ورتب شؤون الخَراج، كما ضبط البلاد التابعة لفارس حتى أمنت واستقامت. واستمر زياد والياً على فارس بقية خلافة علي، فكان أشهر ولاته على تلك البلاد نظراً لسياسته وحكمته وحسن إدارته.

١٢ ـ خراسان[(٢)]:

ولاية عظيمة ذات بلدان كثيرة ومساحة شاسعة وخيرات وافرة، وقد ارتبطت بولاية البصرة في عصر الخلفاء الراشدين.

ولى علي عليها (عبد الرحمن بن أبزى)، ووليها كذلك (جعدة بن هبيرة)، وقد بعثه علي إليها بعد رجوعه من صفين سنة (٣٧هـ)، وكان

---

(١) تاريخ خليفة، ص ١٩٢؛ تاريخ الطبري: ١٣٧/٥ ـ ١٣٨؛ الولاية على البلدان، ص ٣٤١ ـ ٣٤٢، وانظر ما تقدم: ص ٣٨٤ ـ ٣٨٥ في هذا الكتاب.

(٢) تاريخ خليفة، ص ١٩٩؛ تاريخ الطبري: ٦٣/٥ ـ ٦٤، ٩٢، ١٣٢؛ الولاية على البلدان، ص ٣٤٤.

أهلها قد ارتدوا، فحاول جعدة تأديبهم وتنظيم البلاد مَرَّة أخرى فلم ينجح! فبعث علي (خليد بن قـرة اليربوعي) فتمكن مـن مصالحة أهلها وضبط أمورها مرة أخرى.

١٣ ـ سِجِستان[(١)]:

إقليم يقع الآن تقريباً في الجنوب والجنوب الغربي لأفغانستان، ويمتد إلى بعض مناطق إيران الشرقية إلى الجنوب منها[(٢)].

وهذا الإقليم يتبع إدارياً البصرة في الغالب، وقد بعث علي بعد وقعة الجمل (عبدالرحمن بن جزء الطائي) والياً عليه، فلم يتمكن من ضبطه، وثار عليه صعاليك العـرب وقتـلوه، وعاثوا في البلاد فسـاداً، فأمـر عليٌّ عبدَالله بن عباس ـ والي البصرة ـ أن يولي على سجستان رجلاً من قِبله، فسـيَّر إليه (رِبْعي بن كاس العنـبري)، الذي اسـتطاع أن يقضـي على ثورة الصعاليـك، وضبـط ذاك المِصـر، وبقي واليـاً عليه حتـى استشهد علي.

١٤ ـ هَمَذان[(٣)]:

مدينة مشـهورة تقع في أقصى الشـمال الغربي من إيران اليوم، وكانت تعتبر إحدى الثغور الشـرقية في الدولة الإسـلامية. كان عليها والٍ مسـتقل عندما استشهد عثمان؛ وهو الصحابي (جرير بن عبدالله البجلي)، وأقره علي عليها، وأمره بأخذ البيعة له ثم القدوم عليه، ففعل.

---

(١) تاريخ خليفة، ص ١٩٩؛ الولاية على البلدان، ص ٣٤٥.

(٢) بلدان الخلافة المشرقية، ص ٢٠، ٣٧٢.

(٣) تاريخ الطبـري: ٥٦١/٤؛ الولايـة علـى البلـدان، ص ٣٤٥ـ٣٤٦، وانظـر ما تقـدم: ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤ في هذا الكتاب.



١٥ ـ أَذْرَبيجان وإِرْمِينية[(١)]:

إقليمان كبيرَان يقعانَ ـ الآن ـ شمال إيران وجنوب شرق تركية. كان على (أذربيجان) من قِبل عثمان: (الأشعث بن قيس)، وبقي والياً عليها حتى استشهد عثمان. فلما قدِم أمير المؤمنين علي الكوفة كتب إلى الأشعث بولايتها، وأمره بأخذ البيعة له على من قِبله من الناس، ثم القدوم عليه، ففعل.

وكان الأشعث مع علي في (وقعة صفِّين) وحرب الخوارج، وخلال ذلك ولَّى علي على أَذْرَبِيجان: (سعيدَ بن سارية الخزاعي)، ثم أعاد الأشعث والياً عليها مرة أخرى، وضمَّ إليه (إِرْمِينية).

وقام الأشعث بأعمال مهمة هناك، ومنها تمصير (أردبيل) وبناء مسجدها ونشر الإسلام فيها، وبقي والياً عليها بقية خلافة علي.

١٦ ـ ولايات أخرى:

الأهواز: كان واليها الخِرِّيت بن راشد، وعندما رجع علي من (صفين) انقلب عليه الخِرِّيت وجمع الجنودَ واستولى على بعض البلاد، ودعا إلى خلع علي، فسيَّر إليه أمير المؤمنين جيشاً قضى على تمرده وقتَلَه.

وولى علي بعده (مَصْقَلة بن هُبيرة)، وقد اتُّهم في قسمة المال، فأراد الخليفة محاسبته، فترك عمله والتحق بمعاوية[(٢)].

السِّنْد: كان أميرها الحارث بن مرَّة العَبْدي، وقد جمع أيام علي جمعاً وسار إلى بلاد مُكْران فظفر وغَنِم، وأتاه الناس من كل وجه، فجمع له أهل ذلك الثغر جنداً، فقُتل من كان معه إلا عصابة يسيرة[(٣)].

---

(١) تاريخ الطبري: ٥٦١/٤؛ فتوح البلدان، ص ٣٠٣ـ٣٠٤، الولاية على البلدان، ص ٣٤٦ـ٣٤٧.

(٢) تاريخ الطبري: ١١٣/٥ـ١٢٨؛ الولاية على البلدان، ص ٣٤٧ـ٣٤٨.

(٣) تاريخ خليفة، ص ٢٠٠؛ الولاية على البلدان، ص ٣٤٨.

الري: اســتعمل علي عليها (يزيد بن حجيَّة التميمــي) بعد وقعة صفين، واتهمه علــي بأنه أخذ من الخراج، فحبســه في الكوفة، ثم فــرَّ إلى معاوية بالشام(١).

ثانياً: مشكلات في إدارة الولايات:

من خلال اســتعراضنا لمســيرة الدولة في عهد علي، وأمــور الأمصار والبلدان، وشــؤون الولاة وأعمالهم ـ نرى أن أميــر المؤمنين قد بذل جهداً كبيراً في تنظيم شؤون الدولة والولايات، وأنه عانى في ذلك صعوبات جمَّة، وواجهته مشــكلات كثيرة وكبيرة، ولم تصفُ له أمور الحكم وتســيير حياة الناس في أمصار شتى:

١ ـ فهو لم يتمكن من فرض ســيطرته ابتداءً على ولايات الشام: سورية وفلسطين والأردن وما جاورها.

٢ ـ وأمصار أخرى كبيرة وذات شــأن خطير كانت مسرحاً للصراع عليها منذ فترة مبكرة، وخرجت من قبضة الخلافة؛ كما هو الحال في الحجاز (مكة والمدينة) واليمن ومصر.

٣ ـ وفي ولايات أخــرى كانت ســلطة الدولة تتراوح بين مــدٍّ وجَزْر، تُخضعها حيناً وتخســرها حيناً آخر، كما وجدنا ذلك في بلدان الجزيرة بين دجلة والفرات.

٤ ـ كذلــك عانى الخليفــة وولاته من صعوبات وتحديــات متعددة في مواقع متباعدة؛ تمثلت في ثورات السكان الأصليين وانتقاضهم على الولاة، مثلُ ما حدث في عُمان وولايات المشــرق في فارس وخراسان وسِجِستان.

---

(١) الكامل، لابن الأثير: ٢٨٨/٣؛ الولاية على البلدان، ص ٣٤٨.

وكثيراً ما كان الولاة يفشلون في إخمادها، مما يضطر الخليفة إلى استبدالهم بمن يضبط البلاد ويعيد إليها الاستقرار.

٥ ـ وثمة مشكلات من نوع آخر تجلى في خلاف علي مع بعض الولاة، أو انقلابهم عليه، أو اتهامهم بأمانتهم على الرعية وأموال الأمة، فينفلتون منه أو ينقلبون عليه، كما حدث للخِرِّيت بن راشد ومَصْقلة بن هبيرة ويزيد بن حجيَّة.

وأحياناً تسيء الرعية للولاة وتشوِّه صورتهم بالوشايات، فيتركون عملهم أو يُعزلون، كما جرى مع جرير البجلي وقيس بن سعد بن عبادة مثلاً.

٦ ـ ويضاف إلى ذلك عقبات كأداء ضاهَتْ جميعَ ما سبق، واستنفدت كثيراً من جهود الخليفة وطاقات الأمة، وتمثلت بالفتن الثلاث: (الجمل، وصفين، والنهروان)، التي أقلقت استقرار الدولة والأمة ردَحاً طويلاً من الزمن!.

وهكذا استبدَّت مشكلات الدولة الداخلية بالخليفة، وصرفته عن متابعة مسيرة البناء والجهاد، فأفرغ معظمَ طاقاته وبذل جُلَّ جهوده في رَتْق الفتوق في الجبهات الداخلية، وشُغل عن تنظيم شؤون الدولة والولايات والناس وبناء المؤسسات، والفتوحات التي توقفت تماماً في مدة خلافته كلها!.



الفصل الخامس

مؤسَّساتُ الدَّولـة

المبحث الأول
مؤسسة القضاء والحِسْبة

أولاً: القضاء:

•• مصـادر القضاء في عهد علـي هي ما كانت عليه فـي عهد الخلفاء الثلاثة قبله:

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ السُّنَّة النبوية.

٣ ـ الاجتهاد.

٤ ـ الإجماع.

٥ ـ القياس.

٦ ـ السوابق القضائية.

ويظلل ذلك كله الشورى والمشاورة في المسائل والقضايا والأحكام[1].

وظهر التنظيم الموضوعـي للقضاء نظرياً في الكتب المهمة والرسـائل الخالدة التي سطرها الخلفاء لتنظيم القضاء وإرشـاد القضاة وتوجيه الولاة؛

(١) تاريخ القضاء في الإسلام، للزحيلي، ص ١١٨؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٥٨.

إلى أفضل النُّظم القضائية لتحقيق العدل الكامل وحماية الحقوق، ومنعِ الاعتداء والظلم في الوسائل والغايات معاً.

وبَلَغ هذا التنظيم الموضوعي قمته في عهد الفاروق عمر نظريّاً وعمليّاً، واستمرَّ كذلك من الناحية العملية بعد ذلك في عهد عثمان وعلي فمن بعدهما[١].

وقد كان أمير المؤمنين علي من أكابر القضاة في عهده، وكان عمر يلجأ إليه في معضِلات الأقضية، وكثيراً ما كان يميل إلى رأيه[٢].

•• ولم يحدث تغيُّر يُذكَر للقضاء في عهد علي عما كان عليه في عصر سابقيه، فقد كان علي يتولى القضاء ـ غالباً ـ بنفسه في الكوفة، كما طلب من بعض الصلحاء القضاءَ في مشكِلات معينة. أما في الأمصار: فقد كان قضاةُ عليٍّ هم ولاته على البلدان المختلفة؛ لأن ولايَتَهم كانت عامة تشمل الحكم والإدارة والإمامة وإقامة الحدود والقضاء، وجباية الصدقات وغيرها.

وكان يطلب من ولاته التحري في تعيين القضاة، مما يدل على أنه خَوَّلَهم تعيينَ القضاة في البلدان التابعة لولاياتهم[٣].

وقد عيَّن عليٌّ بعضَ القضاة مباشرة، ومن أشهر القضاة في عهده: شُريح، وأبو الأسود الدُّؤَلي، والضحّاك بن عبد الله الهلالي، وعبد الله بن فضالة الليثي، ومحمد بن زيد بن خليدة الشيباني[٤].

---

(١) تاريخ القضاء في الإسلام، ص ١٠٧.
(٢) انظر ما تقدم: ص٢٧٦ ـ ٢٨٠ في هذا الكتاب.
(٣) الولاية على البلدان، ص ٤٣٧ ـ ٤٣٨.
(٤) تاريخ خليفة، ص ٢٠٠؛ تاريخ الطبري: ١٥٥/٥؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٧٥.

•• ومن أشـــهر كتب أمير المؤمنين علي (في القضاء)؛ ما جاء في كتابه الطويل للأشـــتر النخعي عندما عَهِد إليه بولاية مصر، أوضح فيه أموراً جليلة ومنها (ما يتعلق بالقضاء)، وفيه:

(ثم اختَرْ للحُكْم بين الناس أفضلَ رعيَّتِك في نفســك، ممن لا تَضِيقُ به الأمورُ، ولا تَمْحَكُهُ[1] الخُصوم، ولا يتمادى في الزَّلَّة، ولا يَحْصَرُ[2] من الفَيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تُشْـرِفُ نفسُه على طمع، ولا يَكتفي بأدنى فَهْم دون أقصــاه، وأَوْقَفَهم في الشُّـبهات، وآخَذَهُم بالحُجَجِ، وأَقلَّهــم تَبرُّماً بمراجعة الخَصْم، وأَصْبَرَهم على تكشُّف الأمور، وأَصْرَمَهم عند اتضاحِ الحُكْم، ممن لا يَزْدَهِيه إِطراءٌ، ولا يَستميلُه إغراءٌ، وأولئك قليل.

ثم أَكْثِرْ تعاهُدَ قضائِه، وأَفْسِـحْ لــه في البذل ما يُزِيح علَّتَــه، وتقِلُّ معه حاجتُــه إلى النــاس، وأَعْطِه مــن المنزلة لديــك ما لا يَطمع فيــه غيرُه من خاصَّتِك، لِيأمَنَ بذلك اغتيالَ الرجال له عندك)[3].

ثانياً: الحِسْبة:

يهدف نظام الحسبة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لإقامة شرع الله ودينه، وتطبيق الأحكام والآداب الإسلامية، والمحافظة على الحقوق العامة[4].

وقد كان الخليفة والولاة والقضاة والمسؤولون يقومون بواجب الحسبة، كل حســب مجاله وصلاحياته، بما يقيــم الحقوق ويحفظ مبادئ الإســلام وتعاليمه وآدابه.

---

(١) لا تجعلُه لجوجاً.
(٢) لا يعيا في المنطق.
(٣) شرح نهج البلاغة: ٤٤/٩.
(٤) تاريخ القضاء في الإسلام، ص ٩٣؛ كتابي: عمر بن الخطاب، ص ٤٧٩ـ ٤٨٠.

١ ـ الحسبة في العقائد والحدود والقصاص والديات:

أ ـ عن عكرمة: أن عليّاً حرَّق قوماً ارتدوا عن الإسلام[١].

ب ـ وعن أبي الهيَّاج الأَسَدي قال: (بَعَثني عليٌّ قال: أبعثُكَ على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: أن لا تَدَع قبراً مُشرِفاً إلا سَوّيْتَه، ولا تمثالاً إلا طمستَه)[٢].

ج ـ وعن عبد الله بن سَلِمة: (عن عليٍّ: أنه أُتي بسارقٍ فقَطَع يدَه، ثم أُتي به فقطع رِجْلَه، ثم أُتي به؛ فقال: أَقْطَعُ يدَه! بأي شيء يتمسَّح؟! وبأي شيء يأكل؟! أقطعُ رجْلَه! على أي شيء يمشي؟! إني لأستحيي من الله. ثم ضربه وخلَّده في السجن)[٣].

د ـ وعن ناجية أبي الحسن، عن أبيه: (أن عليّاً أُتي في رجلٍ لَطَم رجلاً، فقال للملطوم: اقتصَّ)[٤].

هـ ـ وعن الحارث: (أن عَبْداً أَتى عليّاً قد وَسَمه أهلُه، فأعتقه)[٥].

وَسَمه: أي أثَّر فيه وعَلَّمه بالكيِّ!.

و ـ وفي (الرجل يُمسك رجلاً ويقتُله آخَرُ)، يروي يحيى بن أبي كثير: (أن عليّاً أُتِي برجلين قَتل أحدُهما وأَمسَك الآخر، فقَتَل الذي قَتل، وقال للذي أَمْسَك: أمسكْتَه للموت، فأنا أَحبِسُك في السجن حتى تموت!)[٦].

---

(١) تقدم مطولًا: ص ٢٣٤ ـ ٢٣٦ حاشية (١) في هذا الكتاب.
(٢) تقدم: ص ٣٦٧ حاشية (١) في هذا الكتاب.
(٣) أخرجه عبد الرزاق (١٨٧٦٤)؛ والدارقطني (٣٣٨٧، ٣٣٨٨)؛ والبيهقي: ٢٧٥/٨.
(٤) مصنف ابن أبي شيبة: ٤٤٧/٦؛ وعلقه البخاري قبل الحديث (٦٨٩٧).
(٥) مصنف ابن أبي شيبة: ٤٥٣/٦.
(٦) المرجع السابق: ٤٠٨/٦. وانظر ما تقدم: ص ١٣٤، ١٣٨ في هذا الكتاب.



٢ ـ الحسبة في العبادات:

أ ـ كان أمير المؤمنين ﷺ يتعاهدُ الناسَ في صلاة الجماعة، ويقيم الصفوف: عن عامر الشعبي، عن الحارث وأصحاب علي قالوا: (كان علي يقول: اسْتَوُوا تستوِ قلوبكم، وتراصُّوا تراحموا). وكان يقول: (تقدَّمْ يا فلانُ، تأخَّرْ يا فلان)(١).

ب ـ ويأمر الناسَ أن يصلُّوا ست ركعات بعد الجمعة: عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي قال: (قدِمَ علينا ابنُ مسعود فكان يأمُرنا أن نصلِّي بعدَ الجمعة أربعاً، فلما قدِمَ علينا عليٌّ أَمَرنا أن نصلِّي ستّاً، فأخذنا بقولِ عليٍّ وتركنا قولَ عبد الله. قال: كنا نصلي ركعتين ثم أربعاً)(٢).

ج ـ ويعلم الناس كيفية الصلاة: روى أبو جعفر الباقر، عن علي قال: (إذا ركعتَ فضَعْ كفَّيْك على ركبتيك وابْسُط ظهرك ولا تُقْنِع رأسك ولا تصوِّبْه ولا تمتد ولا تقبض)(٣).

د ـ ولم يترك الحسبة في العبادة وأعمال الخير حتى آخر أيام حياته، ففي الليلة التي استُشهد فيها، وقد كمَنَ له الخارجيُّ ليقتله، جعل علي يُنهِض الناسَ من النوم إلى الصلاة، ويقول: الصلاةَ الصلاةَ(٤).

هـ ـ ويروي مسعود بن الحَكَم: أنه شهد جنازة بالكوفة مع علي، فرأى الناسَ قياماً ينتظرون أن توضع الجنازة فيجلسوا، قال: فرأيتُ علياً وهو يشير

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ١/٣٨٧؛ وعلقه الترمذي بعد الحديث (٢٢٤).
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة: ٢/٤١؛ وعبد الرزاق (٥٥٢٥)؛ وعلقه الترمذي بعد الحديث (٥٣٠).
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة: ١/٢٧٦. وانظر: ١/٢٨٠.
(٤) البداية والنهاية: ٧/٣٢٧.

بِدِرَّةٍ معه ـ أو: بسوطٍ ـ إلى الناس أن اقعدوا أيها الناس؛ فإن رسول الله ﷺ كان يجلس بعد أن كان يقوم)[1].

٣ ـ الحسبة في البيوع والأسواق والطرق والمحرمات:

عن الحرّ بن جرموز، عن أبيه: (أنه رأى عليّاً ومعه دِرَّة له يمشي بها في الأسواق ويأمرهم بتقوى الله، وحُسْنِ البيع، ويقول: أَوْفوا الكيلَ والميزان، ولا تَنفخوا اللحم)[2].

وعن محمد بن جُحَادة، عن أبي سعيد قال: (كان عليٌّ يأتي السوق فيقول: يا أهلَ السوق، اتقوا الله، وإياكم والحَلِف فإن الحلف يُنفق السلعة ويَمحق البركة، فإن التاجر فاجر إلا مَن أخذ الحق وأعطى الحق، والسلام عليكم)[3].

وروى المختار بن نافع، عن أبي مطر قال: (خرجت من المسجد، فإذا رجل ينادي من خلفي: ارفَعْ إزارَكَ فإنه أنقى لثوبك وأتقى لك، وخُذْ من رأسك[4] إن كنت مسلماً. قال: فمشيتُ خلفه وهو بين يدي مؤتزر بإزارٍ، مرتدٍ برداءٍ، ومعه الدِّرَّة كأنه أعرابي بدويٌّ! فقلتُ: من هذا؟ فقال لي رجل: أراك غريباً بهذا البلد؟ فقلت: أجَلْ، رجل من أهل البصرة، فقال: هذا علي أمير المؤمنين. حتى انتهى إلى دار بني أبي مُعَيْط وهو سوق الإبل، فقال: بيعوا ولا تحلِفوا، فإن اليمين تُنفِق السلعة وتمحق البركة. ثم أتى أصحابَ التمر، فإذا خادمٌ تبكي، فقال: ما يبكيكِ؟ فقالت: باعني هذا الرجل تمراً بدرهم، فردَّه مولاي فأبى أن يقبله، فقال له عليٌّ: خُذْ تمرَكَ وأعطِها درهمها فإنها

---

(١) المعرفة والتاريخ: ٢/٢٢٣. والحديث رواه مسلم (٩٦٢) وغيره عن علي مرفوعاً في (الرخصة في ترك القيام للجنازة).

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/٢٨؛ ابن عساكر: ٣/١٩٢.

(٣) ابن عساكر: ٣/٥٠.

(٤) أي: من شعر رأسك.

ليس لها أمر، فدفَعَه، فقلت: أتــدري من هذا؟ فقال: لا، فقلت: هذا علي أمير المؤمنيــن. ثم مرَّ مجتازاً بأصحــاب التمر، فقال: يا أصحــابَ التمر أطعموا المســاكين يربُ كَسْــبُكم. ثم مرَّ مجتازاً ومعه المســلمون حتى انتهى إلى أصحاب السمك، فقال: لا يُباع في سوقنا طافٍ)[١].

ونهى عن مزاحمة النساءِ الرجالَ في الأســواق، وأَنَّب الرجال فقال: (أَلَا تستحيون أو تغارون؟! فإنه بَلَغني أن نســاءكم يخرجن في الأسواق يُزاحمن العُلوج!)[٢].

وقــال الأصبغ بن نباتة: (خرجــت مع علي بن أبي طالب إلى الســوق، فرأى أهل الســوق قد جاوزوا أمكنتهم، فقال: ما هذا؟ قالوا: أهل السوق قد جــاوزوا أمكنتهم، فقــال: أليس ذلــك إليهم، ســوق المســلمين كمصلَّى المسلمين؟ مَن سَبَق إلى شيء فهو له يومه حتى يَدَعَه)[٣].

وعن الحَكَم قال: أُخبِر عليٌّ برجل احتكــر طعاماً بمئة ألف، فأَمر به أن يُحرق[٤]!.

وعن ربيعة بن زكّار قال: نظر علي بن أبي طالب إلى زُرارة فقال: ما هذه القرية؟ قالوا: قرية تُدعــى زرارة تُباع فيها الخمر! فقال: أيــن الطريق إليها؟ فقالوا: باب الجسر. فقام يمشــي حتى أتاها، فقال: علَيَّ بالنيــران، أضرِموها فيها، فإن الخبيثَ يأكل بعضُه بعضاً. قــال: فاحترقت من غربيّهــا حتى بَلَغتْ بستانَ خواستا بن جبرونا[٥].

---

(١) ابن عساكر: ١٩٤/٣ـ١٩٥؛ البداية والنهاية: ٤/٨.

(٢) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد المسند (١١١٨) وصحَّحه أحمد شاكر.

(٣) حياة الصحابة: ١٠٨/٢.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة: ٤٧/٥.

(٥) الأموال، لأبي عبيد (٢٦٨).

٤ ـ الحسبة في الآداب العامة:

كان أمير المؤمنين يلاحق أهل الشـر والفساد ويحبسُهم ليدرَأ عن الناس شـرَّهم، فعن عبدالملك بن عُمير قال: (كان علي إذا كان في القبيلة أو القوم الرجل الداعِرُ حَبَسه، فإن كان له مال أنفق عليه من ماله، وإن لم يكن له مال أنفق عليه من بيت مال المسلمين، وقال: يُحبس عنهم شرُّه، ويُنفَق عليه من بيت مالهم)(١).

وتقدم عن أبي مطر: أن عليّاً قال له: (ارفَعْ إزارك فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لك، وخُذْ من رأسك إنْ كنتَ مسلماً).

وفَرض على الناس حفظَ حقوق الطريق وعدمَ التضييق على المارَّة، ومن استخدم شيئاً من الطريق ليس له بحق وآذى إنساناً؛ يَلزمه ضمان الضرر الواقع:

بوَّب ابنُ أبي شيبة في «كتاب الديات من مصنَّفه» فقال: (الرجل يُخرِج من حدِّه شيئاً فيُصيب إنساناً)، وساق آثاراً؛ منها:

عن الشعبي، عن الحارث، عن علي قال: (مَن أخرج حجراً أو مُرَّة أو مِزْراباً أو زاد في ساحته ما ليس له؛ فهو ضامن)(٢).

وعن الشعبي: (أن عليّاً كان يأمر بالمَثَاعب والكُنُفِ أن تُقطع عن طريق المسلمين)(٣).



---

(١) الخراج، لأبي يوسف، ص ١٥٠.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة: ٣٤٩/٦. **المُرّة**: شجر المُرار، وبقلة تتفرش على الأرض، لها ورق عريض. **المزراب**: الميزاب.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة: ٣٥٠/٦؛ وعبدالرزاق (١٨٣٩٩). **المثاعب**: مَسيل الحوض أو الميزاب. **الكُنُف**: جمع الكَنيف وهو السقيفة أو الظلة تكون فوق باب الدار.



المبحث الثاني
المؤسسة المالية

أولاً: الملامح العامة للسياسة المالية في عهد علي:

لم يحدث تغيير ذو بالٍ في سياسة علي المالية للدولة الإسلامية، لكنه مشى على طريقة أبي بكر في التسوية في العطاء، بخلافِ عمر الذي كان يقدِّم أصحابَ السوابق وأهلَ الفضل كآل البيت ونحوِهم، وعمرُ قد جعل الله الحق على لسانه وقلبه، وهي مسألة اجتهادية، ولكلٍّ مبررات سياسته، وإلى كل من الاجتهادين ذهب عدد من الأئمة[1].

وليس كما يزعم بعضُ الرافضة بأن هذا عودةٌ للعدالة التي تُركت في عهد عمر وعثمان، فيقول بأن عليّاً كان (ناقضاً بذلك ليس الطريقة الفئوية لِسَلَفِه، وإنما طريقة الخليفة عمر الذي كان له اجتهاد خاص في هذه المسألة؛ فقد توخَّى عليٌّ العدالةَ في العطاء بتنظيمه على قاعدة الأسبقية والبلاء، وحتى لا يكون كمن يطلب النصر بالجَوْر على حدّ تعبيره)[2]!.

ونسي هذا المُفتئت على الحقيقة أن عليّاً رضي الله عنه كان من كبار مستشاري عمر وممن اقترح عليه تدوينَ الديوان، وكان من واجب علي لو كان فعل عمر جَوْراً ـ كما يزعم هذا الكاتب ـ أن ينصحَه ويشير عليه بواجب الشرع، كما هو المظنون بعليٍّ في فضله وورعه ونصحه وجرأته!.

وكان علي كثير الأَعْطيات، مبسوطَ اليد بالإنفاق على المسلمين من بيوت أموالهم، مراقباً لعمال الصدقات والخَراج، آمراً لهم بالعدل والرحمة في جباية الأموال، ولزوم الأمانة في حفظها وإنفاقها.

---

(١) انظر: منهاج السُّنَّة: ٣/٥٧٨.

(٢) الإمام علي، للدكتور إبراهيم بيضون، ص ١٤٠ ـ ١٤١.

●● ذكر ابـن عبدالبرّ في ترجمـة علي قال: (كان علي يسـير في الفَيء مسيرة أبي بكر الصديق في القسـم، وإذا ورد عليه مال لم يبقِ منه شيئاً إلا قسـمه، ولا يترك في بيت المال منه إلا ما يعجز عن قسـمته في يومه ذلك، ويقول: يا دنيا غرّي غيري. ولم يكن يسـتأثر من الفيء بشيء، ولا يَخصّ به حميماً ولا قريباً)[١].

وقال أبو صالح السَّمّان: (رأيتُ عليّاً دخل بيت المال فرأى فيه شـيئاً، فقـال: لا أَرى هذا هاهنا وبالناس إليـه حاجة، فأمر به فقُسِـم، وأمر بالبيت فكُنِس ونُضِح، فصلَّى فيه)[٢].

وعن موسى بن طَريف قال: (دخل عليٌّ بيت المال فأَضْرَطَ به[٣]، ثم قال: لا أمسي وفيك درهمٌ، ثم أَمر رجلاً من بني أَسَد فقَسَمه حتى أمسى)[٤].

وعن هارون بن عنترة الشـيباني، عن أبيه قال: (أتيـتُ عليّاً بالرحبة يوم نيروز أو مهرجان، وعنده دهاقين وهدايا، فجاء قنبر فأخذ بيده، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك رجل لا تُليق شيئاً، وإن لأهل بيتك في هذا المال نصيباً، وقد خبأتُ لك خَبيئة، قال: وما هي؟ قال: انطلِقْ فانظـر ما هي. قال: فأدخله بيتاً فيه باسِـنة مملوءة آنية ذهب، وفضـة مموَّهة بالذهب، فلمـا رآها عليٌّ قال: ثَكلتْكَ أمُّك! لقد أردتَ أن تُدخِل بيتي ناراً عظيمـة. ثم جعل يَزِنُها ويعطي كلَّ عريفٍ بحصَّتهِ، ثم قال:

هـذا جَنـاي وخـيـارُه فيه   وكـل جـانٍ يـدُه إلـى فيه

(١) الاستيعاب: ٣/٤٧.
(٢) ابن عساكر: ٣/١٨٠.
(٣) حكى بفيه فِعْلَ الضارطِ هُزْءاً.
(٤) الأموال، لأبي عبيد (٦٧٢)؛ ابن عساكر: ٣/١٨١.



لا تغرِّيني وغُرِّي غيري)[١].

ودخل بيت مـال الكوفة وقد امتـلأ بالذهب والفضة، فأَمـر فنُودي في الناس، فأعطى جميع ما في بيت مال المسـلمين، وهـو يقول: يا صفراء ويا بيضاء غُرِّي غيري، ها وها، حتى ما بقي منه دينارٌ ولا درهم. ثم أَمر بنَضْحِه، وصلَّى فيه ركعتين[٢].

وروى أبو عبيد: (أن عليّاً أعطى العطاء في سنة ثلاث مرات، ثم أتاه مال من أصفهان، فقال: اغدوا إلى عطاء رابع، إني لستُ لكم بخازنٍ! قال: وقسم الحِبالَ، فأخذها قوم وردَّها قوم)[٣].

●● ومـن أوامـره وتوجيهاتـه ووصاياه لمن يسـتعمله علـى الخَراج والصدقات، ما جـاء في كتبه إليهـم، ومنها: (انطلِقْ علـى تقوى الله وحده لا شـريك له، ولا تُروعنَّ مسـلماً، ولا تجتازنَّ عليه كارهاً، ولا تأخذنَّ منه أكثر من حقِّ الله في مالـه... فَخُذْ ما أعطاك من ذهـب أو فضة، فإن كان له ماشيةٌ أو إبلٌ فلا تدخُلْها إلا بإذْنهِ فإنَّ أكثرها له، فإذا أتيتَها فلا تَدخل عليها دخولَ متسلِّط عليه ولا عنيفٍ به. ولا تُنفرنَّ بهيمة ولا تُفزعنَّها، ولا تسوءَنَّ صاحبَها فيها!).

وفي كتاب له إلى عمال الصدقات يقول: (وإنَّ لك في هذه الصدقة نصيباً مفروضاً، وحقّاً معلوماً، وشركاءَ أهلَ مسْكَنة، وضعفاءَ ذوي فاقة. وإنا موفُّوكَ حقَّك فوَفِّهم حقوقهم، وإلا تفعلْ فإنك مـن أكثر الناس خصوماً يوم القيامة.

---

(١) الأمـوال، لأبي عبيد (٦٧٤)؛ ابن عسـاكر: ١٨١/٣ ـ ١٨٢. **لا تليق**: لا تمسـك. **الباسـنة**: الغرارة، وعاء من الكتان أو الخيش.

(٢) الحلية: ٨١/١؛ حياة الصحابة: ٢٢٥/٢.

(٣) الأموال، لأبي عبيد (٦٧٣).

وبُؤْسى لمن خصمُه عند الله الفقراءُ والمساكين والسائلون والمدفوعون والغارمون وابنُ السبيل!)[١].

وكان دستور أمير المؤمنين في الأموال أنها ليست للتخزين وتضخيم الواردات، بل مهمة المال هي عمارة البلاد وتحقيق مصالح العباد، ويبيِّن ذلك ما جاء في كتابه للأشتر النخعي:

(وتَفقَّدْ أمرَ الخَراج بما يُصلح أهلَه، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاحَ لمن سواهم إلا بهم، لأن الناس كلَّهم عِيالٌ على الخَراج وأهله. وليكن نَظرُك في عمارة الأرض أبلغَ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يُدرَكُ إلا بالعِمارة، ومَن طلبَ الخراج بغير عمارة أَخْرَبَ البلادَ وأهلَكَ العباد، ولم يستقِمْ أمره إلا قليلاً...)[٢].

ثانياً: واردات الدولة من الأموال:

١ ـ الزكاة:

تتولى الدولة القيام بهذا الركن الجليل، عن طريق المُصَدِّقين والأمناء وموظفي بيت المال وأضرابِهم. والزكاة رافدٌ مهم في واردات بيت المال، يؤديه المسلمون لموظفي الدولة أو يُخرجونه بأنفسهم.

٢ ـ الخراج:

وهو ضريبة على الأراضي التي فتحها المسلمون عَنْوة، وأوقفَها الخليفة لمصالح المسلمين على الدوام. وقد مضت الأمور فيه على ما كانت عليه في

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١١٣/٨، ١١٨؛ وانظر ما تقدم: ص٣٩٨ في هذا الكتاب.
(٢) المرجع السابق: ٥٢/٩ ـ ٥٣.

عهد عمر وعثمـــان[١]، ولا نجد روايات توضح عوائـــده على بيت المال في عهد علي.

وتبيِّن كتبٌ كثيـــرة من أمير المؤمنيـــن اهتمامَه بهذا المـــورد، من ذلك ما كتبه إلـــى عمال الخراج: (ولا تَبيعُنَّ الناسَ في الخَراج كُسْـــوةَ شـــتاءٍ ولا صيفٍ، ولا دابَّة يعتملون عليها ولا عبداً[٢]، ولا تضرِبُنَّ أحداً سَـــوْطاً لمكان درهم، ولا تَمَسُّنَّ مالَ أحدٍ من الناس مُصَلٍّ ولا مُعَاهَدٍ)[٣].

ومثله ما كتبه للأشتَر كما تقدم.

٣ ـ الجزية:

لم يطـــرأ تغيير على مقدار الجزيـــة في عهد علـــي، وتوقفت الفتوحات بسبب الانشغال بالفتن الداخلية، وانتقضت بعض المناطق المفتوحة في حين اســـتمر أكثرها علـــى الصلح ودفـــع الجزية، ويلاحظ انتشـــار الإســـلام في أَذْرَبيجان لما قدِمها الوالي الأشعث بن قيس، وبوجه عام انخفضت واردات الجزية في خلافة علي[٤].

عن عنترة الشـــيباني ـ وهو مـــن تلاميذ علي ـ قـــال: (كان عليٌّ يأخذ الجزية من كل ذي صناعة من صناعته وعمـــلِ يده: من صاحب الإبر إبراً، ومن صاحب المَسَالِّ مســـالًّا، ومن صاحب الحِبال حبالاً. ثم يدعو العرفاء فيعطيهـــم الذهب والفضة فيقتســـمونه، ثم يقـــول: خذوا هذا فاقتسِـــموه،

---

(١) انظر: الولاية على البلدان، ص ٤٤٤.

(٢) نهاهم أن يبيعوا لأرباب الخـــراج ما هو من ضرورياتهم كثياب أبدانهـــم أو دابة يعتملون عليها كبقر الفلاحة، وكعبدٍ لا بدّ للإنسان منه يخدمه!.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١٧/٩.

(٤) فتوح البلدان، ص ٣٠٣، ٣٦٧؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٩٥ ـ ١٩٦.

فيقولون: لا حاجة لنا فيه، فيقول: أخذتم خيارَه، وتركتم علَيَّ شرارَه، لَتَحملُنَّه!)[1].

فكان أمير المؤمنين علي يأخذ منهم الجزية من هذه الأمتعة، ولا يَحملُهم على بيعها ثم يأخذ الدراهم نقداً من ثمنها، وإنما فعل ذلك إرادةَ الرفق بهم والتخفيف عليهم، وهكذا فعل عمر حين كان يأخذ الإبل في الجزية. (هذا معنى كلام أبي عبيد في التعليق على الخبر).

٤ ـ وتوقفت واردات الغنائم على خزائن الدولة:

بسبب توقف الفتوحات.

ثالثاً: نفقات الدولة:

•• وردت أخبار قليلة في (تاريخ خلافة علي) حول نفقات الدولة ومصاريف خزانتها، يمكن من خلالها تلمس الخطوط العامة في هذا الجانب:

ـ مضى علي على سيرة مَن سبقه من الخلفاء في فرض الأرزاق للعمال والولاة، إلا أن عصر عمر وعثمان كان أكثر توسعاً في بذل الأعطيات للناس عموماً ومن ضمنهم الولاة، نظراً لزيادة الدخل في بيت المال نتيجة الفتوح الواسعة[2].

ـ نفقات المعارك الحربية وما يلزمها من السيوف والرماح والدروع والخيل والجمال.

ـ البريد: وفيه رواتب موظفي البريد ولوازم المواصلات من الخيول وغيرها.

---

(١) الأموال، لأبي عبيد (١١٧)؛ وبنحوه في الاستيعاب: ٣/٥٠.

(٢) الولاية على البلدان، ص ٣٩٨ـ٣٩٩.

ـ **عطاء المواليد واللُّقَطاء**: عن أم العــلاء بنت الأَعلم البُرجُميَّة: (أن أباها انطلق بها إلى عليٍّ، ففَرض لهــا في العطاء وهي صغيرة، قــال: وقال علي: ما الصبيُّ الذي أكل الطعام وعضَّ على الكسرة بأحقّ بهذا العطاء من المولود الذي يَمصّ الثدي)[١].

وروى أبوالجَحَّاف داود بن أبي عوف البُرْجُمِيُّ عن رجل من خَثْعَم قال: (وُلِد لي من الليل مولود، فأَتيت عليّاً حين أصبح، فأَلحقه في مئة)[٢]. أي: من العطاء.

وعن تميم بن مُسَــيْح الغَطفَاني قال: (أَتيــت عليّاً بِمَنْبُــوذٍ، فأثْبَتَه في مئة)[٣]. وفي رواية عن تميم بن مُسيح: أنه الْتَقَط صبيّاً، فأتى به عليّاً، فألْحَقه على مئة)[٤]. **والمَنبوذ**: هو اللَّقِيط، سُــمِّي منبــوذاً لأن أمه رمَتْه ونبذَتْه على الطريق.

ـ **وكان يقدِّم الناسَ على أهل بيتــه**: عن أم عفان أمِّ ولدٍ لعليٍّ قالت: (جئت عليّاً وبين يديه قَرَنْفُل مكبوب في الرَّحْبة، فقلت: يا أمير المؤمنين، هَبْ لابنتي مــن هذا القرنفل قلادة، فقال هكذا ونَقــر بيده: ارمي، فإنما هذا مالُ المســلمين، وإلا فاصبري حتى يأتي حظُّنا منــه لِنَهبَ لابنتكِ قلادة)[٥].

ـ **ويَقسِــم بين الناس الأطعمة والفواكه والوَرْس والزعفران وغيرها**: روى الربيع بن حســان عن أمه قالت: (كان علي يقســم فينا الورس والزعفران).

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٦١٩/٧.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٦١٩/٧.
(٣) الأموال، لأبي عبيد (٥٨٧).
(٤) التاريخ الكبير: ٢٦٣/٣.
(٥) مصنف ابن أبي شيبة: ٦٢٢/٧.

وروى آخر: (أن علياً أُتي بِرُمَّان فقَسَمه بين الناس). و(أُتِي بدِنَان طِلاء من غابات فقَسَمها بين المسلمين)[١].

ـ **وزاد في عطاء الناس مئتين مئتين**: عن الحسن بن قيس، عن أبيه قال: (أتيتُ علياً بابن عمَّة لي، فقلت: يا أمير المؤمنين افرِضْ لهذا، قال: أربع ـ يعني أربعَ مئة ـ قلت: إن أربع مئة لا تُغني شيئاً، زِدْهُ المئتين التي زدتَ الناس، قال: فذاك له. وقد كان زاد الناس مئتين)[٢].

ـ وفي كثير من الأحيان كان أمير المؤمنين يوجه الولاة للقيام **بالخدمات العامة والإصلاحات المدنية** التي تخدم سكان الولاية[٣].

ـ **ولم يمنع أحداً من العطاء**، حتى إنه ليعطي الخوارج ما دامت أيديهم معه: روى كثير بن نمر الحَضْرمي، عن عليٍّ قال: (لهم علينا ـ أي: الخوارج ـ ثلاث: أن لا نمنَعَهم المساجدَ أن يذكروا الله فيها، وأن لا نمنعهم الفيء ما دامت أيديهم مع أيدينا، وأن لا نقاتلَهم حتى يقاتلونا)[٤].

●● وسياسة النفقات في عهد الخلفاء الراشدين تقوم على أن الأمصار والولايات أحقُّ بأموالها وجبايتها من غيرها، فكان الولاة لا يعملون على (ترحيل الأموال) عن مناطقهم إلى العاصمة في المدينة أو الكوفة فيما بعدُ، إلا بعدَ أن يسدّدوا حاجة ولاياتهم من النفقات.

فكان الولاة يقومون بصرف نفقات العمال والموظفين في الولاية، إضافة إلى القيام بما يلزم من الإصلاحات والخدمات كبناء الجسور وحفر القنوات وإجراء العيون والأنهار، ويتمُّ صرفُ نفقاتِ ذلك مما يجبونه من ولاياتهم[٥].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٧/٦٢٢ـ٦٢٣.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٧/٦١٤.
(٣) انظر ما سيأتي: ص٤٤٨ في هذا الكتاب.
(٤) الأموال، لأبي عبيد (٥٦٧).
(٥) الولاية على البلدان، ص ٤٤٥ـ٤٤٦.

وقد جاء في كتب علي وتوجيهاته ما يؤكد ذلك، ففي كتابه إلى واليه على مكة قُثَم بن العباس، يقول: (وانظُرْ إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصْرِفْه إلى مَن قِبَلك من ذوي العيال والمجاعة، مُصِيباً به مواضعَ المَفَاقِر والخَلَّات، وما فَضَل عن ذلك فَاحْمِلْه إلينا لِنقْسِمَه فيمن قِبَلنا)[1].

وكتب بنحو ذلك إلى عمال الصدقات[2]، وإلى الأشتر النخعي[3].



(١) شرح نهج البلاغة: ٢٢٧/٩. المفاقر: الحاجات.

(٢) المرجع السابق: ١١٣/٨ ـ ١١٤.

(٣) تقدم: ص٤٣٨ حاشية (٢) في هذا الكتاب.

المبحث الثالث
المؤسسة الإدارية

•• في خلافة عمر بدأت تتضح الملامح العامة للهياكل والنظم الإدارية في الولايات، فأصبح هناك تمييز بين الوالي والقاضي وكاتب الديوان وصاحب بيت المال وغيرهم من الموظفين، وبذلك ظهر تقسيم العمل والتخصص فيه، واستمر الأمر على هذا النهج في خلافة عثمان وعلي.

واستعان الخلفاء وولاة الأمصار بعدد من الموظفين الذين تولوا أعمال الكتابة والحجابة والإشراف على بيوت المال ودواوين الدولة الثلاثة (ديوان الجباية والخراج، وديوان الجند، وديوان العطاء) وتولي تنظيم الشرطة، ووظيفة جمع الغنائم وتقسيمها[١].

•• وقد ظهر نظام الشرطة منذ خلافة عمر لحراسة بيت المال والسجن وجَلْب الخصوم للقاضي وتنفيذ أحكام القضاة في المجرمين. واستخدمت الدولة أقواماً داخلين في الإسلام حديثاً مثل (السَّيَابِجَة) في خلافة عثمان وعلي.

وفي عهد علي نُظمت الشرطة وأُطلق على رئيسها اسم (صاحب الشرطة)، وكان يتم اختياره من عِلْية القوم من أهل العصبية والقوة[٢].

وقد بنى أمير المؤمنين علي سجناً في الكوفة سمَّاه (نافعاً) لم يكن مستوثق البناء، فكان السجناء يخرجون منه، فهدمه وبنى بدلاً منه سجناً آخر

---

(١) الولاية على البلدان، ص ٣٦٥، ٤٣١ـ٤٣٢؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٤٦.

(٢) الولاية على البلدان، ص ٤٥٩ـ٤٦١؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٤٧ـ١٤٨. **السيابجة:** أعجمي معرب، وهم الجلاوزة وحراس السجن.

سماه (مُخيِّساً). وأجرى على أهل السجون ما يقوتهم من طعام وإدام وكسوة في الشتاء والصيف[١].

●● وقد عمل عليٌّ على إقرار المعاهدات وعقود الصلح التي جرت قبله بين المسلمين وبين غيرهم من الذميين ومَن ماثَلَهم: من ذلك أنه عندما جاءه أهل نَجْران وقالوا: أخرَجَنا عمرُ من أرضنا فاردُدْنا إليها، رفض وقال: لا أغيِّر شيئاً صنعه عمر[٢]. وأقرَّ مجموعة من عقود الصلح بين عثمان وبين مَرَازبة فارس[٣]. وهذا من الأدلة على أن عليّاً كان يرى أن خلافته امتدادٌ للدولة التي أنشأها رسول الله ﷺ ثم تولاها أبو بكر وعمر وعثمان، وحرص علي على إمضاء صُلْحهم ومعاهداتهم وتتبُّعِ طريقهم، ولم يميِّز نفسه عنهم[٤].

ونلاحظ في عصر علي تأكيداً لنوع من التطور الإداري الذي ظهر قبل عصره، من عزلٍ للقضاء والخَراج في كثير من الأحيان عن الولاية، إذ كان يخصص لكل ولاية قاضياً مستقلًّا عن الوالي، وكذلك الحال في الخراج وبيت المال حيث كان يولّي عليها عمالاً مختصين[٥].



(١) ولاية الشرطة في الإسلام، د. نمر الحميداني، ص ١٠٧ ـ ١٠٨.
(٢) تقدم الخبر بتمامه: ص٢٨٧ حاشية (٤) في هذا الكتاب.
(٣) تاريخ خليفة، ص ١٨٢؛ تاريخ الطبري: ٥٥٧/٤.
(٤) الولاية على البلدان، ص ٣٦٥.
(٥) المرجع السابق نفسه.

المبحث الرابع
مؤسسة الشؤون الإسلامية

●● الأخبار في هذا الباب نَزْرة جدّاً، وقد وردت إشـارات يمكن الإلماع إليها:

لما قدِم الأشـعث بن قيس إلى (أَذْرَبِيجان) والياً عليها، وجد أكثر أهلها قد أسـلموا وقرؤوا القرآن، فأنزل (أَرْدَبِيل) جماعةً من أهل العطاء والديوان من العرب، ومصَّرها، وبنى مسجدها[١].

ـ وكان أميـر المؤمنين يَـؤمُّ الناسَ في الصلـوات ويعلمهـم ويتعاهَدُ الصفوف كما قدمنا، ويخطبهم في أيام الجمعة والعيدين.

وهكذا كان يفعـل ولاة الأمصار فـي بلدانهم، وهو من أهـم أعمالهم وواجباتهم.

ـ ومن أسـس عمارة المسـاجد تعيينُ الأئمة والخُطباء، لإقامة الصلوات وأداء الخُطَـب وتعليـم النـاس وتفقيههم، وهـؤلاء تُفرض لهـم الرواتب والعطاءات.

ومن الإشـارات في هذا: مـا رواه عَرْفَجة بن عبد الله الثقفـي قال: (كان علي بن أبي طالب يأمر الناسَ بقيام رمضان، فيجعل للرجال إماماً وللنسـاء إماماً. قال عرفجة: فأَمَرني علي فكنتُ إمامَ النساء)[٢].

●● ومن أعمال الخليفة الجليلة أن يحضر موسـم الحج كل عام، ليلتقي بولاة الأمصار والناس، ويبحث معهم شؤون الإسلام والأمة والولايات، لكن

---

(١) فتوح البلدان، ص ٣٠٣ـ٣٠٤. أردبيل: من أشـهر مدن أذربيجـان، وتقع حاليّاً على بعد (٦٤ كم) شرقي تبريز.

(٢) مصنف عبد الرزاق (٧٧٢٢)؛ تهذيب الكمال: ٥٥٨/١٩.

عليّاً لم يحضر ذلك طيلة عهده لانشغاله بإطفاء الفتن الداخلية، فكان يعيِّن على الموسم مَن يقيم للناس حجَّهم:

ففي سنة (٣٦هـ) حج بالناس عبد الله بن العباس.

وفي سنة (٣٧هـ) أقام للناس حجهم عُبيد الله بن العباس.

وفي سنة (٣٨هـ) أقام الموسم قُثم بن العباس.

وفي سنة (٣٩هـ) حدث خلاف بين مبعوث علي ومبعوث معاوية، واصطلح الناس على أن يقيم الحج شَيْبة بن عثمان العَبْدري[١].

ومن كُتب علي إلى أحد ولاته في إقامة موسم الحج، ما كتبه إلى أمير مكة قُثَم بن العباس، وجاء فيه: (أما بعدُ، فأقمْ للناس الحجَّ، وذَكِّرْهم بأيام الله، واجلِسْ لهم العَصْرَين، فأفتِ المستفتي، وعلِّم الجاهل، وذاكِرِ العالم، ولا يكن لك إلى الناس سفيرٌ إلا لسانَكَ، ولا حاجبٌ إلا وجْهَكَ.

ولا تَحجُبنَّ ذا حاجةٍ عن لقائك بها، فإنها إنْ ذِيدَتْ عن أبوابك في أول وِرْدِها لم تُحمد فيما بعدُ على قضائها)[٢].



(١) تاريخ خليفة، ص ١٩١، ١٩٢، ١٩٨؛ تاريخ الطبري: ٥٧٦/٤، ٩٢/٥، ١٣٢، ١٣٦، وانظر ما تقدم: ص ٤١٥ في هذا الكتاب.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢٢٧/٩. **العصران**: الغداة والعشي.

المبحث الخامس
مؤسسة العمران والخدمات

هذه المؤسسة قد لحِقَ بها ضعف كبير بسبب الأحداث الداخلية التي شغلت الخليفة والولاة وعامة الأمة، لكن أمير المؤمنين قد بذل وسعه في رعاية مصالح الأمة والبلاد وتوفير الحياة الكريمة.

ففي كثير من الأحيان كان يوجه الولاة للقيام ببعض الإصلاحات المدنية التي تخدم سكان الولاية من حفر للأنهار وعمارة للبلدان؛ فقد كتب إلى قرظة بن كعب الأنصاري: (أما بعد، فإن رجالاً من أهل الذمة من عملك ذكروا نهراً في أرضهم قد عفا وادَّفَن، وفيه لهم عمارة على المسلمين، فانظر أنت وهم، ثم اعمر وأصلح النهر، فلَعَمري لأن يعمروا أحبُّ إلينا من أن يخرجوا وأن يعجزوا أو يقصروا في واجب من صلاح البلاد، والسلام)[1].

فإذا كان هذا من أمير المؤمنين بمراعاة مصالح أهل الذمة، فاهتمامه بالمسلمين أعظم وأولى برعاية مصالحهم ومعاشهم ومختلفِ أمورهم الدنيوية. وقد قام كثير من الولاة ببناء المساجد والحصون وتنظيم شؤون البلاد والخدمات، وترحيل بعض المسلمين إلى الثغور كي يعمروها وينشروا الإسلام فيها[2].



---

(١) تاريخ اليعقوبي: ١٠٨/٢؛ الولاية على البلدان، ص ٣٦٦.

(٢) الولاية على البلدان، ص ٣٦٦، وانظر ما تقدم: ص ٤٢١ ـ ٤٢٣ في هذا الكتاب.

الباب السابع

الفِتَنُ في عَهْدِ عَلِيّ

- قواعدُ وأصولٌ وتوضيحاتٌ وتحقيقاتٌ.
- سيرورةُ الأحداثِ من وقتِ بيعةِ عليٍّ إلى بدايةِ الفتنةِ وموقعةِ الجمل.
- موقعةُ الجمَل، مقدِّماتُها ووقائعُها ونتائجُها.
- موقعةُ صِفِّين، مقدِّماتُها وأحداثُها ونتائجُها.
- عليٌّ والخوارجُ.
- واقع الأمة والدولة بعد «النهروان» وقتل الخوارج.



الفصل الأول

قواعدُ وأصولٌ وتوضيحاتٌ وتحقيقاتٌ

أولاً: لا أحد ممَّن خالف علياً ينكر خلافته أو يدَّعي الخلافة لنفسه أو يسعى إليها:

•• الصحابة جميعاً وفي مقدمتهم مَن كان على خلاف مع أمير المؤمنين علي لا يقدحون في خلافته وولايته على المسلمين، ولا ينكرونها ولا ينازعونه فيها.

يقول إمام الحرمين الجُوَيني: إن معاوية وإنْ قاتل علياً، فإنه لا ينكر إمامته ولا يدَّعيها لنفسه، وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظنّاً منه أنه مصيب، وكان مخطئاً[١].

ويقول ابن حزم: ولم ينكر معاوية قطُّ فضلَ علي واستحقاقه الخلافة، ولكن اجتهاده أداه إلى أن رأى تقديمَ أخذ القوَد من قتلة عثمان على البيعة، ورأى نفسه أحقَّ بطلب دم عثمان[٢].

ونقل ابن حجر عن ابن بطَّال في «شرح البخاري»: (أن أحداً لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا علياً في الخلافة، ولا دَعَوا إلى أحدٍ منهم ليولُّوه الخلافة)[٣].

---

(١) لمع الأدلة في عقائد أهل السُّنَّة والجماعة، ص ١١٥.

(٢) الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحل: ٤/١٦٠.

(٣) الفتح: ٣٧١/١٦، شرح الحديث (٧٠٩٩).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (فالقتال الذي كان في زمن علي لم يكن على الإمامة، فإن أهل الجمل وصفِّين والنهروان لم يقاتِلوا على نصب إمامٍ غير علي، ولا كان معاوية يقول: أنا الإمام دون علي، ولا قال ذلك طلحة والزبير... وعليٌّ لم يقاتِل أحداً على إمامة مَن قاتله، ولا قاتله أحدٌ على إمامته نفسه، ولا ادَّعَى أحدٌ قط في زمن خلافته أنه أحق بالإمامة منه...). (وعليٌّ بايَعه كثيرٌ من المسلمين ـ وأكثرهم بالمدينة ـ على أنه أمير المؤمنين، ولم يبايع طلحةَ والزبيرَ أحدٌ على ذلك، ولا طلب أحدٌ منهما ذلك، ولا دعا إلى نفسه، فإنهما ﷺ كانا أفضَلَ وأجَلَّ قدراً من أن يفعلا ذلك)[1].

بل إن معاوية ﷺ صرَّح بذلك على الملأ، فقد جاءه أبو مسلم الخَوْلاني وناس معه فقالوا له: (أنت تنازع عليّاً في الخلافة؛ أَوَ أنت مثلُه؟ قال: لا، وإني لأعلمُ أنه أفضلُ منِّي وأحقُّ بالأمر، ولكن ألستُم تعلمون أن عثمان قُتل مظلوماً، وأنا ابن عمِّه ووليُّه أطلبُ بدمِه؟!)[2].

وفي هذا الباب زلَّتْ أقلام ووقعت في الخطايا والآثام؛ فاتهمت الصحابة الذين خالفوا عليّاً (من أصحاب الجمل وأهل الشام): بأنهم أعداؤه، وطامعون في الخلافة، ومتمردون، وتجمعٌ قرشي ضد الأنصار الذين تحزبوا لعليٍّ ونالوا في عهده مناصبَ في الدولة بعد أن حُرموا منها في العهود السابقة، وأنهم يفكرون بالخلافة قبل التفكير بمقتل عثمان ويخططون لانتزاعها من علي، وأن قرار الحرب ضده كان مقرراً منذ بداية الخلاف معه... إلى آخر هذه الاتهامات التي يبوء مفتريها بالخزي والإثم!.

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٣/٧١٢ـ٧١٣، باختصار، وانظر: ٣/٧٥، ١٥٢، ٧١٤ـ٧١٦؛ ومجموع الفتاوى: ٣٥/٧٢ـ٧٣.

(٢) الفتح: ١٦/٤١٦ (٧١٢١) وقال الحافظ: سنده جيد؛ وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٣/١٤٠.



ثانياً: خطورة مقتل عثمان، واختلاف الصحابة في وقت وطريقة القصاص من قتلته:

ترك مقتل الشهيد عثمان بن عفان خروقاً غائرة في جسم الخلافة، وقذف بمجموع الأمة في خِضمّ التنازع الذي ما عُوفيت منه إلا بعد رَدَح من الزمان، عندما تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الخلافة لمعاوية عام الجماعة سنة (٤١هـ).

ووقف المسلمون آنذاك من (مسألة القصاص من قتلة عثمان) مواقف متباينة، ولم يكن خلافهم في أصل المسألة فالجميع متفقون على وجوب القصاص، لكنهم اختلفوا في الطريقة التي تُعالَج بها هذه القضية الخطيرة، وفي توقيتها متى يكون؟.

فالخليفة علي يرى التمهلَ في إنفاذ القصاص، وإرجاءَ إقامة الحدِّ على القتلة حتى تستقر أمور الدولة، وتهدأ أوضاع الناس، وتضمحل قوة القتلة ومَن وراءهم، وتجتمع كلمة الأمة.

وفريق آخر رأى وجوبَ الإسراع بالقصاص وعدمَ تأخير إقامة حدود الله، ويمثل هؤلاء طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة ومن معهم من (أهل الجمل)، ومعاوية في (أهل الشام).

وتمسَّك كل فريق برأيه، فخرج طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، ورفض معاوية بيعة علي حتى يقيم حدّ القصاص، وأصرَّ علي على إدخال الجميع في طاعته، وتطورت الأحداث إلى مواجهات دامية، وانقسم المسلمون حيال تلك الفتنة ثلاث فِرق.

يقول ابن تيمية: (إن الناس كانوا في زمن عليٍّ على ثلاثة أصناف: صنف قاتلوا معه، وصنف قاتلوه، وصنف لا قاتلوه ولا قاتلوا معه)[1].

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٤٢/٣، وانظر: ١١٣/٣؛ والإصابة: ٥٠١/٢ـ٥٠٢.

وقال النَّووي: (وأمـا الحروب التي جـرت فكانت لكل طائفة شـبهة، اعتقدت تصويبَ أنفسـها بسـببها، وكلهم عدول رضي الله عنهم ومتأوِّلون في حروبهم وغيرها، ولم يُخرج شـيء من ذلك أحداً منهم عن العدالة، لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسـائل من محل الاجتهاد، كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها، ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم. واعلَمْ أن سببَ تلك الحروب أن القضايا كانت مشـتبهة، فلشدَّة اشتباهها اختلف اجتهادهم، وصاروا ثلاثة أقسام...)[1] فذكر مثل قول ابن تيمية لكن بأطول منه.

ثالثاً: اقتتالُ الصحابة لـم يكن على الدنيا، وعذرُهم في اجتهادهم، ووجوبُ منع الطعن عليهم:

اقتتال المسلمين أمر منكر قد حذر الله تعالى ورسوله ﷺ منه، لكنه ليس مسـتحيلاً بل ممكن الوقوع، ودليـل ذلك قوله تعالـى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩].

قال أبو بكر ابن العربي: هذه الآية أصلٌ في قتال المسلمين، والعمدة في حرب المتأولين، وعليها عوَّل الصحابة، وإليها لجأ الأعيان من أهل الملَّة[2].

عن الأحنف بن قيس قال: (ذهبتُ لأنصرَ هذا الرجـلَ، فلَقِيَني أبو بَكْرة فقال: أيـن تريـدُ؟ قلتُ: أنصـرُ هذا الرجـلَ، قـال: ارجعْ، فإني سـمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتلُ والمقتولُ في النار**» فقلت: يا رسول الله، هذا القاتلُ، فما بالُ المقتولِ؟ قال: «**إنه كان حريصاً على قتلِ صاحبه**»).

(١) شرح صحيح مسلم: ١٦٦/٨، صَدْر كتاب فضائل الصحابة.
(٢) تفسير القرطبي: ٢٦٩/١٦.

وفي رواية: قال الأحنف: (أريدُ نُصْرَةَ ابنِ عَمِّ رسول الله ﷺ)[١]. يعني علي بن أبي طالب.

نقول: هذا الحديث ونظائره قد تأوَّله جمهور الصحابة والتابعين الذين قالوا بوجوب نصر الحق وقتال الباغي؛ بحملِ الوعيد المذكور في الحديث على مَن قاتل بغير تأويل سائغ، بل بمجرد عداوة دنيوية، أو عصبية، أو طلب استعلاء[٢].

قال النووي: (واعلَمْ أن الدماء التي جرت بين الصحابة ﷺ ليست بداخلة في هذا الوعيد، ومذهب أهل السُّنَّة والحق: إحسانُ الظن بهم، والإمساك عما شجر بينهم، وتأويل قتالهم، وأنهم مجتهدون متأوِّلون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا، بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفه باغٍ، فوجَبَ عليه قتالُه ليرجع إلى أمر الله، وكان بعضهم مصيباً وبعضهم مخطئاً معذوراً في الخطأ، لأنه باجتهاد، والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه)[٣].

وحديث: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**» وما في معناه، هو حجة مَن ترك القتال في الفتنة.

قال الحافظ: (واحتجَّ به من لم يرَ القتال في الفتنة، وهم كل مَنْ ترك القتال مع علي في حروبه، كسعد بن أبي وقّاص وعبد الله بن عُمر ومحمد بن مَسْلَمة وأبي بَكْرة وغيرهم، وقالوا: يجب الكَفُّ، حتى لو أراد أحدٌ قَتْلَه لم يدفَعْه عن نفسه. ومنهم من قال: لا يدخل في الفتنة، فإن أراد أحدٌ قتْلَه دَفَع

---

(١) أخرجه البخاري (٣١) وأطرافه؛ ومسلم (٢٨٨٨)؛ وأبو داود (٤٢٦٨)، وغيرهم.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي: ٢٣٩/٩؛ الفتح: ١٨٠/١ـ١٨١ (٣١)، ٣٣٥/١٦ـ٣٣٦ (٧٠٨٣).

(٣) شرح صحيح مسلم: ٢٣٩/٩؛ تكملة فتح الملهم: ١٤١/٦. وانظر: تفسير القرطبي: ٢٦٨/١٦ـ٢٧٣؛ منهاج السُّنَّة: ١١٤/٣، ١١٦ ـ ١١٧، ١١٩.

عن نفســه. وذهب جمهور الصحابة والتابعين إلى وجوب نَصْر الحق وقتالِ الباغين، وحَمَل هؤلاء الأحاديث الواردة في ذلك على من ضَعُف عن القتال، أو قَصر نظرُه عن معرفة صاحب الحق.

واتفق أهلُ السُّــنَّة على وجوب مَنْعِ الطعنِ على أحدٍ من الصحابة بسبب ما وقع لهم مــن ذلك ولو عُــرف المُحِقّ منهــم، لأنهم لم يقاتِلــوا في تلك الحروب إلا عن اجتهــاد، وقد عفا الله تعالى عن المخطــئ في الاجتهاد، بل ثبت أنه يُؤجر أجراً واحداً، وأن المصيب يؤجَر أجرين، وحَمَل هؤلاء الوعيدَ المذكور في الحديث على مَن قاتل بغير تأويل سائغ بل بمجرد طلب المُلك. ولا يرد على ذلك منْعُ أبي بَكْرة الأحنفَ مــن القتال مع علي، لأن ذلك وقع عن اجتهاد من أبي بَكْرة أداه إلى الامتناع والمَنْع احتياطاً لنفسه ولمن نصحه.

قال الطبري: لو كان الواجبُ في كل اختلاف يقع بين المســلمين الهربَ منه بلزوم المنازل وكَسْر السيوف؛ لَمَا أُقيم حَدٌّ، ولا أُبْطِل باطلٌ، ولوَجَد أهلُ الفسوق سبيلاً إلى ارتكاب المحرمات من أخذ الأموال وسَفْك الدماء وسَبْي الحريم، بأن يحاربوهم، ويكُفَّ المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا: هذه فتنة، وقد نُهينا عن القتال فيها! وهذا مخالفٌ للأمر بالأخذ على أيدي السفهاء.

وقد أخرج البزار في حديث «**القاتل والمقتول في النار**» زيادةً تبين المرادَ وهي: «**إذا اقتتلتم على الدنيا فالقاتل والمقتول فــي النار**». ويؤيده ما أخرجه مسلم بلفظ: «**لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس زمان لا يدري القاتل فيم قَتَل ولا المقتــولُ فيم قُتِل**» فقيل: كيــف يكون ذلك؟ قال: «**الهَــرْجُ، القاتل والمقتول في النار**».

قال القرطبي: فبيَّن هذا الحديث أن القتــال إذا كان على جهل من طلب الدنيا أو اتباع هوى؛ فهو الذي أُريد بقوله: «**القاتل والمقتول في النار**».

قلت[١]: من ثَمَّ كان الذين توقفوا عن القتال في الجمل وصفِّين أقلَّ عدداً من الذيـــن قاتلوا، وكلهم متأوِّلٌ مأجورٌ إن شـــاء الله، بخلاف من جاء بعدهم ممن قاتل على طلب الدنيا)[٢].

وذكر النووي مثلَه، وأن معظمَ الصحابة والتابعين وعامة علماء الإســلام على أنه يجب نصر المُحِقِّ في الفتن، وقال: (وهذا هو الصحيح)[٣].

١ ـ القتال قتال فتنة، وكان باجتهاد، وتركه أولى[٤]:

●● قتال أمير المؤمنين علي لأصحاب الجمل وأهل الشـــام لم يكن فيه وصية ولا عهد نبوي ولا أمر به، بل هو باجتهاد من علي، وقد ثبت ذلك عنه وقاله لتلاميذه في دار إمارته.

عن قيس بن عُبَاد قال: (قلتُ لعليٍّ: أرأيتَ مسيرَك هذا، عهدٌ عَهِده إليك رســـول الله ﷺ أم رأيٌ رأيتَه؟ قال: ما تريدُ إلى هذا؟ قلـــتُ: ديننا، ديننا! قال: ما عَهِدَ إليَّ رسول الله ﷺ فيه شيئاً، ولكن رأي رأيتُه)[٥].

وجاء مثله عن قيس بن عُبَاد عن عمار بن ياسر[٦].

ووصفه عليٌّ نفسُـــه بأنه قتالُ فتنة، وكان يســـتغفر الله منه، فعن عبد خير وغيره قال: قال علي لمَّا فرَغ من أهل البصرة: (إنَّ خيرَ هذه الأمة بعد نبيها ﷺ أبو بكر، وبعد أبي بكر عمر، وأحدَثْنا أحداثاً يصنع الله فيها ما شاء).

---

(١) القائل هو الحافظ ابن حجر.

(٢) الفتح: ٣٣٦/١٦، شرح الحديث (٧٠٨٣).

(٣) شرح صحيح مسلم: ٢٣٧/٩ (٢٨٨٧).

(٤) انظر: منهاج السُّنَّة: ٩٦/٤.

(٥) أخرجه أبو داود (٤٦٦٦)؛ وعبدالله بن أحمد في زوائد المســـند (١٢٧٠)، وصحَّحه أحمد شاكر وشعيب الأرنؤوط.

(٦) انظر: صحيح مسلم (٢٧٧٩).

وفي رواية: (ثم خَبطَتْنا ـ أو: أصابتْنا ـ فتنةٌ، يعفو الله عمن يشاء)[١].

●● وجاء مثلُ ذلك من الفريق الآخر المخالف لأمير المؤمنين علي في الاجتهاد، فعن مطرِّف بن عبد الله قال: (قلنا للزبير: يا أبا عبد الله، ما جاء بكم؟! ضيَّعْتُم الخليفةَ حتى قُتل، ثم جئتم تطلبون بدمِه! قال الزبير: إنَّا قرأناها على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] ثم لم نكن نَحْسِب أنَّا أهلُها، حتى وقعَتْ منَّا حيثُ وقعَتْ!)[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والقتال يوم الجمل وصفِّين فيه نزاع: هل هو من باب قتال البُغاة المأمور به في القرآن، أو هو قتال فتنة القاعدُ فيه خير من القائم؟ فالقاعدون من الصحابة وجمهورُ أهل الحديث والسُّنَّة وأئمةُ الفقهاء بعدهم يقولون: هو قتال فتنة، ليس هو قتال البغاة المأمور به في القرآن، فإن الله لم يأمر بقتال المؤمنين البغاة ابتداءً لمجرد بَغْيِهم، بل إنما أمر إذا اقتتل المؤمنون بالإصلاح بينهم)[٣].

وقال أيضاً: (والنصوص الثابتة عن النبي ﷺ تقتضي أن تَرْكَ القتال كان خيراً للطائفتين، وأن القعود عن القتال كان خيراً من القيام فيه، وأن عليّاً مع كونه أَوْلَى بالحق من معاوية وأقربَ إلى الحق منه؛ لو تَرَكَ القتال لكان أفضل وأصلح وخيراً)[٤].

وقال في موضع آخر: (إن عليّاً مع كونه كان خليفة وهو أقرب إلى الحق من معاوية، فكان ترك القتال أَوْلى، وينبغي الإمساك عن القتال لهؤلاء، فإن

---

(١) مسند أحمد (٨٩٥، ١٠٣١)، وكرره في مواضع، وصحَّحها أحمد شاكر.

(٢) أخرجه أحمد (١٤١٤، ١٤٣٨)؛ والنسائي في الكبرى (١١١٤٢)، وصحَّحه أحمد شاكر.

(٣) منهاج السُّنَّة: ١٤٥/٣.

(٤) المرجع السابق: ٧٩/٣، وانظر: ٩١/٣ـ٩٣، ٥٤٦ـ٥٤٧، ٥٨٥.

النبي ﷺ قال: «**ستكون فتنة القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ فيها خيرٌ من الساعي**». وقد ثبت عنه ﷺ: أنه قال عن الحسن: «**إن ابني هذا سيد، وسيُصلِح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**». فأثنى على الحسن بالإصلاح، ولو كان القتال واجباً أو مستحبّاً لَمَا مَدَح تاركه... ولهذا لم يحصل بالقتال مصلحة، والأمر الذي يأمر الله به لا بدّ أن تكون مصلحتُه راجحة على مفسدته)[1].

٢ ـ الفئتان المقتتلتان مسلمتان، والصحابة مغفور لهم في اقتتالهم، وأهل السُّنَّة يترضون على الصحابة في الطرفين:

الصحابة الذين قاتلوا عليّاً: إما أن يكونوا عصاة، أو مجتهدين مخطئين، أو مصيبين، وعلى كل تقدير فهذا لا يقدح في إيمانهم ولا يَمنعهم الجنة؛ فإن الله تعالى قال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩ ـ ١٠].

فسمَّاهم إخوة ووَصَفَهم بأنهم مؤمنون، مع وجود الاقتتال بينهم، والبغي من بعضهم على بعض.

فمن قاتل عليّاً: فإنْ كان باغياً فليس ذلك بمخرجه من الإيمان، ولا بموجب له النيران، ولا مانع له من الجنان، فإن البغي إذا كان بتأويل كان صاحبه مجتهداً.

ولهذا اتفق أهل السُّنَّة على أنه لا تُفسَّق واحدة من الطائفتين، وإن قالوا في إحداهما: إنهم كانوا بُغاة، لأنهم كانوا متأولين مجتهدين، والمجتهد

---

(١) منهاج السُّنَّة: ١/٣٣٤ـ٣٣٥. وانظر: ٣/١٢٢.

المخطئ لا يَكْفُر ولا يَفسق، وإنْ تعمَّد البغيَ فهو ذنبٌ من الذنوب، والذنوب يُرفع عقابها بأسـباب متعـددة كالتوبة، والحسـنات الماحيـة، والمصائب المكفِّرة، وشفاعة النبي ﷺ، ودعاء المؤمنين، وغير ذلك(١).

وأهل السُّنَّة يترحمون على الجميع ويستغفرون لهم، كما أمرهم الله تعالى بقولـه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠](٢).

٣ ـ من هو المصيب في هذا القتال؟:

قال ابن تيمية: (جماهير أهل السُّـنَّة متفقون على أن عليّاً أفضلُ من طلحة والزبير، فضلاً عن معاوية وغيره، ويقولون: إن المسلمين لمَّا افترقوا في خلافته فطائفةٌ قاتلَتْه وطائفة قاتلت معه، كان هو وأصحابه أَوْلَى الطائفتين بالحق، كما ثبت في «الصحيحين»: عن النبـي ﷺ أنه قال: «**تمرُق مارِقةٌ على حين فُرقة من المسلمين، يَقتلُهم أَوْلَى الطائفتين بالحق**» فهؤلاء هم الخوارج المارقون الذين مَرَقـوا فقَتلَهم عليٌ وأصحابـه، فعُلِم أنهم كانوا أَوْلـى بالحق من معاوية ﷺ وأصحابه. لكن أهل السُّنَّة يتكلمون بعلم وعدل، ويعطون كل ذي حق حقه)(٣).

وفي رواية لحديث الخوارج: «**يَقتُلُهم أقربُ الطائفتين إلى الحق**».

قال ابـن تيمية: (وفي الحديث دليـل على أنه مـع كل طائفة حق، وأن عليّاً ﷺ أقربُ إلى الحق)(٤).

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٨٢/٣.

(٢) انظر: الإمامة، لأبـي نعيم، ص ٣٧٣؛ الاسـتيعاب: ٥٥/٣؛ منهاج السُـنَّة: ٧٩/٣، ١٠١؛ البداية والنهاية: ٢٤٧/٧.

(٣) منهـاج السُّنَّـة: ٦١/٣، وانظـر: ٧٥/٣، ٩٦/٤ـ٩٧؛ مجمـوع الفتـاوى: ٥١/٣٥.

(٤) مجموع الفتاوى: ٤٠٧/٣.



فهناك قريب من الحق وأقرب إليه، وقد أثبت الحديث قرب أهل الشام من الحق[١].

رابعاً: شرف الخلاف والقتال بين الرجال الذين تربوا على هدي النبوة:

١ ـ حقائق عامة:

•• إننا نعني فيما نكتبه هنا وقبله وبعده: الصحابة، والصالحين ممن سار على هديهم، وننفي ذلك عن الخبث الذي اندسَّ في صفوف الفريقين من قتلة عثمان وأتباعهم وأنصارهم؛ أولئك الذين كلما رأوا أمارات الإصلاح قدحوا زناد الفتنة وأشعلوا نار القتال، وكانوا مساعير الشر والفساد والإفساد على الدوام.

•• معادن الناس تظهر على حقيقتها عند الابتلاء والاختبار، فخيارُهم خيارُهم في الرخاء والشدة، وشرارُهم شرارُهم في السرّاء والضرّاء! وسنوات المحن والابتلاء التي عاشها الصحابة ﷺ طيلة عصر الرسالة كانت كافية لتمحيص ما في قلوبهم وأنفسهم، حتى إذا أَسلَمَتْهم الأقدار إلى (فتنة الاقتتال)؛ برز معدنُهم الأصيل الذي لا تزلزله المحن العاتية!.

•• ولقد حفظ التاريخ الصادق لأصحاب نبينا ﷺ أشرفَ الأخلاق وأنبلَ المروءات وأكرم المعاملات في ميادين القتال والجهاد مع الأعداء! وقد ذكرنا أمثلة ذلك من هدي أمير المؤمنين علي وهو يتعفف عن استلاب درع أحد المشركين عندما استقبله بعورته، فتركه وعَطفَتْه عليه الرحم! فمن باب أَوْلى أن يبقى الصحابة على مثل هذه السيرة في (قتال الفتنة) فيما بينهم، وفي قتال اجتهادي لا نص فيه ولا ملزِم له بل تركُه أولى.

(١) كتابي: نبوءات الرسول ﷺ: ١٠٦/٢، وانظر: ٩٦/٢.

٢ ـ من مواقف علي وكلماته:

•• عن عبد خير قال: (سُئل عليٌّ عن أهل الجمل، فقال: إخوانُنا بَغَوا علينا فقاتلناهم، وقد فاؤوا وقد قَبِلنا منهم)(١).

وروى الطبري مطوّلاً عن علي: أنه قال مخاطباً أهل الكوفة: (وقد دعوتُكم لتشهدوا معنا إخوانَنا من أهل البصرة، فإنْ يرجِعوا فذاك ما نريد، وإن يَلجُّوا داويناهم بالرفق)(٢).

وروى الزهري، عن عبد الله بن صفوان قال: (قال رجل يوم صفِّين: اللَّهمَّ العَنْ أهلَ الشام! فقال علي: لا تسبَّ أهلَ الشام جَمّاً غَفيراً؛ فإن بها الأبدالَ، فإن بها الأبدال، فإن بها الأبدال)(٣).

بل في «نهج البلاغة» أن عليّاً نهى قوماً سمعهم يَسبُّون أهلَ الشام فقال: (إني أكرَهُ لكم أن تكونوا سبَّابِين)، وأَمرَهُم أن يقولوا: (اللَّهمَّ احْقِنْ دماءَنا ودماءَهم، وأصلِحْ ذات بيننا وبينهم)(٤).

•• وقد حزِن أعمقَ الحزن على استشهاد أخويه طلحة والزبير، وعبَّر عن ذلك بمواقف متنوعة، فعن زِرّ بن حُبَيْش قال: (استأذَنَ ابن جُرموز على عليٍّ وأنا عنده فقال عليٌّ: بَشِّرْ قاتلَ ابن صفية بالنار. ثم قال علي: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إن لكل نبيٍّ حواريّاً، وحواريّ الزبير**»)(٥).

---

(١) سنن البيهقي: ١٨٢/٨؛ وبنحوه عند ابن أبي شيبة: ٧٠٧/٨.
(٢) تاريخ الطبري: ٤٨٧/٤، وتعتضد مع ما سبقها إلى درجة الحسن.
(٣) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٤٥٥)، وسنده صحيح؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٦٩.
(٤) شرح نهج البلاغة: ١٨/٦، وقد انحرف ابن أبي الحديد في تفسيره!.
(٥) أخرجه أحمد (٦٨١)؛ والحاكم: ٣٦٧/٣ وصحَّحه، ووافقه الذهبي.

•• وهذا ما تحقــق فعلُه منهم، ووجــودُه في روايات التاريخ الســليمة المســتقيمة، حيــث هيمنت أخــلاق نبلاء الرجــال على وقائــع القتال بين المتحاربين من الصحابة في الفريقيــن جميعاً. وجاءت عنهم روايات وأقوال ومواقف تؤكد ديمومةَ منهجهم وثباتَ مسيرتهم على ما تربوا عليه في أقسى الظروف وأفدح الابتلاءات. واســتمرت بينهم وشــائج الأخوة ولم تضعفها الفتن والقتال الذي أُلجِئوا إليه ولم يقصدوه ولا تمنوه.

•• ولم تكن بين الجيشين أحقاد، بل كل طرف ينافح عما يعتقده حقّاً، فلا غرابة إذا قال شاهد عيان هو أبو عبدالرحمن السُّلَمي: (شهدنا صفّين مع علي... فكنّا إذا توادَعْنا دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء، وهؤلاء في عسكر هؤلاء)[١].

وبعد الفراغ من وقعة الجمل بايع الناسُ أميرَ المؤمنين، ومنهم موسى بن طلحة بن عبيد الله ومروان بن الحَكَم والأسرى وأهل الجمل.

يروي سوَّار الكِنْدي، عن موســى بن طلحة قال: (انطلقتُ فدخلت على أمير المؤمنين فسلَّمتُ، فقال: أتبايعُ، تدخلُ فيما دخل فيه الناس؟ قلت: نعم، قال هكذا؛ ومدَّ يده فبَســطها، قال: فبايعتُه. ثم قال: ارجِعْ إلى أهلك ومالِك. قال: فلما رأى الناس قد خرجت، جعلوا يدخلون فيبايعون)[٢].

وكذلك دخل مروان بن الحكم على أمير المؤمنين علي وبايعه[٣].

وعن زين العابدين علي بن الحسين بن علي قال: (دخلتُ على مروان بن الحكَم فقــال: ما رأيتُ أحداً أكرمَ غلبةً من أبيك ـ يعنــي عليّاً ـ ما هو إلا أن وَلَّينا يومَ الجمل، فنادى مناديه: لا يُقتلُ مُدْبِر، ولا يُذَفَّفُ على جريح)[٤].

---

(١) مجمع الزوائد: ٧/٢٤٠ـ٢٤١؛ البداية والنهاية: ٧/٢٧٠، ورجاله ثقات.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٨/٧١٦.

(٣) سنن سعيد بن منصور: ٢/٣٣٧، بسند حسن.

(٤) سنن البيهقي: ٨/١٨١؛ وذكره الحافظ في الفتح: ١٦/٣٧٣ (٧١٠٠).

وزار عمران بن طلحة عليّاً، فرحَّب به وقال: (إني لأرجو أن يجعلَني الله وأباك من الذين قال الله: ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧])[١].

•• وعن يزيد الأَصمّ قال: (سُـئل علي عن قتلى يوم صفِّين، فقال: قتلانا وقتلاهم في الجنة، ويصير الأمر إليَّ وإلى معاوية)[٢].

ويقول الصحابي سالم بن عبيد الأشجعي: (رأيتُ عليّاً بعد صفِّين، وهو آخذٌ بيدي، ونحن نمشــي في القتلى، فجعل علي يستغفرُ لهم حتى بَلَغ أهلَ الشــام، فقلت له: يا أمير المؤمنين، إنا في أصحــاب معاوية! فقال عليٌّ: إنما الحسابُ علَيَّ وعلى معاوية)[٣].

٣ ـ أقوال ومواقف أكابر الصحابة الذين خالفوا عليّاً:

ـ قالت أم المؤمنين عائشــة: (ننهض في الإصلاح ممن أمرَ الله عز وجل وأمر رســولُ الله ﷺ: الصغير والكبير والذكــر والأنثى، فهذا شــأننا إلى معروف نأمرُكم به ونحضُّكم عليه، ومنكرٍ ننهاكم عنه ونحثُّكم على تغييره)[٤].

وكانت تترحم على قتلى الطرفين ـ يوم الجمل ـ إذا ذُكروا، وقد ترحَّمتْ على طلحــة والزبير وزيد بن صُوحان ـ وهذا كان مــع عليٍّ ـ فقال خالد بن الواشــمة[٥]: يرحمــك الله، تترحمين عليهم وقــد قتل بعضُهــم بعضاً؟ والله لا يَجمعُهم الله فــي الجنة أبداً! قالَت: أَوَ لا تدري أن رحمة الله واســعة وهو على كل شيء قديرٍ؟! فقال خالد: فكانت أفضَلَ مني[٦].

---

(١) أخرجه ابن سعد: ٢٢٤/٣؛ والحاكم: ٣٧٦/٣ـ٣٧٧ وصحَّحه، ووافقه الذهبي.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٧٢٩/٧؛ سنن سعيد بن منصور: ٣٤٤/٢ـ٣٤٥، وسنده حسن.

(٣) عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٧٢. وانظر: مصنف ابن أبي شيبة: ٧٢٥/٨.

(٤) تاريخ الطبري: ٤٦٢/٤؛ وانظر: منهاج السُّنَّة: ٣٦/٣.

(٥) تابعي يروي عن عائشة.

(٦) سنن البيهقي: ١٧٤/٨، وسنده حسن؛ عصر الخلافة الراشدة، ص٤٥٩.

ـ وقبل وقعة الجمل أرسل أميرُ المؤمنين علي عبدَ الله بن عباس إلى طلحة والزبير يسألهما: هل أحدث عليٌّ ما يوجِب السخطَ على خلافته، قال ابن عباس: (فقلتُ لهما: إن أخاكما يُقرئكما السلام ويقول لكما: هل وجدتُما علَيَّ حَيْفاً في حُكْم أو استئثاراً بفَيءٍ، أو بكذا أو بكذا؟ فقال الزبير: ولا في واحد منها)[١].

ـ ومعاوية وهو في انشـــغاله بوقعة صفِّين، بَلَغه أن ملك الروم طمع فيه وجاء بجنود عظيمة، فأرسل معاويةُ إليه يهدِّده قائلاً: والله لئن لم تنتهِ وترجِع إلى بلادك يا لعين، لأَصطلحـــنَّ أنا وابنُ عمي عليك، ولأخرجنَّكَ من جميع بلادك، ولأضيقنَّ عليـــك الأرضَ بما رَحُبت! فعند ذلك خـــاف ملك الروم وانكَفَّ، وبعث يطلب الهدنة[٢]!.

٤ ـ صحابة أجلاء آخرون ومواقفهم في الفتنة والقتال:

ـ كان أبو موسى الأشعري وأبو مســـعود البدري يريان الكف عن القتال في الفتنة، وقد اعتزلا الفريقين، وكان عمار بن ياســـر مـــع علي في حروبه، وعندما بعثه علي يستنفر أهلَ الكوفة لِلَّحاق به في البصرة، كانت هذه الواقعة:

يقول أبو وائل شَقيق بن سَلَمة: (دخل أبو موسى وأبو مسعود على عمار حيثُ بعثه عليٌّ إلى أهل الكوفة يســـتنفرُهم، فقالا: ما رأيناك أتيتَ أمراً أكرَهَ عندنا من إســـراعك في هذا الأمر منذُ أســـلمتَ! فقال عمار: ما رأيتُ منكما منذ أسلمتما أمراً أكرَهَ عندي من إبطائكما عن هذا الأمر!). (فقال أبومسعود ـ وكان موســـراً ـ: يا غلام، هاتِ حُلَّتَيْن، فأعطَى إحداهما أبا موسى والأخرى عماراً، وقال: روحا فيه إلى الجمعة)[٣].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٧١٢/٨؛ فضائل الصحابة، لأحمد: ٥٩٦/٢، بسند حسن.

(٢) البداية والنهاية: ١١٩/٨.

(٣) أخرجه البخاري (٧١٠٢ـ٧١٠٧).

فانظر إلى هَدْي هؤلاء الصحابة الأجلَّاء وأخلاقِهم الرفيعة ونُبلِهم وصفاءِ قلوبهم ومحضِ نصحهم وإخلاصهم، مع اختلافهم في (قضية خطيرة جدّاً) وتقاولِهم فيها، يقوم أحدهم بكسوة الآخرَيْن حُلتين جديدتين، ثم يدخلون جميعاً المسجد ويشهدون الجمعة!.

ـ وعمار بن ياسر كان صادقَ اللهجة، وكان لا تستخفُّه الخصومة إلى أن يَنتقص خصمه، فإنه شهِدَ لأم المؤمنين عائشة بالفضل التام مع ما بينهما من الحرب[1]. فعندما ذهب إلى الكوفة ليستنفرَ النـاسَ، صعِد المنبر وقال: (إن عائشة قد سارت إلى البصرة، والله إنها لزوجةُ نبيِّكم ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكنَّ الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليعلمَ إياه تطيعون أم هي). وفي رواية ابن أبي شيبة: (إن أُمَّنا سارت مسيرها هذا)[2].

وعن عَمْرو بن غالب: (أن رجلاً نالَ من عائشة عند عمار بن ياسر، فقال: اغْرُبْ مَقْبوحاً مَنْبوحاً، أَتؤذِي حبيبةَ رسول الله ﷺ ؟!)[3].

ـ ولمَّا عَلِم أمير المؤمنين عليٌّ أن رجلين نالا من أم المؤمنين عائشة بعد وقعة الجمل، فقال أحدُهما: (جُزِيتِ عنَّا أُمَّنا عُقوقاً)، وقال الآخر: (يا أُمَّنا توبي فقد خَطِيتِ!) بعث عليٌّ القعقاعَ بن عَمْرو فجاء بهما، فقال علي: أضربُ أعناقهما؟! ثم قال: لأُنهِكَنَّهما عقوبةً، فضربَهما مئةً مئةً، وأخرجَهما من ثيابهما[4]!.

فانظر إلى مواقف أولئك السادة النبلاء وأخلاقهم في الفتن الحالكة، وقِفْ طويلاً عند موقف علي من ذَيْنك الرجُلَيْن اللذين قالا ما قالا في زوجة

(١) الفتح: ٣٧٥/١٦ (٧١٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٠٠)؛ والترمذي (٤٢٢٧)؛ وابن أبي شيبة: ٧١٠/٨.

(٣) أخرجه الترمذي (٤٢٢٦)؛ والحاكم: ٣٩٣/٣، وصححاه، وصحَّحه شعيب الأرنؤوط.

(٤) تاريخ الطبري: ٥٤٠/٤؛ البداية والنهاية: ٢٤٦/٧.

نبينا ﷺ، ثـم ارجع النظر فـي ما يجترحه الرافضة قديمـاً وحديثاً من اتهام السيدة الجليلة المبرأة بالفاحشة، فماذا يكون موقف أمير المؤمنين علي ممن يدَّعون كذباً أنهم من أتباعه والمنتسبين إليه؟!.

خامساً: أعداد الصحابة الذين شاركوا في (قتال الفتنة):

•• عن عامر الشـعبي قال: (بالله الذي لا إله إلا هـو ما نهض في تلك الفتنة إلا ستة بدريين ما لهم سابع، أو سبعة ما لهم ثامن)(١).

وعن الشعبي قال: (لم يشهد الجملَ من أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار إلا علي وعمار وطلحة والزبير، فإن جاؤوا بخامس فأنا كذاب!)(٢).

وعن محمد بن سيرين قال: (هاجت الفتنة وأصحابُ رسول الله ﷺ عشرة آلاف، فما خَفَّ فيها منهم مئة بل لم يبلغوا ثلاثين)(٣).

قلتُ: إسـناده إلى ابن سيرين صحيح، لكنه مرسَـل؛ فابنُ سيرين عندما هاجت الفتنة كان ابنَ أربع سنين!.

وأما قول الشعبي بأنه لم يشـهد الفتنة إلا سبعة أو ثمانية من المهاجرين والأنصار؛ فهو مبالغةٌ شديدة غير مقبولة تخالِف الواقعَ المشهودَ كما سيأتي عند تفصيل القول فـي تلك الحروب، وقد انتقد الذهبـي ذلك فقال: (وكان الشعبي يبالغ ويقول...) فذكر قوله(٤).

•• وقد عارض هذين الخبرين ما هو أقوى منهما وأكثر وأصح:

---

(١) تاريخ الطبري: ٤٤٧/٤.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٧١٠/٨؛ وبنحوه في تاريخ خليفة، ص ١٨٦؛ وتاريخ المدينة، لابن شبة: ٢٨١/١؛ ونقله ابن تيمية في منهاج السُّنَّة: ٦٥٨/٣.

(٣) علل أحمد برواية عبد الله (٤٧٨٧)؛ منهاج السُّنَّة: ٦٥٨/٣؛ البداية والنهاية: ٢٥٣/٧.

(٤) تاريخ الإسلام «عهد الخلفاء الراشدين»، ص ٤٨٤.

ـ عن سعيد بن جُبير قال: (كان مع عليٍّ يوم الجمل ثمانُ مئة من الأنصار وأربعُ مئة ممن شهد بيعة الرضوان)(١).

وهو مرسَل سنده صحيح.

ـ وروى المطلب بن زياد، عن السُّدِّي قال: (شهِد مع عليٍّ يوم الجمل مئةٌ وثلاثون بدريّاً، وسبعُ مئة من أصحاب النبي ﷺ)(٢).

وهذا مرسَل أيضاً يعتضد مع سابقه، ويقوِّيهما الخبرُ المتصل الصحيح التالي:

ـ عن عبدالرحمن بن أَبْزَى قال: (شهِدْنا مع عليٍّ ثمانُ مئة ممن بايع بيعةَ الرضوان، قُتل منا ثلاثة وستون منهم عمار بن ياسر)(٣).

وسنده صحيح، وعبدالرحمن صحابي شهد الوقعة، فكلامه فصلٌ في المسألة.

وقد ذكر خليفة بن خياط والذهبي وغيرهما جمهرةً من مشاهير الصحابة الذين شهدوا وقعة صفين مع علي ومعاوية، رضي الله عنهم جميعاً(٤).

ـ وقدَّمنا كلامَ الإمام الطبري في المسألة وقتال الفتنة، وما قرره الإمام النووي من أن معظم الصحابة والتابعين وعامة علماء الإسلام على أنه يجب نصر المُحِق في الفتن. وأيَّده الحافظ فقال: (ومن ثَمَّ كان الذين توقفوا عن القتال في الجمل وصفِّين أقلَّ عدداً من الذين قاتلوا)(٥).

ـ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأكثر أكابر الصحابة لم يقاتلوا، لا من

(١) تاريخ خليفة، ص ١٨٤؛ تاريخ الإسلام، «عهد الخلفاء الراشدين» ص٤٨٤.
(٢) تاريخ الإسلام، الموضع نفسه.
(٣) تاريخ خليفة، ص ١٩٦؛ تاريخ الإسلام، ص ٥٤٥.
(٤) تاريخ خليفة، ص ١٩٤ـ١٩٦؛ تاريخ الإسلام «عهد الخلفاء الراشدين»، ص ٥٤٤ـ٥٤٧.
(٥) تقدم: ص٤٥٦ ـ ٤٥٧ حاشية (٢، ٣) في هذا الكتاب.

هذا الجانب ولا من هـذا الجانب). وقال في موضع آخر: (وأكثر السـابقين الأولين اعتزلوا القتال)[١].

●● وقد فهم بعض المعاصرين[٢] كلامَ ابـن تيمية على غير وجهه، فظنَّ أنه يرى أن (أكثر الصحابة) لم يشـتركوا في القتال، وفرق كبير بين قول ابن تيمية: (أكثر أكابر الصحابة) و(أكثر السابقين الأولين)، وبين قول غيره: (أكثر الصحابة).

وحاول هـذا البعض أن يردَّ على النـووي وابن حجـر قولَهما، واحتجَّ بمرسَل ابن سيرين، ولم يذكر أو لم يقف على خبر الصحابي ابن أبزى وقد شهد الوقعة، وهو نصٌّ في محل النزاع.

ومن عجب أن الدكتور حامد الخليفة يقول عن رواة (مرسـل سعيد بن جبير): إن ميولهم عدائية للصحابة[٣]! وليته نظر في إسـناد الخبر في «تاريخ خليفة»، إذاً لوجد ما يُبطِل كلامه، ورجال السـندِ هُم: أبو غسان النَّهْدي: ثقة ثبت، ويعقوب القُمـي: صدوق، وجعفر بن أبي المغيـرة: ثقة. ثم ماذا يقول الدكتور الفاضل في خبر ابن أبزى؟!.

سادساً: ندم رؤوس الصحابة على القتال في الجمل وصفين:

عامة السـابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعلي رضي الله عنهم، ولم يكن يـوم الجمل لهـؤلاء قصد في الاقتتـال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى: ٥٥/٣٥؛ منهاج السُّنَّة: ٣٣٦/١، ٤٢/٣.

(٢) انظـر: أحـداث وأحاديث فتنـة الهـرج، ص ١٤٧، ١٨٣؛ الإنصـاف، لحامـد الخليفة، ص ٣٤٢ـ٣٤٤.

(٣) كتابه: الإنصاف، ص ٣٤٣ـ٣٤٤.

(٤) منهاج السُّنَّة: ٣٦/٣، وانظر: ٢٩٣/٣.

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها أدرك الطرفان مدى الفاجعة والخسارة الفادحة، وحلَّتْ مراجعةُ النفس محلَّ الغضب، وفتَّت الندم قلوبَهم، بل إن الألم والندم تملكا القادة خلال القتال[١].

•• عن أبي صالح: أن عليّاً قال يوم الجمل حين أخذتِ السيوف مأخذَها من الرجال: (لوَدِدْتُ أنّي مِتُّ قبل هذا بعشرين سنة)[٢].

وعن الحسن بن علي قال: (لقد رأيتُ عليّاً حين اشتدَّ القتال، وهو يَلُوذُ بي ويقول: يا حسنُ! لوَدِدْتُ أنّي مِتُّ قبل هذا بعشرين سنة!)[٣].

وإنما يَلوذ عليٌّ بابنهِ الحسن ليبثَّ إليه آلامَه وأحزانَه ونَدمَه، أما الشجاعة فعليٌّ ليث الوغى!.

•• عن محمد بن قيس قال: (ذُكر لعائشة يومُ الجمل، قالت: والناس يقولون: يوم الجمل؟! قالوا: نعم، قالت: وَدِدْتُ أني كنتُ جلستُ كما جلس أصحابي، فكان أحبَّ إليَّ من أن أكون وَلدتُ من رسول الله ﷺ بضعةَ عشر كلهم مثل عبدالرحمن بن الحارث بن هشام ومثل عبدالله بن الزبير!)[٤].

وقالت عائشة: (وَدِدتُ أني كنتُ غصناً رطباً ولم أَسِرْ مسيري هذا)[٥].

•• يقول عَلْقمة بن وقَّاص اللَّيثي ـ وهو شاهد عيان ـ: (رأيتُ طلحة بن عبيد الله وأحبُّ المجالس إليه أخلاها، وهو ضاربٌ بلحيتِه على زَوْره، فقلتُ

(١) انظر: عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٥٧ ـ ٤٥٨.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٧١٩/٨؛ الفتن، لنعيم (١٦٩)، وسنده صحيح.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٧٢١/٨؛ الفتن، لنعيم (١٧٦)، وسنده صحيح. وانظر كتابي: نبوءات الرسول ﷺ: ٨٩/٢ ـ ٩٠؛ والمطالب العالية: ٣٢/٤.

(٤) مجمع الزوائد: ٢٣٨/٧؛ وذكره الحافظ في الفتح: ٣٧٠/١٦، وفيه ضعف؛ وأخرجه بأخصر منه من طريق آخر: ابن أبي شيبة: ٧١٦/٨ ـ ٧١٧.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة: ٧١٨/٨، وسنده صحيح.



له: يا أبــا محمد، إني أراكَ وأحــبُّ المجالس إليك أخلاهــا، وأنت ضاربٌ بلحيتِــك على زَوْرِك، إنْ كنتَ تكــره هذا الأمرَ فدَعْه، فليــس يُكرِهُك عليه أحد! قال: يا علقمة بن وقّاص، لا تَلُمْني، كنّا أمس يداً واحدة على مَن سوانا، فأصبحنا اليوم جبلَيْن من حديدٍ يزحفُ أحدُنا إلى صاحبِه!)[1].

وتقدم قول الزبير أنه كان يقرأ قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، ويقول: (لم نكن نَحْسِب أنّا أهلُها، حتى وقعتْ منا حيثُ وقعَتْ!)[2].



(١) أخرجه الحاكم: ١١٨/٣، ٣٧٢، وقال الذهبي: سنده جيد.

(٢) تقدم: ص٤٥٨ حاشية (٢) في هذا الكتاب.

الفصل الثاني

سَيرورةُ الأحداثِ من وقتِ بيعةِ عليٍّ إلى بدايةِ الفتنةِ وموقعةِ الجَمَل

أولاً: توصيف واقع المسلمين غداة بيعة علي، والموقف من قتلة عثمان:

•• لما استقر أمرُ بيعة علي خليفةً للمسلمين، دخل عليه طلحة والزبير ورؤوس الصحابة، فقالوا: (يا عليّ، إنا قد اشترطنا إقامةَ الحدود، وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم هذا الرجل وأحلُّوا بأنفسهم. فقال لهم: يا إخوتاه، إني لستُ أجهلُ ما تعلمون، ولكني كيف أصنع بقوم يَمْلِكوننا ولا نملكهم؟! هاهُمْ هؤلاء قد ثارت معهم عُبدانُكم، وثابَتْ إليهم أعرابُكم، وهم خِلالَكم يَسُومونكم ما شاؤوا، فهل ترون موضعاً لِقُدرة على شيء مما تريدون؟ قالوا: لا، قال: فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه إن شاء الله. إن هذا الأمر أمرُ جاهلية، وإن لهؤلاء القوم مادةً؛ وذلك أن الشيطان لم يشرَع شريعة قط فيبرح الأرضَ من أخذ بها أبداً. إن الناس من هذا الأمر إن حُرِّك على أمور: فِرْقة ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترون، وفِرْقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعَها وتُؤخَذ الحقوق. فاهدؤوا عني، وانظروا ماذا يأتيكم، ثم عودوا)(١).

فلم يكن ثمة اختلاف بين أمير المؤمنين علي وبين الفريق الآخر من الصحابة في تطبيق الشريعة وإقامة الحدود، وإنما كان الخلاف في توقيت

---

(١) تاريخ الطبري: ٤٣٧/٤؛ المنتظم: ٧٠/٥؛ شرح نهج البلاغة: ٢١٣/٥.

ذلك: فكان عليٌّ يرى الإرجاءَ والتمهلَ حتى تستقر أمور الدولة وتقوى شوكتها وتضمحلّ قوة القتلة ويتفرقوا بين قبائلهم. والصحابة الآخرون يريدون الإسراعَ في القصاص والأخذ بدم عثمان. والذي دفع عليّاً ليتخذ ذلك الرأي هو ما لاحظه من تكاثر عدد القتلة، ومن ضَوَى إليهم وأيَّدهم من الرَّعاع والأعراب(١).

ورأى عليٌّ كثرة السَّبِئِيَّة وتسلُّطَهم على المدينة، فضاق بهم ذَرْعاً، وأراد أن يخفف من وطأتهم بصرفِ الغوغاء إلى بلادهم، فنادى بهم فقال: برئت الذمَّة من عبدٍ لم يرجع إلى مواليه. فتَذامَرت السبئية والأعراب وقالوا: لنا غداً مثلُها، ولا نستطيع نحتج فيهم بشيء(٢)!.

ثم كرَّر الأمرَ في اليوم الثالث وخرج على الناس فقال: (يا أيها الناس، أخرجوا عنكم الأعرابَ، وقال: يا معشر الأعراب الحقوا بمياهكم. فأبت السَّبَئِيَّة وأطاعَهم الأعراب! ودخل عليٌّ بيته، ودخل عليه طلحة والزبير وعدَّة من أصحاب النبي ﷺ، فقال: دونكم ثأرَكم فاقتلوه! فقالوا: عَشَوْا عن ذلك، قال: هم والله بعد اليوم أعشى وآبَى، وقال:

لو أنَّ قومي طاوَعَتْني سَرَاتُهم　　أَمرتُهُم أمراً يُديخُ الأعاديا)(٣)

ولقد كانت (مقاضاةُ قتلة عثمان وإنفاذُ القصاص فيهم) أخطرَ قضية تواجه أمير المؤمنين عليّاً، وكان ابن عباس نبَّهه إلى خطورة الموقف قبل تقلُّده أمرَ الخلافة فقال: (إن الناس سيلزموك دم عثمان)(٤)، فقد كانت المأساة تملأ النفوس بالحزن والندم على عدم بذل الوسع في الذَّود عن الخليفة الشهيد!.

---

(١) انظر كتابي: الخلفاء الراشدون، ص ٥٥٤ـ٥٥٥.
(٢) تاريخ الطبري: ٤/٤٣٨.
(٣) المرجع السابق نفسه. عشوا: أعرضوا.
(٤) مصنف عبدالرزاق: ١١/٤٤٨؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٤٣.

وكان عليٌّ بين تيارين قويين:

التيار الأول: يتمثل في المشاركين والمحرضين على قتل عثمان، وهم كثيرٌ ولهم اختلاطٌ شديد بجيش عليٍّ وتأثيرٌ نافذ على قبائلهم، وأميرُ المؤمنين غير قادر على إنفاذ القصاص عليهم. وعذرُه في أنه لا يمكنه قتلُ قتلة عثمان إلا بفتنة تزيد الأمر شرّاً وبلاءً، ودفْعُ أفسدِ المفسدتين بالتزام أدناهما أَوْلَى من العكس، لأنهم كانوا عسكراً، وكان لهم قبائل تغضب لهم، والمباشِر منهم للقتل ـ وإن كانوا قليلاً ـ فكان رِدؤهم أهلَ الشوكة، ولولا ذلك لم يتمكنوا[١].

والتيار الآخر: يتمثل بطلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة، وكانوا يضغطون بقوة لإنفاذ القصاص بقتلة عثمان، يرون أن عليّاً تخلَّى عن القصاص[٢]. ولم يَعذروه في سياسته التي تميل إلى إماتة الفتنة وتخطيها بعدم إيقاع القصاص حتى يستتبَّ له الأمر ويدخل في بيعته الناس جميعاً. كما أنه صرَّح بأنه لا يعلم القتلة بأعيانهم فقال: (والله لَوَدِدتُ أن بني أمية رضوا لنفّلناهم خمسين رجلاً من بني هاشم يحلفون: ما قتلنا عثمان، ولا نعلم له قاتلاً)[٣].

●● وهذه النصوص والمواقف تبيِّن لنا حجمَ القوى الضاغطة على الخليفة وعلى المجتمع المسلم، وتتمثل في ثلاث قوى:

الأولى: إقامة حدٍّ من حدود الله لا يمكن التفريط به أو التهاون فيه، وذلك بالقصاص من قتلة الخليفة الشهيد عثمان.

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٣/٩٠.

(٢) الفتح: ١٦/٣٣٦، ٢٧٢ـ٣٧٣؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٤٤.

(٣) سنن سعيد بن منصور: ٢/٣٣٥ـ٣٣٦ (٢٩٤٢) بسند صحيح.

الثانية: قوة المجتمع المســلم الثقيلة الراسخة المتمثلة في عامة الصحابة وبخاصة أكابرُهم، والتي تلحّ على إقامة حد القصاص وعدم التأجيل.

الثالثة: القتلة من السَّبئِية وأعوانهم وأتباعهم ومادتهم، وكانوا عدداً ضخماً وعُظْمهم غير مشــخَّصين ولا محدَّدين، ولا طاعةَ للخليفة عليهم، ولا يمكنه إقامة الحدِّ على نَفَر بأعيانهم.

كما تبين النصوص ضخامةَ المأساة في حدوثِ شَرْخ كبير في (جسم الخلافة وقرارها السياسي) والخلافِ بين أمير المؤمنين علي وبين أكابر الصحابة حول كيفية ووقت إقامة الحد؛ فالخليفة يتصرف من واقع الرجل المســؤول عن الإســلام والأمة والدولة، ويتحمل جميع تبعات أي قرار يُبرِمه. والصحابةُ المخالفون له في الرأي يرون التعجيل بإقامة الحد، ولا يُطيقون رؤيةَ القتلة يعيشــون فــي المدينة مطمئنين ولهم قوة وســطوة، وهؤلاء الصحابة يتصرفون بدافع المســؤولية أيضاً لكنها دون مســتوى مسؤولية الخليفة.

وبســبب هذا وذاك حارت الأفهام وتباينت الاجتهــادات، مما أدى إلى ســيرورة الأحداث والتصرفات من الفُرقاء في اتجاهات متباينة، وجوُّ الفتنة ورجالُها زاد في المأساة آلاماً وأضاف إليها شروخاً أخرى!.

ثانيــاً: ثلاثــة اتجاهات (في الحجــاز) دفعت أحــد الفرقاء للخروج إلى البصرة:

●● رأى الصحابة قوة الســبئية وســطوتهم، وعَجْزَ الخليفــة عن لَجْمِهم فضلاً عن البطش بهم وتأديبهم؛ فتوزَّعت آراؤهم وتعددت تصرفاتهم:

قام طلحة وقال لأمير المؤمنين علي: (دَعْني فلآتِ البصرة فلا يَفْجؤك إلا



وأنا في خيل، فقال: حتى أنظرَ في ذلك. وقــال الزبير: دَعْني آتِ الكوفة فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل، فقال: حتى أنظر في ذلك)[١].

وظن كثير من القرشــيين أن الخوارج الســبئية ســيزداد شــرُّهم وتعلو ســطوتُهم أكثر، بعد أن تمردوا على أمر الخليفة وعَصَوه، فهرب بنو أمية من المدينة، مما جعل الخليفة يشــتدُّ على قريش؛ (وحــالَ بينهم وبين الخروج على حالٍ)[٢].

وهذا مما زاد نفورَ كثير من رجال قريش وطائفة من الصحابة، ويعبِّر ابن كثير عن ذلك فيقول: (لمَّا وقع الأمر هكذا، واســتحوذوا ـ الســبئية ـ عليه، وحَجَبــوا عنه عِلْيــةَ الصحابة؛ فرَّ جماعــة من بني أمية وغيرهــم إلى مكة، واســتأذنه طلحة والزبير في الاعتمار فأَذِن لهما، فخرجــا إلى مكة، وتبعهم خلقٌ كثير وجَمٌّ غَفير!)[٣].

وقدم إلى مكة ســائر بني أمية، وقدم عليهم عبد الله بن عامر من البصرة، ويعلى بن أمية من اليمن[٤].

●● وفي مكة كان أزواج النبي ﷺ قد خرجن إلى الحج فراراً من الفتنة، فلما بلغ الناسَ أن عثمان قد قُتل، أقمن بمكة ينتظرن ما يصنع الناس[٥]. وبرز دور أم المؤمنين عائشــة بينهن، وكان القادمون من المدينة إلــى مكة يقصدونها ـ لرفعة منزلتها ـ ويبثُّــون إليها أحزانهم، وهي تتســقط منهم أخبار النــاس، حتى تواتر عندها سطوةُ السبئية وهيمنتهم على المدينة وتأثيرهم على (القرار السياسي).

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٣٨.

(٢) المرجع السابق: ٤/٤٣٧.

(٣) البداية والنهاية: ٧/٢٣٠ـ٢٣١؛ تاريخ الطبري: ٤/٤٤٤.

(٤) تاريخ الطبري: ٤/٤٥٠.

(٥) البداية والنهاية: ٧/٢٣٠.

والتقت عائشة بطلحة والزبير ومن معهما فقالت: ما وراءكما؟ فقالا: وراءنا أنَّا تحمَّلنا بقلِّيَّتنا هُرَّاباً من المدينة من غوغاء وأعراب، وفارَقْنا قوماً حيارى لا يعرفون حقّاً ولا يُنكرون باطلاً ولا يمنعون أنفسَهم. قالت: فائْتِمروا أمراً، ثم انهضوا إلى هذه الغوغاء. وتمثّلت:

ولو أنَّ قومي طاوَعَتْني سَرَاتُهم　　　لأنَقَذْتُهم من الحِبال أو الخَبْلِ[(١)]

وبعد نظر طويل في أمرهم اجتمع ملؤهم على المسير إلى البصرة، وقالت السيدة عائشة: أيها الناس، إن هذا حدثٌ عظيم وأمرٌ منكر، فانهضوا فيه إلى إخوانكم من أهل البصرة فأنكِروه، فقد كفاكم أهل الشام ما عندهم، لعل الله عز وجل يدرك لعثمان وللمسلمين بثأرهم[(٢)].

●● وجماعة من أكابر الصحابة والسابقين كانوا يراقبون الأحداث، ويتبصَّرون في مآلاتها ويقدِّرون خواتمها وعواقبها؛ فيجدون فتناً جامحة تضطرب فيها الأفهام وتزلُّ فيها الأقدام، فاجتهدوا في أمرها ورأوا أن الاعتزال أسلَمُ، وأن القاعدَ خيرٌ من القائم والقائمَ خيرٌ من الماشي والماشي خير من الساعي ـ كما ثبت في الحديث الصحيح ـ، فاعتزلوا الجميع وقعدوا في بيوتهم، ومن هؤلاء: سعد بن أبي وقّاص، وابن عمر، وأسامة بن زيد، ومحمد بن مَسْلَمة، وأبو بَكْرة، وسَلَمة بن الأكوع، وزيد بن ثابت، وعمران بن حُصين، وأُهْبان بن صَيْفي، وغيرهم.

وهكذا أصبح المسلمون ثلاثة فرقاء سلكوا ثلاثة اتجاهات:

١ ـ الخليفة ومعه جمهور كبير من الصحابة يرون التريُّثَ حتى تستقر

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٥٠؛ المنتظم: ٥/٨٠، **تحمَّلنا بقلِّيَّتنا**: أي لم نَدَعْ وراءنا شيئاً.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٤٥٠؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣١.

أوضاع الدولة وتقوى شوكتُها، عندئذٍ يتتبع الذين تلطّخت أيديهم بدم عثمان مباشرة ويُقام عليهم حد القصاص.

٢ ـ طلحة والزبير وعائشة ومعهم كثير من الصحابة والتابعين ـ وكذلك معاوية في أهل الشام ـ يرون السعيَ في الإصلاح والتقوي بأهل البصرة والإسراع في معاونة الخليفة للقبض على السبئية والغوغاء وكسر شوكتهم، والتعجيل في إقامة الحد على من يستحقه منهم، وأنه لا رخصة في تأجيل ذلك.

٣ ـ الفريق الثالث يتمثل في الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة والخوض فيها، وعدم مشاركة أحد الفريقين السابقين.

ثالثاً: بدايات مسير طلحة والزبير وعائشة ومن معهم من مكة إلى البصرة:

لما مضت أربعة أشهر[١]ـ أي: في ربيع الآخر ـ على بيعة علي دون أن يُنفذ القصاص، خرج طلحة والزبير إلى مكة، ومنها جمعوا مؤيديهم الذين بلغ عددهم (٧٠٠) رجل، وانطلقوا إلى البصرة مستهدفين القبضَ على القتلة من أهلها وإنفاذَ القصاص فيها، ثم المسير إلى المدينة لإتمام المهمة الخطيرة بالتعاون مع الخليفة. وقد بلغ عددُهم عند وصولهم إلى البصرة (٣٠٠٠) رجل، حيث التحق الناس بهم في الطريق إليها[٢].

---

(١) جاء هذا في مرسَل الزهري بإسناد صحيح إليه: تاريخ الطبري: ٤/٤٥٢؛ ونقل الحافظ في (الفتح: ١٦/٣٧٢) عن «أخبار البصرة» لعمر بن شبة بسند جيد: أنهم توجَّهوا بعد أن أهلَّت السنة، وهو كلام مطلَق قيَّدَه كلامُ الزهري.

(٢) مصنف عبدالرزاق: ٥/٤٥٦؛ تاريخ الطبري: ٤/٤٥٢؛ الفتح: ١٦/٣٦٩ نقلاً عن «أخبار البصرة» بسند صحيح أو حسن كما اشترط الحافظ.

وكان الصحابي يعلى بن أمية والياً لعثمان على صنعاء، فلما قُتل عثمان كان يعلى قدم حاجّـاً ومعه (٦٠٠) بعير و(٦٠٠ ألــف درهم)، فانضم إليهم وأعانهــم بالمــال والظَّهْر، واشــترى لأم المؤمنين عائشــة جمــلاً يقال له: (عسكر)[١].

وانطلقوا من مكة إلــى البصرة، وجرَتْ لهم أحــداث ومواقف في أثناء الطريق وعند وصولهم البصرة، سيأتي تفصيلها في الفصل التالي.

رابعـاً: أهل الشـام يرفضون مبايعة علـي حتى يقيم حـدَّ القصاص، ويَردّون واليه، فيتجهز لإخضاعهم للطاعة:

•• لما استشــهد عثمــان خرج النعمان بن بشــير ومعــه قميص عثمان مخضب بدمه، ومعه أصابع نائلة بنت الفُرَافِصة ـ زوج عثمان ـ التي أُصِيبت حيــن حاجَفَتْ عنه بيدها، فقُطعــت مع بعض الكَفّ، فَــوَرد به على معاوية بالشــام، فوضعه معاويــة على المنبر ليــراه الناس، وعلَّــق الأصابع في كم القميص، ونَدَب الناسَ إلى الأخذ بهذا الثأر والدم وصاحبه، وقام معه جماعة من الصحابة يحرِّضون الناس علــى المطالبة بدم عثمان ممن قتله من أولئك الخوارج السبئية[٢].

وعندمــا بويع عليٌّ بالخلافة عــزم على تغييــر ولاة عثمان، فنصحه المغيرة وابن عباس بأن يتركهم في ولاياتهم حتى يتمكن، وأن يقرَّ معاوية ـ خصوصاً ـ على الشــام، فأبى ذلك، وغيَّر بعض الولاة، وبعث سَهْل بن حُنيف علــى الشــام، فخرج حتــى إذا كان بتبــوك لقيَتْـه خيـلٌ وردُّوه

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٤٣، ٤٥٠؛ العواصم من القواصم، ص ١٥١؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣١؛ الفتح: ١٦/٣٦٩.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٥٦٢؛ البداية والنهاية: ٧/٢٢٨.

من حيث أتى! ورفض أهل الشام البيعة، فعزم علي على قتالهم وتجهز لذلك[١].

فمعاويةُ ومَن معه من الصحابة في أهل الشام كان مجتهداً متأوِّلاً في توقفه عن بيعة علي، حتى يبادر إلى القصاص من قتلة عثمان، وكان يغلب على ظنِّه أن الحق معه، واحتج بقوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣]، فهو ابنُ عم عثمان ووليّ دمه، وأجابه أهل الشام جميعاً إلى الطلب بدم عثمان، وبايعوه على ذلك، وأعطوه العهود والمواثيق على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم حتى يُدركوا ثأرَهم أو يُفني الله أرواحهم[٢].

وكتب أمير المؤمنين علي إلى معاوية كتباً يأمره فيها بالطاعة والبيعة، ومن ثَمّ يتم القصاص من قتلة عثمان، ومعاوية يشترط قتل القتلة أولاً أو تسليمهم إليه لأنه وليُّ دم عثمان. ثم بعث معاوية (طوماراً) مع رجل، فدُخل به على عليٍّ، فقال: ما وراءك؟ قال: جئتُك من عند قوم لا يريدون إلا القودَ كلهم موتور[٣].

فعزم علي على قتال أهل الشام، وبعث إلى بعض ولاته ليستنفروا الناس لذلك، وحَثَّ هو الناس على ذلك، وخطب في أهل المدينة فقال: (إنَّ في سلطان الله عصمةَ أمركم، فأعطوه طاعتكم غير مَلْوِيَّة ولا مستكرَه بها... انهضوا إلى هؤلاء القوم الذين يريدون يفرِّقون جماعتكم، لعل الله يُصلح بكم ما أفسَد أهلُ الآفاق، وتقضُون الذي عليكم)[٤].

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٤٢ـ٤٤٤، ٤٥٥ـ٤٥٦؛ كتابي: نبوءات الرسول ﷺ: ٢/٩٨.
(٢) وقعة صفين، ص ٣٢؛ تحقيق مواقف الصحابة، ص ٤٦٤.
(٣) تاريخ الطبري: ٤/٤٤٣ـ٤٤٤؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٠.
(٤) تاريخ الطبري: ٤/٤٤٥ـ٤٤٦؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٤.

وتجهز علي ورتب الجيش وخــرج من المدينة، ولم يبقَ شـــيء إلا أن يخرج في جيشه من المدينة قاصداً الشـام؛ فبَيْنَا هم كذلك إذ جاء الخبرُ من مكة أن جيشاً على رأسه (طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة) انطلَقوا يريدون البصرة، فتعبَّى أمير المؤمنين علي للخروج إليهم وقــال: (إنْ فعلوا هذا فقد انقطَع نظامُ المسـلمين، ومـا كان عليهم في المقام فينـا مَؤُونة ولا إكراه!)، فاشتدَّ على أهل المدينة الأمرُ، فتثاقلوا عن المسير مع الخليفة إلى البصرة[1].



(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٤٦؛ المنتظم: ٥/٧٨.

الفصل الثالث

موقعةُ الجَمَل، مقدماتُها ووقائعُها ونتائجُها

أولاً: خروج جيش من مكة إلى البصرة وعلى رأسه (طلحة والزبير وعائشة) وهدفهم:

•• خرج الجيش من مكة المكرّمة إلى البصرة وعلى رأسه طائفة من الصحابة في مقدمتهم طلحة والزبير، وقد أشاروا على الصدِّيقة أم المؤمنين عائشة بالخروج معهم، وذلك لِما يوقن به جميع الصحابة والصالحين من بعدهم من حُرمتها رضي الله عنها؛ لأنها زوج النبي ﷺ وأم المؤمنين[1]، وبنت الصديق الأكبر، ولمكانتها السامية عند رسول الله ﷺ وجميع المؤمنين، ولفضلها ودينها وعلمها وفقهها، فضلاً عن أنها من أهل الاجتهاد والورع والحرص على مصالح المسلمين، وأنها مرجعٌ للناس في المعضلات، وقد أخذ عنها كبار الصحابة ومن بعدهم.

لكل هذا رَجا الصحابة من خروجها الخيرَ والبركة والصلاح والإصلاح وجَمْع الكلمة وتوحيدَ الصف وكفكفة الفتنة ولَجْمَ مؤرِّثيها.

وقالوا لها: (اشْخَصي معنا إلى البصرة، فإنَّا نأتي بلداً مُضَيَّعاً، وسَيحتجُّون علينا فيه ببيعة علي بن أبي طالب، فتُنْهِضيهم كما أنهضتِ أهلَ مكة، ثم تقعدين، فإنْ أصلَحَ الله الأمرَ كان الذي تريدين، وإلا احتسبنا ودَفَعْنا عن هذا

---

(١) انظر: العواصم من القواصم، ص ١٥٦.

الأمر بجَهْدنا حتـى يقضي الله ما أراد. فلما قالوا ذلـك لها ـ ولم يكن ذلك مستقيماً إلا بها ـ قالت: نعم)[١].

واحتجوا عليها بقول الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤][٢].

ولمّا وقع لها في الطريق (نُباح كلاب الحَـوْأَب) وهَمَّت بالرجوع، قالوا لها: (بل تقدمين فيراكِ المسلمون، فيُصلح الله ذات بينهم)[٣].

•• وكان خروج هـذا الجيش إلى البصرة للتقـوي بأهلها في إقامة حد القصاص على قتلة عثمان، والتفاهم مـع أمير المؤمنين علي والانضمام إليه لإتمام ذلك الهدف وكسر شوكة السبئية وإلغاء هيمنتهم على الدولة وقرارها السياسـي، وإعادة كلمة الأمة إلى ما كانت عليه من الوحدة والألفة وتجنيبها الفتن والفتانين[٤].

يقول كُليب بن شـهاب ـ شـاهد عيان تابعي صدوق ـ: (لمَّا قُتل عثمان أتانا الخبر ونحن راجعون مـن غزاتنا... فانتهينا إلى البصـرة، فلم نلبثْ إلا قليلاً حتى قيـل: هذا طلحةُ والزبيـر معهما أم المؤمنين، فـراعَ ذلك الناسَ وتعجبوا! فإذا هم يزعمون للناس أنهم إنمـا خرجوا غضباً لعثمان وتوبةً مما صنعوا من خذلانه، وإن أم المؤمنين تقول: غَضِبنا لكم على عثمان في ثلاث: إمارة الفتى وضربة السـوط والعصا. فما أنصفناهُ إنْ لم نغضَبْ له عليكم في ثلاث جررتموها إليه: حرمة الشهر والبلد والدم)[٥].

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٥٠ـ٤٥١.

(٢) العواصم من القواصم، ص ١٥٦.

(٣) الفتح: ١٦/٣٦٩، شرح الحديث (٧٠٩٩).

(٤) انظر: العواصم من القواصم، ص ١٥٥، ١٥٦، ١٦٣.

(٥) تاريـخ الطبـري: ٤/٤٩٠؛ الفتـح: ١٦/٣٧٢ـ٣٧٣ (٧١٠٠)؛ عصـر الخلافة الراشـدة، ص ٤٥٠، وسنده حسن.

وقد تكـرر قول أم المؤمنين عائشـة ـ كما سـيأتي ـ أنهـم إنما جاؤوا للإصلاح.

ولما سُـئل الزبير عن سـبب قدومهم إلى البصرة، قـال: (نُنْهِض الناسَ فيُدرَك بهذا الدم لئلا يُبْطَل، فإن في إبطاله توهينَ سُلطان الله بيننا أبداً، إذا لم يُفْطَم الناس عن أمثالها لم يبقَ إمامٌ إلا قتلَه هذا الضَّرْب)[1].

ثانياً: قصة (ماء الحَوْأَب):

وفي طريقهم إلى البصرة وقعـت لهم حادثة تحققت فيها (نبوءة نبوية)[2] تحفظها أم المؤمنين عائشـة وتعِيها وترويها، ولمَّا وقعت كادت السـيدة أن ترجع أَدْراجها!.

عن قيس بن أبي حازم قال: (لمَّا بَلغَتْ عائشة بعضَ مياه بني عامر ليلاً، نَبَحت الكلابُ عليهـا، فقالت: أيُّ ماءٍ هـذا؟ قالوا: ماءُ الحَـوْأَبِ، فوقفتْ فقالت: ما أَظُنُّنـي إلا راجعةً! فقال لها طلحة والزبيـر: مهلاً رحمكِ الله، بل تَقْدَمِين فيراكِ المسلمون، فيُصلِحُ الله ذاتَ بينهم. فقالت: ما أُظنُّني إلا راجعةً؛ إني سـمعتُ رسـول الله ﷺ قال لنا ذات يوم: «**كيفَ بإحداكـنَّ تنبحُ عليها كلابُ الحَوْأَب**»!)[3].

وفي رواية: (أنها ضَربتْ عَضُدَ بعيرِهـا فأناخَتْه، وقالت: ردُّوني، ردُّوني، أنا والله صاحبةُ ماء الحَوْأَب)! فقال لها الزبير: ترجعين؟! عسى الله أن يُصلِح

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٦١.

(٢) انظر كتابي: نبوءات الرسول ﷺ: ٢/٧٥ـ٧٩.

(٣) أخرجه ابن أبي شـيبة: ٨/٧٠٨؛ وأحمـد: ٦/٥٢، ٩٧؛ وابن حبـان (٦٧٣٢)؛ وأبو يعلى (٤٨٦٨)؛ والحاكـم: ٣/١٢٠، وغيرهـم؛ وصحَّحـه الذهبـي في سـير أعـلام النبلاء: ٢/١٧٧ـ١٧٨؛ وابن كثير فـي البداية والنهاية: ٦/٢١٢؛ والحافـظ في الفتح: ١٦/٣٦٩؛ والألباني في الصحيحة (٤٧٤).

بكِ بين الناس. فقَبِلَتْ ذلك من الزبير، واستمرت في مسيرها إلى البصرة، وتابع الناس طريقهم معها، من أجل الإصلاح، وإنفاذِ القصاص من قتلة عثمان[١].

ثالثاً: وصول الجيش إلى البصرة والسيطرة عليها:

اقترب الجيش من البصرة، فكتبت أم المؤمنين إلى الأحنف بن قيس وغيرِهِ من وجوه الناس أنها جاءت، فبعث إليها أميرُ البصرة عثمان بن حُنيف رسولين: الصحابي عمران بن حُصين والتابعي أبا الأسود الدُّؤَلي، ليعلما ما جاءت به. فسلَّما وقالا: إن أميرنا بعثنا إليكِ نسألُك عن مسيرك، فهل أنتِ مُخبرتنا؟ فقالت: والله ما مِثلي يسير بالأمر المكتوم ولا يُغطِّي لبنيه الخبر.

وذكرتْ لهما أنها جاءت للطلب بدم عثمان، لأنه قُتل مظلوماً في شهر حرام وبلد حرام، وتلت قوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، وقالت: (نَنهض في الإصلاح ممن أمر الله ﷻ وأمر رسول الله ﷺ، الصغير والكبير، والذكر والأنثى، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ونحضُّكم عليه، ومنكَر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره).

ودخلا على طلحة والزبير يستعلمانِ خبرَهما وسببَ خروجهما، فقالا مثل قول أم المؤمنين عائشة[٢].

فعادا إلى أمير البصرة عثمان بن حُنيف وأوقفاه على حقيقة الأمر، فخشي من الفتنة على المسلمين وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، دارَتْ رَحَا الإسلام وربِّ الكعبة!.

---

(١) نبوءات الرسول ﷺ: ٧٧/٢؛ البداية والنهاية: ٢٣١/٧ ـ ٢٣٢.

(٢) تاريخ الطبري: ٤٦١/٤ ـ ٤٦٢؛ البداية والنهاية: ٢٣٢/٧.

فاستشار عثمانُ الصحابيَّ الجليل عمرانَ بن حُصين، فأشار عليه بالتهدئة والتسكين، وقال له: (اعتزِل، إني قاعد فاقعد)، فقال عثمان: (بل أمنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين علي)[١].

وأتاه الصحابي هشام بن عامر ونَصحه بالتروِّي بمثل رأي عمران، وقال: (يا عثمان، إن هذا الأمر الذي تروم يُسْلِم إلى شرٍّ مما تكره، إن هذا فتقٌ لا يُرْتَق، وصدْعٌ لا يُجبر، فسامِحْهم حتى يأتي أمرُ علي ولا تحادّهم).

فأبى عثمان ونادى في الناس وأمرَهم بالتهيُّؤ، ولبسوا السلاح، واجتمعوا إلى المسجد الجامع[٢].

فانقسم أهل البصرة ثلاث فِرق:

الأولى: حبَّذتْ خروجَ أم المؤمنين عائشة ومن معها، وانضمت إليهم لمعونتهم على الإصلاح.

والثانية: بقيتْ على ولائها لأمير البصرة عثمان بن حُنيف، وأنكرتْ على السيدة عائشة ومن معها خروجَهم.

والثالثة: اعتزلت الفريقين.

وأقبل جيش طلحة والزبير حتى انتهوا إلى (المِرْبَد)[٣] وأقاموا في ميمنته،وخرج عثمان بن حنيف بجيشه ونزل في ميسرته.

وقام طلحة فذكر فضل أمير المؤمنين عثمان وأنه قُتل مظلوماً، وأنهم

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٦٣؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٢.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٤٦٣.

(٣) **مربد البصرة:** موضع كانت تقام فيه سوق الإبل خارج البلد.

جاؤوا لإقامة حدِّ القصاص على قتلته وفي البصرة طائفةٌ منهم، وتابعه الزبير فتكلم بمثل مقالته.

فقال مَنْ في الميمنــة: صَدَقا وبرَّا، وقالا الحق، وأَمــرا به، وقال من في الميســرة: فَجَرا وغــدرا، وقالا الباطل، وأَمَــرا به! فتحاثَى النــاس بالتراب، وتراموا بالحجارة. ولمَّا تكلمت الســيدة عائشـــة، فحثَّت الناس للأخذ بثأر عثمان، وقَتْل قتلته افترق جيش ابن حنيف فرقتين: فرقة ثبتت معه، والأخرى انضمت لجيش عائشة[١].

وأقبل حُكَيْم بن جَبَلــة ـ وكان على خيل ابن حُنيف، وممن باشَــرَ قتل عثمان بن عفان ـ فأَنشب القتال، وجعل أصحابُ أم المؤمنين يكفُّون أيديَهم ويمتنعون من القتال، وجعل حُكَيْم يقتحم عليهم، فاقتتلوا على فم الســكة، وأمرت عائشـــة أصحابها فتيامنوا حتى انتهوا إلى (مقبرة بني مازن)، وحجز الليل بينهم.

فلما كان اليوم الثاني غدا حُكيم وهو يُربــر[٢] وفي يده الرمح، فقال له رجل من عبد القيس: من هذا الذي تســبُّ؟ قال: عائشة! قال: يا ابنَ الخبيثة، أَلأمِّ المؤمنين تقول هذا؟! فوضع حُكيم السنانَ بين ثدييه فقتله! ثم مرَّ بامرأة وهو يســبُّ أم المؤمنين، فأنكــرتْ عليه، فقتلها أيضاً برمحه، ثم ســار فلما اجتمع أصحابه قاتلوهم، ومنادي عائشـــة يُناشِــدهم ويَدْعوهــم إلى الكَفِّ فيأبَون! فلم يجدْ أصحاب عائشـــة بُدّاً من قتالهم، فتصدوا لهم وأذاقوهم من بأسهم، فلما مَسَّهم الشر وعضَّتْهم الحرب؛ نادوا أصحابَ عائشة إلى الصلح، فأجابوهم[٣]!.

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٦٣ـ٤٦٥.

(٢) يُكثِر الكلامَ في جلبة وصياح وغضب وتخليط.

(٣) تاريخ الطبري: ٤/٤٦٦ـ٤٦٧؛ الكامل، لابن الأثير: ٣/١٠٩؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٣.

لم يتوقف حُكَيم بن جَبَلة عن غيِّه وشرِّه وولوغِه في الفتنة وإثارة القتال، فلما ذهب طلحة والزبير ومن معهما إلى المسجد فوافقا صلاةَ العشاء، وقد أبطأ عثمان بن حُنيف، فقدَّما عبدَ الرحمن بن عتَّاب يصلي بهم، فوقعت فتنة من رَعَاع البصرة أتباعِ حُكيم، لكنه صلَّى العشاء والفجر، ودخل قوم إلى عثمان بن حُنيف في قصره، فوطِئوه ونتفوا شعره، فلما علم طلحة والزبير استعظما ذلك، وأرسلا إلى عائشة بالذي كان، فأمرت أن يُخلى سبيله، فأطلقوه[1].

عن محمد ابن الحنفيَّة قال: (قدِم عثمانُ بن حُنيف على عليٍّ بالرَّبَذة، وقد نَتفوا شعر رأسِه ولحيته وحاجبيه، فقال: يا أمير المؤمنين، بعثتني ذا لحية وجئتُك أمردَ! قال: أصبتَ أجراً وخيراً)[2].

●● وبذلك انتهت ولاية عثمان بن حُنيف على البصرة وفرَغتْ من أميرها[3]، وأصبح حُكيم بن جَبَلة في خيله على رِجْل[4] فيمن تبعه من عبدالقيس، ومَن نزع إليهم من أفناء ربيعة، ثم وَجَّهوا نحو (دار الرزق)، وجعل يشتم أمَّ المؤمنين عائشة، فسمعَتْه امرأة من قومه فقالت: يا ابنَ الخبيثة، أنت أَوْلى بذلك! فطعنها فقتلها. فغضبتْ قبيلة عبدالقيس إلا من كان اغتمر منهم ـ أي: شارك في الفتنة والخروج على أمير المؤمنين عثمان ـ فقالوا: فعلتَ بالأمس وعُدْتَ لمثلِ ذلك اليوم! والله لَندعَنّك حتى يُقيدَك الله، فرجعوا وتركوه. ومضى حُكيم فيمن غزا معه الخليفةَ عثمان وحَصَره من نزَّاع القبائل كلها.

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٦٨؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٣؛ العواصم من القواصم، ص ١٥٨ـ١٥٩.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٤٨٠؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٦. وانظر خبر القبض على (ابن حنيف) في: مصنف ابن أبي شيبة: ٨/٧٢٠؛ الفتح: ١٦/٣٧٤.

(٣) انظر: الولاية على البلدان، ص ٣٣٤.

(٤) أي: مشمّر للأمر قائم به.

فنادى منادي طلحة والزبير: (مَن لم يكن من قتلة عثمان فَليكفُفْ عنّا، فإنا لا نريد إلا قتلة عثمان ولا نبدأ أحداً)، فأنشَبَ حُكيم القتال ولم يُرَعْ للمنادي، فقال طلحة والزبير: (اللَّهمَّ لا تُبقِ منهم أحداً، وأَقِدْ منهم اليوم فاقتُلْهم).

وكان حُكيم رأسَ الفتنة في البصرة، ويقود فرقة من (٣٠٠) رجل، وجميعُ من معه (٧٠٠) رجل، واشتد القتال، وكان حُكيم ذا بأس، وتصدَّى له رجل من الحُدَّان يقال له: ضُخَيم، فضرب عنقَه، فمال رأسُه فتعلَّق بجلده، فصار وجهه في قفاه[١]!.

●● وهرب أتباع حُكيم، ونادى منادي الزبير وطلحة بالبصرة: (ألا من كان فيهم من قبائلكم أحدٌ ممن غزا المدينة، فليأتِنا بهم. فجيءَ بهم كما يُجاء بالكلاب، فقُتلوا، فما أفلت منهم من أهل البصرة جميعاً إلا حرقوص بن زهير، فإن بني سعد منعوه، وكان من بني سعد، فمسَّهم في ذلك أمر شديد)[٢].

واستقر أمر البصرة بيد طلحة والزبير، وقوي موقفُهم باستيلائهم على بيت المال وفيه الذهب والفضة[٣]، وكتبوا إلى أهل الشام بالذي جرى معهم، وحثّوهم على النهوض بمثل ما نهضوا به من الأخذ بدم عثمان، وكذلك بعثوا إلى أهل الكوفة، وإلى أهل اليمامة، وإلى أهل المدينة. وكان مما كتبته عائشة لأهل الكوفة:

(إنا قدِمْنا البصرة فدعوناهم إلى إقامة كتاب الله بإقامة حدوده، فأجابنا الصالحون إلى ذلك، واستقبَلَنا مَن لا خير فيه بالسلاح، وقالوا: لنُتْبِعنَّكُم عثمانَ! ليزيدوا الحدود تعطيلاً... فمكثنا ستّاً وعشرين ليلةً نَدْعوهم إلى كتاب

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٧٠ـ٤٧٤؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٣ـ٢٣٤.
(٢) تاريخ الطبري: ٤/٤٧٢؛ الكامل، لابن الأثير: ٣/١١٢.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٨/٧١٨، وسنده صحيح.

الله وإقامة حدوده ـ وهو حَقْنُ الدماء أن تُهــراق دون مَن قد حَلَّ دمُه ـ فأبَوْا واحتجوا بأشــياء، فاصطلَحْنا عليها، فحافوا وخانــوا وغدروا، فجمع الله ﷻ لعثمان ثأرَهم، فأقادَهُم، فلم يُفْلِت منهم إلا رجل.. فالزموا الرضا إلا عن قتلة عثمان بن عفان، حتى يأخذ الله حقَّه، ولا تخاصموا الخائنين، ولا تمنعوهم، ولا ترضوا بِذُوِيِّ حدودِ الله، فتكونوا من الظالمين)[١].

وكانت هذه الوقعة في (٢٥ ربيع الآخر من ســنة ٣٦هــ). وأتى الخبر بجميع ما جرى إلى أمير المؤمنين علي[٢] وهــو (بالثَّعْلَبِيّة)، وهي من منازل طريق مكة من الكوفة، وهي ثلثا الطريق.

رابعاً: خـروج علي مـن المدينـة لِلَّحـاق بجيش (أصحـاب الجمل) لمنعهم من دخول البصرة، ففاتوه، وسؤالات على الطريق:

أدرك أمير المؤمنين علي خطــورة الموقف وما يمكن أن يجر الخلاف إليه مــن تمزيق وحدة الأمــة والدولة، وأن من واجبه بــذل الجهد لتوحيد الكلمة وإعادة كل من خرج عن أمره إلى الطاعة والجماعة.

فخرج علي على تعبيته التي تعبَّى بها إلى الشــام، واستنفر أهلَ المدينة للخروج معــه، فاجتمع له نحــو (٧٠٠) رجــل، وتثاقلَ عنه عــددٌ من كبار الصحابة لأنهــم رأوا أنها أحداث فتنة ينبغي عدم الدخــول فيها، وخرج من المدينة متجهاً إلى العراق، وقد عسكر في الرَّبَذة حيث أُضيف إلى جنده مئتا رجل، فأصبح الجميع (٩٠٠) رجل[٣].

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٧٢ـ٤٧٣.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٤٧٤، ٤٨١؛ المنتظم: ٥/٨٥.

(٣) أنساب الأشراف: ٢/٤٥، بسند حسن؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٥١.

وكان خروجه في (آخر ربيع الآخر من سنة ٣٦هـ)[١]، وهو يرجو أن يدرك (طلحة والزبير ومن خرج معهما من مكة إلى البصرة) في الطريق؛ فَيَحُول بينهم وبين الخروج، فلما وصل الربذة تبيَّن له أنهم فاتوه[٢]!.

وتابع عليٌّ مسيره نحو الكوفة من الرَّبذة إلى فَيْد إلى الثَّعلَبية، حتى إذا دنا من الكوفة مال إلى (ذي قار) بين الكوفة والبصرة، ومن هناك بعث رجالاً يستنفرون أهل الكوفة لمساندته.

١ ـ نصائح لعلي بعدم الخروج من المدينة:

كان الحسن بن علي في أمر القتال يخالف أباه ويكره كثيراً مما يفعله، ويرجع علي رضي الله عنه في آخر الأمر إلى رأيه[٣]! وحاول الحسن ثنيَ أبيه عن الذهاب إلى العراق، وهو يبكي لِما أصاب المسلمين من الفرقة والاختلاف، لكن علياً رفض ذلك وأصرَّ على إعادة المعارضين له إلى الطاعة محتجّاً ببيعتهم له بالمدينة[٤].

روى طارق بن شهاب ـ وقد جاء إلى عليٍّ وهو بالرَّبذة ـ قال: (قام الحسن بن علي فقال لأبيه: ألم أقلْ لكَ: إن العرب ستكون لهم جولة عند قَتْل هذا الرجل[٥]؟ فلو أقمتَ بدارِك التي أنت بها ـ يعني بالمدينة ـ فإني أخافُ أن تُقتل بحال مَضِيعَة لا ناصرَ لك! فقال علي: اجلس، إنما تَخِنُّ كخَنِينِ الجارية!)[٦].

(١) الفتح: ٣٦٩/١٦ (٧٠٩٩).
(٢) تاريخ الطبري: ٤٥٥/٤؛ البداية والنهاية: ٢٣٤/٧.
(٣) مجموع الفتاوى: ١٢٥/٣٥.
(٤) عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٥١.
(٥) يريد عثمان بن عفان.
(٦) مصنف ابن أبي شيبة: ٦٣٣/٨، ٧١٥ بسند حسن؛ والحاكم بأخصر منه: ١١٥/٣؛ ورواه الطبري مطولاً في تاريخه: ٤٥٥/٤ـ٤٥٦.

كذلك نصحه الصحابي الجليل عبد الله بن سَــلَام فقال: (لا تأتِ العراق، وعليك بمنبر رسول الله ﷺ فالزَمْه... فوالله لئن تركتَه لا تراه أبداً!)(١).

وصدق ابن سلام فلم يروَ أن عليّاً عاد إلى المدينة بعد ذلك.

٢ ـ سؤالات على الطريق:

لم يكن أمير المؤمنين علي في مسيره هذا يمشي في عَماء، ولا هو يقود الأمة لأجل فرض سيطرته، بل كان يســعى إلى وحدة الصف وجمع الكلمة وصلاح أمر المسلمين، وتوطيد الأمن ووحدة الدولة وتجنيب الأمة شرّاً أكبر وفساداً أعم.

ولهذا لم يتحرَّج من الإجابة على الملأ بكلام واضح صريح لا تقيَّة فيه عن هدفه وغايته من خروجه هــذا، وبقي ـ كما كان طيلة عهده ـ جريئاً صلباً قويّاً صريحاً مع كل من سأله في أي ظرف وأي مكان.

وكذلــك كان عامة من ســار معــه يريــدون الخير والصــلاح للأمة، ويلتزمون بالمبادئ التي تربوا عليها، ولم يستســلموا للألقاب الكبيرة ولو كان ذاك هــو أميــر المؤمنين، فكانوا لا يســيرون مســيراً إلا على الهدى والجَليَّة والقناعة.

وهذا بخلاف أولئك السبئية المجرمين المندسين في صفوفهم، والذين لولا فسادهم وإفسادُهم وخبثُ طويَّتهم وسوءُ أعمالهم، لكانت أخلاق فريق أمير المؤمنين وفريق (أصحاب الجمل)؛ كفيلةً بتحقيق الصلاح والإصلاح وحقن الدماء ووحدة الكلمة وإقامة حدود الله تعالى.

---

(١) تاريخ الطبــري: ٤/٤٥٥؛ عصر الخلافة الراشــدة، ص ٤٥١، وانظر ما تقدم: ص٣٦٥ في هذا الكتاب.

لقد صدرت من رجال من جيش عليّ سلسلة تساؤلات تعبّر عما يَجيش في صدورهم من هواجس الخوف من حدوث صراع بين المسلمين، يزيد من اتساع هوة الخلاف وتفريق الكلمة وهَرَاقة الدماء... إنهم يخافون من المخبوء في الظلام، ويرهبون من المحنة وراء ذاك الخروج إذا التقوا مع إخوانهم في الفريق الآخر، وفي الفريقين صحابة أجلاء وصالحون كرام.

ـ سأله رفاعة بن رافع الأنصاري فقال: (يا أمير المؤمنين، أي شيء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح، إنْ قبِلوا منّا وأجابونا إليه. قال: فإنْ لم يجيبوا إليه؟ قال: نَدَعُهم بعذرهم، ونعطيهم الحق ونصبر. قال: فإن لم يرضَوْا؟ قال: نَدَعهم ما تركونا. قال: فإن لم يتركونا؟ قال: امتنعنا منهم. قال: فنعم إذاً)[1].

ـ وفي حديث طويل يرويه الحسن البصري يقول: (لمّا قدِمَ عليٌّ البصرة في أمر طلحة وأصحابه، قام عبدالله بن الكَوَّاء وقيس بن عُبَاد فقالا: يا أمير المؤمنين، أخبِرْنا عن مسيرِك هذا: أوصيةٌ أوصاك بها رسول الله ﷺ، أم عهداً عهده عندك، أم رأياً رأيتَهُ حين تفرَّقت الأمة واختلفَتْ كلمتُها؟)، فذكر حديثاً طويلاً وفي آخره: (فأخبرنا عن هذين الرجلين ـ يعنيان طلحة والزبير ـ هما صاحباك في الهجرة، وصاحباك في بيعة الرضوان، وصاحباك في المشورة؟ فقال: بايَعَاني في المدينة، وخالَفَاني بالبصرة، ولو أن رجلاً ممن بايع أبا بكر خلَعَه لقاتلناه، ولو أن رجلاً ممن بايع عمرَ خلَعَه لقاتلناه)[2].

ـ ولمّا قدِمَ أهل الكوفة إلى عليٍّ وهو بذي قار، قام منهم رجال فسألوه عن سبب خروجه وتوجُّهِه بهم إلى البصرة، فقام فيمن قام الأعور بن بُنان

---

(١) تاريخ الطبري: ٤٧٩/٤؛ البداية والنهاية: ٢٣٥/٧. ووقع في اسم (رفاعة) خلط والصواب ما أثبته، فرفاعة هو الذي حضر مع علي حروبه.

(٢) تقدم مطولًا مع تخريجه: ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ في هذا الكتاب، وهو حديث صحيح.



المِنْقَري فسأله عن مقدمه وغايته، فقال له علي: (على الإصلاح وإطفاء النائرة، لعلَّ الله يجمع شملَ هذه الأمة بنا ويضَعَ حربَهم وقد أجابوني. قال: فإنْ لم يجيبونا؟ قال: تركناهم ما تركونا. قال: فإنْ لم يتركونا؟ قال: دفعناهم عن أنفسنا. قال: فهل لهم مثلُ ما عليهم من هذا؟ قال: نعم).

وقام إليه رجلان آخران فسألاه عن مخرجه ومجيء أصحاب الجمل، فأجابهما بنحو ما تقدم[1].

•• والمتأمل في سلسلة هذه التساؤلات يرى تقاربها في مخاوفها من مخاطر الخروج، وتطابقها في أهدافها وغاياتها ومسعاها، سواء تلك التي صدرت من أهل المدينة أو من أهل الكوفة، ويتأكد لديه أن المسار العام للمسلمين ومحور تفكيرهم وعملهم إنما هو إصلاح ذات البين، وتحقيق اجتماع الأمة، وإقامة حدود الشرع، وصفاء القلوب بين الفريقين والشعور الأخوي بينهما، مع اختلاف الاجتهاد، وإعذار بعضهم بعضاً في ذلك.

خامساً: غموض المستقبل واختلاف الاجتهادات وخروجهم للإصلاح:

•• كان مقتل أمير المؤمنين عثمان حَدَثاً مهولاً أحدث زلزلة في المجتمع المسلم، وظهر عمق المأساة فيما أحدثَتْه من شرخ كبير في الصف الإسلامي؛ أدى إلى تباين كبير في الأفهام واختلاف شديد في الاجتهادات، وتباعد خطير في المواقف على المسرح السياسي للمحنة.

ـ فجماعة من أكابر الصحابة قد اختلفوا فيما بينهم على مسالك شتى، فبينما كان أحدهم يستنقذ أخاه من فم الموت، أضحى الآن يعتزل عنه كما

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٩٥ـ٤٩٦؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٩.

يعبر عن ذلك موقف أسـامة بن زيد من علي حيث يقول لـه: (لو كنتَ في شِدْق الأسد لأحببتُ أن أكون معك فيه، ولكنَّ هذا أمرٌ لم أرَه!)[١].

ـ بل كان الابـن يختلف مع أبيه، كما جرى بين الحسـن بن علي وأبيه أمير المؤمنين.

ـ وكان الحزن يهيمن على أفئدة الجميـع؛ فالذين خرجوا على أمر عليٍّ وذهبوا إلى البصرة حتى سـيطروا عليهـا؛ (بالرغم مـن أن مطالبتهم بإنفاذِ الحكم الشرعي يقوي موقفَهم ويُشعل حماسـتهم، إلا أن غموض المستقبل وما قد ينطوي عليه من ضياع الوحدة بين المسـلمين وسفكِ دمائهم؛ يبعث فيهم إحساسـاً أليماً وأحياناً تردداً واضحاً، لكنهم مضوا إلى أقدارهم بنفوس مثقلة بالهموم)[٢]!.

ـ ووقع الفرقـاء جميعاً في دوامـة التفكير في الخـلاص من المحنة، وتوجَّسـوا من عواقب كل خطوة يتخذونها أو عملٍ يُقدمون عليه. والرجلُ العاقل البصير الخبير منهم يَحار في موقفه كأنه يبصر ولا يبصر، ولا يدري أيُقبل أم يُدْبِر، كما عبَّر الزبير عن ذلك فقـال: (إنا نبصر ولا نبصر، ما كان أمرٌ قطُّ إلا علمتُ موضعَ قدمي فيه، غير هذا الأمر فإني لا أدري أَمُقْبِل أنا فيه أم مُدْبِر!)[٣].

ينظر طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشـة من يجابهون، فإذا أمير المؤمنين علي الذي بايعوه! ويتوقف الخليفة فيرى في مخالفيه إخواناً عظاماً قد تقدمت لهم مـن الله سـوابق وفضائل وفـي مقدمتهم الزبيـر وطلحة وعائشـة زوج النبي ﷺ، فيحار عقله في المخرج والمواجهة وعواقبها!.

---

(١) صحيح البخاري (٧١١٠).

(٢) عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٤٥.

(٣) تاريخ الطبري: ٤/٤٧٦.

لقد كان المستقبل غامضاً عند الجميع، وكلهم يتخوف من النتائج، ولذا فإنهم بعد أن وضعت الحرب أوزارها؛ ندم جميع الصالحين وبخاصة رؤوس الصحابة في الفريقين على ما تقدم منهم، وتمنوا أنهم ماتوا ولم يروه!.

●● ولقد أكدت مجريات الأحداث ومواقف الصحابة وأقوالهم عمقَ مأساة الجميع، والغموضَ الذي اكتنفهم وألقى بظلاله وعقابيله على نتائج اجتهاداتهم!.

١ ـ لمَّا بلَغ أهلَ المدينة ما كان من خروج (طلحة والزبير وعائشة) في جيش مكة إلى البصرة، ورأوا اختلافَ الكلمة؛ اشتدَّ عليهم الأمر، ودعاهم علي للخروج معه، فتثاقل كثير منهم وقالوا: (لا والله ما ندري كيف نصنع، فإن هذا الأمر لَمشتبِهٌ علينا، ونحن مقيمون حتى يُضيء لنا ويُسْفِر!).

وطلب الخليفةُ عبدَ الله بن عمر ـ وهو أحد أكابر الصحابة ـ وقال له: انهض معي، فقال ابن عمر: أنا مع أهل المدينة، إنما أنا رجل منهم وقد دخلوا في هذا الأمر فدخلت معهم لا أفارقهم، فإنْ يخرجوا أخرج وإن يقعدوا أقعد[(١)].

٢ ـ ومثله موقف أسامة بن زيد وقد تخلَّف عن الخروج مع علي وقال: (هذا أمر لم أره)[(٢)].

٣ ـ وتروي عُدَيْسة بنت الصحابي أُهْبان بن صَيْفي فتقول: (لمَّا جاء علي بن أبي طالب هاهنا، البصرةَ، دخل على أَبي فقال: يا أبا مسلم، ألا تُعِينني على هؤلاء القوم؟ قال: بلى، فدَعَا جارية له فقال: يا جاريةُ أَخْرِجي سيفي، فأخرجَتْه، فَسَلَّ منه قدْرَ شِبْرٍ فإذا هو خشبٌ! فقال: إنَّ خليلي وابنَ

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٤٦؛ المنتظم: ٥/٧٨ـ٧٩.
(٢) تقدم: ص٤٩٦ في هذا الكتاب.

عمك ﷺ عَهِد إليَّ: «**إذا كانت الفتنة بين المسلمين فاتَّخِذْ سيفاً من خشب**»، فإنْ شئتَ خرجتُ معك، قال: لا حاجةَ لي فيك ولا في سيفِك!)[1].

٤ ـ ويقول الزبير بن العوام وهو يتلو قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]: (لقد تلوت هذه الآية زماناً وما أُراني من أهلها، فأصبحنا من أهلها!)[2].

٥ ـ وعبَّر طلحة عن جلالة الـرُّزْء الذي نَزل بهم بعد خروجهم وحدوث الكارثة، فقال: (كنَّا أمس يداً واحدة على مَن سوانا، فأصبحنا اليوم جبلَيْن من حديد يزحفُ أحدُنا إلى صاحبه!)[3].

٦ ـ ومثـلُ ذلك ما حَصَـل لأم المؤمنين عائشة عندما نبحتْها كلابُ الحَوْأَب، وقد همَّت بالرجوع، ثم غيَّرت رأيها رجاءَ الإصلاح.

٧ ـ وهكذا جـرى لجماعة من وجوه الناس وأمرائهم، الذين حيَّرهم الأمر، ومنهم الأحنف بن قيس أحد زعماء بني تميم، وقد طلب منه الزبير بن العوام الانضمامَ إليهم، فقال: (فأتاني أفظعُ أمرٍ أتاني قطُّ، فقلت: إن خِذلاني قوماً معهم أم المؤمنين وحواريّ رسـول الله ﷺ لَشـديدٌ! وإن قتالي ابنَ عمِّ رسول الله ﷺ وقد أمروني ببيعته لشديد!)[4].

ـ لم يخرجوا لقتال بل للإصلاح:

●● مما تقدم من أخبار وأحداث ومواقف، وسـيأتي مزيـد من مثلها ـ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٤٩) وحسنه؛ وابن ماجه (٣٩٦٠).

(٢) الطيالسي (١٩٢)؛ وتقدمت رواية أخرى: ص٤٥٨ حاشية (٢) في هذا الكتاب.

(٣) تقدم بتمامه: ص ٤٧٠ ـ ٤٧١ في هذا الكتاب.

(٤) المطالب العالية: ٢٩٧/٤ـ٣٠٠؛ تاريخ الطبـري: ٤٩٧/٤ـ٤٩٩؛ وذكره الحافظ في الفتح وصحَّحه: ٣٣٧/١٦ (٧٠٨٣).

يتبيــن أن الزبير وطلحة وعائشــة ومن معهــم لم يخرجوا لقصــد القتال[١]، وكذلك أمير المؤمنين علي خــرج لردِّهم قبل وصولهم إلى البصرة، وما كان يظــن أن الأمور تنتهي إلى ما انتهــت إليه؛ وقد أوصاه النبــي ﷺ فقال: «**إنه سيكون بعدي اختلافٌ أو أمرٌ، فإن استطعتَ أن تكون السَّلْمَ فافعلْ**»[٢].

فلما أنشَبَ القتالَ أصحابُ الفتنة من السبئيين وأتباعهم وأجَّجُوه، ورأى الناس الدماء؛ ندم أكابر الصحابة من الفريقين وتمنَّوا أنهم لم يخرجوا، وقد روى حَبيب بن أبي ثابت: (أن عليّاً قال يــوم الجمل: اللَّهمَّ ليس هذا أردتُ، اللَّهمَّ ليس هذا أردتُ)[٣].

(وأهل العلــم يعلمون أن طلحة والزبيــر لم يكونا قاصدَيْــن قتالَ علي ابتداءً، وكذلك أهل الشام لم يكن قصدهم قتالَه، وكذلك عليٌّ لم يكن قصدُه قتالَ هؤلاء ولا هؤلاء.

ولكن حرب الجمل جــرى بغير اختياره ولا اختيارهــم، فإنهم كانوا قد اتفقوا على المصالحة وإقامة الحــدود على قتلة عثمان، فتواطأت القتلة على إقامة الفتنة آخراً كما أقاموهــا أولاً، فحملوا على طلحة والزبير وأصحابهما، فحملوا دفعاً عنهم، وأشــعروا عليّاً أنهما حملا عليه، فحمــل علي دفْعاً عن نفسه، وكان كل منهما قصده دفْعَ الصِّيال لا ابتداءَ القتال)[٤].

وقرَّر مثلَ هذا الإمامُ ابن حزم اعتمــاداً على مجريات الأحداث وصريح أقوال الصحابة[٥].

---

(١) انظر: منهاج السُّنَّة: ٣/٣٩.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٦٩٥) وصحَّحه أحمد شاكر.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٨/٧١٥.

(٤) منهاج السُّنَّة: ٣/٧٣٣.

(٥) انظر: الفِصَل في المِلل والأهواء والنِّحل: ٤/١٥٧ ـ ١٥٨.

•• وإنما كان خروج (طلحة والزبير وعائشة) من أجلِ الإصلاح وإقامة حد القصاص، وكذلك امتناعُ أهل الشـــام عن البيعة حتى تُقام الحدود على القتلة، وسيتضح هذا بجلاء في حواراتهم مع علي ورسله قُبيل المعركة وبعدها.

وبمثل هذا الوضـــوح والصراحة كانت مواقف أميـــر المؤمنين علي مع الفرقاء جميعاً، وقد وقف خطيباً في أهل الكوفة فقال: (وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخوانَنا من أهل البصرة، فإنْ يرجعوا فذاك الذي نريده، وإن أبَوْا داوَيْناهم بالرِّفق حتى يبدؤونا بالظلم، ولم نَدَعْ أمراً فيـــه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله تعالى)[١].

وعندما اتفقوا على الصلح قُبيل وقعـــة الجمل خطب علي الناس ملمِّحاً إلى الســـبئية القتلة ومؤجِّجي الفتنة، فقال: (أَلَا وإني راحلٌ غداً فارتحِلوا، أَلَا ولا يرتحلنَّ غداً أحدٌ أعانَ على عثمان بشـــيءٍ في شـــيءٍ مـــن أمور الناس، ولْيُغنِ السفهاءُ عني أنفسَهم!)[٢].

سادساً: علي يستنفر أهل الكوفة للخروج معه إلى البصرة:

وصل أمير المؤمنين علي بمن خـــرج معه من أهل المدينة إلى (الرَّبَذة)، وتابع مســـيره حتى نزل (بذي قـــار) بين البصرة والكوفـــة، ومن هناك بعث رجالاً إلى الكوفة يستنفرون أهلها لمساندته.

•• لما استُشهد عثمان كان أبو موسى الأشعري واليهِ على الكوفة، وقد أقرَّه علي نـــزولاً على رغبة أهل الكوفـــة بواليهم الجليل وسياســـته وفضله وعلمه[٣].

---

(١) البداية والنهاية: ٢٣٧/٧.

(٢) تاريخ الطبري: ٤٩٣/٤؛ المنتظم: ٨٦/٥.

(٣) انظر ما تقدم من كلامنا على ولاية الكوفة: ص٤٢٠ في هذا الكتاب.



وكان علي يسأل عن أبي موسى وبخاصة عندما أراد الخروج إلى العراق، ففي أثناء الطريق إليها لقيه رجل من أهل الكوفة (فسأله علي عن أبي موسى، فقال: إن أردتَ الصلح فأبو موسى صاحبُ ذلك، وإنْ أردتَ القتال فأبو موسى ليس بصاحب ذلك، قال: والله ما أريدُ إلا الإصلاحَ حتى يُردَّ علينا، قال: قد أخبرتك الخبر)[١].

وأرسل عليٌّ من الربذة رسولين لاستنفار الكوفيين، وهما: محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر، فأخفقا في مهمتهما لأن أبا موسى والي الكوفة التزم موقف اعتزال الفتنة وحذَّر الناسَ من المشاركة فيها، ودخل عليه أهل الحِجَى فقالوا: ما ترى في الخروج؟ فقال أبو موسى: إنما هما أمران: القعودُ سبيل الآخرة، والخروجُ سبيل الدنيا، فاختاروا. فلم ينفِر إلى علي أحد[٢]!.

فعاد الرسولان إلى علي، فوافياه بذي قار وأخبراه الخبر، فبعث من هناك عبدالله بن عباس والأشتر النخعي، فلم يُجِبْهما أبو موسى إلى ما قدِما لأجله، وقام فخطب أهل الكوفة وبيَّن لهم أن الخوض فيما يجري (فتنةٌ صمَّاء؛ النائم فيها خيرٌ من اليقظان، واليقظان فيها خير من القاعد، والقاعد خير من القائم، والقائم خير من الراكب. فكونوا جُرْثومة[٣] من جراثيم العرب، فأغمِدوا السيوف، وأنصِلوا الأسنَّة، واقطعوا الأوتار، وآووا المظلومَ والمضطهدَ، حتى يلتئم هذا الأمر وتنجلي هذه الفتنة)[٤].

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٨٠.
(٢) المرجع السابق: ٤/٤٧٨، ٤٨١ـ٤٨٢.
(٣) **جرثومة الشيء**: أصله.
(٤) تاريخ الطبري: ٤/٤٨٢ـ٤٨٦؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٦. و(بعثُ عليٍّ ابنَ عباس) أخرجه ابن أبي شيبة: ٨/٧٢٠؛ وصحَّحه الحافظ في الفتح: ١٦/٣٧٤ (٧١٠٠).

وروى أبو موسى، عن النبي ﷺ: أنه قال في الفتنة: **«كَسِّروا قِسِيَّكُم، وقطِّعوا أوتارَكُم، واضْربوا بسيوفكم الحجارةَ، فإنْ دُخِل على أحدِكم فليكنْ كخيرِ ابنَيْ آدم»**[١].

وكان لهذا الموقف الصلب من والي الكوفة أبي موسى تأثير كبير في أهلها، فلم يخفُّوا لطلب الخليفة ورسولَيْه، لكن عليّاً كان مصمماً على المضي في قراره، فأرسل رسولين آخرين هما: ولده الحسن بن علي وعمار بن ياسر.

عن عبدالله بن زياد الأسدي قال: (لمَّا سار طلحةُ والزبير وعائشة إلى البصرة، بعثَ عليٌّ عمار بنَ ياسر وحسنَ بن علي، فقدِما علينا الكوفة فصَعِدا المنبر، فكان الحسن بن علي فوق المِنْبر في أعلاهُ وقام عمارٌ أسفلَ من الحسن فاجتمعنا إليه، فسمعتُ عماراً يقول: إنَّ عائشة قد سارتْ إلى البصرة، والله إنها لزوجةُ نبيِّكم ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكنَّ الله تبارك وتعالى ابتَلاكُم لِيَعْلمَ إيَّاهُ تُطِيعون أم هي)[٢].

وقد لامَ أبو موسى عماراً على تسرُّعه في الخروج وحضِّه الناسَ على النفير والانضمام إلى أمير المؤمنين لِما قد يؤدي ذلك إلى القتال، وعمار عابَ على أبي موسى إبطاءَه في الاستجابة لأمر الخليفة، ولكل منهما اجتهاده وعذره[٣].

●● وجرى حوار بين أبي موسى والحسن بن علي، فأقبل الحسن على أبي موسى وقال له: (لِم تُثبِّط الناس عنَّا؟! فوالله ما أردنا إلا الإصلاحَ، ولا مِثْلُ أمير

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٥٩)؛ وابن ماجه (٣٩٦١)، وغيرهما، وصحَّحه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٠٠)، وانظر ما تقدم: ص٤٦٥ ـ ٤٦٦ رقم (٤) في كتابنا هذا.

(٣) انظر: الفتح: ١٦/٣٧٦.



المؤمنين يُخاف على شيء. فقال: صدقتَ بأبي أنت وأمي! ولكنَّ المستشار مؤتَمَن؛ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنها ستكون فتنة القاعدُ فيها خير من القائم، والقائمُ خير من الماشي، والماشي خير من الراكب**»، قد جعلنا الله ﷻ إخواناً، وحرم علينا أموالَنا ودماءنا، وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ﴾ [النساء: ٢٩]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ الآية [النساء: ٩٣]!.

فغضب عمار بن ياسر، وثار الناس عليه، إلا أن أبا موسى استطاع أن يهدِّئهم ويَكفَّهم عنه. وقد اقتنع جمهور من أهل الكوفة بالخروج بعد محاورات طويلة مع الحسن بن علي، فخرجوا معه في نحو (٩٠٠٠) رجل[1].

وبَلَغ من نُبْل الصحابة وصدق نياتهم وأصالة أخلاقهم التي تربوا عليها؛ أنهم لزِموها في أقسى الأزمات واستفحال الخِلاف الذي قد يؤدي للاقتتال، وتجلى ذلك في مواقف عديدة منها تلك الكلمة الرائعة التي أعلنها السيد الجليل الحسن بن علي في أَتُون الخلاف واحتدامه؛ قال الحسن: (إن علياً يقول: إني أذكِّر الله رجلاً رعَى الله حقّاً إلا نفر، فإنْ كنتُ مظلوماً أعانني، وإنْ كنت ظالماً أخذلني! والله إن طلحة والزبير لأولُ من بايعني ثم نكثا، ولم أستأثر بمالٍ، ولا بدَّلتُ حكماً). قال: فخرج إليه اثنا عشر ألف رجل[2].

وتلك الشهادة الرفيعة من عمار بن ياسر في أم المؤمنين عائشة حيث يقول: (إنَّ أُمّنا سارت مسيرَها هذا، وإنها والله زوجُ محمد ﷺ في الدنيا

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٨٢_٤٨٧؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٦_٢٣٧.

(٢) الفتح: ١٦/٣٧٤، نقلًا عن: أخبار البصرة، لابن شبة، بسند صحيح أو حسن كما اشترط الحافظ.

والآخرة، ولكنَّ الله ابتلانا بهذا ليعلمَ إيــاه نطيع أم إياها!). وهذا من إنصاف عمار وشدة ورعه وتحرِّيه قولَ الحق[١].

●● وبعد هذا الاستنفار التحق ما بين (ستة آلاف إلى سبعة آلاف رجل) بجيش علي بذي قار، والتحق به (ألفان) من أهل البصرة من عبد القيس قبيلة حُكيم بن جَبَلة، كما التحق به كثير من قبائل أخرى؛ حتى بلغ جيشه حوالي (اثني عشر ألف رجل)، منهم ثمان مئة من الأنصار وأربع مئة ممن شهد بيعة الرضوان[٢].

سابعاً: وصول جيش علي إلى البصرة، ومحاورات مع طلحة والزبير، واتفاق على الصلح:

الحقيقة الساطعة التي أكَّدتها مواقفُ أكابر الفريقين في جيش علي وجيش طلحة والزبير: أن غايتهم جميعاً الإصلاح والتوافق لإقامة الحدود وإطفاء الفتن وتسكين الأمور وتجنُّب أي مواجهة أو قتال، بخلاف ما شاع في كتب التاريخ والأدب والأســمار قديمــاً وحديثاً مــن أكاذيب حول ســعي الصحابة للقتال والغدر، وما صدر منهم من الاتهامات والشتائم المُقذِعة المتبادلة؛ مما نزَّهَهم الله تعالى عن ذلك كله!.

عندما قدِمَتْ جموعُ أهل الكوفة على أمير المؤمنين علي بذي قار، قام فيهم فقال: (يا أهل الكوفة، أنتم وَليتم شــوكةَ العجــم وملوكهم، وفَضَضتُم جموعَهم، حتى صارت إليكم مواريثُهم، فأغنيتــم حَوْزَتكم، وأعنتُم الناس

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٧١٠/٨؛ الفتح: ٣٧٥/١٦؛ تاريخ خليفة، ص ١٨٤. وانظر ما تقدم: ص ٤٦٦ في هذا الكتاب.

(٢) مصنف عبد الرزاق: ٤٥٦/٥ـ٤٥٧؛ تاريــخ الطبري: ٥٠٦/٤؛ تاريــخ خليفة، ص ١٨٤، بطرق متعاضدة ترتقي إلى الصحيح. انظر: عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٥٣.

على عدوِّهم. وقد دعوتُكم لتشهدوا معنا إخوانَنا من أهل البصرة، فإنْ يرجعوا فذاك ما نريد، وإن يلجُّوا داويناهم بالرفق، وبايَنَّاهم حتى يبدؤونا بظُلم، ولن نَدَعَ أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله)[1].

ثم أكَّد عليٌّ ﷺ هذا المنهج بأن قام يستبرئ خبر إخوانه الذين سيطروا على البصرة، وعلى رأسهم طلحة والزبير، ليعرف ما الذي أخرجهم وماذا يريدون، وليذكِّرهم اللهَ تعالى والحرصَ على وحدة الأمة، فبعث الصحابي العبقري القعقاع بن عَمْرو، وقال له: (القَ هذين الرجلين ـ طلحة والزبير ـ فادعُهما إلى الألفة والجماعة، وعَظِّم عليهما الفُرْقَة).

فخرج القعقاع حتى قدِم البصرة، فبدأ بأم المؤمنين عائشة، فسلَّم عليها، وقال: (أَيْ أمَّه، ما أَشخَصكِ؟ وما أقدمكِ هذه البلدة؟ فقالت: أي بُنيَّ، إصلاح بين الناس، قال: فابعثي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما. فبعثت إليهما فجاءا.

فقال: إني سألتُ أم المؤمنين ما أشخَصَها وما أقدَمَها هذه البلاد؟ فقالت: إصلاح بين الناس، فما تقولان أنتما؟ أمتابعان أم مخالفان؟ قال: متابعان.

قال: فأخبراني، ما وَجْهُ هذا الإصلاح؟ فوالله لئن عرفناه لنُصلحنَّ، ولئن أنكرناه لا نُصلح.

قالا: قتلةُ عثمان، فإنّ هذا إنْ تُرِكَ كان تركاً للقرآن، وإن عُمِلَ به كان إحياءً للقرآن.

فقال: قد قتلتُما قتلة عثمان من أهل البصرة، وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليومَ؛ قتلتم ست مئة إلا رجلاً، فغضب لهم ستة آلاف،

---

(١) تاريخ الطبري: ٤٨٧/٤؛ البداية والنهاية: ٢٣٧/٧.

واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم ذلك الذي أفلتَ ـ يعني حرقوص بن زهير ـ فمنعه ستة آلاف وهم على رِجل[١]، فإن تركتموهم كنتم تاركين لِما تقولون، وإنْ قاتلتموهم والذين اعتزلوكم، فأُدِيلوا عليكم، فالذي حذِرتم وقرِبْتم به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون. وأنتم أحميتم مُضَر وربيعة من هذه البلاد، فاجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرةً لهؤلاء، كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير!.

قالت أم المؤمنين: فتقول أنت ماذا؟.

قال: أقول: هذا الأمر دواؤه التسكين، وإذا سكن اخْتُلِجُوا[٢]، فإنْ أنتم بايعتمونا فعلامةُ خير، وتباشير رحمة، ودرَكٌ بثأر هذا الرجل، وعافية وسلامة لهذه الأمة. وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافَه؛ كانت علامةَ شرٍّ، وذهابَ هذا الثأر، وبِعْثَة الله في هذه الأمة هَزاهِزَها[٣]! فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم تكونون، ولا تُعرِّضونا للبلاء، ولا تَعرَّضوا له، فيصرعنا وإياكم. وايمُ الله، إنّي لأقول هذا وأدعوكم له، وإني لخائفٌ ألا يتمَّ حتى يأخذَ الله حاجته من هذه الأمة التي قلَّ متاعها، ونزل بها ما نزل! فإن هذا الأمر الذي حدث أمرٌ ليس يُقدَّر وليس كالأمور، ولا كقتلِ الرجل الرجلَ، ولا النفرِ الرجلَ، ولا القبيلة الرجلَ.

فقالوا: نعم، إذاً قد أحسنتَ وأصبتَ المقالة، فارجع، فإنْ قدِمَ عليٌّ وهو على مثل رأيك صَلَح هذا الأمر.

---

(١) على رِجْل: مشمِّر للأمر قائم به.
(٢) تفرقوا.
(٣) هي البلايا والحروب.

فرجع إلى عليٍّ فأخبره، فأعجبه ذلك، وأشــرف القوم على الصلح، كَرِه ذلك مَنْ كرهه، ورضيَه مَن رضيه)[(١)].

واختزل المسعودي كل هذه الأخبار، وأرسل الكلام جزافاً، وزعم أن عليّاً (بعث إليهم مَن يناشــدهم الله فــي الدماء، وقال: عــلامَ تقاتلونني؟ فأبَوْا إلا الحرب، فبعث إليهم رجلاً من أصحابه يُقال له: مسلم، معه مصحف يدعوهم إلى الله، فرموه بسهم فقتلوه!)[(٢)].

وهو في هذا جارٍ على عادة الرافضــة في الطعن على الصحابة عامة ومن خالف عليّاً خاصة.

●● كان أمير المؤمنين علي أســعدَ الناس وأعظَمَهم اغتباطاً بنجاح مهمة القعقاع، التي تبشر بحقن دماء المسلمين وجَمْع كلمتهم ووحدة صفِّهم، وقام يعلن ذلــك على الملأ ويصرِّح بموقفه من قتلة عثمــان وأنهم المتهمون بكل شرٍّ حدث وفتنة وقعت، وكان مما قاله:

(ثم حدث هذا الحدث الذي جــرَّه على الأمة أقوام طلبــوا هذه الدنيا، حســدوا مَنْ أفاءها الله عليه على الفضيلة، وأرادوا ردَّ الأشــياء على أدبارها، والله بالــغ أمره، ومصيب مــا أراد. أَلَا وإنــي راحل غــداً فارتحِلوا، ألا ولا يرتحلنَّ غداً أحد أعان على عثمان بشيءٍ في شــيءٍ من أمور الناس، وليُغْنِ السفهاء عني أنفسَهم!)[(٣)].

وارتحل علــيٌّ بمن معه من صحبه وجنــده، وحطُّوا رحالَهــم قريباً من البصــرة، ونزلوا مكاناً يســمى (الزاوية)، ونزل جيش طلحــة والزبير بمكان

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٨٨ـ٤٨٩؛ المنتظم: ٥/٨٥؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٨.
(٢) مروج الذهب: ٢/٢٨٢.
(٣) تاريخ الطبري: ٤/٤٩٣؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٨ـ٢٣٩.

يسمى (الفُرْضة)، وتدانَوا حتى تراءَوا، وذلك في يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة سنة (٣٦هـ)[١].

وأدرك أمير المؤمنين بألمعيته أن الفتَّانين وأتباعَهم من الرَّعَاع لا يريدون تسكينَ الفتن وإتمامَ الصلح، فلوَّح لهم وحذَّرَهم، وخطب الناس فقال: (يا أيها الناس املِكوا أنفسَكم، كُفُّوا أيديَكم وألسنتكم عن هؤلاء القوم[٢]؛ فإنهم إخوانكم، واصبروا على ما يأتيكم، وإياكم أن تسبقونا فإن المخصوم غداً من خصم اليوم).

وارتحل بمن معه حتى أطلَّ على أهل البصرة وفيهم طلحة والزبير وعائشة، وبعث إليهم رجلين: (إنْ كنتم على ما فارقتم عليه القعقاعَ بن عمرو فكفُّوا وأقِرُّونا ننزل وننظر في هذا الأمر).

فأرسل إليه طلحة والزبير: (إنَّا على ما فارَقْنا القعقاعَ بن عمرو من الصلح بين الناس. فاطمأنت النفوس وسكَنتْ. واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيشين، فلما أمسوا بعث عليٌّ عبد الله بن عباس إليهم، وبعثوا إليه محمد بن طلحة السجَّاد، وبات الناس بخير ليلة)[٣].

وخرج طلحة والزبير فنزلا بالناس من (الزَّابوقة)[٤] في موضع قرية الأرزاق، فنزلت مُضَر جميعاً وهم لا يَشكّون في الصلح، ونزلت ربيعة فوقهم جميعاً وهم لا يشكُّون في الصلح، ونزلت اليمن جميعاً أسفل منهم وهم لا يشكّون في الصلح، وعائشة في الحُدّان[٥]، والناس في الزابوقة على

---

(١) تاريخ خليفة، ص ١٨٤ ـ ١٨٥؛ تاريخ الطبري: ٥١٠/٤.

(٢) يعني جيش طلحة والزبير.

(٣) تاريخ الطبري: ٤٩٦/٤؛ المنتظم: ٨٧/٥؛ البداية والنهاية: ٢٤٠/٧.

(٤) موضع قريب من البصرة كانت فيه موقعة الجمل.

(٥) إحدى محالّ البصرة القديمة، سُميت باسم قبيلة بني حُدَّان وهم من الأزْد.



رؤسائهم هؤلاء وهم ثلاثون ألفاً، وردُّوا رسولَي عليٍّ إليه بأنّا على ما فارَقْنا عليه القعقاعَ فاقدَمْ. فخرج الرسـولان حتى قدِما علـى أمير المؤمنين علي، فارتحل حتـى نزل عليهم بحيالهـم؛ فنزلت القبائل إلـى قبائلهم: مُضَر إلى مُضر، وربيعة إلى ربيعـة، واليمن إلى اليمن، وهم لا يَشـكُّون في الصلح، فكان بعضُهم بحيالِ بعـض، وبعضهم يخرج إلى بعـض، ولا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح، وخرج أمير المؤمنين فيمن معه وهم عشرون ألفاً[١].

فلما نزل النـاس واطمأنوا، خرج عليٌّ وخرج طلحـة والزبير فتواقفوا وتكلّموا فيما اختلفوا فيـه، فلم يجدوا أمراً هو أمثـل من الصلح ووضع الحرب حين رأوا الأمر قد أخذ في الانقشـاع، وأنه لا يُدرَك، فافترقوا عن موقفهم علـى ذلك، ورجـع علي إلـى عسـكره، وطلحـة والزبير إلى عسكرهما[٢].

واتفق الفريقان جميعاً أن يكلم كل منهما رؤساءَ أصحابه بما تمَّ التوصل إليه، (فلما أمسَـوْا ـ وذلك في جمادى الآخرة ـ أرسـل طلحـة والزبير إلى رؤسـاء أصحابهما، وأرسلَ عليٌّ إلى رؤسـاء أصحابه، ما خلا أولئك الذين هَضُوا[٣] عثمانَ، فباتوا على الصلـح، وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية من الذي أشـرفوا عليه، والنزوع عما اشـتهى الذين اشـتهوا وركبوا ما ركبوا[٤]. وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشـرٍّ ليلةٍ باتوها قط، قد أشرفوا على الهَلَكة، وجعلوا يتشاورون ليلتَهم كلَّها، حتى اجتمعوا على إنشاب الحرب في السرِّ، واستسرُّوا بذلك خشية أن يُفطَن بما حاولوا من الشرِّ!)[٥].

---

(١) تاريخ الطبري: ٥٠٥/٤.

(٢) تاريخ الطبري: ٥٠٦/٤؛ المنتظم: ٨٧/٥.

(٣) أي: كسروه وصرعوه.

(٤) يعني: قتلة عثمان وأصحاب الفتنة.

(٥) تاريخ الطبري: ٥٠٦/٤؛ المنتظم: ٨٧/٥ـ٨٨.

وتذكر رواية بإسناد حسن عن عبد خير ـ وهو ممن شهد الجمل مع علي ـ قال: (ضُرب فُسطاط بين العسكرَيْن يوم الجمل ثلاثةَ أيام، فكان علي والزبير وطلحة يأتونه، فيذكُرون فيه ما شاء الله)[1]. وهم يَسْعَون لإيجاد حلّ سلمي للموقف، وقد تمَّ لهم ذلك، لكن السبئية عاجلوهم فأنشَبوا القتال في ظلمة الليل، ومشى الفريقان إلى بعضهما، فكانت الفاجعة!.

ثامناً: المنافقون[2] والسبئية يُنشِبون القتال:

●● تعاضدت الأخبار وأكدت حقائق الأحداث أن الفريقين لم يخرجا للقتال ولا قصداه ولا تمنَّياه، وأنهم اتفقوا على المصالحة وإقامة الحدود على قتلة عثمان، وأن غالبية الناس في الجيشين على هذا. ولكن أولئك القتلة والمنافقين ممن أعانهم والمجرمين من أتباع ابن سبأ؛ قد أيقنوا أن اتفاق أمير المؤمنين عليّ مع أخويه الزبير وطلحة سيؤول في النهاية إلى استهدافهم وتتبُّعِهم وإقامة حدّ القصاص عليهم.

فتواطأت القتلة على إشعال الفتنة بين الفريقين ـ كما أوقدوها زمن عثمان وأشاطوا بدمه ـ فحملوا على عسكر طلحة والزبير، فظنَّ طلحةُ والزبير أن علياً حَمل عليهم، فحملوا دفعاً عن أنفسهم، فظنَّ علي أنهم حملوا عليه فحمل دفعاً عن نفسه، فوقعت الفتنة بغير اختيارهم[3]!.

وقال أبو بكر ابن العربي: (وقدِم عليٌّ البصرة، وتدانَوا ليتراءَوا، فلم يتركْهم أصحاب الأهواء وبادروا بإراقة الدماء، واشتجر بينهم الحرب،

(١) فضائل الصحابة، لأحمد: ٥٩٦/٢؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٧١٠/٨.

(٢) ثبت في الحديث الصحيح: أن النبي ﷺ وَصَمَ الذين خرجوا على عثمان وأصروا على خلعه بأنهم (منافقون).

(٣) منهاج السُّنَّة: ٣٦/٣ـ٣٧؛ وانظر: ٧١٩/٣، ٧٣٣.

وكثرت الغوغاء على البَوْغـاء، كل ذلك حتى لا يقع برهان، ولا تقف الحال على بيان، ويخفَى قتلة عثمان، وإنَّ واحداً في الجيش يُفسِد تدبيره، فكيف بألف؟!)[١].

وقال الطحاوي: (فجَرَتْ فتنة الجمل على غير اختيارٍ من عليّ، ولا من طلحة والزبير، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين)[٢].

وقال مثل ذلك الباقلاني والقاضي عبدالجبار وابن حزم وغيرهم.

وتفصيلات الأحداث والأخبار تؤكد هذا الكلام الإجمالي الذي اختصره واعتصره أولئك الأئمة العلماء. كذلك تؤكد الأخبار أن الذين كانوا يَكرهون الصلح هم عبدالله بن سبأ وجماعته السبئيَّة وقتلة عثمان، وهؤلاء كانوا في جيش علي بدليل اعتراضهم على علي حين عزم على الرحيل قائلاً: (ألا وإني راحل غداً فارتحلوا... وليُغنِ السفهاء عني أنفسهم)[٣]. ويؤكد وجودَهم في جيش علي خبرٌ آخر يشير إلى أن عبدالله بن سبأ كان أحدَ الرؤساء في (بني عبدالقيس) الذين خرجوا مع علي[٤].

•• هؤلاء المجرمون عليهم وِزْر سفكِ الدماء من أيام حوصِر أمير المؤمنين عثمان ثم مضى إلى ربه شهيداً، وحتى وقعتي الجمل وصفِّين؛ فلقد كانوا دائبين على إثارة الفوضى ونشرِ الأكاذيب وإذاعةِ الأراجيف واختلاقِ الفتن وإشعالِ نار الخلاف وإيقاد جذوة الاقتتال، ويهدفون من وراء ذلك إلى:

- تفكيك عُرى الخلافة والحكم الإسلامي.

---

(١) العواصم من القواصم، ص ١٥٩. البوغاء من الناس: السَّفِلة والحمقى.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٧٢٣.

(٣) انظر ما تقدم: ص٥٠٧ حاشية (٣) في هذا الكتاب.

(٤) تاريخ الطبري: ٥٠٥/٤.

- وإبطال الحدود وإهدار القصاص للدماء.
- وتمزيق الأمة والحيلولة دون وحدتها وتلاحمها.
- واستمرار الخلاف وصرف المسلمين عن الفتوحات ونشر الإسلام.
- ونشر البدع والأفكار المضادة للإسلام.
- وتلويث العقيدة وتشويه صفائها ونقائها.

وقد تحقق شيء كثير من ذلك في عهد علي فما بعده!.

وللمضيِّ في هذا المخطط اليهودي السبئي الباطني؛ عقد رؤوس الشر من مساعير الفتنة وأصحاب الهوى والعقائد الفاسدة اجتماعاً عاجلاً لإجهاض (اتفاقية الصلح بين الفريقين)، وتفجير الخلاف من جديد لإدخال المسلمين في غياهب الاقتتال مرة أخرى.

●● فاجتمعوا في منأى عن الناس، وزعيمُهم عبد الله بن سبأ، وفيهم: شُريح بن أوفى، والأشتر النخعيّ، وخالد بن ملجَم، وعِلْباء بن الهيثم، في عدة ممن سار إلى عثمان بن عفان، وكانوا في أتباعهم نحو (ألفين وخمس مئة رجل)، وليس فيهم صحابي ولله الحمد[1].

(وتشاوروا فقالوا: ما الرأي؟ وهذا والله عليٌّ، وهو أعلمُ بكتاب الله ممن يطلب قتلةَ عثمان، وأقربُ إلى العمل بذلك، وقد قال ما سمعتم! غداً يجمع عليكم الناس، وإنما يريد القوم كلهم أنتم، فكيف بكم وعددُكم قليل في كثرتهم؟! فقال الأشتر: قد عرفنا رأيَ طلحة والزبير فينا، وأما رأي عليٍّ فلم نعرفه إلى اليوم، فإن كان قد اصطلح معهم فإنما اصطلحوا على دمائنا، فإن كان الأمر

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٩٣؛ المنتظم: ٥/٨٦؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٩؛ ووقع في تاريخ الطبري ذكر الصحابي (عدي بن حاتم)، وهو غلط.

هكذا ألحقنا علياً بعثمان، فَرَضي القوم منا بالسكوت! فقال ابن السوداء[١]: بئسَ ما رأيتَ، لو قتلناه قتَلَنا؛ فإنا يا معشـر قتلة عثمان في ألفين وخمس مئة، وطلحة والزبير وأصحابهما في خمسة آلاف، لا طاقة لكم بهم، وهم إنما يريدونكم).

وتكلم عِلْباء بن الهيثم وغيره، وأخيراً كان الرأي الحاسم لابن سبأ حيث تكلم فقال: (يا قوم، إن عزَّكم في خُلْطة الناس، فصانِعوهم، وإذا التقى الناس غداً فأنشِبوا القتال، ولا تفرِّغوهم للنظر، فإذا مَنْ أنتم معه لا يجد بدّاً من أن يمتنع، ويُشغِل الله علياً وطلحة والزبير ومَن رأى رأيهم عما تكرهون. فأبْصَروا الرأي، وتفرَّقوا عليه والناس لا يشعرون!)[٢].

●● وأجمع هؤلاء المجرمون على إنشاب الحرب في السـر، واستسرُّوا بذلك خشية أن يُفطن بما حاولوا من الشرّ، فغدَوا مع الغَلَس ـ وهم قريب من ألفي رجل ـ وما يَشعر بهم جيرانهم، انسلُّوا إلى ذلك الأمر انسلالاً، وعليهم ظُلمة، فخرج مُضَريُّهم إلى مضريِّهم، ورَبعيُّهم إلى ربعيِّهم، ويمانيُّهم إلى يمانيِّهم؛ فوضعوا فيهم السلاح، فثار أهلُ البصرة، وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين بَهَتُوهم ـ أو: بغتوهم[٣]ـ.

وقام الناس من منامهم إلى السلاح فقالوا: طَرَقَنا أهلُ الكوفة ليلاً وبَيَّتُونا وغَدَروا بنا! وظنوا أن هذا الأمر عن مـلأ من أصحاب علي! فبلغ الأمر علياً فقال: ما للناس؟ فقالوا: بَيَّتَنا أهـلُ البصرة وغَدَروا بنا! فثار كل فريق إلى سلاحه ولبسوا اللَّأْمة، وركبوا الخيول، ولا يشعر أحد منهم بما وقع من المؤامرة، وقامت الحرب على ساق وقدم[٤]!.

---

(١) هو عبدالله بن سبأ.
(٢) تاريخ الطبري: ٤/٤٩٣ـ٤٩٤؛ الكامل، لابن الأثير: ٣/١٢٠؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٩.
(٣) تاريخ الطبري: ٤/٥٠٦؛ البداية والنهاية: ٧/٢٤٠.
(٤) المنتظم: ٥/٨٨؛ البداية والنهاية: ٧/٢٤٠.

•• ولم يكن الفريقـان يقصدان إلى القتال، ولم يبـدأ عليٌّ أهلَ البصرة بالقتال حتى بدؤوه هم بتدبيرٍ خبيث من السبئيين. وقد جاء في «مصنف ابن أبي شـيبة» من رواية زيد بن وهب ـ وهو ممن شـهد الوقعة مع علي ـ قال: (فكَفَّ ـ علي ـ عن طلحة والزبير وأصحابهما، ودعاهم، حتى بدؤوه فقاتلهم بعد صلاة الظهر، فما غربت الشمس وحول الجمل عينٌ تطرُف!)[(١)].

وكثير من الروايـات الحديثية في ميـدان التاريخ والفتوحـات والفتن وغيرها؛ فيها اختصار كبير تفصّله وتملأ فراغاتـه الروايات التاريخية، وهذه الرواية فيها إجمال فصَّلَتْه رواية سيف بن عمر، والمعنى: أن قتلة عثمان عَدَوْا على أهل البصرة، فـرَدُّوا عليهم ـ وهم لا يـدرون بالمؤامرة ـ فهجموا على جيش الكوفة، فظنَّ عليٌّ أن أخويه طلحة والزبير قاتلاه ابتداءً، فعندئذٍ قاتلهم.

ولم يحالِف التوفيقُ الدكتور الفاضل أكرم العمري حيث أشـار إلى هذه الرواية وقـرَّر أن طلحة والزبير بدأا عليّـاً بالقتال[(٢)]، وفي هـذا اتهام خطير للصحابيين الجليلين!.

تاسعاً: مجريات القتال، ومواقف أكابر الفريقين:

١ ـ الجولة الأولى:

•• أنشـب الخوارج السـبئية القتال بين الفريقين فـي مكيدة يهودية خبيثة ماكرة، وتأييدٍ ومعونةٍ من أصحاب الأهواء، والحُرصاء على الزعامة، والسُّعاة في تمزيق وحدة الأمة، وعَماءٍ من الرَّعاع الذين يُساقون بلا تعقل أو روية، على نفس النهج الذي لفَّقوا فيه الأكاذيب وروَّجوها على الخليفة عثمان وولاته وسياسته، والتي أنهوها باستباحة دمه!.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٨/٧٢٠؛ وصحَّحه الحافظ في الفتح: ١٦/٣٧٣.

(٢) عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٥٤ـ٤٥٥.

وعندما بُوغِت الفريقــان وهم في غفلة عما دُبِّر بليل، وفي ســلامة من قلوبهم وإمســاك بأيديهم عن إراقة دمٍ حرام ـ لم يجد كل فريق بُدّاً من الدفع عن نفسه، وردِّ المباغتة والعدوان.

فأهل البصرة ظنوا أن إخوانهم من أهل الكوفة قد نقضوا الصلح وغدروا بهم، وكذلك ظن أهل الكوفة بأهل البصرة، ولا يشــعر أي من الفريقين بما حدث في نفس الأمر على الحقيقة، وكان أمر الله قدراً مقدوراً[١].

(وقَصَفَ أهلُ البصرة أولئك الكوفيين حتى ردُّوهم إلى عسكرهم، فسمع عليٌّ وأهل الكوفة الصــوت، وقد وضعوا[٢] رجلًا قريباً مــن علي ليخبره بما يريدون، فلما قال: ما هذا؟ قال ذاك الرجل: ما فجئنــا إلا وقوم منهم بَيَّتونا، فردَدْناهم من حيث جاؤوا، فوجدنا القوم على رِجْل فركبونا، وثار الناس)[٣].

ومع هَوْلِ المفاجأة كان لا بدَّ لكل من الفريقين أن يستعد للمواجهة وردِّ العدوان، فتعبَّى كل من الجيشــين ورتب قواته وصفوفه في ميمنة وميســرة وقلب. والسبئية لا يفتُرون عن إنشاب القتال، ومنادي علي ينادي في الناس: أَلَا كُفُّوا، ألا كفّوا.. فلا يسمع أحد[٤]!.

ويــروي يحيــى بن ســعيد الأنصاري، عن عمــه قال: (لمَّــا تواقَفْنا يوم الجمل، وقد كان عليٌّ حين صَفَّنا نادى في الناس: لا يَرمينَّ رجلٌ بسهمٍ، ولا يطعن برمح، ولا يضرب بسيف، ولا تبدؤوا القوم بالقتال، وكلِّموهم بألطف الكلام، فإن هذا مقامٌ مَنْ فَلَج فيه فَلَج يوم القيامة. فلم نزل وقوفاً حتى تعالى النهار، حتى نادى القوم بأجمعهم: يا ثارات عثمــان! فنادى عليٌّ محمدَ ابنَ

---

(١) البداية والنهاية: ٧/٢٤٠.

(٢) أي: السبئية.

(٣) تاريخ الطبري: ٤/٥٠٧؛ الكامل، لابن الأثير: ٣/٢٤٢.

(٤) تاريخ الطبري: ٤/٥٠٧؛ البداية والنهاية: ٧/٢٤٠.

الحنفيَّة وهو أمامنا ومعه اللواء، فقال: يا ابنَ الحنفية ما يقولون؟ فأقبل علينا محمد ابن الحنفية فقال: يا أميــر المؤمنين، يا ثارات عثمان! فرفع علي يديه فقال: اللَّهمَّ كُبَّ اليوم قتلة عثمان لوجوههم)[١].

وقال الحارث بن جُمْهَان: (لقد رأيتُنا يــومَ الجمل وإنَّ رماحَنا ورماحَهم متشاجرة، ولو شاء الرجل أن يمشي عليها لمشَى! قال: وهؤلاء يقولون: لا إلٰه إلا الله والله أكبر، وهؤلاء يقولون: لا إلٰه إلا الله والله أكبر!)[٢].

وهكذا فالصحابة والصالحــون الخيِّرون في الفريقين (كان رأيهم جميعاً في تلك الفتنة ألا يقتتلــوا حتى يُبدؤوا، يطلبون بذلك الحجة، ويَســتحقّون[٣] على الآخرين، ولا يقتلــوا مدْبِراً، ولا يُجْهِزوا على جريــح، ولا يتبعوا مولِّياً. فكان ـ ذلك ـ مما اجتمع عليه الفريقان ونادَوا فيما بينهما)[٤].

ولكن المنافقين والخوارج الســبئية وأتباعَهم وأعوانَهــم الذين اختلقوا الفتن من أيام عثمان؛ مضَوا في طغيانهم يعمهون، يوقدون الخلاف ويُسرِعون في الشر ويخلطون الأمور، ليُعَمُّوا عن أنفسهم، وليوقِعوا عامةَ المسلمين في أَتون الحيــرة والريبة والظنــون، ولا يَدَعــون للعقــلاء والمخلصين فرصة يستطلعون فيها الأمور على جليَّتِها، ويكشفون خيوط المؤامرة ويقبضون على مدبِّريها وسَدَنتِها. كذلك فالسبئيون يقصدون إلى أن يُكْثِروا من الفُتوق التي يصعب رتْقُها في حالات السلم فضلاً عن ساعات الفتنة والاقتتال. ولم تُجدِ معهم مناشــدات زعماء الفريقين علي وأخويه طلحــة والزبير: (ألا كفُّوا، ألا كفُّوا) (أيها الناس أتُنصِتون)! بل اســتمروا في المخالفــة وإثارة الفتنة وجَلْدِ

(١) السنن الكبرى، للبيهقي: ١٨٠/٨؛ حياة الصحابة: ٤٥٩/٢ ـ ٤٦٠. فلج: ظَفِر.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٧١١/٨؛ تاريخ خليفة، ص ١٩١، وفيهما أخبار أخرى.
(٣) أي: يطلبون الحق.
(٤) تاريخ الطبري: ٥٠٧/٤.

الأحداث لتسير في المهاوي التي دبّروها لها، والفتنة إذا وقعت صعُب على الحلماء حلُّها، وعجز الحكماء عن إطفاء نارها.

●● تواقف الفريقان، وقد اجتمع في جيش علي (عشــرون ألفاً)، والتفَّ على طلحة والزبير نحو من (ثلاثين ألفاً)[١].

وعبَّى كل منهما جيشــه ونظَّم صفوفه، وعيَّن القادة على الخيل والرجَّالة والمقدمة والميمنة والميســرة، **وكان من القادة في جيش علي**: ولداه الحسن والحسين، واللواء مع ابنه الثالث محمد المعروف بابن الحنفية، وابن عباس، وعمار بن ياســر، ومحمد بن أبي بكر، وعبدالله بن جعفــر. **ومن القادة في جيش البصرة**: طلحــة والزبير وابنه عبدالله بن الزبيــر، وعبدالله بن عامر بن كريز، ومروان بن الحكم[٢].

ونَشِبت الحرب بين الفريقين وقامت على ساق، وتبارز الفرسان وجالت الشــجعان، وتشــابكت الرماح حتى يقول غير واحد ممن شهد الوقعة: (لقد رأيتُنا يوم الجمل وإنَّ رماحنا ورماحهم لمتشاجرةٌ، ولو شاءت الرجال لمشَتْ عليها!)[٣].

واشتد القتال، وأصحاب الفتنة الســبئيون يسعِّرون الحرب بين الطرفين، وأقبل التابعــي الجليل كعب بن سُــوْر حتى أتى أم المؤمنين عائشــة فقال: أدركــي، فقد أبى القــوم إلا القتال، لعــل الله يصلح بكِ. فركبتْ، وألْبَســوا هودجَها الأدراعَ، ثم بعثوا جملها، وبرزت حتى وقفت على مقربة من أرض المعركة وسمعت ضجة الغوغاء، وهي ترجو من مَقْدمها هذا أن يراها الناس،

(١) البداية والنهاية: ٢٤٠/٧؛ وانظر: تاريخ خليفة، ص ١٨٤.
(٢) تاريخ خليفة، ص ١٨٤.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٧٠٨/٨؛ وانظر ما تقدم: ص٥١٦ حاشية (٢) في هذا الكتاب.

ويقدِّروا منزلتهـــا ويحافظوا على حرمتها وهـــي زوج نبيهم ﷺ؛ فيكفُّوا عن القتال، فلم يتم ذلك، بل استمر مؤرّثو الفتن في إيقادها بين الفريقين[١]!.

ويروي الأحنف بـــن قيس فيقول: لمـــا التقـــوا كان أول قتيل طلحة بن عبيد الله[٢]. (وكان القتال يســتحرُّ إلـــى انتصاف النهـــار، وأُصِيب فيه طلحة، وذَهَب فيه الزبير[٣]، فلما أَوَوْا إلى عائشـــة، وأبَى أهل الكوفة إلا القتال ولم يريدوا إلا عائشة، ذَمَرتْهم عائشة، فاقتتلوا حتى تنادَوْا فتحاجزوا، فرجعوا بعد الظهر فاقتتلوا، وذلك (يوم الخميس في جمادى الآخرة ٣٦هـ)، فاقتتلوا صَدْر النهار مع طلحة والزبير، وفي وســطه مع عائشـــة. وتزاحَفَ الناس، فهَزمت يمـــنُ البصرة يمنَ الكوفة، وربيعـــةُ البصرة ربيعةَ الكوفـــة، ونَهَد عليٌّ بمُضَر الكوفة إلى مُضَر البصرة وقـــال: إن الموت ليس منه فَوْت، يدرِكُ الهاربَ ولا يترك المُقيم)[٤].

ورأى الزبير أن أمر الفتنة يتعالى ويشتد، والإصلاح ووقْفَ القتال يَخفت ويتلاشـــى؛ فآثر الســـلامة وتركَ أرض المعركة قاصداً الذهاب إلى المدينة، فلَحِقه بعض الظَّلَمة الخاسرين فقتلوه غدراً!.

وباستشهاد طلحة والزبير تنتهي الجولة الأولى من (وقعة الجمل).

٢ ـ الجولة الثانية:

●● وفي قلـــب المعركة ومع احتدام المواجهة ســـعى قـــادة الفريقين إلى إيقاف القتال وحَقْن الدمـــاء، فأخذ أمير المؤمنين علـــي مصحفاً فطاف به في

(١) تاريخ الطبري: ٥٠٧/٤؛ المنتظم: ٨٨/٥ـ٨٩.
(٢) تاريخ خليفة، ص ١٨٥.
(٣) أي: ترك القتال وانسحب من المعركة كما سيأتي تفصيله.
(٤) تاريخ الطبري: ٥١٤/٤؛ المنتظم: ٨٩/٥.

أصحابه وقال: مَن يأخذ هذا المصحــف يدعوهم إلى ما فيه؟ فتصدَّى له فتى، فصرفه عليٌّ عنه مرتين، وفي الثالثــة أعطاه إياه، فقام يدعو الناس إلى الصلح، فاستهدفه السبئيون فقطعوا يده اليمنى ثم اليسرى، فضَمَّ المصحفَ إلى صدره والدم يسيل على قَبَائه، حتى قتلوه[(١)]!.

وفي جيش البصرة وقد استُشهد طلحة والزبير فكانت أم المؤمنين عائشة محطَّ الأنظــار للقيام بدور خطير فــي إيقاف القتال، مــع ما في بروزها في ساحة القتال من تعريضها للقتل بسهام الســبئية المجرمين، فأمرتْ بحضور القاضي النبيل كعب بن سُــوْر ـ وكان قد اعتزل ـ فلبَّى طلبها بإجلال وإكبار لمقامها[(٢)]، فجاء وأخذ بخطام جملها، فنادته وقالت: خَلِّ يا كعب عن البعير، وتقدَّمْ بكتاب الله ﷻ فادْعُهم إليه، ودفعَتْ إليه مصحفاً، وأقبل القوم وأمامهم الســبئية يخافون أن يجري الصلح، فاســتقبلهم كعب بالمصحف، وعليٌّ من خلْفهم يَزَعُهم ويأبَــوْن إلا إقداماً، فلما دعاهم كعبٌ رشَــقُوه رِشْــقاً واحداً فقتلوه، ورمَوْا عائشة في هودجها، فجعلت تنادي: يا بَنِيَّ البقيةَ البقيةَ ـ ويعلو صوتُها كثرةً ـ اللهَ اللهَ، اذكروا الله ﷻ والحسابَ.. فيأبون إلا إقداماً! فكان أول شــيء أحدثَتْه حين أبَوْا أن قالت: أيها الناس، الْعَنوا قتلةَ عثمان وأشياعَهم.. وأقبلتْ تدعو.

وضَجَّ أهــل البصرة بالدعاء، وســمع علي بن أبي طالــب الدعاءَ فقال: ما هذه الضجة؟ فقالوا: عائشة تدعو ويدعون معها على قتلة عثمان وأشياعِهم، فأقبل يدعو ويقول: اللَّهمَّ العَنْ قتلة عثمان وأشياعَهم)[(٣)].

---

(١) تاريخ الطبري: ٥١١/٤.
(٢) طبقات ابن سعد: ٩٢/٧ـ٩٣.
(٣) تاريخ الطبــري: ٥١٣/٤؛ البداية والنهاية: ٢٤٢/٧ـ٢٤٣؛ وجــاء مختصراً في طبقات ابن سعد: ٩٢/٧؛ وتاريخ خليفة، ص ١٨٥.

وفي روايــة: عن محمد ابن الحنفيَّــة: أن عليّاً بَلَغــه أن أم المؤمنين عائشــة تلعن قتلة عثمان، فقال علــيٌّ: (لعنَ الله قتلة عثمان في الســهل والجبل والبر والبحــر!). ومن طريق آخر: قال علي: (اللّهــمَّ أَحْلِلْ بقَتَلة عثمان خِزياً)(١).

وهكذا اشــترك صالحو الفريقين في لعــن قتلة أمير المؤمنين الشــهيد المظلوم، في الســاعة التي كان فيها قتلة عثمان يُنشِــبون القتال بين صالحي المسلمين(٢)!.

واســتجاب لنداء علي وأم المؤمنين الصالحــون والمخلصون والعلماء والعقلاء، وكثيرٌ ما هم، لكن السبئية والغوغاء ونُزّاع القبائل والمطرودين من قبائلهم لا يأبهون لدينٍ أو خُلق، ولا يرجِعون إلى فضيلة أو مكرمة؛ مستمرون في ضلالهم وتسعيرِهم نار الحرب!.

وقصد أولئك المجرمون أمَّ المؤمنين واســتهدفوا جملَها، فالتف حولها أهل البصرة ومن كان معهم من أهل مكة والمدينة يحمونها وينافحون عنها، والخوارج الســبئية وقتلة عثمان منبثون بين الناس ويقاتلون ضمن عشائرهم لكي لا يتميزوا فيُؤخَذوا ويُقتلوا، وكذلك ليســتجروا معهم قبائلَهم ويخلطوا الأمور ويزيدوا من حدة الخلاف والاشتباك وتسعير القتال!.

فلما رأى عقلاء الفريقين شــدة الاشــتباك تنادوا في العســكرين: (يا أيها الناس طَرِّفوا)؛ أي: تجنَّبــوا القتل، وإذا كان لا بدّ من قتــال فعلى الأطراف: الأيدي والأرجل، فمــا رُئيت وقعةٌ قط أكثرَ يداً ورجــلاً مقطوعة منها! ودافع الذين حول الجمل حتى أبعدوا المهاجمين، (ثم ضربوا ضرباً ليس بالتعذير -

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٧١٢/٨، ٧١٦، والأسانيد صحيحة.

(٢) هامش العواصم من القواصم، ص ١٦١.

أي: المبالَــغ فيــه ـ ولا يَعْدِلــون بالتطريف، حتــى إذا كثُر ذلــك وظهر في العسكرين جميعاً؛ راموا الجمل وقالوا: لا يزال القوم أو يُصرع ـ الجمل ـ!)[١].

●● واســتهدف الســبئية جملَ أم المؤمنين عائشــة يريدون قتلها، وقد تكاثَفَ حولهــا المدافعون عنها، فكانــت أم المؤمنين فــي حَلْقة من أهل النَّجدات والبصائر، وكان من يأخذ بزمام الجمل يحمل الراية وينتسب لها: أنا فلان ابن فلان، وكانوا يقاتلون عليه وإنه للموتُ لا يوصَل إليه إلا بِطِلبةٍ وعَنَت، وما رامه أحد من أصحاب علي إلا قُتــل أو أَفْلَت ثم لم يَعُدْ! ولما اختلط الناس بالقلب جاء الأشتر النخعي فحامله عبدالرحمن بن عتّاب بن أَسِيد[٢]، وإنه لأقطعٌ مَنْزوفٌ، ثم جَلَد به الأرض عن دابته، فاضطرب تحته، فأفلت وهو جَرِيض[٣]!.

وكان هذا الأشــتر من رؤوس الشــرِّ ومن عُتاة المؤجِّجيــن لنار القتال، لا يرعوي ولا يتورع عن إثارة الفتنة منذ أيام عثمان بن عفان!.

وتقدم عبدالله بن الزبير وبه ســبع وثلاثون جراحة من ضربة وطعنة، وأخذ بزمام الجمل، ومشى إليه الأشــتر النَّخَعي، فاختَلَفا ضربتين، ضَربه الأشتر فأَمَّه، وواثَبه عبــد الله فاعتنَقَه فخرَّ بــه، وجعل يقول: (اقتلوني ومالــكاً)، وكان الناس لا يعرفونه بمالكٍ، ولو قال: (والأشتر)، وكانت له ألف نفس ما نجا منها شيء! وما زال يضطرب في يديْ عبدالله حتى أَفْلَت[٤]!.

---

(١) تاريخ الطبري: ٥١٥/٤ـ٥١٧؛ البداية والنهاية: ٢٤٣/٧.

(٢) أبوه عتاب بن أســيد الأموي أمير مكة في عهد النبي ﷺ، وكان عبدالرحمن من الأشداء الذين نافحوا عن أم المؤمنين، وقُطعت يده قبل لقائه الأشتر في حملة قطع الأطراف!.

(٣) تاريخ الطبري: ٥٢٥/٤. جَرِيض: مجهود ذاق غصص الموت!.

(٤) تاريخ الطبري: ٥٢٥/٤ـ٥٢٦، ٥٣٠؛ البداية والنهاية: ٢٤٤/٧. أَمَّه: شَــجَّه شجة بلغتْ أمَّ رأسه وهي الجلدة المحيطة بالدماغ.

وجاء محمد بن طلحة بن عبيد الله المعروف بالسَّجَّاد فأخذ بزمام الجمل، وقال لأم المؤمنين: يا أُمَّتاه، مُرِيني بأمـــرِكِ، قالت: آمرُكَ أن تكون كخير ابني آدم إنْ تُرِكتَ. فحمل، فجعل لا يَحمِل عليه أحد إلا حمل عليه ويقول: (حم، لا ينصرون)، واجتمع عليه نفر، فكلُّهم ادّعى قتْلَه[1]!.

•• واشـــتد القتال حـــول أم المؤمنين من قِبَـــل دعاة الفتنة من الســـبئيين والمدافعين عنها؛ يقول حُجير بن الربيع العَدَوي: (قُتل بَشَـــرٌ كثير حول عائشة يومئذٍ، سبعون كلهم قد جمع القرآن، ومن لم يجمع القرآن أكثر)[2].

ويقول أبو رجاء العُطَارديّ: (لقد رأيتُ الجمل يومئذٍ كأنه قُنفذ من النَّبْل، ورجل آخذٌ بالخِطام وهو يقول:

نحنُ بنو ضَبَّةَ أصحابُ الجَملْ　　نُنازِل المــوتَ إذا الموتُ نَزلْ
والموتُ عندنا أحلَى من العسل　　ننعَى ابنَ عفان بأطراف الأَسَلْ

قال: فأقســـم بالله ما بَرِح حتى برى قوائم البعير، فسقط، فقالوا: أُمُّنا أمُّنا! فقال رجـــل لأبي رجـــاء: ما صنعتَ يومئذٍ؟ قـــال: رميتُ بأســـهمٍ فما أدري ما فعلن)[3].

ورأى الصالحـــون المخلصون أن المعركة سيســـتمر لهيبهـــا ما دامت أم المؤمنين على جملها، وعُظْمُ الفريقين يحرص على حرمتها وحياتها، وفيهما كذلك المجرمون الذين لا يرجـــون لله وقاراً، وليس عندهم دينٌ يَردعُهم، ولا خُلق ينفعهـــم، ولا قائد يَزَعُهم ويغـــلُّ أيديَهم! فاجتهد أميـــر المؤمنين عليٌّ

---

(١) تاريخ الطبري: ٥٢٦/٤.
(٢) طبقات ابن سعد: ٢٨٨/٤؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٥٥، بإسناد صحيح لغيره.
(٣) تاريخ خليفة، ص ١٩٠ بإسناد حسن؛ وبنحوه عند الطبري: ٥٣٠/٤ـ٥٣١، ٥٣٣. **الأسل**: الرماح. برى: أي نحتت قوائمه.

وغيرُه في أن يعقِروا الجمل لينفضَّ الناس ويتوقف القتال وتُحقن الدماء، وتُحفظ حرمة أم المؤمنين وحياتها وكرامتها.

روى الصعب بن حَكيم بن شَريك، عن أبيه، عن جدِّه شَرِيك بن نَمْلَة قال: قال علي: مَن رجلٌ يحمل على الجمل؟ فانتَدبَ له هند بن عَمْرو المُرادي، فاعترضَه عمرو بن يَثْربي فقتله، ثم حمل آخرون، فاعترضَهم ابنُ يثربي وقتل ثلاثة منهم(١).

وفي رواية عن عبدالله بن الزبير: (ونادى علي: اعقروا الجمل، فإنه إنْ عُقر تفرَّقوا. فضربه رجلٌ فسقط، فما سمعتُ صوتاً أشدَّ من عَجيج الجمل)(٢).

وفي رواية: أن الذي أشار بعَقْر الجمل هو الصحابي القعقاع بن عمرو(٣).

وفي رواية صحيحة: عن عبدالرحمن بن أَبْزَى قال: (انتهى عبدالله بن بُدَيْل بن ورقاء الخُزاعي إلى عائشة يوم الجمل وهي في الهودج، فقال: يا أم المؤمنين، أَتعلمينَ أني أتيتُكِ عندما قُتل عثمان فقلتُ: ما تأمريني؟ فقلتِ: الزَمْ علياً؟ فسكتَتْ. فقال: اعقِروا الجمل، فعقروه. فنزلتُ أنا وأخوها محمد فاحتملنا هودَجَها فوضعناه بين يدَيْ عليٍّ، فأَمر بها فأُدخِلتْ بيتاً)(٤).

ولا تعارض بين هذه الروايات، فقد كان أمير المؤمنين وطائفة كبيرة من الصحابة والأخيار حريصين على أم المؤمنين وجلالتها وحرمتها وكرامتها، وكلهم سعى لتجنيبها كل ما يؤذيها.

روى أبو جميلة البَكّائي قال: (إني لفي الصف مع عليٍّ إذ عُقِر بأم المؤمنين جملُها، فرأيتُ محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر يشتدان بين

---

(١) تاريخ الطبري: ٥٢٩/٤ـ٥٣٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٥١٩/٤؛ البداية والنهاية: ٢٤٤/٧ـ٢٤٥.

(٣) تاريخ الطبري: ٥٢٧/٤.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة: ٧٢٠/٨؛ وذكره الحافظ في الفتح: ٣٧٣/١٦، وقال: سنده جيد.

الصفين أيهما يَسبق إليها، فقطعا عُرْضَة الرحْل فاحتملاها في هودجها!)[١].

وكذلك حرص القعقاع بن عَمْرو وزُفر بن الحارث على الإحاطة بالسيدة عندما عُقِر الجمل، وأحاطا بهودجها حتى لا يصل إليها من يريدها بسوء[٢].

• • ولما سقط الجمل انهزم الناس، وانتهت المعركة وألقت الحرب أوزارها، بعد أن تركت جراحاً في جسم الأمة من ذلك الوقت ولا تزال إلى الآن تجد من ينكؤها، ويستطيل بلسانه وقلمه على الصحابة ويقع في أعراضهم، ويتغاضى عن جرائم قتلة عثمان والسبئية الذين كانوا ضد كل إصلاح وتسكين، ومساعيرَ شرٍّ وموقدي فتنة!.

٣ ـ تاريخ الوقعة ومدتها:

عن قتادة قال: التقوا في النصف من جمادى الآخرة سنة (٣٦هـ)، وكانت الوقعة يوم الجمعة[٣].

وقريب منه قول عمر بن شبة في «أخبار البصرة»[٤].

واستغرقت الوقعة نصف يوم:

قال المسعودي: كانت وقعة واحدة في يوم واحد. وحددها اليعقوبي بقوله: كانت الحرب أربع ساعات من النهار[٥].

وقريب منه رواية عن الشعبي[٦].

---

(١) تاريخ خليفة، ص ١٩٠.
(٢) تاريخ الطبري: ٥٢٧/٤.
(٣) تاريخ خليفة، ص ١٨٤ ـ ١٨٥؛ تاريخ الطبري: ٥٠١/٤.
(٤) الفتح: ٣٧٢/١٦.
(٥) مروج الذهب: ٢٧٥/٢؛ تاريخ اليعقوبي: ٨١/٢.
(٦) تاريخ الطبري: ٥١٢/٤.

ويؤيد ذلك رواية صحيحة عن زيد بن وَهْب قال: (فقاتَلَهم عليٌّ بعد صلاة الظهر، فما غربت الشمس وحول الجمل عينٌ تَطْرُف ممن كان يَذبُّ عنه)[١].

٤ ـ عدد القتلى:

ذكرت عامة كتب التاريخ القديمة (أعداداً ضخمة) للقتلى من الفريقين، وجرى على ذلك كثير من الكتاب المعاصرين، دون النظر في صحة الخبر ونقده علميّاً ومنطقيّاً.

●● ذكر خليفة بن خياط أن عدد القتلى يوم الجمل: (عشرون ألفاً)، وفي رواية: (ثلاثة عشر ألفاً) منهم (خمس مئة) من أصحاب علي[٢].

ونقل الطبري أن عددهم: (عشرة آلاف)، نصفهم من أصحاب علي والنصف الآخر من أصحاب عائشة. وذكر في موضع آخر أن العدد يزيد على (ستة آلاف)[٣].

وتابعه ابن الجوزي وابن كثير والذهبي وغيرهم[٤].

وقال اليعقوبي: (وكانت الحرب أربع ساعات من النهار، فروى بعضهم أنه قُتل في ذلك اليوم نيِّف وثلاثون ألفاً!)[٥].

وأما المسعودي فذكر أن قتلى يوم الجمل من أهل البصرة: (ثلاثة عشر ألفاً)، ومن أصحاب علي: (خمسة آلاف)[٦].

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٧٢٠/٨؛ وصحَّحه الحافظ في الفتح: ٣٧٣/١٦.
(٢) تاريخ خليفة، ص ١٨٦.
(٣) تاريخ الطبري: ٥٣٩/٤، ٥٤٥.
(٤) المنتظم: ٩٣/٥؛ البداية والنهاية: ٢٤٥/٧؛ العبر: ٢٧/١.
(٥) تاريخ اليعقوبي: ٨١/٢.
(٦) مروج الذهب: ٢٧٥/٢.

وعلى مثل هذه الأرقام مشى كثير من المعاصرين[١]، ومما قاله هشام جعيط ـ بعد أن ذكر نحو ما قدمنا ـ: (وفي إمكان المؤرخ الحديث أن يحاول التقليل من إجمالي عدد القتلى في المعسكرين... ولكن من الصعب النزول إلى ما دون بضعة آلاف)[٢].

•• نقول: هذا التضخيم في عدد القتلى والتهويل في حجم خسائر الفريقين؛ غير صحيح وهو من مجازفات الرواة والمؤرخين، ومن الكلام الذي يُلقى على عَوَاهِنِه، وباطل من عدة وجوه:

١ ـ حِرصُ قادة الفريقين والصلحاء والخيِّرين على تحاشي القتال، والأمرِ بالكَفِّ عنه، والمناداة في الجيشين: ألَا كُفّوا، ألا كفوا، ورفعُ المصاحف، والتصريحُ بأنهم إنما خرجوا للإصلاح، وقول الكثيرين: (لَوَدِدتُ أني لم أشهد ذلك اليوم)، وندمُ أكابر الفريقين على ما حصل.

٢ ـ التحرُّجُ من القتال عند عامة الطرفين، واستحضارُ الآيات التي تأمر بحفظ الدماء وترهِّب من الاجتراء على قتل نفس واحدة؛ كقوله تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

٣ ـ كان الغالب على القتال في تلك الوقعة المدافعةَ والمواقفة ورفْعَ السلاح من كل طرف في وجه الآخر، وتقديمَ الجرح والإيلام على القتل، وإلى هذا تشير عدة روايات من مثل: (لما كان يوم الجمل أشرَعْنا الرماحَ في صدورهم وأشرعوها في صدورنا... وأنا أسمع هؤلاء يقولون: لا إلٰه إلا الله والله أكبر، وهؤلاء يقولون: لا إلٰه إلا الله والله أكبر)[٣].

---

(١) فضائل الإمام علي، لمغنية، ص٣٨؛ علي بن أبي طالب، لعبد الكريم الخطيب، ص ٣٥٥ـ٣٥٦؛ الإمام القائد، لبسام العسلي، ص ٧٧.

(٢) كتابه: الفتنة، ص ١٩٣ ـ ١٩٤.

(٣) انظر ما تقدم: ص٥١٥ ـ ٥١٦ في هذا الكتاب.

٤ ـ معظمُ أفراد الفريقين كانوا من قبائل واحدة سكنت في الكوفة والبصرة، وتواجهت في تلك الوقعة: مُضَر إلى مضر، وربيعة إلى ربيعة... فكانوا عند المواجهة يرعوون عن القتل والجرأة فيه، وهم يذكرون الله والإسلام وحرمة الدم والقرابة.

٥ ـ كانت الجولة الثانية من المعركة أعظمَ إيلاماً وأشدَّ فتكاً وأكثر قتلى حيث استهدف السبئيون القتلةُ أمَّ المؤمنين عائشة ومَن حول الجمل حتى صار الهودج كالقنفذ كما قدمنا، ومع ذلك فقد صحت الرواية: (قُتل بشرٌ كثير حول عائشة يومئذٍ، سبعون كلهم قد جمع القرآن، ومن لم يجمع القرآن أكثر)[1]؛ وهو عدد ضئيل إذا قورن بالأعداد الهائلة التي ذكرتْها الروايات الطائشة، ويشير إلى أن العدد الحقيقي لا يتجاوز بضعَ مئات.

ويؤيد ذلك أن كثيراً من الروايات ينص على أن القتلى في جيش علي (٤٠٠ إلى ٥٠٠ نفس)، ولو أن هذا العدد قَتل مثلَه من جيش البصرة؛ لَما تجاوز قتلى الطرفين ألفَ نفس، ولا يعقل أن أولئك الخمس مئة قتلوا من جيش عائشة (ثلاثة عشر ألف نفس) كما ذكرت الرواية نفسها!.

٦ ـ ذَكرت روايات كثيرة أن أمير المؤمنين صلَّى على قتلى الفريقين، وهذا يشير إلى ضآلة عددهم، إذ لا يُعقل البتَّة أن يبلغوا بضعةَ عشر ألفاً؛ فأي مكان يجمعهم وأية مقابر تسعُهم! هذا ما لا نعرفه حتى في الحروب الحديثة التي تدمر كل شيء.

٧ ـ لم تحدث في نهاية المعركة عملياتُ انتقام أو ملاحقة للفارِّين من ساحتها، أو إجهازٌ على الجرحى، أو حدوث مجازر فيهم، بل كان النداء يتردَّد من قادة الطرفين: ألّا يُتبع مدبِر، ولا يُذَفَّف على جريح.

---

(١) تقدم: ص ٥٢٢ حاشية (٢) في هذا الكتاب.

٨ ـ قِصر مدة المعركة التي امتدت نصفَ يوم كما ثبت في رواية صحيحة، أي: نحو ست ساعات، وهي مُدَيْدة لا يمكن أن تُزهق فيها أرواح أكثر من عدة مئات. والروايات التي تذكر أن عدد القتلى (٢٠ ألفاً) أو (٣٠ ألفاً)؛ هي باطلة بيقين، ولا تروج على من له مَسْكَة من عقل؛ فمعركةٌ مدتها أقل من (٤٠٠ دقيقة) يُقتل فيها مثل ذاك العدد الضخم، تعني أنه يقتل في الدقيقة الواحدة نحو (٦٠ نفساً)، فمن يصدق هذا؟!.

وفي تاريخنا القديم أمثلة مقارنة تدحضُ ذلك؛ فمثلاً معركة اليرموك استُشهد فيها من المسلمين (ثلاثة آلاف)، مع اتساع وقت القتال، وشراسة الأعداء، وكثرة أعداد الجيشين.

وأيضاً الحروب الحديثة تشهد ببطلان تلك الأرقام الخيالية؛ فلقد قرأنا وشهدنا حروباً تُستخدم فيها كل أسلحة الفتك والتدمير من مدفعية ودبابات وصواريخ وطائرات، وعلى مدى أيام طويلة بل أشهر، لم يَسقط فيها من القتلى مثل تلك الأعداد المزعومة التي ذكرها الأخباريون عن وقعة الجمل في (نصف يوم) و(بأسلحة بدائية يدوية)!.

ولقد أطلتُ البحثَ والنقد لهذا الموضوع؛ لبيانِ تهافته، وكشفِ المبالغات والتزوير والتضليل الذي درج عليه الرواة الضعفاء، وتناقلَتْه الكتب والجمَّاعون من المؤلفين على مرِّ السنين حتى زماننا. وأيضاً لبيان الإساءة المتعمَّدة إلى رجالنا وتاريخنا؛ حيث توحي تلك الروايات بأن رجال ذلك العهد حُرَصاء على هدر الدماء وغيرُ عابئين بحرمة الأنفس، ولا يَحكمهم شرف الأخلاق في القتال عند الخلاف! كما أنها تخفي الجريمة التي اقترفتها السبئية وقتلة عثمان؛ بهدف الإيحاء لقارئ تاريخ ذلك العهد بأن الجميع والغٌ في القتل، وليس فقط تلك العصابة المجرمة؛ وفي هذا تبرئة لأصحاب الفتنة وتعميم للجريمة على الجميع، وكفى بذلك خطورة

وخيانة لذلك العهد وأولئك الرجال الشرفاء الذين لوّثَتْ تاريخَهم مثلُ تلك الروايات التالفة!.

عاشراً: مواقف جليلة في أعقاب المعركة:

١ ـ جاء عن أمير المؤمنين عليّ مِنْ غير وجه: أنه أمر مناديه يوم الجمل: أن لا يُتبع مدبِر، ولا يُذَفَّف على جريح، ولا يُقتل أسير، ومَن أغلق بابه فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ولا يُستحل فرْج ولا مال، ولا يؤخذ من متاعهم شيء[١].

٢ ـ بعد أن فرغ عليٌّ من الوقعة جمع ما وجده لأصحاب عائشة في المعسكر، وأَمر به أن يُحمل إلى مسجد البصرة، فمن عرف شيئاً هو لأهله فليأخذه، إلا سلاحاً كان في الخزائن عليه سِمَةُ السلطان. ودخل البصرة فوجد في بيت المال (ست مئة ألف درهم)، فقسمها على من شهد معه الوقعة، فأصاب كل رجل (خمس مئة، خمس مئة). فخاضَ في ذلك السبئية وطعنوا على أمير المؤمنين من وراء وراء[٢].

عن عبد خير: (أن عليّاً لم يسبِ يوم الجمل ولم يخمِّس، قالوا: يا أمير المؤمنين، ألا تخمِّس أموالَهم؟ فقال: هذه عائشة تستأمرونها! قالوا: ما هو إلا هذا، ما هو إلا هذا)[٣].

قال البيهقي: الصحيح أن عليّاً لم يأخذ شيئاً، ولم يسلب قتيلاً[٤].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٦٧٥/٧، ٧١٠/٨، ٧١١، ٧١٨، ٧١٩؛ مصنف عبدالرزاق (١٨٥٩٠، ١٨٥٩١)؛ سنن سعيد بن منصور: ٣٣٧/٢ـ٣٣٨؛ فضائل الصحابة، لأحمد: ٧٣٧/٢، بأسانيد متعاضدة إلى الصحيح.

(٢) تاريخ الطبري: ٥٣٨/٤ـ٥٣٩، ٥٤١؛ البداية والنهاية: ٢٤٥/٧.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٧٠٧/٨، بإسناد صحيح؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٦٠.

(٤) السنن الكبرى: ١٨١/٨.

وفي رواية عن أبي البَخْتري: (قالوا: يــا أمير المؤمنين، تحلُّ لنا دماؤهم ولا تحلُّ لنا نســاؤهم! قال: فخاصَموا، فقال: كذلك الســيرة في أهل القبلة، فهاتوا سهامَكم واقرَعُوا على عائشــةَ فهي رأسُ الأمر وقائدهم! قال: ففَرِقوا، وقالوا: نستغفر الله! قال: فخَصَمهم عليٌّ)[١].

٣ ـ ويدلُّك على عمق المأســاة في قلب أمير المؤمنين ما كان يَنفثُه من الآهات والتوجُّع وهو يــرى الأخيار قد جُندِلوا على أرض المعركة بســبب تلك الفتنة العمياء!.

أقام عليٌّ في عســكره ثلاثة أيــام لا يدخل البصرة، ونــدَب الناس إلى موتاهم فخرجــوا إليهم فدفنوهم، فطــاف عليٌّ معهم في القتلــى، فلما أُتي بكعب بن سُــوْر قال: زعمتم أنما خرج معهم السفهاء، وهذا الحَبْر قد ترون! وأتى على عبدالرحمن بــن عتَّاب فقال: هذا يَعْسُــوب[٢] القوم. وجعل علي كلما مرَّ برجل فيه خير قال: زعم من زعم أنه لم يخرج إلينا إلا الغوغاء، هذا العابد المجتهد! وصلَّى علــى قتلاهم من أهل البصرة وعلى قتلاهم من أهل الكوفة، وصلَّى على قريش من هؤلاء وهؤلاء، فكانوا مدنيين ومكيين، ودفن الأطراف في قبر عظيم[٣].

٤ ـ وبعــد الفراغ من المعركة أقبــل أمير المؤمنين علــى مخالفيه الذين قاتلوه، وبذل لهم الرفق والمســامحة، وبادلوه هم كذلــك بالموافقة وتجاوز المحنة والحرص على وشائج الأخوة وتوحيد الكلمة، وجددوا له البيعة.

عن موســى بن طلحة بــن عبيد الله قــال: (انطلقتُ فدخلــتُ على أمير المؤمنين فسلَّمتُ، فقال: أتبايع، تدخل فيما دخل فيه الناس؟ قلت: نعم، قال

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٧١٠/٨، وسنده صحيح.

(٢) هو السيد والرئيس.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٧١٩/٨؛ تاريخ الطبري: ٥٣٨/٤؛ البداية والنهاية: ٢٤٥/٧.

هكذا: ومدَّ يده فبَسَـطها، قال: فبايعتُه. ثم قال: ارجِع إلى أهلك ومالِك. قال: فلما رأى الناس قد خرجتُ، جعلوا يدخلون فيبايعون)[١].

٥ ـ ويأتي الصحابي الجليل عمار بن ياسـر، وهو من أبرز وجوه الناس في جيش علي، فيستأذن على أم المؤمنين عائشة ويعاتبها على اجتهادها في خروجها:

عن أبي يزيـد المديني قال: (قال عمار بن ياسـر لعائشـة لمَّا فرغوا من الجمل: ما أبعدَ هذا المسيرَ من العهد الذي عُهِد إليكم ـ يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] ـ فقالت: أبو اليقظان! قال: نعم، قالت: والله إنكَ ما علمتُ قوَّال بالحق، قال: الحمدُ لله الذي قضَى لي على لسانك)[٢].

وعن عَمْرو بن غالب قال: (دخل عمار والأشتر على عائشة بالبصرة، فقال عمار: السلامُ عليكِ يا أُمَّه، قالت: لستُ لك بأمٍّ، قال: بلى، وإنْ كرهتِ!)[٣].

ومع كل ما جرى كان عمار ـ شـأن جميع الصحابة والأخيار الذين طهَّر الله قلوبَهم وألسنتَهم ـ يُجلُّ السيدة عائشة ويؤكِّد منزلتها في الإسلام، ويقرِّع كل من يجترئ على النَّيل من مقامها الرفيع، وعندما سـمع رجلاً ينالُ منها قرَّعه قائلاً: (اغرُبْ مَقْبوحاً مَنْبوحاً، أَتؤذي حبيبةَ رسول الله ﷺ؟!)[٤].

حادي عشر: بين أمير المؤمنين علي وأم المؤمنين عائشة:

١ ـ توطئة:

الدارس المنصِـف لعصر الخلفاء الراشـدين يتحقق بيقيـن أن الصحابة

(١) تقدم: ص٤٦٢ حاشية (٢) في هذا الكتاب؛ وانظر: تاريخ الطبري: ٥٤١/٤.
(٢) تاريخ الطبري: ٥٤٥/٤ـ٥٤٦؛ وصحَّحه الحافظ في الفتح: ٣٧٥/١٦ (٧١٠٠).
(٣) تهذيب الكمال: ١٨٥/٢٢.
(٤) حديث صحيح، تقدم: ص٤٦٦ حاشية رقم (٣) في هذا الكتاب.

جميعاً رضـــوان الله عليهم كانوا على أرفع مكارم أخلاق الإســـلام التي ربَّاهم عليها النبي ﷺ، مع الصديق والعدو في الســـرّاء والضـــرّاء، وهكذا كانوا فيما بينهم في حالات الوفاق والخلاف، واليســـر والعســـر، لا يخرج بهم الغضبُ والتمسك بالرأي والاجتهاد إلى العصيان والعدوان والخروج عن آداب القرآن، ولا يذهب بهم حظُّ النفس إلى تجاوز مبادئ الإســـلام والنكول عن الشمائل النبيلة التي تأصلت في أنفسهم وعاشوها حياتهم حتى لقوا وجه ربهم.

وعلى هـــذا النهج بقي الصحابـــة وبخاصة أكابرُهم فـــي زمن الفتنة الجامحة أيـــام الجمل وصفِّين بل والنهروان! كمـــا تؤكد ذلك الأحاديث الصحيحة والأخبار المستقيمة والمواقف التاريخية المتعددة.

وبمثل هذا الهَدْي تهدَّى أمير المؤمنين علي والسيدة الطاهرة أم المؤمنين عائشـــة، في نشـــر الفضائل، والاعتراف بالمكارم، والودّ والاحترام والتبجيل المتبادل، والصفح والتسامح والإعذار على المخالفة في الاجتهاد، والمعاملة بالحسنى، وإظهار ذلك كله أمام الأشهاد.

فلم يكن بينهما غِلٌّ قديم ولا حقدٌ دفين، ولا جرى تأليبٌ أو انتقام، ولا حدثَتْ إهانة ولا تشهير، ولا صدر قدحٌ ولا ذَمٌّ، ولم يَثبت اتهامٌ أو شتم، ولا صَحَّ من ذلك شـــيء من قِبل علي في حق الســـيدة، ولا منهـــا في حق أمير المؤمنين.

بَيْدَ أن إرْثـــاً ثقيلاً من الأخبـــار الواهية والأســـاطير المختَلَقة والمواقف المفتعلة والشتائم والإقذاع و... و... قد ناءَ بها كاهلُ كتب التاريخ في (تراث أهل السُّنَّة)، دَعْ عنك (تراث دين الرافضة)!.

والأنكى من ذلك والأشد مرارة وأعمق مأساة، أن تلك البلايا والرزايا قد تمَّ توارُثها (كأنها جينات ســـائدة) عبر أجيال مـــن المؤرخين والكتَّاب، حتى

وصلت إلينا كأنها مســلَّمات، بعضُها عن قصد وخبث ومكر وكيد وبغضاء وحقد، وبعضٌ آخر عن غباء وغُثائية وتقليد، وبعضٌ ثالث ناجم عن انخداع بذلك (الموروث) الذي صدَّقه فريق عريض من النــاس، لكثرة ترداده وثقلِ الأحداث التي تناولها!.

في هذا الإطار نفهم ما جرى وما نقل إلينا عن علاقة أمير المؤمنين علي مع أكابر الصحابة في أحداث البصرة ووقعــة الجمل وكذلك في خلافه مع أهل الشام وأميرهم معاوية ووقعة صفين.

٢ ـ عائشة تشيد بعليٍّ وتنشر مكارمه وتبرِّئه مما افتُرِي عليه:

أ ـ عن عائشــة قالت: (خرج النبي ﷺ غداةً وعليه مِرْطٌ مُرَحَّل من شــعرٍ أسوَدَ، فجاء الحسنُ بن علي فأَدْخَلَه، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمــةُ فأدخلها، ثم جاء علــيٌّ فأدخَلَه، ثم قــال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣])[١].

ب ـ وعن شُريح بن هانئ قال: (سألتُ عائشةَ عن المسح على الخفَّين؟ فقالت: سَــلْ علياً فإنه أعلمُ بهذا منِّي، كان يســافر مع رســول الله ﷺ. قال: فسألتُ علياً؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: «**للمسافر ثلاثةُ أيام ولياليهنَّ، وللمقيم يومٌ وليلة**»)[٢].

ج ـ وعن جَسْرة بنت دِجاجة قالت: (ذُكر عند عائشة صومُ عاشوراء، فقالــت: مَن يأمُركــم بصومِه؟ قالــوا: عليٌّ، قالــت: إنه أعلــمُ مَن بقي بالسُّنَّة)[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٢٤). **مرط**: كساء. **مرحل**: منقوش عليه صور رحال الإبل.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٦)؛ وابن ماجه (٥٥٢)؛ وأحمد (٧٤٨)، وغيرهم.

(٣) تاريخ ابن عساكر: ٤٨/٣؛ الاستيعاب: ٤٠/٣.

د ـ وروى عُبيد الله بن عياض بن عَمْرو القاريُّ قال: (جاء عبدالله بن شدَّاد فدخل على عائشة ونحن عندها جلوس، مرجعَه من العراق ليالِيَ قُتل عليٌّ، فقالت له: يا عبدَ الله بن شداد، هل أنت صادقي عما أسألُك؛ تحدِّثُني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم[1] علي؟ قال: وما لي لا أُصْدُقُكِ؟! قالت: فحدِّثْني عن قصَّتِهم...)، فذكر حديثاً طويلاً فيه قصة الخوارج وقتْل عليٍّ لهم، وفي آخره: (قالت: فما قول عليٍّ حين قام عليه[2] كما يزعمُ أهل العراق؟ قال: سمعتُه يقول: صَدَقَ الله ورسوله، قالت: هل سمعتَ منه أنه قال غيرَ ذلك؟ قال: اللَّهمَّ لا، قالت: أجَلْ، صدقَ الله ورسوله، يرحمُ الله عليّاً إنه كان من كلامه لا يرى شيئاً يُعجبه إلا قال: صدق الله ورسوله، فيذهبُ أهل العراق يَكذبون عليه ويزيدون عليه في الحديث)[3].

هـ ـ وعن عبدالرحمن بن أَبْزَى قال: (انتهى عبدالله بن بُدَيْل بن ورقاء الخُزاعي إلى عائشة يوم الجمل وهي في الهودج، فقال: يا أم المؤمنين، أتعلمينَ أني أتيتُكِ عندما قُتل عثمان فقلتِ: ما تأمريني؟ فقلتِ: الزَمْ عليّاً؟! فسكتَتْ. فقال: اعقِروا الجمل، فعقروه)[4].

فهذا الحديث وما قبله يؤكد إجلالَ السيدة لأمير المؤمنين، وثناءَها عليه، ونشْرَها فضائله، وأنها بقيتْ على ذلك حتى بعد وقعة الجمل، وهي تقرِّر صحةَ بيعة علي وأحقيتَه بالطاعة، وأنها ما نقضَتْ بيعتها له، ولا طعنَتْ عليه، ولا خرجت ضده ولا أَلَّبتِ الناس عليه، ولا قصدت شيئاً من ذلك ولا سعت إليه، واستمرت في موقفها من علي على أرفع أخلاق الإسلام.

---

(١) أي: الخوارج.
(٢) تعني: (ذا الثُّدَيَّة) وقد قام علي عليه وهو مقتول.
(٣) أخرجه أحمد (٦٥٦)؛ والحاكم: ٢/١٥٢ـ١٥٤ وصحَّحه، ووافقه الذهبي؛ وصحَّحه ابن كثير في البداية والنهاية: ٧/٢٨٠ـ٢٨١.
(٤) تقدم: ص٥٢٣ في هذا الكتاب.



و ـ ولمَّا جهَّز أمير المؤمنين عائشــةَ ووضع لهــا الرفقة التي ترافقها من البصرة إلى المدينة، خرجت السيدة على الناس وفي مقدمتهم علي، وَوَدَّعُوها وودَّعَتْهم، وقالت: (يا بَنيَّ، تعتَّبَ بعضُنا على بعض اســتبطاءً واستزادة، فلا يعتدَّنَّ أحدٌ منكم على أحدٍ بشــيء بَلَغه من ذلك، إنه والله ما كان بيني وبين عليٍّ فــي القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائهــا، وإنه عندي على مَعْتَبتي من الأخيار. وقال علي: يا أيها الناس، صدقتْ والله وبَرَّتْ، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجةُ نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة)[١].

ز ـ وأما ما جاء في موقف علــيٍّ من (قصة الإفك)، فحاشــاه أن يكون قصَدَ الإســاءة إلى جناب الســيدة وطهارتها وبراءتها، وهو يعلم أنها زوجة النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، ومُحال أن يُنال من شــرفها صيانةً لها ولعِرْضها وعِرْض رسول الله ﷺ!.

وفي حديث الإفك الطويل عن عائشة قالت: (ودعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب وأســامةَ بن زيد حين استَلْبَثَ الوحيُ يســألُهما ويستشيرهما في فِراق أهله. قالت: فأما أسامةُ فأشــار على رسول الله ﷺ بالذي يَعلمُ من براءة أهله وبالذي يعلمُ لهم في نفسه، فقال أسامة: أهلُكَ، ولا نَعلمُ إلا خيراً. وأما عليٌّ فقال: يا رســولَ الله، لم يُضَيِّق الله عليك، والنســاءُ ســواها كثيرٌ، وسَلِ الجاريةَ تَصْدُقْكَ)[٢].

قال الحافــظ: (وهذا الكلامُ الذي قاله عليٌّ حملــه عليه ترجيحُ جانب النبي ﷺ لِما رأى عنده من القلق والغمِّ بســبب القول الذي قيل، وكان ﷺ شــديد الغيرة، فرأى علي أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى

---

(١) تاريخ الطبري: ٥٤٤/٤؛ البداية والنهاية: ٢٤٦/٧.
(٢) أخرجه البخاري (٤١٤١)؛ ومسلم (٢٧٧٠)، وغيرهما.

أن يتحقق براءتها، فيمكن رجعتُها. ويُستفاد منه ارتكاب أخفّ الضررين لذهاب أشدِّهما. وقال الشيخ محمد بن أبي جمرة: لم يجزم علي بالإشارة بفراقها لأنه عقَّب ذلك بقوله: «وسَلِ الجارية تصدقْك»، ففوَّض الأمر في ذلك إلى نظر النبي ﷺ، فكأنه قال: إنْ أردتَ تعجيل الراحة ففارِقْها، وإنْ أردتَ خلاف ذلك فابحث عن حقيقة الأمر إلى أن تطّلع على براءتها، لأنه كان يتحقق أن بَريرة لا تخبره إلا بما علمَتْه، وهي لم تعلم من عائشة إلا البراءة المحضة)[١].

وثبت عن عائشة: أنها برَّأت عليّاً من غمزهِ لها بحادثة الإفك، وصرَّحَتْ أن الذي تولى كبره هو ابن أُبيّ:

عن الزهري، عن عروة، عن عائشة: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النور: ١١]، قالت: عبدالله بن أُبَيّ ابن سَلُول[٢].

قال الحافظ: (هذا هو المعروف في أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وهو عبدالله بن أُبيّ، وبه تظاهرت الروايات عن عائشة من قصة الإفك المطولة)[٣].

وعن الزهري قال: (كنتُ عند الوليد بن عبدالملك فقال: الذي تولى كِبْره منهم عليُّ بن أبي طالب، فقلتُ: لا، حدثني سعيد بن المسيِّب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقّاص وعُبيد الله بن عبدالله: أنهم سمعوا عائشة تقول: الذي تولَّى كِبْره منهم عبدُ الله بن أُبيّ ابن سَلُول)[٤].

---

(١) الفتح: ١٠/٤٧٩ ـ ٤٨٠، شرح الحديث (٤٧٥٠).
(٢) أخرجه البخاري (٤٧٤٩).
(٣) الفتح: ١٠/٤٥٤، ٥٠٥.
(٤) المعرفة والتاريخ: ١/٣٩٣؛ وبنحوه عند البخاري (٤١٤٢)؛ وانظر: الفتح: ٩/٤٣١ ـ ٤٣٣.

٣ ـ وصيـة النبي ﷺ عليّاً بـأم المؤمنين عائشـة، وإعظام علي لها ورعايته لحرمتها:

●● عن أبي رافع: (أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب: «**إنه سيكون بينك وبين عائشة أمرٌ**» قال: أنا يا رسول الله؟ قال: «**نعم**» قال: أنا؟ قال: «**نعم**» قال: فأنا أَشْـقاهم يا رسـول الله! قال: «**لا، ولكنْ إن كان ذلـك فارْدُدْهَا إلى مأمنِها**»[(١)].

وعن عاصم بن كُليب، عن أبيه قال: (انتهينا إلى عليٍّ ﷺ، فذَكر عائشة، فقال: حليلة رسول الله ﷺ)[(٢)].

قال الذهبي: هذا حديث حسن، وهذا يقوله أمير المؤمنين في حق عائشة مع ما وقع بينهما، فرضي الله عنهما.

وبعد الفراغ من وقعة الجمل أمر عليٌّ بإكـرام أم المؤمنين، وأنزلها دارَ عبدالله بن خلف أعظمَ دار بالبصرة. وجاء لزيارتها والاطمئنان عليها ووداعها، فجاءه رجـل فأخبـره أن بالباب رجليـن ينالان من السـيدة عائشـة، فأَمر القعقاعَ بن عمـرو أن يجلد كلًّا منهما مئة جلـدة وأن يجرِّدهما من ثيابهما، ففعل[(٣)].

●● ودخل أمير المؤمنين على السيدة عائشة وهي في دار عبدالله بن خلف، ومعها أخوها محمد بن أبي بكر، فسلَّم عليٌّ عليها وقعد عندها، وقال لها: كيف أنتِ يا أُمَّه؟ قالت: بخير، قال: يغفر الله لكِ، قالت: ولكَ[(٤)]!.

---

(١) أخرجه أحمد: (٢٧١٩٨)؛ والطحاوي في شـرح مشكل الآثار (٥٦١٢، ٥٦١٣)؛ وحسنه الحافظ في الفتح: ١٦/٣٧٠؛ وله شاهد من حديث أم سلمة في المستدرك: ١١٩/٣.

(٢) سير أعلام النبلاء: ١٧٧/٢.

(٣) تاريخ الطبري: ٥٤٠/٤؛ البداية والنهاية: ٢٤٦/٧.

(٤) تاريخ الطبري: ٥٣٤/٤، ٥٤٠.

ولما أرادت أم المؤمنين العودة إلى مكة، جهَّزها عليٌّ بكل شـيء ينبغي لها من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك، وأذِنَ لمـن نجا ممن جاء في الجيش معها أن يرجع إلا أن يحب المقام. واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وسيَّر معها أخاها محمد بن أبي بكر. فلما كان اليوم الذي ارتحلَتْ فيه، جاء عليٌّ فوقف على الباب وحضر الناس، وخرجت من الدار في الهودج فودَّعت الناس ودَعتْ لهم. وسار علي معها مودِّعاً ومشيِّعاً أميالاً، وسرَّح بَنيه معها بقية ذلك اليوم، وكان يوم السبت مستهل رجب سنة (٣٦هـ)[١].

٤ ـ أكاذيب وافتراءات:

تلكم هي العلاقة الحقيقية بين علي وعائشة ﵄، وهكذا كانت أخلاق أصحاب نبينا ﷺ، لكن أعداءَ الله ورسوله والصحابة والمؤمنين؛ يأبَوْن إلا الولوغَ في أعراض الصحابة، ليزدادوا بذلك إثماً، وليكتبَ الله تعالى الثواب والحسنات للصحابة، ما دام هناك وغدٌ يأْبِنُهم بالقول والكتابة والتشهير بالباطل!.

•• يتناقل الناس حديثاً واهياً ينسبونه إلى النبي ﷺ أنه قال لعائشة: «تقاتلين عليّاً وأنتِ ظالمة له» فهذا مما افتُري على سيرة سلفنا الصالح، وأُسِيء فيه إلى أم المؤمنين بقصد ذَمِّها والنَّيل منها في خروجها إلى البصرة.

يقول ابن تيمية معقِّباً على هذا الحديث: (لا يُعرف في شيء من كتب العلم المعتمدة، ولا له إسناد معروف، وهو بالموضوعات المكذوبات أشبَهُ منه بالأحاديث الصحيحة، بل هو كذبٌ قطعاً؛ فإن عائشة لم تقاتِل ولم تخرج لقتال، وإنما خرجتْ لقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنت أن في خروجها

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٥٤٤؛ البداية والنهاية: ٧/٢٤٦ـ٢٤٧.

مصلحةً للمسلمين، ثم تبيَّن لها فيما بعد أنّ ترك الخروج كان أَوْلى، فكانت إذا ذكرت خروجَها تبكي حتى تَبُلَّ خمارها)[١].

•• وذكر الشيخ المفيد[٢] الرافضي في كتابه «الجمل» خروجَ عائشة على عليٍّ، وقال بأن خروجها بسبب ما كانت تُكِنّه لعليّ من كُره على إثر حادثة الإفك!.

ويؤكد ذلك الكرهَ من عائشة لعلي فيقول: إن الناعي حينما جاء إلى أهل المدينة بقتل علي وسمعت عائشة بذلك استبشرت وقالت متمثلة:

فإنْ يكُ ناعياً فلقد نَعَاه لنا مَن ليس في فيهِ الترابُ

بل لقد سجدت شكراً لله على قتله، ثم رفعتْ رأسَها وهي تقول ـ حسب زعمه ـ:

وأَلقَتْ عصاها واستقرَّتَ بها النَّوى كما قَرَّ عيناً بالإيابِ المسافرُ[٣]

فهل يُعقل أيها المفيد أن تسعى أم المؤمنين عائشة ـ وهي ممن أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ـ لأن تضرب المسلمين بعضَهم ببعض وتتسبَّب بسَفْك دمائهم، لموجدة وجدَتْها في نفسها على علي منذ عشرات السنين؟! أم الصحيح أن الرافضة تغلي قلوبهم ضِغْناً وافتراءً على أم المؤمنين وزوجِ النبي ﷺ في الدنيا والآخرة كما شهد بذلك علي وعمار وغيرهما؟!.

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٣٦/٣.

(٢) ترجم له الذهبي ترجمة مختصرة فقال: عالم الرافضة، صاحب التصانيف البدعية، وهي مئتا مصنف طعن فيها على السلف. وقال في موضع آخر: بلغت تواليفه مئتين، لم أقف على شيءٍ منها ولله الحمد! ميزان الاعتدال: ٣٠/٤؛ سير أعلام النبلاء: ٣٤٥/١٧.

(٣) كتابه: الجمل، ص ٦٥ ـ ٦٨؛ وانظر: عبد الله بن سبأ، للعودة، ص ١٨٤ ـ ١٨٥.

ـ ونقل اليعقوبي موقفَ علي من عائشـــة، فخاطبها بكلام فَجّ فيه تأنيبٌ فقال: (إيْهاً يـــا حُميراء! أَلَم تنتهي عن هذا المســـير؟... اخرجي إلى المدينة، وارجِعي إلى بيتك الذي أمرك رسول الله أن تَقَرّي فيه!)[١].

وهذا من الكذب السَّـــمْج والافتراءِ على أمير المؤمنين علي بأنه خاطب عائشـــة بقوله: (يا حميراء)، ولم يصفهـــا (بأم المؤمنيـــن)، ولا أقام لحرمتها مكاناً! وفي هذا من الفظاظة ما لم يصدر مثلُه من علي بحق النســـوة اللائي سبَبْنَه ودَعَوْنَ عليه بأن يُيتم الله ولده[٢]!.

ـ وبقي الرافضـــة المعاصرون على ديـــن آبائهم، بـــل زاد بعضهم على المتقدمين جـــرأةً وإفكاً وافتراءً! فهذا أحدُ مجتهديهـــم المعاصرين يزعم بأن عائشـــة كانت تحرض على قتل عثمان، فلما قُتل قامت تطالب بدمه وتؤلِّب على علي، واستنجدت بطلحة لذلك، ولما انتصر علي خالفَتْ موقفَها السابق وعرضت عليه تأييدهـــا بعد أن قادت الجيوش لحربـــه! ووصف هذا الرجل موقف عائشة بأنه (تناقض وتهافت وخضوع للأهواء والأغراض)، ولمَّحَ إلى أنها كمن قال الله فيهم: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠][٣]!.

●● وفـــي كتب طائفة مـــن الكتـــاب المُحدَثيـــن من غيـــر الرافضة من الأخلوقات والافتراءات ما لا يحتمله ذو لبٍّ ومروءة وإنصاف!.

من هذا القَبيل ما جاء فـــي كتاب «علي بن أبي طالـــب» لعبد الكريم الخطيـــب، وقـــد اعتمد فيـــه كثيراً علـــى «نهـــج البلاغة» وشـــرحه لابن

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٨٢/٢.

(٢) انظر: تاريخ الطبري: ٥٤٠/٤.

(٣) فضائل الإمام علي، لمحمد جواد مغنية، ص ١٣٠ـ ١٣٢.



أبي الحديـــد، و«الإمامـــة والسياســـة» المنســـوب لابـــن قتيبـــة، و«تاريخ اليعقوبي»، وروايات «تاريخ الطبري» التي سلَّم بها على ما فيها من باطل، وأخذ يســـتنتج بأن البغضاء بين علي وعائشـــة قديمة منذ تـــزوج بفاطمة الزهراء ورُزق منها الولد، وحُرمت عائشة من الأولاد، وكانت فاطمة تكثر الشكوى من عائشة، فتنقل النساء ذلك إليها، فتشـــكو إلى أبيها أبي بكر، فحصل في نفسه أثرٌ ما!.

(وفي خلافة أبي بكر اســـتظهرت عائشة بأبيها واستطالت، وعظُم شأنها، وانخزل علي وفاطمة، وخُذلا، وقُهرا!)، والنســـاء ينقلن كل ما تقوله في علي وفاطمة إليهما، وما يقولانه هما في عائشـــة، (وظهر التشـــفِّي والشماتة، ولا شيء أعظم مرارة ومشقة من تشفي العدو)... (واستمرت الأمور على هذا مدة خلافة أبيهـــا، وخلافة عمـــر وعثمـــان، والقلـــوب تغلي، والأحقـــاد تذيب الحجارة!).

وذكر كلاماً كثيراً، ومما قاله: (والسيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كان سخطُها على علي وبغضُها له هو المحرك الأول لموقفهـــا منه، ولثورتها عليه، ولولا أنها كانت تحمل لعلي هذه الكراهية لما ألقت بنفســـها في هذا الموقف الذي لم يكن من شأن امرأة أن تقفه ديانة أو عصبية)[1].

•• أرأيـــتَ أيها القـــارئ ذلك الجيـــل الذي تنـــزَّل عليه القـــرآن وربَّاه النبي ﷺ، وجاهد في سبيل الله، وضحَّى بالنفس والولد والمال، وحمل الراية ونشَـــرَ الإســـلام، وعلَّم الناسَ مبادئ الإنســـانية والكرامة والنُّبل والشـــرف والمروءة والإخلاص والزهـــد والعفو والتســـامح.... ذاك الجيل في فكر هذا الكاتب وأمثالـــه يتقلّب في مفاســـد الأخلاق من الحقد والحســـد والبغضاء

---

(١) كتابه: علي بن أبي طالب، ص ٢٩٠ـ٢٩٤، ٣٤٩.

والتدابر والشحناء والغيبة والنميمة والعصبية والظلم والتظاهر بنصرة المظلوم، وتأليب الناس على الخلفاء... يحدث ذلك ـ زعموا ـ بين خيار الصحابة، بل وفي بيت النبوة!.

وإذا كان هذا الرجل يقول مثل هذا الكلام المفترى، فكيف بكتابات طه حسين وعبدالرحمن الشرقاوي ومحمود أبو رية وهشام جعيط وخالد محمد خالد... دع عنك المستشرقين والرافضة القدماء والمعاصرين!.

ثاني عشر: حقائق ووقفات حول موقف أمير المؤمنين علي من أخويه طلحة والزبير، وقصة استشهادهما:

١ ـ استشهاد طلحة بن عبيد الله(١):

•• ترددت الأخبار واضطربت فيمن قتل طلحةَ، فروي أن مروان بن الحَكَم رماه بسهمٍ فقتله، وقيل: بل جاءه سَهْم غربٍ لا يُعرف راميه فقتله، وهذا هو الصواب وإن كان الأول هو المشهور.

فبعد التحقيق في الروايات وغربلتها ونقدها سنداً ومتناً؛ يتبيَّن للباحث المنصف أن مروان بريء من دم طلحة، والصحيح أنه استشهد بسهم لا يُعرف راميه.

قال الإمام المحقق أبو بكر ابن العربي: (وقد روي أن مروان لمّا وقعتْ عينُه في الاصطفاف على طلحة قال: لا أطلب أثراً بعد عَيْن، ورماه بسهمٍ فقتله. ومن يعلم هذا إلا علام الغيوب؟! ولم ينقله ثبت!)(٢).

---

(١) انظر: تاريخ خليفة، ص ١٨١، ١٨٥، ١٨٦؛ طبقات ابن سعد: ٢٢٣/٣؛ المعرفة والتاريخ: ٤٠٢/٣؛ سير أعلام النبلاء: ٣٥/١ـ٣٦؛ البداية والنهاية: ٢٤٢/٧، ٢٤٨، كتابي: العشرة المبشرون بالجنة، ص ٥٤٠ـ٥٤٤.

(٢) العواصم من القواصم، ص ١٦٠.

وقال خليفة بن خياط: (كانت وقعة الجمل بالبصرة بالزاوية ناحية طَفّ البصرة، وفيها قُتل طلحة بن عبيد الله في المعركة، أصابه سَهْم غَرْبٍ فقتله)[١].

وإليه جنح ابن كثير فقال: (وأما طلحةُ فجاءه في المعركة سَهْم غَرْب، يُقال: رماه به مروان بن الحكم، فالله أعلم). وقال في موضع آخر: (لمَّا حضر يوم الجمل جاءه سهم غَرْب، فوقع في ركْبته، وقيل: في رقبته، والأول أشهر. ويُقال: إن الذي رماه بهذا السهم مروان بن الحكم. وقد قيل: إن الذي رماه غيره، وهذا عندي أقربُ، وإن كان الأول مشهوراً)[٢].

والرواية التي يتمسك بها من يُلصِقون قتْلَ طلحة بمروان، هي ما رواه قيس بن أبي حازم قال: (رأيتُ مروان بن الحكم حين رمى طلحةَ يومئذٍ بسهم فوقع في عين ركبته، فما زال الدم يسيح إلى أن مات).

وفي لفظ آخر عن قيس: (أن مروان بن الحَكَم رأى طلحة في الخيل، فقال: هذا أعانَ على قتل عثمان، فرماه بسهمٍ في ركبته، فما زال الدم يسيح حتى مات)[٣].

وهذه الرواية صحَّحها الحافظ ابن حجر وغيره.

●● **نقول:** في إحدى الروايتين عن قيس يذكر: (أن مروان رأى طلحة)، وفي الأخرى يقول: (رأيتُ)، وقيس لم يشهد وقعة الجمل، ولم يذكر أحدٌ من المؤرخين أنه شهدها مع أي من الفريقين، بل كان مع علي يوم النهروان.

---

(١) تاريخ خليفة، ص ١٨١.
(٢) البداية والنهاية: ٢٤٢/٧، ٢٤٨.
(٣) طبقات ابن سعد: ٢٢٣/٣؛ المعرفة والتاريخ: ٤٠٢/٣؛ سير أعلام النبلاء: ٣٥/١ـ٣٦؛ الإصابة: ٢٢١/٢ـ٢٢٢؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٥٥.

وعلى التســليم بصحة ســندها، فإن في متنها ومتن غيرها من الروايات نكارةً شديدةً:

فتارة ترى مروان يقول: (هــذا أعان على قتل عثمــان)، وتارة يقول: (لا أطلب بثأري بعد اليوم)، وأخرى يقول: (لا أطلــب قاتل عثمان بعدك أبداً)، ويقول لأبان بن عثمان: (قد كفيناكَ بعضَ قتلةِ أبيك)[١].

فإن تصحيح مثل هذه الروايات يعني إثباتَ التهمة على طلحة بأنه أعان على قتل عثمان، بل إنه من قتلته! ثم كيف يتهم مروانُ طلحةَ بقتل عثمان أو التأليب عليه وهــو قد عايــنَ مواقفَه منــهُ، وكان بالأمس القريــب مع ابنه محمد بن طلحة السجّاد في الدار ينافحان عن عثمان!.

وأيضاً فإن طلحة خرج مع الزبير وعائشة في جيش إلى البصرة ليستعينوا بأهلها على قتل قتلة عثمان، فكيف يصحُ اتهــامُ طلحة بالتأليب على عثمان والسعي في قتله؟ ومروان معه في ذلك الجيش ويعلم صدقَ مسعاه في ذلك.

ثم أي ثأر لمــروان حتى يقتل طلحــة وهو معه في جيــش واحد، وقد خرجوا جميعاً للمطالبة بدم أمير المؤمنين عثمان؟!.

وممــا يؤيد براءةَ مروان مــن دم طلحة ما أخرجه ابن ســعد: عن محمد الأنصاري، عن أبيه قــال: (جاء رجلٌ يومَ الجمل فقــال: ائْذَنوا لقاتلِ طلحة، قال: فسمعتُ عليّاً يقول: بشِّرْه بالنار)[٢].

وهــذا نص واضح في أنــه ليس بمــروان، فمثلُ مــروان لا يُجهل وهو معروف عند الجميع، فلو كان هو لما قال: (رجل)، بل كان صرَّح باسمه! ثم إن أحداً لم يَقلْ بأن مروان دخل على علي يوم الجمل، ولا قبله ولا بعده.

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتابي: العشرة المبشرون بالجنة، ص ٥٤٠_٥٤٤.
(٢) طبقات ابن سعد: ٢٢٥/٣.



وهل بإمكان مروان أن يذهب إلى أمير المؤمنين عليٍّ ويصل إليه، دون أن تتناوشه سهامُ السبئية القاتلة؟!.

والذي يترجَّح أن قاتلَ طلحة كان من السبئية في جيش أمير المؤمنين علي، وهو ممن يضطغن على طلحة وأمثاله، فحرِص على قتْلِه، ولما تمَّ له ذلك أسرع إلى علي وهو يظن أنه سيُفرحه بذلك، فجابَهَه أمير المؤمنين بتلك العقوبة التي صعقت فؤاده!.

ومن مخاطر هذه الروايات: أنها تعمِّي على القتلة ومثيري الفتنة، وتبرِّئهم من الجرائم التي سطرها التاريخ في سِيَرهم، وتلبِّس على الناس وتُلصقها برجال كرام برآء!.

٢ ـ الزبير بن العوام واستشهاده:

•• مع توالي الأحداث منذ خروج (أصحاب الجمل) من مكة مروراً بالطريق إلى البصرة ثم سيطرتهم عليها، وما جرى خلال ذلك من قتال، ثم تقابلهم مع جيش علي والاتفاق على الصلح، وما قام به السبئية من إشعال نار الحرب بين الفريقين ـ كان الزبير يستعرض مجريات الأمور وبواعثها ونتائجها ويجمع بين أطرافها؛ فتبيَّن له أن من الخير له في دينه وآخرته أن يخفِّف من وقود المعركة ويسرع في إنهائها، وذلك بأن ينسحب من ميدانها، فقرَّر ذلك وغادرها، دون أن يعبأ بقول قائل: إنه تركها جُبناً، أو إنما يقاتل للإصلاح.

ففي طريقهم إلى البصرة وقد نَبحت كلابُ الحَوْأَب، فحدَّثت السيدة عائشة بحديث النبي ﷺ في ذلك[1]، وعزمت على الرجوع، فقيل لها: إنما

---

(١) انظر ما تقدم: ص ٤٨٥ في هذا الكتاب.

خرجتِ للإصلاح. وكان هذا بمَسمع الزبير بلا شك لأنه من وجوه القوم وزعماء الجيش، لكنْ لم يكن كافياً ليصرفَه عن هدفه واجتهاده في خروجه هذا.

وعندما حَدَث في البصرة ما حدث ونَشب القتال، ورأى اختلاطَ الأمور، ووجودَ أصحاب الفتنة وموقدي نارها في الصفوف؛ ازداد الهاجسُ في نفسه وقويَ تشكُّكُه في صحة خروجه.

وانضاف إلى ذلك ما عايَنَه من اتفاقهم على الصلح مع القعقاع، ثم نشوب القتال من الليل، وهو لا يَتَّهم من معه من الصالحين، ولا يَرْمي به أخاه علياً وصالحي جيشه كذلك، فعَلِمَ أن الأمر لا يستقيم على طريقة مستنيرة.

وأيَّد رأيَه وقوَّى عزمَه ما كان يحفظه من قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥]، فعندما رأى الفتن واكتوى بلظاها، عَلِم أنها هي هي، وأنهم أهلُها.

ونظر في جيش علي فرأى فيه عمار بنَ ياسر، وقد قال النبي ﷺ: «**وَيْحَ عمار تقتله الفئة الباغية**»، وبكل حال فقَتْلُ عمارٍ في جيش علي لو وقع يعني أن الجيش الآخر هو الفئة الباغية!.

وزاد من ذلك مجيء ابن عباس إلى الزبير وقوله له: (أين صفية بنت عبد المطلب حيث تُقاتِل بسيفك عليَّ بن أبي طالب بن عبد المطلب؟!)(١).

ولما حدثت المواجهة بين الجيش الذي هو فيه وبين جيش أمير المؤمنين؛ استرجع الزبير ما جرى لهم في البصرة، فإذا الأحداث هي هي، وأصحاب

(١) طبقات ابن سعد: ٣/١١٠، وإسناده صحيح.

الفتنة ومساعير الفساد والإفساد هم هم... ورأى أن الخرق يتسع، وكلما أُوصِد باب للفتنة شُرع في وجههم باب آخر أعظم خطراً، واستيقن أنه لم يَعُد بمقدوره توجيه الأمر إلى ما يقصده من الإصلاح والأخـذ على أيدي القتلة بالقصاص، وتأكد أنه ليس من الصواب المواجهة مع أمير المؤمنين علي وجيشه، لأن ذلك قد يؤدي إلى شر مستطير.

كل هذه العوامـل، مع ما للزبير من تاريخ مجيـد ومواقف خالدة ونفس أبية وورع وإخلاص؛ حملَتْه على أن يترك المعركة وينسحِبَ منها غير آبهٍ بما يُقال فيه وعنه، فبطولة البطل تكمن بالاستمساك بثوابته وقناعاته ونداء الإيمان من قلبه والأدلة التي قامت بين يديه، لا ينتظر مدحة ولا يخشى تثريباً[1]!

●● أما ما روي من أن عليّاً قابَلَ الزبيرَ وذكَّره بقول النبي ﷺ أنه سيُقاتل عليّاً وهو له ظالم، فهو خبر لا يصحّ.

عن يزيد بن هارون قال: حدثنا شَريك، عن الأسود بن قيس قال: (حدثني من رأى الزبيرَ يقتفي آثـارَ الخيل قَعْصاً بالرمح، فنـاداه عليٌّ: يا أبا عبد الله! فأقبل عليه، حتى التقت أعناق دوابِّهما، فقال: أَنْشُـدك بالله، أتذكرُ يوم كنتُ أناجيك، فأتانا رسـول الله ﷺ فقال: «تُناجيه! فواللهِ ليُقاتِلَنَّكَ وهو لك ظالمٌ»؟ قال: فلم يَعْدُ أن سَمِع الحديث، فضَرب وجْهَ دابَّته، وذهب)[2].

وهذا إسناد ضعيف فيه راوٍ مجهول، وشريك سيّئ الحفظ.

وأخرج الحاكم: عن عبد الله بن محمد بن عبد الملك الرَّقَاشِـيِّ، عن جدِّه عبد الملك، عن أبي حرب بن أبي الأسـود الدِّيْليِّ قال: (شهدتُ الزبير خرج

---

(١) انظر كتابي: العشرة المبشرون بالجنة، ص ٦٤٥ ـ ٦٤٧.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٧١٩/٨؛ الدولابي في «الذرية الطاهرة» نقلًا عن: سير أعلام النبلاء: ٥٨/١.

يريد علياً، فقال له علي: أَنشُدك الله، هل سـمعتَ رسول الله ﷺ يقول: «تُقاتِلُه وأنتَ له ظالمٌ»؟ فقال: لم أَذكُر! ثم مضى الزبير منصرِفاً)[١].

وصحَّحه الحاكم وأقرَّه الذهبي، وليس كما قالا، وهو غريب منهما؛ فعبد الملك بن مسلم الرَّقاشي مجهول، وقد ذكر الذهبي في ترجمته من «الميزان» عن البخاري عدمَ صحة الحديث، وأقرَّه على ذلك[٢].

ورواه أيضاً أبو يعلى في «مسـنده»، وقال محققه: إسناد الحديث ضعيف جدّاً[٣].

وله طرق أخـرى أوردها الحافظ في «المطالب العاليـة»[٤]، كلها ضعيفة ضعَّفها محققُـه المحدث حبيب الرحمن الأعظمي، وقد دلَّسَـتْ عليه مؤلفةُ كتاب «بيعة علي» وزعمـتْ أن الأعظمي صحح الحديـث، وليس ذلك من أمانة العلم[٥]!.

ـ ومما يضعِّف الحديثَ أيضاً: أنه قد ثبـت أن علياً التقى بطلحة والزبير في خيمة كما قدمنا[٦]، لإيجاد حلٍّ سـلمي للخلاف، فلماذا لم يُذكِّر علي الزبير بهذا الحديث آنذاك؟!.

ثم كيف يُعقـل أن يلتقي قائدان مختلفان فـي أرض المعركة ويتباحثان أمراً خطيراً، والمعركة محتدِمة، والسبئيون حريصون على تسعير الفتنة وخلط الأمور، فلو أنهم رأوا الزبير واقفاً ساكناً مع علي لسدَّدوا إليه سهامَهم الكثيرة كما فعلوا بهودج أم المؤمنين عائشة.

---

(١) المستدرك: ٣/٣٦٦.
(٢) ميزان الاعتدال: ٢/٦٦٤.
(٣) مسند أبي يعلى: ٢/٦٦٦.
(٤) الأحاديث (٤٤٦٨، ٤٤٦٩، ٤٤٧٠، ٤٤٧٥، ٤٤٧٦).
(٥) بيعة علي، ص ٨٥ـ٨٦.
(٦) انظر ما تقدم: ص ٥١٠ حاشية (١) في هذا الكتاب.



ـ والنظــرُ الصحيح يقتضي تضعيــفَ ذلك الحديث: فلــو كان صحيحاً معلوماً عند علي لَمَا ســكتَ عنه حتى تحتدم المعركــة وتتناثر الرؤوس عن كواهلها، وينتظــر حتى يتقابلَ مع الزبير علــى أرض المعركة وتتصافح عُنقا فرسَيْهما فَيُخبره به بعد تباطؤ!.

ولو كان هذا الخبر ثابتاً عند علــي لحمله ورعُه وإخلاصُه وحرصُه على دماء المســلمين على المبادرة بإعلانه، ولَوَاجَه به الزبيــرَ على الملأ ليكون أرجَى في تثبيط همّة الراغبين في القتال، وأنجعَ في إطفاء نار الحرب.

ـ استشهاد الزبير[1]:

روى خبر استشهاد الزبير جمهرة المؤرخين وأصحاب التراجم، وخلاصته: أن الزبير لما انســحب من أرض المعركــة لَحِق (بسَــفَوان) ـ موضع بالبصرة كمكان القادسية من الكوفة ـ فلقيه النَّعِر ـ رجلٌ من مجاشع ـ فقال: أين تذهب يا حواريَّ رسول الله ﷺ؟! إليَّ فأنت في ذمتي لا يوصَل إليك، فأقبل معه. فأتى الأحنفَ بن قيس خبرُه، فقيل: ذاك الزبير قد لُقِي بسَــفَوان فما تأمر؟ قال: جَمَع بين المســلمين حتى ضرب بعضُهم حواجبَ بعض بالســيوف ثم يلحق ببيته! فسمعه عمير[2] بن جُرموز وفَضَالة بن حابس ونُفيع، فركبوا في طلبه، فلقوه مع النَّعِر، فأتاه عمير بن جرموز من خلفه وهو علــى فرس له ضعيفة، فطعنه طعنةً خفيفة، وحَمل عليه الزبير وهو على فرس له يُقال له: ذو الخِمار، حتى إذا ظن أنه قاتِلُه نادى عمير بن جرموز: يا نُفيع، يا فَضَالة، فحملوا عليه فقتلوه[3]!.

---

(١) تاريــخ خليفــة، ص ١٨١، ١٨٦؛ طبقات ابن ســعد: ٣/١١٠ـ١١٢؛ المعرفــة والتاريخ: ٣/٤٠١؛ تاريخ الطبري: ٤/٤٩٨ـ٤٩٩، وكتب الصحابة.

(٢) وفي بعض المصادر: (عمرو).

(٣) انظــر: تاريخ الطبري: ٤/٤٩٨ـ٤٩٩؛ ســير أعــلام النبــلاء: ١/٦٠ـ٦١؛ المطالبة العالية (٤٤٦٦)؛ كتابي: العشرة المبشرون بالجنة، ص ٦٤٩ـ٦٥٠.

٣ ـ حزن أمير المؤمنين علي على أخويه طلحة والزبير، ومواقف نبيلة:

على الرغم مما جرى بين الصحابة في أيام الفتنة، فقد بقوا على النهج الذي رباهم عليه النبي ﷺ، والأحاديثُ الصحيحة والأخبار الثابتة المستقيمة تؤكِّد عمقَ الأخوَّة بين هؤلاء الثلاثة الأماجد الكرام، وأنها استمرت على أرفع مكارم أخلاق الإسلام حتى نهاية الأحداث.

عن الحسن البصري قال: (جاء رجلٌ إلى الزبير أيام الجمل، فقال: **أَقْتُلُ** لك عليّاً؟ قال: وكيف؟ قال: آتيهِ فأخبرُه أنّي معه، ثم **أَفْتِكُ** به! فقال الزبير: لا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الإيمانُ قَيْدُ الفَتْكِ، لا يَفْتِكُ مؤمنٌ**»)[١].

ومواقف أمير المؤمنين عليٍّ من طلحة والزبير كثيرةٌ شهيرةٌ في إجلالهما وحبِّهما وإكرامهما والثناءِ عليهما، والحزنِ البليغ على فراقهما[٢]، ومن ذلك:

•• عن عامر الشعبي قال: (رأى عليُّ بن أبي طالب طلحةَ بن عبيد الله ملقًى في بعض الأودية، فنزل فمسحَ التراب عن وجهه، ثم قال: عزيزٌ عليَّ أبا محمد أن أراك مُجَنْدلاً في الأودية وتحت نجوم السماء! ثم قال: إلى الله أشكو عُجَري وبُجَري).

قال الأَصْمَعيُّ: عُجَري وبُجَري: سرائري وأحزاني التي تموج في صدري[٣].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة: ٦٤٤/٨، ٧١٧؛ وأحمد (١٤٢٦، ١٤٢٧)؛ وعبدالرزاق (٩٦٧٦، ٩٦٧٧)، وصحَّحه أحمد شاكر.

(٢) انظر ما تقدم: ص٤٦٣ ـ ٤٦٤ رقم (٢) في هذا الكتاب.

(٣) مختصر ابن عساكر: ٢٠٧/١١؛ سير أعلام النبلاء: ٣٦/١.

ـ وعن طلحة بن مصرِّف: (أن عليّاً انتهى إلى طلحة وقد مات، فنزل عن دابَّتِه، وأجلَسَه، فجعل يَمسح الغبار عن وجهه ولحيته، وهو يترحم عليه، ويقول: ليتني مِتُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة!)(١).

ـ وتقدم أنه لما استأذَنَ عليه قاتلُ طلحة، قال عليٌّ: بَشِّرْه بالنار(٢)!.

بل إن عليّاً لَيَحفظُ طلحة بعد استشهاده، ويُحسن إليه وإلى عقِبه، ويبكيه ويرثيه، ويعلن ذلك أمام جنده، ويؤنِّب من يسيء إلى طلحة ولو بكلمة.

ـ عن أبي حَبيبة مولى طلحة قال: (دخلتُ على عليٍّ مع عمران بن طلحةَ بعدما فرغ من أصحاب الجمل، قال: فرحَّبَ به وأدناه، وقال: إني لأرجو أن يجعلَني الله وأباك من الذين قال الله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]. وقال: يا ابنَ أخي، كيف فلانة؟ كيف فلانة؟ وسأله عن أمهات أولاد أبيه. قال: ثم قال: لم نَقبِض أَرَضيكم هذه السنين إلا مخافةَ أن ينتهبها الناس. يا فلان، انطلِقْ معه إلى ابن قرظة، فَمُرْهُ فَلْيُعْطِه غَلَّتَه هذه السنين، ويدفع إليه أرضه. قال: فقال رجلان جالسان ناحيةً، أحدُهما الحارث الأعور: الله أعدلُ من ذلك، أن تقتلهم بالأمس وتكونوا إخواناً على سُرر متقابلين في الجنة! فقال علي: قُومَا أبعدَ أرضِ الله وأسحقَها؛ فمن هو إذاً إنْ لم أكن أنا وطلحة؟! يا ابن أخي، إذا كانت لك حاجة فائتنا)(٣).

وفي رواية أخرى: أن الرجل الآخر هو ابن الكَوَّاء، فقام إليه عليٌّ بدِرَّتِه فضربه، وقال: (أنت ـ لا أُمَّ لك ـ وأصحابُك تُنكِرون هذا؟!)(٤).

---

(١) أخرجه الطبراني (٢٠٢)؛ والحاكم: ٢٧٢/٣؛ والهيثمي في مجمع الزوائد: ١٥٠/٩ وقال: إسناده حسن.

(٢) تقدم: ص ٥٤٤ حاشية (٢) في هذا الكتاب.

(٣) أخرجه ابن سعد: ٢٢٤/٣؛ والحاكم: ٣٧٦/٣ـ٣٧٧ وصحَّحه ووافقه الذهبي.

(٤) طبقات ابن سعد: ٢٢٤/٣ـ٢٢٥.

وتكرر هذا الموقف من أمير المؤمنين علي في الكوفة أيضاً مع ولدَي طلحة بن عبيد الله[١].

●● ومثل ذلك كان موقف علي مع الزبير بن العوام حواري النبي ﷺ.

ـ ففي قصة مقتل الزبير: (وأخذ ابن جُرْمُوز رأسَه، فحمله حتى أتى به وبسيفه عليّاً، فأخذه عليٌّ وقال: سيفٌ واللهِ طالَما جَلَا به عن وجه رسول الله ﷺ الكَرْبَ! ولكن الحَيْنُ ومصارعُ السوء. ودُفن الزبير رضي الله عنه بوادي السباع، وجلس علي يبكي عليه هو وأصحابه)[٢].

ـ وعن أبي نَضْرة قال: (لمَّا أُتي عليٌّ بقَتْل الزبير وبخاتمه وبسيفه بكى علي، وبكى بنوه، وقال: نَغَّص علينا قتل الزبير ما نحن فيه)[٣].

ـ وقال زِرُّ بن حُبَيْش: (استأذَنَ ابن جُرْمُوز على عليٍّ وأنا عنده، فقال عليٌّ: بَشِّرْ قاتلَ ابنِ صفيَّة بالنار! ثم قال علي: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إن لكل نبيٍّ حَوَارِيّاً، وحَوَاريَّ الزبيرُ**»)[٤].

ـ وعن علي قال: (إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين قال الله في حقهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧])[٥].

ثالث عشر: وقفات ودروس وعبر:

لا بدّ للمرء وهو يطالع وقائع (معركة الجمل) من أن يقف طويلاً وينظر

---

(١) طبقات ابن سعد: ٢٢٥/٣.

(٢) طبقات ابن سعد: ١١٢/٣؛ سير أعلام النبلاء: ٦١/١، ورجاله ثقات. **الحين**: الهلاك.

(٣) مختصر ابن عساكر: ٢٦/٩.

(٤) أخرجه أحمد (٦٨٠)؛ وابن سعد: ١٠٥/٣؛ والحاكم: ٣٦٧/٣ وصحّحه ووافقه الذهبي.

(٥) طبقات ابن سعد: ١١٣/٣.

نظرة معمَّقة لأسـبابها ومجرياتها، ونتائجها، ليستنبطَ منها الدروس والعبر، فالتاريخ يعيد نفسه كثيراً مع تغير أشخاصه وأزمنته وأمكنته ووسائله... ويؤكِّد ذلك ما نشهده في هذه السنوات من أصحاب الشعارات البراقة والكلمات الرنانة والادعاءات الفضفاضة، التي خُدع بها كثير من الأغمار بل وبعض (الرموز) في حقل الدعوة الإسلامية، أما الذين آتاهم الله بصيرة نافذة وذاكرة حاضرة لأحداث التاريخ؛ فقد حماهم الله من أن تنطلي عليهم ألاعيبُ سحرة فرعون المعاصرين! وعندما وقعت الأقدار على مسرح الحياة العملية والمواقف الحاسمة؛ انكشف الغطاء وتمزق برقع النفاق والمتاجرة بالإسلام ونصرة الضعفاء ضد الاستكبار العالمي والصهيونية وأعداء الحرية!.

لقد مرت أمتنا في السنوات الأخيرة القليلة ولا تزال إلى الآن بمحنٍ وأحداثٍ جسام فضحت ألاعيب النفاق المعاصر، وحَصَّلت ما في الصدور، حتى علِمَه الكبار والصغار والأذكياء والأغمار!.

ونشير هنا بكلام موجز إلى دروس وعِبر مما فصَّلنا القولَ فيه حول مأساة (معركة الجمل)؛ لتكون زاداً وحرزاً وموعظة وذكرى:

١ ـ براءة الصحابة جميعاً من الهوى وطلب السلطة والسعي للفرقة: فكلّهم كان يريد الإصلاح وتحكيم الشرع والقصاص من القتلة والمفسدين في الأرض. ويظهر ذلك في كل مجريات الأحداث، ومن دعوتهم للصلح وسعيهم الحثيث إليه واتفاقهم عليه وفرحهم به ورفعهم المصاحف إبان القتال، ولكن اختلفت اجتهاداتهم في الأداء، وأشعلت السبئية بينهم نار القتال فكان ما كان!.

٢ ـ ما كان عليه الصحابة من أخلاق رفيعة تمثَّلوها وفق توجيهات القرآن الكريم وهَدْي النبي ﷺ، حتى عند اشتداد القتال وتحت بارقة السيوف،

ويتجلى ذلك في مواقف كثيرة؛ منها: شــهادة عمار لأم المؤمنين عائشة بأنها زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، وموقف علي منها ورعايته حرمتها، وبكاؤه على طلحة والزبير وثناؤه عليهمــا وتقريعه مَن قتلهما وروايته حديث وجوب النار لهما! وشهادة عائشــة لعمار بأنه قوال بالحق، وإنصافها ونُبلها في قولها لابن أَبْزَى بعد مقتل عثمان: الزم عليّاً. وإرشادها من سألها عن أمر فقهي بأن يسأل عليّاً، وشهادة طلحة والزبير لعليٍّ بأنه ما جارَ في حكم ولا استأثر بفَيء.

٣ ـ كانت آداب الإســلام وتوجيهاته في الخلاف والخصومة والقتال قائمة شــاهدة حاضرة عند الصحابة والصالحين في الفريقين: فــكان أمير المؤمنين يقول: إني أذكِّر اللهَ رجلاً رعى لله حقّاً إلا نفر، فــإن كنتُ مظلوماً أعانني، وإن كنتُ ظالماً أخذلني. وأمر بعقر جمل عائشة للحفاظ عليها ولإطفاء نار القتال. ونادى في الجيش أن لا يُذَفَّف على جريح ولا يُتبع مدبر ولا يُقتل أسير. ولم يسبِ ولم يخمِّس. ويطوف على القتلى ويتوجَّع على الصالحين، ويصلي على قتلى الطرفيــن. ويكرر في أكثر من موقف قولَه في أهــل الجمل: إخواننا بَغَوا علينا. وعمار وغيره يسرعون إلى عائشة ويحملون هودجها. والفريقان يتواقفان ويتحرجان من القتال وسَلّ السلاح، وكل منهما ينادي: الله أكبر لا إلٰه إلا الله.

٤ ـ غموضُ المستقبل واشتباكُ الفتن واشتباهُ الأمور جعلَ أكابرَ الصحابة والعقلاء يترددون في اتخاذ موقف حاسم؛ حتى قال بعضهم: لا والله ما ندري كيف نصنــع، فإن هذا الأمر لمشــتبهٌ علينا، ونحن مقيمــون حتى يُضيء لنا ويُســفِر! وقال الزبير: ما كان أمرٌ قطُّ إلا علمتُ موضــع قدمي فيه، غير هذا الأمر فإني لا أدري أَمُقبِل أنا فيه أم مُدْبِر!.

فاختلفت الاجتهادات بين مؤيد للخليفة، ومعارض له، ومعتزل للفريقين؛ مما أدى إلى تصدُّع الصف وحدوثِ شَرْخ كبير في المجتمع الإسلامي، مما يؤكد أن الذي حدث كان باجتهاد، ويبين عذر الصحابة في هذا الفريق وذاك.



٥ ـ أهمية تنقية الصفوف، واستئصال مصادر الفتنة، والتخلُّص من زَغَل أصحاب الهوى وضعاف النفوس، ممن لا يصطبرون على البلاء ولا يقبلون اختلاف الآخرين معهم، فإن اندساس أمثال هؤلاء في صفوف المؤمنين من أكبر الأخطار عند اشتداد الأزمات وتغاير الاجتهادات، وهذا ما أحدثه مبتغو الفتنة ممن يدَّعون الإصلاح وهم أحرصُ الناس على فساد.

٦ ـ شؤمُ الخروج على وحدة الأمة، وتفريقِ كلمتها: ولو كان في ذلك بعض المصلحة فيما يبدو باديَ الرأي، وإنَّ دَفْعَ أخفِّ الضررين وارتكابَ أدنى المفسدتين أَوْلى، والصلح له أبواب كثيرة، ولو كان بالتنازل عن بعض الحق.

٧ ـ الذي نراه، وهو ما تمخَّضَتْ عنه مجريات الأحداث وأكَّدَتْه النتائج المُرّة: أن أمير المؤمنين عليّاً لو أنصتَ لآراء الناصحين بعدم الخروج من المدينة إلى البصرة والشام، واصطلح مع إخوانه المخالفين له؛ لكان أَوْلى وأسلَمَ، وقد جرى في عهده تأوُّلٌ في الدماء أدى إلى نتائج خطيرة[(١)]، ولم تصفُ له قلوب كثيرين، ولا أمكنه قهرُ المخالفين ولا المندسين في جيشه، واقتضَى رأيُه القتالَ وظَنَّ أنه به تحصل الطاعة والجماعة، فما زاد الأمر إلا شدَّة، وجانبه إلا ضعفاً، وجانب من حاربه إلا قوة، والأمة إلا افتراقاً[(٢)]!.

٨ ـ إن الذي يتحمل وِزْرَ إنشاب القتال وإراقة الدماء هم قتلة عثمان وأنصارهم، فقد كانوا مساعيرَ الحرب وقادحي زَنْدها وموقدي نارها، كلما خَبَت زادوها سعيراً! والمتتبع للأحداث يرى ذلك واضحاً لا خفاءَ فيه، بَدْءاً من قتل الشهيد عثمان، ثم وقعة الجمل، ثم صِفِّين.

---

(١) انظر: منهاج السُّنَّة: ٣/٦٣١ ـ ٦٣٢، ٧٢٩.

(٢) المرجع السابق: ٤/٣٣٥.

٩ ـ الأيدي التي قتلت عثمان ﷺ هي نفسُها التي قتلت طلحة والزبير ثم أمير المؤمنين عليّاً، وهي التي زوَّرت الكتب على لسان الصحابة ومروان بن الحكم، والتي اتهمت مروان بقتل طلحة إمعاناً في التعمية على المجرم الحقيقي وإيغالاً في الكذب والتزوير.

وشريكها في ذلك أولئك الذين تلاعبوا بالتاريخ ورواياته، وشوَّهوا صورته، ودلَّسوا على الأمة حقائقه ووقائعه، حتى لا ينكشف الوجه الأسود للجُنَاة على التاريخ ورجالِ الأمة الكبار.

ويشاركهم فيه أيضاً الذين لا يزالون يكررون تلك الفِرى والأكاذيب ويقدمونها في (دراسات عصرية) تدَّعي البحثَ والنقدَ والتمحيصَ، وهي لا تَعْدو أن تكون تسويقاً لأهداف السبئية الأولى.

١٠ ـ قتلة عثمان ينطوون على باطنية حاقدة خبيثة، ويعملون في الظلام، ويثيرون الفتن، ويشترون الأغرار، وينفذون خططهم في خُلْطة من الناس والعمل من وراء وراء، **وعلى هذا النهج تسير اليوم (السبئية المعاصرة) في جوٍّ من الغوغاء والإعلام المضلِّل**، وتفجير المجتمع في (المكونات اللينة) و(الأقليات الطائفية)، وتدبير الاغتيالات للشخصيات المناوئة والموافقة، لإشعال نار الفتنة بين مكونات المجتمع الكبرى والصغرى، والأمثلة في زماننا كثيرة جدّاً.

١١ ـ تاريخ الفتنة خطير ومُرْعب، ومادته غزيرة ومشوشة ومشوهة، ومليئة بالكذب والتزوير والهوى، وكثيرٌ من رواتها مأبونون ومتَّهمون بالبدعة والوضع... وما كُتب في فتنة الجمل قديماً وحديثاً مأساوي مخيف، يُشفِق الباحث المنصف من الخوض فيه، وهو يجمع خيوط الحقيقة المبعثرة بين شبكات معقدة في ليلة ظلماء! وهذا يوجب عليه كثيراً من الحَيْطة والورع والإخلاص والإنصاف والدقة والنقد والتمحيص.



كما أنه لا عذرَ للأمة في ترك الحبل على الغارب لأولئك المارقين من الكتَّاب الذين يعملون مع مرور الزمن على زيادة زاوية الانحراف في (تاريخ تلك الحقبة) لترسيخ (فرية موروثة) مفادها: أن (الصحابة بعد النبي ﷺ) قد انحرفوا عن جادة الهدى، وشوَّهوا معالم الرسالة، وغرقوا في صراعات الحكم والسلطان والجاه والمال!.

إن كثيراً من الكتب التي تحدثت عن (تلك الفتنة) هي نفسها (كتب فتنة) معاصرة تسوِّق لمفتريات الأقدمين، وتقدِّمها زاداً عن (تاريخنا المشوَّه المظلوم)، إلى أبنائنا في المدارس والمعاهد والجامعات والإعلام بأنواعه المتعددة.

وقد كنتُ أفردتُ فقرة مطولة أشرتُ فيها إلى طرف من أكاذيب الرواة والمؤرخين والكتّاب المعاصرين، ثم أعرضتُ عن بَسْط الكلام فيها خشيةَ الإفراط في (حجم الكتاب)، ونثرتُ في ثناياه أمثلة منها كلَّما سَنحت الفرصة؛ لتكون زاداً للقارئ ومقياساً له يَسبُر في ضوئه كل ما يقرؤه أو يسمعه.



الفصل الرابع

موقعةُ صِفِّين، مقدِّماتُها وأحداثُها ونتائجُها

أولاً: حقائـق وأكاذيب حـول (معاوية وبني أمية) فـي ضوء الفتنة ورواياتها:

●● معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما صحابي جليل، ورجل كبير نبيل، من صفوة الناس هدياً ونُبـلاً، وعلماً وأدباً، وحِلماً وعقلاً، وسـيادةً وسياسـةً، وحكمةً ودهاءً. صحب النبي ﷺ، وجاهد معه في حُنين والطائف وتبوك، وغبَّر قدمَيْه في سـبيل الله، وأدناه ﷺ منه وقرَّبه إليه وائتمنه على كتابة الوحي وأثنى عليه ودعا له. وأمَّره الفاروق عمر على عامة بلاد الشـام، وأقرَّه عثمان على ذلك، فولي الشامَ للخلافة الراشدة مدة عشرين سنة، ثم اضطلع بمهمة الإسلام كلها عشرين سنة أخرى في الوطن الإسـلامي كله؛ فحَكَم المسلمين أربعين سنة، كان فيها من خيار ولاة الإسـلام في مختلِف صفات الحاكم المسـلم القوي الحكيم العادل الحليم الرحيم.

عن عبدالله بن عَمْرو قال: (كان معاوية يكتب لرسول الله ﷺ)[١].

وعن ابن عباس قال: (كنتُ غلاماً أسعَى مع الغِلْمانِ، فالتفتُّ فإذا أنا بنبيّ الله ﷺ خَلفي مقبِلاً... فقـال: «**اذهَبْ فادْعُ لـي معاوية**». قال: وكان كاتِبَه، فسعيتُ فأتيتُ معاويةَ، فقلتُ: أجبْ نبيَّ الله ﷺ فإنه على حاجةٍ)[٢].

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٣/١٢٣، وقال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات.

(٢) أخرجه أحمد: (٣١٠٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: سنده قوي.

وعن العِرْباض بن سارية قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ وهو يدعونا إلى السحور في شهر رمضان يقول: «**هَلُمُّوا إلى الغذاء المبارك**»، ثم سمعتُه يقول: «**اللَّهمَّ عَلِّمْ معاويةَ الكتابَ والحسابَ، وقِهِ العذابَ**» أخرجه أحمد(١).

وله شاهد قوي ـ كما قال الذهبي ـ من حديث عبدالرحمن بن أبي عَمِيرة المُزني وهو من الصحابة: أن النبي ﷺ قال لمعاوية: «**اللَّهمَّ عَلِّمْهُ الكتابَ والحسابَ، وقِهِ العذابَ**»(٢).

وعن عبدالرحمن بن أبي عَميرة وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، عن النبي ﷺ: أنه قال لمعاويةَ: «**اللَّهمَّ اجْعَلْهُ هادياً مَهْدياً، واهْدِ بِهِ**»(٣).

●● وقد أثنى على معاويةَ الصحابةُ والتابعون ممن عاصره ورأى هديَه وسياسته وأعماله المجيدة الكثيرة، وحسبك بتزكية عمر له في توليته الشام كله، فما شكاه أحد، ولا عزله الفاروق وقد عَزل من هو خير من معاوية بكثير مثل سعد بن أبي وقّاص.

ـ عن أبي الدرداء قال: (ما رأيتُ أشبَهَ صلاةً برسول الله ﷺ من أميركم هذا. يعني معاوية)(٤).

ـ وقال سعد بن أبي وقّاص: (ما رأيتُ أحداً بعد عثمان أقضَى بحقٍّ من صاحب هذا الباب. يعني معاوية)(٥).

(١) مسند أحمد: (١٧١٥٢)؛ وانظر: البداية والنهاية: ٨/١٢٠ـ١٢١.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٣/١٢٤؛ الإصابة: ٢/٤٠٧، وعزاه الحافظ للطبراني. وقال شعيب: رجاله ثقات، وانظر كلام الألباني في «الصحيحة»، الحديث (١٩٦٩).

(٣) أخرجه الترمذي (٤١٧٧) وقال: حديث حسن غريب، وصحَّحه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»: ٣/٢٣٦؛ والصحيحة (١٩٦٩) وأطال الكلام هنا فأجاد وأفاد.

(٤) سير أعلام النبلاء: ٣/١٣٥، وقال شعيب: رجاله ثقات. وهو في مجمع الزوائد: ٩/٣٥٧.

(٥) سير أعلام النبلاء: ٣/١٥٠؛ مختصر ابن عساكر: ٢٥/٤٧.

ـ وعن الزُّهريِّ قال: (حدَّثني عُروة بن الزبير: أن المِسْــوَر بن مَخْرَمَة أخبره أنه قدِم وافداً على معاوية، فقضَى حاجَته، ثم دعاه فأَخْلَاه فقال: يا مِسْوَر، ما فعل طَعْنُكَ على الأئمة؟! فقال المِسْــور: دَعْنا من هذا وأحسِــنْ فيمــا قدِمْنَا له! قال معاوية: لا والله، لَتكلَّمَنَّ بذاتِ نفسك والذي تعيبُ علَيَّ. قال المِسْور: فلم أَترُكْ شــيئاً أعيبُه عليه إلا بيَّنْتُه له، قال معاوية: لا بَرِئ من الذنب، فهل تَعُدّ يا مِسْور ما نلي من الإصلاح في أمر العامة، فإن الحســنة بعشــر أمثالها، أَم تَعُدُّ الذنوبَ وتتركُ الحسنات؟! قال المِسْور: لا والله ما نذكر إلا ما نَرى من هذه الذنوب! قال معاوية: فإنَّا نعتــرفُ لله بكل ذنْبٍ أذنباه، فهل لك يا مِسْــور ذنوبٌ في خاصَّتِك تخشى أن تُهلِكَك إِنْ لم يَغفِرْها الله؟ قال مِسْــور: نعم، قال معاوية: فما يجعلُك أحقَّ أن ترجو المغفرةَ منِّي؟! فــوالله لَمَا أَلِي من الإصلاح أكثر مما تلي، ولكنِّي والله لا أُخَيَّــرُ بين أمرين: بين الله وبين غيره؛ إلا اخترتُ الله على ما ســواه، وأنا على دين يَقبل الله فيه العمل، ويَجزي فيه بالحسنات، ويجزي فيه بالذنوب، إلا أن يعفو عمَّن يشاء، فأنا أحتسِبُ كلَّ حســنة عملتُها بأضعافها.. فتفكَّرْ في ذلك! قال المِسْور: فعرفتُ أن معاوية قد خَصَمني حين ذَكر لي ما ذكر.

قال عروة: فلم نَسمع المِسْور بعد ذلك يَذكُر معاوية إلا صلَّى عليه!)(١).

ـ وعن ابن أبي مُلَيْكَة قال: (أَوتَرَ معاويةُ بعد العشاء بركعةٍ، وعنده مولًى لابن عباس؛ فأتى ابنَ عباس، فقال: دَعْهُ فإنه صَحِبَ رسولَ الله ﷺ)(٢).

ومولى ابــن عباس المذكور هو كُريب، كما جــاء في رواية أخرى: عن كُريب مولى ابــن عباس؛ (أنه رأى معاويةَ صلَّى العشــاءَ، ثــم أوتر بركعةٍ

---

(١) تاريخ بغــداد: ٢٠٨/١ـ٢٠٩؛ ابن عســاكر (مختصره): ٤٧/٢٥ـ٤٨؛ ســير أعلام النبلاء: ١٥٠/٣ـ١٥١، وقال شــعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات. وأخرجه من طريق آخر: عبدالرزاق في مصنفه (٢٠٧١٧) وسنده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٦٤).

واحدة لم يزِدْ، فأخبر ابنَ عباس، فقال: أصابَ، أي بُنيَّ! ليس أحدٌ منا أعلمَ من معاوية!)(١).

ـ وعن جَبَلة بن سُحَيم (عن عبد الله بن عُمر قال: ما رأيتُ أحداً أسودَ من معاوية! قلتُ: ولا عمر؟ قال: كان عمر خيراً منه، وكان معاوية أسودَ منه).

روي من طُرق، وذكر ابنُ عمر فيها: (أبا بكر وعمر وعثمان!)(٢). ومعنى أسود: أعظم سيادة.

ـ وجاء من وجهين: عن الأعمش، عن مجاهد قال: (لو أدركتُم معاويةَ لقلتُم: هذا المهدي).

ـ وقال أبو هريرة المُكْتِب: (كنا عند الأعمش فذكروا عمر بنَ عبد العزيز وعدْلَه، فقال الأعمش: فكيف لو أدركتم معاويةَ؟ قالوا: في حِلْمه؟ قال: لا والله بل في عدله).

ـ وعن أبي بكر بن عيَّاش، عن أبي إسحاق السَّبِيعي قال: (ما رأيتُ بعدَه مثلَه. يعني معاوية)(٣).

ـ وعن قَبِيصة بن جابر قال: (صحبتُ معاويةَ بنَ أبي سفيان؛ فما رأيتُ رجلاً أثقلَ حِلْماً ولا أبطأ جهلاً ولا أبعدَ أناةً منه!)(٤).

ـ وعن ابن عباس قال: (لمَّا احتُضِر معاويةُ قال: إنِّي كنتُ مع رسول الله ﷺ على الصَّفَا، وإني دعوتُ بِمِشْقَصٍ، فأخذتُ من شَعره، وهو

---

(١) مسند الشافعي: ١/١٠٨؛ سير أعلام النبلاء: ٣/١٥١ـ١٥٢؛ الفتح: ٨/٧١٤ـ٧١٥، وقال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات.

(٢) ابن عساكر (مختصره): ٢٥/٥٣ـ٥٤؛ منهاج السُّنَّة: ٣/١١١؛ سير أعلام النبلاء: ٣/١٥٢؛ البداية والنهاية: ٨/١٣٥.

(٣) مختصر ابن عساكر: ٢٥/٥٣؛ منهاج السُّنَّة: ٣/٦٥٦.

(٤) المعرفة والتاريخ: ١/٤٥٨؛ مختصر ابن عساكر: ٢٥/٥٦.



في موضع كذا وكذا، فإذا أنا مِتُّ، فَخُذوا ذلك الشعرَ فاحْشُوا به فمي ومنخري!)(١).

•• فهذه شهادة النبي ﷺ لمعاوية وتزكيته له، وتلكم شهادات الصحابة الأخيار والتابعين لهم بإحسان، فما قيمة أي كلام يخالفهم ممن جاء بعدهم؟!.

والكلام عن معاوية صاحب النبي ﷺ، وكاتبِ الوحي، وخالِ المؤمنين ـ كثير طويل، قد أحسن في الكتابة عنه آحادُ الناس، وأساءَ الأكثرون! ووقع فيه أهلُ الشنآن والبغضاء، وهؤلاء كُثر لا يَنقطع لهم حقد ولا تنتهي ضغينة؛ وهم رافضة اليوم (خَلْف) الرافضة المتقدمين، وأعوانهم وأتباعهم ممن يضطغنون على الإسلام والصحابة عموماً وعلى (عمر وخالد وسعد وأمثالهم) خصوصاً، وعلى (معاوية وبني أمية) أخصّ الخصوص! لأنهم أطفؤوا نار المجوس وكَسَروا كسرى ومزقوا دولة الفرس، وقد كشف التاريخ القديم والحديث والحالي أقنعتهم! **ومعاوية كما يقول الذهبي**: (قد سادَ وساسَ العالم بكمال عقله، وفَرْط حِلْمه، وسَعَة نفسه، وقوة دهائه، ورأيه. وكان محبَّباً إلى رعيَّته، عمل نيابة الشام عشرين سنة، والخلافة عشرين سنة، ولم يَهِجْهُ أحدٌ في دولته، بل دانت له الأمم، وحَكَم على العرب والعجم، وكان ملكُه على الحرمين ومصر والشام والعراق وخراسان وفارس والجزيرة واليمن والمغرب وغير ذلك)(٢).

وتكلم ابن تيمية بكلام جليل نفيس عن معاوية في مواضع كثيرة من «منهاج السُّنَّة» و«مجموع الفتاوى»، ومما قاله: (وأقام معاوية نائباً عن عمر وعثمان عشرين سنة، ثم تولى عشرين سنة، ورعيتُه شاكرون لسيرته وإحسانِه، راضون به، حتى أطاعوه في مثل قتال علي!)(٣).

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١٥٨/٣؛ مختصر ابن عساكر: ٨٥/٢٥. **المشقص**: نصل طويل عريض.

(٢) سير أعلام النبلاء: ١٣٣/٣.

(٣) منهاج السُّنَّة: ٤٦٢/٤.

وقال في موضع آخر: (وقد ثبت في الصحيح: عن النبي ﷺ: أنه قال: «**خيارُ أئمتِكم الذين تحبُّونَهم ويُحبُّونكم، وتُصلُّون عليهم ويصلُّون عليكم. وشِرارُ أئمتكم الذين تُبغِضُونهم ويُبغِضونكم، وتَلْعَنُونهم ويَلعنُونكم**»[١]. قالوا: ومعاوية كانت رعيتُه تحبه وهو يحبُّهم، ويصلّون عليه وهو يصلي عليهم)[٢].

●● ولا يجوز سبُّ أي صحابي أو الطعنُ عليه أو الإزراءُ به أو اتهامه، فضلاً عن لَعْنِه أو الحكم بضلاله وكفرِه وردَّته والعياذُ بالله تعالى، فقد زكَّاهم الله تعالى ونبيه ﷺ عموماً وخصوصاً.

قال ابن تيمية: (من لعن أحداً من أصحاب النبي ﷺ، كمعاوية بن أبي سفيان وعَمْرو بن العاص ونحوِهما، ومن هو أفضلُ من هؤلاء كأبي موسى الأشعري وأبي هريرة ونحوهما، أو من هو أفضل من هؤلاء كطلحة والزبير وعثمان وعلي... فإنه مستحقٌ للعقوبة البليغة باتفاق أئمة الدين، وتنازَعَ العلماء: هل يُعاقب بالقتل، أو ما دون القتل؟)[٣].

وسيدنا عليٌّ على خلافه مع معاوية، كان يُثني عليه، فقد روى الشعبي، عن الحارث الأعور قال: (لما رَجَع علي من صفِّين عَلِم أنه لا يَملك أبداً، فتكلم بأشياءَ كان لا يتكلم بها، وحدَّث بأحاديث كان لا يتحدَّث بها، فقال فيما يقول: أيها الناس، لا تكرهوا إمارة معاوية، والله لو قد فقدتُموه لقد رأيتُم الرؤوسَ تَنْدُر عن كواهلها كالحنظل!)[٤].

وفي (أصح كتاب عند الرافضة): أن علياً سمع قوماً من أصحابه يَسبُّون أهلَ الشام، فنهاهم وقال: (إنِّي أكرهُ لكم أن تكونوا سَبَّابِين، ولكنكم لو

---

(١) صحيح مسلم (١٨٥٥)، والصلاة: الدعاء.
(٢) منهاج السُّنَّة: ١٢١/٣، وانظر: ٦٦٤/٣، ٧٣١؛ مجموع الفتاوى: ٥٨/٣٥_٦٦.
(٣) مجموع الفتاوى: ٥٨/٣٥، وانظر: ٥٩/٣٥_٦٦؛ منهاج السُّنَّة: ١٢٥/٣_١٢٦.
(٤) مصنف ابن أبي شيبة: ٧٢٤/٨. تندر: تسقط.

وَصفتُم أعمالَهم وذكرتُم حالَهــم كان أصوبَ في القول، وأبلَــغَ في العُذْر، وقلتُم مكان سَــبِّكُم إياهم: اللَّهمَّ احقِنْ دماءنا ودماءهــم، وأَصْلِحْ ذاتَ بيننا وبينِهم، واهْدِهم مــن ضلالَتِهم، حتى يَعرِفَ الحقَّ مَــن جَهِلَه، ويَرْعَوِي عن الغَيِّ والعُدوان مَن لَهِجَ به!)[١].

ومثله موقف عمــار وهو من جِلَّة الصحابــة، وكان في جيش علي، فعن زياد بن الحارث قال: (كنتُ إلى جَنْب عمار بن ياسر بصفِّين، وركبتي تمسّ ركبتَه، فقال رجل: كَفَر أهل الشــام! فقال عمار: لا تقولوا ذلك؛ نبيُّنا ونبيُّهم واحد، وقِبْلتُنا وقِبْلتُهم واحــدة، ولكنهم قوم مفتونون حادوا عن الحق، فحَقَّ علينا أن نقاتِلهم حتى يرجعوا إليه)[٢].

بل هناك أعظمُ وأجَلُّ من كل ما ســبق، وهــو الحديث الصحيح الذي شــهد فيه النبي ﷺ للطائفتيــن المتحاربتيــن في صفين بأنهما مســلمتان ودعواهما واحدة، وذلك فيما رواه أبو هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقومُ الســاعة حتى تقتتلَ فئتانِ عظيمتانِ، يكون بينهما مَقتلــةٌ عظيمةٌ، دَعوتُهما واحدةٌ**»[٣].

وكذلك حديث (الصلــح بين المســلمين) الذي قام به الســيد الجليل الحسن بن علي، ونال بسببه الثناءَ الرفيعَ السائرَ من النبي ﷺ بقوله: «**إنَّ ابني هذا سيدٌ، ولعلَّ اللهَ أنْ يُصْلِحَ به بين فئتينِ عظيمتينِ من المسلمين**»[٤].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٨/٦.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٧٢٢/٨؛ الفتح: ٤١٧/١٦ (٧١٢١).

(٣) أخرجه البخاري (٧١٢١)؛ ومســلم (١٥٧) بعد الحديث (٢٨٨٨)، وغيرهما. وقد شرحته بتوسع في كتابي: نبوءات الرسول ﷺ: ٩٦/٢ـ١١٢.

(٤) أخرجــه البخــاري (٢٧٠٤)، وغيره، وانظــر تتمة تخريجه وشــرحه في كتابــي: نبوءات الرسول ﷺ: ٢٤٤/٢ـ٢٥٦. وكتابي الآخر: «الحسن بن علي».

وقد كان معاوية هو المبادرَ في طلب الصلح والراغبَ فيه، وأَرسـل إلى الحسـن في ذلك، فقَبِل الحسـن وأَعلن الصلحَ في أهل العـراق، وخَطَبهم وحثَّهم على مبايعة معاوية وطاعته:

عن هلال بن خبَّاب قال: (جَمع الحسن رؤوسَ أهل العراق في هذا القصر ـ قصر المدائن ـ فقـال: إنكم قد بايعتموني على أن تُسـالموا من سـالمتُ، وتحاربوا من حاربتُ، وإني قد بايعتُ معاويةَ فاسمعوا له وأطيعوا)[1].

أقول: قدمت بهذه الحقائق والشـهادات والأدلة الناصعة الساطعة؛ لتكون نِبْراساً لكل إنسـان حر كريم وباحث وكاتب يريد الحق، عند الحديث عن تلك الحقبة المحزنة، وبين يديه ركام هائل مـن الروايات التالفة والأكاذيب والادعاءات والشـتائم، والترَّهات؛ حول (معاوية وبنـي أمية)، وموقف علي والصحابة والمسلمين عامة منهم.

ولتكون مِسْباراً لكل ما يرِدُ من هنا وهناك من لعنٍ وسبٍّ وشتمٍ وتضليلٍ بين الفريقين من أهل صِفِّين، وللعلم بأن ما جاء في ذلك هو من نفثات المَصْدورين من قتلة عثمان، المسـتمرين في الفتنة وإشـعال نار الخلاف والقتال، منذ قتلِهم عثمانَ ثم أيام الجمل وصفين والنهروان وهلـم جَرّاً إلى زماننا! وكذلك هي من أقاصيص الرواة الضعفاء والمتروكيـن وأصحاب الأهواء والمبتدعة، وبعد هؤلاء وأولئك ممن يروِّج لتلك الأباطيل من رافضة اليوم ومَن هم على شـاكلِتهم من الكتَّاب المتهوِّرين أو الحاقدين أو الغُثائيين الجمَّاعين وحاطِبي الليل!.

ونشـير باختصار شـديد إلـى أمثلة من تلـك الأكاذيـب، ونماذج من الكتابات في هذا الجانب:

•• فابن أبي الحديد المعتزلـي الرافضي يذكر في «شـرح نهج البلاغة»

---

(١) المعرفة والتاريخ: ٤١٠/٣؛ ابن عساكر (مختصره): ٣٤/٧. وإسناده صحيح.



(فرية اللعن) فيقول: (ولمَّا قنت عليٌّ عليه السلام على خمسة ولعنَهم، وهم: معاوية، وعمرو بن العاص، وأبو الأعور السُّلَمي، وحَبيب بن مَسْلمة، وبُسْر بن أَرْطاة، قنت معاوية على خمسة وهم: علي والحسن والحسين عليهم السلام، وعبدالله بن عباس، والأشتر، ولعنهم!).

وذكر في موضع آخر أن القنوت واللعن كان في الصلاة وخطبة الجمعة[1]!.

فهل يصدِّق عاقل ذلك؟! ولو أن رجلاً من المسلمين الآن قام على المنبر ولعن فلاناً من الناس أمام الملأ، لوبَّخه العامة قبل الخاصة، ولَاتَّهموه في دينه وعقله! فكيف يُقبل هذا من ربيب بيت النبوة علي، ومن معاوية أمير بلاد الشام ثم عامة بلاد الإسلام فيما بعد؟ وكيف قبل الحسن بن علي بأن يتنازل عن الخلافة لرجل كان يلعنه وأباه وأخاه في الصلاة والخطبة على المنابر؟! أين عقلك يا ابن أبي الحديد؟! وأين أحلام من يصدقونك ممن هم على مذهبك وبدعتك؟!.

ومما نُسب إلى عليٍّ في «نهج البلاغة» قوله: (والله ما معاويةُ بأدهى منِّي، ولكنه يَغدِر ويَفْجُر، ولولا كراهيةُ الغدر لكنتُ من أدهى الناس...)[2].

وكذلك كتاب منه إلى معاوية يقول فيه: (أما بعد، فقد أتتني منكَ موعظةٌ مُوَصَّلَة، ورسالةٌ محبَّرة، نَمَّقْتَها بضلالك، وأمضيتَها بسوءِ رأيك. وكتابُ امرئ ليس له بصرٌ يَهديه، ولا قائدٌ يُرشِده، قد دعاهُ الهوى فأجابَه، وقادَهُ الضلال فاتّبَعَه، فهجر لاغِطاً، وضَلَّ خابِطاً!)[3].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٧٢/٨، ٣٢٢. وقد فصلتُ ذلك في كتابي «الحسن بن علي».
(٢) شرح نهج البلاغة: ٣٩٦/٥.
(٣) المرجع السابق: ٢٦٢/٧.

ومن هذا أيضاً كتابه ـ المزعـوم ـ إلى عَمْرو بن العاص، وفيه: (فإنك قد جعلتَ دِينَكَ تبعاً لِدُنيا امرئ ظاهرٍ غَيُّه، مهتوكٍ سِتْرُه، يَشين الكريمَ بمجلسه، ويُسَـفِّه الحليمَ بخَلْطتِه، فاتبعتَ أثَرَه، وطلبتَ فضْلَه، اتباعَ الكلبِ للضِّرغام يَلوذُ بمخالبه، وينتظر ما يُلقى إليه من فضل فريسته! فأذهبتَ دنياك وآخرتك، ولو بالحق أخذتَ أدركتَ ما طلبتَ)[١].

وهذا الكلام وأمثاله مما يَطرب له الرافضة ويروِّجـون لِما هو أقبحُ منه، هو مما يقطع العاقل المنصف ببطلان صدوره عن أمير المؤمنين علي في عفّة لسانه وسماحةِ خُلقه ومعرفته بأقدار الناس. كما أنه لا يَروج على آحاد الناس فضلاً عن العارفين بمنزلة الصحابيين معاويـة وعمرٍو في جلالتهما ورجاحة عقلهما وكريم مجلسـهما وجليسـهما، دَعْ عنك ثناءَ النبـي ﷺ لهما، فكيف يُتَّهمَان بالضلال والغواية وعدم الرشاد؟!.

وزاد ابن أبي الحديد الأمر سـوءاً فقذف معاويةَ بصفـات لا يفعلها إلا متهتك لا يعبأ بالمحرمات، فقال شارحاً لهذا الكلام الأخير:

(أما مهتوكٌ سِتْره: فإنه كان كثيرَ الهزل والخلاعة، صاحبَ جُلساء وسُمَّار، ومعاوية لم يتوقر ولم يَلزم قانون الرياسـة إلا منذ خرج على أمير المؤمنين واحتاج إلى الناموس والسـكينة! وإلا فقد كان في أيام عثمان شديدَ التهتُّكِ، موسوماً بكل قبيح، وكان في أيام عمر يستر نفسَه قليلاً خوفاً منه، إلا أنه كان يلبس الحرير والديباج، ويشـرب في آنية الذهـب والفضة، ويركب البَغْلات ذواتِ السروج المُحلّاة بها، وعليها جِلال الديباج والوشْي، وكان حينئذٍ شاباً وعنده نَزَق الصِّبا وأثر الشبيبة وسُـكْر السلطان والإمرة. ونقل الناسُ عنه في كتب السيرة أنه كان يشرب الخمر في أيام عثمان في الشام!)[٢].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٣٤٠/٨.

(٢) المرجع السابق: ٣٤٠/٨.

فهل نصدِّق الصحابة والتابعين الذين عاصروا معاوية وكانوا شهوداً على سيرته وأعماله، أم نقبل كلام هذا الرافضي الـ...؟! ولا نستطيل بلساننا على هذا المفتري بل نقول: هذا الاتهام لمعاوية رضي الله عنه في صحيفته يَلقى به ربه فيحاسبه عليه بمقدار مَن يقرأ كتابه ويتأثر بضلالاته وافتراءاته!.

وفي (مَتْن نهج البلاغة وشَرْحه) من الضلال والكذب والافتراء والطعن على النبي ﷺ والصحابة ما لا يَحتمله حر كريم، ولا يَقبله ذو مروءة، وهو من الشواهد الكثيرة على أن كثيراً مما في هذا الكتاب لا تصح نسبته إلى علي البتَّة.

●● ويقول كاتب شيعي معاصر: (كان معاوية يتطيَّر من طالعه، ويسأل أهلَ النجوم، وإنه ليسترشدُ بأجرام السماء مستقرِئاً للغيب، ولم يكن له إيمان يتبعه)[1].

ـ ويزعم أحد كبراء الشيعة المعاصرين: أنه (ما زال أهل الدين والحق حتى اليوم يحبون عليّاً، ويكرهون معاوية، وسيبقى علـيٌّ محلًّا للتقديس، والتعظيم، ومعاوية محلًّا للاحتقار والهوان إلى آخر يوم!).

ويستطيل بلسانه وقلمه على كاتب الوحي ومن أثنى عليه النبي ﷺ والصحابة وتنازل له الحسن عن الخلافة، فيقول:

(والذي نراه أن معاوية لم يطمع بالخلافة ولم يحدِّث بها نفسَه قبل فتنة الجمل، لأنه يعلم مكانه، وأنه أحقر من أن يطمع بالخلافة، وهو الطَّليق ابنُ الطَّليق، وفي المسلمين السابقون المقربون، وقد سمع معاوية عمر بن الخطاب يقول: الخلافة محرمة على الطلقاء)[2].

---

(١) أبو تراب، للدكتور طلال الجنابي، ص ٢٤٠.

(٢) فضائل الإمام علي، لمحمد جواد مغنية، ص ٦٧، ١٤٢ـ١٤٣.

ونحن نقول لهذا الرجل وأمثاله ممن يضطغنون على صحابة نبينا ﷺ: هل تحفظون قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠]؟! أليس مُسْلِمة الفتح مشمولين بالآية وقد وعدهم الله الحسنى؟! وإذا كانت الخلافة محرمة على (الطلقاء) كما تفتري على عمر، أَلَا يعني هذا أن الحسن بن علي قد ارتكب محرَّماً عندما تنازل عن الخلافة وبايَعَ معاويةَ عليها؟!.

ـ وذكر محقق (ترجمة علي في تاريخ ابن عساكر) ـ وتصفه شيعته بالمحقق الخبير ـ أن معاوية كان ذا ولعٍ في السعي لاستئصال أهل بيت النبوة ومعادن العلم والمعرفة[١].

وأوضح ما يُردّ به عليه أن نقول: هل عرفتَ معاوية وهديه وأخلاقه وسيرته في الناس أكثر من الحسن الذي تنازل له عن الخلافة؟! وأكثر من الحسين الذي سكت على ذلك مقرّاً له؟! أفَكانا جاهلَيْن بحقيقة معاوية، أم كانا جبانَيْن خائفَيْن عاشا في عهده ولم يهيجا عليه أحداً؟! وحاشاهما من كل ذلك!.

والكلام في هذا الباب لا ينتهي، وكتب الرافضة ـ قديماً وحديثاً ـ تطفح بالطعن على معاوية ومن هو أجلُّ منه بكثير!.

●● وفي كتابات كثيرين من المعاصرين من غير الرافضة مجافاة للحقيقة ومجازفات وطامات وولوغ في عِرْض الصحابة وبخاصة معاوية. ونتجاوز في ذِكْر الأمثلة ما هو مشهور في كتابات طه حسين وعباس محمود العقّاد وخالد محمد خالد وهشام جعيط وأمثالهم، إلى ما هو أقل شهرة ونختار كتاب «علي بن أبي طالب» لعبد الكريم الخطيب، ومما جاء فيه:

---

(١) تاريخ ابن عساكر، بتحقيق محمد باقر المحمودي: ٣/٣٣٦، حاشية (٢).

ـ (بيت مال المسـلمين هو بيت مال معاوية يضعه حيث يشاء، ويفتح به لنفسه إلى الناس طُرقاً)[١].

ـ (اشـترى معاوية الرجال بالمال والسلطان، واشـترى الرجال بالادعاء والاستلحاق. وبقي رجال لم يستطع أن ينفذ إليهم بسبب من تلك الأسباب، ومع هذا فلم يزل يـدور حولهم ويكيد لهم، حتى يقطع ما بينهم وبين علي، ثم لا عليه أن يصل بينهم وبينه)[٢].

ـ وكان يرضى ويسـكت على خيانة الولاة من بيت المـال، (ولم يكن معاوية يَطرق هذا الباب، ثـم يفتحه على مصراعيه، لو لـم يجد من الناس استعداداً للمساومة على دينهم وعلى خلقهم)[٣].

ـ ومعاوية وبنو أمية يقتلون الأنفس وينتهكون القيم والمحرمات ويولُّون الجبابرة ولا يَرْعَوُون عن حُرْمة[٤].

ـ ومعاويـة وأصحابه على الباطل ويُلبِسـونه لباس الحـق ويقاتلون في سبيله، وهو يعصي الله وأهل الشام يطيعونه[٥].

وغير ذلك كثير مما شـحن به كتابه، وكأنه وضعه للتشـفي من معاوية وبني أميـة، ومراجعه في ذلك كما يلي: الكامل للمبـرد، الأغاني، الإمامة والسياسة، نهج البلاغة وشرحه، الأخبار الطوال، تاريخ الطبري.

---

(١) ص ٤٣٩.
(٢) ص ٤٤٢، ٤٥٦.
(٣) ص ٤٤٤.
(٤) ص ٤٥٦ـ٤٦٦.
(٥) ص ٤٨٢ـ٤٨٣.

ثانياً: منشأ الخلاف بين علي ومعاوية وأسبابه وحقيقته ومبرراته:

١ ـ تمهيد حول روايات التاريخ والمؤرخين بشأن (صِفِّين)[١]:

•• الحقيقة المرَّة التي يجب أن نذكرها دائمـاً ونؤكدها ونجهرَ بها هي أن: كتب التاريخ الإسـلامي في مصـادره الأولى القديمة ثـم اللاحقة؛ قد أسـاءت كثيراً إلى (عهدَيْ عثمان وعلـي) وبخاصة (أحـداث الفتنة: مقتل عثمان، الجمل، صفين، وغيرها)، وكذلك أساءت إلى رجال ذلك العهد.

وأن مؤرِّخينا قد أخطؤوا قليلاً أو كثيراً أيضاً؛ عندما سـوَّدوا وجْهَ (كتب التاريخ) بروايات باطلة تافهة مكذوبة، نقلوهـا عن رواة كذابين أو متروكين أو وضاعين أو مبتدعة حانقين، في حق صحابة أجـلَّاء عظماء هم في أرفع مراتب النُّبل والطهر والصدق والإخلاص والعقل والعلم!.

أين تزكيةُ القرآن الكريم للصحابة، وثناءُ النبي ﷺ العريض عليهم ونهيُه الشديد عن ثَلْبهم أو سـبِّهم؟! ثم أين ما اشـتهر عنهم من الأخلاق الرفيعة والشـمائل الحميدة والأعمال المجيدة؟!.. أين كل ذلك من روايات تتهمهم بالخيانة والكذب والغدر والجُبْن والتآمر والكيد والتباغض والأثرة والنذالة... حتى جعلت تلك الروايات من (ابن سـبأ والسّـبئيين) دعاةَ إصلاح وتقويم لمنهج عثمان وعلي والحسن ومعاوية! وروَّجت للأشتر النخعي وحُكَيم بن جَبَلَـة والغافقي بن حرب وأمثالهـم أنهم طلاب حق وإقامة للشـعائر، وهم الذين زحفوا إلى المدينة في هيئة الحُجَّـاج ثم حاصروا عثمان وقتلوه! وهم الذين أججوا الفتن في عهد علي وبخاصة أيام (الجمل وصفين)، وأفسـدوا كل خطة إصلاح، وسَـعَوا إلى الفسـاد والإفسـاد مـن وراء وراء، وروَّجوا الأكاذيب واختلقوا الفتن... ثم جـاء الرواة وأكثرهم من الضعفاء والمتروكين

(١) انظر ما كتبته مطولاً في كتابي (عثمان بن عفان): «الفصل الثالث من الباب العاشر».



وأصحاب الأهواء، فدوَّنوا تلك الأحداث على أنها صورة لذلك العهد ورجاله الكبار!.

•• إنـــه لا بدّ من المعرفة التامـــة بتاريخ تلك الحقبـــة، وأخلاق رجالها وشـــمائلهم وأعمالهم ومنزلتهم، وأثـــرِ القرآن الذي لا يـــزال غَضّاً في تربية أتباعه في صدر الإســـلام وتزكية أرواحهـــم، وتوجيه تصرفاتهـــم وأعمالهم وثقافتهم العامـــة، التي يهيمن عليهـــا الوازع الدينـــي والأخلاقي لا المآرب الشخصية والدوافع المادية الدنيوية.

ولا يُقبل البتة أي خبـــر يطعن في عدالة الصحابـــة وتنزُّهِهم عن الطمع والغدر والخديعة والفســـق والظلم والاســـتبداد وأكل الأموال بالباطل وكل ما هو من الفسق وخوارم المروءة[١].

•• كما يتوجـــب على الباحث الخبرةُ الشـــاملة بالـــراوي والمرويِّ، وفحصُ الأخبار ومقارنتها ببعضها، ونقدُ السند والمتن، وغربلةُ الروايات واستخلاص الحقائق من أضابيرها ونفي غَلَس الأساطير والأكاذيب عنها؛ فنأخذ بالصحيح والحســـن والقريب منه، ولا بأس بأخذ الضعيف الذي يَسدُّ فراغاً ويملأ ثغرة ويفكّ لُغزاً ويشـــرح غامضاً، ما دام ذلك متفقاً مع الروح التي تسود ذلك المجتمع والســـلوك الذي اشتهر به أهله وصانعو أحداثه، (ومرحى للنقد النزيـــه مصوغاً في نمط أهل الأدب من الباحثين، وليس أحد ـ حاشا النبيين ـ بمعصوم)[٢].

•• ومـــن خيانة العلـــم والتنكر للأمـــة وتاريخها والحَيْف على سَـــلَفها الكريم؛ ما يقوم به بعـــض (الكتّاب) الذين ينتقون الأخبار حســـب ميولهم،

---

(١) منهج دراسة التاريخ الإسلامي، ص ٨٦.

(٢) عثمان بن عفان، للصادق عرجون، ص ١٩.

ويأخذون الروايات الضعيفة والواهية والباطلة التي تخدم ميولهم ومذاهبهم، ويكتفون بالإشـــارة إلى أنها عن الواقدي أو نصر بن مزاحـــم أو الطبري أو المســـعودي... ثم يبنون على تلك الأخبار بنياناً من الآثام والفِرى التي تشوه صورة العصر الراشـــدي الذي هو (العصر الذهبي للإسلام) بعد عصر النبوة، والذي تحققت فيه (عالمية الإســـلام) على أيدي رجاله من خلال الفتوحات والحكم بمبادئ الإسلام.

وإذا كان التحري في نقـــل الأخبار والتمحيص فـــي قبولها والتثبت من مصداقية رواتها ونزاهتهم؛ واجباً بصورة عامة ولـــكل جيل، فهو آكَدُ وجوباً بحق جيل الصحابة وعصر الراشـــدين، التزاماً بهـــدي القرآن: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

●● ومما يجب التأكيدُ عليه والجهرُ بـــه أن (تاريخ الطبري) ـ مع جلالة مؤلفـــه ومكانته الرفيعـــة ـ فيما أورده مـــن روايات باطلة وتالفـــة ومكذوبة ومفتراة؛ قد أســـهمَ في الإســـاءة إلى تاريخنا وبخاصة (أحـــداث الفتنة) في العصر الراشدي، وذلك فيما ينقله عن أمثال: محمد بن السائب الكلْبي وأبي مِخْنف لوط بن يحيـى ونصر بن مزاحـــم وعَوَانة بن الحَكَم وبابَتِهم، بحيث يهول القارئ ـ في ظلمة تلك الروايـــات ـ ما كان عليه رجال ذلك العهد من الصحابة وصالحي الأمة من التابعيـــن من الأخلاق القبيحة والأعمال الرديئة والهدي الســـيئ والمكر والخديعة والتباغض والتدابر والتشاحن، وغير ذلك مما لا يصدقه عاقل إلا في سَفِلة الرجال!.

حتى إن الطبري نفســـه قد استشـــعر ذلك فقال فيه وكأنـــه يتبرأ منه ويعتذر عـــن إيراده: (فما يكن فـــي كتابي هذا من خبـــرٍ ذكرنا عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له

وجهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة ـ فليعلم أنه لم يُؤتَ في ذلك من قِبلنا، وإنما أُتي من قِبل بعض ناقليه إلينا، وأنَّا إنما أدَّينا ذلك على نحو ما أُدِّيَ إلينا)(١).

فهل يُقبل هذا العذر من الإمام الطبري وقد أصبح كتابه مصدراً ومرجعاً لعامة المؤرخين والكتاب ممن جاء بعده؟! فعليه اعتمد ابن الجوزي وابن الأثير وابن عساكر والذهبي وابن كثير وغيرهم من مؤرِّخي أهل السُّنَّة، وكذلك كثير من الرافضة المتقدمين والمتأخرين ويحتجون بأخباره على ما يريدون إثباته بحق الصحابة! وأيضاً أضحى المرجعَ الأول للكتاب المعاصرين من المستشرقين والمستغربين والعلمانيين والجمَّاعين في أيامنا هذه!.

ولسوف نشير إلى طَرف من تلك الأخبار والأكاذيب والافتراءات التي دُوِّنت بحق تلك (الحقبة الخطيرة)، ونسعى إلى تجلية وجه الحق ونفي الدَّغَل عنها، وتبرئة الصحابة مما عُزي إليهم وإلى تاريخهم، وتقديم ما هو أقرب إلى الحقيقة وأجدر بسيرهم رضي الله عنهم.

٢ ـ مقتل عثمان، وقميصه على منبر جامع دمشق، وموقف والي الشام (معاوية) وأهل الشام:

•• لما قُتل عثمان ﷺ خرج الصحابي الجليل النعمان بن بشير الأنصاري من المدينة (ومعه قميص عثمان مضمَّخ بدمه، ومعه أصابع نائلة ـ زوجته ـ التي أُصيبت حين حاجَفَتْ عنه بيدها، فقُطعت مع بعض الكفّ، فورد به على معاوية بالشام، فوضعه معاوية على المنبر ليراه الناس، وعلَّق الأصابع في كُمّ القميص... فتباكى الناس حول المنبر... وقام في الناس

(١) تاريخ الطبري: ٨/١.

معاوية وجماعة من الصحابة معه يحرِّضــون الناسَ على المطالبة بدم عثمان ممن قتله من أولئك الخوارج)[١].

وقــد كان معاوية يرى أنــه وليُّ دم عثمــان لأنه ابن عمــه، فطالب منذ استشهاده وتولي علي الخلافة بإقامة الحدِّ على القتلة أو دفْعِهم إليه ليقتلَهم به، وأيَّده في هذا أهلُ الشام... وكان يعترف بفضل عليٍّ وسابقته وصهره إلى النبي ﷺ وأنه متقدم عليه في كل ذلــك، وأعلن هذا صراحة في وقت خلافه مع أميــر المؤمنين، فقال: (إنــي لأعلمُ أنه أفضلُ منِّي وأحــق بالأمر ـ يعني الخلافة ـ)[٢].

وأكد معاوية موقفه بأن الشهيد عثمان قُتل مظلوماً، وأنه كان على الهدى، واحتجَّ بحديث النبي ﷺ، وأنصتَ أهلَ الشام لاستماع ذلك:

عن جُبير بن نُفَيْر قال: (كنَّا مُعســكِرين مع معاوية بعد قتل عثمان ﷺ، فقام كعب بن مرَّة البَهْزيُّ فقال: لولا شيء سمعتُه من رسول الله ﷺ، ما قمتُ هذا المقام، فلما سمع (معاوية) بذِكْر رسول الله ﷺ أجلَسَ الناسَ، فقال: بينما نحن عند رســول الله ﷺ، إذ مرَّ عثمان بن عفان مُرَجِّــلاً (مُغْدِفاً)، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**لتَخرُجَنَّ فتنةٌ من تحت قدمَيْ** ـ أو: من بين رِجلَيْ ـ **هذا، هذا يومئذٍ ومن اتبعَهُ على الهدى**»)[٣].

وفي حديث صحيح آخر وصــفَ النبي ﷺ الذين خرجــوا على عثمان وحاصروه وقتلوه بأنهم منافقون[٤]!.

---

(١) تاريخ الطبري: ٥٦٢/٤؛ المنتظم: ٧٧/٥؛ البداية والنهاية: ٢٢٨/٧.

(٢) تقدم بتمامه: ص٤٥٢ حاشية (٢) في هذا الكتاب.

(٣) أخرجه أحمد: (١٨٠٦٨)؛ وابن أبي عاصم في السُنَّة (١٢٩٣) و(١٢٩٥)، وغيرهما؛ وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٣١١٩). مغدفاً: أغدف عليه لباسَه: أرسَلَه، والغِدْفَة: لباسُ المَلِك.

(٤) انظر تفصيل ذلك في كتابي: نبوءات الرسول ﷺ: ٣٨/٢، ٥١.

•• وهذا مما جعل معاويةَ ومعه صحابة آخرون وجميع أهل الشام يتوقفون عن بيعة أمير المؤمنين علي حتى يقيم الحد على قتلة عثمان.

ويرى معاوية أن أمير المؤمنين عليّاً غيرُ واجبٍ عليه طاعتُه لأنه لم يبايعه أولاً، ولأنه لم يُقم حدَّ الله تعالى في القصاص من قتلة عثمان ثانياً.

وكان يؤكد هذا المعنى فيقول: (ما قاتلتُ عليّاً إلا في أمر عثمان)[١].

•• والخوارج السبئية وأتباعهم من المشردين والمطرودين والغوغاء والمنحرفين وذوي الأطماع والأهواء الشخصية؛ هم الذين خرجوا على شرعية الخلافة زمن عثمان، وحرفوا حركة التاريخ الصحيحة عن مسارها، وأحدثوا في سياقها منعطفاً خطيراً أدى في النهاية إلى تهديد بنيان الخلافة ومقتل أمير المؤمنين عثمان، ولهم اليد الطولى في ذلك. وهؤلاء المجرمون القتلة الذين وصفهم النبي ﷺ بـ(المنافقين) في قوله لعثمان: «**يا عثمان، إنَّ الله عسى أن يُلْبِسَكَ قميصاً، فإنْ أرادكَ المنافقون على خلْعِه، فلا تخلَعْه حتى تلقاني ـ ثلاثاً ـ**»[٢]؛ هؤلاء (المنافقون) كانوا في مقدمة المبايعين لأمير المؤمنين، ولهم تأثير قوي على مسيرة الدولة وسيرورة الأحداث، وقد صرَّح علي بذلك فقال لإخوانه من الصحابة: (كيف نفعلُ بقوم يَملكوننا ولا نملكهم؟!)، وقد ضَجَّ بهم عليٌّ في غير موقف، وصرح بذلك مراراً!.

وهؤلاء كانوا مساعيرَ الفتنة والشر وشقّ الصفوف وإفشال كل محاولة إصلاح في أحداث البصرة ووقعة الجمل، وأشعلوا نار الحرب بين الفريقين كما قدمنا.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٢٦٠/٧، وسنده حسن.

(٢) أخرجه الطيالسي (١٢٥٠)؛ وابن أبي عاصم في السُّنَّة (١٢٩٢)؛ والحاكم: ٩٨/٣ وصحَّحه ووافقه الذهبي؛ وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٣١١٨).

وهؤلاء هم أنفســهم (الصورة المكبَّرة) لنواة الشرّ التي نشأت في أواخر عهد عثمان والتي عُرفت (بجماعة المُسَيَّرين)، والذين تنقلوا في عدة أمصار إسلامية ومنها الشام، وقد خَبَرهُم معاوية، وكَتب بشأنهم إلى الخليفة الشهيد عثمان يقول: (إنه قدِمَ علَيَّ أقوام ليست لهم عقول ولا أديان، أثقَلَهم الإسلام، وأضجرهم العدل، لا يريدون الله بشــيء، ولا يتكلمون بحجــة، إنما همُّهم الفتنة وأموال أهل الذمة، واللهُ مبتليهم ومختبرهم، ثم فاضحهم ومخزيهم!)[1].

نقول: هذه الشِّــرْذمة من بُغاة الفتنة وأوكار الشــر، هم أصحاب ذلك التاريخ المظلم والمســيرة الباطنيــة، ممن يُظهِر المطالبــة بالحق والعدل والإنصاف، ويَطوون على الغدر والفجور والطعن في الإســلام وأهله؛ هم أولئــك الذين قتلوا عثمان، وأنشــبوا القتال يوم الجمــل، تراهم اليوم في جيش أميــر المؤمنين علي، وهــي حقيقة لا يماري فيها أحــد، ولا تذكر روايات التاريخ غيرها. وهو الأمر الذي شكا منه علي نفسه، كما شكا منه الصحابة ممن خالفه مثل أصحاب الجمل وغيرهم.

•• هذا الســبب الخطير الكبير مع ما قدمناه من أســباب؛ كل ذلك دفع معاويةَ ومن معه من الصحابة وجميع أهل الشــام؛ إلى التوقف عن بيعة علي بالخلافة، ومطالبته بإقامة القصاص على القتلة، أو دفعهم لوالي الشام القوي وولــي دم عثمان ليأخذ على أيديهــم ويقيم الحد على من يســتوجب عليه منهم، ثم بعد ذلك تكون البيعة لعلي.

وأكَّد هذا الفريــق موقفَه بالحديث المتقدم الــذي ينصُّ على أن (عثمان ومَن اتبعه على الهــدى)، فالمدافعون عنه على الهــدى، بخلاف الخارجين عليه وقتلتــه فَهُم على الضلال! وهذا مما قوى موقف (معســكر معاوية) في

(١) تاريخ الطبري: ٣٢١/٤.

الإصرار على مطلبهم في إقامة القصاص على القتلة الضالين الذين هم في جيش علي. مع التأكيد على أنه لا أحدَ ـ لا معاوية ولا أهل الشام ولا غيرهم ـ يَتَّهم عليّاً والصحابة والصالحين ممن معه بدم عثمان،إنما يخصُّون بهذا أولئك (القتلة من السبئية وأعوانهم وأتباعهم).

وفي هذا وذاك من الحجج الشرعية والتأويل المقبول، ما يبرر لأهل الشام موقفهم، ولا يطعن عليهم فيه إلا مكابر أو غالٍ أو مبغض.

فقضية تأجيل أمير المؤمنين علي إقامةَ حدِّ القصاص على القتلة هي مسألةٌ اجتهادية، ومسيرهُ في حرب البصرة والشام باجتهاد منه أيضاً كما ثبت عنه... وكذلك توقفُ معاوية في أهل الشام عن بيعة علي حتى يُقيم حد القصاص هو مسألةٌ اجتهادية أيضاً، ولهم في ذلك شبهات وتأويلات تبرِّر موقفهم[1].

وكما جاز لعليٍّ ومن معه أن يجتهدوا، كذلك يجوز لمعاوية ومن معه أن يجتهدوا في هذه المسائل، مع فضلهم وعلمهم وتاريخهم. ولا يجوز البتة الطعن على أيٍّ منهم أو التشكيك في نياتهم التي لا يعلمها إلا علّام الغيوب، وقد شهد لهم ﷻ بالصدق وزكاهم وأثنى عليهم في كتابه الكريم.

وأما القول بأن موقف معاوية من علي كان من تبييتٍ سابق ونيَّة قديمة في مخالفة أمير المؤمنين وإحراجه وإرباكه وإفشال قيادته للدولة والأمة، وكذلك الزعم بأن عمل معاوية هو امتداد (لمواقف أهل الجمل) في مواجهة علي وصراع بين حزب أموي وآخرَ هاشمي... فهذا وذاك من الفِرى السمجة التي لا تستند إلى رواية تاريخية صحيحة مقبولة، ولا يدعمها رأي سديد ولا منطق سليم! فمواقف والي الشام معروفة واضحة منذ بويع علي بالخلافة وصمَّم على

---

(١) انظر: منهاج السُّنَّة: ٥٤٦/٣.

عزل معاوية وبعث والياً بدلاً منه. بل إن موقف معاوية ليتجلى واضحاً صريحاً عبقريّاً منذ قام السبئيون بالخروج على عثمان، وطلب منه معاوية حمايته بطرق متعددة عرضها عليه[١].

٣ ـ إرادة علي عزل معاوية عن ولاية الشام، ومدى صواب ذلك، وآثاره:

تقدم[٢] أن أمير المؤمنين عليّاً قد عزم غداةَ استخلافه على تغيير بعض الولاة ومنهم (معاوية)، فنصحه جماعة من أجلَّاء الصحابة منهم المغيرة بن شعبة وابن عباس بإقرار معاوية على الشام، فأبى ذلك وبعث (سَهْل بن حُنيف) لتولي إمرة بلاد الشام، فردَّه الشاميون من حدود الأردن.

ومعاوية ﷺ كان من خِيار الولاة في جميل هَدْيه وحُسن سياسته ورضا الرعية عنه، وماضيه المجيد وأعماله الجليلة وكونه من ولاة عمر وعثمان مدة طويلة، وهو من أكفأ ولاة الخلافة الراشدة. يضاف إلى ذلك نصحُ الناصحين لعليٍّ بعدم عزله، والمرحلة العصيبة التي تمرُّ بها الدولة؛ تقتضي إقرارَه وعدمَ توسيع شُقَّة الخلاف. وكذلك فإن عليّاً لم يعزل كثيرين من الولاة ممن هم أقل أهمية بكثير من والي الشام... كل هذا يجعل المصلحة في إقرار معاوية والاتفاق معه، وتجاوز العقبات التي تمرّ بها الدولة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومعاوية كان خيراً من كثير ممن استنابه علي، فلم يكن يستحق أن يُعزل ويولى من هو دونه في السياسة؛ فإن عليّاً استناب زياد بن أبيه، وقد أشاروا على عليٍّ بتولية معاوية، فقالوا: يا أمير المؤمنين، تولِّيه شهراً واعزله دهراً! ولا ريب أن هذا كان هو المصلحة؛ إما

---

(١) انظر كتابي: عثمان بن عفان.

(٢) انظر: ص ٤٠١ ـ ٤٠٦، ٤٨٠ ـ ٤٨١ في هذا الكتاب.

لاستحقاقه وإما لتأليفه واستعطافه، فقد كان رسول الله ﷺ أفضلَ من عليٍّ، وولّى أبا سفيان، ومعاويةُ خير منه، فولَّى مَن هو خير من عليٍّ من هو دون معاوية)[1].

وقد تبين لأمير المؤمنين علي فيما بعدُ صحة رأي الناصحين له، وقد قال له ابن عباس: (إن معاوية يُطاع ولا يُعصى، وأنت عن قليلٍ تُعصى ولا تُطاع!. فلما جعل أهل العراق يختلفون على علي رضي الله عنه قال: لله درُّ ابن عباس؛ إنه لَينظرُ إلى الغيب من ستر رقيق!)[2].

وكذلك ما آلت إليه أمور المسلمين بعد وقعة صفين يؤكد أن المصلحة كل المصلحة في الصلح بين أمير المؤمنين وأهل الشام، وعدم الانجرار إلى الخلاف ومن ثم القتال؛ (فلا ريبَ أنه لو لم يكن قتال، بل كان معاوية مقيماً على سياسة رعيته، وعلي مقيماً على سياسة رعيته، لم يكن في ذلك من الشرّ أعظم مما حصل بالاقتتال، فإنه بالاقتتال لم تَزُل هذه الفُرقة، ولم يجتمعوا على إمام، بل سُفكت الدماء، وقويت العداوة والبغضاء، وضعفت الطائفة التي كانت أقرب إلى الحق، وهي طائفة علي، وصاروا يطلبون من الطائفة الأخرى من المسالمة ما كانت تلك تطلبه ابتداءً!.

ومعلوم أن الفعل الذي تكون مصلحته راجحة على مفسدته، يحصل به من الخير أعظم مما يحصل بعدمه، وهنا لم يحصل بالاقتتال مصلحة، بل كان الأمر مع عدم القتال خيراً وأصلح منه بعد القتال...)[3].

وهنا لا بدّ من طرح هذا السؤال: لماذا يُصِرُّ عليٌّ على عزل معاوية؟.

---

(١) منهاج السُّنَّة: ١٢١/٣ـ١٢٢، وانظر: ٤٦١/٤، ٤٦٣.

(٢) تاريخ الإسلام، للذهبي ـ عهد الخلفاء الراشدين، ص ٥٣٨ـ٥٣٩.

(٣) منهاج السُّنَّة: ١٢٢/٣.

وأمير المؤمنيــن علي كان من أكابر رجالات الدولــة في خلافة الخلفاء الثلاثة قبله، ويعلم سياســة الدولــة ومنزلة الولاة والولايــات فيها، ويعرف معاويةَ تمام المعرفة في منزلته وهَدْيه وحســنِ سياســته ورضــا الخلفاء عنه وحبِّ الرعية له، وقد جاءت نصيحةُ الناصحين بإقــراره وعدم عزله. وهاهو عليٌّ يرى خطورة الموقف وما جرَّه الخلاف فــي (وقعة الجمل). وهاهي ذِه نُذُر الفُرقة تدقُّ وتنذِر بتكرار المأســاة المروِّعة، وبخاصة وقتلة عثمان تقوى شــوكتُهم ويزداد غيُّهم وطغيانهم ويتشظَّى ســعيُهم في إثارة الفتن والقتال... فما الذي حدا بعليٍّ وحمَلَه على إصــراره على عزل معاوية وإرغامه في أهل الشام على الطاعة أولاً، مع كل هذه المقدمات والمحاذير؟!.

والذي نراه ولا نجد غيره جواباً لهذه المعضلة يتلخص في أمرين اثنين:

الأمر الأول: أن عليّاً ﷺ تــوارى عنده (جانبُ السياســة) وغلَبَتْ (مزيةُ القوة) والأخذ بما نســميه (الحســم العســكري)، وخاصيةُ القــوة والبطولة والفروسية والشجاعة الغلَّابة مما امتاز به عليٌّ، وتشكل ركناً بارزاً غلَّاباً في شخصيته.

والأمر الثاني: وهو ـ برأينا ـ يوازي الأول ويتفوق عليه في التأثير: هو أثر (السبئية من قتلة عثمان) على القرار السياسي، وتوجيه مسار الأحداث والدفع بها نحو نفق الفتنة والقتال، وتحقيق المزيد من الشروخ في صف الأمة وجسم الدولة، وهو ما لا يعيشــون دونه، ولا يهنؤون إلا في حَمْأَته! وقد استغلوا في ذلك ما أشــاعوه وروَّجوا له من (سوء ســيرة معاوية وأطماعه) في الخلافة، وسعيه في أهل الشام لبناء أمجاد أموية!.

وقد تبين من ســيرورة أحداث (وقعــة صفين) وما تلاها، مــدى التأثير الكبير لأولئك السبئية المجرمين في توسيع الخلاف وتأجيج القتال.



ثالثاً: خروج علي إلى الشام، وموقف جماعة من الأكابر، ودور رؤوس الفتنة:

●● لما رفض معاوية في أهل الشام بيعة أمير المؤمنين علي، وردّوا والي الشام الجديد من قِبله ورفضوا عزل معاوية؛ عزم علي على المسير إلى أهل الشام ليرغمهم على البيعة والدخول في الطاعة، فجاء إليه ابنُه الحسن بن علي وقال له: (يا أبتِ، دَعْ هذا فإن فيه سَفْكَ دماء المسلمين، ووقوعَ الاختلاف بينهم)، فلم يَقبل منه ذلك[١].

ونَصَحه غير واحد من الصحابة بأن لا يسير إلى أهل الشام، وأن يسالمهم ولا يسعى إلى المواجهة بين المسلمين:

فدخل عليه الصحابي حَنْظلة بن الرَّبيع التَّميمي المعروف (بحنظلة الكاتب)، في رجال كثير من غَطَفان وبني تميم، قال حنظلة: (يا أمير المؤمنين، إنا قد مشينا إليك بنصيحة فاقبلْها منَّا، ورأَيْنَا لك رأياً فلا تردَّه علينا، فإنَّا نظرنا لك ولمن معك: أَقِمْ، وكاتِبْ هذا الرجلَ، ولا تَعجلْ إلى قتال أهل الشام)[٢].

وأشار عَديّ بن حاتم على أمير المؤمنين علي بمثل ما نَصح به حنظلة الكاتب[٣].

وألحَّ عبد الله بن عباس على عليٍّ بالنصيحة والمسالمة مع معاوية، فأجابه علي: (لا أعطيه إلا السيفَ، حتى يغلبَ الحقُّ الباطل!)[٤].

---

(١) البداية والنهاية: ٢٣٠/٧؛ نبوءات الرسول ﷺ: ٩٩/٢.
(٢) وقعة صفين، ص٩٦.
(٣) المرجع السابق، ص٩٨.
(٤) تاريخ الإسلام، للذهبي ـ عهد الخلفاء الراشدين، ص٥٣٨.

ونصحه عبدالله بن سَلَام بأن لا يخرج من المدينة فقال: (يا أمير المؤمنين، لاتخرج منها، فوالله لئن خرجتَ منها لا ترجع إليها، ولا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً!)[١].

●● تجهَّز علي في جيش كثيف وخرج باتجاه الشام، فعلم معاوية بخروجه، فاستشار الناس فأشاروا عليه بالخروج، فخرج في جيش كبير.

وكان خروج علي إلى صفين بعد وقعة الجمل ـ وكانت الجمل في (١٥) من جمادى الآخرة من سنة (٣٦هـ) ـ بنحو ثلاثة أشهر[٢].

وقد كان لرؤوس السبئية والغوغاء دور تحريضي كبير على استمرار الخلاف بين المسلمين، وتوسيع دائرة الفتنة، وإحراج أمير المؤمنين ومعاندته والخروج من طاعته، وهذا ما يؤكده الطبري قائلاً: (وأعجلتِ السبئية عليّاً عن المقام، وارتحلوا بغير إذنه، فارتحل في آثارهم ليقطع عليهم أمراً إن كانوا أرادوه!)[٣].

وقد كان لهم كثير من مثل هذه الأعمال الإجرامية في (فتنة البصرة، ووقعة الجمل)، فالأشتر النخعي كان يطمح للقيادة والرئاسة دوماً، وعندما رأى أميرَ المؤمنين يقدِّم أبناءَ عمه العباس عليه؛ تبرَّم بذلك وقال: (علامَ قتلنا الشيخَ ـ أي: عثمان ـ إذ اليمنُ لعُبيد الله، والحجاز لقُثَم، والبصرة لعبدالله، والكوفة لعليٍّ؟!)، ثم دعا بدابته فركب راجعاً! وبلغ ذلك عليّاً، فنادى: الرحيل، ثم أجَدَّ السيرَ فلحق به فلم يُرِه أنه قد بَلَغه عنه، وقال: ما هذا المسير؟ سبقتَنا! وخشي إنْ تُرك والخروج أن يُوقِع في أنفس الناس شرّاً[٤].

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٥٥، وقد تقدم: ص ٣٦٥ في هذا الكتاب.
(٢) التاريخ الأوسط، للبخاري: ١/١٧٣.
(٣) تاريخ الطبري: ٤/٥٤٣ـ٥٤٤.
(٤) المرجع السابق: ٤/٤٩٢ـ٤٩٣.



وكَشف الأشــعثُ بن قيس ـ وكان مع عليٍّ ـ الغطاءَ عن مساعي الأشتر وأهوائه، فقال أمــام أمير المؤمنين علي: (وهل نحن إلا في حكم الأشــتر؟! قال علي: وما حُكمُــه؟ قال: حكمه أن يَضرِب بعضُنا بعضاً بالســيوف حتى يكون ما أردتَ وما أراد!).

وقال أيضاً: (وهل سَعَّر الأرضَ غيرُ الأشتر!)[1].

ووصفه أبو الأعور السُّــلَمي ـ وهو من رجال معاوية ـ فقــال: (إن خِفَّة الأشــتر وســوءَ رأيه هو حمله على إجلاء عمّال ابن عفــان ﵁ من العراق، وانتزاؤه عليه يقبِّح محاســنه. ومن خِفَّة الأشتر وســوءِ رأيه أن سار إلى ابن عفان ﵁ في داره وقراره حتى قتله فيمن قتله، فأصبح متَّبعاً بدمه)[2].

وســبقهم إلى هذا العبقريُّ المُلهَم الفاروق عمر، فيما رواه عبدالله بن سَلَمة المُرادي قال: (نظر عمر بن الخطاب إلى الأشتر، وأنا عنده، فصَعَّدَ فيه النظر ثم صَوَّبَه، ثم قال: إنَّ للمسلمين من هذا يوماً عصيباً!)[3].

فهذا الأشتر وأمثاله كانوا رؤوس الشــر ودعاة الفتنة، والساعين لإفشال كل خطة إصلاح بين الفريقين، لذا كان الاتجاه يسير نحو المواجهة والقتال.

وقد كان الأشتر وبعض الرؤوس من أمثاله قريبين من الخليفة علي، غيرَ مقرَّبين عنده ولا مُحَبَّبين إليه، لعلمه بســيرتهم ونزغاتهم، وكان يســعى إلى كبح جماحهم كما يتضح من مواقف كثيرة مرَّت وســيأتي غيرها، لكنه ﵁ غيرُ قادر على لَجْمِهم تماماً وإبعادِهم عن مواقع التأثير، لشدة وطأتهم وكثرةِ مادتهم من قبائلهم وأتباعهم من الغوغاء، ولتشابك الفتن والمحن...

---

(١) تاريخ الطبري ٥١/٥.

(٢) المرجع السابق: ٥٦٨/٤.

(٣) تاريخ الإسلام، للذهبي ـ عهد الخلفاء الراشدين، ص ٥٩٤.

وهـــذا أيضاً من مبررات مخالفة أهل الشـــام، وقبلهـــم أصحاب الجمل، لأمير المؤمنين علي، وعدم الدخول في مبايعته، وهم يرون قوة تأثير أولئك السـبئية في توجيه قرارات الدولة ومســـار الأحداث نحو كل خلاف وشقاق وقتال وسـفك الدماء! **ومن حق معاوية أن يطالب برأس هذا الأشتر وأمثاله من الذين تمالؤوا على قتل عثمان ﷺ**[1].

•• اســـتخلَف عليٌّ على الكوفة الصحابي أبا مســـعود عُقبة بن عَمْرو البدري، وخرج منها، فعســـكر بالنُّخَيْلة ـ أول طريق الشام من العراق، وقد أشار عليه ناس بأن يبقى في الكوفة ويبعث غيره إلى الشام، فأبى.

ولما علم معاوية أن عليّاً تجهز وخرج بنفســـه على رأس جيشه، استشار الناس فأشار عليه رجاله بأن يخرج إليه هو أيضاً بنفسه، فخرج الشاميون نحو الفرات من ناحية صِفِّين.

وترددت الرسل بينهم.

رابعاً: مراسلات بين علي ومعاوية:

١ ـ حقيقة أولية:

نوضح في بداية هذا المبحث حقيقة واضحة لكل من تمرس بتأريخ تلك الحقبة، وهي أن الفريقين حَرَصا على تضييق جوانب الخلاف وبعثِ السفارات لتحقيق الصلح والاتفاق على أمر سواء، وسعى في ذلك صحابة كرام أجلاء.

لكن الحق المـرّ الذي يجـب الصدعُ بـه أن أخبار تلك (السـفارات) لا يمكـن الوثوق بمعظم ما جـاء فيها، ولا يجـوز تصديقـه والركون إليه والاعتماد عليه وإقامة عمود البحث على مضامينه!.

(١) انظر: عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٦٦.



ذلك لأن أغلـب رواته مطعون عليهم من حيث الوثاقـةُ والضبطُ والأمانةُ والإنصافُ، هذا من جهة السـند. ومن حيث المتنُ فـإن تلك الأخبار احتوت الكثير من السباب والشتائم والاتهام بالخيانة والغدر والنذالة والكلام المقذِع والأشعار المنحولة والقصص التالفة، مما لا يليق بمروءات عامة الرجال فضلاً عن أصحاب النبـي ﷺ، حَمَلة الرسـالة وأمنـاء الوحي وأبطـال الفتوحات ورجالات العصر الراشدي الزاهر!.

وإن كل مـن يقرأ طرفاً من تلـك الأخبار يظن أنه أمـام جماعة من أوباش الناس الذين تربوا في ردهات الساسة المعاصرين، الذين تمرسوا بمضغ الكلام وبيعِ الشـعارات، وإطلاقِ الاتهامات وممارسـة المواقف المتلونـة، مع الغدر والخيانة والسعي للكيد والمنابزة والتنطع وكل سلوك نَذْل لئيم!.

وما يَصحُّ من تلك الأخبـار إنما هو ومضات مضيئة فـي غياهب ركام كثيف من الدَّغَل والإفك والتزوير...

تجدُ هذا في روايـات (كتب صفِّين): لأبـي مِخْنَـف ونَصْر بن مُزاحم والواقدي وأمثالهم، وحسـبك بهؤلاء ودرجتهم من الضعف والوَهَاء والتَّرك والبعد عن الوَثاقة!.

ثم ما جـاء في الكتـب المطولة، مثـل: تاريخ الطبري، وابن عسـاكر، والمنتظـم لابن الجوزي، والكامـل لابن الأثير، وتاريخ الإسـلام للذهبي، والبداية والنهاية لابن كثير...

أما ما جاء فـي كتب الأدب، مثـل: الكامل للمبـرد، والبيـان والتبيين للجاحظ، والأغاني للأصفهاني، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وكتب الشـيعة، مثل: الكافي وبحار الأنوار وكشف الأسرار والأنوار النعمانية وتاريخ اليعقوبي وتاريخ المسعودي ونهج البلاغة وشروحها... فيكفيك من شر سماعه!.

ومثلها ما تطالعنا به كتب كثير من المعاصرين، مثل: الفتنة الكبرى لطه حسين، والفتنة لهشام جعيط، وعبقرية علي للعقّاد، وعلي بن أبي طالب لعبد الكريم الخطيب، والإمام علي لإبراهيم بيضون، وأبو تراب لطلال الجنابي، وفضائل الإمام علي لمحمد جواد مغنية، وأمثالهم.

٢ ـ نماذج من سفارات علي إلى معاوية[1]:

أ ـ سفارة جرير بن عبدالله البجلي: لما أراد علي أن يبعث إلى معاوية يدعوه إلى بيعته، قال جرير: أنا أذهب إليه يا أمير المؤمنين فإن بيني وبينه ودّاً، فآخذ لك منه البيعة. فقال الأشتر: لا تبعثه يا أمير المؤمنين فإني أخشى أن يكون هواه معه! فقال علي: دَعْه. وبعثه وكتب معه كتاباً إلى معاوية يُعْلِمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته، ويخبره بما كان في وقعة الجمل، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس. فلما انتهى إليه جرير أعطاه الكتاب.

ولم يكن معاوية بالذي يتعجل في إبرام الأمر، بل يستشير أعلام الصحابة وأعيان الناس (فطلب معاوية عمرو بنَ العاص ورؤوسَ أهل الشام فاستشارهم، فأبَوا أن يبايعوا حتى يَقتل قتلة عثمان، أو أن يسلِّم إليهم قتلة عثمان... فرجع جرير إلى علي فأخبره بما قالوا).

(فقال الأشتر: يا أمير المؤمنين، ألم أَنْهَكَ أن تبعث جريراً؟ فلو كنتَ بعثتَني لما فتح معاوية باباً إلا أغلقتُه! فقال له جرير: لو كنتَ ثَمَّ لقتلوك بدم عثمان. فقال الأشتر: والله لو بعثني لم يُعْيِني جواب معاوية، ولأعجلنّه عن الفكرة، ولو أطاعني فيك أمير المؤمنين لحَبَسك وأمثالك حتى يستقيم أمر هذه الأمة! فقام جرير مغضباً، وأقام بقَرْقِيسياء،

(١) انظر: شرح نهج البلاغة: ٢/٢٧١ـ٢٨٤.

وكتب إلى معاوية يخبره بما قال وما قيل له، فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه)[١].

وهذا من الأدلة الكثيرة على تدخُّل رؤوس السبئية في قرارات الخليفة، ومحاولات إفشال كل مساعي الخير. وهو أيضاً من الدلائل على سوء أدب هذا الأشتر وعُنْجُهِيَّتهِ الفارغة! وكان من الواجب على أمير المؤمنين أن يطرده من مجلسه أو يقرِّعه على الأقل لجرأته على صحابي أمير من سادات قومه، وحسبك به جلالة أن النبي ﷺ ما رآه إلا تبسَّم في وجهه!.

ب ـ سفارة بشير بن عمرو الأنصاري: وبعث أمير المؤمنين عليٌّ بشيرَ ابنَ عمرو الأنصاري وسعيد بن قيس الهَمْداني وشَبَث بن رِبْعي التميمي، وقال لهم: (ائتوا هذا الرجلَ فادعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة)... فأتوا معاوية ودخلوا عليه، وتكلم بشير بن عَمْرو معه فوعظه وناشده، فقال: (يا معاوية، إن الدنيا عنك زائلة، وإنك راجعٌ إلى الآخرة، وإن الله ﷻ محاسِبُك بعملك، وجازيك بما قدَّمتْ يداك، وإني أنشُدك الله ﷻ أن تفرِّق جماعة هذه الأمة وأن تسفِك دماءها بينها... فقال معاوية: ونَطُلُّ دم عثمان! لا والله لا أفعل ذلك أبداً).

وأراد سعيد بن قيس أن يتكلم، فبادره شَبَث بن رِبْعي وتكلم بكلام غليظ، فأمر معاوية رضي الله عنه بإخراجهم[٢].

ج ـ وذكر ابن كثير سفارة فيها أبو أُمامة الباهلي وأبو الدرداء، وأنهما دخلا على معاوية فقالا له: (علامَ تقاتل هذا الرجلَ؟! فوالله إنه

---

(١) تاريخ الطبري: ٥٦١/٤ـ٥٦٢؛ البداية والنهاية: ٢٥٤/٧.

(٢) تاريخ الطبري: ٥٧٣/٤ـ٥٧٤؛ البداية والنهاية: ٢٥٧/٧. **نَطلّ**: نَهدُر ونُبطِل.

أقدمُ منك ومن أبيك إسلاماً، وأقربُ منك إلى رسول الله ﷺ، وأحق بهذا الأمر منك! فقال معاوية: أقاتله على دم عثمان وأنه آوى قتلته، فاذهبا إليه فقولا له فَلْيُقِدنا من قتلة عثمان، ثم أنا أول من بايعه من أهل الشام.

فذهبا إلى عليٍّ فقالا له ذلك، فقال: هؤلاء الذين تريان. فخرج خلق كثير فقالوا: كلُّنا قتلةُ عثمان، فمن شاء فليَرُمْنا! فرجع أبو الدرداء وأبو أمامة فلم يشهدا لهم حرباً)[١].

وذكر أبي الدرداء هنا غلط، لأنه توفي سنة (٣٢هـ).

د ـ ومن السِّفارات التي بعثها علي وفدٌ فيه: عَدي بن حاتم، ويزيد بن قيس الأَرْحَبي ـ وهو من رؤوس السبئية ـ، **وشَبَث بن رِبْعي**، وفي الخبر[٢] مقاولات بين عدي ومعاوية مما لا نستجيز روايته، وفيه اتهام معاوية علياً بدم عثمان، وهذا لا يصح عن أحد من الصحابة، وما جاء في الخبر من مهاترات رواها أبو مِخْنف؛ هو من الأكاذيب التي أشرنا إليها قبل قليل[٣].

هـ ـ وسعى في السِّفارة بين الفريقين جماعة من التابعين على رأسهم التابعي الجليل أبو مسلم الخَوْلاني: فقد جاء من غير وجهٍ أن أبا مسلم الخولاني وجماعةً معه دخلوا على معاوية فقالوا له: (أنتَ تُنازعُ علياً في الخلافة، أَوَ أنتَ مثلُه؟ فقال: لا، واللهِ إني لأعلمُ أنه خيرٌ مني وأفضلُ، وأحقُّ بالأمر منِّي، ولكن أَلستُم تعلمون أن عثمان قُتل مظلوماً، وأنا ابن

---

(١) البداية والنهاية: ٢٦٠/٧.
(٢) تاريخ الطبري: ٥/٥ ـ٦؛ البداية والنهاية: ٢٥٨/٧.
(٣) انظر: ص٥٨٦ ـ ٥٨٨ في هذا الكتاب.

عمه، وأنا أطلب بدمه، وأمرُه إليَّ؟ فقولوا له فليسلِّمْ إليَّ قتلة عثمان، وأنا أسلِّم له أمره. فأتوا عليّاً فكلَّموه في ذلك، فلم يدفع إليهم أحداً، فعند ذلك صمم أهل الشام على القتال مع معاوية)[١].

وبالنظر في هذه السفارات والحوارات بين الطرفين نجد أنها تدور حول قضيتين أساسيتين:

الأولى: دعوة أمير المؤمنين علي والي الشام معاويةَ للبيعة والدخول فيما دخل فيه مَن بايعه من أكثر المسلمين.

الثانية: امتناع معاوية من قبول ذلك إلا بعد إقامة حد القصاص على قتلة عثمان، أو تسليمهم له لأنه وليُّ دم الشهيد عثمان.

وقد كان ابن عباس يميل إلى هذا، وقال مخاطباً عليّاً وأهل العراق: (وايمُ اللهِ لَيتأمرنَّ عليكم معاوية؛ وذلك بأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣])[٢].

وقد ذكر ابن كثير هذا الخبر في تفسير الآية الكريمة، وقال: (ثم تمكَّن معاوية وصار الأمر ـ الخلافة ـ إليه كما تفاءل ابن عباس واستنبط من هذه الآية الكريمة، وهذا من الأمر العجيب!)[٣].

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١٤٠/٣؛ البداية والنهاية: ١٢٩/٨؛ وذكره الحافظ في الفتح: ٤١٦/١٦ (٧١٢١) وقال: سنده جيد. وذكرنا طرفاً منه: ص٤٥٢ في هذا الكتاب.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٦٣)، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد: ٢٣٦/٧): فيه من لم أعرفهم؛ وأخرجه عبد الرزاق (٣٠٩٦٩) وسنده صحيح.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٢/٣.

خامساً: حقائق ووقفات بين يدي (وقعة صفين وأخبارها):

١ ـ استسلم كثير من المؤرخين والأدباء، والكتاب من القدماء والمعاصرين لروايات وأخبار وقعة صفين وكأنها حقائق تاريخية ثابتة:

وتلقوها بالقبول دون تحقيق أو تمحيصٍ أو نقدٍ لها سنداً ومتناً، واغترُّوا بها وروَّجوا لها بين عامة القرّاء. وأَسْهَمَ في رواجها ما تتضمنه من أخبار مثيرة وأحداث جسيمة، جيَّشت العواطف الكامنة والمتحفزة، واغتالت العقل الناقد والبصيرة الممحِّصة. وتمَّ تداولُها وتناقلُها عبر الأجيال حتى طَغتْ على ساحة التفكير والتأليف. وتوارت الحقيقة وراءها، حتى إذا وجدت من يحييها وينافح عنها ويبرهن على صحتها؛ استهجنَتْها الخاصة واستنكرتْها العامة، وانطبق عليهم المثل السائر: الخطأ المشهور خير من الصحيح المهجور!.

وهذا مما ابتُلي به مؤرخونا وكتّابُنا وأبناؤنا، فيما نُشر وذاع من كتب وأبحاث ودراسات، مع ما فيها من إساءات إلى تاريخنا ورجالاتنا وخاصة أصحابَ نبينا ﷺ، وما فيها من أكاذيب ومهاترات واتهامات بالخيانة والغدر والتنافس على المصالح والتفريط بمصير الإسلام والأمة، حتى تحول ـ في نظر البعض ـ الذكاءُ والدهاءُ إلى خيانة وغدر، والحكمةُ والأناةُ والورعُ إلى غفلة وسذاجة، كما في قصة (التحكيم) مثلاً.

٢ ـ ما روي في الوقعة من خُطب وأمثال وأشعار:

غالبه لا يصح من جهة السند والمتن، فالنظر الصحيح والبحث الناقد يرفض قبول ما جاء من خطب مطولة وأشعار وقصائد وأراجيز كثيرة وأمثال مضروبة، فمن الذي وعاها إبّان اشتباك الأحداث ونشوب الحرب؟! ثم من ذاك الذي أسندها ونقلها إلى من بعده حتى وصلت بعد تراخي الزمن إلى أمثال أبي مِخْنَف ونَصْر بن مُزاحم والواقدي والكَلْبي وبابَتِهم من المتروكين والهلكى؟!.



ومثل هذه الخطب والأشعار ليست من هدي الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولا تناسب عهدهم وآدابهم وأخلاقهم ومواقفهم. وهي مصنوعة ومنحولة دبَّجها الأخباريون حاطبو الليل، وتلقَّفَتْها كتب التاريخ والأدب والأسمار، وتسلَّى بها البطَّالون ممن يأخذون بقلوب العامة لسماع الغرائب والأوابد والمناكير من الأخبار، وأُلصِقت برجال ذاك العصر في تلك الحقبة الخطيرة من تاريخنا.

وإذا كان ابن هشام قد تشكَّكَ في كثير من أشعار (سيرة ابن إسحاق) التي قيلت في الغزوات، وَنَقَل عن العلماء إنكارَ جملة مستكثرة منها، فهنا أجدرُ وأوْلى أن يُستنكر أكثر ما جاء في (أحداث الفتنة) من أشعار وخطب وأمثال، لا يمكن أن تقال إلا في ظروف هادئة ومجالس يسودها التفاخر والمكاثرة! أما في خِضمِّ الأحداث ونُذُر القتال، فالقوم قد تعودوا أن يقولوا الكلمات الموجزة وأبيات من الشعر قليلة.

٣ ـ كثرة تفاصيل القتال والمبارزات والبطولات وطول مدة الحرب[1]:

وهذه كسابقتها يجب الحذر الشديد من قبولها واعتمادها، لأنها تنافي هدي رجال الفريقين على وجه العموم، فلقد كان منهجهم قائماً على الكفِّ وإغمادِ السيوف وكراهية المواجهة والقتال، تخوفاً من سفك الدم الحرام، فسبابُ المسلم فسوق وقتالُه كفر!.

ويؤيد ذلك حرصُهم على عدم نشوب القتال، وطولُ مدة المراسلات والحوارات وبخاصة من جهة أمير المؤمنين علي، وندمُهم على وقوع القتال

(١) انظر في هذه الفقرة وسابقتها: شرح نهج البلاغة: ١٣٣/٣ ـ ١٩٣؛ وكثير منها موجود في: تاريخ الطبري؛ والبداية والنهاية، وغيرهما.

وشـــهودهِ بعد أن وضعت الحرب أوزارها، وتفكّرُهـــم طويلاً فيما حدث في (وقعة الجمل)، وقبولُهم أيضاً بحكم القرآن عندما (رُفعت المصاحف) لوقف القتال.

وقد يَصحّ ما نُســب إلى بعض رؤوس الفتنة من (بطولات!) كالأشـــتر النخعي وشَـبَث بن ربعي ويزيـد الأَرْحَبي وغيرهم، أمـا ما يُروى عن أمير المؤمنيـن عليٍّ بأنه كان يشـن الحملات العنيفة ويشـق الصفوف ويَخضب سيفَه، فهو ليث الحروب بلا ريب لكن ليس في مثل هذا الموقف يفخر علي بقتاله المســلمين المخالفين له، لتورُّعهِ عن الدم الذي فيه شـبهة فضلاً عن الدم الحرام! وندمُه فـي نهاية المطاف على وقوع تلـك الحروب من أقوى الأدلة في تزييف تلك الأخبار.

بل إن الإنســان العادي في زماننا ليســتنكر مثلَ تلك الأعمال التي توصف (بالبطولات) بأن تصدر من رجل له مكانة، فضلاً عن أن يفعلها أمثال علي وعمار وقيس بن سعد وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد وأبي الأعور السُّلَمي ونحوهم.

ويدخل في هذا ما يُروى مـن أن عليّاً طلب معاوية للمبارزة، فشـجَّعَه عمرو بنُ العاص للتخلص منه! وأن عليّاً واجه عمرو بن العاص في المعركة فغلبه، فاستقبله عمرو بعورته، فتركه! فهذا وأمثاله من الأكاذيب الغبية، وهذه الواقعة الأخيرة حدثت لعليٍّ مع عَمْرو بن عبد ودّ في غزوة الخندق، ولكن رواة الكذب لا ذاكرة لهم، فيدلِّســون على الدهماء، فيكشـف الله سِـترهم وكذبَهم، ليكون ذلك مقياساً ودليلاً على بطلان رواياتهم.

٤ ـ عدمُ رغبة الفريقين بالقتال، والتشككُ في مسوِّغاته:

لدى تتبع أخبار وقعـة صفين ومواقف رجال الطرفيـن قبلها وفي إبَّانها وبعدها؛ نجد أنها تشير إلى حقيقتين اثنتين:



الأولى: أن مساعير الفتنة من رؤوس السبئية هم الذين كانوا يحرصون على إنشاب القتال واستمراره حتى يستحرَّ القتل في المسلمين وتسير الأمور إلى النهاية التي تحقق أهدافهم.

الثانية: أن هناك تياراً قويّاً وبخاصة في جيش علي لا يرغبون في القتال خشية إراقة الدماء، ويتشككون في مسوِّغات الحرب! وعلى هذا الرأي كان أمير المؤمنين علي ووالي الشام معاوية. وتشير كثير من الروايات إلى أن عليّاً كان كثيراً ما يُكفكف جِماح الأشتر وأمثاله وأتباعه عن الاستمرار في القتال، لكن الفتنة إذا ثارت عجز الحكماء عن إطفائها.

فهم يدركون أن الخلاف بينهم خلاف سياسي واختلاف في تأويل ما جرى من أحداث قتلِ عثمان وعقابيلها، ووقتِ إقامة حد القصاص على القتلة، واستحضروا ما جرَّتْه وقائع (معركة الجمل) في البصرة، وخشوا تكرار المأساة ثانية.

ثم إن كثيراً من القبائل منقسمة بين أهل العراق وأهل الشام منذ أيام الفتوحات، وهم قريبو عهد بعصر النبوة وأمجاد الفتوح في أيام عمر وعثمان، فكيف يَقبل أحدُهم أن يتواجه مع أخيه وبني عمومته وخؤولته ويسلَّ عليه السيف ويتهدَّد حياته، وبينهما من موانع ذلك أسباب كثيرة على رأسها أنهما مسلمان، ومنذ قليل كانا يقفان صفّاً واحداً أيام الفتوح؟!.

بل إن الأشتر النخعي على طغيانه وولوغه في الفتنة ورغبته في القتال؛ قد كان يتشكك في مواجهة أهل الشام وصرّح بذلك في مجتمع من قبيلته (النخع)!.

عن عمير بن سعد النخعي قال: (لما رجع عليٌّ من «الجمل» وتهيّأ «لصفّين»، اجتمعت النَّخَعُ حتى دخلوا على الأشتر، فقال: هل في البيت إلا

نَخَعيٌّ؟ فقالوا: لا، فقال: إن هذه الأمة عَمَدت إلى خيرها فقَتَلَتْه ـ يعني عثمان ـ! وسِـرْنا إلى أهل البصرة قومٍ لنا عليهم بيعة فنُصِرنا عليهم بنُكْثِهم، وإنكم تسيرون غداً إلى أهل الشام قومٍ ليس لكم عليهم بيعة، فلينظر امرؤٌ منكم أين يضَعُ سيفَه!)[١].

وهذا النص الصحيح من أكبر الأدلة على التشكك في مشروعية قتال أهل الشام الذين لم يدخلوا في بيعة علي، حتى يقيم القصاص على قتلة عثمان. ومع ذلك (فهذا الأشتر) لم يرعوِ عن غيِّه وولوغِه في الفتنة والدماء، ولم ينتفع بتلك الوصية التي وضعها بين يدي قومه النخعيين، وهي من الحجج عليه بين يدي الله تعالى، وقد جُوزي في الدنيا من جنس عمله فمات مقتولاً كما قدمنا.

ومن الشواهد على عدم الرغبة في القتال والتشكك في مسوغاته؛ اعتزالُ فريق كبير المشاركة في صفين:

فهذا أيمن بن خُرَيْم بن فاتِك، وهو صحابي ابن صحابي، يقول:

ولستُ مقاتلاً رجلاً يصلِّي ... على سلطانِ آخرَ من قريشِ
له سلطانُه وعلَيَّ إثمي ... معاذَ الله من سَفَهٍ وطَيْشِ
أَأَقتلُ مسلماً في غيرِ جُرْمٍ ... فليسَ بنافعي ما عشتُ عَيْشي[٢]

ومثله طائفة من صلحاء أهل الكوفة وبخاصةٍ تلامذةُ عبد الله بن مسعود، حيث جاؤوا إلى أمير المؤمنين عليٍّ وفيهم عَلْقمة بن قيس وعَبِيدة السَّلْماني وعامر بن عبد قيس وأشباههم، فقالوا له: (إنَّا نخرج معكم ولا ننزل عسكركم، ونعسكر على حِدَةٍ، حتى ننظرَ في أمركم وأمرِ أهل الشام، فمن

(١) أخرجه ابن أبي شيبة: ٨/٧١١؛ والحاكم: ٣/١٠٧ وصحَّحه، وقال الذهبي: هو على شرط مسلم.
(٢) وقعة صفين، لابن مزاحم، ص ٥٠٤؛ تهذيب الكمال: ٣/٤٤٤ ـ ٤٤٥.

رأيناه أراد ما لا يحلُّ له أو بدا منه بغـيٌ؛ كنَّا عليه. فقال علي: مرحباً وأهلاً، هذا هو الفقه في الدين والعلم بالسُّنَّة، من لم يرضَ بهذا فهو جائرٌ خائن)[1].

وأتاه آخرون فيهم الرَّبيع بن خُثَيْم وهم أربـع مئة رجل، فقالوا: (يا أمير المؤمنين إنَّا شككنا في هذا القتال على معرفتنا بفضلك... فوَلِّنا بعضَ الثغور نكن به ثم نقاتل عن أهله)، فوجَّههم إلى ثغر الرّي[2].

وقد ذكرنا أن جماعة من الصحابة نصحوا عليّاً بعدم الخروج إلى الشام، منهـم حنظلة الكاتب، ومما قالوه لـه: (يا أمير المؤمنيـن... أَقِمْ وكاتِبْ هذا الرجلَ، ولا تَعجلْ إلى قتال أهل الشام)[3].

٥ ـ أصحاب الفتنة من السبئية يدأبون إفشالَ كل خطة إصلاح:

كما كان قتلة عثمان والسبئية مسـاعيرَ الفتنة والسعاة في إفشال كل خطة إصلاح في أحداث البصرة و(وقعة الجمل)، كذلك اسـتمروا على هذا النهج في (وقعة صفين) منذ مقدماتها وحتى نهاياتهـا في (قضية التحكيم). ودأبوا عرقلةَ كل محاولة اتفاق بين أهل العراق وأهل الشـام، وسَـعَوا في إنشـاب القتال واستمراره، وإبطال مساعي الإصلاح واجتماع الكلمة وحقن الدماء:

أ ـ فقـد أَعْجَلوا أميرَ المؤمنيـن عليّاً للخروج من البصـرة إلى الكوفة، وارتحلوا بغير إذنه.

ب ـ وتدخلوا في ولاية قيس بن سـعد على مصر ـ وهو من خيار الولاة حكمة وسياسـة وإدارة ـ لأنه ضبط أمور مصر وبخاصـة أعمال قتلة عثمان، ووَشَوْا به حتى عزله علي.

---

(١) وقعة صفين، لابن مزاحم، ص ١١٥.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) تقدم: ص ٥٨٣ حاشية (٣) في هذا الكتاب.

ج ـ وحرَّض الأشـــتر ومن معه أميرَ المؤمنين لانتــزاع بلاد الجزيرة من أيدي نواب معاويــة، فتصدى لــه عبدالرحمن بن خالد بن الوليــد ففرَّ منه الأشتر.

د ـ ولما أَرسل عليٌّ جريرَ بنَ عبدالله البجلي سفيراً إلى معاوية، اعترضت الســبئية وعلى رأسهم الأشتر وأســاء القول لجرير، فغضب جرير وترك عليّاً ولحق بمعاوية.

هـــ ـ وعندما امتنع أهل الرقة من (نصب الجســر علــى الفرات) لعبور جيش علي إلى صفين، لم يَهِجْهُم عليٌّ، فقدِم الأشـــتر وأرغمهم على وضع الجســر وتهدَّدهم قائلاً: لئــن لم تفعلــوا لأَقْتُلنَّ الرجــال ولأخربنَّ الأرض ولآخذنَّ الأموال!.

و ـ عندما (رُفعت المصاحف) ودُعي إلى تحكيمها وتوقف الطرفان عن القتال، وجاء أمرُ عليٍّ إلى الأشـــتر وعصابته أن يكفُّــوا عن القتال، تذمَّر من ذلك وقال للرسول: قل له ـ أي لعليٍّ ـ: ليس هذه الساعة التي ينبغي لك أن تُزيلني فيها عن موقفي، إني قد رجوتُ أن يُفتح لي، فلا تُعجِلْني!.

ز ـ ولما كُتبت (صحيفة التحكيم)، دُعي لها الأشــتر، فقال: لا صحبتْني يميني ولا نفعتْني بعدها شــمالي، إنْ خُطَّ لي في هذه الصحيفة اســمٌ على صلح ولا موادعة!.

ح ـ وكانوا دائمي العيب لأمير المؤمنين علي وسياسته وولاته، وخذلانه وعدم طاعته، والتشــكيك به والخروج عليه، تماماً كمــا كانوا مع عثمان بن عفان.

وســتتضح أعمالهم الإجرامية وحرصهم على الفتنة وســفك الدم خلال استعراض سيرورة أحداث وقعة صفين والتحكيم.



٦ ـ النزاع بين الفريقين لم يكن على الخلافة:

ومن الحقائق التي يجب ترسيخُها وكثرةُ ذِكْرها ليعرفها كل مسلم؛ أن أحداً ممن خالف علياً لم يُنكِر خلافته ولا أحقيَّتَه بإمرة المؤمنين، ولا نازَعَه أحدٌ عليها، (وعلي لم يقاتل أحداً على إمامة من قاتله، ولا قاتله أحد على إمامته نفسه، ولا ادعى أحد قط في زمن خلافته أنه أحق بالإمامة منه: لا عائشة، ولا طلحة ولا الزبير، ولا معاوية وأصحابه، ولا الخوارج، بل كل الأمة كانوا معترفين بفضل عليٍّ وسابقته بعد قتل عثمان، وأنه لم يبقَ في الصحابة مَن يُماثِله في زمن خلافته)[١].

(ومعاوية لم يطلب الأمرَ لنفسه ابتداءً، ولا ذهب إلى عليٍّ لينزعَه عن إمارته، ولكن امتنع هو وأصحابه عن مبايعته...)[٢].

٧ ـ غموض المستقبل يجعل بعض الكبار يعتزلون أو يترددون:

كما قدمنا في وقعة الجمل[٣] كان المستقبل ومآل الأحداث غامضاً لدى عامة المسلمين، وقد حيَّرهم الأمر وهالَهُم الموقف، وزاد من تخوفهم ما تمخَّضتْ عنه أحداث البصرة واستشهاد طائفة من أكابر الصحابة والصالحين من التابعين؛ مما جعل (المعتزلين من أكابر الصحابة) يتمسكون بموقفهم كابن عُمر وسعد بن أبي وقّاص وأبي بكرة وأبي هريرة ومحمد بن مَسْلَمة وأسامة بن زيد، وجعل آخرين يُحجمون ويترددون في المشاركة في الأحداث وينسحبون منها!.

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٧١٢/٣ ـ ٧١٣. وتقدم تفصيل القول في هذا: ص ٤٥١ ـ ٤٥٢ (أولًا) في هذا الكتاب.

(٢) المرجع السابق: ١٥٢/٣.

(٣) انظر: ص ٤٩٥ ـ ٥٠٠ (خامساً) في هذا الكتاب.

هذا هو الصحابي الجليل عبدالله بن عَمْرو بن العاص يصرِّح بحقيقة مشاعره وهو يقف إلى جوار أبيه وبيده الراية، ويتقدم في الجيش الشامي منزلة أو منزلتين؛ ويقول: (ما لي ولصِفِّين، ما لي ولقتالِ المسلمين! لوَدِدتُ أني مِتُّ قبله بعشر سنين! أمَا والله على ذلك ما ضربتُ بسيف، ولا طعنتُ برمح، ولا رميتُ بسهم)[١].

ولم ينفرد عبدالله بن عَمرو بالتردّد والتشكك ثم التوقف عن القتال، فهذا هو التابعي الجليل أبو العالية الرِّياحِيّ يصف وقعة صفين فيقول: (لما كان زمنُ علي عليه السلام ومعاوية، وإني لشابٌّ القتالُ أحبُّ إليَّ من الطعام الطيب، فتجهَّزتُ بجهاز حسن حتى أتيتهم، فإذا صفَّان لا يُرى طرفاهما: إذا كبَّر هؤلاء كبَّر هؤلاء، وإذا هلَّل هؤلاء هلَّل هؤلاء! قال: فراجعتُ نفسي فقلت: أي الفريقين أُنزِلُه كافراً، وأي الفريقين أُنزله مؤمناً؟ أَوَمَن أكرهني على هذا؟! فما أمسيتُ حتى رجعت وتركتهم!)[٢].

٨ ـ ندم الكبار على ما دخلوا فيه من القتال[٣]:

ونتيجة اشتباك الأحداث وتدافع الفتن وغموض المستقبل، ثم ما آلَتْ إليه الأمور من كوارث وأحزان؛ جعل الكبارَ وخيار الناس يندمون على ما جرى من شقاق ومواجهة وقتال ودماء وتمزق وحدة الأمة، وقد صرح الأخيار بذلك وعلى رأسهم أمير المؤمنين الذي رأى اختلاف جيشه عليه وتشتت الأمور بعد التحكيم، فقال متألماً مما جرى ومثنياً على موقف من قعد عن القتال:

---

(١) طبقات ابن سعد: ٢٦٦/٤، بسند صحيح.
(٢) المرجع السابق: ١١٤/٧؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٦٨.
(٣) انظر ما تقدم: ص ٤٦٩ ـ ٤٧١ (سادساً) في هذا الكتاب.

(للهِ منزلٌ نزله سعد بن مالك[١] وعبدالله بن عمر، والله لئن كان ذَنْباً إنه لصغير مغفور، ولئن كان حَسَناً إنه لعظيم مشكور)[٢].

سادساً: منازل الجيشين وأعدادهما وقياداتهما، وتاريخ الوقعة:

•• تجمع جيش علي بالنُّخيلة غرب الكوفة، وقد ضم عدداً من الصحابة البدريين وأصحاب بيعة الرضوان[٣]، ويذكر الأخباري عَوَانة بن الحَكم أن عليّاً بعث من النخيلة (اثني عشر ألف مقاتل) باتجاه الموصل، ثم اجتاز إلى المدائن فأرسل منها (ثلاثة آلاف مقاتل)، ثم مضى علي بجيشه من المدائن إلى محاذاة الموصل نينوى، ثم عبر الفرات قرب الرَّقّة حيث نزل على صفين. وكانت مدن الجزيرة[٤] مثل الرقة وقَرْقِيساء وعانات وهِيت موالية لمعاوية، ومعظمهم من بني الأرقم وهو حي عظيم من كِنْدة وقد شهدوا صفين مع معاوية[٥].

عبر علي الفرات بجيشه، وقدَّم بين يديه زياد بن النضر وشُريح بن هانئ في طائفة من الجيش نحو معاوية، فالتقوا مع أبي الأعور السُّلَمي في جند أهل الشام، فأرسل زياد وشريح إلى علي: (إنا قد لقِينا أبا الأعور السلمي في جند أهل الشام، وقد دعوناهم فلم يُجِبنا منهم أحد، فَمُرْنا بأمرِك). فأرسل علي إلى الأشتر فقال: (يا مالك، إن زياداً وشريحاً أرسلا إليَّ يُعْلِماني أنهما لقيا أبا الأعور السلمي في جمع من أهل الشام، وأنبأني الرسول أنه تركهم

---

(١) هو سعد بن أبي وقّاص.
(٢) مجمع الزوائد: ٢٤٦/٧؛ تاريخ الإسلام، للذهبي ـ عهد الخلفاء الراشدين، ص٥٥٣؛ منهاج السُّنّة: ٤٦٤/٤.
(٣) انظر ما تقدم: ص٤٦٧ ـ ٤٦٩ في هذا الكتاب.
(٤) **الجزيرة**: هي ما بين دجلة والفرات.
(٥) عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٦٧.

متواقفيـــن، فالنجاءَ إلى أصحابــك النجاء، فإذا قدِمتَ عليهـــم فأنت عليهم. وإياك أن تبدأ القوم بقتال إلا أن يبدؤوك، حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع، ولا يَجْرِمَنَّكَ شنآنُهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم مرة بعد مرة. واجعل على ميمنتك زياداً وعلى ميسرتك شُريحاً، وقف من أصحابك وسطاً، لا تدنُ منهم دنوَّ من يريد أن يُنشــب الحرب، ولا تُباعِد منهم بُعد من يهاب البأس، حتى أقدَم عليك، فإني حثيث السير في أثرك إن شاء الله).

فلما قدِم الأشـــتر امتثل ما أمره به علي، وكَفَّ عـــن القتال، وتواقف هو ومقدمة جيش معاوية، وعليها أبو الأعور السُّـــلَمي، فلم يزالوا متواقفين حتى إذا كان عند المســـاء حمل عليهم أبو الأعور، فثبتوا له، واضطربوا ساعة. ثم انصرف أهل الشام عند المساء، وحدثت بينهم جولات وحملات، حتى كان صباح اليوم الثالث، فأقبل علي ﷺ في جيوشه، وجاء معاوية ﷺ في جنوده، فتواجه الفريقان، وتواقفـــوا طويلاً، وذلك بمكان يقال لـــه: (صِفِّين) ـ بقرب الرَّقَّة على شاطئ الفرات ـ في أوائل ذي الحجة[1].

●● وسَبق الجيشُ الشامي فنزلوا على (مَشْرَعة الماء) في أسهل موضع وأفسحه، ونزل علي مع جيشه بعيداً من الماء، وليس هناك مَشرعة سواها، فعطش أصحاب علي عطشـــاً شـــديداً، فمنعهم الشـــاميون من الماء، وقد أرادوا بذلك أن يُذَكِّـــروا قتلةَ عثمـــان المنبثِّين في جيش علـــي بفَعْلتِهم الشـــنيعة بأمير المؤمنين عثمان حينما حاصروه ومنعوا عنه الماء، فقالوا: (موتوا عطشاً كما منعتم عثمان الماء!). ولما ترامى الخبر إلى معاوية قال عمرو بن العاص ـ وكان في مجلسه ـ: ليس من النَّصَف أن نكون ريَّانين وهم عِطاش! فقـــال الوليد بن عقبة: (دَعْهم يذوقوا مـــن العطش ما أذاقوا

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٥٦٣ـ٥٦٩؛ المنتظـــم: ٥/١٠٠ـ١٠٢؛ البداية والنهاية: ٧/٢٥٤ـ٢٥٥؛ كتابي: الخلفاء الراشدون، ص ٥٨٤ـ٥٨٥.

أميرَ المؤمنين عثمان حين حصروه في داره، ومنعوه طيِّبَ الماء والطعام أربعين صباحاً!).

فتناوش الفريقان على الماء، حتى كَشف العراقيون الشاميين عنه، ثم خلَّوا الماء للطرفين، واتفقوا على الوِرْد حتى صاروا يزدحمون على الماء لا يكلم أحد أحداً، ولا يؤذي إنسان إنساناً[1].

وفي قصة الاقتتال على الماء أورد عبدالله بن أحمد في «كتاب صفين» خبراً جيداً عن الأشعث بن قيس وقد جاء إلى معاوية فقال: نريد أن تخلُّوا بيننا وبين الماء، فقال معاوية لأبي الأعور: (خَلِّ بين إخواننا وبين الماء)، وعزم عليه في ذلك، ففعل[2].

واضطربت الروايات في تقدير أعداد كل من الجيشين:

فقدَّرت الروايات جيش علي ما بين خمسين ألفاً ومئة وخمسين ألفاً، في حين قدَّرت جيش معاوية بستين ألفاً أو سبعين ألفاً أو مئة وعشرين ألفاً، وهذا اضطراب كبير! وإذا كان ديوان الجند في أول خلافة علي يضم مئة ألف مقاتل من البصريين والكوفيين، فإن جيش علي ينبغي أن يبلغ أكثر من خمسين ألف مقاتل[3].

●● **ومن أبرز قيادات جيش أمير المؤمنين علي:** ابنه محمد ابن الحنفية، عبدالله بن عباس، عمار بن ياسر، قيس بن سعد بن عبادة، الأشعث بن قيس، عبدالله بن بُدَيل بن وَرْقاء، هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص المعروف بالمِرْقال،

(١) تاريخ الطبري: ٥٦٩/٤ـ٥٧٢؛ البداية والنهاية: ٢٥٦/٧ـ٢٥٧؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٧٢٣/٨ـ٧٢٤؛ تاريخ خليفة، ص ١٩٣ بسند حسن.

(٢) تهذيب الكمال: ٢٩٢/٣، ترجمة الأشعث.

(٣) تاريخ خليفة، ص ١٩٣، ١٩٤؛ المعرفة والتاريخ: ٤٠٤/٣؛ مروج الذهب: ٢٩٢/٢؛ البداية والنهاية: ٢٦١/٧؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٦٥ـ٤٦٦.

عَدي بن حاتـم، الأحنف بن قيـس، حُجْر بن عـدي، سُـليمان بن صُرَد، عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، الأشتر النخعي، عَمْرو بن الحَمِق، شَبَث بن رِبْعي، قيس بن مَكْشوح.

ومن أبرز قيادات جيش معاوية: عَمْرو بن العاص، ابنه عبدالله بن عَمْرو، حَبيب بن مَسْـلَمة، عبدالرحمن بـن خالد بن الوليد، عُبيـد الله بن عمر بن الخطاب، مَسْـلَمة بن مُخَلَّـد، أبو الأعور السُّـلَمي، ذو الـكَلَاع الحِمْيري، بُسْـر بن أبي أرطـاة، زُفَر بـن الحـارث، حَوْشَـب ذو ظُليـم، طَريف بن الحَسْحاس، بلال بن أبي هريرة الدوسي، حسان بن بَحْدَل الكلْبي(١).

سابعاً: وصف موجز لسيرورة القتال وأبرز معالمه:

●● بعد حدوث عدة صدامات بين مقدمتي جيشي العراق والشام، وتردُّدِ الرسـل بين علي ومعاويـة، وإصرار كل مـن الفريقين على رأيه وتمسـكه باجتهاده، كانت الأمور تتجه نحو المواجهة الحاسمة لتحقيق الفصل الأخير لأحـد الطرفين. وكان السـبئيون وقتلة عثمـان وأصحاب الهـوى والبغض للإسلام وأهله؛ يسرعون في هذا السبيل، ويؤججون الأحداث بالقول والفعل والأكاذيب والإشاعات لتصل الأمور إلى نهايتها السيئة المحزنة.

ذكر الطبري ونقله عنه ابـن كثير، قال: (لم تَزَل الرسـل تتردَّد بين علي ومعاوية والناس كافُّون عن القتال حتى انسلخ المحرم من هذه السنة (٣٧هـ) ولم يقع بينهم صلـح. فأمر علي بن أبي طالب مَرْثَد بن الحارث الجُشَـمي فنادى أهلَ الشـام عند الغـروب: ألا إن أمير المؤمنين يقـول لكم: إني قد استأنيتُكم لتراجعوا الحق، وأقمتُ عليكم الحجة فلم تجيبوا، وإني قد نَبذتُ

---

(١) تاريـخ خليفـة، ص ١٩٣ـ١٩٦؛ تاريخ الإسـلام، للذهبـي ـ عهد الخلفاء الراشـدين، ص ٥٤١ـ٥٤٢.



إليكم على سَــواء إن الله لا يحب الخائنيــن! ففزع أهل الشــام إلى أمرائهم فأعلموهم بما ســمعوا المنادي ينادي، فنهض عند ذلك معاوية وعمرو فعبَّيَا الجيش ميمنة وميسرة، وبات عليٌّ يعبِّي جيشه من ليلته)[1].

●● **ثم التقى الناس يوم الأربعاء لسبع خَلَون من صفر سنة (٣٧هـ)[2].**

قال عبد الرحمن بن أَبْزى ـ وهو ممن شــارك في الوقعة ـ: (شــهدنا مع عليٍّ ثمان مئة، ممَّن بايع بيعة الرضــوان، فاقتتلوا يوم الأربعاء ويــوم الخميس ويوم الجمعة وليلة السبت، ثم رُفعت المصاحف، ودَعَوا إلى الصلح)[3].

وجزم خليفة بــن خياط فقال: (كانــت وقعة صفين يوم الأربعاء لســبع خلون من صفر سنة ســبع وثلاثين، وكان الصلح ليلة السبت لعشر خلون من صفر)[4].

●● وقف أمير المؤمنين عليٌّ في جيشــه فقال: (إنكــم ملاقو القوم غداً، فأطيلوا الليلة القيام، وأكثــروا تلاوة القرآن، وسَــلُوا الله ﷻ النصر والصبر، والْقَوهم بالجد والحزم، وكونوا صادقين).

وأكد على الأخلاق التي يجب عليهم أن يلتزموها فقال: (لا تقاتلوا القومَ حتى يبدؤوكم، فأنتم بحمد الله ﷻ على حُجَّة، وترككُم إياهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى لكم. فإذا قاتلتموهم فهزمتموهــم: فلا تقتلوا مُدْبِراً، ولا تُجهِزوا على جريح، ولا تكشــفوا عورة، ولا تمثِّلوا بقتيل. فــإذا وصلتم إلى رِحال القوم: فلا تهتكوا ســتراً، ولا تدخلــوا داراً إلا بإذن، ولا تأخذوا شــيئاً من

---

(١) تاريخ الطبري: ٥/١٠ـ١١؛ البداية والنهاية: ٧/٢٦٠ـ٢٦١؛ شرح نهج البلاغة: ٢/٢٨٠.
(٢) تاريخ خليفة، ص ١٩١.
(٣) تاريــخ خليفــة، ص ١٩٤، ١٩٦ وإســناده صحيح، رجالــه كلهم ثقات عــدا عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى فهو صدوق حسن الحديث.
(٤) تاريخ خليفة، ص ١٩١.

أموالهم، إلا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيّجوا امرأة بأذى، وإنْ شتمنَ أعراضكم وسببن أمراءكم، فإنهن ضعاف القوى والأنفس).

ثم أمر علي بالطلائع والأمراء أن تتقدم للحرب، وجعل يؤمّر كل يوم أميراً، وأكثر ما كان يخرج الأشتر النخعي. وكذلك كان معاوية يبعث على الحرب كل يوم أميراً.

والتقى الجيشان في موقف مهول وأمر عظيم، وحملت ميمنة علي على ميمنة أهل الشام حتى كشفوهم، ثم حمل أهل الشام على العراقيين فأزالوهم، حتى اقترب الشاميون من علي، وجعلت نِبالُهم تصل إليه. ونادى الأشتر في العراقيين المنهزمين فوبَّخهم وردَّهم، ثم حملوا على الشاميين فخرقوا صفوفهم، واقتربوا من معاوية. وبعد أن رأى علي ميمنة جيشه قد اجتمعت، قام فحرّضَ الناس وثبَّتَهم، فاجتمع شملهم، ودارت رحى الحرب بينهم، وجالوا في الشاميين وصالوا، وتبارز الشجعان، فقُتل خلق كثير من الطرفين، فإنا لله وإنا إليه راجعون!.

وهناك على أرض المعركة كان الصحابي المجاهد عمار بن ياسر ـ وقد نيَّف على التسعين سنة ـ في جيش علي، وكان رسول الله ﷺ قد بشَّره بالقتل والشهادة؛ فيما رواه أبو سعيد الخدري قال: قال النبي ﷺ: «**وَيْحَ عمارٍ تقتلُه الفئةُ الباغية**»[1].

●● وقد قُتل عمار على أرض صفِّين، فلما كان ذلك حميَ أهل العراق، وتبين لهم أن الحق راجح إلى جانبهم، لحديث النبي ﷺ المتقدم، فاحتدم القتال تلك الليلة وهي من أعظم الليالي شرّاً بين المسلمين، وتسمى (ليلة

(١) انظر مقتل عمار ﷺ فيما يأتي: ص ٦١٣ ـ ٦١٥ في هذا الكتاب؛ وكتابي: نبوءات الرسول ﷺ: ١/١٤١ـ١٥١.



الهَرير)[1]، وكانت ليلة الجمعة، تقصَّفت الرماح، ونَفِدت النِّبال، وصار الناس إلى السيوف، والناس يقتتلون من كل جانب، ولم يَزَل ذلك دأبهم حتى أصبح الناس من يوم الجمعة وهم على ذلك، حتى تضاحى النهار، وتوجَّهت الغلبةُ لأهل العراق على أهل الشام... بعد هذه الحالة الخطيرة رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح، وقالوا: (هذا بيننا وبينكم، قد فَنِي الناس، فمن للثغور؟! ومَنْ لجهاد المشركين والكفار؟!).

وقد أشار عمرو بن العاص على معاوية بهذا فقال له: (أَرسِلْ إلى عليٍّ بمصحف فادْعُه إلى كتاب الله، فإنه لن يأبى عليك). فجاء به رجل فقال: بيننا وبينكم كتاب الله؛ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣]).

فقال عليٌّ: (نعم، أنا أَولى بذلك، بيننا وبينكم كتابُ الله). فجاءته الخوارج ـ ويُدْعَون يومئذٍ القرَّاء ـ وسيوفهم على عواتقهم، فقالوا: ما ينتظر هؤلاء القوم الذين على التل ـ يريدون جيش معاوية ـ؟! ألا نمشي إليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم؟!.

وكان ممن دعا إلى الصلح من سادات الشاميين: عبدالله بن عَمْرو بن العاص، عن أمر معاوية له بذلك، وممن أشار على عليٍّ بالقبول والدخول في ذلك الأشعث بن قيس الكِنْدي.

أما الأشتر النخعي فكان يصرُّ على المُضِيّ في القتال وسفك الدماء، فأرسل علي إليه يزيدَ بنَ هانئ يأمره بالكفِّ عن القتال، فردَّ الأشتر على الرسول بقوله: (قل له: ليس هذه الساعة التي ينبغي لك أن تُزيلني فيها عن موقفي، إني قد رجوت أن يُفتح لي، فلا تُعجلني)!.

---

(١) **الهرير**: هو الصوت شبه النياح.

فرجع يزيد إلى أمير المؤمنين علي فأخبره بردِّ الأشتر ومُضِيِّه في القتال، فارتفع الرَّهْج[١]، وعلت الأصوات، فقال القرَّاء لعليٍّ: والله ما نراك إلا أمرته أن يقاتل! فقال: أرأيتموني ساررتُه؟ أَلَم أبعث إليه جهرةً وأنتم تسمعون؟! فقالوا: فابعث إليه فليأتك، وإلَّا والله اعتزلناك. فقال علي ليزيد بن هانئ: (وَيْحكَ، قل له: أقبِل فإن الفتنة قد وقعت)! فلما رجع إليه يزيد فأبلغه عن أمير المؤمنين أن ينصرف عن القتال ويُقبل إليه، جعل يتململ ويقول: (ويحكَ! ألا ترى إلى ما نحن فيه من النصر، ولم يبقَ إلا القليل؟!) فقال يزيد: أيهما أحبُّ إليك أن تُقبِل أو يُقتل أمير المؤمنين كما قُتل عثمان؟ ثم ماذا يغني عنك نصرتك هاهنا؟!.

فأقبل الأشتر إلى علي تاركاً القتال، وقال: (يا أهل العراق، يا أهل الذل والوهن، أحينَ علوتُم القومَ، وظنوا أنكم لهم قاهرون، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها، وقد والله تركوا ما أمر الله ﷻ به فيها، وسُنَّةَ من أُنزلت عليه ﷺ، فلا تجيبوهم، أمهلوني فقد أحسست بالفتح!) قالوا: لا، قال: أَمْهِلوني عَدْوَ الفرس، فإني قد طمعتُ في النصر! قالوا: إذاً ندخل معك في خطيئتك.

هكذا يرى هذا الظالم لنفسه وللمسلمين أن هزيمته لجيش الشام هي فتح ونصر، فيتبجَّح ويقول: قد أحسستُ بالفتح وطمعتُ في النصر! وليتَه وجَّه هذه البطولة والاستماتة في القتال إلى جهاد أعداء الإسلام والمتربصين به، وكان ساعيَ خير بين الأخوين علي ومعاوية ـ إذاً لذكره التاريخ بخير!.

ورغب أكثر الناس من العراقيين وأهل الشام بكمالهم في المصالحة والمسالمة مدة، لعله يتفق أمر يكون فيه حقن لدماء المسلمين[٢].

---

(١) أي: الشَّغَب.

(٢) انظر تفصيل ما لخصته هنا، في: تاريخ الطبري ٥/٥ـ٥١؛ المنتظم: ٥/١١٧ـ١٢١؛ البداية والنهاية: ٧/٢٦٠ـ٢٧٣.

●● معالم بارزة في غمرة المواجهة والقتال:

١ ـ بدايةُ القتــال ومَن بدأه، وبيانُ أن تَرْكَه هــو الصواب، وحقيقةُ موقف علي ومعاوية منه:

تقدم أن أمير المؤمنين عليّاً قد نبذ إلى أهل الشــام على ســواء بعد أن ترددت الرسل إليهم وأبَوا الدخول في البيعة والطاعة، ونشبت الحرب، وردَّ أهل الشام عن أنفسهم.

وقد روى نصر بن مزاحم بإســناده، عن جندب الأَزْدي[١] وهو صحابي شــهد صفين مع علي، قــال: (خرج علــيٌّ بالناس إلى أهل الشــام، فزحف نحوهــم، وكان هــو يبدؤهم فيســير إليهم، فــإذا رأوه قد زحف اســتقبلوه بزحوفهم)[٢].

وقال ابن تيمية: (أهل الشــام قاتلوا مع معاوية لظنِّهم أن عسكر علي فيه ظَلَمة يعتدون عليهم كما اعتــدوا على عثمان، وأنهم يقاتلونهم دفعاً لِصِيالهم عليهم، وقتال الصائل جائز. ولهذا لم يبدؤوهــم بالقتال حتى بدأهم أولئك، ولهذا قال الأشتر النخعي: إنهم يُنصرون علينا لأنَّا نحن بدأناهم بالقتال)[٣].

ولكنْ أيضاً فــإنَّ عَجْزَ الخليفة عن قَتْل قتلة عثمــان لا يُبيح قتالَه، (ولم يكن ذلك موجباً لتفريق الجماعــة والامتناعِ عن مبايعته ولمقاتلته، بل كانت مبايعتُه على كل حال أصلَحَ في الدين وأنفعَ للمســلمين وأطوعَ لله ولرسوله من ترك مبايعته)[٤].

---

(١) تهذيب الكمال: ١٤١/٥؛ الإصابة: ٢٤٩/١ و٢٥١.

(٢) وقعة صفين، ص ٢٥٩ ـ ٢٦٢؛ شرح نهج البلاغة: ١٣٤/٣.

(٣) منهاج السُّنَّة: ٧٥/٣ ـ ٧٦، وانظر: ١٢٠/٣، ٧١٥. صال: سطا، وقهر، وضرب، ووثب.

(٤) المرجع السابق: ٩٢/٣.

ونؤكد أن (النصوص الثابتة عن النبي ﷺ تقتضي أن ترك القتال كان خيراً للطائفتين، وأن القعود عن القتال كان خيراً من القيام فيه، وأن عليّاً، مع كونه أَوْلى بالحق من معاوية وأقربَ إلى الحق من معاوية، لو ترك القتال لكان أفضلَ وأصلحَ وخيراً!.

وأهل السُّنَّة يترحمون على الجميع، ويستغفرون لهم، كما أمرهم الله تعالى بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]).

(وأئمة السُّنَّة يعلمون أنه ما كان القتال مأموراً به: لا واجباً ولا مستحبّاً، ولكن يعذرون من اجتهد فأخطأ)[1].

(وقد كان الحسن بن علي وأكثر السابقين الأولين لا يرون القتال مصلحة، وكان هذا الرأي أصلح من رأي القتال بالدلائل الكثيرة)[2].

(وكان علي ومعاوية رضي الله عنهما أطلبَ لكفِّ الدماء من أكثر المقتتلين، لكن غُلِبا فيما وقع، والفتنة إذا ثارت عجز الحكماء عن إطفاء نارها)[3].

ونجد في كثير من مؤلفات المعاصرين ودراساتهم الحَيْف والتنطع والانحرافَ عن جادة الصواب، والطعنَ على أهل الشام لمجرَّد أنهم خالفوا عليّاً في الاجتهاد وقاتلوه دفعاً عن أنفسهم.

من ذلك ما كتبتْه (أم مالك الخالدي) وظهيرُها حسن المالكي الذي يتظاهر بالإنصاف، فقد ذَكرتْ أن الصحابة الذين اعتزلوا القتال مع أحد

(١) منهاج السُّنَّة: ٧٩/٣، ٧٦.
(٢) المرجع السابق: ٥٨٥/٣، وانظر: ٧١٥/٣.
(٣) المرجع السابق: ١٢٥/٣.

الفريقين، (كسعد بن أبي وقّاص وعبدالله بن عُمر ومحمد بن مَسْلَمة وغيرهم) قد تركوا الأَوْلى! وفي جواز قتال علي لأهل الشام؛ ساوت بين قتالهم وقتال (الخوارج) و(المحاربين) و(قطاع الطرق)[(١)]!.

٢ ـ هديهم في الخلاف والقتال[(٢)]:

سلك الفريقان من أصحاب علي ومعاوية هَدْي الإسلام وآدابَه في المواجهة والقتال، في أثنائه وفي نهايته، وسطَّروا مواقفَ جليلة في التزام أخلاق الإسلام، والصفح عن المخالفين، وإعذارهم وعدم سبِّهم فَضْلاً عن تكفيرهم، بل والثناء على الخيِّرين والصالحين والشهادة بالحق والصدع به. وما جرى من مجازفات وتعدٍّ لهدي الإسلام، فإنما كان من ذوي الأهواء وأصحاب البغضاء والسبئية وقتلة عثمان، وكذلك من رواة الأخبار من المبتدعة والكذابين والمتروكين، الذين كانوا حريصين على كل شر وسوء وإلحاق الأذى بأهل الخير والصلاح والإصلاح.

●● أوصى أمير المؤمنين علي الجيشَ فقال: (لا تقتلوا مُدْبِراً، ولا تُجهِزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثِّلوا بقتيل... ولا تهتكوا سِتراً، ولا تدخلوا داراً إلا بإذن... ولا تهيِّجوا امرأة بأذى)[(٣)].

ـ ويقول أبو أمامة الباهلي: (شهدتُ صفين، فكانوا لا يُجهِزون على جريح، ولا يطلبون مولِّياً، ولا يَسْلُبون قتيلاً)[(٤)].

---

(١) بيعة علي بن أبي طالب، ص ١٧١ ـ ١٧٢، ١٨٠، واخترتُ هذا الكتاب مثالًا لأنه الأقل إساءة مقارنة مع كثير غيره.

(٢) انظر ما تقدم: ص ٤٦١ ـ ٤٦٦ (رابعاً) في هذا الكتاب.

(٣) تاريخ الطبري: ١١/٥؛ نهج البلاغة: ٧٧/٨، وشرحه: ٢٨٠/٢.

(٤) طبقات ابن سعد: ٤١١/٧؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٦٧٥/٧؛ وصحَّحه الألباني في «إرواء الغليل»: ١١٤/٨.

ـ وعن يزيد بن بلال قال: (شــهدتُ مع علي يوم صفِّيــن، فكان إذا أُتي بالأســير قال: لن أقتلــك صبراً، إني أخــاف الله رب العالميــن. وكان يأخذ سلاحه، ويحلِّفه ألا يقاتله، ويعطيه أربعة دراهم)[1].

ـ وقال عبد الله بن عروة بن الزبير: أخبرني رجل شهد صفين قال: (رأيت عليّاً خرج في بعض تلك الليالي، فنظر إلى أهل الشــام فقال: اللَّهمَّ اغفِرْ لي ولهم)[2].

ـ وعن يزيد بن الأصم قال: (سُئل عليٌّ عن قتلى يوم صفين، فقال: قتلانا وقتلاهم في الجنة، ويصيرُ الأمر إليَّ وإلى معاوية)[3].

●● ولما أَطلق عليٌّ أسارى أهل الشام، وكان مثلهم أو قريبٌ منهم في يد معاوية، وكان قد عزم على قتلهم لظنِّه أنه قد قتل أســراهم، فلما جاءه أولئك الذين أطلقهم؛ أطلق معاوية الذين في يده[4].

ـ وروى الشــعبي، عن الحارث الأعور قال: (لمَّا رجَــعَ علي من صفين عَلِم أنه لا يملك أبداً! فتكلَّم بأشياء كان لا يتكلَّم بها، وحدَّث بأحاديث كان لا يتحدَّث بها، فقال فيما يقول: أيها الناس، لا تكرهوا إمارة معاوية، والله لو قد فقدتموه، لقد رأيتم الرؤوس تَنْدُر عن كواهلها كالحنظل!)[5].

ـ وقد ردَّ عمار بن ياسر على شِــرْذمة تكفِّر أهل الشــام، فقال: (لا تقولوا ذلك، نبيُّنا ونبيُّهم واحد، وقِبلَتُنا وقِبلتُهــم واحدة، ولكنهم قوم مفتونون حادوا عن الحق، فحقَّ علينا أن نقاتلهم حتى يرجعوا إليه)[6].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٧٢٥/٨؛ مصنف عبد الرزاق (١٨٥٩٢).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٧٢٥/٨.
(٣) تقدم: ص ٤٦٤ حاشية (٢) في هذا الكتاب.
(٤) البداية والنهاية: ٢٧٨/٧.
(٥) مصنف ابن أبي شيبة: ٧٢٤/٨، وقد تقدم: ص ٥٦٤ حاشية (٤) في هذا الكتاب.
(٦) انظر ما تقدم: ص ٥٦٥ حاشية (٢) في هذا الكتاب؛ نبوءات الرسول ﷺ: ١٤٤/١.

ـ ولم يتردَّد عَمْرو بن العاص وابنه عبد الله في رواية فضل عمار بن ياسر، في أثناء المعركة، وأنه تقتله الفئة الباغية، مــع كونهما مع معاوية في جيش أهل الشام.

فقد ثبــت أن عبد الله بن عَمْرو عندما بلَغَه مقتــلُ عمار، وهو في مجلس معاوية، روى بأمانة وجرأة وصراحة ووضوح حديث النبي ﷺ: «**وَيْحَ عمارٍ! تقتله الفئة الباغية**».

وكذلك روى عمرو بن العاص حديث رســول الله ﷺ فــي عمار: «**قاتِلُه وسالبُه في النار**». كما سيأتي في الفقرة التالية.

لقد كان القوم على درجــة رفيعة من النُّبل والإنصاف والشــهادة بالحق والصدع به، مع ما كان بين الفريقين من اختــلاف وتباين في الاجتهاد أدى إلى المواجهة والقتال الدامي!.

٣ ـ مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه:

●● فــي الحديث الصحيــح الذي رواه أبو ســعيد الخُــدْري وغيره: أن النبي ﷺ قال: «**وَيْحَ عمارٍ! تقتلُه الفئةُ الباغيةُ**»[1].

وهو حديث متواتر كما نصَّ عليه جماعة من الأئمة الحفاظ.

يقول ابن كثير: (وما زاده الروافض في هذا الحديث ـ بعد قوله: «**الباغية**» ـ: «**لا أنالَها الله شــفاعتي يوم القيامة**»! فهو كذبٌ وبَهْتٌ على رسول الله ﷺ؛ فإنه قد ثبتت الأحاديث عنه صلوات الله عليه وسلامه بتسمية الفريقين مسلمين)[2].

وقال مثله شيخ الإسلام ابن تيمية[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧)؛ وابن حبان (٧٠٧٩)؛ وأحمد: (١١٨٦١)، وغيرهم.
(٢) البداية والنهاية: ٢٧٢/٧.
(٣) منهاج السُّنَّة: ٦٧٢/٣.

وكان مقتل عمار ﷺ بصفين وهو في جيش علي، والذين قتلوه كانوا في جيش معاوية.

والفريقـان (أهل العراق وأهل الشـام) من أهل الحـق، وأصحاب دعوة واحدة هي الإسـلام، وكل منهما اجتهد في إقامة حـدود الله تعالى، وطائفة علي أقرب إلى الحق.

•• روى عَمْرو بن مرة قال: سـمعتُ عبدالله بن سَـلَمة يقول: (رأيتُ عمار بن ياسر يوم صِفِّينَ ـ شيخٌ آدَمُ طُوَالٌ ـ أخذ الحربة بيده، ويدُه تَرْعَدُ، فقال: والذي نفسـي بيده لقد قاتلت بهذه الراية مع رسـول الله ﷺ ثلاث مرات، وهذه الرابعة، والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يَبْلغوا بنا سَعَفَات هَجَر، عرفنا أن مصلحينا على الحق وأنهم على الباطل)[1].

ولما اشتد القتال جال عمار في سـاحة المعركة ساعة، فحمل عليه اثنان من الموتورين الشانئين، هما ابن جَوى السَّكْسَكي وأبو الغادية الجُهَني، فأما أبو الغادية فطَعَنه، وأما ابن جوى فاحتزَّ رأسَه!.

روى أحمد وابن سـعد ـ واللفظ له ـ قال: أخبرنا عفان بن مسـلم، قال: أخبرنا حماد بن سَلَمة، قال: أخبرنا أبو حفص وكلثوم بن جَبْر، عن أبي غادية قال: (سمعتُ عمار بن ياسـر يقع في عثمان يَشْـتُمه بالمدينة، قال: فتوعَّدتُه بالقتل، فقلت: لئن أمكنني الله منك لأفعلنَّ! فلما كان يومُ صِفِّين جعل عمار يَحمل على الناس، فقيل: هذا عمار، فرأيتُ فُرْجَة بين الرئتين وبين الساقين، قال: فحملت عليه فطعنتُه في ركبته، قال: فوقع، فقتلتُه، فقيل: قتلتَ عمار بن

---

(١) أخرجه أحمـد: (١٨٨٨٤)؛ وابن سـعد: ٣/٢٥٦ـ٢٥٧؛ وابن حبـان (٧٠٨٠)؛ والحاكم: ٣/٣٨٤، وقال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات. وسَعَفات: جمع سَعَفة وهي أغصان النخيل. وهَجَر: هي الهفوف اليوم، وإنما خصَّها للمباعدة في المسافة.

ياسر! وأُخبر عمرو بن العاص، فقال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إن قاتلَه وسالبَه في النار**»!)[1].

وعن حَنْظَلَة بن خُويلد العَنَزِيِّ قال: (بينما أنا عند معاوية، إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار، يقول كل واحد منهما: أنا قَتلْتُه! فقال عبدالله بن عَمْرو: لِيَطِبْ به أحدُكما نَفْساً لصاحبِه، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**تقتُلُه الفئةُ الباغيةُ**». قال معاوية: فما بالك معنا؟! قال: إنَّ أَبي شكاني إلى رسول الله ﷺ، فقال: «**أَطِعْ أباكَ ما دام حيّاً ولا تَعْصِه**»، فأنا معكم، ولستُ أقاتِل)[2].

•• وأبو الغادية وشريكه ابن جَوَى اللذان قتلا عماراً ﷺ، وكذلك من حضَّ على قتله ورضي به؛ هم الحقيقون بقول النبي ﷺ: «**تقتله الفئة الباغية**»، وفي هذا يقول ابن تيمية:

(ثم: «**إن عماراً تقتله الفئة الباغية**» ليس نصّاً في أن هذا اللفظ لمعاوية وأصحابه، بل يمكن أنه أُريد به تلك العصابة التي حَمَلتْ عليه حتى قتلَتْه، وهي طائفة من العسكر، ومن رضي بقتل عمار كان حكمه حكمها. ومن المعلوم أنه كان في المعسكر من لم يرضَ بقتل عمار، كعبدالله عمرو بن العاص وغيره، بل كل الناس كانوا منكرين لقتل عمار، حتى معاوية وعمرو)[3].

وهذا الكلام من هذا العلم الشامخ في غاية الدقة والنفاسة والإنصاف والمَعْدلة.

---

(١) مسند أحمد: (١٧٧٧٦)؛ طبقات ابن سعد: ٢٦٠/٣ـ٢٦١؛ وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٠٠٨). وقال شعيب: إسناده قوي.

(٢) أخرجه أحمد: (٦٥٣٨)؛ وابن أبي شيبة: ٧٢٣/٨؛ وبأخصر منه النسائي في الكبرى (٨٤٩٦)؛ وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٩٢/٣، وصحَّحه شعيب الأرنؤوط.

(٣) مجموع الفتاوى: ٧٦/٣٥ـ٧٧؛ وبنحوه: منهاج السُّنَّة: ١٢٤/٣ـ١٢٥.

وتأصيلاً على ما تقدم: فإنه من الظلم المبين، والافتئات على الحق؛ اتهامُ جميع جيش أهل الشام بأنهم قتلة هذا الصحابي الجليل، لأن له مكانة سامية في قلوب الصحابة والتابعين الأخيار، حتى الذين خالفوه في الاجتهاد وكانوا في الجيش المقابل. والذين يتخذون مقتله ذريعة للولوغ في أعراض الصحابة، وتكفير فريق منهم؛ فقد جانبوا الحق وضلوا ضلالاً مبيناً.

(وقد كان معاوية يعرف من نفسه أنه لم يكن منه البغي في حرب صفين، لأنه لم يُرِدْها، ولم يبتدئها، ولم يأتِ إليها إلا بعد أن خرج عليٌّ من الكوفة وضَرب معسكره في النُّخيلة ليسير إلى الشام كما تقدم... وكل ما وقع من الفتن فإثمُه على مؤرِّثي نارها، لأنهم السبب الأول فيها، فهم الفئة الباغية التي قُتل بسببها كل مقتول في وقعتي الجمل وصفين وما تفرّع عنهما)[(١)].

•• وقد أوَّل معاوية رضي الله عنه حديثَ «تقتله الفئة الباغية» تأويلاً بعيداً:

عن عبدالله بن الحارث قال: (إني لأسيرُ مع معاوية في مُنْصرفه من صفين، بينه وبين عمرو بن العاص، قال: فقال عبدالله بن عَمْرو بن العاص: يا أبتِ، ما سمعتَ رسولَ الله ﷺ يقول لعمار: «**وَيْحَكَ يا ابنَ سُمَيَّةَ، تقتُلك الفئةُ الباغيةُ**»؟ قال: فقال عمرو لمعاوية: ألَا تسمعُ ما يقول هذا؟ فقال معاوية: لا تزالُ تأتينا بِهَنَةٍ! أَنحنُ قتلناه؟! إنما قتله الذين جاؤوا به)[(٢)].

وفي رواية: قال معاوية: (أَنحنُ قتلناه؟! إنما قتله عليٌّ وأصحابه، جاؤوا به حتى ألقَوه تحت رماحنا!)[(٣)].

---

(١) من تعليقات محب الدين الخطيب على «العواصم»، ص ١٧٣.

(٢) أخرجه أحمد: ١٦١/٢ (٦٤٩٩) وصحّحه أحمد شاكر وشعيب الأرنؤوط. **والهنة**: الأمر الشديد العظيم.

(٣) مصنف عبدالرزاق (٢٠٤٢٧)، وسنده صحيح.

قال ابن القيم: (فهذا هو التأويل الباطل المخالف لحقيقة اللفظ وظاهره، فإن الذي قَتَله هو الذي باشَرَ قتْلَه لا من استنصر به)[١].

وقال ابن كثير: (فقول معاوية: إنما قتله مَن قدَّمه إلى سيوفنا، تأويلٌ بعيد جدّاً، إذ لو كان كذلك لكان أمير الجيش هو القاتل للذين يُقتلون في سبيل الله، حيث قدَّمهم إلى سيوف الأعداء!)[٢].

وقال مثله شيخ الإسلام ابن تيمية[٣].

٤ ـ الفئتان مسلمتان، وطائفة علي أقرب إلى الحق:

عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقومُ الساعة حتى تقتتلَ فئتانِ عظيمتانِ، يكونُ بينهما مقتلةٌ عظيمةٌ، دعوتُهما واحدةٌ**»[٤].

وعن أبي سعيد الخُدْري قال: قال رسول الله ﷺ: «**تفترِقُ أمتي فِرْقتين، يَمْرُقُ بينهما مارِقةٌ، تقتُلُهم أَوْلى الطائفتين بالحقِّ**» لفظ النَّسائي.

وفي رواية لمسلم وأحمد: «**يَقتُلهم أقربُ الطائفتين من الحقِّ**».

وفي رواية لعبد الرزاق وأحمد والبَغَوي: «**لا تقومُ الساعة حتى تقتتلَ فئتانِ عظيمتانِ، دَعواهما واحدةٌ، تمرُق بينهما مارِقةٌ يقتُلُها أَوْلَى الطائفتينِ بالحقِّ**»[٥].

---

(١) الصواعق المرسلة: ١/١٨٤ ـ ١٨٥.

(٢) البداية والنهاية: ٦/٢١٥، وانظر: ٧/٧١.

(٣) منهاج السُنَّة: ٣/٨٩، ٩٤، ٩٧.

(٤) أخرجه البخاري (٧١٢١)؛ ومسلم (١٥٧) بعد رقم (٢٨٨٨)؛ وابن حبان (٦٧٣٤)، وغيرهم.

(٥) أخرجه مسلم (١٠٦٥)؛ وأبو داود (٤٦٦٧)؛ وعبد الرزاق (١٨٦٥٨)؛ وابن حبان (٦٧٣٥)؛ والبغوي (٢٥٥٥)؛ وأحمد: ٣/٢٥، ٣٢، ٤٨؛ والنسائي في الكبرى (٨٤٥٧، ٨٥٠٣).

•• قوله: «**فئتان**»: المراد بهما جماعـة علي وجماعة معاوية، لما تحاربتا في صفين.

- «**دعوتهما واحدة**»: المرادُ بالدعوة: الإسلامُ على الراجح، أي: إن دينهما واحد، لأن كلًّا منهما كان يتسمى بالإسلام.

أو المراد: اعتقاد كل منهما أنه على الحق(١).

فالحديث يُثبِت الإسـلامَ والإيمانَ لكل من الطائفتين، وأنهما فِرقتان من أمة محمد ﷺ، وكلاهمـا تطلب الحق، فغايتُهما واحـدة، ودعوتهما واحدة، وإنْ كانت إحداهما أقربَ إلى الحق من الأخرى، كما قال في الحديث الثاني: «**يقتلهم أقربُ الطائفتين من الحق**».

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري وغيره: عن أبي بَكْرة: أن النبي ﷺ قال في الحسن بن علي: «**ابني هذا سيِّدٌ، ولعلَّ اللهَ أن يُصلِحَ به بين فئتين من المسـلمين**»(٢): شـهادةٌ نبوية للطائفتين بأنهما من المسلمين، ومن ثَمَّ كان الإمام الجليل سفيان بن عُيينة ـ وقد روى هذا الحديث ـ يقول: (قوله: «**فئتين من المسلمين**» يُعجبنا جداً!)(٣).

- وقوله: «**يَمْرُقُ بينَهما مارِقةٌ**»: أي تخرج طائفة من الناس على المسلمين فتحاربهم، والمقصود بها الخـوارج، الذين قتلهم عليٌّ، فهو أقربُ إلى الحق من معاوية.

•• فأميـر المؤمنين علي هو الخليفة الحق، وهـو في ذلك القتال أقربُ إلى الحق وأولى به، كما جاء في الروايات الصحيحة، وجماعةُ عليٍّ وجماعةُ

(١) الفتح: ٥٢٤/٨، شرح الحديث (٣٦٠٩)، ٦٣/١٦ (٦٩٣٥)، ٤١٦ (٧١٢١).
(٢) البخاري (٧١٠٩).
(٣) المعرفة والتاريخ: ٤١٢/٣.

أهل الشام مسلمون، ومن أهل الحق وطلابه والحريصين عليه، فهناك قريب من الحق وأقرب إليه، وقد أثبتت الأحاديث قربَ أهل الشام من الحق، وهم غير ملومين في حروبهم وقتالهم، لأن ذلك كان عن اجتهاد، والمخطئ له أجر والمصيب له أجران.

يقول ابن تيمية معلِّقاً على قوله ﷺ الوارد في حديث أبي سعيد الخدري: «**يَقتلُهم أقربُ الطائفتين من الحق**»: (في هذا الحديث دليل على أنه مع كل طائفة حق، وأن عليّاً رضي الله عنه أقربُ إلى الحق).

ويقول في موضع آخر: (فهذا الحديث الصحيح دليل على أن كلا الطائفتين المقتتلتين ـ علي وأصحابه، ومعاوية وأصحابه ـ على حقٍّ، وأن عليّاً وأصحابه كانوا أقربَ إلى الحق من معاوية وأصحابه)(١).

ـ وقال ابن حزم: (وصحَّ أن عليّاً هو صاحبُ الحق والإمام المفترض طاعته، ومعاوية مخطئ مأجور مجتهد). (وعلي رضي الله عنه صاحب الحق له أجران: أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، ومعاوية رضي الله عنه ومَن معه مخطؤون مجتهدون مأجورون أجراً واحداً)(٢).

ـ وقال ابن كثير معقِّباً على حديث «قَتْل عليٍّ الخوارجَ»: (فيه الحكمُ بإسلام الطائفتين: أهلِ الشام وأهل العراق، لا كما تزعمه فِرقة الرافضة والجهلة الطَّغَام من تكفيرهم أهلَ الشام. وفيه أن أصحاب عليٍّ أدنى الطائفتين إلى الحق؛ وهذا هو مذهبُ أهل السُّنَّة والجماعة أن عليّاً هو المصيب، وإنْ كان معاوية مجتهداً، وهو مأجور إن شاء الله)(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى: ٤٠٧/٣، ٤٦٧/٤.

(٢) الفِصَل في المِلل والأهواء والنِّحَل: ١٦١/٤، بتصرف.

(٣) البداية والنهاية: ٢٨٠/٧.

وقال نحوه الحافظ ابن حجر(١).

وأقوال العلماء في هذا كثيرة متضافرة متفقة على ذلك.

٥ ـ وقفة وإيضاح حول مفهوم (الفئة الباغية)، ومقاتلتها:

في قوله تعالــى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجــرات: ٩]، أمــرٌ للمؤمنين بقتال الفئــة الباغية، وليس فيه أمرٌ لإحــدى الطائفتين بأن تقاتل الأخرى.

وفي اقتتال أهل العراق وأهل الشــام؛ يقول أكثر الســلف والأئمة كأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم: لم يوجد شرطُ قتالِ الطائفةِ الباغية؛ فإن الله لم يأمر بقتالها ابتداءً، بل أمر إذا اقتتلــت طائفتان أن يُصلَح بينهما، ثم إنْ بغَتْ إحداهما على الأخرى قوتلت التي تبغي، وأهل الشــام قُوتِلوا ابتداءً قبل أن يبدؤوا بقتال(٢).

ولهذا كان أئمة السُــنَّة كمالك وأحمد وغيرهما، يقولــون: إن قتالَ عليٍّ للخوارج مأمورٌ به، وأما قتال الجمل وصفين فهو قتال فتنة(٣).

وقد قالت أم المؤمنين عائشة ﷺ لما وقعت الفتنة: ترك الناسُ العملَ بهذه الآية! وعلّق ابن تيمية على هذا فقال: (وهو كما قالت؛ فإنهما ـ الطائفتين ـ لما اقتتلتا لم يُصْلَح بينهما، ولو قُدِّر أنه قُوتِلت الباغيةُ، فلم تُقاتَلْ حتى تفيء إلى أمر الله ثم أُصلح بينهما بالعدل! والله تعالى أمر بالقتال إلى الفيء ثم الإصلاح،

---

(١) الفتح: ٥٧/١٦، شرح الحديث (٦٩٣٣).

(٢) منهاج السُنَّة: ٨٠/٣.

(٣) منهاج السُنَّة: ٥١٥/٤ـ٥١٦؛ وانظر ما تقدم: ص٤٥٧ ـ ٤٥٩ رقم (١) في هذا الكتاب.

لم يأمر بقتــال مجرَّد، بــل قــال: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾. وما حَصَل قتالٌ حتى تفيء إلى أمر الله، فإنْ كان ذلك مقــدوراً فما وقع، وإنْ كان مَعجُوزاً عنه لم يكن مأموراً به!)[١].

(ولو قُدِّرَ أن طائفةً بَغَتْ على طائفة، وأَمكن دفْعُ البغي بلا قتالٍ، لم يَجز القتال: فلو اندفــعَ البغيُ بوعظٍ أو فُتيا أو أمرٍ بمعــروف؛ لم يَجز القتال. ولو اندفع البغي بقتلِ واحدٍ مقدور عليه، أو إقامة حدٍّ أو تعزير؛ مثل: قطْعِ ســارقٍ وقتل محارب وحدِّ قاذف؛ لم يَجز القتال. وكثيراً ما تثور الفتنة إذا ظلم بعضُ طائفة لطائفة أخرى، فإذا أمكن استيفاءُ حق المظلوم بلا قتالٍ لم يجز القتال.

وليس في قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ أنَّ كل مَن امتنع عن مبايعة إمام عادل، يجبُ قتالُه بمجرد ذلك، وإنْ سُــمِّي باغياً لترك طاعة الإمام، فليس كل من ترك طاعة الإمام يُقاتَل!)[٢].

٦ ـ وقفــة وتحقيق حول أخبــار (القتال فــي صفين: عنفه، وحماســة المتقاتلين، والمبارزات وشدة الحملات):

•• المتتبع لأخبار الفتنة عامةً ووقعتــي الجمل وصفين خاصة؛ يَخلُص إلى نتيجة مذهلة خطيرة محزنة، تهدِم في نفس القارئ الصورةَ المشرقة التي ســطَّرها القرآن الكريم وأوضحتْها أحاديث السُــنَّة الطاهرة وأكَّدتْها أحداث الســيرة العطرة، وشــرحَتْها ورسَّــخَتْها أخبار الفتوحات الإسلامية في عصر الراشدين.

تلك الصورة الجليلة الرائعــة الخالصة المخلصة الهادية النبيلة لرجالات الإسلام حملة الرســالة وناشــريها، الذين كانوا رهباناً بالليل فرساناً بالنهار،

(١) منهاج السُنّة: ١٠٠/٣، وبنحوه: ٥١٥/٤.
(٢) منهاج السُنّة: ١٠١/٣.

يستبسلون في ساحات الوغى مع الأعداء، ويمسكون بأيديهم وأفئدتهم أمام أحكام الإسلام ومبادئه وغاياته، لا يتجاوزونها ولا يَخْدِشونها بموقف أو قول أو فعل.

أما أخبار وقعتـــي الجمل وصفين فإنها تصوِّر أولئـــك الرجالَ بقلمٍ آخر وعقلٍ آخر وقلبٍ آخر، وترســـم صورة مغايرة تمامَ المغايرة لهم في أقوالهم ومواقفهم وسِيَرهم وأهدافهم وغاياتهم!.

فجمهرة الرواة والروايات وكتب التاريخ المتقدمة والمتأخرة والمعاصرة؛ تصوِّر الفريقين بصفين أنهم يتحمسون للقتال ويشتدون فيه ويحرِّضون عليه ويَحْرِصون على المُضِـــيّ فيه فلا ينصرفون عنه إلا إلى الصلاة. ويذكرون عن علي ومعاوية وقيادات الجيشـــين أنهم يُحضِّضون الجند على الاستعانة بالله والصبر على المواجهة، ومواصلة الجهاد (كذا!).

وعلي يدعو معاوية للمبارزة، فيشـــجِّعُه عمرو بن العـــاص ليتخلَّصَ منه طمعاً فـــي الإمارة من بعده. وتزعم الروايات أن عليّـــاً بارز عمرو بن العاص وهزمه، فاستقبله عمرو بعورته فانصرف علي عنه!.

وتذكر تلك الأخبار أن عمار بن ياســـر استبســـل في القتـــال والصحابةُ يقتفون أثَـــرَهُ، وكان يحرِّض مَن معه على القتال ويقـــول: الجنةُ تحت ظلال الســـيوف، والموت في أطراف الأَســـنَّة، وقد فُتحت أبـــواب الجنة، وتزيَّنت الحور العِين: اليومَ ألقى الأحبَّة، محمداً وحِزْبَه!.

ويقـــول: اللَّهمَّ إني لا أعلمُ اليـــومَ عملاً هـــو أرضَـــى لك من جهاد هؤلاء الفاســـقين، ولـــو أعلمُ أن عملاً مـــن الأعمال هو أرضـــى لك منه لفعلتُه!.

وذهبت تلك الروايات إلى القول بأن أهل الشام تعاقدوا على الثبات وأن

لا يَفِرُّوا، وعَقَلوا أنفسَــهم بالعمائم. وأثخن الطرفان في القتل؛ فطارت أكفٌّ ومعاصم ورؤوس عن كواهلها!.

ووصفت الروايات القتــالَ (وصفاً دراماتيكيّاً) حلَّــق فيه خيالُ الكذابين والمتروكين، فجاؤوا بمــا لا يصدقه من يحترم عقله وكان عنده مَسْــكة من حياء وإنصاف.

وتزعم الأخبار أنهم خاضوا زُهاءَ (٩٠) زحفاً، واقتتلوا شــهر ذي الحجة جميعه، وربما اقتتلوا في اليوم مرتين. وفصَّلَتْ شؤونَ القتال في (عشرة أيام فاصلة) آخرها ما عُرف باســم (ليلــة الهَرير)، التي جنح فيهــا خيالُ الرواة والأخباريين فذكروا أنه في تلك الليلة (اقتتل الفريقان بالرماح حتى تقصَّفت، وبالنِّبال حتى فنيتْ، وبالســيوف حتى تحطّمتْ، ثم صــاروا إلى أن تقاتلوا بالأيدي والرمي بالحجارة والتراب في الوجوه، وتعاضّوا بالأســنان: يقتتل الرجلان حتى يُثْخَنا، ثم يجلســان يســتريحان، وكل واحد منهما يَهْمِر على الآخر ويَهْمِر عليه، ثم يقومان فيقتتلان كما كانا!).

•• والألم المُمِضّ الذي يدعو للأسى والحزن والرثاء لهذه الأمة والتاريخ والحقيقة: أن (تلك الأخبار الفاســدة التالفة الطائشــة) قد تســلَّلتْ إلى كتب مؤرِّخينا الكبار، وأمســت (كأنها وثيقة تاريخية)، اعتمد عليها وأسَّسَ وأصَّلَ مَن جاء بعدهم جيلاً بعد جيل إلى زماننا، وتلقَّفها كلُّ حاطب ليل وذي هوى وبغضاء وجمَّاع غُثائي، لا تهمّه الحقيقة ولا يأبَه بأقدار الرجال الذين يترجم لهم ولا التاريخ الذي يكتب عنه!.

حتــى طغت تلــك الأخبار علــى الســاحة الثقافية، واخترقــت الكتب المدرسية، وســمَّمت عقولَ المدرّســين البسطاء والناشــئة الضحية، وكانت حديث الأسمار والبَطَّالين.

●● وهذه الأخبار تجدهـا في: تاريخ الطبري، والمنتظم لابن الجوزيّ، والكامل لابن الأثير، وتاريخ الإسلام للذهبي، وتاريخ ابن عساكر، والبداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ اليعقوبي، ومروج الذهب للمسعودي، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، والإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة، وكتب نَصْر بن مُزاحم وأبي مِخْنَف وهشام الكلبي والواقدي وأمثالهم.

ونقله كثير من المعاصرين من أمثال عبدالكريم الخطيب في كتابه «علي»، و«الفتنة» لهشام جعيط، و«الإمام القائد» لبسام العسلي، و«عبقرية علي» للعقّاد، و«الفتنة الكبرى» لطه حسين، و«خلفاء الرسول» لخالد محمد خالد، و«الإمام علي» لإبراهيم بيضون، و«أبو تراب» لطلال الجنابي، و«فضائل علي» لمحمد جواد مغنية... وهي أمثلة تشير إلى الكثير الذي لا يدخل تحت حصر!.

والدكتور الفاضل علي الصلابي على عادته في جمع الأخبار، يقول في بعض نُقوله بشأن صفين: (وقام عمرو بن العاص بإخراج الأسلحة من المخازن لمن يحتاج من الرجال ممن فَلَّ سلاحُه، وهو يحرِّض الناس على الاستبسال في القتال)[1]! ثم أحال على «سنن سعيد بن منصور» وقال: ضعيف!.

فلا أدري لماذا يسوقه إذاً ـ مع ضَعْفه ـ ويعرضه بهذه (الصور الدرامية!) قائلاً: (قام عمرو بإخراج الأسلحة من المخازن)، فأية مخازن وأية أسلحة هذه يا ترى؟!.

●● وموقفنا من هذه الروايات والأخبار ردُّها ونقضُها ورفضُها على وجه الإجمال، لا نفيها كلها، ونعتمد في هذا على نقدها سنداً ومتناً؛ فنقول:

عامة هذه الأخبار يرويها أبو مِخْنَف لوط بن يحيى، وبعضها رواه

(١) كتابه: علي بن أبي طالب، ص٦٠٠.

نصر بن مُزاحم، والقليل عن عَوَانة بن الحكَم وهشام بن محمد بن السائب الكلبي.

وأبو مخنف: أخباري تالف لا يُوثَق به، شيعي محترِق صاحب أخبارهم.

ونصر بن مزاحم: رافضي جَلْد، تركوه، ورماه بعضهم بالكذب.

وعوانة بن الحكم: متهم بالوضع.

وهشام بن محمد الكلبي: متروك رافضي، ليس بثقة(١).

ثم إن أغلب روايات هؤلاء المتروكين المتَّهَمِين مرسَلات ومُعضَلات ومنقطعات، وفي النادر تكون أخبارهم مسنَدة عمن عاصر الوقعة أو شهدها.

فهذه الأخبار الكثيرة المفصَّلة قد اجتمع فيها ضعفُ الرواة الشديد، وضعفُ الأسانيد من حيث الاتصالُ؛ فهي ضعف على ضعف.

والأخبار التي جاءت من غير طريقهم نادرة جدّاً، ويَغلب عليها الضعفُ والوَهَاء، والقليل منها مقبول أو مستقيم حسن أو صحيح.

هذا من حيث الإسناد.

أما من حيث المتنُ: فهي مردودة بأحاديث كثيرة صحيحة، وأخبار حسنة جيدة، وحقائق ثابتة، يمكن إيجازها فيما يلي:

١ ـ علمُ الصحابة والتابعين بحرمة دم المسلم، ووقوفُهم عند التحذير النبوي، وخشيتُهم من سفك دم بشبهة؛ فعن أبي بَكْرة قال: (سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إذا تواجَهَ المسلمانِ بسيفَيْهِما، فالقاتلُ والمقتولُ في النار**» فقلتُ: يا رسول الله، هذا القاتلُ فما بالُ المقتولِ؟ قال: «**إنه قد أرادَ قَتْلَ صاحبِه**»!)(٢).

---

(١) ترجمتهم في: ميزان الاعتدال، ولسان الميزان، وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري (٣١)؛ ومسلم (٢٨٨٨)؛ وأبو داود (٤٢٦٨)، وغيرهم.

وعن عبد الله بن عُمر: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ حَمَل علينا السلاحَ فليس منَّا**»(١).

والأحاديث في هذه كثيرة شهيرة.

٢ ـ كان القتال قتالَ فتنةٍ، وقد روى غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم في إبَّان الأحداث الأحاديثَ التي تحضُّ على القعود في الفتنة واعتزالها وعدم السعي فيها وإليها، ومن أبرز الأدلة موقف أبي موسى الأشعري حيث حدث الناسَ، بقول رسول الله ﷺ:

«**إنَّ بين يدَي الساعة فِتناً كقِطع الليل المظلم، يُصبح الرجل فيها مؤمناً ويُمسي كافراً، ويُمسي مؤمناً ويُصبح كافراً؛ القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي! فكَسِّروا قِسِيَّكُم، وقطِّعوا أوتاركم، واضْرِبوا بسيوفكم الحجارةَ، فإنْ دُخِل على أحدِكم فليكُنْ كخيرِ ابنَيْ آدمَ**»(٢).

ولهذه الأحاديث اعتزل القتالَ جماعةٌ من أكابر الصحابة والسابقين، وحضوا على ذلك، منهم أبو موسى وأبو بَكْرة وسعد بن أبي وقّاص وأسامة بن زيد وعبد الله بن عُمر، وغيرهم.

٣ ـ غاية الطرفين لم تكن المواجهةَ والقتالَ، فأمير المؤمنين علي خرج لإدخال أهل الشام في البيعة والطاعة، ومعاوية في أهل الشام أصرُّوا على المطالبة بإقامة الحدِّ على قتلة عثمان، وعندما بُدِئوا بالقتال دفعوا الصِّيالَ عن أنفسهم.

٤ ـ طولُ مدة المراسلات وكثرةُ الرسل وترددهم بين الفريقين؛ تبين حرصَهم على عدم المواجهة والقتال وإراقة الدماء وقتل الأنفس.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٧٠)؛ ومسلم (٩٨)، وغيرهما.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٥٩)؛ وابن ماجه (٣٩٦١)، وغيرهما، وصحَّحه الألباني.

٥ ـ ويؤكّد ذلك أنهم تداعوا إلى وقف القتال طيلة شـهر المحرم، رجاء أن يتم الصلح، ويتجنب الفريقان مواجهة دامية.

٦ ـ حَرَص عليٌ ومعاويـةُ رضي الله عنهما على الكَفّ عن القتـال، وقد كانا أطلبَ لكفِّ الدماء من أكثر المقتتلين، لكـنْ غُلبا فيما وقع، والفتنة إذا ثارت عجز الحكماء عن إطفاء نارها[1].

٧ ـ ويؤكد ذلك أوامـرُ علي جيشَـه أن لا يبدؤوا أهل الشـام بالقتال، ووصاياه المتكررة بأن لا يُتبع مدبِر ولا يُجْهَز على جريح ولا يُقتل أسير ولا يُسلب.

٨ ـ طلبُ جماعةٍ كبيرة مراراً من عليٍّ أن يرسِل إلى الأشتر النخعي يأمره بأن يَكفَّ سلاحه ويتوقف عن القتال، وقد فعل أمير المؤمنين علي، لكن ذاك الأشتر اسـتمرأ القتال طمعاً بالنصر كما يزعم، حتى قال أولئك لعليٍّ: كأنك أرسلتَ إليه تأمره بالقتال!.

٩ ـ وكذلك فإن قرَّاء أهل العراق وقرَّاء أهل الشام عسكروا ناحية وكانوا قريباً من ثلاثين ألفاً، وكانوا يحجزون بين الفريقين عند حدوث المناوشـات والقتال.

١٠ ـ ومن الأدلة القوية على عدم الرغبة في القتال والاسـتمرار فيه؛ أن أهل الشام (رفعوا المصاحف) للتحاكم إليها، فأجاب إلى ذلك أمير المؤمنين وعامة أهل العراق، ما عـدا أولئك السـبئيين الوالغين في الفتنـة الراغبين باستمرار الخلاف والقتال.

من جميع ما قدمنـاه يتبين بحـقٍّ أن الرغبة فـي القتال والحماسـة له والاستمرار فيه، لم يكن من هدي أمير المؤمنين علي ووالي الشام معاوية ولا

---

(١) منهاج السُّنَّة: ١٢٥/٣.

من فعل الصحابة والتابعين لهم بإحسان، بل من تدبير وتأجيج السبئية وقتلة عثمان والغوغاء، ولهم في ذلك سوابق من أيام مقتل عثمان وأحداث البصرة ووقعة الجمل!.

(والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء، فصار الأكابر ﷺ عاجزين عن إطفاء الفتنة وكَفِّ أهلها، وهذا شأن الفتن كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥]، وإذا وقعت الفتنة لم يَسْلم من التلوث بها إلا من عصمه الله)[١].

٧ ـ وقفة مع الأرقام الكبيرة:

وردت في أخبار وقعة صفين روايات تذكر (أرقاماً كبيرة ضخمة)، حول عدد الوقعات والمواجهات، وطول أمد الحرب، وعدد قتلى الطرفين، ونحو ذلك، نشير إليها في هذه الفقرة، ونبين وجه الحق فيها:

أ ـ عدد الذين قتلهم أمير المؤمنين علي:

روى عَمْرو بن شَمِر، عن جابر الجُعْفِي، عن نُمير الأنصاري: أن علياً قتل في يوم واحد زيادة على خمسة مئة رجل[٢].

وذكر المسعودي الخبر فقال: (وكانت ليلة الجمعة ـ وهي ليلة الهرير ـ فكان جملة من قتل علي بكفِّه في يومه وليلته: خمس مئة وثلاثة وعشرين رجلاً)[٣].

قال ابن كثير بعد أن روى الخبر بطوله: هذا إسناد ضعيف وحديث منكر.

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٥٢/٣.

(٢) البداية والنهاية: ٢٦٤/٧.

(٣) مروج الذهب: ٣٠٣/٢.

نقول: بل هو خبر خرافة لا يصدقه عاقل؛ فعَمْرو بن شَمِر: متروك ليس بثقة، متهم بالوضع، وقال ابن حِبَّان: رافضي يشتم الصحابة! وشيخُه جابر الجعفي: ضعيف رافضي، قال أبو حنيفة: ما لقيتُ أكذبَ من جابر الجعفي!.

والخبر ينافي العقل والمنطق؛ فقَتْلُ هذا العدد في يوم واحد يعني أن عليّاً يقتل في كل (ثلاث دقائق) رجلاً، وكأنهم مصطفّون أمامه يأخذ بأعناقهم واحداً تلو الآخر!.

بل إن هذا فيه شَيْن على أمير المؤمنين علي، وحاشاه أن يستخفَّ بدماء المسلمين المخالفين حتى يُهريق دماءهم بهذه السهولة، وما عَلِمنا له ذلك في وقائعه مع كفار قريش، ولا نرتاب في ورعه وتحريه وخشيته من سفك دم فيه شبهة، فأيُّ مديحٍ لعليٍّ في هذا؟!.

ب ـ مدة القتال وعدد الزحوف والوقعات:

ذكرت الأخبار أن الفريقين خاضوا معارك كثيرة، وصلت إلى (٧٠) زحفاً، وبلَّغها بعضُهم إلى (٩٠) وقعة في (١١٠) أيام[١].

ونقله غير واحد من المعاصرين؛ منهم الدكتور أكرم العمري[٢]، والدكتور علي الصلابي ووصف تفصيل القتال وضراوته[٣]! وذكرتُها أنا ـ قديماً ـ في كتابي «الخلفاء الراشدون»[٤]، وأنا اليوم أبرأُ منها!.

وهذا الخبر مدارُه على نصر بن مزاحم وأبي مِخْنَف، وحالُهما من التَّرْك والوَهَاء معروف. وقد عارضه خبر نظيف بإسناد صحيح عن

(١) تاريخ اليعقوبي: ٨٧/٢؛ مروج الذهب: ٢٧٥/٢؛ المنتظم: ١٢٠/٥، ١٢٣؛ وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ٢٠٢؛ البداية والنهاية: ٢٧٥/٧.

(٢) كتابه: عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨.

(٣) كتابه: علي بن أبي طالب، ص ٦٠٠ ـ ٦٠٤.

(٤) ص ٥٨٧، ٥٩٣.

صحابي شـــهد الوقعة هو عبدالرحمن بن أَبْزَى، قال: (شـــهدنا مع علي ثمان مئة ممـــن بايع بيعة الرضوان، فاقتتلوا يـــوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعة وليلة السبت، ثم رُفعت المصاحف ودَعَوا إلى الصلح)[١].

وهذا هو الحـــق واللائق بحـــال الصحابـــة والتابعين الخيِّريـــن، الذين يحرِصون على الصلح ويتحامَوْن عن ســـفك الدماء، ويتورَّعون عن الشبهات في الأمور الصغيرة فما بالك بالنفس المحرَّمة؟!.

والعجبُ من أئمتنا ومؤرِّخينا كيف يَغفُلون عـــن خبرٍ صحيح ينقله إمام محدث مؤرخ من شـــيوخ البخاري ـ أعني خليفةَ بن خيَّاط ـ ويعمدون إلى نصر بن مزاحم وأبي مخنف وأمثالهما فينقلون عنهم! والعجبُ مســـتمرٌ من الكتَّاب المعاصرين حيث يقلِّدون من سبقهم ويروِّجون لتلك الأخبار التالفة، التي تصوِّر الصحابة والتابعين وكأنهم هواة قتال وقتل وإزهاق أنفس!.

ج ـ أعداد القتلى:

بالغ المؤرخـــون في تضخيم عـــدد القتلى أيام صفين ـ كمـــا بالغوا في عددهم يوم الجمل ـ فنقـــل خليفة بن خياط فقال: (وافترقوا[٢] على ســـبعين ألف قتيل: خمسة وأربعين ألفاً من أهل الشام، وخمسة وعشرين ألفاً من أهل العراق. ويقال: على ســـتين ألفاً). وروى عن محمد بن ســـيرين قال: (افترقوا عن سبعين ألفاً يُعَدُّون بالقَصَب)[٣].

---

(١) تقدم: ص ٦٠٥ في هذا الكتاب.

(٢) ظن الدكتور أكرم العمري ـ في كتابه: عصر الخلافة الراشـــدة، ص ٤٧٢ ـ أن هذا الكلام تتمة خبـــر عبدالرحمن بن أبزى الذي قدمناه، وليس كذلك؛ بدليـــل قوله في نهاية الخبر: (ويقال)، فهل يقول من شهد الوقعة: (ويقال)؟ فالكلام هنا لخليفة بن خياط.

(٣) تاريخ خليفة، ص ١٩٤.



ونقل مثلَه يعقوب بن سفيان الفَسَوي(١).

ومشى على هذا غير واحد، منهم: المسعودي، وابن الجوزي، والذهبي، وابن كثير(٢).

وجازف المسعودي مجازفة طائشة فذكر في «تاريخه»: أن معاوية خرج في جيش عِدَّته (خمسة وثمانون ألفاً)، ثم لما تحدث عن عدد القتلى ذكر أن قتلى أهل الشام كانوا (تسعين ألفاً)(٣)؛ أي: إن عدد القتلى أكثر من عدد الجيش الأصلي!.

وهذه الأرقام مبالغ فيها جدّاً، وغير معقولة، يأباها الواقع التاريخي والنقد العلمي:

أما **الواقع التاريخي**: فالقتال استمر ثلاثة أيام كما قدمنا في الرواية الصحيحة، ولا يُعقل أن يُقتل مثلُ ذاك العدد الهائل في هذه المدة، فمعركةُ اليرموك مثلاً لم يستشهد فيها من المسلمين سوى ثلاثة آلاف، مع اتساع وقت القتال، وشراسة الأعداء، وكثرة أعداد الجيشين. ومعركة القادسية استمرت أربعة أيام وثلاث ليالٍ، وجملة مَن استشهد فيها من المسلمين (٨٥٠٠) نفس.

وأما **النقد العلمي**: فإن القوم كانوا يتقاتلون بأسلوب بدائي، بالنبال والرماح والسيوف، وكثير منهم كان يتحامَى القتالَ إلا مضطرّاً، ما عدا السبئية الذين كانوا يوقدون الفتنة.

---

(١) المعرفة والتاريخ: ٤٠٤/٣.

(٢) مروج الذهب: ٢٧٥/٢؛ المنتظم: ١٢٠/٥؛ تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص ٥٤٥؛ البداية والنهاية: ٢٧٥/٧.

(٣) مروج الذهب: ٢٩٢/٢، ٣٠٦.

وهذا العدد الكبير لا يسقط مثله في الحروب الحديثة في أيام، مع استخدام الأسلحة الثقيلة كالمدفعية والصواريخ والطائرات، والشواهد على هذا كثيرة[١].

وعلى هذا فإن عدد القتلى لا يصل إلى عُشْر العدد الذي ذكره أولئك الأخباريون، ووقوع (ثمانية آلاف قتيل) من الفريقين، في ظروف القتال وأساليب المواجهة التي أوضحنا ـ يعتبر «مقتلة عظيمة» كما أشار إليها الحديث الصحيح.

وقد حمل جماعة من العلماء هذا الحديث على وقعة صفين.

ثامناً: قصة التحكيم (تجلية حقائق، وكشف زيوف):

●● تمهيد:

لما رأى أكابر الصلحاء والخيِّرين أن الحرب تتسع دائرتها، وأهلَ الفتنة من السبئيين وقتلة عثمان يؤججون نارها، وتكون الغلبة لهذا الفريق تارة ولذاك الفريق أخرى ـ لَمَعَتْ في عقل عمرو بن العاص ﷺ فكرةُ (رفع المصاحف) ودعوة الطرفين إلى التحاكم إليها والخضوع لحكمها، تماماً كما فعلت الصديقة أم المؤمنين عائشة يوم الجمل عندما أعطت كعبَ بن سُوْر مصحفاً وأمرَتْه أن يرفعه ويدعو الناس إليه.

رفع أهل الشام (٥٠٠) مصحف على الرماح[٢] ودعَوا الناس إليها، فلما رأى المتحاربون المصاحف الشريفة مرفوعة أوقفوا القتال و(بَطَلت الحرب)، كما يروي أحد مؤرخي تلك الفتنة[٣].

---

(١) انظر ما قدمناه: ص٥٢٦ ـ ٥٢٨ في هذا الكتاب؛ وكتابي: نبوءات الرسول ﷺ: ٢/٩٤ـ٩٥.
(٢) مروج الذهب: ٢/٣٠٣؛ الأخبار الطوال، ص ١٨٩؛ عصر الخلافة الراشدة، ص٦٥ـ٦٦.
(٣) وقعة صفين، لابن مزاحم، ص ٤٧٩.

ولم يكُ ذلــك صدفة ولا مفاجأة، فإيقافُ القتــال وحقن الدماء وتحقيق الصلح أمــور يتمناها عامة رجــال الطرفين كما قدمنا مــن مواقف وأحداث ومراســلات، ويؤكده ويدل عليه مواقف زعماء الفريقين وصلحائهم، وأغلب الناس تبع لهم.

١ ـ بدء التحكيم والمنادي به، ورغبة الطرفين فيه واستجابتهم له:

يروي أبو مِخْنَــف لوط بن يحيــى: أن عَمْرو بن العــاص عرض على معاوية رفــع المصاحف والدعوة إلى حكمها، (فرفع أهلُ الشــام المصاحف بالرماح وقالوا: هذا كتابُ الله ﷻ بيننا وبينكم، مَنْ لثغور أهل الشام بعد أهل الشام؟! ومَن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق؟! فلما رأى الناس المصاحف قد رُفعتْ، قالوا: نُجيب إلى كتاب الله ﷻ ونُنيب إليه)[1].

وتشــير عدة روايات إلى رغبة العراقيين وجماعة من أكابر زعمائهم في إيقاف القتال وحقن الدماء، وهو مما مهَّد لقبول التحكيم فور إعلانه، **يسوق هذه الأخبار نصر بن مزاحم، نوردها عنه لأنــه رافضيٌّ جَلْد، ونحتجُّ به على المفترين والأفاكيــن والجماعين الذيــن اتهموا عمرو بن العــاص بالخداع والمكر والمكيدة في (رفع المصاحف)!.**

١ ـ يروي نصر بن مزاحم، عن تميم بن حِذْيَم قال: (لمَّا أصبحنا من ليلة الهرير، نظرنا فإذا أشباهُ الرايات أمام أهل الشام في وسط الفَيْلق، حِيال موقف علي ومعاوية، فلما أسفَرْنا إذا هي المصاحف قد رُبِطت في أطراف الرماح).

ثم يقول: (اســتقبلوا عليّاً بمئة مصحف، ووضعوا في كل مُجَنِّبَة[2] مئتي مصحف، فكان جميعها خمس مئة مصحف. ثم قــام الطُفيل بن أدهم حِيالَ

---

(١) تاريخ الطبري: ٤٨/٥؛ المنتظم: ١٢١/٥.

(٢) **المُجَنِّبَة**: ميمنة الجيش وميسرته.

علي عليه السلام، وقام أبو شُريح الجذامي حيال الميمنة، وقام ورقاء بن المعمَّر حيالَ الميسرة، ثم نادوا: يا معشر العرب، اللهَ اللهَ في النساء والبنات والأبناء من الروم والأتراك وأهل فارس غداً إذا فَنِيتم! اللهَ اللهَ في دينكم! هذا كتابُ الله بيننا وبينكم).

٢ ـ ويروي ابن مزاحم بإسناده: عن جابر الجُعْفي، عن أبي جعفر الباقر؛ خبراً فيه وصفٌ لشدة القتال، وفي آخره:(ونادت المشيخةُ في تلك الغَمَرات: يا معشرَ العرب، اللهَ اللهَ في الحُرُمات من النساء والبنات! قال جابر: فبكى أبو جعفر وهو يحدثنا بهذا الحديث)[١].

٣ ـ ويروي أيضاً عن أحد السادة الكبار والحكماء الصادقين ممن كان في قيادات جيش علي؛ وهو الأشعث بن قيس: أنه خطب في قومه ليلة الهَرِير فكان مما قاله:

(قد رأيتم يا معشرَ المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي، وما قد فني فيه من العرب؛ فوالله لقد بلغتُ من السنِّ ما شاء الله أن أبلُغَ، فما رأيتُ مثل هذا اليوم قط! ألا فلْيُبلِّغ الشاهدُ الغائب؛ إنا نحن إنْ تواقَفْنا[٢] غداً إنه لفناءُ العرب وضَيعة الحُرُمات! أَمَا والله ما أقول هذه المقالة جزعاً من الحرب ولكني رجل مسنّ أخاف على النساء والذراري غداً إذا فَنِينا. اللَّهمَّ إنك تعلم أني قد نظرتُ لقومي ولأهل ديني فلم آلُ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)[٣].

فهذه روايات عراقية كوفية لا ذكْر فيها لعمرو بن العاص، ولا ما زُعم من مكيدة ومكر وخديعة، بل رغبة صادقة من الأخيار الحُرَصاء على مصلحة الإسلام وحقن الدماء.

---

(١) وقعة صفين، ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠؛ شرح نهج البلاغة: ١/٤٥٤ ـ ٤٥٥.
(٢) أي: للقتال.
(٣) وقعة صفين، ص ٤٨١؛ شرح نهج البلاغة: ١/٤٥٦.



٤ ـ وتناهت هذه المواقف وبخاصة خطبةُ الأشعث إلى معاوية ﵁ فقال: (أصاب وربِّ الكعبة، لئنْ نحن التقينا غداً لتميلَنَّ الروم على ذَرارِيِّ أهل الشام ونسائهم، ولتميلَنَّ فارسُ على ذراريِّ أهل العراق ونسائهم! إنما يبصر هذا ذوو الأحلام والنُّهى. ثم قال لأصحابه: اربطوا المصاحف على أطراف القَنَا).

٥ ـ وثار أهلُ الشام في سواد الليل ينادون عن قول معاوية وأمره: يا أهلَ العراق، مَن لذراريِّنا إنْ قتلتمونا، ومن لذراريِّكم إنْ قتلناكم؟! اللهَ اللهَ في البقية!.

وأصبحوا وقد رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح، وقد قلّدوها الخيل، والناس على الرايات قد اشتهوا ما دُعُوا إليه، وهم ينادون أهل العراق: كتاب الله بيننا وبينكم.

واعترض بعض مساعير الفتنة على هذا، ومنهم عَمْرو بن الحَمِق والأشتر النخعي وهما من رؤوس المشاركين في قتل عثمان، وحَضّا عليّاً على رفض الصلح والاستمرار في القتال! فغضب الأشعث بن قيس وقال: (يا أمير المؤمنين، أجِب القومَ إلى كتاب الله ﷻ، فإنك أحقُّ به منهم، وقد أحَبَّ الناس البقاء، وكرهوا القتال).

فقال علي: هذا أمرٌ يُنظر فيه. فتنادى الناس من كل جانب: الموادعة[١]!.

٦ ـ ثم إن أهل الشام لمّا أبطأ عنهم عِلمُ حالِ أهل العراق: هل أجابوا إلى الموادعة أم لا؟ جَزِعوا فقالوا: يا معاوية، ما نرى أهلَ العراق أجابوا إلى ما دعوناهم إليه، فأَعِدْها جَذَعة[٢]، فإنك قد غمرتَ بدعائك القوم وأطمعتَهم فيك.

---

(١) وقعة صفين، ص ٤٨١ـ٤٨٤؛ شرح نهج البلاغة: ١/٤٥٦ـ٤٥٧.
(٢) أي: أعدها مرة أخرى كما بدأت.

فدعا معاوية عبدَ الله بن عمرو بن العاص، فأمــره أن يكلم أهل العراق، ويستعلمَ له ما عندهم، فأقبل حتى إذا كان بين الصفين نادى: يا أهل العراق، أنا عبدُ الله بن عمرو بــن العاص، إنه قد كانت بيننا وبينكــم أمورٌ للدين أو الدنيا، فإن تكن للدين فقد ـ والله ـ أَعْذَرْنــا وأَعذرتم، وإن تكن للدنيا فقد ـ والله ـ أسرَفْنا وأسرفتُم، وقد دعوناكم إلى أمر لو دعوتمونا إليه لأجبناكم، فإنْ يجمعنا وإياكم الرضا فذاك من الله، فاغتنموا هذه الفرصة)[١].

٧ ـ واستمر الأشعث بن قيس في الســعي للصلح وجاء إلى علي ﷺ فقال: (يا أمير المؤمنين، ما أرى الناسَ إلا قد رضُوا وسرَّهم أن يجيبوا القوم إلى ما دَعَوْهم إليه من حكم القرآن، فإنْ شئتَ أتيتُ معاويةَ فسألتُه ما يريد، ونظرتُ ما الذي يســأل؟ قال: فأْتِه إن شئتَ. فأتاه، فســأله: يا معاوية، لأيِّ شــيء رفعتم هذه المصاحف؟ قال: لنرجعَ نحن وأنتم إلى ما أمر الله به في كتابه، فابعثوا رجلاً منكم ترضَوْن بــه، ونبعث منا رجلاً، ونأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله ولا يَعْدُوانِه، ثم نتَّبع ما اتفقا عليه. فقال الأشــعث: هذا هو الحق.

وانصرف إلى علــيٍّ فأخبره، فبعث علــيٌّ قرَّاءً من أهــل العراق، وبعث معاوية قرّاءً من أهل الشام، فاجتمعوا بين الصفَّين ومعهم المصحف، فنظروا فيه وتدارســوه، واجتمعوا على أن يُحْيُــوا ما أحيا القــرآن ويُميتوا ما أمات القرآن، ورجع كل فريق إلى صاحبه. فقال أهل الشــام: إنَّا قد رضينا واخترنا عمرو بن العاص، وقال الأشــعث والقرّاء الذين صاروا خوارج فيما بعد: قد رضِينا نحن واخترنا أبا موسى الأشعري)[٢].

---

(١) وقعة صفين، ص ٤٨٤؛ شرح نهج البلاغة: ٤٦٠/١.
(٢) وقعة صفين، ص ٤٩٨؛ شــرح نهج البلاغة: ٤٦٥/١ـ٤٦٦؛ تاريخ الطبري: ٥١/٥؛ مروج الذهب: ٣٠٤/٢.



•• وتؤكد رواية صحيحة أن أمير المؤمنين علياً قد سُــرَّ بالصلح ورضي بالتحكيم وحَرَص عليه، ونعى على القرّاء ـ الذين صاروا فيما بعد خوارج ـ وقرَّعَهم على رغبتهم في استمرار القتال ومخالفتهم له في قبول التحكيم.

عن أبي وائل شقيق بن سَــلَمة قال: (إنه لمَّا استحرَّ القتل في أهل الشام بصفين، اعتصم معاوية وأصحابه بجبل، فقال عمرو بن العاص: أَرسِــلْ إلى علــيٍّ بالمصحف، فلا والله لا يردُّه عليك. قال: فجــاء به رجل يحمله ينادي: بيننا وبينكم كتاب الله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [آل عمـران: ٢٣]! قــال: فقــال عليٌّ: نعم، بيننا وبينكم كتاب الله، أنــا أَوْلى به منكم. قال: فجاءت الخوارج وكنا نســمِّيهم يومئذٍ القرَّاء، قال: فجاؤوا بأســيافهم على عواتقهم، فقالوا: يا أمير المؤمنين، ألا نمشي إلى هؤلاء القوم حتى يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقام سَــهْل بن حُنيف فقال: أيها الناس، اتَّهِموا أنفسَكم! لقد كنا مع رسول الله ﷺ يــوم الحديبية ولو نَــرى قتــالاً لقاتَلْنا، وذلك فــي الصلح الــذي كان بين رســول الله ﷺ وبين المشــركين)... وذكر قصة عمر بن الخطاب ومعارضته لصلح الحديبية ونزولَ سورة الفتح على النبي ﷺ، فقال علي مخاطباً أولئك القوم الذين اعترضوا علــى قبوله التحكيم: (أيها النــاس، إنَّ هذا فتحٌ! فقبِل عليٌّ القضية، ورجع، ورجع الناس)[1].

وهي لفتة رائعة من أمير المؤمنين علي باقتدائه بالنبي ﷺ، حيث صالح المشــركين يوم الحديبية، فأحرى بعليٍّ أن يصالح إخوانَه المســلمين الذين خالفوه في الاجتهاد، وكما كان صلح الحديبية فتحاً، فكذلك صلحُه مع أهل الشام فتحٌ أيضاً!.

(١) مصنف ابن أبي شــيبة: ٨/٧٣٦ـ٧٣٧؛ مســند أحمد: (١٥٩٧٥)؛ السنن الكبرى، للنسائي (١١٤٤٠)؛ وأصله في البخاري (٣١٨١)؛ ومسلم (١٧٨٥).

وأكَّد رأيَه الصحابيُّ الجليل سَهْل بنُ حُنَيْف الذي نعى على مَن خالف أمير المؤمنين فقال: (اتهموا أنفسكم...)، وذكر لهم ما وقع لهم بالحديبية، وأنهم رأوا يومئذٍ أن يستمروا على القتال ويخالفوا ما دُعُوا إليه من الصلح، ثم ظهر أن الأصلح هو الذي كان شَرع النبي ﷺ فيه. وقد أعقب خيراً كثيراً، وظهر أن رأيَ النبي ﷺ في الصلح أتمُّ وأحمدُ من رأيهم في المناجزة[1].

فكذلك هو الحال في قبول (التحكيم) والصلح مع أهل الشام: فيه حقنُ دماء المسلمين وإعادةُ الوحدة إلى صفوفهم، وهذا أتمُّ وأحمدُ من العودة للمناجزة والقتال!.

●● واستمر عامة العراقيين على مثل رأي أمير المؤمنين علي في قبول الصلح وإمضاء التحكيم، ولم يخالف إلا مُثيرو الفتنة والسبئية ممن هم على شاكلة الأشتر النخعي وأتباعه، ويؤكد ذلك ما رواه التابعي الجليل أبو وائل شقيق بن سَلَمة في بعض طرق الحديث المتقدم، يقول:

(لمَّا قدِمَ سَهْل بن حُنيف من صِفِّين، أتيناه نستخبرُه، فقال: اتَّهِموا الرأيَ، فلقد رأيتُني يومَ أبي جَنْدَل ولو أستطيعُ أن أردَّ على رسول الله ﷺ أمرَه لَردَدْتُ، والله ورسولُه أعلمُ. وما وضَعْنا أسيافَنا على عواتقنا لأمرٍ يُفْظِعُنا؛ إلا أَسْهَلْنَ بنا إلى أمرٍ نعرفُه، قبل هذا الأمر: ما نَسُدُّ منها خُصْماً إلا انفجَرَ علينا خُصْمٌ ما ندري كيف نأتي له!)[2].

قال الأعمش: سألتُ أبا وائل: شهدتَ صِفِّينَ؟ قال: نعم. وذكر حديثَ سهل بن حنيف، ثم قال أبو وائل: (شهدتُ صفِّينَ وبِئْسَتْ صِفُّونَ!)[3].

---

(١) الفتح: ٧٨٩/٧ (٣١٨١)، ٦٦٥/١٠ (٤٨٤٤)؛ نبوءات الرسول ﷺ: ٢/ ١٠٢-١٠٣.

(٢) أخرجه البخاري (٤١٨٩). **يوم أبي جندل**: أراد به يوم الحديبية، وقصة أبي جندل يوم الحديبية مشهورة. **خُصْم**: جانب.

(٣) أخرجه البخاري (٣١٨١) و(٧٣٠٨)، وكلها أطراف لحديث واحد.



فهذه الروايات الصحيحة الثابتة في الصحيحين وغيرهما، تؤكد قبولَ أهل العراق وأهل الشام وعلى رأسهم علي ومعاوية؛ لخيار الصلح وإمضاء التحكيم. وتدحضُ الأخبار التالفة والمجازفات والكلامَ المرسَل بلا سند؛ بأن ذلك كان خدعةً من عمرو بن العاص ومكيدةً منه، وإنقاذاً لموقف الشاميين الذين ضعفوا وكادوا أن يولُّوا مدبرين، مما شاع في التاريخ قديماً وحديثاً، حتى غدا كأنه حقيقة ثابتة لا تقبل الردّ، وما عداها من حقائق ثابتة أمست مطموسة لا يعلم بها كثير من الناس!.

٢ ـ روايات ساقطة حول موقف الطرفين من التحكيم:

مضت روايات كثيرة في طريقها التائه تدبِّج الكذبَ والافتراء على علي ومعاوية وأهل العراق وأهل الشام، وجَمَح الهوى بالأخباريين والمؤرخين فأوردوا روايات مطولة تزعم أن عليّاً رفض التحكيم وأَنَّبَ مَن قَبِله من أتباعه واتَّهم الشاميين وعلى رأسهم معاوية وعمرو بالكذب والتدجيل والشر والفساد والسعي في الضلال ومخالفة أحكام القرآن، وأنه دعا إلى الاستمرار في المناجزة والقتال...

ووَصَمتْ تلك الأخبار معاوية وعمراً وأهل الشام بكل نقيصة ودناءة وخديعة ومكر وجُبْن وخُبث وكيدٍ للإسلام وأهله وسعيٍ وراء مآربَ شخصية ومطامع في الرياسة وعبثٍ بمصالح الإسلام والمسلمين...

روى أبو مخنف: أن عليّاً قال: (عبادَ الله، امضُوا على حقكم وصدقكم وقتالِ عدوكم، فإن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي مُعَيط وحَبيب بن مَسْلمة وابن أبي سَرْح والضحّاك بن قيس؛ ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعْرَفُ بهم منكم، قد صحبتُهم أطفالاً وصحبتُهم

رجالاً: فكانوا شرَّ أطفال وشرَّ رجال. ويحكم! إنهم ما رفعوها ثم لا يرفعونها ولا يعملون بما فيها، وما رفعوها لكم إلا خديعةً ودَهْناً ومكيدة!)(١).

وروى نصر بن مزاحم بإسناده قال: (لمَّا نظر عليٌّ إلى رايات معاوية وأهل الشام قال: والذي فَلَق الحبة وبرأَ النَّسَمة، ما أَسلموا ولكن استسلموا، وأسرُّوا الكفر! فلما وجدوا عليه أعواناً، رجعوا إلى عداوتهم لنا، إلا أنهم لم يتركوا الصلاة)(٢).

وروى نصر أيضاً: أن القرَّاء طلبوا من علي قبولَ التحكيم، فردَّ عليهم موضحاً حقيقة أهل الشام: (إني إنما قاتلتُهم لِيدينوا بحكم القرآن، فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم، ونقضوا عهده، ونبذوا كتابه! ولكني قد أعلمتُكم أنهم قد كادوكم، وأنهم ليس العملَ بالقرآن يريدون)(٣).

وفي رواية لأبي مِخْنَف قال: (فلما رأى عمرو بنُ العاص أن أمرَ أهل العراق قد اشتد، وخاف في ذلك الهلاكَ؛ قال لمعاوية: هل لك في أمر أعرِضُه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فُرقة؟ قال: نعم، قال: نرفع المصاحف ثم نقول: ما فيها حَكَمٌ بيننا وبينكم، فإن أبَى بعضهم أن يَقبلها وجدتَ فيهم من يقول: بلى ينبغي أن نقبل، فتكون فُرقة تقع بينهم، وإن قالوا: بلى نقبل ما فيها، رفعنا هذا القتال عنّا وهذه الحرب إلى أجل أو إلى حين. فرفعوا المصاحف بالرماح)(٤).

---

(١) تاريخ الطبري: ٤٨/٥ـ٤٩؛ الكامل، لابن الأثير: ١٦١/٣؛ البداية والنهاية: ٢٧٣/٧ـ٢٧٤؛ تاريخ اليعقوبي: ٨٨/٢ـ٨٩؛ مروج الذهب: ٣٠٤/٢.
(٢) وقعة صفين، ص ٢٤٠ـ٢٤١؛ شرح نهج البلاغة: ٢٨٤/٢.
(٣) شرح نهج البلاغة: ٤٥٨/١.
(٤) تاريخ الطبري: ٤٨/٥؛ المنتظم: ١٢١/٥؛ تاريخ اليعقوبي: ٨٨/٢.



وعنون المسعودي لهذا الحدث الخطير هكذا: (خدعة رفع المصاحف)[١].

وهكذا سماها إبراهيم بيضون[٢]، وسمَّاها محمد جواد مغنيّة: (مهزلة التحكيم)[٣]!.

وعلى هذا السَّنَن السيِّئ مشى بعضُ كتّابنا المعاصرين، يقول عبد الكريم الخطيب: (جاءت خديعةُ المصاحف يرفعها أهل الشام على أسنَّة الرماح وينادون في أهل العراق بالاحتكام إلى كتاب الله، والفيء إلى السلم والعافية. ويدرك الإمام ما يعمل هذا التدبير في جيشه، وما تعمل تلك الدعوة الكاذبة(!) في جماعات مختلفة الأهواء متباينة المشارب متنازعة الغايات؛ إنها الفُرقة التي لا اجتماع معها، والتخاذل الذي لا رجاء في نصر معه!)[٤].

هذه نماذج مقتضَبة معبِّرة في هذا الباب يسوقها نصر بن مزاحم وأبو مخنف لوط بن يحيى واليعقوبي والمسعودي... وحالُهم معروف قد أشرنا إليه أكثر من مرة، وما هم عليه من ضعف ووهاء وبدعة وهوى!.

ولا يُستغرب من هؤلاء أن يرووا مثل تلك الفِرى، ولكن العَتْب المرَّ على أئمتنا من أكابر الحفاظ والمحدثين والمؤرخين كيف يوردون هذا الباطل في كتبهم؟! فيقمِّش الطبري كثيراً من تلك الروايات، ويتابعه في روايتها ابن عساكر وابن الجوزي وابن الأثير وابن كثير... وغيرهم كثير!.

كيف استجاز أولئك المؤرخون وصْفَ معاوية وعَمْرو وجماعة من الصحابة بأنهم (شرُّ أطفال وشرُّ رجال)، وأنهم (ليسوا أصحابَ دين ولا

---

(١) مروج الذهب: ٣٠٣/٢.

(٢) كتابه: الإمام علي، ص ٨١.

(٣) كتابه: فضائل الإمام علي، ص ١٥٠.

(٤) كتابه: علي بن أبي طالب، ص ٤٨٤.

قرآن)، وقد ثبت الثناء عليهم في القرآن الكريم والنصوص الكثيرة في السُّنَّة الصحيحة، مع النهي الشديد عن سبِّهم؟!.

وزاد الأمر فُحشاً أن الطبري وغيره نقلوا عن الأشتر: أنه قال في عمرو بنِ العاص ورفْعِ المصاحف: (إنها مشورة ابن العاهرة)(١)!.

هل هذا الأشتر (صاحبُ دين وصاحبُ قرآن)، وهو يقذِف صحابيّاً ـ أثنى عليه النبي ﷺ ـ بمثل هذا الفحش من القول؟!.

٣ ـ نبذة عن قبول التحكيم من الطرفين، والقائمين به:

•• دعا أهل الشام إلى الصلح وتحكيم القرآن، ووافق ذلك رغبةَ أكثرِ أهل العراق ورضي به أمير المؤمنين علي وقال: (نعم، أنا أَوْلى بذلك، بيننا وبينكم كتاب الله)، كما قدمنا.

ورشَّح الفريقان رجلين من جِلّة الصحابة ليقوما بأمر التحكيم؛ فاختار أهل الشام عمرو بن العاص، واختار أمير المؤمنين وأهل العراق أبا موسى الأشعري(٢).

ومما يؤكد أن أمير المؤمنين عليّاً كان راضياً عن اختيار أبي موسى؛ ما رواه البَلاذُرِي بإسناده قال: (قال الأحنف بن قيس لعليٍّ حين أراد أن يحكِّم أبا موسى: إنك تبعث رجلاً من أهل القرى رقيقاً... فابعثْني مكانَه آخذ لك بالوثيقة، وأضعك من الأمر بحيث أنت. فقال له ابن عباس: دَعْنا يا أحنف منك، فإنّا أعلمُ بأمرنا منك)(٣).

---

(١) تاريخ الطبري: ٥/٥٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٥/٥١؛ تاريخ الإسلام ـ عهد الخلفاء الراشدين، ص ٥٤٨؛ شرح نهج البلاغة: ١/٤٦٦؛ العواصم من القواصم، ص ١٧٥ـ١٧٦.

(٣) أنساب الأشراف: ٢/٥٧؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٧٥، وسنده حسن.

وروى الأعمش، عن أبي صالح: (أن علياً قال لأبي موسى: احكُمْ ولو على حَزّ عُنقي!)(١).

وهذان النصان الثابتان يُبطِلان كلَّ ما روي عن أمير المؤمنين علي من أنه لم يرضَ بترشيح أبي موسى للحكومة، وأنه أُجبِر عليه من قِبل الأشعث والقرّاء، وأنه طَعن في أهليته، وأنه ليس بثقة عنده؛ فقد خالف عليه حيث بعث يستنفر أهل الكوفة فثبَّطَهم أبو موسى!.

شذرة عن أبي موسى وعمرو بن العاص رضي الله عنهما:

أ ـ أبو موسى الأشعري(٢):

●● صحابي جليل أسلم قديماً، وهاجر إلى المدينة بعد فتح خيبر، وشهد مع النبي ﷺ غزوة ذات الرِّقاع، والفتح، وحُنين، وأوطاس، وتبوك، وحجَّ معه حجة الوداع.

تمتع بصفات حميدة؛ فكان ربانياً زاهداً، عابداً منيباً، صوَّاماً قواماً، حييّاً كريماً، متواضعاً حليماً، عالماً عاملاً، صادقَ اللهجة، صافيَ السَّرِيرة، متمسكاً بهدي النبوة، مجاهداً فاتحاً، والياً جليلاً، كبير القدر، رفيعَ المحلّ.

وكان من أعيان تلاميذ النبوة، وأثنى عليه رسول الله ﷺ وقرَّبَه إليه وأدناه منه واستمع إلى قراءته القرآن وأطاب الثناءَ عليه فيها.

بعثه النبي ﷺ إلى اليمن والياً وداعياً ومعلِّماً، فكان عاملاً له على زَبيد وعَدَن وساحل اليمن.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٧٢٤/٨، بإسناد صحيح؛ وهو في تاريخ الإسلام، ص ٥٤٨؛ وابن عساكر: ١٧٦/٣ـ١٧٧، لكن محققه محمد باقر المحمودي حكم ببطلان الخبر لأنه لا يتفق مع هواه في الرفض!.

(٢) له ترجمة وافية في كتابي: أعلام الحفاظ والمحدثين: ٥٣٩/١ـ٥٨٦، وما ذكرته هنا ملخص منها.

وأقــرَّه أبو بكر الصديق على ولايـــة اليمن، فبقي أميــراً عليها طيلة مدة خلافته.

وكذلك ولَّاه الفــاروق عمر على البصرة، ولما حضرتْــه الوفاة كتب في وصيته: ألَّا يُقَرَّ لي عاملٌ أكثر من سنة، وأقِرُّوا الأشعريَّ أربعَ سنين!.

ولما بويع عثمانُ بالخلافة أقرَّ أبا موســى والياً على البصرة، فبقي على إمْرَتها ست ســنين، فاســتمرت ولايتُه عليها زُهاء اثنتي عشرة سنة من سنة (١٧هـ) وحتى ســنة (٢٩هـ)، حيث عُزل عنها عن أمر عثمان، وكتب عثمان إليه: (إني لم أعزلْكَ عن عجزٍ ولا خيانة).

ثم ولَّاه عثمان على الكوفة، واستُشــهد عثمان وهــو والٍ عليها، وبويع علي بالخلافة وغيَّر بعضَ ولاة الأمصار، وأقرَّ أبا موسى على الكوفة.

•• فهذا الرجل الكبير قد حاز من الشرف والثناء والثقة ما لم يحظَ به إلا القلَّةُ مــن الأكابر، فقد ولي للنبي ﷺ وللخلفاء الراشــدين الأربعة؛ وهذا من أعظم البراهيــن على عبقريته وكفاءتــه وتمام عقله وحكمته وحُسْــن إدارته وقيامه بأعباء الولاية في أمصــار عُرفت بكثرة القلاقــل والتقلُّب على كبار الولاة وبخاصة الكوفة والبصرة.

فهــل نُعرِض عن هــذه الأحاديث الصحيحــة والتاريــخ الثابت الناصع المجيد الحافل بالمكرمات، ونستســلم لروايات تالفة ونروِّج أخباراً ســاقطة رواها المتروكــون وأصحاب الأهــواء والبغضاء للصحابة؛ حيــث رمَوا أبا موسى بالغفلة والسذاجة، وافترَوا على عليٍّ بأنه قال لأتباعه الذين اختاروا أبا موسى للتحكيم:

(إنكم قد عصيتموني في أول الأمــر فلا تعصــوني الآن، إنــي لا أرى أن أولِّي أبا موســى... فإنه ليس لــي بثقةٍ، قـد فارقـنــي، وخــذَّلَ الناسَ

عنِّي، ثـم هـرب مـني حتى آمنتُه بعد أشـهر، ولكـن هـذا ابن عباس نولِّيـه ذلك!)[1].

وللأسـف فإن ابن كثير وهو الإمام الحافظ المـؤرخ روى الخبر فقال: (وأراد علي أن يوكل عبدالله بن عباس، وليته فعل!).

وفَضْلاً على أن الخبر واهٍ، فهي غمزةٌ بأبي موسى الأشعري، ما كان لهذا الإمام أن يَزِلَّ فيها، والرافضة لا يُسـتغرب منهم الطعـن على الصحابة، أما أمثال ابن كثير فما عذرُهم؟!.

ب ـ عمرو بن العاص:

●● صحابي كبير وعَلَم جليل، داهيةُ قريش ورجلُ العالَم، ومن يُضرب به المثلُ في الفِطنة والذكاء والحزم والدهاء.

هاجر إلى رسول الله ﷺ مُسْـلِماً في أوائل سـنة (٨هـ)، مرافقاً لخالد بن الوليد وحاجب الكعبة عثمانَ بنِ طلحة، ففرح النبي ﷺ بقدومهم وإسـلامهم، وأَمَّر عَمْراً على بعض الجيش وجهزه للغزو[2].

وفي «صحيح مسـلم» عن عمرو بـن العاص: أنه قـال: (لمَّا جَعل اللهُ الإسـلامَ في قلبي، أتيتُ النبيَّ ﷺ فقلتُ: ابْسُـطْ يمينَك فلأُبايِعْكَ، فبَسطَ يمينَه، قال: فقبضـتُ يدي، قال: «**ما لَكَ يا عَمْرو؟!**» قـال: قلتُ: أردتُ أن أشـترطَ، قال: «**تَشـترِطُ بماذا؟**» قلـتُ: أنْ يُغفرَ لي، قـال: «**أَمَا علمتَ أن الإسلام يَهْدِمُ ما كان قَبْلَه؟ وأن الهجرةَ تهدِمُ ما كان قبلَها، وأن الحج يهدِم**

(١) الخبر من مرويات أبي مخنف! وهو فـي: تاريخ الطبري: ٥١/٥؛ المنتظم: ١٢٢/٥؛ تاريخ الإسـلام ـ عهد الخلفـاء الراشـدين، ص ٥٤٧ـ٥٤٨؛ البداية والنهايـة: ٢٧٧/٧؛ مروج الذهب: ٣٠٤/٢.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٥٥/٣.

ما كان قبلَه؟» وما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من رسول الله ﷺ ولا أَجَلَّ في عَيْنِي منه، وما كنتُ أُطِيقَ أن أملأَ عينَيَّ منه إجلالاً له! ولو سُئِلتُ أن أصِفَه ما أطقتُ، لأنّي لم أكنْ أملأُ عينَيَّ منه. ولو مُتُّ على تلك الحال لرجوتُ أن أكونَ من أهل الجنة. ثم وَلِينَا أشياءَ ما أدري ما حالي فيها! فإذا أنا مُتُّ، فلا تَصحبْني نائحةٌ ولا نارٌ. فإذا دَفنتُموني فَشُنُّوا علَيَّ الترابَ شَنّاً، ثم أَقِيموا حول قبري قَدْرَ ما تُنحرُ جَزُورٌ ويُقْسَمُ لحمُها؛ حتى أستأنسَ بكم، وأنظرَ ماذا أُراجِعُ به رسلَ ربِّي)[1].

وقد أثنى النبي ﷺ عليه وعلى أخيه وشهِد لهما بالإيمان؛ فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ابنا العاصِ مؤمنانِ: عَمْرو وهشامٌ**»[2].

وعن عُقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَسْلَم الناسُ، وآمَنَ عَمْرو بنُ العاص**»[3]!.

وعن طلحة بن عبيد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ عَمْرو بنَ العاصِ من صالحي قريشٍ**»[4].

وعمرو بن العاص ﷺ من المهاجرين، والمهاجرون من أولهم إلى آخرهم ليس فيهم من اتهمه أحد بالنفاق؛ بل كلهم مؤمنون مشهود لهم بالإيمان[5].

---

(١) صحيح مسلم (١٢١).

(٢) أخرجه أحمد: (٨٠٤٢)؛ وابن سعد: ١٩١/٤؛ والحاكم: ٢٤٠/٣، ٤٥٢؛ وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٥٦)، وصحيح الجامع (٤٥). وحسَّنه شعيب الأرنؤوط.

(٣) أخرجه الترمذي (٤١٧٩)، وحسنه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٤) أخرجه الترمذي (٤١٨٠)؛ وأحمد: (١٣٨٢)؛ وصحَّحه الألباني بشاهديه السابقين، في الصحيحة (٦٥٣)، وصحيح الجامع (٤٠٩٥).

(٥) مجموع الفتاوى: ٦٣/٣٥.



●● وقد أمَّــر النبي ﷺ عمرو بنَ العاص على جيش (ذات السَّلاسِــل)[1] سنة (٨هـ)، وفي الجيش أبو بكر وعمر وأمثالهما من عِلْية الصحابة، وحسبك بذلك جلالةً ومنزلةً لعمرٍو عند النبي ﷺ وأصحابه ﷺ.

وعن عَمْرو بن العاص قال: (بَعث إليَّ رســول الله ﷺ فقال: «**خُذْ عليكَ ثيابَك وســلاحَك، ثم ائْتِني**» فأتيتُه وهو يتوضأ، فصَعَّد فــيَّ النظرَ ثم طَأْطأه فقال: «**إنِّــي أريدُ أن أبعثَكَ على جيشٍ، فَيُســلِّمُكَ الله ويُغَنِّمكَ، وأَزْعَبُ لك من المال زَعْبَةً صالحةً**» قال: قلت: يا رســول الله، ما أســلمتُ من أجلِ المال ولكنِّي أســلمتُ رغبةً في الإســلام وأن أكونَ مع رســول الله ﷺ! فقال: «**يا عَمْرو، نِعْمَ المالُ الصالحُ للمرءِ الصالحِ**»)[2].

ـ وولَّاه النبي ﷺ على (عُمَان)، وتوفي ﷺ وعمرو عاملٌ له عليها. وكان يعلِّم أهلَها الإسلام، ويجمع الصدقات[3].

يقول التابعي الجليل الفقيه النبيل قَبِيصة بــن جابر: (صحبتُ عمرو بنَ العاص فما رأيتُ رجلاً أبينَ أو أنصعَ رأياً، ولا أكرمَ جليســاً منه، ولا أشــبهَ سريرةً بعلانيةٍ منه)[4].

●● وفي خلافة أبي بكر شــارك عمرٌو في حروب الردَّة والقضاء عليها، وقد عقد له الصديق لواءً.

ولمَّا تمَّ القضاء على حركة الردَّة، كتب أبو بكر إلى عمرو ـ وكان مقيماً

---

(١) الحديث مختصر في الصحيحين: البخاري (٣٦٦٢)؛ ومسلم (٢٣٨٤).
(٢) أخرجه أحمــد: (١٧٧٦٣)؛ والبخاري فــي الأدب المفرد (٢٩٩)؛ وابــن حبان (٣٢١١)، وصحَّحه الألباني وشعيب الأرنؤوط. أزعب: أي أعطيك دفعة من المال، والزعب: الدفع.
(٣) تاريخ خليفة، ص ٩٧؛ كتابي: أبو بكر الصِّدِّيق، ص ٤٨٠.
(٤) سير أعلام النبلاء: ٥٧/٣؛ المعرفة والتاريخ: ٤٥٨/١.

بقُضَاعة، وهي شمال غرب السعودية ـ يخيِّره أن يبقى حيث هو، أو يسير إلى الجهاد في الشام، وكتب إليه:

(وقد أحببتُ ـ أبا عبد الله ـ أن أفرِّغَكَ لِما هو خيرٌ لك في حياتك ومعادِك منه، إلا أن يكون الذي أنت فيه أحبَّ إليك).

فكتب إليه عمرو: (إني سـهمٌ من سهام الإسـلام، وأنت بعد الله الرامي بها، والجامعُ لها؛ فانظر أشدَّها وأخشاها وأفضَلَها فارمِ به شيئاً إنْ جاءك من ناحية من النواحي!).

وشـارك في فتوحات الشـام، وكان أحدَ قادة جيوش المسلمين الأربعة هناك، وولاه أبو بكر على فلسطين[1].

•• وفـي عهد الفاروق عمـر كان لعمرٍو منزلة رفيعة، فـكان من أمراء الفتح في الشـام، ثم كان له الشرف الباذخ السـائر مدى الدهر بأن سار عن أمر عمر على رأس الجيش الفاتح إلى مصر ففتحها ونشر الإسلام فيها، وله من الأجر ما لا يعلمه إلا الله في ذاك العمل العظيم الذي اشـتهر به على مر التاريخ بأنه (فاتح مصر)، وبقي واليها طيلة خلافة عمر!.

•• وفي خلافة عثمان بقي عَمْرٌو والياً على مصر مدة طويلة فأحسنَ السياسةَ على عادته، وتألَّب عليه السبئيون بعدما ضاقوا ذرعاً من قبضته على شؤون البلاد ومحاصرته لهم وملاحقته فلولَهم وإبطاله مؤامراتهم! فحاولوا الوشـاية به عند أمير المؤمنين عثمان، فقطـع ذو النورين دابرَ الفتنة فاسـتقدم عَمْراً إلى المدينة وولَّى على مصر عبد الله بن سـعد بن أبي سَرْح.

---

(١) انظر كتابي: أبو بكر الصديق، ص ٤٦٦، ٥٦٤، ٥٩٦.

هــذه مكانة عَمْرو عند النبي ﷺ، وتلكم هي ســيرته وأخلاقه وشــمائله وهديه وإيمانه وورعه ونُبله ومؤهلاته الفذة كما جاءت في السُّــنَّة الصحيحة، وهذه هي منزلته عند الخلفاء الراشــدين أبي بكر وعمر وعثمان؛ حيث ولي الولايــات وقاد الجيــوش وفتح الفتوح وســاس العباد، وما كان في ســيرته ما يُعاب إلا ما افتراه السبئيون وكتبه المفترون من الرواة.

ويكاد (التاريخ المكذوب) لا يَذكُر عن (عَمْرو المؤمن المهاجر الصحابي الأمير الفاتح المجاهد)؛ إلا أنه مخادعٌ خبير، وماكِــرٌ كبير، ومقامرٌ بمصالح الإسلام والمسلمين، وحريص على الرئاســة والولاية والمنصب والمال، وقد حاكَ في سبيل ذلك المؤامراتِ وارتكب الجنايات!.

هذه هي (الصــورة النمطية) التي قمَّشــها أبو مِخْنَــف ونصر بن مزاحم والكلبي وأمثالهم، ونقلها الطبري والمســعودي واليعقوبي، ثم ابن الجوزي وابن عســاكر وابن الأثير وابن كثير والذهبي وغيرهــم... حتى وصلت إلى أقلام الفتَّانين والغُثائيين والمغرِضين من الكتّاب المعاصرين، ونشــروه بين العامة والخاصة وفي مختلِف المنابر الإعلامية والكتب المدرســية، بعد أن غــامَ وجهُ الحق والحقيقــة، وغزا التاريخُ المشــوَّه لرجالاتنا عقــولَ أبنائنا، وأصبح مَن يتصدى لكشف تلك الأكاذيب كأنه يفعل شيئاً نُكْراً!.

وما ذكرتُه هنا هو نبــذة مختصرة مضيئة في خِضَــمّ الروايات المظلمة، لذَيْنَك الصحابيين الإمامين الجليليــن اللذين أُنيطت بهما (قضية التحكيم)، وتم تفويض أمر الأمة إليهمــا؛ لتكون هادياً للقارئ فــي فهم ما يقومان به، ومِسْباراً للروايات الكثيرة حول هذا الحدث الجليل.

٤ ـ نص وثيقة التحكيم:

روى نص الوثيقــة أبو مِخنــف ونَصْر بــن مُزاحم وإســماعيل التَّيْمي

والبَلاذُرِيّ، وجاء فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان؛ قاضى عليٌّ على أهل العراق ومَن معهم من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين، وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معهم من المؤمنين والمسلمين: إنَّا ننزِل عند حكم الله ﷻ وكتابه، ولا يجمع بيننا غيره، وإن كتاب الله ﷻ بيننا من فاتحته إلى خاتمته، نُحيي ما أحيى ونُميت ما أمات.

فما وجد الحَكَمان في كتاب الله ﷻ ـ وهما: أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس، وعمرو بن العاص القرشي ـ عَمِلا به، وما لم يَجِدا في كتاب الله ﷻ فالسُّنَّة العادلة الجامعة غير المفرقة.

وأخذ الحَكَمان من عليٍّ ومعاوية ومن الجندَيْن من العهود والمواثيق والثقة من الناس؛ أنهما آمنان على أنفسهما وأهلهما، والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه. وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كلتيهما عهدُ الله وميثاقُه أنَّا على ما في هذه الصحيفة، وأنْ قد وجبتْ قضيتهما على المؤمنين، فإن الأمن والاستقامة ووضْعَ السلاح بينهم أينما ساروا على أنفسهم وأهليهم وأموالهم، وشاهدِهم وغائبِهم.

وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهدُ الله وميثاقُه أن يَحكُما بين هذه الأمة، ولا يَرُدَّاها في حرب ولا فُرقة حتى يُعصَيا، وأجَلُ القضاء إلى رمضان، وإنْ أحبَّا أن يؤخِّرا ذلك أخَّراه على تراضٍ منهما. وإنْ توفي أحدُ الحكمين فإن أميرَ شيعته يختار مكانه، ولا يألو من أهل المَعْدلة والقِسط. وإنَّ مكانَ قضيتهما الذي يقضيان فيه مكانٌ عدلٌ بين أهل العراق وأهل الشام. وإنْ رضيا وأحَبَّا فلا يَحضرهما فيه إلا من أرادا، ويأخذ الحَكَمان من أرادا من الشهود، ثم يكتبان شهادتهما على ما في هذه الصحيفة، وهم أنصارٌ على مَن ترك ما في هذه الصحيفة وأراد فيه إلحاداً وظُلماً.



اللَّهمَّ إنَّا نستنصرُك على مَن تَرَك ما في هذه الصحيفة)[١].

وشهد من أصحاب علي: عبدالله بن عباس والأشعث بن قيس وحُجْر بن عَدي وآخرون.

وشهد من أصحاب معاوية: حَبيب بن مَسْلَمة وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد وأبو الأعور السُّلَمي وغيرهم.

أ ـ وقفات مع الوثيقة ومضامينها:

١ ـ جاء في بعض الروايات أن الوثيقة افتُتِحتْ بوصف علي بأنه أمير المؤمنين: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما قاضى عليه عليُّ بن أبي طالب أمير المؤمنين، فقال عمرو بن العاص: اكتُبْ اسمَه واسم أبيه، هو أميركم وليس بأميرنا! فقال الأحنف: لا تكتبْ إلا أمير المؤمنين، فقال عليٌّ: امْحُ «أمير المؤمنين»، واكتب: هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب. ثم استشهد علي بقصة الحديبية حين امتنع المشركون من قبول كتابة: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله...)[٢].

ويؤيد هذه الروايةَ حديثٌ صحيح أخرجه النسائي وغيره؛ في قصة مناظرة عبدالله بن عباس للخوارج، قال ابن عباس: (وأَمَّا مَحْيُ نفسِه من أمير المؤمنين: فأنا آتيكم بما ترضَون؛ إن نبيَّ الله ﷺ يوم الحُديبية صالَحَ المشركين، فقال لعليٍّ: «**اكتُبْ يا عليُّ: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله**»، قالوا: لو نَعلمُ أنك رسول الله ما قاتلناك! فقال رسول الله ﷺ: «**امحُ يا علي... واكتُبْ: هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله**») الحديث[٣].

---

(١) تاريخ الطبري: ٥/٥٣ ـ ٥٤؛ المنتظم: ٥/١٢٢ ـ ١٢٣؛ البداية والنهاية: ٧/٢٧٧؛ الثقات، لابن حبان: ٢/٢٩٣ ـ ٢٩٤؛ مجموعة الوثائق السياسية، ص ٥٣٨ ـ ٥٤٤.

(٢) تاريخ الطبري: ٥/٥٢؛ البداية والنهاية: ٧/٢٧٧.

(٣) السنن الكبرى، للنسائي (٨٥٢٢)؛ وعبدالرزاق (١٨٦٧٨)؛ والحاكم: ٢/١٥٠ ـ ١٥٢، وصحَّحه ووافقه الذهبي.

وفي هذا فقهٌ عظيم من أميــر المؤمنين علي ﷺ، ورغبةٌ صادقة وحرصٌ تام على الصلح وحقنِ دماء المسلمين، وردٌّ على مَن يزعم أن عليّاً أُكرِه على التحكيم وأنه كان يرى خيار القتال والاستمرار فيه حتى النهاية.

٢ ـ عنــد كتابة (صلح الحديبية) ورفضِ علــيٍّ أن يمحوَ صفة النبي ﷺ: (محمد رســول الله)، أشــار الحديث النبوي إلى أنه ســيكون لعليٍّ مثلُ هذا الموقف، فعندما قيل له: امحُ: محمد رسول الله، قال علي: (لا واللهِ لا أَمْحُوها! فقال رسول الله ﷺ: «**أَرِني مكانَها**»، فأَرَيْتُه، فمحَاهَا، وقال: «**أَمَا إنَّ لك مثلها، ستأتِيها وأنت مُضطرٌّ!**»)[1].

فكان في هذا الموقف توطئةٌ لأمير المؤمنيــن علي وترغيبٌ له بالتنازل عن بعض رأيه، وحضٌّ له على قبول الصلح والتحكيم حقناً لدماء المسلمين، ولله تعالى في تقلبات الأحوال حِكَم وأمثال!.

٣ ـ وفي نص الوثيقة دليلٌ واضح على ســلامة التحكيم وحياده، ورغبة الطرفين في الصلح، والتســامح في شروطه متمثلاً في موقف علي من رفضِ عمرٍو كتابة: (علي أمير المؤمنين)؛ فتســامح علي في هــذا رغبةً في إمضاء الاتفاق ورجاءً لتمام الصلح.

٤ ـ عمدةُ الوثيقة وأساسُــها ومرجعيتُها الكتاب الكريم والسُّنَّة الشريفة، إليهما يرجع المسلمون في حالات السلم والحرب، والوفاق والخلاف، وهذا يؤكد رغبةَ الفريقين في حل مســألة النزاع، التزاماً بتوجيهات هذه المرجعية من مثل قوله تعالى: ﴿ **وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ** ﴾ [الشورى: ١٠]، وقول النبي ﷺ: «**عليكم بالجماعة، وإياكم والفُرقة**»[2].

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٥٢٣).

(٢) هذا طرف من حديث طويل أخرجه أحمد (١١٤، ١٧٧)؛ والنســائي في الكبرى (٩١٧٥)؛ والترمذي (٢٣٠٤) وقال: حسن صحيح غريب.

٥ ـ ثقة الطرفين بالحَكَمين، وأنهما مؤتمنان على قضية الأمة ومفوَّضان في الحكم بما يُصلح حالها ويجمع كلمتها، والتأكيد على أهليتهما وكفاءتهما ونُصحهما في معالجة هذا الأمر الخطير، ويدل على ذلك ما جاء في الوثيقة؛ (وأَخذ الحكَمان من علي ومعاوية ومن الجندَيْن من العهود والمواثيق: أنهما آمنان على أنفسهما وأهلهما، والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه...).

٦ ـ أعطت الوثيقة مدة طويلة نحو (٨ أشهر) لاجتماع الحكمين ومعهما رجال من الفريقين، وفي هذا رغبة صادقة وسعي جميل في إطالة مدة السلم والهدوء وإلقاء السلاح وتهدئة النفوس ومراجعة الأحداث والنظر في عواقب الخلاف، والاستفادة من وقع الآلام التي جرحت جسم الأمة؛ وهذه العوامل متعاضدة تدفع في اتجاه قبول الصلح والتحكيم.

٧ ـ لم يُذكَر في الوثيقة مسألتان كبيرتان: **الأولى**: خلافةُ علي وبيعتُه من قِبل أهل الشام، **والثانية**: المطالبةُ بإقامة حدِّ القصاص على قتلة عثمان ـ وفي طيِّ ذِكْرهما تأكيدٌ على حرص الفريقين على الصلح ووحدة الكلمة وجَمْع الصف، فإن إثارتهما ستعيد الخلاف من جديد، ولن يصل الحكمَان إلى نتيجة حاسمة. وهذا من عوامل التوفيق في صياغة الوثيقة ونُبْل مقصد من سعى إليها وأيَّدها، حيث تُركت المسائل الخلافية إلى رأي أعلام الصحابة.

ب ـ تاريخ التحكيم ومكانه ورجاله:

●● كتبت وثيقة التحكيم يوم الأربعاء في (١٧ صفر سنة ٣٧هـ)، ويكون الاجتماع للتحكيم في رمضان من السنة نفسها. وذكر بعضهم أن الحكومة كانت في رمضان من سنة (٣٨هـ)، وهو غلط[١].

(١) تاريخ خليفة، ص ١٩٢؛ تاريخ الطبري: ٥/٥٤، ٦٧؛ المنتظم: ٥/١٢٣؛ البداية والنهاية: ٧/٢٧٧، ٢٨٢. وانظر: طبقات ابن سعد: ٣/٣٣؛ تاريخ اليعقوبي: ٢/٩١؛ مروج الذهب: ٢/٣٠٧.

واجتمع الحكمان في بلـــدة (أَذْرُح)، كما ذكره غير واحد ورجَّحه ياقوت الحموي، وأذرح: بلدة في الجنوب الغربي مـــن الأردن قرب البتراء. ويقال: في (دُومة الجَنْدَل) وتقع في أقصى شمال السعودية.

•• واجتمع الحكمان في الوقت المتفق عليه (بـــأَذرُح)، ومع كل منهما رجال كثير: فبعث علي (٤٠٠ رجل) عليهم شُريح بن هانئ الحارثي، وفيهم أبو موسى الأشـــعري، وبعث معهم عبد الله بن عباس وهو يصلي بهم ويلي أمورهم. وبعث معاوية عمرو بن العاص في (٤٠٠ رجل) من أهل الشام.

وشـــهد معهم: عبد الله بن عُمـــر وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شـــعبة في جماعة كثيرة. وروي أن سعد بن أبي وقّاص شهد التحكيم، وهو غلط[١].

٥ ـ حقيقة ما جرى في التحكيم، وأكاذيب الرواة والأخبار:

•• اجتمع الحكمان وتراوضا على المصلحة للمسلمين، واتفقا على أن (أمرَ الخلافة وإمامة المسلمين) يُترك النظر فيها إلى كبار الصحابة وأعيانهم، ويكون الأمر شورى بين المسلمين. وقد أشار أبو موسى بعبد الله بن عُمر بن الخطاب، فأَبَى عمرو بن العاص وطلب من أبي موسى أن يقرَّ ابنَه عبد الله بن عمرو، فأبى أبو موســـى ذلك لأن عبد الله كان مع أبيه في جند معاوية، ومع ذلك أثنى عليه خيراً[٢].

رشَّـــح أبو موســـى الصحابيَّ الجليل عبدَ الله بنَ عمر ليقومَ بأمر الخلافة، كما ثبت ذلك فـــي خبر صحيح؛ عـــن نافع مولى ابـــن عمر قـــال: (لمَّا قدِم أبو موســـى وعَمرو بن العاص أيام حُكِّمَا، قال أبو موســـى: لا أرى لهذا الأمر

---

(١) تاريخ الطبري: ٦٧/٥؛ المنتظم: ١٢٦/٥؛ البدايـــة والنهاية: ٢٨٢/٧ـ٣٨٣؛ مروج الذهب: ٣٠٧/٢.

(٢) انظر: منهاج السُّنَّة: ٧١٦/٣.

غيرَ عبد الله بن عمر، فقال عمرٌو لابنِ عمر: إنا نريد أن نُبايعَكَ، فهل لك أن تُعطى مالاً عظيماً على أن تَدَعَ هذا الأمر لمن هو أحرصُ عليه منك؟ فغضب ابن عمر فقام، فأخذ ابن الزبير بطرف ثوبه فقال: يا أبا عبد الرحمن، إنما قال: تُعطِي مالاً على أن أبايعك، فقال ابن عمر: ويحكَ يا عمرو! قال عمرو: إنما قلتُ: أجرِّبك! فقال ابن عمر: لا والله لا أُعطِي عليها شيئاً، ولا أُعطَى ولا أَقبلها إلا عن رضاً من المسلمين)[1].

وأبَى ابنُ عمر أن يتولَّى الخلافة في ظروف اختلاف الأمة، وأكَّد أنه لا يقبلها إلا عن إجماع المسلمين، ولما قيل له: (إنك لو شئتَ ما اختَلَف فيك اثنان، قال: ما أحبُّ أنها أتتني ورجلٌ يقول: لا، وآخر يقول: نعم).

وقال له آخر: (لو أقمتَ للناس أمرَهم، فإن الناس قد رضوا بك كلّهم! فقال لهم: أرأيتم إنْ خالَفَ رجل بالمشرق؟!)[2].

•• وروى الدارَقُطْني بسنده عن الحُضَيْن بن المنذر ـ وهو من خواصِّ أمير المؤمنين علي الذين حاربوا معه ـ قال: (لمَّا عَزل عمرٌو معاويةَ، جاء ـ أي: حُضين بن المنذر ـ فضَرب فُسطاطه قريباً من فسطاط معاوية، فأرسل إليَّ فقال: إنه بَلَغني عن هذا ـ أي: عن عمرو ـ كذا وكذا[3]، فاذهب فانظر ما هذا الذي بلغني عنه. فأتيتُه فقلت: أخبرْني عن الأمر الذي وليتَ أنت وأبو موسى كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس في ذلك ما قالوا، والله ما كان الأمر على ما قالوا، ولكن قلتُ لأبي موسى: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أَرى أنه في النَّفَر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ. قلت:

---

(١) حلية الأولياء: ١/٢٩٣ـ٢٩٤، وإسناده صحيح؛ وهو في سير أعلام النبلاء: ٣/٢٢٦ـ٢٢٧.

(٢) طبقات ابن سعد: ٤/١٥١، والأسانيد صحيحة، وانظر: ٤/١٦٤؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٧٣ـ٤٧٤.

(٣) أي: إن أبا موسى وعمراً لم يعزلا، ولم يوليا، ولكن تركا الأمر لأعيان الصحابة.

فأين تجعلني أنا ومعاوية؟ فقال: إنْ يستعِنْ بكما ففيكما معونةٌ، وإنْ يستغنِ عنكما فطالَما استغنَى أمرُ الله عنكما! قال: فكانت هي التي قتل معاوية منها نفسَه. فأتيتُه فأخبرته ـ أي: أتى حُضين معاويةَ فأخبره ـ أن الذي بَلَغه عنه كما بَلَغه)[١].

•• هذا ما جرى في (مسألة التحكيم)، أما ما يرويه الأخباريون كأبي مِخْنَف ونَضر بن مُزاحم وصاحب (الإمامة والسياسة)[٢]، ونقله الطبري والبَلاذُرِيّ وأبو حنيفة الدِّيْنَورِي واليعقوبي والمسعودي وآخرون، ثم من جاء بعدهم كابن الجوزي وابن عساكر وابن الأثير وابن كثير والذهبي وغيرهم ـ قالوا:

قدَّم عمرو بن العاص أبا موسى ليتكلم بما اتفقا عليه، فتقدَّم أبو موسى فقال: (أيها الناس، إنَّا نظرنا في أمر هذه الأمة؛ فلم نرَ أصلَحَ لأمرها ولا ألَمَّ لشعَثِها، من أمرٍ قد أجمع رأيي ورأيُ عمرو عليه، وهو أن نخلع عليّاً ومعاوية، وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر، فيولُّوا منهم من أحبوا عليهم، وإني قد خلعتُ عليّاً ومعاوية، فاستقبِلوا أمركم، وولُّوا عليكم مَن رأيتموه لهذا الأمر أهلاً. ثم تنحَّى.

وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه، فحمدَ اللهَ وأثنى عليه، وقال: إن هذا قد قال ما سمعتم وخلَع صاحبَه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأُثبِتُ صاحبي معاوية، فإنه ولي عثمان بن عفان والطالبُ بدمه، وأحقُّ الناس بمقامه).

فقال أبو موسى: (ما لكَ؟! لا وفَّقكَ الله، غدرتَ وفجرتَ، إنما مَثَلُك كمثلِ الكلب إنْ تحملْ عليه يَلهثْ أو تتركْه يلهثْ!.

---

(١) العواصم من القواصم، ص ١٨٠.
(٢) منسوب كذباً وزوراً للإمام ابن قتيبة.



قال عمرو: إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً!).

وتمادت هــذه الرواية التي افتراها أبو مخنــف، فنَقلتْ مهاتراتِ للصحابة، وشتائمَ بعضهم بعضاً، وأن عليّاً كان يقنتُ ويلعنُ معاويةَ وعَمْراً وجماعةً من جند معاوية، فبَلَـغ ذلك معاويةَ، فردَّ بالمثل فكان يقنتُ ويلعن عليّاً وابن عباس والحسن والحسين والأشتر[1]!.

وزاد المعثَّر أبو مخنف الأمـرَ بجاحةً وزوراً وكذباً، فأخرج من (كيسه) رواية زجَّ فيها بابن عباس في أَتون افتراءاته في هذه القضية الخطيرة، ورمى أبا موسى بالغفلة وعمرو بنَ العاص بالغدر، قال أبو مخنف:

(فتقدم أبو موسى ليتكلم، فقال له ابن عباس: وَيْحكَ! والله إني لأظنُّه قد خَدعَك، إنْ كنتما قد اتفقتما على أمـر فقدِّمْه فليتكلَّمْ بذلك الأمر قبلك، ثم تكلَّمْ أنت بعــده؛ فإن عَمْراً رجلٌ غادرٌ! ولا آمَـنُ أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه، فـإذا قمتَ في الناس خالَفَك ـ وكان أبو موســى مغفَّلاً! ـ فقال له: إنا قد اتفقنا)[2].

●● وعلاوة على وهاءِ تلك الروايات وبطلانها؛ لأن رواتها متهمون وهي مرسَـلات ومنقطِعات لا تبلُغ درجةَ الضعيف فضلاً عن المقبول أو الحسن ـ فقد غالَطَ الناسُ قديماً وحديثاً في فهم (قضية التحكيم)، وقالوا: إن أبا موسى وعَمْراً اتفقا على خَلْع علــي ومعاوية، فخلعهما أبو موســى، واكتفى عمرو بخلع علي دون معاوية.

---

(١) انظر: تاريخ الطبري: ٥/٨٥ـ٥٩، ٦٧ـ٧١؛ المنتظم: ٥/١٢٦ـ١٢٨؛ تاريخ الإسلام ـ عهد الخلفاء الراشـدين، ص ٥٤٨ـ٥٥١؛ البداية والنهاية: ٧/٢٨٣ـ٢٨٤؛ الإمامة والسياسـة، ص ١٢٨ـ١٣٢؛ أنسـاب الأشـراف (ترجمة علـي)، ص ٣٥٠ـ٣٥١؛ الأخبـار الطوال، ص ١٩٩ـ٢٠١؛ تاريخ اليعقوبي: ٢/٩٠؛ مروج الذهب: ٢/٣٠٨ـ٣١١.

(٢) تاريخ الطبري: ٥/٧٠؛ المنتظم: ٥/١٢٧.

وأصل المغالطة من تجاهل المغرضين المغالطين أن معاوية لم يكن يومئذٍ خليفة، ولا هو ادعى الخلافة، حتى يحتاج أبو موسى إلى خلعها عنه، وأن يثبتها عمرو له دون علي!.

والحق أن أبا موسى وعَمْراً اتفقا على أن يعهدا بأمر الخلافة على المسلمين إلى الموجودين على قيد الحياة من أعيان الصحابة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ. واتفاقُ الحكمين على هذا لا يتناول معاوية لأنه لم يكن خليفة، ولم يقاتِل على الخلافة، وإنما كان يطالب بإقامة الحد الشرعي على الذين اشتركوا في قتل عثمان. فلما وقع التحكيم على إمامة المسلمين، واتفق الحكمان على ترك النظر فيها إلى كبار الصحابة؛ تناول التحكيم شيئاً واحداً هو (الإمامة والخلافة)، وأما التصرف العملي في إدارة البلاد، فعليٌّ متصرف في البلاد التي تحت حكمه، وكذا معاوية متصرف في البلاد التي تحت ولايته.

فالتحكيم لم يقع فيه خداعٌ ولا مكرٌ، ولم تتخلَّله بلاهة ولا غفلة، وكان يمكن أن يكون محلًّا للمكر والغفلة لو أن عَمْراً أعلن في نتيجة التحكيم أنه ولَّى معاويةَ خلافة المسلمين، وهذا لم يعلنه عمرو، ولا ادعاه معاوية، رضي الله عنهما، ولم يقل به أحد في الأربعة عشر قرناً الماضية. وخلافة معاوية لم تبدأ إلا بعد الصلح مع الحسن بن علي رضي الله عنهما، وقد تمت بمبايعة الحسن لمعاوية، ومن ذلك اليوم فقط سُمِّي معاوية أمير المؤمنين، وسُمِّي ذلك العام ـ وهو عام (٤١هـ) ـ عامَ الجماعة؛ لاجتماع الكلمة على معاوية.

والذين يتهمون عَمْراً بالمكر والخديعة والمراوغة يفترون على هذا الصحابي الجليل، الذي امتدحه النبي ﷺ فقال: «**أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص**»! وهذه الشهادة النبوية لا تكون إلا لرجل قد ملأ الإيمان قلبه، وختم له بالحسنى والعمل الصادق الصالح؛ فأين من هذا قول من يشكك في نيَّة عمرو وصدقِ مسعاه؟!.



إن عمـراً لم يغالِط أبا موسى ولـم يخادِعْه، ولم يعطِ معاوية شيئاً جديداً، ولم يقرِّر في التحكيم غير الذي قرَّره أبو موسى، ولم يخرج عما اتفقا عليه معاً، فقد بقيت العراق والحجاز وما يتبعهما تحت يدِ عليٍّ كما كانت من قبل، كما بقيت الشام وما يتبعها تحت يد معاوية، أيضاً كما كانت من قبل، وتعلَّق أمرُ الخلافة بما سيكون من اتفاق رؤوس الصحابة عليها. وإذا كانت هذه النقطة الأخيرة لم تتم فما في ذلك تقصير من أبي موسى ولا من عمرو، فهما قد قاما بمهمتهما بحسب ما أدى إليه اقتناعهما واجتهادهما، ولو لم تكلفهما الطائفتان بهذه المهمة لَمَا تعرَّضا لها، ولا أبديا رأياً فيها.

وقد هزئ مؤرِّخو الإفك المفترى بعقول قرائهم، وأوهموهم أن هناك خليفتين أو أميرين للمؤمنين، وأن اتفاق الحَكَمين كان على خلعهما معاً، فخلعهما أبو موسى، وأما عمرو فمكر به إذ قدمه للكلام أولاً، وخلع علياً وأثبت معاوية، وهذا إفك وبهتان وكذب وافتراء[1].

●● وزاد الوضاعون الأمر سوءاً فافتروا على رسول الله ﷺ حديثاً بشأن الحَكَمين، فرووا عن سُويد بن غَفَلَة قال: (إني لأمشي مع علي بشطِّ الفرات، فقال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ بني إسرائيل اختلَفوا، فلم يَزَل اختلافُهم بينهم حتى بعثوا حَكَمين، فَضَلَّا وأضَلَّا. وإن هذه الأمة ستختلف، فلا يزال اختلافُهم بينهم حتى يبعثوا حَكَمين فيَضِلَّان ويُضِلَّان مَن اتبعهما»!).

يقول ابن كثير: (حديث منكَر، ورفعُه إلى رسول الله ﷺ موضوع، إذ لو

---

(١) انظر كتابي: الخلفاء الراشدون، ص ٦٠١ ـ ٦٠٣؛ تعليقات محب الدين الخطيب على: العواصم من القواصم، ص ١٧٧ ـ ١٧٨.

كان هذا معلوماً عند علي لم يوافق على تحكيم الحكمين، حتى لا يكون سبباً لإضلال الناس كما نطق به هذا الحديث)[١].

والحكمان أبو موسى وعَمْرو من فضلاء الصحابة ونُبلائهم وأشرافهم وأمرائهم، وقد نُصِّبَا وحُكِّمَا ليُصلحا بين الناس ويتفقا على أمرٍ فيه رفقٌ بالمسلمين وحقن لدمائهم، وكذلك وقع، ولم يَضِلَّ بسببهما إلا فرقة الخوارج حيث أنكروا على عليٍّ ومعاوية، وخرجوا عليهما وكفّروهما، حتى قاتلهم علي رضي الله عنه[٢].

•• **ومن المرارة أن طرفاً من تلك (الروايات التالفة) قد تسللت إلى (بعض كتب الحديث)؛ فهذا عبدالرزاق الصنعاني يروي في** «مصنَّفه»، عن شيخه مَعْمر بن راشد، عن الزهري (تلك المهاترات بين أبي موسى وعمرو)، والمشاتمات بينهما والاتهام بالمكر والغدر والخيانة[٣]!.

والخبر من (مرسَلات الزهري)، ومرسلاتُه ليست بشيء كما قال نقاد الحديث وجهابذته مثل يحيى بن سعيد القطَّان ويحيى بن معين وغيرهما[٤].

والعجب أيضاً من الحافظ الناقد ابن كثير، ومن صديقه وشيخه الإمام الجهبذ النقاد الحافظ الذهبي كيف صدَّقا تلك الفرية، فقال الذهبي في أحداث سنة (٣٧هـ) من كتابه «العِبر»: (وفي رمضان: اجتمع أبو موسى الأشعري ومَن معه من الوجوه، وعَمْرو بن العاص ومن معه من الوجوه،

---

(١) البداية والنهاية: ٦/٢١٥ـ٢١٦، ٧/٢٨٥. والحديث آفته زكريا بن يحيى الكندي الأعمى، قال ابن معين: ليس بشيء. وله رواية أخرى عن أبي موسى الأشعري، وهي باطلة أيضاً فيها راوٍ مجهول وآخر متروك. انظر: مجمع الزوائد: ٧/٢٤٥ـ٢٤٦.

(٢) البداية والنهاية: ٦/٢١٦.

(٣) مصنف عبدالرزاق: ٥/٤٦٤ـ٤٦٥.

(٤) قواعد في علوم الحديث، للتهانوي، ص ١٥٦.

بدُومة الجَنْدل للتحكيم، فلـم يتفقا لأن عَمْراً خَلَا بأبي موسـى وخَدَعه!). وقال في كتاب آخر: (فمكَر به عَمْرٌو وخَدَعه)[١].

وتابعه ابن كثير فقال في ترجمة أبي موسـى: (وكان أحدَ الحَكَمين بين علي ومعاوية، فلما اجتمعا خَدَع عَمْرو أبا موسى!)[٢].

هذا حال أئمتنا الحفاظ النقاد، فما ظنُّك بالأخباريين والجمَّاعين؟!.

واقرأ هذه العبارة لأحـدِ كتّابنا المعاصرين، لتـرى فداحةَ الخَطْب الذي ابتُلي به المسـلمون وتاريخُهم ورجالاتهم العظام، على أيدي من يوصفون برجال الفكر والثقافة والبحث! يقول عبدالكريـم الخطيب تحت عنوان (ما بعد التحكيم):

(فالحَكَمان اللذان ارتضاهما المسـلمون ليحكُما بكتـاب الله، قد خانا عليّاً ومعاوية معاً، فلم يَضَعا كلَّ واحد منهما بموضعه! بل إنهما خانا كتاب الله، ولم يقضيا به، حين سوَّيَا بين أول الناس إسلاماً[٣] وآخرِ قريش دخولًا في الإسلام[٤]، ثم بين المهاجـر والطَّليق، وبين من لم يضرب بسـيفه إلا في سـبيل الله ومَن ضَرب بسـيفه في وجوه المؤمنين بالله! ثم لم يَرْعَيا ما لقرابةِ رسول الله والصِّهر إليه، من حق في ترجيح الأكفاء والنظراء)[٥].

وقد تقدم منا الردُّ على مثل هذا (الكلام المَوْتور) بحقِّ الصحابة، ونترك هذا الرجل وأضرابَه إلى الله ليحاسبَهم بسوء كتاباتهم التي تطعن على صحابة نبينا ﷺ.

---

(١) العبر: ٣١/١؛ معرفة القرّاء الكبار: ٤٠/١.
(٢) البداية والنهاية: ٦٠/٨.
(٣) يعني عليّاً.
(٤) يعني معاوية.
(٥) كتابه: علي بن أبي طالب، ص ٥١٣، وقد تجاوز فيه مفتريات الرافضة!.

•• وضمن ركام **تلـك الروايات** والكتب وأعمـال المؤرخين والكتّاب قديماً وحديثاً، وتلك الظلمات من الافتراءات والأباطيل - **ينبثق شعاع صادق مخلص يقوى مع الزمـن، يحمل أعباءَه كتّاب مخلصـون غيورون، يبدِّدون مظالم التاريخ وظلمـات الروايات وزيوف الكتّاب**، وهو يشـبه ضياء الفَجْر عندما يتنفس الصبح ويمحو ظلام الليل الدامس إيذاناً بشروق الشمس التي تكشف الحقائق أمام كل من على عينيه غشاوة!.

٦ - نتائج التحكيم، وحال الحكمين، ووضع الفريقين:

•• انتهى الاجتماع في (أَذْرُح) وقد اتفـق الحكمان على أن يُترك النظر في أمر (الخلافة) إلى أكابر الصحابة وشـورى المسـلمين كمـا قدمنا، ولم يُحسم الخلاف بين الفريقين بسبب صعوبة الحل بشأن المسألتين المختلَف عليهما: (بيعة أهل الشام للخليفة) و(إقامة الحد على قتلة عثمان)، وما يترتب على البتِّ فيهما من نتائج خطيرة على الطرفين.

- وجاء في رواية أبي مخنف، عن شـيخه أبي جَنَـاب الكَلْبي، بعد ذِكْر المكر والخديعة من عمرو، والسـذاجة والغفلة من أبي موسى: أن أبا موسى انكسر واسـتحيى من علي، فركب راحلته ولحِق بمكة، والتمسه أهل الشام فما وجـدوه، وانصـرف عمـرٌو وأهل الشـام إلـى معاوية وسـلّموا عليه بالخلافة[1]!.

وأبو مخنـف: لا يوثَق بـه، وأبو جنـاب: ضعَّفوه لكثرة تدليسـه، والخبر مُعْضَـل فعند حادثة التحكيم لم يكـن أبو جَنَاب قد خُلق بعدُ. هذا مع بطلان المَتْن كما قدمنا، لأن معاوية لـم يُبايَعْ بالخلافة إلا بعد استشهاد علي.

---

(١) تاريخ الطبري: ٧١/٥؛ المنتظم: ١٢٨/٥؛ البداية والنهاية: ٢٨٤/٧.



- وروى أبو مخنف أيضاً: أن علياً بعد الفـراغ من التحكيم خطب أتباعه فقال: (ألَا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكَمَين، قد نَبذا حكمَ القرآن وراء ظهورهما، وأحيَيَا ما أمات القرآن، واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله، فحكَما بغير حجة بيِّنة ولا سُنَّة ماضية، واختلفا في حكمهما، وكلاهما لم يَرشد، فبرئ اللهُ منهما ورسولُه وصالح المؤمنين. استعِدُّوا وتأهَّبوا للمسير إلى الشام، وأصبِحوا في معسكركم إن شاء الله يوم الإثنين. ثم نزل)[١].

ونقل مثلَه المسعودي، وزاد: (مَن دعا إلى هذه الحكومة فاقتلوه قتله الله، ولو كان تحت عمامتي هذه!)[٢].

ونحوه في «الإمامة والسياسة»[٣]، وعنه نقل عبدالكريم الخطيب[٤].

وكل ذلك من الباطل الذي يترفع عنه أمير المؤمنين علي، وتأباه سـيرة الحَكَمين الجليليـن، وتدحضُه الروايات الصحيحـة الثابتة من هديهما، وما صَحّ عن علي من قبوله التحكيم والحكمين كما فصَّلنا القول فيه.

والأكاذيب في هذا الباب كثيرة يكفي ما مثَّلْنا به، وما أَصَّلناه من حقائق لتكونَ مِسْباراً وميزاناً يُوزن به الرواة والروايات.

●● **وقد حضـر عبدالله بن عمر بن الخطاب يومَ التحكيم بتشـجيع من أخته أم المؤمنين حفصة، وكذلك حضـره معاوية، ولم يحضر أمير المؤمنين علي.** وبعد انتهاء اللقاء بين الحكمين ومـا نتج عن تحاورهما، كان بين ابن عمر ومعاوية موقف رواه البخاري وغيره:

---

(١) تاريخ الطبري: ٧٧/٥.
(٢) مروج الذهب: ٣١٢/٢.
(٣) ص ١٣١.
(٤) كتابه: علي، ص ٥١٣ـ٥١٥.

عن ابن عمر قال: (دخلتُ على حفصة ونَوْساتُها تَنْطُف، قلتُ: قد كان من أمر النــاس ما تَرَيْنَ، فلــم يُجعل لي من الأمر شــيء! فقالــت: اِلْحَقْ فإنهم ينتظرونكَ، وأخشى أن يكون في احتباسِكَ عنهم فُرْقة. فلم تَدَعْه حتى ذهب. فلما تفرّق الناس خطب معاوية فقال: مَن كان يريــد أن يتكلم في هذا الأمر فَلْيُطْلِعْ لنــا قَرْنَه، فَلنحنُ أحقُّ به منه ومن أبيه! قال حبيب بن مَسْــلَمة: فهلّا أجبتَه؟ قال عبدالله: فحَلَلْتُ حُبْوَتي وهممــتُ أن أقول: أَحقُّ بهذا الأمر منك مَن قاتَلَك وأباكَ على الإســلام، فخشِــيتُ أن أقولَ كلمةً تفــرِّقُ بين الجمع وتَسْــفِكُ الدم ويُحمَل عنّي غيــرُ ذلك، فذكرتُ ما أَعَدَّ الله فــي الجِنَان! قال حبيبٌ: حُفِظْتَ وعُصِمْتَ)[1].

ومــرادُ ابنِ عمر من قوله: (لــم يُجعل لي من الأمر شــيء): أنه يوم اجتماع الناس علــى الحكومة بينهم فيمــا اختلفوا فيه، فراســلوا بقايا الصحابة في الحرميــن وغيرهمــا، وتواعــدوا على الاجتماع لينظــروا في ذلك، فشــاور ابنُ عمر أختــه في التوجه إليهم أو عدمه، فأشــارت عليه باللحاق بهم خشــيــة أن ينشــأ من غيبته اختـــــلافٌ يُفضي إلى استمرار الفتنة.

وقــد كان معاوية يرى فــي الخلافة تقديــمَ الفاضل في القــوة والرأي والمعرفة على الفاضل في السبق إلى الإســلام والدين والعبادة، فلهذا أَطلق أنه أحقُّ. ورأيُ ابنِ عمر بخلاف ذلك، وأنه لا يُبايَع المفضولُ إلا إذا خُشــي الفتنة، ولهذا بايع بعــد ذلك معاوية، ثم ابنَه يزيد ونَهى بَنيه عن نقض بيعته، وبايع بعد ذلك لعبد الملك بن مروان[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٠٨)؛ وعبدالرزاق: ٤٦٥/٥ـ٤٦٦، وغيرهما. **نوساتها**: ذوائبها. **تنطف**: تقطر ماء.

(٢) الفتح: ٣٨١/٩، ٣٨٢، شرح الحديث (٤١٠٨).



•• وبقيت أوضـــاع الدولة على حالها: علي خليفة المســـلمين، ومعاوية أمير الشـــام، ولم يبايَع معاويـــة بالخلافة إلا بعد استشـــهاد علـــي على يد الخوارج، وكانت بيعته في بيت المقدس في شهر رمضان سنة (٤٠هـ)، بعد وصول خبر استشهاد علي رضي الله عنه[١].

وجاء في «تاريخ خليفة»: أن أهل الشـــام بايعوا معاويةَ بالخلافة في ذي القعدة من سنة (٣٧هـ)، وكذا رواه الطبري عن أبي مِخْنَف، ورجَّحه الذهبي في «تاريخه»[٢].

وهذا لا يصحُّ البتَّةَ، بل الصـــواب أن بيعة معاوية بالخلافة كانت ســـنة (٤٠هـ)، وصالَحه الحسنُ بن علي وتنازل له عن الخلافة بعد ستة أشهر، من عام الجماعة سنة (٤١هـ)[٣].

•• وروى أبو مِخْنف ونَصْر بن مزاحم وغيرهما: أنه لمَّا تفرق الناس إلى بلادهم من صفِّين، وخرج معاوية إلى دمشـــق بأصحابه، ورجع علي إلى الكوفة على طريق هيت، فلما دخل الكوفة ســـمع رجلاً يقول: ذهب عليٌّ ورجع في غير شـــيء! فقال علي: لَلَّذين فارقناهـــم خير من هؤلاء، وأنشأ يقول:

أخوكَ الذي إنْ أَجْرَضَتْكَ مُلمَّةٌ ... من الدهرِ لم يَبرحْ لِبَثِّكَ واجِما
وليس أخوكَ بالذي إنْ تشعَّبَتْ ... عليكَ الأمورُ ظلَّ يَلْحَاكَ لائما

ثم مضى فجعل يذكر الله حتى دخل قصـــر الإمارة بالكوفة. ولما كان قد قـــارب دخول الكوفـــة اعتزل من جيشـــه قريب مـــن (اثني عشـــر ألفاً) وهم

---

(١) البداية والنهاية: ١٣١/٨؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٧٧.
(٢) تاريخ خليفة، ص ١٩٢؛ تاريخ الطبري: ٧١/٥؛ تاريخ الإسلام، للذهبي، ص ٥٥٢.
(٣) البداية والنهاية: ١٣١/٨.

الخوارج، وأبَوا أن يساكنوه في بلده، ونزلوا بمكان يقال له: (حَرُورَاء)، وأنكروا عليه أشياء فيما يزعمون أنه ارتكبها[1].

وذكر ابن سعد من طريق الواقدي: أنه بعد الذي جرى بين الحكمين، افترق الناس فرجع معاوية بالألفة من أهل الشام، وانصرف علي إلى الكوفة بالاختلاف والدَّغَل، فخرجتْ عليه الخوارج من أصحابه ومن كان معه وقالوا: لا حُكْمَ إلا لله، وعسكروا بِحَرُورَاءَ فبذلك سُمُّوا (الحَرُورِيَّة)[2].

•• **وبالجملة فإن جيش أمير المؤمنين علي قد تضعضع وحدثت فيه انقسامات خطيرة؛ وذلك لسببين: الأوّل: مخالفة السبئية وقتلة عثمان عليه. الثاني: معارضة القرّاء ـ الذين صاروا خوارج ـ للتحكيم وخروجهم عليه وقتاله لهم.**

أما الفريق الأول من السبئية وقتلة عثمان: فأشدُّ ما كان يُخيفهم هو الصلحُ بين علي ومعاوية، لأنه يعني توقف القتال والتفرغَ لهم والإحاطة بهم وقطْعَ فتنتهم، ومن ثم أخذهم وإقامة الحد عليهم على مهل!.

وهذا ما تشير إليه رواية أبي مخنف ونصر بن مزاحم، عن عُمارة بن ربيعة الجَرْميِّ قال: (لمَّا كُتبت الصحيفة دُعِي الأشتر، فقال: لا صَحِبَتْني يميني، ولا نفعتْني بعدها شمالي، إنْ خُطَّ لي في هذه الصحيفة اسمٌ على صلح ولا موادَعة! أَوَ لستُ على بيِّنة من ربي ومن ضلال عدوِّي؟! أَوَلستُم قد رأيتم الظَّفَر لو لم تُجمِعوا على الجَوْر؟! فقال له الأشعث بن قيس: إنك والله ما رأيتَ ظَفَراً ولا جَوْراً، هلمَّ إلينا فإنه لا رغبةَ بك عنا، فقال: بلى والله لرغبة بي عنك في الدنيا للدنيا والآخرة للآخرة، ولقد سَفَكَ الله ﷻ بسيفي هذا دماءَ رجال ما أنتَ عندي خيرٌ منهم ولا أَحرَمُ دماً!)[3].

---

(١) تاريخ الطبري: ٥/٦٢ـ٦٣؛ البداية والنهاية: ٧/٢٧٩. **أجرضَتْك**: أغصَّتْك. **يَلْحاك**: يلومك.
(٢) طبقات ابن سعد: ٣/٣٢.
(٣) تاريخ الطبري: ٥/٥٤ـ٥٥.



وأما الفريــق الثاني في جيش علي فهم القرّاء الذيــن خرجوا عليه لمَّا قبِل الصلح والتحكيم، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة، ومنها:

عن عُبيد الله بن أبي رافع: (أن الحروريَّة لمَّا خرجَتْ، وهو مع علي بن أبي طالب، قالوا: لا حُكْمَ إلا لله، قال علي: كلمةُ حق أُريد بها باطلٌ)[1].

وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل التالي.

هذا هو الســبب في تخلخل جيش أمير المؤمنين علي وتضعضعه واختلافه عليه، لا كما يدعي المــزوِّرون والمغرِضون وأصحابُ الأهــواء من المؤرخين والكتّاب قديماً وحديثاً؛ من أن السبب هو مكر عمرو بن العاص وأعمال معاوية في شراء الذمم، وغير ذلك من الأباطيل التي يفترونها.

تاسعاً: مع وقعة صفين (دروس وعبر، وحقائق وتوضيحات):

من خلال اســتعراض مقدماتِ وقعة صفين ومجريات أحداثها، ومواقفِ قادة الفريقين وعامة المسلمين فيها، وموبقات السبئية وقتلة عثمان، وما آلَتْ الأمور إليه من رفع المصاحف والتحكيم ونتائجه ـ يمكننا استخلاصُ دروس جليلة وعِبر كثيرة، وبيانُ حقائق ساطعة وتوضيحات هامة؛ نوجزها فيما يلي:

١ ـ **كان الســبئيون منبثِّين في جيــش علي، ومتمكِّنين مــن إدارة الأمور وتوجيه النــاس لما يريدون**، وعددُهــم كبير ولهم قوة وســطوة. وهذا ما زاد معاويةَ ومن معه تمسُّــكاً بموقفهم من التعجيل بقتل قتلة عثمان الذين زلزلوا دولة الإســلام! ثم كان لهم اليد الطولى في إثارة الفتن أيام البصرة وفي وقعة الجمل، وهاهم أولاءِ يَخِفُّون في الفتنة الثالثة؛ فكيف يَسهُل على معاوية وأهل الشام مبايعةُ علي وفي جيشه هؤلاء؟!.

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٦٦) (١٥٧)، وغيره.

٢ ـ كان الصحابة في الفريقين ومَن سار على هديهم من الأخيار ملتزمين بأخلاق الإسلام في قتالهم، فقد كان من وصايا علي لجيشه: (لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم، فأنتم بحمد الله عز وجل على حُجَّة، وتركُكم إياهم حتى يبدؤوكم حجَّة أخرى لكم، فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مُدْبِراً، ولا تُجهِزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثِّلوا بقتيل...).

بل كانوا إذا تحاجزوا، دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء، وهؤلاء في عسكر هؤلاء، فيستخرجون قتلاهم فيدفنونهم.

وقال علي في قتلى الفريقين: (قتلانا وقتلاهم في الجنة).

ولمَّا قال رجل: كَفَر أهل الشام؛ أنَّبه عمار بن ياسر وقال: (لا تقولوا ذلك، نبيُّنا ونبيُّهم واحد، وقِبْلتُنا وقبلتُهم واحدة...).

وبعد الفراغ من صفين، وخروجِ الخوارج على عليٍّ، امتدح أمير المؤمنين أهلَ الشام فقال: قومٌ فارقناهم آنفاً خيرٌ من هؤلاء.

٣ ـ مع أن الخلاف بين الفريقين أدى إلى المواجهة والقتال وإزهاق الأرواح، بَيْدَ أنه لم يُذهِل الرجالَ عن شرف القتال وآداب الإسلام فيه، وقد تجلَّى ذلك في مواقف كثيرة، منها: قول علي في أهل الشام: (ربُّنا واحد، ودينُنا واحد، ودعوتُنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدُهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا).

ونَهى أتباعه عن سبِّ أهل الشام، وأمرهم أن يقولوا: (اللَّهمَّ احقِنْ دماءَنا ودماءهم، وأَصْلِح ذاتَ بيننا وبينهم).

ولما رجع من صفين قال: (أيها الناس، لا تكرهوا إمارة معاوية، والله لو قد فقدتُموه لقد رأيتم الرؤوسَ تَنْدُر عن كواهِلها كالحنظل!).

وعن أبي مسلم الخَوْلاني: (أنه قال لمعاوية: أنتَ تُنازع عليّاً في الخلافة، أَوَأَنتَ مثلُه؟ قال: لا، وإني لأعلَمُ أنه أفضَلُ منِّي وأحَقُّ بالأمر)(١).

٤ ـ مما قدمناه عن هدي الصحابة وآدابهم في الأخبار الصحيحة؛ يتضح بطلان ما روي من (التلاعن بين الفريقين)، حتى زعم الخسَّاف المتهوِّر أبو مخنف ونصر بن مزاحم ومن سار على نهجهما: (أن عليّاً كان إذا صلَّى الغداة يقنتُ فيقول: اللَّهمَّ العَنْ معاوية وعَمْراً وأبا الأعور السُلَمي وحَبيباً وعبدالرحمن بن خالد والضحّاك بن قيس والوليد! فبلغ ذلك معاوية، فكان إذا قنت لَعن عليّاً وابن عباس والأشتر وحسناً وحسيناً)(٢).

وهذا الكذب الذي روَتْه كتبُ الشيعة وبعض تواريخ أهل السُّنَّة، هو مما يجب نبذُه ورميه والنعيُ على قائله وكاتبه ومروِّجه، فإنه لم يُروَ من طريق صحيح ولا مقبول بل ولا ضعيف، إنما يدبِّجه المتهمون والمتروكون ومن ليسوا بثقة، وقد زيَّفناه فيما تقدم(٣).

وقد أخطأ شيخ الإسلام ابن تيمية حيث سلَّم بوجود (التلاعن)، فقال: (إن التلاعنَ وقع من الطائفتين كما وقعت المحاربة، وكان هؤلاء يلعنون رؤوس هؤلاء في دعائهم، وهؤلاء يلعنون رؤوس هؤلاء في دعائهم!)(٤).

٥ ـ ومن هذا القَبيل أخبارُ وأخلوقات المشاتمات بين الصحابة والمهاترات، والاتهامات بالغدر والخيانة وشراء الذمم والمؤامرات والكيد والعبث بمصالح الإسلام والمسلمين ودولتهم، ورميُ الصحابة بمساوئ

---

(١) انظر ما تقدم مفصلًا: ص ٤٦١ ـ ٤٦٥، ٥٦٤ ـ ٥٦٥، ٦١١ ـ ٦١٣ في هذا الكتاب.
(٢) تاريخ الطبري: ٧١/٥.
(٣) انظر: ص ٥٦٦ ـ ٥٦٨ في هذا الكتاب وكتابي «الحسن بن علي».
(٤) منهاج السُّنَّة: ١٢٥/٣.

الأخلاق ورذائل السجايا والشيم، مما لفَّقته روايات الكذابين وتناقلَتْه كتب التاريخ والأدب التي جمعت القليل من الحق في هذا الباب والكثير من الباطل... وهو ما يتناقض مع هدي الصحابة وفضائلهم وأخلاقهم وتربيتهم وتزكية القرآن لهم وثناء النبي ﷺ عليهم ونهيه عن سبِّهم أو شتمهم أو الإساءة إليهم.

وبَلَغ الإسرافُ والسفه والشطط واللَّجَاج في الباطل أن يزعم زاعم أن أصحاب الجمل وصفين الذين خالفوا عليّاً وحاربوه؛ هم: (في مصاف أبي جهل ومن إليه، حتى ولو تستروا بلفظ: لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله). وهم (لصوص، وقطاع طرق، وأتباع إبليس!)[1].

٦ ـ دأبت السبئية وقتلة عثمان على إشعال الفتنة وتأجيج نار الحرب وسفك الدماء، وكانوا يستبسلون في القتال، ويحرِصون على استمرار النزاع والمواجهة، كما برهنت على ذلك وقائع معركة صفين ـ ومن قبلها الجمل ـ. ومن أبرز الأمثلة على ذلك أنه لما رُفعت المصاحف وأَرسل عليٌّ إلى الأشتر النخعي يأمره بالتوقف عن القتال، تذمَّر من ذلك وقال للرسول: (قلْ له: ليس هذه الساعة التي ينبغي لك أن تُزِيلني فيها عن موقفي، إني قد رجوتُ أن يُفتح لي، فلا تُعْجِلني!). وعندما كرَّر علي الأمرَ له، تبرَّم هو ومن معه وقال: (أمهلوني عَدْوَ الفرس، فإني قد طمعتُ في النصر!)[2].

٧ ـ ويتفرع عن ذلك أن الذي يتحمَّل وِزْر إزهاقِ الأنفس وإراقة الدماء ـ الناجم عن استمرار القتال وتوسيع دائرته ـ هم السبئية وقتلة عثمان والغوغاء الذين ضَوَوْا إليهم وقاتلوا معهم في الفريقين. وكل من قُتل من المسلمين في

---

(١) فضائل الإمام علي، لمحمد جواد مغنية، ص ١٥٥، ١٧٣ ـ ١٧٤.

(٢) تاريخ الطبري: ٥/٤٩، ٥٠. وانظر ما تقدم: ص ٦٠٧ ـ ٦٠٨ في هذا الكتاب.

الجمل وصفين؛ إنما إثمه على تلك الشـراذم، لأنهم هم الذين فتحوا أبواب الفتنة وواصلوا تسـعيرَ نارها! وهم الذين قتلوا عمار بن ياسـر كما قتلوا من قبل طلحـة والزبير وغيرهم مـن الأخيار، فهـم (الفئة الباغيـة) التي عَنَاها النبي ﷺ؛ وحديث («**وَيْـحَ عمار! تقتلُه الفئة الباغيـة**» ليس نصّاً في أن هذا اللفظ لمعاوية وأصحابه، بـل يمكن أنه أُريد به تلـك العصابة التي حملت عليه حتى قتلَتْه، وهي طائفة من العسـكر، ومَن رضي بقتل عمار كان حكمُه حكمَها)[1].

٨ ـ ومن اسـتقراء الأحداث يتأكد لدى الباحث رغبةُ الصحابة والتابعين لهم بإحسـان والخيِّرين في الفريقيـن؛ بتفادي المواجهة والقتال، والسـعي للصلـح، والدليل على هذا طولُ مدة المواقفة وكثرةُ المراسلة بينهما، وأوامرُ عليٍّ بعدم البدء بالحرب، وقِصرُ مدة الحرب ـ لما نشـبت ـ على أربعة أيام، ولم يُثخِن فيه إلا دعاة الفتنة والسبئية وقتلة عثمان ومن تابعهم من الغوغاء، وكان يغلب على القتال المدافعة والدفاع عن النفس. ولما رُفعت المصاحف أسرع رؤساء الطرفين وعامة الناس إلى وقف القتال وقبول الصلح والتحكيم.

٩ ـ قد تبيَّن باسـتعراض أحـداث التاريخ، من لَدُن الخـروج على أمير المؤمنيـن عثمان وقتلـه إلى موقعة صفيـن التي انتهـت بالتحكيم وخروج الخوارج ـ أن سياسـة عثمان في التسكين والكَفّ عن القتال وعدمِ إراقة ملْءِ مِحْجَمَةٍ من دم؛ هي أحسـنُ وأفضلُ وأحكمُ من سياسة علي؛ فإن فتنة عثمان انتهت باستشهاده وسفك دماء قليلة، أما في عهد علي فقد سالت دماء كثيرة لا يعلمها إلا علام الغيوب!.

وإلى هذا يشير قول ابن تيمية بعدما ذكر أحاديث القعود عن الفتنة وعدم المشي فيها والسعي إليها، ولزوم البيوت وكسر القِسيّ والسيوف؛ يقول:

---

(١) انظر ما قدمناه: ص٦١٣ـ٦١٦ في هذا الكتاب.

(ولأجلِ هذه النصوص لا يختلف أصحابنا أن تَرْكَ عليٍّ القتالَ كان أفضلَ، لأن النصــوص صرَّحَتْ بأن القاعد فيها خير من القائــم، والبعدَ عنها خير من الوقوع فيها. قالوا: ورُجْحَان العمل يَظهر برُجْحان عاقبته، ومن المعلوم أنهم إذْ لم يبدؤوه بقتال، فلو لم يقاتلهم لم يقع أكثر مما وقع من خروجهم عن طاعته، لكــن بالقتال زاد البلاء، وسُــفكت الدماء، وتنافرت القلــوب، وخرجت عليه الخوارج... فظهر من المفاســد ما لم يكن قبل القتال، ولم يحصل به مصلحة راجحة، وهذا دليل على أن تركه كان أفضل من فعله، فإن فضائل الأعمال إنما هي بنتائجها وعواقبها)[1].

١٠ ـ لقد أُثقِل كاهلُ التاريخ الإسلامي ـ وبخاصة عهودُ عثمان وعلي وبني أمية ـ بتــراثٍ هائل خطير من الافتراءات والأكاذيب التــي حملَتْها روايات تالفة ومكذوبة، يتحمــل وزرها أخباريون يغلــب عليهم الهوى، فضــلاً عن منزلتهم الرديئة في ميزان الجرح والتعديل، ومعهم مؤرخون وكتَّاب تناقلوا (ذاك الموروث التاريخي) عبر الزمن حتى وصل إلى عصرنا. وتكاد كتب التاريخ وأعمال جمهرة المؤرخين والمؤلفين والباحثين؛ تُطْبق على خطوط عامة هي أقرب إلى تشــويه عصر الصحابة والخلفاء الراشــدين، وإدانة أعمالهم والطعن عليهم، وتصويرهم بصورة رجال لا يأبهــون بدين ولا مبــادئ، ولا مروءة ولا أخــلاق ولا آداب، وتســلُب عنهم صفة الجيل الربانــي الذي اختاره الله ﷻ لحمل الرســالة، ورباه النبي ﷺ على عينه، وتواترت تزكيته في القرآن والسُّنَّة وحقائق التاريخ!.

ونحن نكرر ولا نسأم من تثبيت الحقيقة بأن جناية كبرى أصابت تاريخ تلك الحقبة، ترتبــت عليها جناية أعظم على الصحابة وتاريخهم وســيرتهم وأعمالهم وإنجازاتهم!.

---

(١) مجموع الفتاوى: ٤/٤٤١ ـ ٤٤٢؛ وانظر: منهاج السُّنَّة: ٤/٤٦٣ ـ ٤٦٤، وما تقدم: ص ٤٥٧ ـ ٤٥٩ في هذا الكتاب.



ولا نتردد بالتصريح المرّ بأن كثيراً من علمائنا ومؤرِّخينا قد شـاركوا في تلك (الإسـاءة المزمنة)، ولا نجد عذراً للطبري وابن عسـاكر وابن الجوزي وابن الأثير والذهبي وابن كثير، وغيرهم ممن سبقهم أو جاء بعدهم؛ في نقل ذلك السـخف والباطل، ثم السـكوت عليه في أغلب الأحيان، حتى أصبح (مرجعاً محترماً!) عند الخلف من المؤرخين والكتّاب المعاصرين، فأسـرع أغلبهم إلى تصديقه واعتماده وترويجه، حتى أفسـدَ القلـوبَ وحيَّر العقول وسَمَّم الأفكار وطَمَس وجْهَ الحق!.

كما لا نجدُ عذراً لكل من يكتب في هذا الميدان بأن يقلِّد فلاناً أو فلاناً لأنه (مؤرخ كبير)؛ فالكلمة أمانة وخطرُها يكمن في سـرعة انتشـارها وكثرة متلقيها، مما يستوجب الدقة والنقد والتمحيص والإنصاف والإعذار والأدب، فالقرن الأول والثاني والثالث من الصحابـة والتابعين؛ من أعزِّ ما نملك من رجال وسير طاهرة.



الفصل الخامس

علـــي والــخـــوارج

لما رفع أهل الشـــام المصاحف ودَعَوا إلى الصلح وتحكيمِ كتاب الله تعالى، قبِل ذلــك أمير المؤمنين عليٌّ وأكثر مـــن كان معه، لكن اعترضَتْ عليه طائفة من جيشـــه كانـــوا يُســـمَّون (القـــرَّاء)، وخرجوا عليـــه فعُرفوا بالخوارج.

وقد جاء الحديث عنهم مطولاً ومفصلاً في كتب السُّنَّة والتاريخ وغيرها، وفيها: أن رســـول الله ﷺ قد أَمر بقتالهم، وأوضح صفاتهـــم، وأخبر عليّاً بأنه ســـيقاتلهم. وجاءت الأحداث بمصداق نبوءاته ﷺ، فقاتلهـــم علي وهزمهم وأطفأ فتنتهم، لكن جذوة بدعتهم لم تنتهِ بل استمرت دهراً طويلاً[١].

أولاً: إخبـار النبـي ﷺ بظهـور الخـوارج والطائفـة التـي تقاتلهـم وتقتلهم، وذِكْر صفاتهم، ونعتُ رجلٍ منهم يُسمَّى (ذا الثُّدَيَّة):

١ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**تَفْتَرِقُ أُمَّتي فِرْقَتَيْنِ، يَمْـــرُقُ بينَهما مـــارِقَـــةٌ، تَقْتُلُهـــم أَوْلَى الطائِفَتَيْـــنِ بالحَقِّ**» لفظ النســـائي.

وفي رواية لمسلم وأحمد: «**يَقْتُلُهم أَقْرَبُ الطَّائِفتَيْنِ من الحَقِّ**».

---

(١) انظر كتابي: نبوءات الرسول ﷺ: ٢/١١٤ـ١٤١.

وفي رواية أخرى لعبد الرزاق وأحمد والبغوي: «**لا تقومُ السَّاعة حتى تقتتلَ فئتانِ عظيمتانِ، دَعْوَاهُما واحدةٌ، تمـرُقُ بينهما مارِقـةٌ، يَقْتُلُها أَوْلَى الطَّائفتينِ بالحقِّ**»(١).

٢ ـ وعن سُوَيْد بن غَفَلَة قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (إذا حَدَّثْتُكم عن رسولِ الله ﷺ حَديثاً، فوالله لأَنْ أَخِرَّ من السماءِ أَحَبُّ إليَّ من أنْ أَكْذِبَ عليه، وإذا حَدَّثْتُكُم فيما بَيْنِي وبَيْنِكُم فإنَّ الحربَ خدْعَةٌ. وإنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**سَيخرُجُ قومٌ في آخِرِ الزمانِ: أَحْدَاثُ الأَسْنانِ، سُفَهاءُ الأَحْلامِ، يَقُولونَ من خيرِ قولِ البَرِيَّةِ، لا يُجاوِزُ إيمانُهم حَنَاجِرَهُم، يَمْرُقُونَ من الدِّينِ كَما يَمرقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ. فأَيْنَما لَقِيتُمُوهُم فَاقْتُلُوهُم؛ فإنَّ في قَتْلِهِم أَجْراً لِمن قَتَلَهُم يومَ القيامةِ**»)(٢).

٣ ـ وعن أبي سعيد الخُدْريِّ رضي الله عنه قال: (بينما نحنُ عند رسولِ الله ﷺ، وهو يَقْسِمُ قَسْماً، أتاهُ ذو الخُوَيْصِرَة، وهو رجلٌ من بني تَميمٍ، فقال: يا رسول الله! اعْدِلْ! فقال: «**وَيْلَك! ومَنْ يَعْدِلُ إذا لم أَعْدِلْ؟! قد خِبْتَ وخَسِرْتَ إنْ لم أَكُنْ أَعْدِلْ**». فقال عمر: يا رسولَ الله! ائْذَنْ لي فيه فأَضْرِبَ عُنُقَه، فقال: «**دَعْهُ، فإنَّ له أصحاباً: يَحْقِرُ أحدُكُم صلاتَهُ مع صلاتِهِم، وصيامَهُ مع صيامِهِم، يَقرؤونَ القرآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُم، يَمْرُقُونَ من الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ؛ يُنْظَرُ إلى نَصْلِه فلا يُوجد فيه شيء، ثم يُنظَرُ إلى رِصَافِه فما يوجدُ فيه شيء، ثم يُنظرُ إلى نَضِيِّه ـ وهو قِدْحُه ـ فلا يوجدُ فيه شيء، ثم يُنظر إلى**

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٦٥)؛ وأبو داود (٤٦٦٧)؛ والنسائي في الكبرى (٨٤٥٧)؛ وأحمد: ٢٥/٣، ٣٢، ٤٥، ٤٨، ٦٤، ٧٩؛ وعبدالرزاق (١٨٦٥٨)؛ وابن حبان (٦٧٣٥)؛ والبغوي (٢٥٥٥) وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١١) و(٦٩٣٠)؛ ومسلم (١٠٦٦)؛ وأبو داود (٤٧٦٧)؛ والنسائي في الكبرى (٣٥٥١)؛ وأحمد: ٨١/١، ١١٣، ١٣١؛ وابن حبان (٦٧٣٩)؛ والبغوي (٢٥٥٤)، وغيرهم.

قُذَذِه فلا يوجدُ فيه شيء، قد سَبَق الفَرْثَ والدَّمَ، آيتُهم رجلٌ أسودُ إحدى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المرأةِ، أو مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، ويَخْرُجُون على حينِ فُرْقةٍ من الناسِ».

قال أبو سعيدٍ: فأشهدُ أنِّي سمعتُ هذا الحديثَ من رسولِ الله ﷺ، وأشهدُ أن عليَّ بنَ أبي طالبٍ قاتَلَهُم وأنا معه، فأَمَر بذلكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ فأُتِيَ به، حتى نظرتُ إليه على نَعْتِ النبيِّ ﷺ الذي نَعَتَهُ).

وفي رواية أخرى: «**يَقرؤونَ القرآنَ لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُم، يَمْرُقُون من الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ من الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أهلَ الإسلامِ، ويَدَعُونَ أهلَ الأَوْثانِ، لَئِنْ أنا أَدركْتُهم لأَقْتُلَنَّهم قَتْلَ عادٍ**»[1].

٤ ـ وعن يُسَيْر بنِ عَمْرو قال: (قلتُ لسَهْلِ بن حُنَيف: هل سمعتَ النبيَّ ﷺ يقولُ في الخوارجِ شيئاً؟ قال: سمعتُه يقول، وأَهْوَى بيدِه قِبَلَ العراقِ: «**يَخرجُ منه قومٌ يَقرؤون القرآنَ لا يُجاوِزُ تَرَاقِيَهُم، يَمْرُقُونَ من الإسلامِ مُروقَ السَّهْم من الرَّمِيَّة**») لفظ البخاري.

وفي روايـة لمسلم: «**يَتِيهُ قومٌ قِبَلَ المَشْرِق مُحَلَّقَةٌ رؤوسُهُم**»[2].

٥ ـ وعن سَلَمة بن كُهَيْلٍ قال: (حدَّثني زيدُ بن وَهْبٍ الجُهَنِيُّ: أنَّه كان في الجيشِ الذين كانوا مع عليٍّ رضي الله عنه، الذينَ ساروا إلى الخَوارجِ، فقال عليٌّ رضي الله عنه: أيها الناسُ! إنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**يَخْرُجُ قومٌ من أُمَّتي يَقرؤونَ القرآنَ، ليس قراءتُكم إلى قراءتِهِم بشيء، ولا صَلَاتُكُم إلى صَلَاتِهِم بشيء،**

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٤) وفيه أطرافه، و(٣٦١٠) واللفظ له؛ ومسلم (١٠٦٤) (١٤٨)؛ وأبو داود (٤٧٦٤)؛ والنسائي في الكبرى (٨٠٣٥)؛ وابن ماجه (١٦٩)؛ وعبدالرزاق (١٨٦٤٩)؛ وأحمد: ٦٠/٣؛ وابن حبان (٦٧٣٧)، وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٣٤)؛ ومسلم (١٠٦٨)؛ والنسائي في الكبرى (٨٠٣٦)؛ وأحمد: ٤٨٦/٣.

ولا صِيَامُكُم إلى صيامِهِم بشـيء، يَقـرؤونَ القرآنَ يَحْسَـبُونَ أنَّه لَهُم وهو عَليهم، لا تُجاوِزُ صَلاتُهم تَراقِيَهُم، يَمْرُقونَ من الإسلامِ كما يمرق السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ. لو يَعْلَمُ الجيشُ الذين يُصِيبُونَهُم ما قُضِيَ لهم على لسـانِ نَبِيِّهم ﷺ؛ لاتَّكَلُوا عـنِ العملِ. وآيةُ ذلك: أنَّ فيهم رجلاً لهُ عَضُـدٌ وليس له ذِراعٌ، على رأسِ عَضُـدِه مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْي، عليه شَـعَراتٌ بِيضٌ» فَتَذْهَبُـونَ إلى معاويةَ وأهلِ الشـامِ، وتَتْرُكُون هؤلاءِ يَخْلُفُونَكُم في ذَرَارِيِّكُم وأموالِكُم؟! واللهِ إنِّي لأَرْجُو أن يَكونوا هؤلاءِ القومَ؛ فإنَّهم قد سَـفَكُوا الـدَّمَ الحرامَ؛ وأَغارُوا في سرْحِ الناسِ، فسِيرُوا على اسْمِ اللهِ.

قال سَـلَمة بن كُهَيْل: فَنَزَّلَني زيدُ بن وَهْبٍ مَنْزِلاً، حتى قال: مَرَرْنا على قَنْطَرةٍ، فلما الْتَقَيْنـا وعلى الخوارجِ يومئذٍ عبدُ الله بن وَهْب الرَّاسِـبِيُّ، فقال لهم: أَلْقُوا الرِّمَاحَ، وسُلُّوا سُيُوفَكُم من جُفُونِها، فإنِّي أَخافُ أن يُنَاشِدُوكُم كما ناشَدُوكُم يومَ حَرُورَاءَ. فَرَجَعُوا فَوَحَّشُوا برِمَاحِهِم، وسَلُّوا السيوفَ، وشَجَرَهُمُ الناسُ برِمَاحِهِم. قال: وقُتِلَ بعضُهم على بعضٍ، وما أُصِيبَ من الناس يومئذٍ إلا رَجُلان.

فقال علي ﷺ: الْتَمِسُـوا فيهـمُ المُخْدَجَ. فالتَمَسُـوه فلـم يَجدوه. فقام علي ﷺ بنَفْسِه، حتى أَتى ناسـاً قد قُتِل بعضُهم على بعضٍ، قال: أَخِّرُوهُم، فوَجَدُوه ممَّا يَلي الأرضَ! فكبَّر، ثم قال: صَدَقَ الله، وبَلَّغَ رسـولُه! قال: فقام إليه عَبِيدَةُ السَّلْمَانيُّ فقال: يا أمير المؤمنين! آللهِ الذي لا إلٰهَ إلا هوَ؛ لَسَمِعْتَ هذا الحديثَ من رسـول الله ﷺ؟! فقال: إِيْ واللهِ الـذي لا إلٰهَ إلا هو! حتى اسْتَحْلَفَه ثلاثـاً، وهو يَحْلِفُ له).

وفي رواية عن عَبِيدَةَ السَّـلْمانيِّ: (عن عليٍّ، قـال: ذَكَر الخوارجَ، فقال: فيهم رجلٌ مُخْدَجُ اليـدِ، أو مُودَنُ اليـدِ، أو مَثْدُونُ اليدِ، لـولا أن تَبْطَرُوا لحدَّثْتُكم بما وَعَـدَ الله الذين يَقتُلونَهم، على لسـانِ محمدٍ ﷺ. قال: قلت:

أَنْتَ سَمِعْتَهُ من محمدٍ ﷺ؟ قال: إِيْ ورَبِّ الكعبةِ، إِيْ وربِّ الكعبةِ، إِيْ وربِّ الكعبةِ)[١].

٦ - وفي حديث أبي سعيد الخدري السابق: «آيَتُهم رجلٌ أسودُ، إِحدى عَضُدَيه مِثْلُ ثَدْي المرأةِ، أو مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ».

ثانياً: كلمة بين يدي هذه الأحاديث:

روى حديثَ الخوارج خمسةٌ وعشرون صحابيّاً، منهم: علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عمرو، وابن عباس، وأبو ذر، وأبو سعيد الخدري، وأبو بَكْرة، وأنس بن مالك، وجابر، وحذيفة، وسعد بن أبي وقّاص، وعمار بن ياسر، وأبو بَرْزَة، وأبو هريرة. ومجموعها يفيد القطع بصحة خبرهم عن رسول الله ﷺ[٢].

وفي حديث الخوارج جملة من معجزات رسول الله ﷺ، وعدد من أعلام نبوته ﷺ، أخبر بها، ففصَّل وأَجْمَل، وجاءت كلها تماماً كما أخبر، ومن ذلك:

١ - أنهم يخرجون على حين فرقة من المسلمين.

٢ - تقتلهم أولى الطائفتين بالحق.

٣ - أنهم أحداث أغرار.

٤ - سفهاء الأحلام والعقول.

٥ - يتعبدون كثيراً ويغالون مع تنطُّع وقلة فهم.

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٦٦) (١٥٥) و(١٥٦)؛ وأبو داود (٤٧٦٣) و(٤٧٦٨)؛ والنسائي في الكبرى (٨٥١٦)؛ وابن ماجه (١٦٧)؛ وعبدالرزاق (١٨٦٥٠)؛ وأحمد: ٨٣/١، ٩٥، ١٤٤؛ وابن حبان (٦٩٣٨)، وغيرهم.

(٢) الفتح: ٦٢/١٦، شرح الحديثين (٦٩٣٣، ٦٩٣٤).

٦ - أنهم يحملون آيات الله على غير المراد منها.

٧ - أنهم يقتلون أهل الإسلام ويَدَعُون أهل الأوثان.

٨ - فيهم المخدج الذي إحدى يديه مثل ثدي المرأة.

وغير ذلك مما سيتضح خلال الشرح.

ثالثاً: لمحة عن الخوارج ومعتقدهم[(١)]:

•• **الخوارج**: جمع خارجة؛ أي: طائفة، وهم قوم مُبتدِعون، سُمُّوا بذلك لخروجهم عن الدين، ولخروجهم على الجماعة وعلى خيار المسلمين.

وكان يُقال لهم: القرَّاء؛ لشدة اجتهادهم في التلاوة والعبادة، إلا أنهم كانوا يتأوَّلون القرآن على غير المراد منه، ويستبدُّون برأيهم، ويتنطَّعون في الزهد والخشوع وغير ذلك[(٢)].

وكانوا في جيش أمير المؤمنين علي ﷺ، فلما رضي بالتحكيم، أنكروا عليه ذلك، وخرجوا عليه فَسُمُّوا (الخوارجَ).

ولمَّا اتفق أهل الشام وأهل العراق على أن يجتمع الحَكَمان بعد مدة في مكان وسط بين الشام والعراق، ويرجع العسكران إلى بلادهم إلى أن يقع الحُكْم، فرجع معاوية إلى الشام، وعاد علي إلى الكوفة ـ فارقه الخوارج ونزلوا قريةً بظاهر الكوفة تسمى (حَرُورَاءَ)، فسُمُّوا (الحَرُورِيَّة).

---

(١) ما كتبته عن الخوارج مأخوذ من كتب السُّنَّة وشروحها عموماً: شرح السُّنَّة، للبغوي: ٢٢٤/١٠ـ٢٣٧؛ شرح مسلم، للنووي: ١٧٠/٤ـ١٨٧؛ الفتح: ٥٢٦/٨ ـ ٥٢٨ (٣٦١٠ـ٣٦١١)، ٣٣/١٦ـ٦٢ (٦٩٣٠ـ٦٩٣٤)؛ مجموع الفتاوى: ٢٧٩/٣، ٣٤٩ـ٣٥٠، ٣٠/١٣ـ٣٥، ٣٧، ٤٨ـ٤٩، ٤٦٨/٢٨ـ٤٧٦، ٥٣/٣٥ـ٥٧؛ تاريخ الطبري: ٦٤/٥ـ٩٢؛ البداية والنهاية: ٢٨٥/٧ـ٣١٠.

(٢) الفتح: ٣٤/١٦.

وأول بدعة حدثت في الإسلام هي بدعة الخوارج، ظهرت في أثناء خلافة علي ﷺ، بل أولهم ظهر في حياة النبي ﷺ وهو ذو الخويصرة، الذي قال لرسول الله ﷺ: (يا محمد! اعدل!)[١].

ولبدعتهم مقدمتان:

الأولى: أن مَن خالَفَ القرآن بعمل أو برأي أخطأ فيه، فهو كافر.

الثانية: كفَّروا عثمان وعليّاً وأهل الجمل وصفين ومن رضي بالتحكيم[٢].

وكانوا يتأوَّلون القرآن على غير المراد منه، ويستبدُّون برأيهم، وطعنوا على عثمان ﷺ، واعتقدوا كُفْره ومَن تابعه، واعتقدوا إمامة علي ﷺ وكُفْر من قاتله من أهل الجمل، وقاتلوا مع علي أهل الشام بصفين، ولمّا رُفعت المصاحف ودُعي إلى التحكيم، ورضي علي؛ أنكروا عليه قبولَه، ثم خرجوا عليه، فراسَلَهم في الرجوع، فأصروا على الامتناع حتى يشهد على نفسه بالكفر لرضاه بالتحكيم ويتوب، ثم راسلهم أيضاً، فأرادوا قَتْلَ رسوله. ثم اجتمعوا على أن من لا يعتقد معتقدهم؛ يَكْفُر ويُباح دمه وماله وأهله. وانتقلوا إلى الفعل، فاستعرضوا الناس فقتلوا من اجتاز بهم من المسلمين[٣].

ومن معتقداتهم الباطلة: إكْفَارُهم أهلَ الذنوب، وأنهم لا يتمسَّكون من السُّنَّة إلا بما فُسِّر مُجْمَلُها دون ما خالَفَ ظاهر القرآن عندهم[٤].

وأبطَلُوا رجمَ المُحصَن، وقطعوا يد السارق من الإبط، وأوجبوا الصلاة على الحائض في حال حيضها، وكَفَّروا مَن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن كان قادراً، وإن لم يكن قادراً فقد ارتكب كبيرة، وحُكْم مرتكب

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ٢٧٩/٣، ٣٥٠، ٣١/١٣ـ٣٢، ٤٧٦/٢٨.
(٢) الفَرق بين الفِرق، ص ٧٣؛ مجموع الفتاوى: ٣١/٣.
(٣) الفتح: ٣٥/١٦ـ٣٦.
(٤) مجموع الفتاوى: ٣٠/١٣، ٣٧، ٤٨.

الكبيرة عندهم حُكم الكافر، وكَفُّـوا عن أموال أهل الذمة وعن التعرض لهم مطلقاً، وفتكوا فيمن يُنسـب إلى الإسلام، فالقتلُ والسبيُ والنهبُ: فمنهم من يفعل ذلك مطلَقاً بغير دعوة منهم، ومنهم من يدعو أولاً ثم يفتك[١]!.

رابعـاً: خروجهم على أمير المؤمنين علـي، ومناظرة علي والصحابة لهم، وقتاله لهم ثم قتلهم:

•• لمَّا وقع الرضا بالتحكيم، ورجع علـي إلى الكوفة، اعتزل الخوارج بِحَرُورَاءَ، وقالوا: (لا حُكْمَ إلا للهِ)، فقال علي: كلمةُ حقٍّ أُرِيد بها باطلٌ[٢].

وجاء اثنان من رؤوسـهم، وطَلَبا من علي أن يتراجع عن التحكيم، فأبى ذلك، فقـال له أحدهما: (أَمَـا واللهِ يا علي! لئن لم تَـدَعْ تحكيمَ الرجال في كتاب الله ﷻ قاتلتُـكَ، أطلبُ بذلك وجْهَ الله ورضوانَه! فقال له علي: بؤسـاً لك ما أشـقاك! كأني بك قتيلاً تَسْـفِي عليك الريح! قال: وَدِدْتُ أن قد كان ذلك. فقال له علـي: لو كنتَ محِقّـاً كان في الموت علـى الحق تعزية عن الدنيا، إن الشـيطان قد اسـتهواكم، فاتقوا الله ﷻ، إنه لا خيـر لكم في دنيا تقاتِلون عليها. فخرجا من عنده يُحَكِّمان)[٣].

•• وكان جملة من خرج على أميـر المؤمنين علي ثمانية آلاف من قرّاء الناس، وانضم إليهم آخرون، فبلغوا نحو اثني عشر ألفاً!.

وقد ناظرهـم علي ﷺ، وبعث إليهـم حبر الأمة ابن عبـاس فناظرهم، فرجع كثير منهم إلى الحق.

---

(١) الفتح: ٣٦/١٦.
(٢) صحيح مسلم (١٠٦٦) (١٥٧)؛ السنن الكبرى، للنسائي (٨٥٠٩).
(٣) تاريخ الطبري: ٧٢/٥؛ البداية والنهاية: ٢٨٥/٧. **يحكِّمان**: يقولان: (لا حُكْمَ إلا لله).



عن عُبيـد الله بن عياض بن عَمْـرو القارِيّ قال: (جاء عبد الله بن شـدَّاد فدخل على عائشـة رضي الله عنها ونحن عندها جلوس، مرجعَهُ مـن العراق ليالي قُتِل علي رضي الله عنه، فقالت له: يا عبد الله بن شـداد! هل أنت صادِقي عمَّا أسألُكَ عنه؟ تحدِّثني عن هؤلاء القوم الذين قَتَلهـم عليٌّ رضي الله عنه؟ قال: وما لي لا أصدُقُك؟! قالت: فحدِّثْني عـن قِصَّتِهم. قال: فإن عليـاً رضي الله عنه لما كاتَـبَ معاويةَ وحَكَم الحَكَمان، خَرج عليـه ثمانيةُ آلاف من قرَّاء الناس، فنزلـوا بأرضٍ يقال لها: حَرُورَاء من جانب الكوفة، وإنهم عَتَبوا عليه فقالوا: انسـلختَ من قميص[1] ألْبَسَكَه الله تعالى، واسمٍ[2] سمَّاك الله تعالى به، ثم انطلقتَ فحكَّمْتَ في دين الله، فلا حُكْمَ إلا لله تعالى.

فلما أن بَلَغ عليّاً ما عَتَبُوا عليه وفارَقُوه عليه، فأمر مؤذِّناً فأذَّن: أن لا يَدخُلَ على أمير المؤمنين إلا رجلٌ قد حَمَل القـرآن، فلما أن امتلأت الدار من قرَّاء الناس، دعا بمصحفٍ إمامٍ عظيمٍ، فوضعه بين يديه، فجعل يَصُكُّهُ بيده ويقول: أيها المصحفُ حَدِّثِ الناسَ! فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين! ما تسـألُ عنه؟ إنما هـو مِدادٌ في وَرَق! ونحن نتكلَّم بما رُوِّينـاه منه، فماذا تُريد؟ قال: أصحابُكم هـؤلاء الذين خرجوا، بيني وبينهم كتـابُ الله؛ يقول الله تعالى في كتابه في امـرأةٍ ورجـلٍ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء: ٣٥]، فأمـةُ محمد ﷺ أعظمُ دماً وحُرْمةً من امرأة ورجـل. ونَقَموا عليَّ أن كاتبتُ معاويةَ: كتَبَ عليُّ بن أبي طالب، وقد جاءنا سُهيل بن عَمْرو، ونحن مع رسول الله ﷺ بالحُدَيْبِيَة حين صالحَ قومَه قريشـاً، فكتب رسـول الله ﷺ: «**بسم الله الرحمن الرحيم**»، فقال سُهيل: لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: «**كيف نكتُبُ؟**»

(١) يعني: الخلافة.

(٢) يعني: أمير المؤمنين.

فقال: اكتُبْ: باسْمِكَ اللَّهمَّ، فقال رســول الله ﷺ: «**فاكتُبْ محمد رسول الله**»، فقال: لو أعلمُ أنك رســولُ الله لم أُخَالِفْكَ، فكتب: هــذا ما صالَح محمدُ بن عبدالله قريشــاً. يقول الله تعالى في كتابه: ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ** ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فبعث إليهم عليٌّ عبدَ الله بن عباس ﷺ، فخرجتُ معه، حتى إذا توسَّطْنَا عســكرَهُم قام ابن الكَوَّاء يخطُب الناسَ فقال: يا حَمَلَــة القرآنِ! إنّ هذا عبدُ الله بن عباس ﷺ، فمن لم يكن يعرفهُ فأنا أُعَرِّفُــهُ من كتاب الله ما يعرفُه به، هذا ممَّن نَزَل فيه وفي قومه ﴿ **قَوْمٌ خَصِمُونَ** ﴾ [الزخرف: ٥٨]، فَرُدُّوه إلى صاحِبه، ولا تُواضِعُوه كتابَ الله.

فقام خطباؤهــم فقالــوا: والله لَنُوَاضِعَنَّهُ كتابَ الله، فإن جــاء بحقٍّ نعرفه لَنَتَّبِعَنَّه، وإنْ جاء بباطلٍ لَنُبَكِّتَنَّهُ بباطِله.

فواضَعُوا عبدَ الله الكتابَ ثلاثة أيام، فرَجَع منهم أربعةُ آلاف كلُّهم تائبٌ، فيهم ابن الكَوَّاء، حتى أَدْخَلَهم على عليٍّ الكوفةَ.

فبَعثَ علي ﷺ إلى بقيَّتِهم فقــال: قد كان من أَمرنــا وأَمر الناس ما قد رأيتُــم، فَقِفُوا حيث شِــئْتُم حتى تجتمعَ أمــةُ محمد ﷺ، بيننــا وبينكم أن لا تَسْــفِكوا دماً حراماً أو تَقْطَعُوا ســبيلاً أو تَظْلِمُوا ذِمّةً، فإنكم إنْ فعلتُم فقد نَبَذْنا إليكمُ الحربَ على سواءٍ إن الله لا يحبُّ الخائنين.

فقالت له عائشة ﷺ: يا ابنَ شــداد! فقد قَتَلهم، فقال: واللهِ ما بَعث إليهم حتى قَطَعُوا السبيلَ وسَــفَكوا الدمَ واستحلُّوا أهلَ الذمة، فقالت: آللهِ؟ قال: آللهِ الذي لا إله إلا هو لقد كان)[١].

---

(١) أخرجه أحمد (٦٥٦) واللفظ له؛ والحاكــم: ١٥٢/٢ـ١٥٤ وصحَّحه ووافقه الذهبي؛ وصحَّحه ابن كثير في البداية والنهاية: ٢٨٠/٧ـ٢٨١، وصحَّحه أحمد شاكر.



●● وبقي من بقي من الخوارج على رأيه وضلالته، حتى شتموا أمير المؤمنين وهو على المنبر، فبينما هو يخطُب ذات يوم، إذ قام إليه رجل من الخوارج فقال: يا علي! أشركتَ في دين الله الرجالَ، ولا حُكْمَ إلا لله! فتنادَوا من كل جانب: لا حُكْمَ إلا لله، لا حكم إلا لله! فجعل علي يقول: (هذه كلمةُ حقّ يُرادُ بها باطلٌ). ثم قال: (إن لكم علينا أن لا نمنَعَكم فيئاً ما دامت أيديكم معنا، وأن لا نمنَعَكم مساجدَ الله، وأن لا نبدأكم بالقتال حتى تبدؤونا).

واجتمعوا في بيت عبدالله بن وَهْب الراسِبيّ، فخطَبهم خطبة بليغة، زهَّدهم فيها في الدنيا، ورغَّبهم في الآخرة والجنة، وحَثَّهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قال: (فاخرجوا بنا إخوانَنا من هذه القرية الظالمِ أهلُها إلى بعض كُوَرِ الجبال)[1].

واجتمع رأي هؤلاء الأشقياء المتنطِّعين في دين الله على الخروج من بين ظهراني المسلمين، وبَعثوا لكل من هو على رأيهم فاجتمعوا بالنَّهْرَوان، وصارت لهم شوكة ومَنَعَة، وفيهم شجاعة وبأس، وهم يعتقدون أنهم في كل ذلك متقرِّبون إلى الله ﷻ!.

وانتقلوا إلى الفعل فعاثُوا في الأرض فساداً، وسفكوا الدماء، وقطعوا السبيل، واستحلّوا المحارم، وقتلوا من اجتاز بهم من المسلمين، ومرَّ بهم عبدالله بن خَبَّاب بن الأرتّ ـ وكان والياً لعليٍّ على بعض تلك البلاد ـ ومعه سُرِّيَّةٌ وهي حامل، فقتلوه وبقروا بطن سُرِّيَّته عن ولد!.

ولقي بعضهم خِنزيراً لبعض أهل الذمة، فضربه بعضُهم فشَقَّ جلده، فقال له آخر: لِم فعلتَ هذا وهو لذميٍّ؟ فذهب إلى ذلك الذمي، فاستحلَّه وأرضاه.

---

(١) تاريخ الطبري: ٧٣/٥، ٧٤؛ كتابي: الخلفاء الراشدون، ص ٦٢٥.

ومروا بنَخْلٍ فسـقطت تمرة من نخلة، فأخذها أحدهـم فألقاها في فمه، فقال له آخر: بغير إذنٍ ولا ثمنٍ؟! فألقاها ذاك من فمه!.

فَبَلغ عليّاً ما فعلوه من قَتْل المسـلمين، فتوجَّه إليهم بجيشه، وبعث بين يديه قيس بن سعد بن عُبادة، وبعث إلى الخوارج أن ادفعوا إلينا قتلةَ إخواننا منكم حتى أقتلهم، ثم أنا تاركُكم وذاهبٌ إلى الشـام، ثم لعـلَّ الله أن يُقْبِل بقلوبكم، ويردَّكم إلى خير مما أنتم عليـه. فبعثوا إلى علي يقولون: كلُّنا قتلَ إخوانكم، ونحن مسـتحلُّون دماءهـم ودماءكم. فتقدم إليهم قيس بن سـعد فوعظهم فيما ارتكبوه من الأمر العظيم، والخَطْب الجسيم، فلم ينفع! ثم جاء أبو أيوب الأنصاري فأنَّبَهم ووبَّخَهـم، فلم يَنْجَع. وتقدم إليهم أمير المؤمنين علي، فوعظهم وخوَّفَهم، وحذَّرهم وأنذرهم وتوعَّدَهم، فلم يكن لهم جواب إلا أن تنـادَوا فيمـا بينهم: أن لا تُخاطبوهـم ولا تكلِّموهـم، وتهيؤوا للقاء الله ﷻ، الرواحَ الرواحَ إلى الجنة!.

وتقدَّموا واصطفُّوا للقتال، وتأهَّبوا للنزال، ووقف علي بجيشـه أمامهم، وأمر أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان للخـوارج، ويقول لهم: من جاء إلى هذه الراية فهو آمن، إنه لا حاجة لنا فيكم إلا فيمن قتل إخواننا. فانصرف منهم طوائف كثيرون، وكانوا فـي أربعة آلاف، فلم يبقَ منهم إلا ألف أو أقلّ مع عبدالله بن وَهْب الراسبيِّ. فزحفوا إلى علي، فقدَّم علي بين يديه الخيل، وقدَّم منهم الرماة، وصفَّ الرجَّالة وراء الخيَّالـة، وقال لأصحابه: كُفّوا عنهم حتى يبدؤوكم. وأقبلت الخوارج يقولون: لا حُكْمَ إلا لله، الرواحَ الرواحَ إلى الجنة. فحملوا على الخيالة الذيـن قدَّمهم علي، ففرَّقوهم حتى أخذت طائفة من الخيالة إلـى الميمنة وأخرى إلى الميسـرة، فاسـتقبلَتْهم الرماة بالنبل، وعطفَتْ عليهم الخيالة من الميمنة والميسـرة، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسـيوف، فأناموا الخوارج، فصاروا صرعى تحت سـنابك الخيول، وقُتل

أمراؤهم: عبد الله بن وهب، وحُرْقوص بن زهير، وشُــريح بن أوفى، ولم ينجُ منهم إلا دون العشرة، ولا قُتل ممن مع علي إلا نحو العشرة.

وكان ذلك في شعبان سنة ثمان وثلاثين للهجرة(١).

وفي حديث زيد بن وَهْب ـ المتقدم ـ عن علــي رضي الله عنه قال: (لمَّا كان يومُ النَّهْروان لقي الخوارجَ، فلم يَبْرَحوا حتى شَجَروا بالرماح، فقُتِلوا جميعاً. قال علي: اطلُبوا ذا الثُّدَيَّة. فطَلَبــوه، فلم يجدوه، فقال علي: ما كَذَبْتُ ولا كُذِبْتُ، اطلُبوه! فطَلَبــوه، فوجدوه في وَهْدةٍ من الأرض، عليه نــاسٌ من القتلى، فإذا رجلٌ على يده مِثْلُ سَبَلات السِّنَّوْر، فكبَّر عليٌّ والناس، وأعجَبَهم ذلك)(٢).

وفي رواية: (فقال علي رضي الله عنه: التَمِسُوا فيهم المُخْدَجَ، فالتَمَسُوه فلم يجدوه. فقام علي رضي الله عنه بنَفْســه، حتى أتى ناســاً قد قُتــل بعضُهم على بعــضٍ، قال: أخِّروهم، فوجدوه مما يَلي الأرض، فكبَّر ثم قال: صَدَق الله وبَلَّغ رسوله)(٣).

خامساً: علي يقاتل الخوارج على تأويل القرآن:

عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال: (كنَّا جُلوساً ننتظرُ رسولَ الله ﷺ، فخرج علينا مِن بعضِ بيوت نســائِه، قال: فقُمنا معه، فانقطَعَتْ نَعْلُه، فتخلَّف عليها عليٌّ يَخْصِفُها، فمضَى رسول الله ﷺ، ومضَيْنَا معه، ثم قام ينتظره وقُمنا معه، فقال: «**إنَّ منكم مَــنْ يُقاتِلُ على تأويلِ هذا القرآنِ كمــا قاتَلْتُ على تَنْزِيلِهِ**»! فاستَشْرَفْنا، وفينا أبو بكر وعمر، فقال: «**لا، ولكنَّه خاصِفُ النَّعْلِ**» قال: فجِئنا نُبَشِّره، قال: وكأنه قد سمعه) لفظ أحمد.

---

(١) تاريخ الطبري: ٨١/٥ـ٩١؛ البداية والنهاية: ٢٨٨/٧ـ٢٩٠؛ الفتح: ٣٦/١٦؛ كتابي: الخلفاء الراشدون، ص ٦٢٥ـ٦٢٧.

(٢) السنن الكبرى، للنسائي (٨٥١٦). **والسنور**: حيوان من اللواحم يشبه الهر. **والسبلة**: الشارب.

(٣) صحيح مسلم (١٠٦٦) (١٥٦).

وفي رواية للحاكم وغيره: (قال أبو بكر: أنا هُوَ يا رســولَ الله؟ قال: «**لا**» قال عمر: أنا هُو يا رســول الله؟ قال: «**لا، ولكنْ خاصِــفُ النَّعْلِ**» يعني: عليّاً، فأتيناه فبشّرناه، فلم يرفَعْ به رأْسَه، كأنَّه قد كان سَمِعَه من رسول الله ﷺ)[(١)].

وهذا الحديث يصِفُ قتالَ أمير المؤمنين علي للخوارج بأنه سيكون على (تأويل القرآن)، وهكـــذا كان؛ حيث ظهر ذلك وتحقق بخروج الخوارج على الأمـــة، وانحرافهم في أقوالهم ومعتقداتهم وأفعالهـــم، فكانوا يتأوَّلون القرآن على غيـــر المراد منه، ويســتبدُّون برأيهم، ويتنطعون فــي مذهبهم ويقاتلون عليه؛ فَهُم كما وصفهم الحديـــث: «**يقرؤون القرآن لا يجـــاوز تراقيهم**»، فلا تفهمه عقولهم ولا تفقهه قلوبهم، لحداثة أسنانهم وضيق تفكيرهم.

وأخبر الحديث بأن عليّاً سيكون إمام الأمة وقائد الجيش الذي سيتصدى لذلـــك الانحراف الفكـــري والعقدي، ويبيـــن عُوار مذهب تلـــك الخارجة، ويقارعها بالبيان والحجة، ثم يقاتلها ويكسر فقارها، وكل ذلك وقع كما نطق به النبي ﷺ. وكان علي يعلم ذلك كما أوضح الحديث: (فأتيناه فبشرناه، فلم يرفع به رأسه، كأنه قد كان سمعه من رسول الله ﷺ).

سادساً: دروس وعبر[(٢)]:

١ ـ في هـــذه الأحاديث منقبـــة جليلة لأميـــر المؤمنين علـــي في قتاله الخوارج، كما في الحديث: «**فإن في قتالهم أجراً لمن قتلهم**».

٢ ـ وفي قصة الخـــوارج منقبة رفيعة لحبر الأمـــة عبدالله بن عباس، في

---

(١) أخرجه أحمد: (١١٧٧٣)؛ والنسائي في الكبرى (٨٤٨٨)؛ وابن حبان (٦٩٣٧)؛ والحاكم: ١٢٢/٣ ـ ١٢٣؛ والبغوي (٢٥٥٧)، وغيرهم؛ وصحَّحـــه الحاكم ووافقه الذهبي؛ وصحَّحه شعيب الأرنؤوط، والألباني في الصحيحة (٢٤٨٧).

(٢) استقيتُ بعض هذه الفوائد مما كتبه الحافظ في الفتح: ٥٧/١٦ ـ ٦٠.

مناظرته للخوارج وبراعته وقوة حجته وحسن استدلاله، فاستنقذ الله به (أربعة آلاف) انتقلوا من الضلال إلى الهدى، وله بذلك أجر هدايتهم إلى الحق.

٣ ـ وفيها حرص الصحابة ﷺ على الناس، وحب الخير لهم، وسعيهم الحثيث على هدايتهم، واستنقاذهم من براثن الهوى والتأويل الفاسد، وتبصيرهم بطريق الهدى والحق.

٤ ـ الكَفُّ عن قَتْل من يعتقد الخروجَ على الإمام، ما لم يَنصبْ لذلك حرباً أو يستعد لذلك؛ لقوله: «**فإذا خرجوا فاقتلوهم**». وحكى الطبري الإجماع على ذلك في حقّ مَنْ لا يكفر باعتقاده.

٥ ـ لا يجوز للحاكم قتال الخوارج وقتلهم إلا بعد إقامة الحجة عليهم، بدعائهم إلى الرجوع إلى الحق، والإعذار إليهم.

وقد التزم أمير المؤمنين علي بذلك إلى أبعد مدى، فقال لهم: (إنَّ لكم علينا أن لا نمنَعَكم فَيْئاً ما دامت أيديكم معنا، وأن لا نمنعكم مساجد الله، وأن لا نبدأكم بالقتال حتى تبدؤونا).

وتقدم إليهم فنصحهم، وناظرهم، ودعاهم ورغَّبهم ورهَّبهم، ثم أرسل إليهم ابن عباس، ثم قدَّم بين يديه قيس بن سعد، ثم أمر أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان لهم ويعلن أن من جاء إلى هذه الراية فهو آمن، فانصرف منهم نحو ثلاثة آلاف!.

٦ ـ لا يجوز أخذ أي إنسان بجريرة غيره؛ كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٧٩]. وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وهذا أمير المؤمنين علي يقول للخوارج بعد أن قتلوا عبدالله بن خبَّاب وأم ولده وغيرهما: (ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم حتى أقتلهم).

٧ ـ التحذير من الغلو في الديـــن والتنطع في العبادة وحمل النفس على أمور لم يأذن بها الشـــرع! فالشـــريعة سهلة ســـمحة، ودين الله متين، فيجب الإيغالُ فيه برفق، وحملُ أمور المســـلمين على الســـلامة، وعدمُ الطعن في دينهم أو تكفيرهم والخروج عليهم بتأويل فاســـد، وتفســـير النصوص بغير المراد منها.

٨ ـ في ديننـــا مجال رحـــب للاجتهـــاد المنضبط من أهلـــه وأصحابه، والاختلاف طبيعة البشر، وقد اختلف المســـلمون قديماً وحديثاً، لكن يجب أن لا يؤدي ذلك إلى المنابذة، وشـــق عصا الطاعة، وتفريق كلمة المسلمين، والعبث بوحدتهم، ففي ذلك ضياع البلاد وسفك الدماء.

٩ ـ حرص الإســـلام على وحدة الأمـــة، وحافظ علـــى روح الجماعة، واســـتأصل جراثيم الفرقة، وحـــارب مظاهر الشـــذوذ، وشـــدد النكير على أصحابها.



الفصل السادس

واقع الأمة والدولة بعد «النهروان» وقتل الخوارج

أولاً: ضَعفُ جيشِ علي، ونكولُ أتباعه عن نصرته، وتأنيبُه لهم وحضُّه عليهم:

قال أبو مِخْنَف وغيره: (كان علي لمَّا فرغ من أهل النَّهْروان، حَمِد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله قد أحسن بكم، وأعزَّ نصركم، فتوجَّهوا من فَوْركم هذا إلى عدوكم! قالوا: يا أمير المؤمنين، نفِدَت نبالُنا، وكلَّتْ سيوفنا، ونصَلتْ أسنَّة رماحنا، وعاد أكثرها قِصَداً؛ فارجع إلى مِصرنا، فلنستعدَّ بأحسن عدَّتنا، ولعل أمير المؤمنين يزيد في عُدَّتنا عُدَّة من هلك منا، فإنَّه أوفى لنا على عدوِّنا! وكان الذي تولى ذلك الكلام الأشعث بن قيس.

فأقبل حتى نزل النُّخَيلة، فأمر الناسَ أن يَلزموا عسكرَهم، ويوطِّنوا على الجهاد أنفسَهم، وأن يُقلّوا زيارة نسائهم وأبنائهم حتى يسيروا إلى عدوهم. فأقاموا فيه أياماً، ثم تسللوا من معسكرهم فدخلوا إلا رجالاً من وجوه الناس قليلاً، وتُرك العسكر خالياً، فلما رأى ذلك دخل الكوفة، وانكسر عليه رأيُه في المسير!).

زاد في رواية أخرى: (فتركهم أياماً، حتى إذا أيس من أن يفعلوا، دعا رؤساءهم ووجوهَهم فسألهم عن رأيهم وما الذي يُنظِرُهم؟ فمنهم المعتلّ، ومنهم المُكرَه، وأقلُّهم من نَشِط! فقام فيهم خطيباً فقال:

عبادَ الله، ما لكم إذا أمرتُكم أن تنفِروا اثَّاقلْتُم إلى الأرض؟! أَرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة، وبالذل والهوان من العِزّ؟! أَوَ كلما ندبتُكم إلى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت في سَكْرة، وكأن قلوبكم مألوسة، فأنتم لا تعقلون، وكأن أبصاركم كُمْه فأنتم لا تبصرون!...)[1].

وفيه ألفاظ منكَرة؛ كقوله: (عدوكم)، و(ندبتكم إلى الجهاد)، فأهل الشام ليسوا أعداء كما جاء في كلام علي وعمار وغيرهما، وقتالهم ليس جهاداً بل قتال فتنة.

ومع ضعف سند هذا الخبر وما فيه من ألفاظ منكرة، فقد جاء ما يؤيد عمومه في أخبار صحيحة:

روى إبراهيم بن سَعْد الزُّهري، عن شعبة، عن أبي عَوْن محمد بن عُبيد الله الثقفي، عن أبي صالح الحَنَفي قال: (رأيتُ علي بن أبي طالب أخذ المصحفَ فوضعه على رأسه، حتى إني لأرى ورقه يتقعقع، ثم قال: اللَّهمَّ إنهم منعوني أن أقوم في الأمة بما فيه، فأعطِني ثوابَ ما فيه. ثم قال: اللَّهمَّ إني قد مَللتُهم وملُّوني، وأَبغضْتُهم وأبغَضُوني، وحَمَلوني على غير طبيعتي وخُلقي وأخلاقٍ لم تكن تُعرف لي! اللَّهمَّ فأبدِلْني بهم خيراً منهم وأبدِلْهم بي شرّاً منِّي، اللَّهمَّ أَمِثْ قلوبَهم مَيْثَ الملح في الماء! قال إبراهيم: يعني أهل الكوفة)[2].

(١) تاريخ الطبري: ٥/٨٩ـ٩٠؛ المنتظم: ٥/١٣٧؛ البداية والنهاية: ٧/٣٠٧ـ٣٠٨. **قِصَداً**: قِطعاً منكسرة. **يُنْظِرهم**: يؤخِّرهم ويبطئ بهم. **مألوسة**: من الأَلْس وهو اختلاط العقل.

(٢) المعرفة والتاريخ: ٢/٧٥١؛ ابن عساكر: ٣/٢٦٥؛ البداية والنهاية: ٨/١٢؛ وبأخصر منه عند عبدالرزاق (١٨٦٧٠)؛ ومصنف ابن أبي شيبة: ٨/٥٨٦ من طرق أخرى، وأسانيدها كلها صحيحة. **ماث الملحَ في الماء**: أذابه.

وعن زهير بن الأقمر[1] الزُّبَيْديّ قال: (خطَبَنا عليٌّ يوم جمعة فقال: نُبِّئتُ أن بُسْـراً[2] قد طلع اليمن، وإني والله لَأحسـب أن هؤلاء القوم[3] سيظهرون عليكم؛ وما يظهـرون عليكـم إلا بعصيانِكـم إمامَكم وطاعتِهـم إمامَهم، وخيانتِكم وأمانتِهم، وإفسادِكم في أرضِكم وإصلاحِهم! قد بَعثتُ فلاناً فخَانَ وغَدَر، وبعثتُ فلاناً فخَان وغَدَر وبَعث المالَ إلى معاوية! لو ائتمنتُ أحدَكم على قِدْح لأخذ عِلَاقَته!.

اللَّهمَّ سَـئِمتُهم وسـئموني، وكرهتُهم وكرهوني، اللَّهـمَّ فأرِحْني منهم وأرِحْهم منِّي.

قال زهير: فما صلَّى الجمعة الأخرى حتى قُتل رضي الله عنه وأرضاه)[4].

بهذا وَصف أمير المؤمنين جيشَـه ومن يزعمون حبَّه ونُصرته، وبعكسه في الفضائل وَصف أهلَ الشام بالطاعة والأمانة والإصلاح، وليس بعد شهادة علي من قول، وهو ما يُضرب به وجوه الرافضة وأذنابهم الذين يَصِفون أهلَ الشام بالكفر والفسوق في الدين!.

وقد وصف ابن تيمية هذه الأخبـار بأنها متواترة عن علي، فقال: (وتواتر عنه أنه كان يتضجَّر ويتململ من اختلاف رعيته عليـه، وأنه ما كان يَظن أن الأمر يَبلُغ ما بَلغ!)[5].

---

(١) تحرف في «البداية والنهاية» وغيره إلى: زهير بن الأرقم. انظر ترجمته في تهذيب الكمال: ٢١٩/٣٤.

(٢) هو بسر بن أبي أرطاة.

(٣) يعني: أهل الشام.

(٤) تاريخ ابن عساكر: ٢٦٥/٣ـ٢٦٦؛ البداية والنهاية: ٣٢٦/٧، ورجاله ثقات وإسناده صحيح. وهو في نهج البلاغة، انظر: شرحه: ٢٨١/١.

(٥) منهاج السُّنَّة: ٤٦٤/٤.

بل جاءت هذه النصوص في «نهج البلاغة» أوثقِ كتاب عند عموم الشيعة، مع زيادات كثيرة. ومما قاله في ذمٍّ أتباعه لنكولِهم عن نصرته، وقعودِهم عنه، وإخلادِهم للراحة والكسل، قال:

(يا أشباهَ الرجالِ ولا رجالَ! حُلومُ الأطفال، وعقولُ ربَّاتِ الحِجَال؛ لَوددتُ أني لم أَرَكم ولم أعرفكم معرفةً ـ والله ـ جرَّتْ ندماً وأَعقبتْ سَدَماً. قاتلكم الله! لقد ملأتُم قلبي قيحاً، وشَحنتُم صدري غَيْظاً، وجَرَّعتُموني نُغَبَ التَّهمام أنفاساً، وأَفسدتُم علَيَّ رأيي بالعِصيان والخِذْلان...

أيَّ دارٍ بعد داركم تمنعون؟ ومع أيِّ إمام بعدي تُقاتِلون؟ المغرورُ والله مَن غَرَرْتُموه، ومَن فاز بكم فقد فاز والله بالسهمِ الأخيبِ!)[1].

ثانياً: قوة جبهة أهل الشام، وتمدد سُلطانهم في دولة الخلافة:

في مقابل ضعفِ الجبهة العراقية، ووهنِ جيش أمير المؤمنين علي، وتخاذلِ جنده عن القيام بأوامره ـ فإن الجبهة الشامية تزداد قوة، والجيش الشامي يستمر في تماسكه وطاعته التامة لوالي الشام معاوية. ونتج عن ذلك مع عوامل أخرى؛ تمدُّدُ سلطان الشام شيئاً فشيئاً على أمصار كبيرة وبلدان كثيرة من ولايات دولة الخلافة.

فمعركة صفين لم تحسِم الموقف لأي من الطرفين، وتمخَّض عنها التحكيم الذي لم يبتَّ في المسائل الخلافية الأساسية، وكان من أخطر نتائجه وأبرزها الاعتراف الضمني والواقعي بأمير الشام والشاميين كقوة كبيرة مستقلة مؤثرة على مسرح الأحداث في دولة الخلافة مما لم يكن معهوداً في عصر الخلفاء الراشدين الثلاثة.

---

(١) نهج البلاغة، شرحه لابن أبي الحديد: ٣٥٥/١، ٣٨٢. السدم: الحزن والغيظ. نُغَب: جمع نَغْبة وهي الجَرْعة. التَّهمام: الهمّ.



والذي مهَّد لذلك وأَسَّس له وأنتجه هو الأحداث التي وقعت أواخر عهد عثمان، والفتن التي اختلقها وأذكى جذوتها قتلةُ عثمان، واستمروا مع السبئية في المُضيِّ فيها حتى عهد علي وأحداثِ وقعتي الجمل وصفين ثم الخوارج ـ مما أَنهك قوى جيش علي وأحدث شروخاً في صفوفه، ورسَّخَ عدمَ الثقة بين قواه وقادته. ناهيك عن كثرة اختلافهم على الخليفة المبتلى بهم! مما فَتَّ في أعضادِ الجند، فَنَكَلوا عنه وخذلوه وتسلَّلوا منه لِواذاً، وتركوه في طائفة من أنصاره، حتى دعا عليهم من قلب يعتصر مرارة، وتنغَّصت عليه الحياة وأصبح ينتظر أجَلَه ويقول: (ماذا ينتظر أشقاها)؟!.

يقول ابن تيمية: (وقد ذاق منهم علي بن أبي طالب ﷺ من الكاسات المُرّة ما لا يعلمه إلا الله، حتى دعا عليهم فقال: اللَّهمَّ قد سئمتُهم وسئموني، فأبدِلْني بهم خيراً منهم، وأبدِلْهم بي شرّاً مني! وقد كانوا يغشُّونه ويكاتبون من يحاربه، ويخونونه في الولايات والأموال)[1].

هذا فضلاً عما حصل في كثير من الولايات الكبيرة والبعيدة من فتن واختلاف على الولاة وانقلاب الأمراء والعمال عليه ﷺ !.

هذه الظروف والعوامل التي حدثت في دولة الخلافة وأحاطت بها؛ أوهنت قواها وأضعفت روابطها وأفقدتها عوامل الصمود والمناعة أمام التحديات. وفي مقابل ذلك كانت مصدر قوة لجبهة الشام التي تتمتع بجميع عوامل القوة والنجاح.

●● فالجزيرة الفراتية ـ التي بين نهرَي دجلة والفرات ـ هي إحدى الولايات التابعة للشام في خلافة عثمان، وعند استشهاده كانت تحت سلطان معاوية، مما جعلها محلَّ تنازعٍ عند استخلاف علي؛ لاتصالها بالشام من

---

(١) منهاج السُنَّة: ١/٤٠٠ـ٤٠١.

جهة، وبالعراق من جهة ثانية. وقد دخلت في سلطان الخلافة مدة، ثم عاد الاضطراب إليها بعد صفين والتحكيم، وتمكن معاوية من ضمّها إلى سلطانه سنة (٣٩هـ).

•• والولاية الأهم والأخطر هي مصر لاعتبارات كثيرة: لقُربِها من الشام، ولكونها تشكل معه وحدة جغرافية وسياسية كبيرة وخطيرة، وهي بوَّابة المغرب العربي الإسلامي، وفاتحها والخبير بها وبأهلها هو الفاتح الكبير عمرو بن العاص وهو الرجل الثاني في الجبهة الشامية، وهي (موطن الفتنة) التي عصفت بروح الشهيد عثمان بن عفان، وكانت مَباءةً للاختلاف على ولاته ثم على ولاة علي من بعده، وأهلها منقسمون بين (عثمانية) و(علوية)...

هذه العوامل كانت كفيلة بالاهتمام الشديد من قِبل الخليفة علي ووالي الشام معاوية: ففي أواخر عهد عثمان طَرَدَ أصحابُ الفتنة (وعلى رأسهم محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة) والي عثمان (عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح)، وانتزى على حكمها محمد بن أبي حذيفة. وعندما استُخلف علي أقرَّه مُدَيدَةً، ثم أرسل والياً عليها (الصحابي الداهية قيس بن سعد بن عُبادة) الذي تمكن من إدارة الصراع بين مكوناتها وساسَها أحسنَ سياسة. لكن أصحاب الفتنة أفسدوا ما بينه وبين أمير المؤمنين علي، فعزله وأرسل (الأشتر النخعي) الذي قُتل في الطريق، فولى عليها (محمد بن أبي بكر)!.

في هذه الظروف التي يعيشها ذلك المِصر الكبير، مع ظروف وقعة صفين والتحكيم؛ أوكل معاويةُ إدارة الصراع إلى فاتح مصر والخبيرِ بجميع شؤونها: عمرو بن العاص، فسار إليها في جيش من الشام ودخلها وتمكن من التغلب على محمد بن أبي بكر وقتله، وأضحى والياً عليها للمرة الثالثة (الأولى في عهد عمر، والثانية في خلافة عثمان).



وأصبحت مصر تابعةً لوالي الشام معاوية، وشـكَّلت مع بلاد الشام قوة استراتيجية جغرافية وسياسية كبيرة وهامة ومتينة، والتي أَخذت مع مرور الزمن السريع تضمُّ إليها الأمصار واحداً تلو الآخر.

هذه هي حقيقة عملِ عمرٍو في ضَمِّ مصر إلى الشام، لا ما تروِّجُه الأخبار التالفة من أنه اشترط لانضمامه إلى معاوية أن يجعل (مِصر طعمةً) له ولولده[1]!.

●● وكذلك كانت (بلاد الحجاز) مناطق تنازع بين علي ومعاوية، حتى إنه حدث خلاف على إمرة الحج سنة (٣٨هـ)، حيث بعث كلٌّ من علي ومعاوية أميراً من قِبله ليحجَّ بالناس، ولم ينتهِ الخلاف إلا بالتصالح على أن يتولى رجل آخر على الموسم ليقيم للناس حجَّهم[2].

وانحسرت سلطة الخلافة عن الحجاز في سنة (٤٠هـ)، ودخلت في سلطان معاوية.

●● وكانت اليمن أيضاً مسرحاً لصراع القوتين، وسيطرت عليها قوات معاوية مدة، ثم استعادها علي وأخضعها لسلطان الخلافة.

●● وجَرَتْ أيضاً صراعات محدودة على بعض المناطق في العراق؛ مثل هيت والأنبار والقُطْقُطانة قرب الكوفة.

إلى غير ذلك من الأحداث التي تشير بمجموعها إلى تنامي قوة أهل الشام وضعف قوة أهل العراق. وأمام هذا الواقع الجديد رأى الفريقان أن يتفقا على هدنة بينهما تُغمد فيها السيوف وتُحقن الدماء.

وقد ذكر الطبري ذلك في أحداث سنة (٤٠هـ)، ورواها بصيغة التمريض والضعف، فقال: (وفي هذه السنة فيما ذُكر جرت بين عليٍّ وبين معاويةَ

(١) انظر ما تقدم: ص٣٩٠ ـ ٤٩٣، ٤٠٦ ـ ٤١٠ في هذا الكتاب.

(٢) تقدم: ص٤١٥ في هذا الكتاب.

المهادنة، بعد مكاتبات جرت بينهما: على وَضْع الحرب بينهما، ويكون لعليٍّ العراق ولمعاويةَ الشام، فلا يدخل أحدُهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو)[1].

وقد آلَمَ أميرَ المؤمنين عليّاً ما آلَتْ إليه الأمورُ، وزاد من حزنه ومرارة عيشه ما رآه من الخوارج الذين كانوا معه ثمّ خرجوا عليه وقاتلوه، فقتلهم، وبَقيتْ منهم بقيةٌ كانوا يتهدَّدونه بالقتل. وكان هو يعلم أنه سيُقتل غَدْراً، فضاقت عليه الدنيا وتنغَّصت الحياة، بعد أن اصطَلَحتْ عليه المِحن، فكان ينتظر أجَلَه ويقول: (ما يَحبس أشقاها؟! ما لَه لا يَقتُل؟!).

بهذا الفصل المأساوي الحزين الدامي كانت نهاية حياة أمير المؤمنين رابع الخلفاء الراشدين، وهذا ما سنفصله في الباب الأخير من هذا الكتاب.



(١) تاريخ الطبري: ١٤٠/٥؛ البداية والنهاية: ٣٢٣/٧.

الباب الثامن

الأيامُ الأخيرةُ في حياةِ علـيّ

- الاستشهادُ.
- الوداعُ والمراثي.



الفصل الأول

الاستشهادُ

من فضل الله تعالى ومن حكمة الأقدار أن النفوس الكبيرة يُختَم لها بخاتمة جليلة شهيرة مدوّية. وأصحاب الفضائل الكثيرة والأعمال الجليلة يُجْزَوْنَ الجزاء الأوفى بما يكافئ مكانتهم وشموخ قامتهم ووزنهم في التاريخ وصناعة الأحداث ـ وهكذا كانت نهاية أمير المؤمنين علي.

وهل هناك أجَلُّ وأكرمُ وأشهرُ وأعظمُ من أن يُرزق المرء الشهادة ويُبشَّر بالجنة، ويَعلم هو ذلك ويتيقَّنه، ويَمضي في حياته والأحداث الجسام تحتوشه ولا تستطيع أن تزحزحه عن يقينه الصارم بالخاتمة الرائعة والدامية في الوقت نفسه؟! هكذا كان أمير المؤمنين علي، الذي مضى على سبيل الخلفاء الراشدين من قبله، فنال الشهادة والسعادة مثل ما نالها قبله الفاروق عمر وذو النورين عثمان!.

أولاً: الأحاديث في استشهاد علي:

١ ـ عن أبي الأسود الدُّؤَليّ: (عن عليٍّ قال: أتاني عبدالله بن سَلَام وقد وَضعتُ رِجلي في الغَرْز وأنا أريدُ العراقَ، فقال: لا تأتِ العراقَ فإنك إنْ أتيتَهُ أصابَكَ به ذُبَابُ السَّيف! قال علي: وايْمُ اللهِ، لقد قالها لي رسولُ الله ﷺ

قَبْلك! قال أبو الأسود: فقلت في نفسي: يا للهِ! ما رأيت كاليوم؛ رجلٌ مُحارَبٌ يحدِّثُ الناسَ بمثلِ هذا!)[1].

٢ ـ وعن علي بن أبي طالب: (أن رسول الله ﷺ قال: «**أشقى الأوَّلِين عاقِرُ الناقة، وأشقى الآخِرين الذي يَطعَنُك يا عليّ**» وأشار إلى حيث يُطْعَن)[2].

٣ ـ وعن عبد الله بن سَبُع قال: (سمعتُ عليّاً يقول: لَتُخْضَبَنَّ هذه من هذا، فما يَنتظِرُ بي الأَشـقى؟! قالوا: يا أمير المؤمنين فأخبِرْنـا به نُبِيرُ عِتْرَتَه! قال: إذنْ تاللهِ تقتلون بي غيرَ قاتلي! قالوا: فاسْتَخْلِفْ علينا، قال: لا، ولكنْ أتركُكُم إلى ما تركَكُم إليه رسـول الله ﷺ، قالوا: فما تقولُ لربِّـك إذا أتيتَهُ ـ أو: إذا لَقِيتَهُ ـ؟! قال: أقول: اللَّهمَّ تركتَني فيهم ما بـدَا لك، ثم قبضْتَني إليك وأنتَ فيهم، فإنْ شئتَ أصلحتَهم، وإنْ شئتَ أفسَدْتَهم)[3].

٤ ـ وعن عمار بن ياسـر قـال: (كنتُ أنـا وعلـيٌّ رفيقَيْن في غـزوة ذات العُشَيْرة...)، فذكر قصة، ثم قال: (قال رسول الله ﷺ: «**ألَا أُحدِّثكما بأشقى الناس؟**» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**أُحَيْمِرُ ثمودَ الذي عَقر الناقة، والذي يَضْرِبُك يا عليُّ على هذه**» ووضع يده على قَرْنِه، «**حتى يَبُلَّ منها هذه**» وأَخذ بِلِحْيَتِه)[4].

٥ ـ وعن زيد بن وَهْب قال: (جـاء رأسُ الخوارج إلى علي فقال له: اتقِ

---

(١) أخرجه الحميدي (٥٣)؛ وأبو يعلـى (٤٩١)؛ والبزار (٢٥٧١)؛ وصحَّحه ابن حبان (٦٧٣٣)؛ والحاكم: ١٤٠/٣، واللفظ له، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) أخرجه ابن سعد: ٣٥/٣؛ وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٠٨٨) بشواهده.

(٣) أخرجه أحمد (١٠٧٨) و(١٣٣٩)، واللفظ له؛ وابن سعد: ٣٤/٣؛ وابن أبي شيبة: ٥٨٧/٨، وصحَّحه أحمد شاكر.

(٤) أخرجه أحمد: ٢٦٣/٤ (١٨٣٢١)؛ والنسـائي في الكبرى (٨٤٨٥)؛ وابن هشام في السيرة: ٥٩٩/١ـ٦٠٠؛ والطحاوي في شـرح مشـكل الآثـار (٨١١)؛ والحاكـم: ١٤٠/٣ـ١٤١ وصحَّحه، وأقره الذهبي؛ وصحَّحه شعيب الأرنؤوط، والألباني في الصحيحة (١٧٤٣).

اللهَ فإنك ميّتٌ! فقــال: لا والذي فَلَق الحبَّة وبَرَأَ النَّسَــمة، ولكني مقتولٌ من ضربةٍ من هذه تَخْضِبُ هذه ـ وأشــار بيده إلى لحيتــه ـ عهدٌ معهودٌ، وقضاءٌ مقضيٌّ، وقد خاب مَن افترى!)[1].

ثانياً: عِلمُ عليٍّ بأنه سيُقتل شهيداً:

هذه الأحاديث تنص على أن عليّاً ﷺ إذا خرج إلى العراق سيُصيبه ذُبَاب السيف؛ أي: حدُّه، ويموت قتلاً شهيداً، فيُضْرَب على هامته فيسيل الدم على لحيته حتى تبتل بدمه الزكي!.

وكان علي راســخَ اليقين بهذا الإخبار النبوي، فقد مرض ذات مرة حتى خاف عليه أصحابه، وجاؤوا يعودونه:

روى فَضالة بــن أبي فَضَالــة الأنصاري قــال: (خرجتُ مع أبــي عائداً لعلي بن أبي طالب من مرض أصابه ثَقُلَ منه، قــال: فقال له أبي: ما يُقِيمُك في منزلك هذا؟! لــو أصابك أجَلُكَ لم يَلِكَ إلا أعــرابُ جُهينة! تُحمل إلى المدينة، فإنْ أصابــك أجلُك وَلِيَكَ أصحابُك وصلَّــوا عليك، فقال علي: إن رسول الله ﷺ عَهِد إليَّ أن لا أموتَ حتى أُؤَمَّر، ثم تُخضبَ هذه ـ يعني لحيتَه ـ من دم هذه ـ يعني هامَتَه ـ!)[2].

وروى زيد بن أَسْلم: أن أبا سِنان الدُّؤَلي حدثه: (أنه عاد عليّاً في شكوى اشتكاها، فقلتُ له: لقد تخوّفْنا عليك يا أبا الحســن في شكواك هذه! فقال: ولكنِّي والله ما تخوَّفْتُ على نفسي منه؛ لأني سمعتُ الصادقُ المصدوق ﷺ يقول: «**إنك ستُضرب ضربةً هاهنا وضربةً هاهنا**» وأشار إلى صدغيه، «**فيسيلُ**

---

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائده على المســند (٧٠٣)؛ والطيالســي (١٥٧)؛ والحاكم: ١٤٣/٣، وصحَّحه أحمد شاكر.

(٢) أخرجه أحمد (٨٠٢)، وصحَّحه أحمد شاكر.

دمُها حتى تُخضَبَ لحيتُك، ويكون صاحبُها أشقاها، كما كان عاقرُ الناقة أشقى ثمودَ»)[١].

وكان رضي الله عنه يحدث الناس بذلك، ويقول: (لَتُخْضَبنَّ هذه من هذه، فما يَنتظر بي الأشقى؟!).

وقد كان له أيام الخوارج حراس يحرسونه كل ليلة، يبيتون في المسجد بالسلاح، فرآهم فقال: ما يُجلِسُكم؟ قالوا: نحرسُك، فقال: أَمِنْ أهل السماء تحرسون أم من أهل الأرض؟ قالوا: بل من أهل الأرض، قال: إنه لا يكون في الأرض شيء حتى يُقضى في السماء، وليس من أحد إلا وقد وُكِّل به مَلَكان يدفعان عنه ويَكْلآنه، حتى يجيء قَدَرُه، فإذا جاء قدرُه خَلَّيا بينه وبين قَدَرِه! وإن عليَّ من الله جُنَّةً حَصينةً، فإذا جاء أجلي كُشف عني، وإنه لا يجدُ عبدٌ طعمَ الإيمان حتى يعلمَ أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه[٢].

ولما دخل شهر رمضان جعل علي يتعشَّى ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند عبدالله بن جعفر، لا يزيد على ثلاث لُقَم، ويقول: يأتي أمرُ الله وأنا خَمِيصٌ، وإنما هي ليلة أو ليلتان[٣]!.

وكان يتمثل بهذين البيتين:

اشْدُدْ حَيَازِيمَكَ للموتِ ... فإنَّ الموتَ آتِيكا
ولا تَجْزَعْ من القَتْلِ ... إذا حَلَّ بِوَادِيكا[٤]

---

(١) أخرجه عبد بن حميد في المنتخب (٩٢)؛ وأبو يعلى (٥٦٩)؛ والحاكم ١١٣/٣ وصحَّحه؛ وصحَّحه شعيب الأرنؤوط في هامش شرح مشكل الآثار: ٢٨٣/٢ (٨١١).

(٢) تاريخ ابن عساكر: ٢٨٩/٣ ـ ٢٩٢.

(٣) المعرفة والتاريخ: ٤٠١/٣؛ ابن عساكر: ٢٩٤/٣؛ البداية والنهاية: ١٢/٨ ـ ١٣.

(٤) طبقات ابن سعد: ٣٣/٣؛ مجمع الزوائد: ١٣٨/٩. **الحيزوم**: هو الصدر، والكلام كناية عن التشمر للأمر والاستعداد له.



عن أبي مِجْلَز لاحِق بن حُميد قال: (جاء رجل من مراد إلى علي وهو يصلي في المسجد، فقال: احترِسْ، فإن ناساً من مراد يريدون قتلك! فقال: إن مع كل رجل مَلَكين يحفظانه مما لم يُقدَّر، فإذا جاء القدر خلَّيَا بينه وبينه، وإن الأَجَلَ جُنَّة حصينة)[1].

ولم يكن علي مفرِّطاً في حق نفسه، لأنه عَلِم من رسول الله ﷺ أنه سيُقتل، ولن يحول دون قدر الله تعالى حراس ولا حُجَّاب، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

ثالثاً: تنفيذ الجريمة الغادرة:

قام ثلاثة نفرٍ من الخوارج هم: عبد الرحمن بن مُلْجَم المُرادي، والبُرَكُ بن عبد الله التَّمِيمي، وعَمْرو بن بكر التميمي، فاجتمعوا في مكة، وتذاكروا قَتْلَ عليٍّ إخوانَهم من أهل النَّهْروان، فترحموا عليهم، وتعاقدوا على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص! فقال ابن مُلْجَم: أما أنا فأكفيكم علي بن أبي طالب، وقال البُرَك: وأنا أكفيكم معاوية، وقال عَمْرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص. واتَّعَدوا لسبع عشرة من رمضان، أن يُبيِّت كل واحد منهم صاحبَه في بلده الذي هو فيه.

وسار ابن مُلْجَم إلى الكوفة لتنفيذ جريمته، وانضمَّ إليه هناك رجل من بني الرِّباب يقال له: وَرْدان، وآخر هو شَبيب بن بَجَرة الحَرُوريّ. فجاء هؤلاء الثلاثة وهم مشتمِلون على سيوفهم، فجلسوا مقابل السدَّة التي يخرج منها أمير المؤمنين علي، فلما خرج جعل يُنهِض الناسَ من النوم إلى الصلاة، ويقول: الصلاةَ الصلاةَ، فثار إليه شبيب بالسيف فضربه فوقع في الطاق[2]،

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣٤/٣. جُنَّة: وقاية.

(٢) **الطاق**: ما عطف وجعل كالقوس من الأبنية، والمقصود أنه لم يصبه.

فضربه ابنُ مُلجَم فأصاب جبهته إلى قَرْنه(١)، فسالَ دمُه على لحيته ﷺ! ولما ضربه ابن ملجم قال: لا حُكْمَ إلا لله، ليس لك يا علي ولا لأصحابك، وجعل يتلو قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

ونادى عليٌّ: عليكم به. وهَرب وَرْدان، فأدركه رجلٌ من حضرموت فقتله، وذهب شبيب فنَجَا بنفسه وفاتَ الناسَ، وأُخِذ ابنُ مُلْجَم فأُدخِل على عليٍّ، وقدَّم عليٌّ جعدةَ بنَ هُبيرة فصلَّى بالناس صلاة الفجر(٢).

رابعاً: وقفة تأمل وعبرة:

ظاهر الروايات يشير إلى أن استهداف أمير المؤمنين عليٍّ من قِبل الخوارج كان انتقاماً منه وثأراً لإخوانهم الذين قتلهم يوم النَّهْروان، وأنه حادث فردي محدود. وهكذا تصوِّر الأخبار التي رويت في قتل الشهيد العظيم فاروق الإسلام عمر، وذي النورين عثمان!.

وعلى هذا السبيل الساذج يسير كثير ممن كتب عن هذه الأحداث الخطيرة، متعمدين أو غافلين عن الأسباب الحقيقية الكامنة وراءها، وكشفِ المخطط الرهيب الذي انتَظَمتْ فيه الأحداث لتحقيق الهدف الخبيث في اغتيال الشهداء الثلاثة عمر وعثمان وعلي.

فالفاروق عمر قد وسِع بعدله المسلمين وغير المسلمين، وبسط رحمته للبهائم والعجماوات، لكن ضاق به حقد المجوس والصليبية، فائتمروا عليه بتخطيط من الهرمزان القائد الفارسي الذي أظهر إسلامه، فاجتمع بأبي

---

(١) قرنه: جانب رأسه.

(٢) تاريخ الطبري: ١٤٣/٥ـ١٤٦؛ طبقات ابن سعد: ٣٥/٣ـ٣٨؛ البداية والنهاية: ٣٢٦/٧ـ٣٢٩.



لؤلؤة المجوسـي وجُفينة النصراني ودبَّروا طريقة الاغتيال التي نفذها أبو لؤلؤة، وعندما أُخِذ نَحر نفسَه لتموت أسرار المؤامرة معه، والتي كُشفت فيما بعد.

وفي عهد عثمان اخترع أعداء الإسلام طريقاً جديداً تمثَّل في الطعن على الولاة والاختلاف عليهم ونشْر الشائعات ضدهم ثم الخروج عليهم، وجاء ابن سبأ فطَوَّر المخطط وأضاف إليهِ بُعْداً خطيراً فاخترع (أكذوبة الوصية لعليّ)، وروَّجَ لها بين الرَّعَاع حتى طارت في الأمصار وانتشرت في مصر والعراق، وانتهت المؤامرة بالخروج على أمير المؤمنين عثمان ثم محاصرته وسفك دمه وهو صائم يتلو القرآن الكريم.

واستمر قتلة عثمان في مخططهم الإجرامي في عهد علي، وكانوا السببَ الأول والأخير في إراقة الدماء وقتْل الأنفس في وقعتي الجمل وصفين التي انتهت بالتحكيم وولد من (رحمها السرطاني الخبيث) الخوارج الذين خرجوا على علي ثم قتلوه!.

وفكرة الخروج على الولاة وعلى أمير المؤمنين علي لم تكن بِدْعاً، بل هي لون آخر من طريقة الذين خرجوا على عثمان، والنتيجة واحدة.

وإذا كان علي (قد حكَّم آراءَ الرجال بالقرآن) كما يزعم الخوارج، مما اقتضى برأيهم تكفيرَهُ ومقاتلتَه، ثم هو الذي قتل إخوانهم يوم النهروان مما يُبيح الثأر منه ـ فلماذا قرَّر هؤلاء السفهاء المجرمون قتْلَ الصحابة الثلاثة: (علي ومعاوية وعمرو)؟ وما هو الجامع بين ثلاثتهم؟!.

إننا نرى أن لقتلة عثمان والسبئية يداً طولى في ذلك، وهي ليست بالخفيّة، لكن الروايات التاريخية أغفلَتْها: لطغيان (المدِّ الخارجي) آنذاك، ولأن الثلاثة الذين نفذوا الجريمة كانوا من الخوارج، وأيضاً لأن جيش علي

قد انْخَزَل عنه وتركه لمصيره؛ مما أوحى ـ في الرواية التاريخية ـ بأن قتلة عثمان قد اضمحلّ دورُهم في الأحداث الأخيرة.

لكنْ وضع الرجال الثلاثة الكبار (علي ومعاوية وعمرو) في مخطط الاغتيال، يشي بأن أكثر من جهة متضررة منهم وخائفة من بقائهم فضلاً عن اتفاقهم! فعليٌّ رضي الله عنه عدو الخوارج وقاتلُ أبنائهم وأحبتهم إذا قُتل فسوف يؤول أمر الخلافة إلى الوالي القوي الشهير معاوية، وهو عدو الخوارج لأنه دعا إلى التحكيم، كما أنه عدو لدود لقتلة عثمان والسبئية، حيث إن محورَ عملِه ومواقفِه إقامةُ الحد عليهم والقصاص منهم لدم الشهيد عثمان، فلا بدّ من قتله لهذا وذاك!.

أما عمرو بن العاص فهو عدوٌّ قديم للسبئية وقتلة عثمان منذ ولايته على مصر في عهد عثمان وكذلك في عهد علي، حيث أخذ بأنفاسهم وحاصرهم وقضى عليهم وقتل محمد بن أبي بكر هناك وأضحى أميرَ مصر من جديد، ولا يخفى إضافة إلى ذلك عداوته للخوارج لأنه صاحب فكرة (التحكيم)!.

وهكذا باستقراء الأحداث المتسلسلة من لَدُن أواخر عهد عمر حتى استشهاد علي؛ نرى المخطط الرهيب يسير بانتظام، وتتكامل عناصره وتتجمع أطرافه وتتوحد قواه لتصبَّ في اتجاه واحد هو هدمُ الخلافة ومحاربةُ الإسلام وإيقافُ مدِّه الدفَّاع وتفكيكُ عناصر قوته من الداخل، وقد نجح هذا المخطط ـ للأسف ـ في تحقيق بعض أهدافه!.

ومما يلفت نظرَ الباحث والدارس والمتابع لتلك الأحداث الخطيرة، أن الخلفاء الثلاثة قد نُفِّذت المؤامرة ضدهم واغتيلوا (في أوقات عبادة وهدوء وأمان):

فعمرُ طُعِن وهو يؤمُّ المسلمين في صلاة الفجر، وعثمان استُشهد محاصَراً في بيته وهو صائم يتلو القرآن، وعليٌّ نال الشهادة

وهو صائم في السابع عشر من رمضان وقد خرج من بيته يوقظ المسلمين لصلاة الفجر!.

أتُراها مصادفة؟ أم أن الجُناة المجرمين قد مَشَوا على خطة واحدة واختاروا (أوقات الأمن لهم) من المراقبة والمتابعة والمواجهة، حيث قلوب المسلمين متفرّغة للعبادة خاشعة في لقاء الله ﷻ والوقوف بين يديه، في حين قلوب أعداء الإسلام تضطرم حقداً وتنفذ الجريمة في تلك الأوقات الهادئة الآمنة؟!.

خامساً: تاريخ استشهاده، ومدة خلافته، ومبلغ عمره:

طُعن علي رضي الله عنه يوم الجمعة سحراً، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة (٤٠هـ)، فمكث يوم الجمعة وليلة السبت، وفاضت روحه إلى بارئها ليلة الأحد، لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان.

واستمرت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر، وكان عمره يوم استُشهد ثلاثاً وستين سنة[١].

سادساً: غسله والصلاة عليه، وموضع قبره واختراع مشهده:

غسَّله ابناه الحسن والحسين، وعبدالله بن جعفر، وكفَّنوه في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص، وصلَّى عليه ابنه الحسن ـ أكبر بنيه ـ ودُفن بدار الإمارة بالكوفة، خوفاً عليه من الخوارج أن ينبشوا قبره. وفي رواية: أنه دُفن بالكوفة عند مسجد الجماعة في الرحبة، والمشهور الأول[٢].

---

(١) تاريخ خليفة، ص ١٩٨؛ طبقات ابن سعد: ٣٧/٣، ٣٨؛ تاريخ الطبري: ١٥٢/٥، ١٥٣؛ تاريخ بغداد: ١٣٤/١، ١٣٦؛ المستدرك: ١١٢/٣ـ١١٣، ابن عساكر: ١٨/١ـ١٩، ٣١٧/٣ـ٣٢٩، ٣٤٠ـ٣٤٥.

(٢) تاريخ خليفة، ص ٢٠١؛ طبقات ابن سعد: ٣٨/٣؛ المستدرك: ١٤٣/٣؛ ابن عساكر: ٣٠٧/٣، ٣١٠ـ٣١٤؛ البداية والنهاية: ٣٢٩/٧ـ٣٣٠.

قال ابن كثير: (ومن قال: إنه حُمل على راحلته فذهبت به فلا يُدرى أين ذهب، فقد أخطأ وتكلَّف ما لا علمَ له به، ولا يُسيغه عقل ولا شرع، وما يعتقده كثيرٌ من جَهَلة الروافض من أن قبره بمشهد النَّجَف؛ فلا دليل على ذلك ولا أصل له)[١].

ونقل الخطيب البغدادي عن الحافظ محمد بن عبدالله الحَضْرمي المعروف بِمُطَيَّن: أنه (كان يُنكِر أن يكون القبر المَزور بظاهر الكوفة قبرَ علي بن أبي طالب عليه السلام. وكان يقول: لو علمت الرافضة قبر مَنْ هذا لرجَمَتْه بالحجارة؛ هذا قبرُ المغيرة بن شعبة!)[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما المشهد الذي بالنجف: فأهلُ المعرفة متفقون على أنه ليس بقبر عليٍّ، بل قيل: إنه قبر المغيرة بن شعبة، ولم يكن أحد يَذكر أن هذا قبر علي، ولا يقصده أحد أكثر من ثلاث مئة سنة؛ مع كثرة المسلمين من أهل البيت والشيعة وغيرهم، وحكمهم بالكوفة. وإنما اتخذوا ذلك مشهداً في مُلك بني بُوَيْه ـ الأعاجم ـ بعد موت علي بأكثر من ثلاث مئة سنة!)[٣].

سابعاً: تركته:

ثبت عن الحسن بن علي أنه قال: لم يترك أبي إلا سبع مئة درهم، كان يَرصدها لخادم يشتريها لأهله[٤].

---

(١) البداية والنهاية: ٧/٣٣٠.

(٢) تاريخ بغداد: ١/١٣٨؛ تاريخ ابن عساكر: ٣/٣١٤. وقد تكلم محققه الرافضي في هؤلاء العلماء الذين ذكروا موضع القبر؛ بأقذع الكلام وأنهم لا علم لهم بهذا، وهم (من شيعة آل أبي سفيان وأبناء الشجرة الملعونة في القرآن!)... إلى آخره كلامه!.

(٣) مجموع الفتاوى: ٤/٥٠٢، وانظر: ٤/٤٩٨ـ٥٠٢، ٢٧/٤٤٦؛ منهاج السُّنَّة: ٤/٨٨.

(٤) الحلية: ١/٦٥؛ الاستيعاب: ٣/٤٨؛ ابن عساكر: ٣/٣٣٠.

أي: لم يترك من النقـد، فقد ترك أراضي وعقارات وقُـرى ورقيقاً كثيراً بِيَنْبُع ووادي القرى، وقد كتب وصية مطولة مفصلة في (١٠ جمادى الأولى، سنة ٣٩هـ)[١]، وأوصى بالخمس مما ترك[٢].

ثامناً: وصاياه:

دخل جُندب بن عبد الله على عليٍّ فقـال: (يا أمير المؤمنين، إنْ فَقَدناك ـ ولا نَفْقِدك ـ فنبايع الحسن؟ فقال: ما آمرُكم ولا أنهاكم، أنتم أبصر. فردَّ عليه مثلَها، فدَعَا حسناً وحسـيناً، فقال: أوصيكما بتقوى الله، وألا تبغيا الدنيا وإنْ بغَتْكمـا، ولا تبكيا على شـيء زُوِي عنكما، وقُولَا الحـق، وارحما اليتيم، وأغيثا الملهوف، واصنعا للآخـرة، وكونا للظالم خصمـاً وللمظلوم ناصراً، واعملا بما في كتاب الله، ولا تأخذْكما في الله لومة لائم.

ثم نظر إلى محمد ابن الحَنفيَّة فقال: هل حفظتَ ما أوصيتُ به أخوَيْك؟ قال: نعم، قال: فإني أوصيك بمثله، وأوصيـك بتوقير أخويك لعظيم حقهما عليـك، فاتبع أمرَهمـا، ولا تقطع أمراً دونهمـا. ثم قال: أوصيكمـا به فإنه شقيقكما وابنُ أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه.

وقال للحسـن: أوصيك أي بُنَيَّ بتقوى الله، وإقـام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلها، وحسـن الوضوء فإنه لا صلاة إلا بطهور، ولا تُقبل صلاة من مانع زكاة. وأوصيك بغَفْر الذنب، وكَظْم الغيـظ، وصلة الرحم، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمر، والتعاهد للقرآن، وحسـن الجوار، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش)[٣].

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١٩٤١٤).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٣٠٦/٧.

(٣) تاريخ الطبـري: ١٤٦/٥ـ١٤٧؛ مروج الذهب: ٣٢١/٢ـ٣٢٢؛ البدايـة والنهاية: ٣٢٨/٧. =

فلما حَضَرْت علياً الوفاةُ أوصى، فكانت وصيته: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب: أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق لِيُظهِرَه على الدين كلِّه ولو كره المشركون. ثم إن صلاتي ونسكي ومحيايَ ومماتي لله رب العالمين، لا شريكَ له وبذلك أُمرت وأنا من المسلمين.

ثم أوصيك يا حسن وجميعَ ولدي وأهلي بتقوى الله ربكم، ولا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا؛ فإني سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «**إنَّ صلاحَ ذات البَيْن أفضَلُ من عامة الصلاة والصيام**». انظروا إلى ذوي أرحامكم فَصِلُوهم يُهوِّن الله عليكم الحساب. اللهَ اللهَ في الأيتام، فلا تُعنوا أفواهَهم، ولا يَضيعُنَّ بحضرتكم. واللهَ اللهَ في جيرانكم فإنهم وصيةُ نبيكم ﷺ، ما زال يوصي به حتى ظَنَنَّا أنه سيورِّثه. واللهَ اللهَ في القرآن فلا يسبقنَّكم إلى العمل به غيرُكم. واللهَ اللهَ في الصلاة فإنها عمودُ دينكم. واللهَ اللهَ في بيت ربكم فلا تُخلوه ما بقيتم. واللهَ اللهَ في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم. واللهَ اللهَ في الزكاة فإنها تُطفِئ غضبَ الربِّ.... ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولَّى الأمرَ شرارُكم ثم تَدْعُون فلا يُستجاب لكم. وعليكم بالتواصل والتباذل وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب.

حفظكم الله من أهلِ بيتٍ، وحفِظ فيكم نبيَّكم، أستودِعُكم الله، وأقرأُ عليكم السلام ورحمة الله.

= وانظر وصية مطولة جداً للحسن في «نهج البلاغة»: شرح نهج البلاغة: ٨/٢٢٩، ٢٦٣_٣١٠.



ثم لم ينطق إلا بـ«لا إلٰه إلا الله» حتى قُبِض رضي الله عنه، وذلك في شهر رمضان سنة أربعين)[١].

وأوصى رضي الله عنه وأرضاه بأن لا يُمثَّل بقاتلِه؛ فعن محمد ابن الحنفيَّة، عن أبيه أمير المؤمنين علي: أنه قال في عبدالرحمن بن مُلْجَم:

(إنه أسيرٌ، فأحسِنوا نُزُلَه وأكرِموا مَثْواه، فإنْ بقيتُ قَتلتُ أو عَفوتُ، وإنْ مُتُّ فاقتُلوه قِتْلَتي، ولا تعتدوا إنَّ الله لا يحبُّ المعتدين!)[٢].



(١) تاريخ الطبري: ١٤٧/٥ـ١٤٨؛ البداية والنهاية: ٣٢٨/٧ـ٣٢٩.

(٢) أخرجه ابن سعد: ٣٥/٣، ورجاله ثقات وإسناده صحيح؛ وهو في أسد الغابة: ٣٥/٤؛ وتاريخ ابن عساكر: ٢٩٨/٣.

الفصل الثاني

الوداعُ والمَراثي

ودَّع الصحابة والتابعون والأمة الإسلامية بالحزن العميق والأسى الغامر والدموع السخية شهيدَ الإسلام والحق والبطولة، أميرَ المؤمنين ورابعَ الخلفاء الراشدين أبا الحسن رضي الله عنه وأرضاه... وامتدحوه وأطابوا الثناء عليه والمنافحة عنه في حياته وبعد وفاته.

ـ ومن أجلِّ مراثيه ما جاء عن ابنه الحسن السبط الكريم ﷺ، فقد روى هُبَيْرة بن يَرِيم قال: سمعتُ الحسن بن علي قام فخطب الناس فقال: (يا أيها الناس، لقد فارقكم أمسِ رجلٌ ما سَبَقه الأوَّلون ولا يُدركه الآخِرون، لقد كان رسول الله ﷺ يبعثُه المبعث فيُعطيه الرايةَ، فما يَرجعُ حتى يفتحَ الله عليه، جبريلُ عن يمينه، ومِيكائيلُ عن شِماله! ما تَرَك بيضاءَ ولا صفراءَ، إلا سبعَ مئةِ درهمٍ فَضَلتْ من عطائه، أراد أن يشتري بها خادماً)[1].

ـ وعن مُغيرة بن مِقْسَم الضَّبِّي قال: (جاء نَعِيُّ علي إلى معاوية وهو قائل مع امرأته فاختة بنت قَرَظة، فقعد باكياً مسترجعاً! فقالت له فاختة: أنت بالأمس تطعن عليه واليوم تبكي عليه؟! فقال: ويحكِ! أنا أبكي لِما فقد الناس من حِلْمه وعِلْمه).

---

(١) أخرجه أحمد (١٧١٩)؛ والنسائي في الكبرى (٨٣٥٤)؛ وابن حبان (٦٩٣٦)؛ وابن أبي شيبة: ٤٩٩/٧؛ وابن سعد: ٣٨/٣ـ٣٩، وغيرهم، وصحَّحه أحمد شاكر.

وفي رواية: قـال معاوية: (إنا لله وإنا إليه راجعون، مـاذا فقدوا من العلم والحلم والفضل والفقه!)[١].

ـ ولمَّا بلَغتْ وفاتُه أمَّ المؤمنين عائشة، حزنَتْ عليه وقالت:

فألقَتْ عصاها واستقرَّتْ بها النَّوى ... كما قَرَّ عَيْناً بالإِيابِ المُسافِرُ[٢]

ـ وكانت ابنتُه أم كلثوم إذا حضرت صلاة الفجر هيَّجَتْ فؤادَها للذكريات الفاجعة وغَـدْر الغادرين، فكانت تقول: (ما لي ولصـلاة الغَداة! قُتل زوجي عمرُ أميرُ المؤمنين صلاة الغداة، وقُتل أبي أميرُ المؤمنين صلاة الغداة!)[٣].

ـ وقام أبو الأسود الدُّؤَلي يرثي أستاذه ومربِّيه، فقال[٤]:

ألا يا عيـنُ ويحكِ أَسْـعِدينا ... ألا تبكـي أميـرَ المؤمنينـا!
وتـبـكـي أمُّ كـلـثـوم عليه ... بعَبْرتهـا وقـد رأتِ اليَقينـا
ألا قُلْ للخوارجِ حيـثُ كانوا ... فلا قـرَّتْ عيـونُ الحاسِـدينا
أفي شـهر الصيـام فَجَعتُمونا ... بخير النـاس طُـرّاً أجمعينا[٥]
قتلتُم خيرَ مَن ركـب المَطايا ... وذَلَّلهـا ومَـن ركب السَّـفينا
وكلُّ مناقـبِ الخيـرات فيـه ... وحِـبُّ رسـولِ ربِّ العالمينا

ـ ويقول هشام بن حسـان القُرْدُوسِـيّ البصري: (بينا نحن عند الحسن البصري، إذ أقبل رجل من الأَزارِقة فقال له: يا أبا سعيد، ما تقول في علي بن أبي طالب؟ قال: فاحمرَّتْ وجنتا الحسـن، وقال: رحمَ الله عليّاً؛ إنَّ عليّاً كان سـهماً لله صائباً في أعدائـه، وكان فـي محلة العلـم أشـرفها وأقربها من

---

(١) تاريخ ابن عساكر: ٣/٣٣٧ـ٣٤٠؛ البداية والنهاية: ٨/١٤.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/٤٠.

(٣) تاريخ الإسلام، للذهبي ـ عهد الخلفاء الراشدين، ص ٦٤٨ـ٦٤٩؛ البداية والنهاية: ٨/١٣.

(٤) الاستيعاب: ٣/٦٦ـ٦٧؛ أسد الغابة: ٤/٣٩ـ٤٠؛ تهذيب الكمال: ٢٠/٤٨٩.

(٥) يعني في زمانه، وكذلك ما جاء بعده في الشعر ثناء ومدح.

رســول الله ﷺ، وكان رباني هذه الأمة. لم يكن لمال الله بالسَّـروقة، ولا في أمر الله بالنؤومــة، أعطى القرآن عزيمــة علمه فكان منه فــي رياض مونقة، وأعلام بيِّنة، ذاك علي بن أبي طالب يا لكع!)[1].

ـ وقد امتدح عمران بن حِطَّان الخارجيّ عبدَ الرحمن بنَ مُلجَم في قتله عليّاً، فقال:

يا ضربةً من تقيٍّ مــا أرادَ بها ... إلا لِيَبلُغَ من ذِي العرش رِضوانا
إنــي لأَذْكُره حينــاً فأَحْسِــبُه ... أوفَــى البَرِيَّة عنــد الله ميزانا!

فعارَضَه العالم الفقيه المحدث الشاعر بكر بن حماد التاهَرْتي[2]، فقال:

قُلْ لابن مُلْجَــمَ والأقدارُ غالبةٌ ... هَدَمْتَ ويلكَ للإســلامِ أركانا
قتلتَ أفضلَ من يمشي على قدمٍ[3] ... وأوّلَ النــاسِ إســلاماً وإيمانا
وأعلمَ الناس بالقــرآنِ ثم بما ... سَنَّ الرسولُ لنا شَــرعاً وتِبْيَانا
صهرَ الرســولِ ومولاه وناصرَه ... أضحــتْ مناقبُه نــوراً وبُرْهانا
وكان في الحربِ سيفاً صارماً ذَكَراً ... لَيْثــاً إذا لقــيَ الأقــرانُ أقرانا
ذكــرتُ قاتلَه والدمــعُ مُنحدِرٌ ... فقُلتُ سبحانَ ربِّ الناسِ سُبحانا
إني لأَحْسِــبُه ما كانَ من بَشرٍ ... يَخشى المعادَ ولكنْ كانَ شيطانا
أشــقَى مرادٍ إذا عُــدَّتْ قبائِلُها ... وأخسَــرُ الناسِ عند اللهِ ميزانا
كعاقرِ الناقةِ الأولى التي جَلبَتْ ... على ثمودَ بأرضِ الحِجْرِ خُسْرانا
فــلا عَفَــا الله عنــه ما تحمَّلَهُ ... ولا سَقَى قبرَ عمرانَ بنِ حطَّانا
لقولِه في شــقيٍّ ظــلَّ مُجترِماً ... ونــالَ ما نالَــهُ ظُلمــاً وعُدْوانا

---

(١) الاستيعاب: ٣/٤٧؛ تاريخ ابن عساكر: ٣/٢٠٣ـ٢٠٤. والأزارقة: إحدى أكبر فِرق الخوارج.

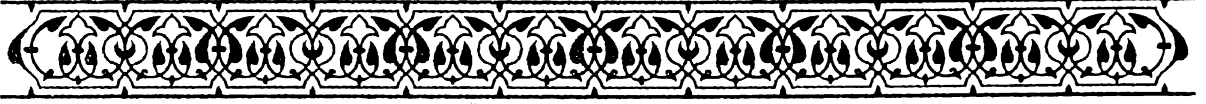
(٢) نسبة إلى (تاهَرْت) بالجزائر، حياته (٢٠٠ـ٢٩٦هـ).

(٣) هذا التفضيل وما بعده مما هو من بابه إنما يعني في زمن علي.

يا ضربةً من تقيٍّ مــا أرادَ بها   إلا لِيبلُغَ من ذِي العرش رِضْوانا
بل ضربةً من غَوِيٍّ أَوردَتْهُ لظًى   فسوفَ يَلقى بها الرحمنَ غَضْبَانا
كأنَّه لم يُــرِدْ قصــداً بضربتِهِ   إلا لِيَصْلَى عذابَ الخُلْدِ نِيرانا[1]



(١) الاستيعاب: ٣/٦٢ ـ ٦٣.



الخاتمـــة

تمثّل حياة أمير المؤمنين علي نموذجاً متميزاً في سِـيَر عظماء التاريخ؛ بما تضمَّنَتْه مـــن خصائص متفردة وفضائل متنوعة وشـمائل حميدة وأعمال مجيدة ونهاية عجيبة، قضى فيها على يدي سـفيه أحمق موتور اغتال روحه الطاهرة وهو يوقظ المؤمنين لصلاة الفجر!.

وبمقدار ما كانت سيرته المشهودة حافلة بالأعمال الخالدة؛ كانت سيرته المكتوبة المنقولة مشـحونة بالآلاف من الصفحات التي شَرَّق فيها الكاتبون وغرَّبوا، وجاروا وتزيَّدوا، وغالوا وانحرفوا، حتى تسرَّبت إلى ضمير التاريخ وعقول الناس وقلوبهم صورٌ عن عليٍّ تُناقض الحق وتُجافي الحقيقة!.

وأشـــهد أنني لم أتحمل من الأعباء والضيق في الكتابـة عن عَلَم من الأعلام مثلَ ما تحملتُه في ترجمة سـيدنا علي، ولا بَذلتُ من الوقت مثل الزمن الـذي أمضيته في سـيرته؛ قراءةً وبحثـاً وتتبعاً وتنقيبـاً وتمحيصاً وتوجيهـاً وردوداً علـى الترّهات والأباطيـل والافتراءات، فاسـتغرق هذا الكتاب جهدَ سـنتين من البحث والدرس، وهو ضعف ما تستغرقه الكتابة عن عَلَم آخر سواه.

وقد ألزمتُ نفسي بالصبر والمصابرة لقراءة كل ما وصلَتْ إليه يدي مما سـطَّره المؤرخون والمصنفـون والباحثون قديمـاً وحديثـاً، على اختلاف

مشـــاربهم وتنوع مناهجهم، وكنت أكبح جماحَ النفس عند نِفَارها مما كُتب في حالات كثيرة لا يحتملها كثير من الناس؛ لشناعتها أو سخافتها أو تهوُّرِها وافترائها! إذْ لـــم يكن من ذلك بُـدٌّ، حتى أتمكن من رســم معالم واضحة للمتناقضات والأُخلوقات التي حُشرت في صفحات سيرة هذا السيد الكبير. والغاية المرجوة من وراء ذلك هي الوصول إلى الحقيقة أولاً، وإنصافُ العَلَم المترجَم ثانياً، ونفيُ الجَوْر عنه سواء بالزيادة أو النقصان ثالثاً، وأخيراً تقديمُ الصورة المجلوَّة الصادقة المتكاملة عنه، والتـــي تفيد جمهور القرّاء وتحترم عقولهم وآدابهم وقناعاتهم.

والذي أرجـــوه أن أكون قـــد حققتُ ما قصـــدتُ إليه مـــن خدمة أمير المؤمنين علي في تجلية سيرته المباركة في أجمل معالمها وأسمى حقائقها، بما يرضي الله تعالى. ثم بعد هذا ومعه أن تضع عليّاً ﷺ في المكان اللائق به والذي يستحقه بين إخوانه من الصحابة عامة والخلفاء الراشدين خاصة، وذلك في المرتبة الرابعة فلا يتقدم على أبـــي بكر ولا على عمر ولا على عثمان ـ تأسيساً وتأصيلاً على ما جاء في السنن الشريفة والتاريخ الصحيح الذي عاشه مع الصحابة وسجَّلَتْه الأخبار المستقيمة، فالصحابة رضوان الله عليهم كلهم مبجلون محترمون وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون، والمسلم الصادق المنصـــف المعتدل يحبهم جميعاً ويترضـــى عنهم ويعطي كل ذي حق حقه.

إن أميـــر المؤمنين عليّـــاً رحل من الدنيا لكن ســـيرته باقيـــة في قلوب المؤمنين جيـــلاً بعد جيل، وخرج من الدنيا ليدخل العالم الآخر من أوســـع أبوابه، باب الشهداء والصديقين، ولقي وجه ربه وهو صائم ظامئ لينالَ هناك شربة لا يظمأ بعدها أبداً.



فهنيئاً لك يا أبا الحســن الصحبة، ونِعمت الخاتمة، ولْتَهنِك المنزلة في الجنان مع آل بيتك في جوار رسول الله ﷺ.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

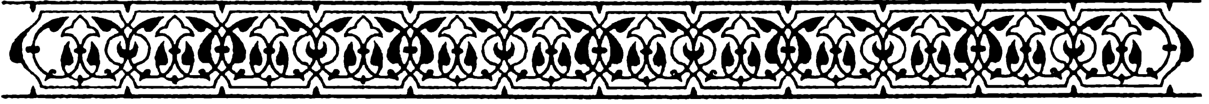
عبد الستار الشيخ

مساء يوم الخميس

٢٢/جمادى الآخرة/١٤٣٤هـ

٢/٥/٢٠١٣م

دبي ـ دولة الإمارات العربية المتحدة



المراجـــع

١ ـ **أباطيل يجب أن تُمحى من التاريخ**، د. إبراهيم شعوط، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٢ ـ **أبو بكر الصديق**، عبدالستار الشيخ، دار القلم ـ دمشق.

٣ ـ **أبو تراب علي بن أبي طالب**، د. طلال الجنابي، الدار العربية للموسوعات ـ بيروت.

٤ ـ **أخبار القضاة**، محمد بن خلف (وكيع)، عالم الكتب ـ بيروت.

٥ ـ **الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين**، د. نايف معروف، دار النفائس ـ بيروت.

٦ ـ **الأدب المفرد**، الإمام البخاري، باعتناء محمد هشام البرهاني، الإمارات.

٧ ـ **إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء**، الشاه ولي الله الدهلوي، دار القلم ـ دمشق.

٨ ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ابن عبدالبرّ، طبع مع الإصابة، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٩ ـ **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ابن الأثير، دار الفكر ـ بيروت.

١٠ ـ **الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة**، ملّا علي القاري، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١١ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

١٢ ـ **أصول الكافي**، الكليني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

١٣ ـ **أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية**، د. ناصر بن عبد الله القفاري، دار الرضا ـ مصر.

١٤ ـ **أعلام الحفاظ والمحدثين**، عبد الستار الشيخ، دار القلم ـ دمشق.

١٥ ـ **إعلام الموقعين**، ابن القيم، المكتبة العصرية ـ بيروت.

١٦ ـ **أمالي الصدوق**، ابن بابويه القمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

١٧ ـ **الإمام علي، أسد الإسلام وقديسه**، روكس بن زائد العزيزي، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

١٨ ـ **الإمام علي في رؤية «النهج» و«رواية» التاريخ**، د. إبراهيم بيضون، بيسان ـ بيروت.

١٩ ـ **الإمام القائد**، بسام العسلي، دار النفائس ـ بيروت.

٢٠ ـ **الإمامة والرد على الرافضة**، أبو نعيم الأصبهاني، مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنوّرة.

٢١ ـ **الإمامة والسياسة**، منسوب لابن قتيبة، الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

٢٢ ـ **الأموال**، أبو عبيد القاسم بن سلام، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٣ ـ **الإنصاف فيما وقع في العصر الراشدي من الخلاف**، د. حامد محمد الخليفة، دار القلم ـ دمشق.

٢٤ ـ **البداية والنهاية**، ابن كثير، مكتبة المعارف ـ بيروت.

٢٥ ـ **بصائر الدرجات**، محمد بن الحسن الصفار، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

٢٦ ـ **بيعة علي بن أبي طالب**، أم مالك الخالدي وحسن المالكي، مكتبة التوبة ـ الرياض.

٢٧ ـ **تاريخ الإسلام**، الذهبي، تحقيق. د. عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٢٨ ـ **التاريخ الأوسط**، الإمام البخاري، تحقيق محمد بن إبراهيم اللحيدان، دار الصميعي ـ الرياض.

٢٩ ـ **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣٠ ـ **تاريخ الخلفاء**، السيوطي.

٣١ ـ **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، دار طيبة ـ الرياض.

٣٢ ـ **تاريخ دمشق**، ابن عساكر، «**ترجمة علي**» تحقيق محمد باقر المحمودي، دار التعارف ـ بيروت.

٣٣ ـ **تاريخ الطبري**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ـ مصر.

٣٤ ـ **تاريخ القضاء في الإسلام**، د. محمد الزحيلي، دار الفكر ـ دمشق.

٣٥ ـ **التاريخ الكبير**، الإمام البخاري، دار الفكر ـ بيروت.

٣٦ ـ **تاريخ اليعقوبي**، تحقيق عبدالأمير مهنا، الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

٣٧ ـ **تبصير السوي ببطلان مرويات الوصي**، عبدالفتاح محمد سرور، دار أضواء السلف ـ الرياض.

٣٨ ـ **تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة**، د. محمد أمحزون، دار السلام ـ القاهرة.

٣٩ ـ **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، دار الباز ـ مكة المكرّمة.

٤٠ ـ **تفسير ابن عيينة**، جمع وتحقيق أحمد صالح محايري، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٤١ ـ **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، دار ابن كثير ـ دمشق.

٤٢ ـ **تنزيه الشريعة**، ابن عَرَّاق، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٤٣ ـ **تهذيب الأسماء واللغات**، النووي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٤٤ ـ **تهذيب التهذيب**، ابن حجر، دار الفكر ـ بيروت.

٤٥ ـ **تهذيب الكمال**، المزي، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٤٦ ـ **الثقات**، ابن حبان، دار الفكر ـ بيروت.

٤٧ ـ **جامع الأصول**، ابن الأثير، تحقيق عبدالقادر الأرنؤوط، دار الفكر ـ بيروت.

٤٨ ـ **جامع بيان العلم وفضله**، ابن عبد البرّ، دار الفكر ـ بيروت.

٤٩ ـ **الجامع لأحـــكام القرآن**، القرطبي، تحقيق عبد الـــرزاق المهدي، مكتبة الرشد ـ الرياض.

٥٠ ـ **جمهرة أنساب العرب**، ابن حزم، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٥١ ـ **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٥٢ ـ **حياة الصحابة**، محمد يوسف الكاندهلوي، دار القلم ـ دمشق.

٥٣ ـ **خصائص علي**، النسائي، تحقيق أبي إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي ـ بيروت، وبتحقيق أحمد ميرين البلوشي، مكتبة المعلّا ـ الكويت.

٥٤ ـ **الخلفاء الراشدون**، عبد الستار الشيخ، دار القلم ـ دمشق.

٥٥ ـ **الخلفاء الراشدون**، عبد الوهاب النجار، دار الأرقم ـ بيروت.

٥٦ ـ **خلفاء الرسول**، خالد محمد خالد، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٥٧ ـ **دستور معالم الحكم من كلام علي**، القضاعي، دار القلم ـ دمشق.

٥٨ ـ **رجال الكشي**، شيخ الطائفة الطوسي، طهران.

٥٩ ـ **الرياض النضرة**، المحب الطبري، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٦٠ ـ **زاد المعاد**، ابن القيم، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٦١ ـ **الزيادة والإحسان في علوم القرآن**، ابن عقيلة المكي، الإمارات العربية ـ جامعة الشارقة.

٦٢ ـ **سبل الهدى والرشاد**، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، لجنة إحياء التراث الإسلامي ـ القاهرة.

٦٣ ـ **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ـ الرياض.

٦٤ ـ **سلسلة الأحاديث الضعيفة**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ـ الرياض.

٦٥ ـ **السُّنَّة**، ابن أبي عاصم، تحقيق وتخريج الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٦٦ ـ **السنن الأربعة**، للأئمة أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، دار الرسالة العالمية ـ دمشق، بيروت.

٦٧ ـ **السنن الكبرى**، البيهقي، وبذيله الجوهر النقي، دار المعرفة ـ بيروت.

٦٨ ـ **السنن الكبرى**، النسائي، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٦٩ ـ **السياسة الشرعية**، ابن تيمية، دار المعرفة ـ بيروت.

٧٠ ـ **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، تحقيق جماعة من أهل العلم، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٧١ ـ **السيرة النبوية**، ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وزميليه، مؤسسة علوم القرآن ـ دمشق.

٧٢ ـ **السيرة النبوية**، أبو الحسن الندوي، دار القلم ـ دمشق.

٧٣ ـ **السيرة النبوية**، د. محمد محمد أبو شهبة، دار القلم ـ دمشق.

٧٤ ـ **شرح السُّنَّة**، البغوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٧٥ ـ **شرح صحيح مسلم**، النووي، دار أبي حيان ـ القاهرة.

٧٦ ـ **شرح العقيدة الطحاوية**، ابن أبي العز الدمشقي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، دار عالم الكتب ـ الرياض.

٧٧ ـ **شرح مشكل الآثار**، الطحاوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٧٨ ـ **الشيعة وآل البيت**، إحسان إلٰهي ظهير، إدارة ترجمان السُّنَّة ـ لاهور ـ باكستان.

٧٩ ـ **الشيعة والتشيع**، إحسان إلٰهي ظهير، إدارة ترجمان السُّنَّة، لاهور ـ باكستان.

٨٠ ـ **الشيعة والسُّنَّة**، إحسان إلٰهي ظهير، إدارة ترجمان السُّنَّة ـ لاهور ـ باكستان.

٨١ ـ **الشيعة والقرآن**، إحسان إلٰهي ظهير، إدارة ترجمان السُّنَّة، لاهور ـ باكستان.

٨٢ ـ **صحاح السنن الأربعة**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض.

٨٣ ـ **صحيح البخاري**، طبعة السلطان عبد الحميد، دار الجيل ـ بيروت.

٨٤ ـ **صحيح الجامع الصغير**، الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٨٥ ـ **صحيح ابن حبان**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٨٦ ـ **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، تحقيق محمود فاخوري، دار المعرفة ـ بيروت.

٨٧ ـ **صورتان متضادتان**، أبو الحسن الندوي، دار البشير ـ جدة.

٨٨ ـ **الضعفاء الكبير**، العقيلي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٨٩ ـ **ضعيف الجامع الصغير**، الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٩٠ ـ **الطبقات الكبرى**، ابن سعد، دار الفكر ـ بيروت.

٩١ ـ **عبد الله بن سبأ**، سليمان بن حمد العودة، دار طيبة ـ الرياض.

٩٢ ـ **العبر في خبر من عبر**، الذهبي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٩٣ ـ **عبقرية الإمام علي**، عباس محمود العقّاد، المكتبة العصرية ـ بيروت.

٩٤ ـ **عثمان بن عفان**، عبد الستار الشيخ، دار القلم ـ دمشق.

٩٥ ـ **العشرة المبشرون بالجنة**، عبد الستار الشيخ، دار القلم ـ دمشق.

٩٦ ـ **عصر الخلافة الراشدة**، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان ـ الرياض.

٩٧ ـ **عقائد الشيعة**، محمد الحسين آل كاشف الغطاء، مكتبة النافذة ـ مصر.

٩٨ ـ **علي بن أبي طالب**، عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربي ـ القاهرة.

٩٩ ـ **علي بن أبي طالـــب**، د. علي محمد محمد الصلابـــي، دار ابن كثير ـ دمشق.

١٠٠ ـ **علي وبنوه**، د. محمد يوسف النجرامي، دار المدني ـ جدة.

١٠١ ـ **علي بن أبي طالب مستشـــار أمين للخلفاء الراشدين**، د. محمد عمر الحاجي، دار الحافظ ـ دمشق.

١٠٢ ـ **علي والخلفاء**، د. بشار عواد معروف، طباعة منظمة المؤتمر الإسلامي الشعبي.

١٠٣ ـ **عمر بن الخطاب**، عبدالستار الشيخ، دار القلم ـ دمشق.

١٠٤ ـ **العواصم من القواصم**، ابن العربي، تحقيق محب الدين الخطيب، دار الجيل ـ بيروت.

١٠٥ ـ **غاية النهاية في طبقات القرّاء**، ابن الجزري، تحقيق ج. برجستراســـر، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٠٦ ـ **فتح الباري**، ابن حجر، دار أبي حيان ـ القاهرة.

١٠٧ ـ **فتح الملهم وتكملته ـ شـــرح صحيح مســـلم**، شـــبير أحمد العثماني ومحمد تقي العثماني، دار القلم ـ دمشق.

١٠٨ ـ **الفصل فـــي الملل والأهـــواء والنحـــل**، ابن حـــزم، دار المعرفة ـ بيروت.

١٠٩ ـ **فضائل الإمام علي**، محمد جواد مغنية، دار مكتبة الحياة ـ بيروت.

١١٠ ـ **فضائل القرآن**، ابن كثير، دار الأندلس ـ بيروت.

١١١ ـ **فضائل القرآن**، النسائي، تحقيق د. فاروق حمادة، دار القلم ـ دمشق.

١١٢ ـ **القتال في الفتنة**، عبدالله بن عبدالعزيز السويد، دار الفضيلة ـ الرياض.

١١٣ ـ **القول الجلي في فضائل علي**، السيوطي، مؤسسة نادر ـ بيروت.

١١٤ ـ **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١١٥ ـ **الكامل في ضعفاء الرجال**، ابن عدي، دار الفكر ـ بيروت.

١١٦ ـ **لسان الميزان**، ابن حجر، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

١١٧ ـ **لماذا تأخر العرب**، د. أحمد التل، عمّان.

١١٨ ـ **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**، أبو الحسن الندوي، الدار الشامية ـ بيروت.

١١٩ ـ **مجمع الزوائد**، الهيثمي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٢٠ ـ **مجمل عقائد الشيعة والمراجعات في الميزان**، أبو عبدالله النعماني الأثري، مكتبة الصحابة ـ الإمارات.

١٢١ ـ **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، السعودية.

١٢٢ ـ **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، محمد حميد الله، دار النفائس ـ بيروت.

١٢٣ ـ **محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية**، محمد الخضري، دار المعرفة ـ بيروت.

١٢٤ ـ **محمد رسول الله ﷺ**، محمد الصادق عرجون، دار القلم ـ دمشق.

١٢٥ ـ **مختصـــر تاريـــخ ابن عساكر**، ابن منظور، دار الفكر ـ دمشق.

١٢٦ ـ **مدخل إلى تفســير القرآن وعلومــه**، د. عدنــان زرزور، دار القلم ـ دمشق.

١٢٧ ـ **المرتضى علي بن أبي طالب**، أبو الحسن الندوي، دار القلم ـ دمشق.

١٢٨ ـ **مروج الذهب**، المسعودي، المكتبة العصرية ـ بيروت.

١٢٩ ـ **المستدرك**، الحاكم، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

١٣٠ ـ **مسند أحمد**، تحقيق أحمد شاكر، مكتبة التراث الإسلامي ـ القاهرة ـ وطبعات أخرى.

١٣١ ـ **مسند أحمد «مرتب على الأبواب»**، ترتيب صالح الشامي، دار القلم ـ دمشق.

١٣٢ ـ **مسند الحميدي**، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، عالم الكتب ـ بيروت.

١٣٣ ـ **مسند الطيالسي**، دار المعرفة ـ بيروت.

١٣٤ ـ **المصاحــف**، ابن أبــي داود، تحقيــق د. محب الدين واعــظ، وزارة الأوقاف ـ قطر.

١٣٥ ـ **مصنف ابن أبي شيبة**، دار الفكر ـ بيروت.

١٣٦ ـ **مصنــف عبد الــرزاق**، تحقيق حبيــب الرحمن الأعظمــي، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

١٣٧ ـ **المصنوع في معرفة الحديث الموضوع**، علي القاري، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب.

١٣٨ ـ **المطالب العالية**، ابن حجر، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار المعرفة ـ بيروت.

١٣٩ ـ **المعالم الأثيرة في السُّنَّة والسيرة**، محمد محمد حسن شراب، دار القلم ـ دمشق.

١٤٠ ـ **معجم الأدباء**، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٤١ ـ **معجم البلدان**، ياقوت الحموي، دار الفكر ـ بيروت.

١٤٢ ـ **معرفة القرّاء الكبار**، الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

١٤٣ ـ **المعرفة والتاريخ**، الفسوي، تحقيق أكرم العمري، مكتبة الدار ـ المدينة المنوّرة.

١٤٤ ـ **المفاضلة بين الصحابة**، ابن حزم، تحقيق سعيد الأفغاني، دار القلم ـ دمشق.

١٤٥ ـ **مقاتل الطالبيين**، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق السيد أحمد صقر، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

١٤٦ ـ **الملل والنحل**، الشهرستاني، دار المعرفة ـ بيروت.

١٤٧ ـ **المنتظم**، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.



١٤٨ ـ **المنتقى من منهاج الاعتدال**، الذهبـــي، تحقيق محب الدين الخطيب، دار عالم الكتب ـ الرياض.

١٤٩ ـ **منهاج السُّـــنَّة النبوية**، ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشـــاد ســـالم، دار الفضيلة ـ الرياض.

١٥٠ ـ **موطأ مالك**، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٥١ ـ **ميزان الاعتدال**، الذهبي، تحقيـــق علي محمد البجاوي، دار المعرفة ـ بيروت.

١٥٢ ـ **نبوءات الرســـول ﷺ ـ دروس وعبر**، عبدالستار الشـــيخ، دار القلم ـ دمشق.

١٥٣ ـ **النجـــوم الزاهرة**، ابن تغـــري بردي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٥٤ ـ **نســـب قرش**، مصعب الزبيري، تحقيق ليفي بروفنســـال، مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة.

١٥٥ ـ **النصوص التاريخية في مســـند أحمد عـــن فترة الخلفاء الراشـــدين**، د. سعد بن موسى الموسى، دار القاسم ـ الرياض.

١٥٦ ـ **النهاية في غريب الحديـــث والأثر**، ابن الأثيـــر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية ـ بيروت.

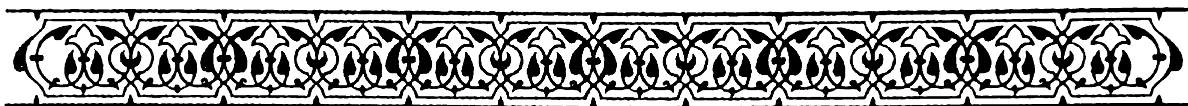
١٥٧ ـ **نهج البلاغة**، وشـــرحه لابن أبي الحديد، تحقيـــق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ـ بيروت.

١٥٨ ـ **ولاة مصر**، الكندي، دار صادر ـ بيروت.

١٥٩ ـ **الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين**، د. عبد العزيز إبراهيم العمري، دار إشبيليا ـ الرياض.

١٦٠ ـ **وغير ذلك كثير من كتب الحديث**، وشـروحه، ومصطلحه، والرجال، والتفسير، والتاريخ والأدب، ومعاجم اللغة.





الفهرس

الباب الأول

أخباره الشخصية وأسرته

ونشأته وإسلامه وحياته بمكة



الباب الثاني

حياته مع رسول الله ﷺ في المدينة وجلائل أعماله

الباب الثالث

علمه وعبادته وشمائله وأخلاقه

الباب الرابع

فضائل علي ومكانته

الباب الخامس

علي في عهد الخلفاء الراشدين الثلاثة قبله

الباب السادس

خلافة علي وسياسته في الحكم



الباب السابع

الفتن في عهد علي

الباب الثامن

الأيام الأخيرة في حياة علـي

